

حاشية العلامة الصاوي

على نفسير الجلالين

جلال الدين السيوطي
(ت: ٩١١ هـ)

جلال الدين المحلي
(ت: ٨٦٤ هـ)

تأليف
العالم العلامة العارفي بالله تعالى
الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المخلوتي
(١١٧٥ - ١٢٤١ هـ)

مُحَقَّقٌ عَلَى نَسْخِ خُطْبَةِ نَفِيسَةٍ
وَمَطْبُوعَةٍ قَدِيمَةٍ سَلِيمَةٍ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالسَّبْدِ

شَرَفَ بِمُحَرِّفِهَا
مُرْعِي حَسَنَ الرَّشِيدِ
رَاجَعَهَا وَقَدَّمَ هَآ

الدكتور عبد القادر الحسين

مرعي حسن الرشيد

الجزء الخامس

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ - سُورَةُ قُلُوبِ

دار تحقيق الكتاب
للطباعة والنشر والتوزيع

حاشية العلامة الصاوي

تفسير الجلالين

٥

دار تحقيق الكتاب

Title: Hāshiyat al-Şāwī 'alā Tafsīr
al-Jalālayn

Autor: Aḥmad Şāwī, Ğalāl-ad-Dīn
Maḥallī, Ğalāl-ad-Dīn Suyūtī,

Editor: Mar'ī al-Rashīd

Publisher: Dar Tahkik Al Kitāb

Pages: 575 (vol.5)

Year: 2024

Printed in: Lebanon

Edition: 1

الكتاب: حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال
الدين السيوطي.

تحقيق: مرعي الرشيد

الناشر: دار تحقيق الكتاب

عدد الصفحات: 575 (المجلد الخامس)

سنة الطباعة: 2024

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)

©Yayın Hakları DAR TAHKİK AL KİTAB 'a Aittir.

Bu kitabın her türlü yayın hakları Fikir ve Sanat Eserleri Yasası gereğince Dar Tahkik Al Kitab'a aittir.

Dar Tahkik Al Kitab'ın yazılı izni olmadan bu kitabın hiçbir bölümü kopyalanamaz ya da yeniden

üretim sistemine dâhil edilemez(elektronik, fotokopi vd.).

All Rights Reserved. Published by DAR TAHKİK AL KİTAB

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without written permission of the publisher.

دار تحقيق الكتاب

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة لـ دار تحقيق الكتاب
يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو
إدخاله على الحاسب أو نسخه على اسطوانات ليزرية إلا بموافقة الناشر خطياً.

مؤسسة محمد نوري ناص

MEHMET NURİ NAS
PUBLISHER OF ISLAMIC BOOKS

1948

ISBN 978-9933-638-15-3



9 789933 638153

DAR TAHKİK AL KİTAB

Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümnî İş Merkezi

No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/Istanbul/Turkey ☎ : +9 (0212)5190979

Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN ☎ : +9 (0482)4622775

www. tahkikalkitab.com

✉ : info@tahkikalkitab.com



Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık

Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır

دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَمَ﴾ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ إِلَى آخِرِهَا فَمَدَنِيَّةٌ، وَهِيَ مِائَتَانِ وَسَبْعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿طَسَمَ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ.

﴿٢﴾ ﴿تِلْكَ﴾ أَي: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿ءَايَةُ الْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنُ، - وَالْإِضَافَةُ بِمَعْنَى (مِنْ) -

﴿الْمُبِينِ﴾:

حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

أَي: السُّورَةُ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا الشُّعَرَاءُ، سُمِّيَتْ بِاسْمِ بَعْضِهَا عَلَى عَادَتِهِ تَعَالَى، وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الطَّوَاسِينِ أَحَادِيثُ مِنْهَا: مَا رَوَى عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي السَّبْعَ الطُّوَالَ مَكَانَ التَّوْرَةِ، وَأَعْطَانِي ﴿الْإِنْجِيلَ﴾ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ، وَأَعْطَانِي الطَّوَاسِينَ مَكَانَ الزَّبُورِ، وَفَضَّلَنِي بِالْحَوَامِيمِ وَالْمَفْصَلِ؛ مَا قَرَأَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي»^(١).

قَوْلُهُ: (إِلَّا ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ إِلَى آخِرِهَا) أَي: وَجَمَلْتُهُ أَرْبَعُ آيَاتٍ.

قَوْلُهُ: ﴿﴿طَسَمَ﴾﴾ هَكَذَا تَكْتُبُ مُتَّصِلَةً بِبَعْضِهَا، وَفِي مَصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (ط س م) مَفْصُولَةٌ مِنْ بَعْضِهَا، وَبِهَا قُرْءٌ، فَيَقِفُ عَلَى كُلِّ حَرْفٍ وَقْفَةً يُمَيِّزُ بِهَا كُلَّ حَرْفٍ، وَقُرْءٌ هُنَا وَفِي (الْقَصَصِ) بِكسر الميم عَلَى الْبِنَاءِ، وَأَمَّا الطَّاءُ بَعْضُ الْقُرْءِ.

قَوْلُهُ: ﴿﴿تِلْكَ﴾﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿ءَايَةُ الْكِتَابِ﴾ خَبَرُهُ، وَاسْمُ الْإِشَارَةِ عَائِدٌ عَلَى آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ.

قَوْلُهُ: (وَالْإِضَافَةُ بِمَعْنَى «مِنْ») أَي: وَالْمَعْنَى: آيَاتُ مِنَ الْكِتَابِ.

(١) رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ فِي «مَخْتَصَرِ قِيَامِ اللَّيْلِ» (ص ١٧٠) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَعَلَّكَ بَيِّعْتَ نَفْسَكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾

المُظْهِرُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ .

﴿٣﴾ لَعَلَّكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿بَيِّعْتَ نَفْسَكَ﴾ : قَاتِلُهَا غَمًّا مِنْ أَجْلِ ﴿إِلَّا يَكُونُوا﴾ أي : أَهْلُ مَكَّةَ ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ ، و(لَعَلَّ) هُنَا لِلإِشْفَاقِ ، أي : أَشْفَقُ عَلَيْهَا بِتَخْفِيفِ هَذَا الْغَمِّ .

﴿٤﴾ إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ ﴿بِمَعْنَى الْمُضَارَعِ - أي : تَظَلُّ أَي : تَدُومُ﴾ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿فَيُؤْمِنُونَ﴾ ، وَلَمَّا وَصِفَتْ الْأَعْنَاقُ بِالْخُضُوعِ الَّذِي هُوَ لِأَرْبَابِهَا جُمِعَتْ الصِّفَةُ مِنْهُ جَمَعَ الْعُقْلَاءُ .

حاشية الصاوي

قوله : (المُظْهِرُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ) أشار بذلك إلى أن (المبين) من (أبان) بمعنى : (أظهر)، ويصح أن يكون من (أبان) اللّازم؛ بمعنى : (ظهر) أي : الظاهر إعجازه .
قوله : ﴿لَعَلَّكَ بَيِّعْتَ نَفْسَكَ﴾ (هذا تسليّة له ﷺ ، والبائع : من (بَخَعَ) ، من باب (نفع) : قتل نفسه من وَجْدٍ أو غِيْظٍ .

قوله : و(لعلّ) هنا للإشفاق) أي : فالترجي بمعنى الأمر ، والمعنى : ارحم نفسك وارأف بها .
قوله : (أي : أشفق عليها) بقطع الهمزة من الرباعي ، ويوصلها من الثلاثي ، والأول إن تعدّى ب(من) . . . كان بمعنى الخوف ، وإن تعدّى ب(على) . . . كان بمعنى الرحمة والرّفق .

قوله : ﴿إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ﴾ . . . إلخ) هذا تسليّة لرسول الله ﷺ ببيان حقيقة أمرهم ، والمعنى : لا تحزن على عدم إيمانهم ؛ فإننا لو شئنا إيمانهم . . . لأنزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم ، فيؤمنون قهراً عليهم ، ولكن سبق في علمنا شقاؤهم ، فعدم إيمانهم ممّا لا منهم ، فأرخ نفسك من التعب القائم بها .
و﴿إِنْ﴾ : حرف شرط ، و﴿شَأْ﴾ : فعل الشرط ، و﴿نُزِّلَ﴾ : جوابه .

قوله : ﴿آيَةٌ﴾ (أي : معجزة تخوّفهم كرفع الجبل فوق رؤوسهم ؛ كما وقع لبني إسرائيل .
قوله : (بمعنى المضارع) أشار بذلك إلى أنّ قوله : ﴿فَظَلَّتْ﴾ مستأنفٌ ، ويصح أن يكون معطوفاً على ﴿نُزِّلَ﴾ فهو في محلّ جزم .

قوله : (ولما وصفت الأعناق بالخضوع . . . إلخ) دفع بذلك ما يقال : كيف جمع الأعناق بجمع عقلاء؟ فأجاب : بأنه لما نسب الخضوع لها وهو وصف العقلاء . . . جمعها بالياء والنون؛ كقوله

وَمَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مَنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَتْبَوُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَتْبَلْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾

(٥ - ٦) ﴿وَمَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مَنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ﴾ - صفة كاشفة - ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَتْبَوُا﴾: عواقب ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. ﴿٧﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يَنْظُرُوا ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَتْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: كَثِيرًا ﴿مِّنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نوع حسن.

حاشية الصاوي

تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، ﴿قَالَتَا أَنِنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وإلا... فكان مقتضى الظاهر أن يقال: خاضعة، وهناك أجوبة أخرى منها: أن المراد بالأعناق: الرؤساء، ومنها: أن لفظ (الأعناق) مقحم^(١)، والأصل: فظّلوا لها خاضعين، ومنها غير ذلك.

قوله: ﴿مِّنْ ذِكْرِ﴾: زائدة، وقوله: ﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾: ابتدائية. قوله: (صفة كاشفة) أي: لأنه فهم من قوله: ﴿يَأْنِيهِمْ﴾؛ لأنّ التعبير بالفعل يُفيد التجدد والحدوث.

قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ أي: غير متأملين له. قوله: (عواقب) أي: وعبر عنها بالأنباء؛ لأنّ القرآن أخبر عنها، والمراد: نزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: إلى عجائبها، والهمزة داخلية على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أغفلوا ولم ينظروا إلى الأرض... إلخ؟ وهذا بيانٌ للأدلة التي تحدث في الأرض وقتاً بعد وقت، تدلُّ على أنه مُنفرد بالالوهية، ومع ذلك استمرّ أكثرهم على الكفر.

قوله: ﴿كَمْ أَتْبَلْنَا فِيهَا﴾: ﴿كَمْ﴾: في محل نصب مفعول لـ ﴿أَتْبَلْنَا﴾، و﴿مِّنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: تمييز لها.

قوله: (نوع حسن) أي: كثير النفع.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْفَقِيمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

﴿٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿٨﴾ : دلالة على كمال قدرته تعالى ، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في علم الله تعالى ، و(كان) قال سيبويه : زائدة .

﴿٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴿٩﴾ : ذو العِزَّةِ يَنْتَقِمُ مِنَ الْكَافِرِينَ ، ﴿الرَّحِيمُ﴾ يَرْحَمُ الْمُؤْمِنِينَ .

﴿١٠﴾ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ ﴿١٠﴾ إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ ﴿١٠﴾ لَيْلَةَ رَأَى النَّارَ وَالشَّجَرَةَ ﴿١٠﴾ أَي : بِأَنْ ﴿أَنْتَ الْفَقِيمَ الظَّالِمِينَ﴾ رَسُولًا .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ ... إلخ) قد ذكرت هذه الآية في هذه السورة ثمان مرّات .

قوله : (في علم الله) هذا مبني على أصالة ﴿كَانَ﴾ ، وقوله : (و«كان» : قال سيبويه ... إلخ) توجية ثانٍ ، فكان المناسب أن يقول : (وقال سيبويه : «كان» زائدة) .
قوله : (ذو العِزَّة) أي : الهيبة والجلال .

قوله : (ينتقم من الكافرين) أي : بَمَظْهَرِ عَزَّتِهِ الَّذِي هُوَ الْقَهْرُ وَالْغَلْبَةُ ، وقوله : (يرحم المؤمنين) أي : بَمَظْهَرِ رَحْمَتِهِ .

قوله : ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ ... إلخ) ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة سبع قصص : أولها : قصة موسى وهارون ، ثانيها : قصة إبراهيم ، ثالثها : قصة نوح ، رابعها : قصة هود ، خامسها : قصة صالح ، سادسها : قصة لوط ، سابعها : قصة شعيب ، وتقدّم حكمة ذكر تلك القصص : أن بها تكون الحجة على الكافرين ، والزيادة في علم المؤمنين ؛ ولذا كان المؤمن من هذه الأمة أسعد السعداء ، وكافرها أشقى الأشقياء ، وحكمة التكرار : الزيادة في إيمان المؤمن ، وقطع حجة الكافر .
والظرف : معمول لمحذوفٍ ، قدّره المفسّر بقوله : (اذكر) ، وليس المراد ذكر وقت المناداة ، بل المراد ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت .

قوله : (ليلة رأى النار والشجرة) أي : رأى النار موقدة في الشجرة الخضراء ، وليس هذا مبدأ ما وقع في المناداة ، وإنما هو ما فُصِّلَ في سورة (طه) من قوله تعالى : ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ إلى قوله : ﴿لِرَبِّكَ مِنَّا الْكُبْرَى﴾ [طه : ١٠ - ٢٣] .

قوله : ﴿أَنْ أَنْتَ الْفَقِيمَ الظَّالِمِينَ﴾ يصح أن تكون (أن) مصدرية كما مشى عليه المفسّر ، أو مفسّرة ؛

قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَنْتَقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي

﴿١١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴿١١﴾ مَعَهُ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ بِاسْتِعْبَادِهِمْ، ﴿أَلَا﴾ - الهمزة للاستفهام الإنكاري - ﴿يَنْتَقُونَ﴾ الله بِطَاعَتِهِ فَيُوحِّدُونَهُ.

﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴿١٣﴾ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ لِي ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾
حاشية الصاوي

لِتَقْدُمَ جُمْلَةٌ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ. وَكَانَ النِّدَاءُ بِكَلَامٍ نَفْسِي سَمِعَهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ.

قوله: (رسولاً) حال من فاعل ﴿أَنْتِ﴾.

قوله: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وقوله: (معه) أي: فرعون، وهذا قد فهم بالأولى؛ لأنه رأس الضلال.

قوله: (وبني إسرائيل) معطوف على (أنفسهم)، والتقدير: وظلموا بني إسرائيل.

قوله: (باستعبادهم) أي: مُعَامَلَتُهُمْ إِيَّاهُمْ مَعَامَلَةَ الْعَبِيدِ فِي اسْتِخْدَامِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ وَالصَّنَائِعِ الْحَسِيئَةِ نَحْوَ أَرْبَعِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكَانُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ سِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ.

قوله: (للاستفهام الإنكاري) المناسب أن يقول: للاستفهام التعجبي؛ لأنَّ المعنى على الإنكار فاسد؛ لأنه للنفي، ومدخولها نفي، ونفي النفي إثبات، فيصير المعنى: أنهم اتقوا الله، وليس كذلك، ويصح أن تكون (ألا) للعرض.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ﴾... إلخ) اعتذاراً من موسى لإظهار العجز عن الأمر الذي كُلِّفَهُ، وقد أتى بثلاثة أَعْدَارٍ؛ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَرْتَّبٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ.

قوله: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ هما بالرفع على الاستئناف، أو عطف على خبر (إن) عند السبع، وقرئ شذوذاً بنصبهما عطفاً على مدخول (أن) ^(١)، والمقصود من هذا الاعتذار: الإعانة

(١) وبها قرأ زيد بن علي وطلحة وعيسى والأعمش فتكون الأفعال الثلاثة: (يكذبون)، (يضيق)، (ولا ينطلق) داخلة في حيِّز الخوف. قال الزمخشري: (والفرق بينهما - أي: الرفع والنصب - أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث عِلل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، والنصب: على أن خوفه مُتَعَلِّقٌ بِهَذِهِ الثَلَاثَةِ). انظر «الدر المصون» (٥١٤/٨).

فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِأَيَّتِنَا

بإداء الرسالة للعقدة التي فيه، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى﴾ أَخِي ﴿هَارُونَ﴾ مَعِيَ، ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ بِقَتْلِ الْقِبْطِيِّ مِنْهُمْ، ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ بِهِ.

﴿١٥﴾ ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾ أَي: لَا يَقْتُلُونَكَ، ﴿فَادْهَبَا﴾ أَي: أَنْتَ وَأُخُوكَ، ففِيهِ تَغْلِيْبُ الْحَاضِرِ عَلَى الْغَائِبِ، ﴿بِأَيَّتِنَا﴾

حاشية الصاوي

على هذا الأمر المهم؛ يشرح الصدر، وطلق اللسان، وإرسال أخيه، والأمن من القتل، وقد دلَّ على ذلك قوله في سورة (طه): ﴿رَبِّ أَسْرِحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾﴾ [طه: ٢٥-٢٧] الآيات.

قوله: (للعقدة التي فيه) أي: الثقل الحاصل بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير حين نتف لحية فرعون، فاغتم لذلك وهم بقتله، فأشارت عليه زوجته أن يمتحنه فقدم له ثمرة وجمرة، فأخذ الجمرة بتحويل جبريل يده، فوضعها على لسانه، فحصل فيه ثقل في النطق^(١).

قوله: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ أي: وكان في مصر، فأتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة؛ فموسى جاءته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل وإن كان حاضراً، وهارون جاءته الرسالة في ذلك الوقت أيضاً بواسطة جبريل.

قوله: (معي) أي: ليكون معيناً لي، وهو بمعنى قوله في سورة (القصص): ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٢٤].

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ أي: في زعمهم.

قوله: ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ أي: فيقوت المقصود من الإرسال.

قوله: (فيه تغليب الحاضر على الغائب) أي: بالنسبة لموسى، وإلا.. فهما حاضران بالنسبة لله تعالى، لكن سمع موسى الخطاب من الله بلا واسطة، وهارون سمعه بواسطة جبريل.

قوله: ﴿بِأَيَّتِنَا﴾ جمع الآيات مع أنهما اثنتان^(٢): العصا، واليد؛ باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات.

(١) ذكره الخطيب الشربيني في «السراج المنير» (٢/٤٩٥).

(٢) كذا في الأصول، ولعلها (آيتان)، أو (اثنتان).

إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيََا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنَى إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾

إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ما تَقُولُونَ وما يُقَالُ لَكُمْ، أَجْرِيَا مُجْرَى الْجَمَاعَةِ.
 (١٦ - ١٧) ﴿فَأْتِيََا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا﴾ كَلَامًا مِنَّا ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَيْكَ ﴿أَنْ﴾
 أي: بِأَنْ ﴿أَرْسِلَ مَعَنَا﴾ إِلَى الشَّامِ ﴿بَنَى إِسْرَءِيلَ﴾، فَأْتِيَاهُ فَقَالَ لَهُ مَا ذَكَرَ.
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: مَعِيَّةً خَاصَّةً بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ.

قوله: (أَجْرِيَا مُجْرَى الْجَمَاعَةِ) أي: تَعْظِيمًا لَهُمَا.

قوله: (أَي: كَلَامًا مِنَّا) قَدَّرَ ذَلِكَ؛ لِتَحْصُلِ الْمِطَابَقَةُ بَيْنَ اسْمِ (إِنْ) وَخَبَرِهَا الَّذِي هُوَ الرَّسُولُ؛
 حَيْثُ أَفْرَدَهُ^(١).

قوله: ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنَى إِسْرَءِيلَ﴾ خَلَّصَهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ.

قوله: ﴿فَأْتِيَاهُ...﴾ إِنْخِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ...﴾ إِنْخِ مَرَّتَبٌ عَلَى مُحذُوفٍ.
 روي: أَنَّهُمَا لَمَّا انْطَلَقَا إِلَى فِرْعَوْنَ.. لَمْ يُؤْذَنَ لَهُمَا سَنَةً فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِ، فَدَخَلَ الْبُؤَابَ
 عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَالَ لَهُ: هَهُنَا إِنْسَانٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنَ: ائْذَنْ لَهُ لَعَلَّنَا
 نَضْحَكُ مِنْهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَاهُ قَدْ أَخْرَجَ سَبَاعًا مِنْ أَسَدٍ وَنَمُورٍ وَفُهُودٍ يَتَفَرَّجُ عَلَيْهَا، فَخَافَ
 خَدَمَاهُ أَنْ تَبْطِشَ بِمُوسَى وَهَارُونَ، فَأَسْرَعُوا إِلَيْهِمَا، وَأَسْرَعَتِ السَّبَاعُ إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ، فَأَقْبَلَتْ
 تَلْحَسُ أَقْدَامَهُمَا وَتُلْصِقُ خَدُودَهَا بِفَخْذَيْهِمَا، فَعَجِبَ فِرْعَوْنَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا أَنْتُمَا؟ قَالَا: إِنَّا رَسُولُ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَعَرَفَ مُوسَى؛ لِأَنَّهُ نَشَأَ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: ﴿أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا...﴾ إِنْخِ، فَامْتَنَّ عَلَيْهِ
 أَوَّلًا بِنِعْمَةِ التَّرْبِيَةِ، وَثَانِيًا بِعَدَمِ مَوَازَنَتِهِ بِمَا وَقَعَ مِنْهُ مِنْ قَتْلِ الْقَبْطِيِّ^(٢).

(١) أو إنما أفرد رسولاً؛ إما لأنه مصدر بمعنى رسالة، والمصدر يوحد، ومن مجيء (رسول) بمعنى (رسالة) قوله:

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا فَهْتُ عَنْهُمْ بِسَرٍّ وَلَا أَرْسَلْتَهُمْ بِرَسُولٍ

أي: برسالة، وإما لأنهما ذرّوا شريعة واحدة، فنزلا منزلة رسول، وإما لأنه من وضع الواحد موضع التثنية؛
 لِتَلَازِمِهِمَا، فَصَارَا كَالشَّيْئَيْنِ الْمُتَلَازِمَيْنِ كَالْعَيْنَيْنِ وَالْيَدَيْنِ، وَحَيْثُ لَمْ يَقْصِدْ هَذِهِ الْمَعَانِي... طَابَقَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا
 رَسُولَا رَبِّكَ﴾. انظر «الدر المصون» (٥١٦/٨).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٩٤/١٣).

قَالَ أَلَمْ نُزَيِّكْ فِيْنَا وَلِيدًا وَلَيْسَتْ فِيْنَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾

﴿١٨﴾ قَالَ ﴿فَرَعُونَ لِمُوسَى: ﴿أَلَمْ نُزَيِّكْ فِيْنَا﴾ أَي: فِي مَنَازِلِنَا ﴿وَلِيدًا﴾: صَغِيرًا قَرِيبًا مِنَ الْوِلَادَةِ بَعْدَ فِطَامِهِ، ﴿وَلَيْسَتْ فِيْنَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ﴾ ثَلَاثِينَ سَنَةً، يَلْبَسُ مِنْ مَلَابِسِ فِرْعَوْنَ وَيَرْكَبُ مِنْ مَرَاجِيهِ، وَكَانَ يُسَمَّى ابْنَهُ.

﴿١٩﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ ﴿هِيَ قَتْلُهُ الْقَيْطِيِّ﴾، وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ: الْجَاهِلِينَ لِنِعْمَتِي عَلَيْكَ بِالتَّرْبِيَةِ وَعَدَمِ الْاسْتِعْبَادِ.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ قَالَ ﴿مُوسَى: ﴿فَعَلْنَهَا إِذَا﴾ أَي: حِينَئِذٍ ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عَمَّا آتَانِي اللَّهُ بَعْدَهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالرُّسَالَةِ، ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾: عِلْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: (قريباً من الولادة) قصده بذلك دفع ما ورد على الآية: بأن الوليد يُطلق على المولود حال ولادته وليس مراداً هنا؛ فإنه كان زمن الرضاع عند أمه، ثم أخذه فرعون بعد الفطام. والأولى: إبقاء الآية على ظاهرها؛ لأن موسى وإن كان عند أمه إلا أنه تحت نظر فرعون، فهو في تربيته من حين ولادته.

قوله: ﴿مِنْ عُمْرِكَ﴾ حال من ﴿سِنِينَ﴾ لأنه نعتٌ نكرةٌ قدَّم عليها.

قوله: (وعدم الاستعباد) أي: اتخاذك لي عبداً مثل بني إسرائيل.

قوله: (حينئذ) هذا حلٌ معني، لا حلٌ إعراب، وهي حرفٌ جوابٍ فقط، وقيل: حرف جوابٍ وجزاء.

قوله: (عمماً آتاني الله بعدها...) إلخ) أي: فليس عليّ فيما فعلته في تلك الحالة لومٌ؛ لعدم التكليف حينئذٍ، أو المعنى: من المخطئين، لا من المتعمدين.

قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ في ذلك ردُّ لما وبَّخه به فرعون، وهو القتل بغير حق، فكأنه قال: كيف تدَّعي الرسالة وقد حصل منك ما يقدر في تلك الدعوى؟! فأجابه موسى: بأنه قُتل قبل أن تأتيه الرسالة، ثمَّ أتته بعد ذلك.

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾

﴿٢٢﴾ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ﴾ أصله: تَمُنُّ بِهَا عَلَيَّ، ﴿وَأَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بَيَانٌ لِـ(تِلْكَ) - أي: اتَّخَذَتْهُمْ عِبِيداً وَلَمْ تَسْتَعِبِدْنِي، لَا نِعْمَةً لَكَ بِذَلِكَ لِظُلْمِكَ بِاسْتِعْبَادِهِمْ، - وَقَدَّرَ بَعْضُهُمْ أَوَّلَ الْكَلَامِ هَمْزَةً اسْتِفْهَامٍ لِلإِنْكَارِ -.

﴿٢٣﴾ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لِمُوسَى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الَّذِي قُلْتَ: إِنَّكَ رَسُولُهُ؟ أي: أَيُّ شَيْءٍ هُوَ؟ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ سَبِيلٌ لِلْخَلْقِ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا يَعْرِفُونَهُ بِصِفَاتِهِ أَجَابَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِبَعْضِهَا.

﴿٢٤﴾ ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خَالِقُ ذَلِكَ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بِأَنَّهُ تَعَالَى خَالِقُهُ فَآمَنُوا بِهِ وَحْدَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ مبتدأ وخبر، وقوله ﴿تَمُنُّهَا﴾ صفة لـ ﴿نِعْمَةٌ﴾، و﴿أَنْ عَبَّدَتْ...﴾ إلخ عطفت بيانٍ مُوضحٍ للمبتدأ كما أشار إليه المفسر.

قوله: (أصله: تَمُنُّ بِهَا عَلَيَّ) أي: فحذف الجارَّ، فاتصل الضمير، فهو من باب: الحذف والإيصال.

قوله: (ولم تستعبدني) أي: فلا منَّة لك عليَّ في عدم استعبادك إياي؛ لأنَّ استعباد غيري ظلم وقد نَجَّاني الله منه.

قوله: (وقدَّر بعضهم) أي: وهو الأخفش.

قوله: (أول الكلام) أي: والأصل: أَوْتِلْكَ نِعْمَةً...؟ إلخ.

قوله: (للإنكار) أي: وهو بمعنى النفي.

قوله: (أَيُّ شَيْءٍ هُوَ؟) أي: وذلك لأنَّ (ما) يسأل بها عن الحقيقة، والمعنى: أَيُّ جنس هو من أجناس الموجودات؟

قوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين جنس السماوات والأرض، فاندفع ما قيل: لِمَ ثَنَى الضمير مع أنَّ مرجعه جمع؟

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أي: محققين أنَّ الله تعالى هو الخالق لها.

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَجُلٌ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

﴿٢٥﴾ قَالَ: ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾: مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾: جَوَابُهُ الَّذِي لَمْ يُطَابِقِ السُّؤَالَ؟

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾) قَالَ: ﴿مُوسَى: ﴿رَجُلٌ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: وَهَذَا وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِيمَا قَبْلَهُ يَغِيظُ فِرْعَوْنَ، وَلِذَلِكَ: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿٢٨﴾ قَالَ: ﴿مُوسَى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أَنَّهُ كَذَلِكَ، فَآمِنُوا بِهِ وَحْدَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (من أشرف قومه) أي: وكانوا خمس مئة، لابسين الأساور، ولم يكن يلبسها إلا السلاطين على عادة الملوك.

قوله: (الذي لم يطابق السؤال) أي: لأنَّ (ما) يسأل بها عن الحقيقة وقد أجابه بالصفات التي يسأل عنها بـ(أي). والعُدول عن المطابقة؛ لأنَّ السؤال عن الحقيقة عبثٌ وسَفَهٌ؛ لاستحالته.

قوله: ﴿قَالَ رَجُلٌ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: إنما ذكر ذلك؛ لأنَّ نفوسهم أقرب الأشياء إليهم.

قوله: (وهذا) أي: الجواب.

قوله: (ولذلك) أي: لشدة غيظه.

قوله: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ﴾: سمَّاه رسولاً؛ استهزاءً، وأضافه إلى المخاطبين؛ استنكافاً من نسبته له.

قوله: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق، ويذهب بها من المغرب.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: إن كان لكم عقل، وفيه ردُّ لقوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

قَالَ لَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٩﴾ قَالَ ﴿فَرَعُونَ لِمُوسَى: ﴿لَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾، كَانَ سَجْنُهُ شَدِيدًا، يَحْبِسُ الشَّخْصَ فِي مَكَانٍ تَحْتَ الْأَرْضِ وَحْدَهُ لَا يُبْصِرُ وَلَا يَسْمَعُ فِيهِ أَحَدًا.

﴿٣٠﴾ قَالَ ﴿لَهُ مُوسَى: ﴿أَوْلَوْ﴾ أَي: أَتَفَعَلُ ذَلِكَ وَلَوْ ﴿جِنَّتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أَي: بُرْهَانٍ بَيِّنٍ عَلَى رِسَالَتِي؟

(﴿٣١﴾ - ﴿٣٣﴾) قَالَ ﴿فَرَعُونَ لَهُ: ﴿فَاتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِيهِ، ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾: حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ، ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾: أَخْرَجَهَا مِنْ جَيْبِهِ ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾: ذَاتُ شُعَاعٍ ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ خِلَافَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأُذْمَةِ.

حاشية الصاوي.

قوله: ﴿قَالَ لَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي﴾... إلخ) عُذُولٌ عَنِ الْمَحَاجَّةِ إِلَى التَّهْدِيدِ؛ لِقَمْعِ حَجَّتِهِ، وَجَهْلِهِ، وَعَدَمِ اسْتِقَامَتِهِ. روي: أَنَّهُ فَرَعَ مِنْ مُوسَى فَرَعًا شَدِيدًا، حَتَّى كَانَ اللَّعِينُ لَا يَمْسُكُ بُولَهُ^(١).
قوله: (أَي: أَتَفَعَلُ ذَلِكَ) أَشَارَ إِلَى أَنَّ الهمزة داخله على محذوف، والواو: عاطفة على ذلك المحذوف^(٢).

قوله: ﴿قَالَ فَاتِ بِهِ﴾ إنما أمر فرعون بالإتيان به؛ لِظَنِّهِ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى مُعَارَضَتِهِ.

قوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي: مِنْ جَيْبِهِ، قيل: لَمَّا رَأَى فَرَعُونَ الْآيَةَ الْأُولَى.. قال: هَلْ لَكَ غَيْرُهَا؟ فَأَخْرَجَ يَدَهُ، فَأَدْخَلَهَا فِي إِبْطِهِ ثُمَّ نَزَعَهَا وَلَهَا شُعَاعٌ يَكَادُ يَغْشِي الْأَبْصَارَ وَيَسُدُّ الْأَفْقَ.
قوله: (مِنِ الْأُذْمَةِ) أَي: السُّمْرَةِ.

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٩٩/١٣).

(٢) وقد تكون للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل؛ أَي: أَتَفَعَلُ ذَلِكَ وَلَوْ جِنَّتُكَ بِشَيْءٍ بَيِّنٍ صَدَقَ دَعَايَ؟ وَلَا يَنَافِي هَذَا تَقْدِيرُ الْفِعْلِ قَبْلُهَا الَّذِي قَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا عَاطِفَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَقْدَّرَ عَامِلَ الْحَالِ وَصَاحِبَهَا. «فتوحات» (٢٩٤/٣).

قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الدَّائِنِ حَشِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ أَغْلَبِينَ ﴿٤٠﴾

(٣٤ - ٣٥) ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿فَائِقٌ فِي عِلْمِ السُّحْرِ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾.

(٣٦ - ٣٧) ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخر أمرهما ﴿وَأَبْعَثْ فِي الدَّائِنِ حَشِيرِينَ﴾: جامعين، ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السُّحْرِ.

(٣٨ - ٤٠) ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة، ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ أَغْلَبِينَ ﴿الاستفهام لِلْحَثِّ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَالتَّرَجُّي عَلَى تَقْدِيرِ غَلَبَتِهِمْ؛ لِيَسْتَمِرُّوا عَلَى دِينِهِمْ فَلَا يَتَّبِعُوا مُوسَى.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿حَوْلَهُ﴾ ظرف في محل الحال.

قوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ لما رأى تلك الآيات الباهرة.. خاف على قومه أن يتبعوه، فتنزل إلى مشاورتهم بعد أن كان مستقلاً بالرأي والتدبير، وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام.

قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي: أي شيء تأمرونني به؟

قوله: ﴿يَأْتُوكَ﴾ مجزوم في جواب الأمر.

قوله: (يفضل موسى) أي: يفوقه ويزيد عليه.

قوله: (من يوم الزينة) كان يوم عيد لهم، وقيل: كان يوم سوق.

قوله: (والترجي على تقدير غلبتهم) أي: الترجي على فرض الغلبة المقتضية للاتباع.

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرَيْنِ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا جِبَالُكُمْ وَعَصَصِيهِمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ

(٤١ - ٤٢) ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا﴾ - بِتَحْقِيقِ الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين - ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا﴾ أي: حِينَئِذٍ ﴿لَمِنَ الْمُفْرَيْنِ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ بعد ما قالوا له: ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسلاً به إلى إظهار الحق.

(٤٤ - ٤٥) ﴿قَالُوا جِبَالُكُمْ وَعَصَصِيهِمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ

حاشية الصاوي

قوله: (على الوجهين) أي: تحقيقهما وتسهيل الثانية، وكان عليه أن يقول: (وتركه) أي: ترك الإدخال على الوجهين، فتكون القراءات أربعاً^(١).

قوله: ﴿لَأَجْرًا﴾ أي: أجره وجُعلاً.

قوله: ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ أي: لكم الأجرة على عملكم السحر، وزادهم بقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذَا...﴾ إلخ.

قوله: (فالأمر فيه) جوابٌ عما يقال: كيف يأمرهم بفعل السحر مع أنه لا يجوز الأمر به؛ لأن الأمر به رضا، والرضا بالكفر كفر؟

وحاصل الجواب: أنَّ الممتنع الأمر به في حال كونه مستحسناً له، وأما الأمر به للتوسل لإبطاله.. فليس فيه استحسان ولا رضا، بل هو الممدوح شرعاً.

قوله: ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: نُقسم ونحلف بعزة فرعون، وأقسموا؛ لفرط اعتقادهم في أنفسهم أنهم غالبون.

(١) سهل الهمزة الثانية مع الإدخال قالون وأبو عمرو وأبو جعفر، وسهلها من غير إدخال ورش وابن كثير ورويس، وحققها مع الإدخال قولاً واحداً هشام، وحققها الباقيون من غير إدخال، وهذا من المواضع التي يدخل فيها هشام قولاً واحداً. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٣٠).

مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

- بِحَذْفِ إِحْدَى التَّائِينَ مِنَ الْأَصْلِ -: تَبْتَلِع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يَقْلِبُونَهُ بِتَمْوِيهِهِمْ، فَيُخَيِّلُونَ أَنَّ جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ حَيَّاتٌ تَسْعَى.

(﴿٤٦﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ مَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْعَصَا لَا يَتَأَتَّى بِالسَّحْرِ.

﴿٤٩﴾ ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿ءَامَنَّا﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا - ﴿لَهُ﴾: لِمُوسَى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أَنَا ﴿لَكُمْ﴾ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴿فَعَلَّمَكُمُ شَيْئًا مِنْهُ وَغَلَبَكُمُ بَآخِرَ﴾ ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مَا يَنَالُكُم مِّنِّي؛

حاشية الصاوي

قوله: (من الأصل) أي: أصل الصيغة.

قوله: (يقلبونه) أي: يُغَيِّرُونَهُ عَنْ حَالِهِ الْأَوَّلِ مِنَ الْجُمَادِيَّةِ إِلَى كَوْنِهِ حَيَّةً تَسْعَى، وقوله: (بتمويههم) الباء: سببية.

قوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾ أي: خَرُّوا وَسَقَطُوا سَاجِدِينَ؛ لَمَّا رَأَوْا مِنْ بَاهِرِ الْمَعْجَزَةِ، فَلَمْ يَتِمَّا لَكُوا أَنْفُسَهُمْ.

قوله: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ بدل ممَّا قبله؛ للتوضيح وللإشعار بأنَّ سبب إيمانهم ما أجراه الله على يد موسى وهارون.

قوله: (وإبدال الثانية ألفاً) صوابه: (الثالثة)؛ لأنها هي المنقلبة ألفاً، وترك قراءة أخرى، وهي حذف الأولى من الهمزتين، وقلب الثالثة ألفاً^(١).

قوله: (فعلمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر) أي: أخفاه عنكم، وأراد فرعون بهذا الكلام التلبيس على قومه؛ لئلاَّ يَعتقدوا أَنَّ السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق.

(١) قرأ الجميع بإبدال الثانية ألفاً، وحقق الثانية حمزة والكسائي وشعبة، وسهلها الباقون غير حفص فإنه أسقط الأولى، والثانية عنده هي المبدوء بها. انظر «السراج المنير» (١٣/٣).

لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: يَدَ كُلِّ وَاحِدِ الْيُمْنَى وَرِجْلَهُ الْيُسْرَى، ﴿وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

(٥٠ - ٥١) ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾: لَا ضَرَرَ عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ، ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بَعْدَ مَوْتِنَا بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾: رَاجِعُونَ فِي الْآخِرَةِ، ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾: نَرْجُو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا﴾ أَي: بِأَنْ ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي زَمَانِنَا.

﴿٥٢﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ بَعْدَ سِنِينَ أَقَامَهَا بَيْنَهُمْ يَدْعُوهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِلَى الْحَقِّ فَلَمْ يَزِيدُوا إِلَّا عُتُوًّا: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ حَاصِلُهُ: أَنَّهُمْ لَمَّا آمَنُوا بِأَجْمَعِهِمْ.. اسْتَدَّ خَوْفُ فِرْعَوْنَ عَلَى بَاقِي قَوْمِهِ مِنْ دَخُولِهِمْ فِي الْإِيمَانِ، فَتَفَرَّقَ الْبَاقِي بِقَوْلِهِ: ﴿لَأَقْطَعَنَّ...﴾ إلخ.
قوله: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ تَعْلِيلٌ لِنَفْيِ الضَّرْرِ. وَهَلْ فَعَلَ بِهِمْ مَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ؟ خِلَافٌ، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَعَلَ.

قوله: (فِي زَمَانِنَا) أَي: مِنْ أَتْبَاعِ فِرْعَوْنَ؛ فَلَا يَنَافِي أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَبَقُوهُمْ بِالْإِيمَانِ.

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْوَحْيُ بِتَكْلِيمِ اللَّهِ لَهُ، أَوْ عَلَى لِسَانِ جَبْرِيلَ.

قوله: (بَعْدَ سِنِينَ) أَي: ثَلَاثِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَىٰ مَكَثَ فِي مِصْرَ أَوَّلًا ثَلَاثِينَ، وَفِي مَدْيَنَ عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ لَمَّا رَجَعَ إِلَى مِصْرَ ثَانِيًا.. مَكَثَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ خَمْسِينَ سَنَةً، فَجُمْلَةُ عَمْرِهِ مِئَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

قوله: (بِآيَاتِ اللَّهِ) أَي: بَاقِي التَّسْعِ؛ لِأَنَّ مُوسَىٰ افْتَتَحَهُمْ أَوَّلًا بِالْعَصَا وَالْيَدِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا، فَجَاءَهُمْ بِالسِّنِينَ الْمَجْدِبَةِ، ثُمَّ بِالطُّوفَانِ وَالْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ وَالْدَّمَ وَالطَّمَسِ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَلَمْ يُفِذْ فِيهِمْ ذَلِكَ، وَقَدْ سَبَقَ ذَلِكَ مَفْضَلًا فِي (الْأَعْرَافِ).

قوله: ﴿بِعِبَادِي﴾ الْإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ، وَالْمَعْنَى: سِرُّ بَعِبَادِي الْمُخْتَصِينَ بِرَحْمَتِي، وَإِلَّا... فَالْكُلُّ مِنْ حَيْثُ الْخَلْقُ عِبَادُهُ.

إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٥٥﴾

- وفي قراءة بِكسر النون ووصل همزة (أَسْرٍ) مِنْ (سَرَى) لُغَةٌ فِي (أَسْرَى) - أي: سَرِبَ بِهِمْ لَيْلًا إِلَى الْبَحْرِ، ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾: يَتَّبِعُكُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَيَلْجُونَ وَرَاءَكُمْ الْبَحْرَ، فَأَنْجِيَكُمْ وَأَغْرِقَهُمْ.

(٥٣ - ٥٦) ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حِينَ أَخْبَرَ بِسَيْرِهِمْ ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ قِيلَ: كَانَ لَهُ أَلْفُ مَدِينَةٍ وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ قَرْيَةٍ، ﴿حَاشِرِينَ﴾: جَامِعِينَ الْجَيْشَ قَائِلًا: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾: طَائِفَةٌ ﴿قَلِيلُونَ﴾ قِيلَ: كَانُوا سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ وَسَبْعِينَ أَلْفًا، وَمُقَدَّمَةٌ جَيْشِهِ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَلَّلَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَى كَثْرَةِ جَيْشِهِ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ﴾: فاعِلُونَ مَا يَغِيظُنَا،

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(١).

قوله: (أي: سَرِبَ بِهِمْ لَيْلًا) تفسير لكلٍّ مِنَ الْقَرَاءَتَيْنِ.

قوله: (إلى البحر) أي: بحر القلزم، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل في آخر الليل، فترك طريق الشام على يساره وتوجّه جهة البحر، فكان الرجل من بني إسرائيل يراجعه في ذلك، فيقول: هكذا أمرني ربي، فلما أصبح فرعون وعلم بسير موسى ببني إسرائيل.. خرج في أثرهم وبعث إلى مدائن مصر؛ لِيَتْلَحِقَهُ الْجِيُوشُ.

قوله: ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ (علّة للأمر بالسَّيْرِ).

قوله: (حين أخبر بسيرهم) روي: أَنَّ قَوْمَ مُوسَى قَالُوا لَجَمَاعَةِ فِرْعَوْنَ: إِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ عِيدًا، ثُمَّ اسْتَعَارُوا مِنْهُمْ حُلِيِّهِمْ بِهَذَا السَّبَبِ، ثُمَّ خَرَجُوا بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ فِي اللَّيْلِ إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ، فَلَمَّا سَمِعَ فِرْعَوْنُ ذَلِكَ.. جَمَعَ قَوْمَهُ وَتَبِعَهُمْ^(٢).

قوله: (ومقدمة جيشه... إلخ) أي: وجملة جيشه أَلْفُ أَلْفٍ وَسِتُّ مِائَةٍ.

(١) قرأ نافع وابن كثير بكسر النون ووصل همزة بعدها، وقرأ الباقون بسكون النون وقطع همزة بعدها. انظر «السراج المنير» (١٣/٣).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/٣٢٥).

وَلَنَا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾

﴿وَلَنَا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ : مُتَّقُونَ ، - وفي قراءة : ﴿حَذِرُونَ﴾ : مُسْتَعِدُّونَ ..

﴿٥٧﴾ قال تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي : فرعونَ وقومه من مصر ليلْحَقُوا موسى وقومه ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾ : بساتينَ كانت على جانبي النيل ، ﴿وَعُيُونٍ﴾ : أنهارٍ جارِيَةٍ في الدَّورِ مِنَ النَّيْلِ .

﴿٥٨﴾ ﴿وَكُنُوزٍ﴾ : أموالٍ ظاهرة من الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَسُمِّيتْ كُنُوزاً لِأَنَّهُ لَمْ يُعْطَ حَقُّ اللَّهِ تعالى منها ، ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ :

حاشية الصاوي

قوله : (فاعلمون ما يغبطنا) أي : حيث خالفوا ديننا ، وطمسوا على أموالنا ، وقتلوا أبنائنا ؛ لما روي : أنَّ الله أمر الملائكة أن يقتلوا أبنائهم القبط ، وأوحى إلى موسى أن يجمع بني إسرائيل كلَّ أربعة أبياتٍ في بيت ، ثم يذبحوا أولاد الضَّان ويُلطِّخُوا أبوابهم بدمائها ؛ لتمييز الملائكة بيوت بني إسرائيل من بيوت القبط ، فدخلت الملائكة ، فقتلت أبنائهم ، فأصبحوا مشغولين بموتاهم ، وهذا هو سبب تأخر فرعونَ وقومه عن موسى وقومه^(١) .

قوله : ﴿وَلَنَا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ (أي : من عادتنا الحذر والجزم في الأمور .
قوله : (وفي قراءة . . . إلخ) أي : وهي سبعة أيضاً^(٢) ، بمعنى الأولى ، وقيل : الحذرُ : المتيقظ ، والحاذر : الخائف .

قوله : (كانت على جانبي النيل) أي : من أسوان إلى رشيد .

قال كعب الأحبار : (أربعة أنهار من الجنة ، وضعها الله تعالى في الدنيا : سيحان ، وجيحان ، والنيل ، والفرات ؛ فسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيحان نهر اللبن في الجنة ، والنيل نهر العسل في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة)^(٣) .

قوله : (أموال ظاهرة) هذا أحد قولين ، وقيل : المراد بالكنوز : الأموال التي تحت الأرض ، وخصَّها بالذكر ؛ لأنَّ ما فوق الأرض انطمس ، وحينئذٍ : فتسميتها كنوزاً ظاهرة .

(١) أورده الثعلبي بسنده في «الكشف والبيان» (١٦٤/٧) ، وهو من الإسرائيليات ؛ فالملائكة عليهم السلام ليسوا بحاجة لهذا حتى يعرفوا بيوت القبط .

(٢) قرأ الكوفيون وابن ذكوان : (حاذرون) بالالف ، والباقون بدونها . انظر «الدر المصون» (٥٢٢/٨) .

(٣) ذكره عنه القرطبي في «تفسيره» (١٠٤/١٣) ، ثم قال : (قلت : الذي في الصحيح من هذا حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «سيحان وجيحان والنيل والفرات كلٌّ من أنهار الجنة» ، لفظ مسلم) ، وانظر «صحيحه» (٢٨٣٩) .

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَوْا الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ

مَجْلِسِ حَسَنِ لِلْأَمْراءِ وَالْوُزراءِ يَحْفَهُ أَتْبَاعُهُمْ.

﴿٥٩﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: إخراجنا كما وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه.

﴿٦٠﴾ - ﴿٦٢﴾ : ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ : لِحَقُّوهُمْ ﴿مُشْرِقِينَ﴾ : وقت شروق الشمس، ﴿فَلَمَّا تَرَوْا الْجَمْعَانَ﴾ : رأى كلُّ منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونَ﴾ : يُدْرِكُنَا جَمْعُ فرعون ولا طاقة لنا به، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يُدْرِكُونَا؛ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بِنَصْرِهِ، ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة.

﴿٦٣﴾ قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فَضْرَبَهُ، ﴿فَأَنْفَلَقَ﴾ :

حاشية الصاوي

قوله: (مجلس حسن للأمراء والوزراء) قيل: كان إذا قعد على سريره.. وضع بين يديه ثلاث مئة كرسي من ذهب، يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء، وعليهم قبة الديباج مرصعة بالذهب، وقيل: المقام الكريم: المنابر، وكانت ألف منبرٍ لألف جبارٍ يعظمون عليها فرعون ومُلْكُهُ. قوله: (أي: إخراجنا كما وصفنا) أشار بذلك أن قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف^(١).

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: الجنات والعيون والكنوز، وقيل: المراد: أورثنا بني إسرائيل ما استعاروه من حلي آل فرعون، والأحسن أن يراد ما هو أعم؛ فإن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه، ومَلَكُوا مشارق الأرض ومغاربها.

قوله: (وقت شروق الشمس) أي: يوم الملاقاة، وليس المراد أنهم أدركوا بني إسرائيل يوم خروجهم؛ لأنهم تأخروا عنهم حتى جمعوا جيوشهم ودَفَنُوا موتاهم.

قوله: (أي: لن يدركونا) أشار بذلك إلى أن ﴿كَلَّا﴾ للنفي، والمعنى: لا سبيل لهم علينا؛ لأن الله وعدنا بالخلاص منهم.

قوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾... إلخ) قيل: لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر.. هاج

(١) ويحتمل النصب على: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا. انظر «تفسير النسفي» (٥١٥/٢).

فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَجْمَعْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾

فَانشَقَّ اثْنِي عَشَرَ فِرْقًا، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾: الْجَبَلِ الضَّخْمِ بَيْنَهَا مَسَالِكُ سَلَكَوْهَا لَمْ يَبْتَلْ مِنْهَا سَرَجُ الرََّاكِبِ وَلَا لِيَدِهِ.

(٦٤ - ٦٦) ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: قَرَّبْنَا ﴿ثُمَّ﴾: هُنَاكَ ﴿الْآخِرِينَ﴾: فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ حَتَّى سَلَكَوْا مَسَالِكَهُمْ. ﴿وَأَجْمَعْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْبَحْرِ عَلَى هَيْئَتِهِ الْمَذْكُورَةِ، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾: فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ بِإِطْبَاقِ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ لَمَّا تَمَّ دُخُولُهُمْ فِي الْبَحْرِ وَخُرُوجُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْهُ.

﴿٦٧﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أَي: إِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿لَآيَةً﴾: عِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بِالله، لَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ غَيْرُ أَسِيَّةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَحِزْقِيلَ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمَ بِنْتِ نَامُوسَى الَّتِي دَلَّتْ عَلَى عِظَامِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَام.

حاشية الصاوي

البحر، فصار يرمي بموج كالجبال، فصار بنو إسرائيل يقولون: أين أُمِرْتُ؟ فرعون من خَلَفْنَا، والبحر أَمَامَنَا، وموسى يقول: ههنا، فأوحى الله إليه أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ، فَإِذَا الرَّجُلُ وَقَفَ عَلَى فَرَسِهِ وَلَمْ يَبْتَلْ سَرَجُهُ وَلَا لِيَدُهُ^(١).

قوله: (اثني عشر فرقا) أي: قطعة، بعدد أسباط بني إسرائيل.

قوله: (بينها مسالك) أي: بين الاثني عشر فرقا.

قوله: (على هَيْئَتِهِ) أي: وهي انفلاقُهُ اثنتي عشر فرقة.

قوله: (وحِزْقِيلَ) هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾ [غافر: ٢٨]

الخ، وقوله: (ومريم بنت ناموسى) أي: وكانت عجوزاً تعيش من العمر نحو سبع مئة سنة.

قوله: (التي دَلَّتْ عَلَى عِظَامِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَام) أي: وسبب ذلك: أَنَّ الله أَمَرَ مُوسَى بِأَخْذِ

يُوسُفَ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ حِينَ خُرُوجِهِ مِنْ مِصْرَ، فَسَأَلَ عَلَى قَبْرِهِ، فَلَمْ يُعْرِفْ إِذْ ذَاكَ، فَدَلَّتْهُ عَلَيْهِ هَذِهِ

(١) رواه الطبري بسنده في «جامع البيان» (١٧/٥٨٣)، واللَّبْدُ: واحد اللَّبُودِ، وهو: كُلُّ شَعْرٍ أَوْ صُوفٍ مُتَلَبِّدٍ.

وَلِإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْ أَعَزُّهُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ

﴿٦٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْ أَعَزُّهُ ﴿فَانْتَقَمَ مِنَ الْكَافِرِينَ بِإِغْرَاقِهِمْ﴾ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ فَأَنْجَاهُمْ مِنَ الْغَرَقِ.

(٦٩) - (٧١) ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿نَبَأٌ﴾: خَبَرٌ

حاشية الصاوي

العجوز بعد أن ضَمَنَ لها موسى على الله الجنة، وكان يوسف قد دُفِنَ في قعر بحر النيل، فحفر عليه موسى وأخرجه، وذهب به إلى الشام^(١).

فائدة: قال قيس بن حجاج: (لَمَّا فُتِحَتْ مصر.. أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من أشهر القبط، فقالوا: أيها الأمير؛ إِنَّ لَيْنِلْنَا هَذَا سَنَةً وَعَادَةً لَا يَجْرِي إِلَّا بِهَا، فَقَالَ لَهُمْ: وَمَا ذَاكَ؟ فَقَالُوا: إِذَا كَانَ لثَنِي عَشْرَةَ لَيْلَةً تَخْلُو مِنْ هَذَا الشَّهْرِ.. عَمَدْنَا إِلَى جَارِيَةٍ بِكْرٍ بَيْنَ أَبَوَيْهَا، أَرْضِينَا أَبَوَيْهَا، وَحَمَلْنَا عَلَيْهَا مِنَ الْحَلِيِّ وَالثِّيَابِ أَفْضَلَ مَا يَكُونُ، ثُمَّ أَلْقَيْنَاهَا فِي هَذَا النَّيْلِ، فَقَالَ لَهُمْ عمرو: وَهَذَا لَا يَكُونُ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَيَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ، فَأَقَامُوا بؤونة وأبْيَسَ وَمَسْرَى لَا يَجْرِي قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً، وَهَمُّوا بِالْجَلَاءِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عمرو بن العاصي.. كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعلمه بالقصة، فكتب إليه عمر بن الخطاب: إِنَّكَ قَدْ أَصَبْتَ بِالَّذِي فَعَلْتَ، وَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بَطَاقَةً فِي دَاخِلِ كِتَابِي، فَأَلْقِهَا فِي النَّيْلِ إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي، فَلَمَّا قَدِمَ كِتَابُ عَمْرٍو إِلَى عمرو بن العاصي.. أخذ البطاقة ففَتَحَهَا، فَإِذَا فِيهَا: «مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عَمْرُؤُا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نَيْلِ مِصْرَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْرِي مِنْ قَبْلِكَ.. فَلَا تَجْرُ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ هُوَ الَّذِي يُجْرِيكَ.. فَسَأَلَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ أَنْ يُجْرِيكَ»، فَأَلْقَى الْبَطَاقَةَ فِي النَّيْلِ قَبْلَ الصُّلُبِ يَوْمَ، فَأَصْبَحُوا وَقَدْ زَادَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعاً، وَقَطَعَ اللَّهُ تِلْكَ السَّيْرَةَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ^(٢).

قوله: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف على (اذكر) العامل في قوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى...﴾ إلخ عطف قصة على قصة.

قوله: (أَي: كفار مكة) خصَّهم بالذكر؛ لأنهم الحاضرون وقت نزول الآية، وإلا.. فهو خطاب لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة.

(١) روى القصة بطولها ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وليس فيه ذكر اسم العجوز.

(٢) رواها الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي في «جامع كرامات الأولياء» (٦٦).

إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَنكِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ، - وَيُبَدِّلُ مِنْهُ - : ﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ صَرَّحُوا بِالْفِعْلِ لِيُعْطِفُوا عَلَيْهِ : ﴿فَنَظَّلُ لَهَا عَنكِينَ﴾ أَي : نَقِيمُ نَهَاراً عَلَى عِبَادَتِهَا ، زَادُوهُ فِي الْجَوَابِ افْتِخَاراً بِهِ .

(﴿٧٢﴾ - ﴿٧٤﴾) : ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ﴾ : حِينَ ﴿تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ﴾ إِنْ عَبَدْتُمُوهُمْ ، ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ كُمْ إِنْ لَمْ تَعْبُدُوهُمْ ؟ ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أَي : مِثْلَ فَعِلْنَا .

حاشية الصاوي

قوله : (ويبدل منه) أي : بدل مفصل من مجمل^(١) .

قوله : ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ : اسم استفهام معمول لـ ﴿تَعْبُدُونَ﴾ ، والمعنى : ما هذا الذي تعبدونه ؟ أي : ما حقيقته ؟

قوله : (صرحوا بالفعل ... إلخ) جوابٌ عما يقال : كان القياس أن يقولوا : أصناماً ؛ كقوله : ﴿وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، فأجاب : بأنهم صرَّحوا بالفعل ؛ ليعطفوا عليه ما فيه الافتخار .

قوله : (أي : نقيم نهاراً على عبادتها) هذا معنى (نظّل) الأصلي ، ولكن مقتضى الافتخار أن يكون معناها : ندوم على عبادتها ليلاً ونهاراً .

قوله : (زادوه) أي : قوله : ﴿فَنَظَّلُ ... إلخ﴾ .

قوله : ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أتى بالمضارع ؛ إشارةً إلى أن هذا الوصف مُستمرٌّ وثابتٌ في الأصنام في الماضي والحال والمستقبل ، ولا بدّ من محذوف هنا ، دلّ عليه قوله : ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ تقديره : هل يسمعون دعاءكم ؟

قوله : ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ : ﴿إِذْ﴾ : هنا بمعنى (إذا) استحضاراً للحال الماضية وحكاية لها تبيكياً عليهم .

قوله : ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا﴾ ... إلخ) هذا الجواب يُفيد تسليم ما قاله إبراهيم ، وإنما اعتذروا عن ذلك بالتقليد ، فلمّا لم يجدوا مخلصاً غيره .. احتجوا به .

(١) أو بدل اشتغال . «فتوحات» (٢٩٩/٣) .

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾

(٧٥ - ٨٢) ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ لا أعبدُهُمْ، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فَإِنِّي أَعْبُدُهُ، ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾
حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أتأملتم فعلتم، أو أبصرتُم ما كنتم تعبدونه؟^(١)

قوله: ﴿وَأَبَاؤُكُمْ﴾ عطف على الضمير في ﴿تَعْبُدُونَ﴾، وهو ضمير رفع متصل؛ فلذا فصل بالضمير المنفصل، قال ابن مالك^(٢): [الرجز]

وإن على ضمير رفع متَّصل عطفَتْ فافْصِلْ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ

قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ أسند العداوة لنفسه؛ تعريضاً بهم، وهو أبلغ في النصيحة من التصريح بأن يقول: (فإنهم عدو لكم).

إن قلت: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي لا تعقل؟ أجيب بأجوبة منها: أنَّ المعنى: عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم في الدنيا، ومنها: أنَّ الكلام على حذف مضاف؛ أي: فإن أصحابهم عدو لي، ومنها: أنَّ الكلام على القلب؛ أي: فإنني عدو لهم.

قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أشار المفسر بقوله: (لكن) إلى أنَّ الاستثناء منقطع، والمعنى: لكن رب العالمين ليس بعدوي، بل هو وليي في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾ نعت لـ ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، أو بدل، أو عطف بيان، أو خبر لمحذوف، وما بعده عطف عليه.

قوله: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أتى بالفاء هنا وفي قوله: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾؛ لترتّب الهداية على الخلق، والشفاء على المرض، بخلاف الإطعام والإسقاء فليس بينهما ترتّب، وأتى بـ (ثم) في جانب الإحياء؛ لبعد زمنه عن زمن الموت؛ لأنَّ المراد به الإحياء في الآخرة.

(١) وعليه: فتكون (رأى) بمعنى (عرف)؛ لأنه ليس هنا إلا مفعول واحد وهو الموصول. «فتوحات» (٣/٣٠٠).

(٢) «الخلاصة»، باب: عطف النسق.

وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجَحِّينِ ﴿٨١﴾
وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ
بِالصَّلَاحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾

إلى الدِّين، ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجَحِّينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾: أرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾: الجزاء.

(﴿٨٣﴾ - ﴿٨٧﴾) ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾: علماً ﴿وَالْحَقْنَ بِالصِّلِحِينَ﴾: النِّسَبِينَ، ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾: ثناءً حسناً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة،

حاشية الصاوي

قوله: (إلى الدين) أي: وغيره من مصالح دُنْيَايَ وَآخِرَتِي، وإنما خصَّ الدين؛ لأنَّ المقام للرَّدِّ، ولأنَّه أهمُّ.

قوله: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسند المرض لنفسه وإن كان الكلُّ من الله؛ تأدُّباً كما قال تعالى: ﴿يَبْدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] ولم يقل: والشر، وقال الخضر: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ عبَّر بالطمع المفيد عدم الأخذ في الأسباب مع أنها حاصلة منه؛ لعدم اعتماده عليها.

قوله: ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ ذكر ذلك تواضعاً وتعليماً للأمة، وإلا.. فهو معصومٌ من الخطايا.

قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ لما ذكر تلك الأوصاف.. قوي رجاءه في ربِّه، فطلب منه معالي الأمور وخير الدنيا والآخرة.

قوله: (علماً) أي: زيادة فيه.

قوله: ﴿وَالْحَقْنَ بِالصِّلِحِينَ﴾ أي: في العمل، أو في درجات الجنة.

قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ من إضافة الموصوف للصفة؛ أي: ذكراً حسناً، من باب: تسمية الشيء باسم آتته.

قوله: (الذين يأتون بعدي) وقد أجابه الله تعالى، فما من أمةٍ من الأمم وإلا وهي تحبُّه وتنشئ عليه بخير، سيَّما في هذه الأمة المحمَّديَّة، خصوصاً في المؤمنين منهم؛ فإنهم يذكرونه بخير

وَأَجْعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾

﴿وَأَجْعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي: مِمَّنْ يُعْطَاهَا، ﴿وَأَغْفِرْ لِأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ بِأَنْ تَتُوبَ عَلَيْهِ فَتَغْفِرَ لَهُ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ كَمَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ (بَرَاءة)، ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾: تَفْضَحْنِي ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: النَّاسَ.

حاشية الصاوي

في كل تشهد، وإنما طلب ذلك؛ لينتفع به هو، وينتفع به المثني لكن بشرط الإيمان، وأما حديث: «من أحبَّ قومًا حُشِرَ معهم وإن لم يعمل بعملهم»^(١).. فمعناه: إذا اشتركوا معهم في الإيمان وإن لم يصلوا لمقامهم.

قوله: ﴿مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي: مندرجاً فيهم ومن جملتهم، وإضافة ﴿جَنَّةٍ﴾ لـ ﴿النَّعِيمِ﴾ من إضافة المحلِّ إلى الحالِّ فيه، فالمراد: مطلق الجنة، لا خصوص الدَّارِ الْمَسْمُومَةِ بذلك. وقد أجابه الله في جميع دعواته سوى الدعاء بالمغفرة لأبيه.

قوله: (بأن تتوب عليه... إلخ) ظاهره: أنَّ هذا الدعاء صدر من إبراهيم وأبوه حيٌّ، ولكن يُنافيه قوله: (وهذا قبل أن يتبين له أنه عدوٌّ لله)؛ فإنَّ التَّيْبِينَ المذكور إنما حصل بموته كافرًا، وحينئذٍ: فلا يصح جعله قيدًا للدعاء له في حياته بالتوفيق للإيمان، وإنما يصحُّ لو كان المراد الدعاء له بمغفرة الذنوب على حالته التي هو عليها.

وأجيب: بأنه لا مانع أنَّ الله أعلم إبراهيم بموت أبيه كافرًا وهو حيٌّ، وحينئذٍ: فقد صحَّ ما قاله المفسر.

قوله: (وهذا) أي: الدعاء له بما ذُكِرَ.

قوله: (كما ذكر في سورة «براءة») أي: في قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْقَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ...﴾ الآية [١١٤].

قوله: (تفضحني) أي: تكشف غيوبي بين خلقك، وهذا تواضع منه، أو بالنظر للتجويز العقلي؛ فَإِنَّ تَعْذِيبَ الْمُطِيعِ جَائِزٌ عَقْلًا، لَا شَرْعًا.

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٢٤٧٣٠) للخطيب عن سيدنا جابر رضي الله عنه، ويشهد له حديث: «المرء مع من أحبَّ».

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(٨٨ - ٨٩) قال تعالى فيه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أحداً، ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشُّرْكِ وَالنِّفَاقِ وهو قَلْبُ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ.
(٩٠ - ٩٣) ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾: قُرِبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ فَيَرَوْنَهَا، ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ﴾: أَظْهَرَتْ ﴿لِلْغَاوِينَ﴾: الْكَافِرِينَ، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَي: غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ،
حاشية الصاوي

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ...﴾ إلخ من كلام الله تعالى، ويصح أن يكون من كلام إبراهيم، فيكون بدلاً من (يوم) قبله.

قوله: (لكن ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾... إلخ) أشار المفسر بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، ولكن يُنافيه تقديره (أحداً)، فتحصل أن الاستثناء إمّا منقطع إن جعل من قوله: ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾، ويكون المعنى: لكن من أتى الله بقلب سليم فإنه يَنْفَعُ، أو متصل إن جعل من المفعول الذي قدره المفسر، والتقدير: لا يَنْفَعُ المال ولا البنون أحداً إلا الذي أتى الله بقلب سليم فإنه يَنْفَعُ المال والبنون.

قوله: (وهو قَلْبُ الْمُؤْمِنِ) أي: فيَنْتَفِعُ بِالمال الذي أَنْفَقَهُ فِي الْخَيْرِ، والولد الصالح بدعائه له؛ لما في الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو عِلْمٌ يَنْتَفِعُ بِهِ، أو ولد صالح يدعو له»^(١).

قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: بحيث يُشَاهِدُونَهَا فِي الْمَوْقِفِ، ويعرفون ما فيها، فتحصل لهم البهجة والسرور. وعبرَ بالماضي؛ لتحقيق الحصول.

قوله: ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ أي: جُعِلَتْ لَهُمْ بَارِزَةٌ ظَاهِرَةٌ؛ بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع العذاب، فتحصل لهم المأساة والأحزان، ويوقنون بأنهم مُوَأَقِعُوهَا، ولا يجدون فيها مصرفاً.

قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أي: على سبيل التوبيخ.

قوله: ﴿أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: ﴿أَتَيْنَ﴾: خبر مقدم، و﴿مَا﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: صلة ﴿مَا﴾، والعائد محذوف، تقديره: تَعْبُدُونَهُ، وقوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حال.

(١) رواه الترمذي (١٣٧٦)، والنسائي في «المجتبى» (٢٥١/٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

هَلْ يَنْصُرُونَكَ أَوْ يَنْصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبِّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَخُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ تُسَوِّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾

﴿هَلْ يَنْصُرُونَكَ﴾ بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ، ﴿أَوْ يَنْصِرُونَ﴾ بِدَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؟ لَا.

﴿٩٤ - ٩٥﴾ ﴿فَكَبِّرُوا﴾: أَلْقُوا ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ وَخُنُودٌ إِبْلِيسَ: أَتْبَاعُهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

﴿٩٦ - ٩٨﴾ ﴿قَالُوا﴾ أَي: الْغَاوُونَ ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مَعَ مَعْبُودِيهِمْ: ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مَحذُوفٌ - أَي: إِنَّهُ ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: بَيِّنٌ، ﴿إِذْ﴾: حَيْثُ ﴿تُسَوِّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فِي الْعِبَادَةِ.

﴿٩٩ - ١٠٠﴾ ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾ عَنِ الْهُدَى ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ أَي: الشَّيَاطِينُ، أَوْ أَوْلُونَا الَّذِينَ اقْتَدَيْنَا بِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَلْقُوا﴾ أي: مرّة بعد أخرى؛ لأنّ الكبكة تكرير الكبّ، وهو: الإلقاء على الوجه، كأنّ من ألقي في النار ينكبّ مرّة بعد أخرى حتى يستقرّ في قعرها.

قوله: ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ عطف على ضمير (ككبوا)، وسوّغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل.

قوله: ﴿وَمَنْ أَطَاعَهُ﴾ عطف تفسير.

قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ الجملة حالية، ومقول القول: (تالله... إلخ).

قوله: ﴿واسمها محذوف... إلخ﴾ قد يقال: إنها في الآية مُهْمَلَةٌ، فلا اسم لها ولا خبر؛ لوجود اللام، قال ابن مالك^(١): [الرجز]

وُخِفَّتْ إِنْ فَقَلَ الْعَمَلُ... إلخ

قوله: ﴿إِذْ تُسَوِّكُم﴾ ظرف لكونهم في ضلال مُبِين.

قوله: ﴿أَوْ أَوْلُونَا﴾ أي: السابقون علينا، وهو جمع (أول).

(١) «الخلاصة»، باب: (إِنْ) وأخواتها.

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كما لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي: يُهْمُّهُ أَمْرُنَا، ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا، ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - (لَوْ) هُنَا لِلتَّمْنِي، و(نَكُونُ) جَوَابُهُ ..

(١٠٢ - ١٠٤) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ ﴿لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ..

﴿١٠٥﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ بِتَكْذِيبِهِمْ لَهُ لِإِشْتِرَاكِهِمْ فِي الْمَجِيءِ بِالتَّوْحِيدِ، أَوْ لِأَنَّهُ لَطُولُ لُبِّهِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ رُسُلٌ،

حاشية الصاوي

قوله: (من الملائكة والنبيين... إلخ) فالشفعاء تكثر للمؤمنين؛ لما ورد: «لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة»^(١).

قوله: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أفرد الصديق وجمع الشفعاء؛ لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الصديق. والحميم: القريب؛ من قولهم: حامة فلان؛ أي: خاصته، أو الخالص، ويُؤيِّده قول المفسر: (أي: يُهْمُّهُ أَمْرُنَا)، وقوله: (يُهْمُّهُ) بضمَّ أوله وكسر ثانيه، وبفتح أوله وضمَّ ثانيه.

قوله: و«نكون» جوابه (أي: فهو منصوبٌ في جواب التمني).

قوله: ﴿لَآيَةً﴾ أي: عِظَّةٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَبَصِّرَ بِهَا وَيَعْتَبِرَ؛ فَإِنَّهَا عَلَى أَحْسَنِ تَرْتِيبٍ.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: بل لم يؤمن منهم إلا لوطُ ابنِ أخيه، وسارة زوجته؛ كما في سورة (الأنبياء).

قوله: (بتكذيبهم له) جوابٌ عمَّا يُقَالُ: لِمَ جَمَعَ الْمُرْسَلِينَ مَعَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا كَذَّبُوا رَسُولًا وَاحِدًا وهو نوح؟ فأجاب: بأنَّ تَكْذِيبَهُمْ لَهُ تَكْذِيبٌ لِلْبَاقِي، فَالْجَمْعُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ لِأَنَّهُ... إلخ) جوابٌ ثانٍ، وَعَلَيْهِ: فَالْجَمْعُ مُجَازٌ.

(١) أوله: «استكثروا من الإخوان...»، وقد عزا السيوطي في «الفتح الكبير» (١/١٧٠) إلى ابن النجار في «تاريخه» عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ

وَتَأْنِيثُ (قَوْم) بِاعْتِبَارِ مَعْنَاهُ، وَتَذْكِيرُهُ بِاعْتِبَارِ لَفْظِهِ.

(١٠٦ - ١٠٨) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتُ﴾ الله؟ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على تبليغ ما أُرْسِلْتُ بِهِ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أَمَرُكُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.
(١٠٩ - ١١٠) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجَرِيَ﴾ أي: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ - كَرَّرَهُ تَأْكِيداً ..
﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ﴾: نَصَدَّقْ ﴿لَكَ﴾: لِقَوْلِكَ

حاشية الصاوي

قوله: (وتأنيث «قوم») أي: تأنيث الفعل المسند إليه، وقوله: (باعتماد معناه) أي: وهو الأمة والجماعة.

قوله: (وتذكيره) أي: تذكير الضمير العائد عليه في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾، ولا مفهوم لـ(قوم)، بل كل اسم جمع أو جمع تكسير لمذكر أو مؤنث كذلك.
قوله: (نسباً) أي: لا في الدين.

قوله: ﴿نُوحٌ﴾ (تقدّم أنّ اسمه عبد الغفار، أو يشكر، ونوح لقبه).

قوله: ﴿أَلَا نَنْقُوتُ﴾ (ألا): للعرض.

قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (إنما أخبر بذلك؛ لِيَتَّبِعَ، وليس قصده الافتخار.

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: امثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه.

قوله: ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ (من): زائدة في المفعول؛ أي: أجرة وجُعلاً.

قوله: (كرره تأكيداً) أي: وحسن ذلك كون الأول مرتباً على الرسالة والأمانة، والثاني على عدم سؤاله أجراً منهم.

قوله: ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ﴾... إلخ) هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم؛ حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعاً من إيمانهم، وأشاروا بذلك إلى أنّ أتباعهم ليس خالصاً لوجه الله، بل هو طمع في أن ينالهم شيء من الدنيا.

وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

﴿وَاتَّبَعَكَ﴾ - وفي قراءة: (وأتباعك) جمع (تابع) مُبتدأ -، ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾: السَّفِلَةُ كَالْحَاكَةِ وَالْأَسَاكِفَةُ؟

(﴿١١٢﴾ - ﴿١١٥﴾) ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي﴾: أَيُّ عِلْمٍ لِي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٢﴾: ﴿إِنْ﴾: مَا حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ﴿فِي جَارِيهِمْ﴾، ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾: تَعْلَمُونَ ذَلِكَ مَا عِبْتُمُوهُمْ، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٤﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) ظاهره: أنها قراءة سبعة، وليس كذلك، بل هي عشرة، والمعتمد: جواز القراءة بها^(١).

قوله: ﴿وأتباعك﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾، وأما القراءة الأولى.. فهي جملة فعلية، وهي حالية على كل حال.

قوله: ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾ جمع (أرذل) ك: الأكبرون جمع (أكبر).

قوله: (السَّفِلَةُ) المراد بهم: الفقراء والضعفاء، وسبب مُبادرتهم للإيمان: قَلَّةُ عَوَائِقِهِمْ كَالرَّثَاثَةِ وَالْغَنَى؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُوجِبٌ لِلْإِنْفَاقِ عَنِ الْإِتْبَاعِ.

قوله: ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ (مَا) اسْتِفْهَامِيَّةً، وَإِلَيْهِ يَشِيرُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (أَيُّ عِلْمٍ لِي؟)، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً.

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لَمْ أَكَلِّفِ الْعِلْمَ بِعَقَائِدِهِمُ الْبَاطِنِيَّةِ، وَإِنَّمَا كَلَّفْتُ أَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ.

قوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ أي: حِسَابَ بَوَاطِنِهِمْ.

قوله: (مَا عِبْتُمُوهُمْ) قَدَّرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ (لَوْ) شَرْطِيَّةٌ حُذِفَ جَوَابُهَا.

قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جوابٌ لِمَا فَهَمَهُ مِنْ طَلِبِهِمْ طَرْدَ الضَّعَفَاءِ، وَهَذَا كَمَا سَأَلَتْ

(١) وبها قرأ يعقوب وعبد الله وابن عباس وأبو حنيفة. انظر «الدر المصون» (٨/٥٣٦)، و«البدور الزاهرة» (ص ٢٣٢).

إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنْتُوخْ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَبُونَ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَانْجِئْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ

إِنْ: ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيْنَ الْإِنذَارِ.

﴿١١٦﴾ ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنْتُوخْ﴾ عَمَّا تَقُولُ لَنَا، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ بِالْحِجَارَةِ أَوْ بِالشَّتَمِ.

(﴿١١٧﴾ - ﴿١٢٠﴾) ﴿قَالَ﴾ نُوحٌ: ﴿رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَبُونَ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أَي: احْكُمْ، ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَانْجِئْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: الْمَمْلُوءِ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ وَالطَّيْرِ، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾: بَعْدَ إِنْجَائِهِمْ

حاشية الصاوي

قريش النبي ﷺ أَنْ يَطْرُدَ الْمَوَالِيَ وَالْفُقَرَاءَ؛ كَمَا تَقَدَّمَ فِي سَبَبِ نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْعَدْوَةِ وَالْمَشْيِ﴾ [الأنعام: ٥٢] ^(١).

قوله: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أَي: لِلْمُكَلَّفِينَ أَعْرَاءَ أَوْ غَيْرِهِمْ؛ فَكَيْفَ يَلِيقُ مِنِّي طَرْدُ الْفُقَرَاءِ؟!

قوله: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ﴾ أَي: تَتْرُكْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ مُعَارَضَتِنَا.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَبُونَ﴾ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَمْهِيدًا لِلدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْ دِينِكَ وَتَوَحَّدَكَ فَأَنَا أَدْعُو عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَالْمَعْنَى: إِنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِي وَأَصْرُّوا بَعْدَ مَا كَرَّرْتُ عَلَيْهِمُ الدَّعْوَةَ، وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ (نُوح) فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبًّا وَنَهَارًا...﴾ [نوح: ٥] إلخ.

قوله: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ مِنْ: الْفُتْحَةِ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، وَهِيَ: الْحُكُومَةُ؛ أَي: احْكَمْ بَيْنَنَا بِمَا يَسْتَحِقُّ كُلُّ مَنَا.

قوله: ﴿وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَثَرُ الْإِيمَانِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ خَالِصُونَ فِي الْإِتْبَاعِ، وَكَانَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثَمَانِينَ: أَرْبَعُونَ مِنَ الرِّجَالِ، وَأَرْبَعُونَ مِنَ النِّسَاءِ، عَلَى أَحَدِ أَقْوَالٍ تَقَدَّمَتْ.

قوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أَي: بِالطُّوفَانِ؛ حَيْثُ التَّقَى مَاءُ السَّمَاءِ عَلَى مَاءِ الْأَرْضِ.

(١) انظر سبب النزول في تفسير سورة (الأنعام)، (٢/ ٣٧٢)، والحديث رواه ابن ماجه (٤١٢٧) عن سيدنا خباب رضي الله عنه.

الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾

﴿الْبَاقِينَ﴾ مِنْ قَوْمِهِ .

(﴿١٢٠﴾ - ﴿١٢٧﴾) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه) أي: صغاراً وكباراً؛ أي: فالهلاك الدنيوي عمّ الصغار والكبار والبهائم، وأما في الآخرة.. فالخلود في النار مخصوص بمن مات كافراً بعد البلوغ، وأما صبيانهم بل وصبيان المشركين من أول الدنيا إلى آخرها.. فيدخلون الجنة بشفاعَةِ النبي ﷺ.

قوله: ﴿كَذَبَتْ عَادُ﴾) اسم أبي قبيلة هود الأعلى، سُميت القبيلة باسمه، فالمراد: كذبت القبيلة المنسوبة لعاد، وقوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ المراد: هود، وإنما جُمِعَ؛ لأنَّ مَنْ كَذَبَ رسولاً واحداً فقد كَذَبَ الجميع؛ لا شراك الكل في المجيء بالتوحيد.

قوله: ﴿أَخُوهُمْ﴾) أي: من النسب؛ لما تقدّم أنه من ذرية عاد، وكان هود تاجراً جميلاً الصورة، يشبه آدم، وعاش أربع مئة وأربعاً وستين سنة.

قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾) (ألا): أداة عرض، وهو: الطلب بليّن ورفق؛ تأليفاً لقلوب المجرمين لعلهم يهتدون.

قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾) تعليلٌ لعرضه التقوى عليهم، والمعنى: إني لكم رسولٌ أبلغكم ما أرسلت به إليكم، أمينٌ لا أزيد ولا أنقص.

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾) تفرّيعٌ على قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾) أي: فحيث كنت رسولاً أميناً.. فالواجب عليكم تقوى الله وطاعته، فطاعته من حيث كونه رسولاً من عند الله، لا من حيث ذاته؛ ولذا لم يقل: ألا تتقون وتطيعوني.

قوله: ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾) أي: جُعل وأجرة على رسالتي.

قوله: ﴿إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ﴾) أي: لأنه المرسل لي، الغني المغني.

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَخَذُونَ مِصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ

(﴿١٢٨﴾ - ﴿١٣٠﴾) ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ ﴿ءَايَةً﴾: بِنَاءٌ عَلَمًا لِلْمَارَّةِ، ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بِمَنْ يَمُرُّ بِكُمْ وَتَسْخَرُونَ مِنْهُمْ؟ - وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ (تَبْنُونَ) - ﴿وَتَتَخَذُونَ مِصَانِعَ﴾ لِلْمَاءِ تَحْتَ الْأَرْضِ، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: كَأَنَّكُمْ ﴿تَخْلُدُونَ﴾ فِيهَا لَا تَمُوتُونَ؟ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ بِضَرْبٍ أَوْ قَتْلِ ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ مِنْ غَيْرِ رَافَةٍ.

(﴿١٣١﴾ - ﴿١٣٥﴾) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾: أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَتَبْنُونَ﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ، وهو شروع في توبيخهم على أمور ثلاثة، كل واحد منها منافٍ للتقوى: البناء للعبث، واتخاذ المصانع، والتجبر.

قوله: ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ بكسر الراء - ويقال بفتحها - هو: المكان المرتفع.

قوله: (علمًا للمارّة) أي: كالعلم في الارتفاع.

قوله: (بمن يمرُّ بكم...) إلخ) هذا أحد أوجه في تفسير متعلق العبث، وقيل: تعبثون بالبناء؛ لظنهم أنّ المارّة يحتاجون إلى البناء؛ ليَهْتَدُوا به في الأسفار مع أنهم مستغنون عنه بالنجوم، وقيل: المعنى: تبنون بروج الحمام لتعبثوا بها، وقيل: المعنى: تبنون بنياناً تجتمعون فيه للعبث، وكلُّ صحيحٍ واقعٍ منهم.

قوله: ﴿مِصَانِعَ﴾ جمع مَصْنَعَةٍ؛ بفتح الميم مع فتح النون أو ضمّها، وهو: الحوض أو البركة تجعل تحت الأرض كالصهاريج.

قوله: (كأنكم) فسر (لعل) بـ(كأن)؛ بدليل القراءة الشاذّة: (كأنكم تخلصون)، والأولى إبقاء (لعل) على بابها من الترجي، ويكون المعنى: راجين أن تخلصوا في الدنيا بسبب عملكم عمل مَنْ يرجو ذلك؛ لأنّ مجيء (لعل) بمعنى (كان) لم يرد.

قوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ أي: فعَلْتُمْ فعل الجبّارين؛ من الضرب بالسيّاط، والقتل بالسيف.

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك) أي: فيما تقدّم من الأمور الثلاثة.

قوله: ﴿الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أي: أعطاكم المدد، وهو: النعم.

يَمَّا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَذَّكُم بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَحَنَّتِ وَعْيُونِ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾

﴿يَمَّا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ أَمَذَّكُم بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَحَنَّتِ: بَسَاتِينَ ﴿وَعْيُونِ﴾: أَنهَارٍ، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ عَصَيْتُمُونِي.

﴿١٣٦﴾ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾: مُسْتَوٍ عِنْدَنَا ﴿أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾: أَصْلًا، أَي: لَا نَرَعُوي لَوَعِظِكَ.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿هَذَا﴾ الَّذِي خَوَّفَتْنَا بِهِ ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾: أَي: اخْتِلَافُهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمَذَّكُم بِأَنْعَمِ﴾: بَدَلُ مِمَّا قَبْلَهُ، بَدَلُ مُفَصَّلٍ مِنْ مُجْمَلٍ^(١).

قوله: ﴿وَبَيْنَ﴾ (أَي: ذُرِيَّةَ).

قوله: ﴿وَحَنَّتِ﴾: جَمْعُ جَنَّةَ.

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: أَي: إِنْ دُمْتُمْ عَلَى مَخَالَفَتِي وَلَمْ تَشْكُرُوا عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ بَعْدَ بَعْثِي.

قوله: (فِي الدُّنْيَا) أَي: بِالرِّيحِ الْعَقِيمِ، وَقَوْلُهُ: (وَفِي الْآخِرَةِ) أَي: بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ.

قوله: ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾: هَذَا أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يَقُولُوا: أَمْ لَمْ تَعْظُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: سَوَاءٌ

عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ؛ بِأَنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْوَعْظِ أَمْ لَمْ تَكُنْ أَصْلًا مِنْ أَهْلِهِ؛ بِأَنْ كُنْتَ أَمِيًّا مِثْلَنَا وَلَسْتَ نَبِيًّا.

قوله: (أَي: لَا نَرَعُوي لَوَعِظِكَ) أَي: لَا نَرْتَدِعُ وَلَا نَنْكَفُ لَهُ.

قوله: ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾: أَي: مَنْ تَقَدَّمُوا قَبْلَكَ كَشِيثَ وَنُوحٍ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَخْتَلِقُونَ أُمُورًا

فَاقْتَدَيْتَ بِهِمْ، فَاسْمُ الْإِشَارَةِ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ رَاجِعٌ لِمَا خَوَّفَهُمْ بِهِ.

(١) عبارة السمين في «الدر المصون» (٨/٥٤٠): (قوله: ﴿أَمَذَّكُم بِأَنْعَمِ﴾: فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ بَيَانٌ

لِلْأَوَّلَى وَتَفْسِيرُهَا، وَالثَّانِي: أَنَّ ﴿بِأَنْعَمِ﴾ بَدَلُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَمَّا تَعْلَمُونَ﴾ بِإِعَادَةِ الْعَامِلِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾

أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَكْبِرُ أَجْرًا، قَالَ الشَّيْخُ: «وَالْأَكْثَرُونَ لَا يَجْعَلُونَ هَذَا بَدَلًا، وَإِنَّمَا يَجْعَلُونَهُ تَكْرِيرًا، وَإِنَّمَا يَجْعَلُونَهُ

بَدَلًا بِإِعَادَةِ الْعَامِلِ إِذَا كَانَ حَرْفُ جَزْءٍ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةِ مُتَعَلِّقَةٍ، نَحْوُ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ بِأَخِيكَ، وَلَا يَقُولُونَ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ

مَرَرْتُ بِأَخِيكَ؛ عَلَى الْبَدَلِ».

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾

وَكَذَّبُهُمْ، - وفي قِراءة: بِضَمِّ الخاء واللام - أي: ما هذا الذي نحن عليه من أن لا نُبعثَ إِلَّا خُلُقُ الأولين أي: طَبِيعَتُهُمْ وَعَادَتُهُمْ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾.

﴿١٣٩﴾ - ﴿١٤٠﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بِالْعَذَابِ، ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالرَّيْحِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.

﴿١٤١﴾ - ﴿١٥٢﴾ ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قِراءة) أي: وهي سَبْعَةٌ أَيْضاً^(١)، وعليها: فاسمُ الإشارة عائدٌ على مُعتقدهم، وهو عدم البعث.

قوله: (أي: طَبِيعَتُهُمْ وَعَادَتُهُمْ) أي: عادة الأولين من قَبْلنا أَنَّهُمْ يَعِيشُونَ ما عاشوا، ثم يموتون ولا بعث ولا حساب.

قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ أي: على ما فعلنا من الأعمال.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: استمروا على تكذيبه.

قوله: (بالريح) أي: الصَّرع، وكانت باردة يوم صَبَحَ الأربعاء، لثمانٍ بَقِيْنَ من شوال، وكانت في أواخر الشتاء، وسيأتي بسطُها في سورة (الحاقة).

قوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: بل أَقْلُهُمْ؛ كانوا مع هود في حظيرة تَنَسُّمَ عَلَيْهِمْ رِيحٌ لَبِئَةٌ حَتَّى مَضَتْ تِلْكَ الْمَدَّةُ، فَأَخَذَهُمْ وَهَاجَرُوا مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى مَكَّةَ.

قوله: ﴿الْعَزِيزُ﴾ أي: الغالبُ على أمرِهِ.

قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾ أي: المنعمُ على عباده بدقائق النعم.

قوله: ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ﴾ اسم أبي قبيلة صالح الأعلى، سَمَّيتِ الْقَبِيلَةَ بِاسْمِهِ، وَتَسَمَّى أَيْضاً عَاداً الثَّانِيَةَ، وَهُمْ ذُرِّيَّةُ مَنْ آمَنَ مِنْ قَوْمِ هُودَ.

قوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ المراد بهم: صالح، وتقدَّم وجهُ التَّعْيِيرِ بالجمع.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام، والباقون بضمين. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٤١).

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤٢﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٥﴾ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٦﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمَنِينَ ﴿١٤٧﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٨﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ
 إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤٢﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٥﴾ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٦﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمَنِينَ ﴿١٤٧﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٨﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَخُوهُمْ﴾ أي: في النسب؛ لاجتماعه معهم في الأب الأعلى، وعاش صالح من العمر مئتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مئة سنة.

قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ تقدم أن (ألا) أداة عرض؛ كما في قول الشاعر: [البسيط]

يَا ابْنَ الْكِرَامِ أَلَا تَذُنُو فُتُبَصْرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَأَى كَمَنْ سَمِعَا

وحكمة التعبير أولاً بالعرض: تأليف قلوبهم للتوحيد بالكلام اللين؛ لقصر عقولهم وجهلهم.

قوله: ﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ الاستفهام إنكاري توبيخي، و(ما): اسم موصول بينها المفسر بقوله: (من الخيرات)، و(هنا): اسم إشارة للمكان القريب، والمراد: دار الدنيا، والمعنى: أتظنون أنكم تتركون في الدنيا متمتعين بأنواع النعم والشهوات، آمنين من كل مكروه، لا تُمْتَحَنُونَ بأوامر ونواهي، ولا تحاسبون على شيء فيها، لا تظنوا ذلك، بل الواجب عليكم ترك الفاني، والاشتغال بالباقي.

قوله: ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ بدل من قوله: ﴿هَاهُنَا﴾ بإعادة الجار.

قوله: ﴿وَنَخْلٍ﴾ هو: اسم جنس جمعي، واحد: نخلة، يذكر ويؤنث، وأما النخيل بالياء.. فمؤنثة اتفاقاً.

قوله: ﴿طَلْعُهَا﴾ هو: ثمرها في أول ما يطلع كنصل السيف، في جوفه شماريخ القنؤ، وبعده الإغريض، ويسمى خللاً^(١)، ثم البلح، ثم الزهو، ثم البسر، ثم الرطب، ثم التمر، يجمعها قولك: (طاب زبرت)، فأطوار النخيل سبعة كأطوار الإنسان؛ ولذا ورد في الحديث: «أكرموا عماتكم النخل»^(٢)، وأفرد النخل بالذكر؛ لفضله على سائر الأشجار.

(١) الإغريض: الطلع حين ينشق عنه كافوره.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٢٣/٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٥٥) عن سيدنا علي عليه السلام.

وَتَنْجِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾
الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ

﴿وَتَنْجِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ : بَطْرِينَ ، - وفي قراءة : ﴿فَرِهِينَ﴾ : حَازِقِينَ - ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ : فيما أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ : الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، بِالْمَعَاصِي
﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ : بِطَاعَةِ اللَّهِ .

(١٥٣ - ١٥٤) ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ : الَّذِينَ سُحِرُوا كَثِيرًا حَتَّى غُلِبَ
عَلَى عَقْلِهِمْ ، ﴿مَا أَنْتَ﴾ : أَيْضًا ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ : فِي رِسَالَتِكَ .
(١٥٥ - ١٥٦) ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَتَنْجِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ أي : لَطُول أعماركم ؛ فَإِنَّ السَّقُوفَ وَالْأَبْنِيَةَ كَانَتْ تَبْلَى قَبْلَ
فَنَاءِ أَعْمَارِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ كَانَ يَعِيشُ ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ إِلَى أَلْفِ سَنَةٍ .

قوله : ﴿بَطْرِينَ﴾ أي : لِنِعَمِ رَبِّكُمْ .

قوله : ﴿وَفِي قِرَاءَةٍ﴾ أي : وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا ^(١) .

قوله : ﴿حَازِقِينَ﴾ أي : مَاهِرِينَ فِي الْعَمَلِ .

قوله : ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ : الْإِسْنَادُ مُجَازِيٌّ فِي النِّسْبَةِ ، وَالْأَصْلُ : وَلَا تُطِيعُوا الْمُسْرِفِينَ
فِي أَمْرِهِمْ .

قوله : ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ : صِفَةُ لـ ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ .

قوله : ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ : دَفَعَ بِذَلِكَ مَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَقَعُ مِنْهُمْ الْإِصْلَاحُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ .

قوله : ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ : أي : فَكَيْفَ تَدَّعِي أَنَّكَ رَسُولٌ إِلَيْنَا ؟ !

قوله : ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ : الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ خَرَجَتْ مِنَ الصَّخْرَةِ بِدَعَائِهِ كَمَا طَلَبُوا . عَنْ
أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : (رَأَيْتُ مَبْرَكَهَا فَإِذَا هُوَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي سِتِينَ ذِرَاعًا) .

(١) قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ وَابْنُ عَامِرٍ : (فَارِهِينَ) بِالْأَلْفِ ، وَالباقونَ : (فَرِهِينَ) بِدُونِ أَلْفٍ . انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٤٢) .

لَمَّا شَرِبَ وَلَكَمْ شَرِبَ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾
فَعَقَرُوهَا

لَمَّا شَرِبَ ﴿١٥٥﴾: نَصِيبٌ مِنَ الْمَاءِ ﴿١٥٦﴾ وَلَكَمْ شَرِبَ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ يَعْظُمُ الْعَذَابُ.

﴿١٥٧﴾ - ﴿١٥٩﴾ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أَي: عَقَرَهَا بَعْضُهُمْ بِرِضَاهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَمَّا شَرِبَ﴾... إلخ) أمرهم صالح بأمرين: الأول: قوله: ﴿لَمَّا شَرِبَ﴾، الثاني: قوله: ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾.

قوله: (نصيب من الماء) أي: فهي تشرب منه يوماً، وأنتم تشربون منه يوماً، لا تراحمكم ولا تراحموها، وفي يومها تشربون من لبنها.

قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ (أي: يوم الثلاثاء، وأخذهم العذاب يوم السبت، وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم، وهو أنهم في اليوم الأول تصفرو وجوههم، ثم تحمر في اليوم الثاني، ثم تسود في اليوم الثالث).

قوله: (أي: عقرها بعضهم) أي: وهو قدار، وكان قصيراً أزرق، وكان ابن زناً، ضربها في ساقها بالسيف.

قال السدي وغيره: أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنا لنفعل، فقال لهم صالح: إنه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها، ويكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد في هذا الشهر ذكر إلا قتلناه، فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك، فكان ابن العاشر أزرق أحمر، فنبت نباتاً سريعاً، فكان إذا مرَّ بالتسعة فرأوه. قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء. لكانوا مثل هذا، وغضب التسعة على صالح؛ لأنه كان سبباً لقتلهم أبناءهم، فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيئته وأهله، فقالوا: نخرج إلى سفر، فيرى الناس سقرنا، فنكمن في غار، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده. أتيناها فقتلناه، ثم قلنا: ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون، فيصدقون ويعلمون أننا قد خرجنا إلى سفر، وكان صالح لا ينام في القرية، بل كان ينام في المسجد، فإذا أصبح. أتاهم فوعظهم، فلما دخلوا الغار. أرادوا أن يخرجوا، فسقط عليهم الغار فقتلهم، فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع

فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾

﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ على عقربها، ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الموعودُ به، فهلكوا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.

(١٦٠ - ١٦٦) ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ: مَا ﴿أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ: أَي: مِنَ النَّاسِ،

حاشية الصاوي

على ذلك، فصاحوا في القرية: يا عباد الله؛ أما رضي صالح أن أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم؟ فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة^(١).

قوله: ﴿نَدِيمِينَ﴾ على عقربها) إن قلت: لِمَ لم يُرْفَع عنهم العذاب بسبب ندمهم؟ أجيب: بأن الندم لم يكن توبة لهم، على أن ندمهم لخوف نزول العذاب فقط، لا توبة منهم.

قوله: ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ حكمة ختم كل قصة في هذه السورة بهذين الاسمين: الإشارة إلى أن العذاب النازل بالكفار لا يُغادر منهم أحداً، والرحمة الحاصلة للمؤمنين لا تغادر منهم أحداً، فكل من مظهر الاسمين ظهر في مستحقه.

قوله: ﴿أَخُوهُمْ لُوطُ﴾ أي: بسبب السكنى والمجاورة، لا في النسب؛ لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، وهما من بلاد المشرق من أرض بابل، فنزل إبراهيم بالخليل من أرض الشام، ولوط بسدوم وقراها.

قوله: ﴿الذُّكْرَانَ﴾ جمع ذكر؛ أي: أدبارهم.

قوله: (أي: الناس) أي: وكذا غيرهم من الحيوانات الغير العاقلة، فهذه الخصلة القبيحة لم تكن في أحد قبل قوم لوط، ثم لما حُسف بهم.. تَنَوَّسِيَتْ حتى ظهرت في هذه الأمة المحمّدية؛ فإننا لله وإنّا إليه راجعون.

وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: أقبالهن؟ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ مُتَجَاوِزُونَ
الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

﴿١٦٧﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ﴾ عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ مِنْ بِلَدَتِنَا.

(﴿١٦٨﴾ - ﴿١٧٠﴾) ﴿قَالَ﴾ لُوطُ: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾: الْمُبْغِضِينَ. ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي
مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: مِنْ عَذَابِهِ، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: امْرَأَتَهُ ﴿فِي الْغَايِينَ﴾:
الْبَاقِينَ، أَهْلَكْنَاهَا، ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾: أَهْلَكْنَاهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ أي: أحلَّ وأباح.

قوله: (أي: أقبالهن) أي: لأنه محلُّ نبات البذر، قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى
شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

قوله: ﴿عَادُونَ﴾ أي: متعدُّون.

قوله: ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ متعلق بمحذوف خبر (إنَّ) أي: لِقَالٍ مِنَ الْقَالِينَ، و﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ صفة،
و﴿لِعَمَلِكُمْ﴾ متعلق بالخبر المحذوف، ولا يصح أن يجعل قوله: ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ خبر (إن) فيكون عاملاً
في ﴿لِعَمَلِكُمْ﴾؛ لثلا يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول، وهو (أل) مع أنَّه لا يجوز.
قوله: (أي: من عذابه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف؛ لأنَّ بقاءه على ظاهره
بعيد؛ لعصمته منه، فطلبُ النجاة منه تحصيلٌ للحاصل.

قوله: ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي: بنتيه وزوجته المؤمنة.

قوله: (الباقين) أي: في العذاب، قيل: تبعت لوطاً ثم التفتت لقومها، فنزل عليها حجرٌ،
وقيل: لم تتبعه فخسِفَ بها مع قومها.

قوله: (أهلكناها) أي: بقلِّب قُرَاهِمَ حَتَّى جَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ ۖ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: حِجَارَةً مِنْ جُمْلَةِ الْإِهْلَاكِ، ﴿فَسَاءَ الْمُنْذِرِينَ﴾ مَطَرُهُمْ. ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.

(١٧٦ - ١٨٠) ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ - وفي قراءة: بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ وَإِلْقَاءِ حَرَكَتِهَا عَلَى اللَّامِ وَفَتْحِ الْهَاءِ:
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ أي: على مَنْ كان منهم خارج القرى لسفَرٍ أو غيره.
قوله: (مطرهم) هذا هو المخصوص بالذم.

قوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار، وقد وقع لفظ (الأيكة) في أربع مواضع^(١) في القرآن: في (الحجر)، و(ق)، وهنا، و(ص)؛ فالأولان: بد(أل) مع الجر لا غير، والأخيران يُقرآن بالوجهين.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٢).

قوله: (بحذف الهمزة) أي: الثانية، وقوله: (على اللام) أي: لام التعريف، وأما الهمزة الأولى حذفت للاستغناء عنها بتحريك اللام؛ لأنها همزة وصل أُتي بها للتوصل للنطق بالساكن، وفي كلام المفسر نظر؛ لأنه يقتضي أنَّ اللام الموجودة لأم التعريف، وحينئذٍ: فلا يصح قوله: (وفتح الهاء)؛ لأنَّ المقرون بـ(أل) يجرُّ بالكسرة؛ وقع فيه نقلٌ أم لا، قال ابن مالك^(٣): [الرجز]

وَجُرَّ بِالْفَتْحَةِ مَا لَا يَنْصَرِفُ مَا لَمْ يُضَفَّ أَوْ يَكُ بَعْدَ (أَلْ) رَدِفٌ

فالمناسب أن يقول: (وفي قراءة بوزن «ليلة»); ليفيد أنَّ اللام من بنية الكلمة، وحركتها أصلية،
وحيثُ: فجرُّه بالفتحة ظاهرٌ؛ للعلمية والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربيًّا، وللعلمية
والعجمة إن كان أعجميًّا.

قوله: (وفتح الهاء) في بعض النسخ: (وفتح التاء)، وهي أوضح.

(١) كذا في الأصول، والقاعدة تقتضي مخالفة العدد للمعدود.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: (ليكة) بلام واحدة وفتح التاء، والباقون: (الأيكة). انظر «الدر المصون» (٨/٥٤٤).

(٣) «الخلاصة»: (باب: المعرب والمبني).

الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

هي غِيضَةُ شَجَرٍ قُرْبَ مَدِينٍ - ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴿لَمْ يَقُلْ﴾: (أَخُوهُمْ) لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ: ﴿أَلَا نَنْقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ: مَا ﴿أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١٨١ - ١٨٤) ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: أَتَمُّوهُ ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾: الناقصين، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: الميزان السوي، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: لا تُنْقِصُوهُمْ مِنْ حَقِّهِمْ شَيْئاً، ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ، مِنْ (عَثَى) بِكَسْرِ الْمُثَلَّثَةِ: أَفْسَدَ،

حاشية الصاوي

قوله: (هي غيضة شجر) بفتح الغين وبالضاد المعجمة؛ أي: مكان فيه شجرٌ ملتفتٌ بعضُهُ على بعض، وكان شجرُهُم الدَّوْمُ^(١).

قوله: (قرب مدين) هي قرية شعيب، سُمِّيَتْ بِاسْمِ أَبِيهَا مَدِينِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مِصْرَ مَسِيرَةَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ.

قوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ المراد به شعيب، وفي جمعه ما علمت، وقد أُرْسِلَ شعيبٌ أيضاً لأهل مدين، لكنَّ أهل مدين أهلكوا بالصيحة، وأصحاب الأيكة أهلكوا بعذاب يوم الظُّلَّةِ.

قوله: (لأنه لم يكن منهم) أي: بل كان من مدين، قال تعالى: ﴿وَلِإِن مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥].

قوله: (الناقصين) أي: لحقوق الناس.

قوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: فكانوا إذا اكتالوا على الناس.. يَسْتَوْفُونَ، وإذا كالوهم أو وزنوهم.. يخسرون، ومن جملة بَخْسِهِمْ: أنهم يَقْصُونَ الدراهم والدنانير.

قوله: (وغيره) كقطع الطريق.

(١) الدَّوْم: شجر المقل، وهو شجر عظام يشبه النخل.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولَى ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾

﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لِمَعْنَى عَامِلِهَا ﴿نَعْتَوْنَا﴾، ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ﴾: الْخَلِيقَةُ ﴿الْأُولَى﴾.

(﴿١٨٥﴾ - ﴿١٨٧﴾) ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مُحذُوفٌ - أَي: إِنَّهُ ﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ - بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا -: قِطْعَةٌ ﴿مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي رِسَالَتِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: (لمعنى عاملها) أي: ولفظهما مختلف.

قوله: (﴿وَالْجِيلَةَ﴾) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام؛ أي: الجماعة والأمم المتقدمة الذين كانوا على خَلْقَةٍ وطبيعة عظيمة كأنها الجبال قوة وصلابة، وهذه قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بضم الجيم والباء وتشديد اللام، ويفتح الجيم أو كسرهما مع سكون الباء^(١).

قوله: (﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾) أتى بالواو هنا دون قصة صالح؛ مبالغة في تكذيبه؛ لأنه عند دخول الواو يكون كلٌّ من الأمرين - التَّسْحِيرُ والبشرية - مقصوداً، بخلاف تركها فلم يقصد إلا التَّسْحِيرَ، والثاني دليل له.

قوله: (مخففة من الثقيلة^(٢)) المناسب أن يقول: (مهملة لا عمل لها)؛ لأن المكسورة إذا حُفَّتْ قلَّ عملها، والأولى حمل القرآن على الكثير.

قوله: (بسكون السين وفتحها) قراءتان سبعيتان^(٣).

(١) قرأ أبو حصين والأعمش والحسن بضمهما وتشديد اللام، والسلمي بفتح الجيم أو كسرهما مع سكون الباء. انظر «الدر المصون» (٥٤٩/٨).

(٢) مذهب البصريين أن (إن) هذه هي المخففة من الثقيلة؛ أي: وإنا نظنُّكَ، والذي يقتضيه السياق ترجيح مذهب الكوفيين هنا في أن (إن) نافية، فإنهم أرادوا بإثبات الواو في ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ المبالغة في نفي إرساله بتعداد ما يُنافيه، فيكون مرادهم أنه ليس لنا ظنٌّ يتوجه إلى غير الكذب، وهو أبلغ من إثبات الظنِّ به. انظر «السراج المنير» (٣/٣٢).

(٣) فتح السين حفص، وأسكنها غيره. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٣٣).

قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾

﴿١٨٨﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَيُجَازِيكُمْ بِهِ .

﴿١٨٩﴾ - ﴿١٩١﴾ ﴿١٨٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴿١٨٩﴾ هِيَ سَحَابَةٌ أَظْلَتَهُمْ بَعْدَ حَرٍّ شَدِيدٍ أَصَابَهُمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ نَارًا فَاحْتَرَقُوا، ﴿١٨٩﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ .

﴿١٩٢﴾ - ﴿١٩٣﴾ ﴿١٩٢﴾ وَإِنَّهُ ﴿١٩٢﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿١٩٢﴾ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ :

جبريلُ
حاشية الصاوي.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: استمروا على تكذيبه.

قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ روي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَ عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ حَرًّا شَدِيدًا، فَأَخَذَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَدَخَلُوا بَيْوتَهُمْ، فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ظِلٌّ وَلَا مَاءٌ، فَأَنْضَجَهُمُ الْحَرُّ، فَخَرَجُوا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى سَحَابَةً أَظْلَتَهُمْ، فَوَجَدُوا لَهَا بَرْدًا وَرُوحًا وَرِيحًا طَيِّبَةً، فَنادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ.. أَلْهَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَارًا، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، فَاحْتَرَقُوا كَمَا يَحْتَرِقُ الْجَرَادُ الْمُقْلِي، فَصَارُوا رَمَادًا، وَهَذَا الْعَذَابُ الَّذِي حُلَّ بِهِمْ هُوَ الَّذِي طَلَبُوهُ تَهْكُمًا بِشَعِيبَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] ^(١).

قوله: (أَصَابَهُمْ) أي: سبعة أيام، ثم لجؤوا إلى السحابة بعد السبعة الأيام.

قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ شُرُوعٌ فِي مَدْحِ الْقُرْآنِ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَالْمَنْزِلَ عَلَيْهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَنْزِلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، لَيْسَ بِشِعْرِ وَلَا كَهَانَةٍ وَلَا سِحْرِ كَمَا يَزْعُمُونَ.

قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ الباء: للملابسة، والجائر والمجرور متعلق بمحذوف حال، كأنه قال: نزل به في حال مُلَابَسَتِهِ لَهُ، عَلَى حَدِّ: خَرَجَ زَيْدٌ بِشِيبَاهُ.

(١) نقله الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٦٢/٤) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْلَىٰ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً ۖ

﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ: بَيِّن، - وفي قِرَاءة: بِتَشْدِيدِ (نَزَلَ) وَنَصَبِ (الرُّوح) والفاعلُ اللهُ -، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: ذَكَرَ الْقُرْآنَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿لَفِي زُبْرِ﴾: كُتِبَ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ كَالْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.

﴿١٩٧﴾ ﴿أَوْلَىٰ يَكُنْ لَهُمْ﴾: لِكُفَّارِ مَكَّةَ ﴿آيَةً﴾ عَلَى ذَلِكَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ خَصَّهُ بالذكر؛ لأنه سلطان الأعضاء؛ فكلُّ شيءٍ وَصَلَ لِلْقَلْبِ وَصَلَ لِسَانُهُ الْأَعْضَاءُ؛ ففي الحديث: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١)؛ فحيث نَزَلَ عَلَى قَلْبِهِ.. فَقَدْ تَمَكَّنَ مِنْ سَائِرِ بَدَنِهِ، فَلَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ نَسْيَانٌ؛ وَلِذَا وَرَدَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ بِالْآيَةِ.. يَرِيدُ أَنْ يَقْرَأَهَا بِلِسَانِهِ قَبْلَ أَنْ يَتْلُوَهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ظَاهِرًا، حَتَّى أُمِرَ بِعَدَمِ الاسْتَعْجَالِ بِالْقِرَاءَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُخْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ يَوْمَ﴾ [الْقِيَامَةِ: ١٦]^(٢).

قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (أي: ومن المبشرين).

قوله: ﴿بِلِسَانٍ﴾ يصح أن يكون بدلاً من قوله: ﴿بِهِ﴾ بإعادة الجارِّ، ويصح أن يكون متلِّعاً بِ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾، والمعنى: لِتَكُونَ مِنَ الَّذِينَ أَنْذَرُوا بِهَذَا اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَهُمْ هُودٌ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله: (وفي قِرَاءة) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ^(٣).

قوله: (أي: ذَكَرَ الْقُرْآنَ) دفع بذلك ما يقال: إِنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ أَنَّ الْقُرْآنَ نَفْسُهُ ثَابِتٌ فِي سَائِرِ الْكُتُبِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَالْمُرَادُ بِذِكْرِهِ: نَعْتُهُ، وَالْإِخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَنَّهُ صِدْقٌ وَحَقٌّ.

قوله: ﴿أَوْلَىٰ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع.

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص: (نزل) مخففاً، وباقي السبعة بالتشديد مبيئاً للفاعل. انظر «الدر المصون»

أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤَا بَنَى إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾

﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤَا بَنَى إِسْرَءِيلَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه مِمَّنْ آمَنُوا، فَإِنَّهُمْ يُخْبِرُونَ بِذَلِكَ، وَ﴿يَكُنْ﴾ بِالتَّحْتَانِيَةِ وَنَصَبِ ﴿ءَايَةٍ﴾، وَبِالْفَوْقَانِيَةِ وَرَفَعَ ﴿ءَايَةٍ﴾.

﴿١٩٨﴾ - ﴿١٩٩﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾: جَمَعَ (أَعْجَمَ) ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أَنْفَةً مِنْ اتِّبَاعِهِ.

﴿٢٠٠﴾ - ﴿٢٠١﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلَ إِدْخَالِنَا التَّكْذِيبَ بِهِ بِقِرَاءَةِ الْأَعْجَمِ ﴿سَلَكْنَاهُ﴾: أَدْخَلْنَا التَّكْذِيبَ بِهِ ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أَي: كُفَّارِ مَكَّةَ بِقِرَاءَةِ النَّبِيِّ،
حاشية الصاوي

قوله: (وأصحابه) أي: وكانوا أربعة غيره: أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين، فالخمس من علماء اليهود، وقد حُسِّنَ إسلامهم.

قوله: (و«يكن» بالتحسانية، ونصب «آية») على أنه خبر (يكن) مقدَّم، واسمها قوله: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ...﴾ إلخ.

قوله: (ورفع ﴿ءَايَةٍ﴾^(١)) على أنه فاعل بـ(تكن)، وقوله: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ بدل من ﴿ءَايَةٍ﴾^(٢).

قوله: (جمع أعجم) أصله: أعجمي بياء النسب، خفف بحذفها، وبه اندفع ما يقال: إن (أفعل فعلاء) لا يُجمع جمع المذكر السالم^(٣).
قوله: (أنفة من اتباعه) أي: تكبراً.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ معمول لـ﴿سَلَكْنَاهُ﴾، والضمير في ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ للقرآن على حذف مضاف، أفاده المفسر^(٤).

(١) وبها قرأ ابن عامر، وقرأ الباقر (يكن) بالياء من تحت، (آية) بالنصب. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٥٢).

(٢) هذا إن قدرت «تكن» تامة، وإن قدرتها ناقصة.. فاسمها ضمير القصة، و﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ مبتدأ و﴿ءَايَةٍ﴾ خبره، والجملة خبر (تكن)، أو: ﴿ءَايَةٍ﴾ اسمها، و﴿لَهُمْ﴾ خبرها، و﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ بدل أو خبر لمحذوف. وأما تجويز الزجاج كون ﴿ءَايَةٍ﴾ اسمها، و﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ خبرها.. فردَّوه: بأنه يلزم منه جعل الاسم نكرة، والخبر معرفة، واعتذر له بأن النكرة قد تخصصت بـ(لهم). انظر «مغني اللبيب» (ص ٥١٩).

(٣) هذا على رأي البصريين، أما الكوفيون.. فيجيزون جمع (أفعل فعلاء) جمع المذكر السالم، فعلى هذا: يكون كلام الشارح على ظاهره. «فتوحات» (٣/ ٣١٢).

(٤) في هامش (أ): (والأصل: تكذيبه؛ أي: التكذيب به، فهو من باب الحذف والإيصال. اهـ).

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ : مُمَهِّلُونَ لِنُؤْمِنَ؟ فيقال لَهُمْ : لا ، فقالُوا : متى هذا العذاب؟ قال تعالى :
 ﴿٢٠٤﴾ - ﴿٢٠٧﴾ ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ : أَخْبِرْنِي ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مِنَ الْعَذَابِ ، ﴿مَا﴾ - استِفْهَامِيَّةٌ بِمَعْنَى أَيُّ شَيْءٍ - ﴿أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ في دَفْعِ الْعَذَابِ أَوْ تَخْفِيفِهِ ، أَي : لَمْ يُغْنِ .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الجملة مستأنفة ، أو حال من الهاء في ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ ، وقوله : ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ مقدم من تأخير ، وأصل الكلام : حتى يأتِيَهُم العذاب بغتَةً وهم لا يشعرون فيرونه ، فيقولوا : هل نحن مُنْظَرُونَ - أي : مؤخَّرون عن الإهلاك - ولو طرفة عينٍ فنؤمن؟ فيقال لهم : لا ؛ أي : لا تأخير ، ولا إمهال .

قوله : ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ استفهامٌ توبيخٍ وتهكُّمٍ ؛ حيث استعجلوا ما فيه هلاكهم . والفاء للعطف على مقدَّر يقتضيه المقام ، تقديره : أَيُعْجِلُونَ ما ينزل بهم؟

قوله : ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ معطوف على ﴿فَيَقُولُوا﴾ ، وما بينهما اعتراضٌ ، وقوله : ﴿مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ تنازعه (رأيت) يطلبه مفعولاً أول ، و(جاءهم) يطلبه فاعلاً ، فأعملنا الأول ، وأضمرنا في الثاني ضميراً يعود عليه ؛ أي : ثم جاءهم هو ؛ أي : الذي كانوا يُوعَدونه ، وجملة : ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ إلخ : في محل نصب سدَّتْ مَسَدَّ المفعول الثاني لـ (رأيت) .

قوله : ﴿مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (أي : به ، و(ما) : اسم موصول .

قوله : (استفهامية) أي : استفهام إنكار ؛ كما أشار له بقوله : (أي : لم يغن) ، فهذا مُساوٍ في المعنى لقول بعضهم : إنها نافية ، وهي على صنيع المفسِّر مفعول مقدم لـ (أغنى) ، وقوله : ﴿مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ فاعل بـ ﴿أَغْنَى﴾ ، و﴿مَا﴾ : مصدرية .

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنَاهُ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾

(٢٠٨ - ٢٠٩) ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾: رُسُلٌ تُنْذِرُ أَهْلَهَا، ﴿ذَكَرْنَاهُ﴾: عِظَةُ لَهُمْ، ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: فِي إِهْلَاكِهِمْ بَعْدَ إِنْذَارِهِمْ. وَنَزَلَ رَدًّا لِقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ: (٢١٠ - ٢١١) ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ﴾: بِالْقُرْآنِ ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾: يَصْلُحُ ﴿لَهُمْ﴾ أَنْ يَنْزِلُوا بِهِ، ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: ذَلِكَ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ﴾... إلخ أي: أَنَّهُ جَرَتْ عَادَتُهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا يُهْلِكُ أَهْلَ قَرِيَةٍ إِلَّا بَعْدَ إِسْرَالِ الرُّسُولِ إِلَيْهِمْ، وَعِصْيَانِهِمْ، وَذَلِكَ تَفْضُّلٌ مِنْهُ سَبْحَانَهُ، وَإِلَّا... فَلَوْ أَهْلَكَهُمْ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ... لَا يَعْدُ ظَالِمًا؛ لِأَنَّهُ مُتَصَرِّفٌ فِي مُلْكِهِ يَحْكُمُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ، ففِعْلُهُ دَائِرٌ بَيْنَ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ.

قوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ الجملة صفة لـ ﴿قَرِيَةٍ﴾^(١).

فإن قلت: لم تركت الواو هنا، وذكرت في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]؟

أجيب: بأن الأصل ترك الواو، وإذا زيدت... كانت لتأكيد وصل الصفة بالموصوف؛ كما في قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَكُلُّهُمْ كَاتِبٌ﴾ [الكهف: ٢٢].

قوله: ﴿ذَكَرْنَاهُ﴾ مفعول لأجله؛ أي: لأجل تذكيرهم بالعواقب.

قوله: ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: لا نفعل فعل الظالمين؛ بأن نهلكهم قبل الإنذار، بل لا نهلكهم إلا بعد إتيان الرسل وإمهالهم الزمن الطويل حتى يتبين لهم الحق من الباطل.

قوله: (ردًا لقول المشركين) مقول القول محذوف، تقديره: إن الشياطين يُلقون القرآن على لسانه، فهو من جملة الكهنة.

قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ أي: لا يمكنهم.

(١) عند من لم يرَ (إلا) مانعة من الوصفية كالزمرخري وأبي البقاء، وكلام النحويين بخلاف ذلك، فتعين في الجملة أن تكون حالية. انظر «مغني اللبيب» (ص ٥٦٥).

إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لِكَلَامِ الْمَلَائِكَةِ ﴿لَمَعَزُولُونَ﴾ : مَحْجُوبُونَ بِالشُّهْبِ .

(٢١٣ - ٢١٤) ﴿فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ الَّذِي دَعَوْتَ إِلَيْهِ، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ، وَقَدْ أَنْذَرَهُمْ جِهَارًا، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾... إلخ) علة لقوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

قوله: (لكلام الملائكة) إِنْ كَانَ الْمُرَادُ كَلَامُهُمْ بِالْوَحْيِ الَّذِي يُبَلِّغُونَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ.. فَالشَّيَاطِينُ مَعَزُولُونَ عَنْهُ لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ أَصْلًا، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْمَغِيَّاتُ الَّتِي سَتَعَتْ فِي الْعَالَمِ.. فَكَانُوا أَوَّلًا يَسْتَرْقُونَهَا، فَلَمَّا وُلِدَ ﷺ.. مُنِعُوا مِنَ السَّمَاوَاتِ، فَلَمَّا بُعِثَ.. سُلِّطَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهْبُ، وَحِثْنِيذٌ فَقَدْ انْسَدَّ بَابُ السَّمَاءِ عَلَى الشَّيَاطِينِ، وَانْقَطَعَ نَزْلُهُمْ عَلَى الْكَهَنَةِ، فَبَطَلَ قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قوله: ﴿فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾) نَزَلَ رَدًّا لِقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ: اْعْبُدْ آلِهَتَنَا سَنَةَ، وَنَحْنُ نَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةَ، وَالخَطَابُ لَهُ ﷺ، وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ.

قوله: (رواه البخاري ومسلم) أي: فَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي إِذْنَارِهِ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؛ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةَ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ؛ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

وفي رواية: أَنَّهُ ﷺ صَعِدَ عَلَى الصِّفَاءِ، فَجَعَلَ يَنَادِي: «يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ؛ لُبُّطُونَ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ يَرْسُلُ رَسُولًا؛ لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَيْتُمْ وَأَخْبَرْتُمْ أَنَّ خِيَلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ^(٢).

(١) رواه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٢) رواها البخاري (٤٧٧٠) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ : أَلِنْ جَانِبَكَ ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : الْمُؤَحِّدِينَ .

(﴿٢١٦﴾ - ﴿٢٢٠﴾) ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أَي : عَشِيرَتُكَ ﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ : ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾
مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ ، ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ - بِالْوَاوِ وَالْفَاءِ - ﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ : اللَّهُ ، أَي : فَوَضَّ إِلَيْهِ
جَمِيعَ أُمُورِكَ ، ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إِلَى الصَّلَاةِ ﴿وَتَقْلُبُكَ﴾ فِي أَرْكَانِ الصَّلَاةِ قَائِماً
وَقَاعِداً وَرَاكِعاً وَسَاجِداً ﴿فِي السَّجْدِينِ﴾ أَي : الْمُصَلِّينَ ، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَي : فَبَعْدَ الْإِنْذَارِ تَوَاضَعْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ، وَتَبَرَّأْ مِمَّنْ بَقِيَ عَلَى كُفْرِهِ ،
وَلَا تَخَفْ مِنْ تَحْزِينِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ ، فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ .
قوله : ﴿بِالْوَاوِ وَالْفَاءِ﴾ أَي : فَهُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١) ، فَعَلَى الْوَاوِ : هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ :
﴿وَأَنْذِرْ﴾ ، وَعَلَى الْفَاءِ : هُوَ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ﴾ .

قوله : ﴿عَلَى الْعَزِيزِ﴾ أَي : الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ ، الْقَاهِرُ لِكُلِّ مُعَارِضٍ لِأَمْرِهِ .

قوله : ﴿الرَّحِيمِ﴾ أَي : بِالْمُؤْمَنِ الْمُمَثِّلِ لِأَمْرِهِ .

قوله : ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ أَي : مُنْفَرِداً ، وَقَوْلُهُ : ﴿وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينِ﴾ أَي : مَعَ الْجَمَاعَةِ .

قوله : ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ لَا مَفْهُومَ لَهَا ، بَلْ يَرَاهُ حِينَ يَقُومُ لِلْجِهَادِ ، وَلِلْخُطْبَةِ ، وَلِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ . . . وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ تَنْقُلَاتِهِ ، وَإِنَّمَا خَصَّ الصَّلَاةَ ؛ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ
بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ ، وَلِأَنَّ قُرْآنَ عَيْنِهِ فِيهَا ؛ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ : «وَجُعِلَتْ قُرْآنُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢) ، وَالْمُرَادُ
بِرُؤْيَتِهِ إِيَّاهُ : زِيَادَةُ تَجَلِّيِ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا . . . فَرُؤْيَةُ اللَّهِ حَاصِلَةٌ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ .

قوله : ﴿وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينِ﴾ ﴿فِي﴾ : عَلَى كَلَامِ الْمَفْسَّرِ بِمَعْنَى (مَعَ) ، وَقِيلَ : إِنَّ (فِي)
عَلَى بَابِهَا ، وَالْمُرَادُ بِالسَّاجِدِينَ : الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمَعْنَى : يَرَاكَ مُتَقَلِّباً فِي أَصْلَابِ وَأَرْحَامِ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْ آدَمَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَصُولُهُ جَمِيعاً مُؤْمِنُونَ .

(١) قرأ المدينيان والشامي بالفاء ، وغيرهم بالواو . انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٣٣) .

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (٦١/٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾

(٢٢١ - ٢٢٣) ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: يا كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ - بِحَذْفِ إِحْدَى التَّائِينَ مِنَ الْأَصْلِ - ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كَذَّابٌ أَثِيمٌ: فَاجِرٌ مِّثْلُ مُسَيْلِمَةَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُهَنَةِ، ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ أي: الشَّيَاطِينُ ﴿السَّمْعَ﴾ أي: مَا سَمِعُوهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْكُهَنَةِ، ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾: يَضُمُّونَ إِلَى الْمَسْمُوعِ كَذِبًا كَثِيرًا،

حاشية الصاوي

وأورد على هذا: آزر أبو إبراهيم؛ فإنه كان كافراً، وأجيب بجوابين:

الأول: أنه كان عمه، واسم أبيه تارخ.

الثاني: أنه كان أباه حقيقةً، وقولهم: (إن أصوله ﷺ ليسوا كفاراً) محلّه: ما دام النور المحمّديّ في الواحد منهم، فإذا انتقل لمن بعده.. فلا مانع من أن يعبد غير الله، وحينئذٍ: فازر ما كفر إلا بعد انتقال النور منه إلى إبراهيم ولده.

قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾... الخ) هذا ردّ لقولهم: إنه كاهن.

قوله: ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ الجارّ والمجرور متعلق بـ﴿تَنَزَّلُ﴾، والجملة في محل نصب ساذة مسدّ المفعول الثاني والثالث إن جُعِلَ ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ متعدياً لثلاثة، ومسدّ الثاني فقط إن جُعِلَ متعدياً لاثنتين.

قوله: (وغيره) أي: كالسطيح^(١).

قوله: (من الكهنة) جمع كاهن، وهو: الذي يُخبر عن الأمور المستقبلية، والعرّاف هو: الذي يخبر عن الأمور الماضية.

قوله: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾) يحتمل أن الضمير عائد على ﴿الشَّيَاطِينُ﴾، والمعنى: يُلْقُونَ مَا سَمِعُوهُ إِلَى الْكُهَنَةِ، ويحتمل أنه عائد على ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، والمعنى: يُلْقُونَ مَا سَمِعُوهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ إِلَى عَوَامِّ الْخَلْقِ، أو المعنى: يصغون إلى الشياطين بكليّتهم حين يسمعون منهم.

قوله: ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾) الضمير إمّا عائد على الشياطين أو الكهنة، والأكثرية باعتبار

(١) سطيح الغساني الكاهن، واسمه: ربيع بن ربيعة بن مسعود، وقد بلغ من الكهانة ما لم يبلغه أحد، وكان يسمى كاهن الكهان. انظر «البداية والنهاية» (١٩٧/٢).

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾

وكان هذا قبل أن حُجِبَتِ الشَّيَاطِينُ عَنِ السَّمَاءِ.

(٢٢٤ - ٢٢٦) ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ في شعرهم فيقولون به ويرؤونه عنهم، فهم مذمومون، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ﴾: يَمْضُونَ، فيُجَاوِزُونَ الْحَدَّ مَدْحًا وَهَجَاءً، ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾: فعلنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾: يَكْذِبُونَ.

حاشية الصاوي

الأقوال؛ أي: أكثر أقوالهم كاذبون فيها، والأقل فيها صدق، وليس المراد: أن الأقل فيهم صادق، بل الكل أطبقوا على الكذب^(١)، وأكثر الكلمات كذب، وأقلها صدق.

قوله: (وكان هذا قبل أن حُجِبَتِ الشَّيَاطِينُ عَنِ السَّمَاءِ) دفع بذلك التناقض بين ما هنا وما تقدّم في قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾، وحاصل ذلك: أن هذه الآية إخبارٌ من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السماوات، وتمثيله بمسليمة باعتبار ما كان قبل وجوده ﷺ، وأمّا بعد وجوده.. فلم يصل لمسليمة ولا غيره شيء من الشياطين.

قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ أي: الذين يستعملون الشعر، وهو: الكلام الموزون بأوزان عربية، المقفى قصداً، والمراد: شعر الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ، منهم: عبد الله بن الزبعرى السهمي، وهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ المخزومي، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وأمّية بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب والباطل، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد، وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم.

قوله: (من أودية الكلام وفنونه) أشار بذلك إلى أن الشعراء يخوضون في كل كلام، فهم مشبهون بالهائم في الأودية الذي لا يدري أين يتوجّه.

قوله: (يَمْضُونَ) أي: يخوضون.

قوله: (أي: يكذبون) أي: لأنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحثّون عليهما ولا يفعلون ما ذكر، ويذمّون ضدها ويصرّون عليه، ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم.

(١) في (ب): (طبعوا) بدل (أطبّقوا).

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

﴿٢٢٧﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مِنَ الشُّعَرَاءِ، ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أَي: لَمْ يَشْغَلْهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ سبب نزولها: أَنَّ كعب بن مالك قال للنبي ﷺ: قد أنزل في الشعر، فقال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَكَأَنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْعُ النَّبْلِ»^(١)، وقوله: (قد أنزل في الشعر) أي: أنزل القرآن في ذم الشعر وأهله. قوله: (من الشعراء) أي: ومنهم حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك وغيرهم.

واعلم: أَنَّ الشعر منه مَذْمُومٌ، وهو مَدْحٌ مَنْ لَا يَجُوزُ مَدْحُهُ، وَذَمٌّ مَنْ لَا يَجُوزُ ذَمُّهُ، وَعَلَيْهِ تَتَخَرَّجُ الْآيَةُ الْأُولَى وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيحًا وَدَمًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا»^(٢).

ومنه ممدوحٌ، وهو مدح من يجوز مدحه، وَذَمٌّ مَنْ يَجُوزُ ذَمُّهُ، وَعَلَيْهِ تَتَخَرَّجُ الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً»^(٣).

وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة.

وروي عن ابن عباس: أَنَّهُ كَانَ يُنْشَدُ الشَّعْرُ فِي الْمَسْجِدِ وَيَسْتَنْشَدُ، فَرَوَى أَنَّهُ دَعَا عَمْرُو بْنَ أَبِي رَيْعَةَ الْمَخْزُومِيَّ، فَاسْتَنْشَدَهُ قَصِيدَةً، فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا، وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْ تِسْعِينَ بَيْتًا، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَعَادَ الْقَصِيدَةَ جَمِيعَهَا وَكَانَ حَفَظَهَا مِنْ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ.

وروي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ يَوْمَ قُرَيْظَةَ لِحَسَانٍ: «أَهْجِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّ جَبْرِيلَ مَعَكَ»^(٤)، وَكَانَ يَضَعُ لَهُ مَنْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ يَقُومُ عَلَيْهِ قَائِمًا، يَفَاخِرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُنَافِعُ، وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُوَيِّدُ حَسَانَ بَرُوحَ الْقُدُسِ مَا نَافِعٌ - أَوْ فَاخِرٌ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ»^(٥).

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٤٨/٦).

(٢) رواه البخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٢٢٥٧) عن سيدنا أبي هريرة ؓ، دون قوله: (ودمًا).

(٣) رواه البخاري (٦١٤٥) عن سيدنا أبي بن كعب ؓ.

(٤) رواه البخاري (٤١٢٤) عن سيدنا البراء بن عازب ؓ.

(٥) رواه أبو داود (٥٠١٥) عن سيدتنا عائشة ؓ.

وَأَنْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ.....

الشعر عن الذكر، ﴿وَأَنْتَصِرُوا﴾ بهجوهم الكفار ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ﴾ بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين، فليسوا مذمومين، قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ حَاشِيَةِ الصَّوِي

وروي عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً؛ فإنه أشدُّ عليها من رشق النبل»، فأرسل ابن رواحة، فقال: «اهجهم»، فهجاهم، فلم يرض، وأرسل كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلمَّا دخل عليه حسان.. قال: قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسود الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق؛ لأفرينهم بلساني فري الأديم، فقال النبي ﷺ: «لا تعجل؛ فإنَّ أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإنَّ لي فيهم نسباً حتى يخلص لك نسبي»، فأتاه حسان، ثم رجع فقال: والذي بعثك بالحق نبياً؛ لأسلنك منهم كما تُسلُّ الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إنَّ الله يُؤيدك بروح القدس، لا يزال يُؤيدك ما نافحت عن رسوله»، قالت: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان، فشفي واشتفى»، فقال حسان: [الوافر]

هَجَوْتُ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ	وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ
هَجَوْتُ مُحَمَّداً بَرًّا تَقِيًّا	رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءِ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَتِي وَعِرْضِي	لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءِ
نَكَلْتُ بُنْيَتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	تُشِيرُ النَّفْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءِ
يُبَارِيَنَّ الْأَعْنَةَ مُضْعِدَاتِ	عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءِ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّراتِ	تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءِ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اغْتَمَرْنَا	وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءِ
وِلَّا فَاضْطَبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ	يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءِ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا	يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءِ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا	هُمُ الْأَنْصَارُ عَرْضَتْهَا اللَّقَاءِ
تُلَاقِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ	سَبَابٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ هِجَاءِ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ	وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سَوَاءِ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

ظَلَمَ ﴿[النساء: ١٤٨]، ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلْ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ﴾: مَرْجِعَ ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾: يَرْجِعُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ.



حاشية الصاوي

وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ خَفَاءٌ^(١)
قوله: (قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾) استدلال على جواز هَجْوِهِمُ الْكُفَّارَ فِي مَقَابِلَةِ هَجْوِ الْكُفَّارِ لَهُمْ، وقوله: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾... إلخ) استدلال على شَرْطِ الْمُمَاثَلَةِ فِي الْمَقَابِلَةِ؛ فَلَا يَجُوزُ لِلْمُظْلَمِ أَنْ يَزِيدَ فِي الذَّمِّ عَلَى مَا ظَلَمَ بِهِ مِنَ الْهَجْوِ.
قوله: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ﴾) معمول لـ ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ الذي بعده، لا لما قبله؛ لأنَّ الاستفهام له الصدر، وهو مفعول مطلق؛ أي: يَنْقَلِبُونَ أَيَّ انْقِلَابٍ، والجُمْلَةُ سَادَةٌ مَسَدَّةٌ مَفْعُولِي (يعلم)، والمعنى: يَرْجِعُونَ مَرْجِعاً سَيِّئاً؛ لأنَّ مَصِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ، وهو أَقْبَحُ مَرْجِعٍ وَأَشْرُهُ^(٢).



(١) رواه بطوله الإمام مسلم (٢٤٩٠).

(٢) كذا في الأصول في بناء التفضيل منه، ولا يكادون يستعملونه إلا على لغة لبني عامر، وقرئ في الشاذ: (من الكذاب الأشر) على هذه اللغة. انظر «شرح التسهيل» لابن مالك (٥٣/٣).

﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾



مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ أَوْ خَمْسٌ وَتِسْعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

① ﴿طَسَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمَ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ. ﴿تِلْكَ﴾ أَي: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿ءَايَتُ الْقُرْآنِ﴾: آيَاتٌ مِنْهُ، ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾: مُظْهِرٌ لِلْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، عَطَفَ بِزِيَادَةِ صِفَةٍ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّامِ

(مَكِّيَّةٌ) أَي: كُلُّهَا، وَقَدْ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى خَمْسٍ قِصَصٍ: الْأُولَى: قِصَّةُ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ، الثَّانِيَّةُ: قِصَّةُ النَّمْلَةِ، الثَّالِثَةُ: قِصَّةُ بَلْقِيسَ، الرَّابِعَةُ: قِصَّةُ صَالِحٍ مَعَ قَوْمِهِ، الْخَامِسَةُ: قِصَّةُ لُوطٍ مَعَ قَوْمِهِ، وَمَا بَقِيَ مِنْهَا حُكْمٌ وَمَوَاعِظٌ.

قَوْلُهُ: (ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ... إلخ) أَي: إِنَّهُ اخْتَلَفَ فِي النِّيفِ الزَّائِدِ عَلَى التَّسْعِينَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ.

قَوْلُهُ: (اللَّهُ أَعْلَمَ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ) تَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ أَسْلَمَ، وَعَلَيْهِ: فَلَيْسَ لِهَذَا اللَّفْظِ مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ؛ لِأَنَّهُ فِرْعَ مَعْرِفَةِ الْمَعْنَى، وَالْمَوْضُوعُ أَنَّهُ لَمْ يُعْرِفَ.

قَوْلُهُ: ﴿تِلْكَ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿ءَايَتُ الْقُرْآنِ﴾ خَبَرُهُ، وَاسْمُ الْإِشَارَةِ عَائِدٌ عَلَى مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ.

قَوْلُهُ: (آيَاتٌ مِنْهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِضَافَةَ عَلَى مَعْنَى (مِنْ) كَمَا تَقُولُ: جَلَسْتُ مَعَ زَيْدٍ سَاعَةَ اللَّيْلِ؛ تَرِيدُ: سَاعَةَ مِنْهُ.

قَوْلُهُ: (مُظْهِرٌ لِلْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ) أَي: فَالْحَقُّ صَارَ بِالْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَاضِحًا، وَالْبَاطِلُ كَذَلِكَ.

قَوْلُهُ: (عَطَفَ بِزِيَادَةِ صِفَةٍ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: لَمْ عَطَفَ الْكِتَابَ عَلَى الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّهُمَا يَتَّحِدَانِ مَعْنَى؟ فَأَجَابَ: بِأَنَّهُ سَوَّغَ ذَلِكَ وَصَفَ الْكِتَابَ بِصِفَةٍ لَمْ تَكُنْ فِي الْقُرْآنِ.

هَدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلَهُمْ

﴿٢﴾ هو ﴿هُدًى﴾ أى: هادٍ مِنَ الضَّلَالَةِ، ﴿وَأُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: الْمُصَدِّقِينَ بِهِ بِالْجَنَّةِ.

﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ: يَأْتُونَ بِهَا عَلَى وَجْهِهَا، ﴿وَيُؤْتُونَ﴾: يُعْطُونَ ﴿الزَّكَاةَ﴾
وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ: يَعْلَمُونَهَا بِالِاسْتِدْلَالِ، وَأُعِيدَ ﴿هُمْ﴾ لَمَّا فُصِّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَبَرِ.

﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ الْقَبِيحَةَ بِتَرْكِيبِ الشَّهْوَةِ حَتَّى رَأَوْهَا

حاشية الصاوى

قوله: ﴿هَدَى﴾ خبرٌ لمحذوفٍ، قَدَّره المفسر بقوله: (هو)، فالجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، تقديره: ما فائدة الإتيان به، وما الثمرة المترتبة عليه؟ فأجاب: بأنه هدى وبشرى للمؤمنين.

قوله: (أي: هادٍ من الضلالة) هذا أحد احتمالات في تفسير الهدى، ويحتمل أن المراد: ذو هدى، أو بُولغ فيه حتى جعل نفس الهدى؛ على حدٍّ ما قيل في: زيد عدل.

قوله: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حذف من الأول؛ لإدالة الثاني عليه، فالقرآن هدى للمؤمنين وبُشرى لهم، لا للكافرين؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي مَآذِنِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]، وخصَّ المؤمنين بالذكر؛ لأنهم المعتنى بهم، المشرفون بخدمة تعالى.

قوله: (يأتون بها على وجهها) أي: بشروطها وأركانها وآدابها على الوجه الأكمل.

قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾) أي: الواجبة للأصناف الثمانية.

قوله: ﴿وَهُمْ﴾ مبتدأ، و﴿يُوقِنُونَ﴾ خبره، و﴿بِالْآخِرَةِ﴾ متعلق ب﴿يُوقِنُونَ﴾.

قوله: (يعلمونها بالاستدلال) أي: من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ فمن شكَّ في ذلك.. فقد كفر.

قوله: (لما فصل بينه وبين الخبر) أي: بمتعلق الخبر وهو قوله: ﴿بِالْآخِرَةِ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾) مقابل قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ إلخ على عادته سبحانه وتعالى؛ متى ذكر وصف المؤمنين.. يعقبه بذكر ضدّهم.

قوله: ﴿زَيَّنَّا لَكُمُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: حسنّاها لهم؛ بأن جعلناها محبوبةً لأنفسهم، وهي في الواقع ليست حسنة، وإنما ذلك ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، قال الشاعر: [البسيط]

فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمَرْ بِالْعِزِّ فِي الْأَخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَلَّذِي
الْقُرْآنَ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَائِغًا مِنهَا يُخْبِرُ
حَسَنَةً، ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: يَتَحَيَّرُونَ فِيهَا لِقُبْحِهَا عِنْدَنَا.

﴿٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمَرْ بِالْعِزِّ: أَشَدُّهُ فِي الدُّنْيَا: الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ، ﴿وَهُمْ فِي الْأَخِرَةِ
هُمْ الْآخِرُونَ﴾ لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِمْ.

﴿٦﴾ وَإِنَّكَ - خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ - ﴿لَلَّذِي الْقُرْآنَ﴾: يُلْقَى عَلَيْكَ بِشِدَّةٍ، ﴿مِن لَدُنْ﴾:
مِنْ عِنْدِ ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ فِي ذَلِكَ.

﴿٧﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾: زَوْجَتَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنْ مَدِينٍ إِلَى مِصْرَ: ﴿إِنِّي
آنَسْتُ﴾: أَبْصَرْتُ مِنْ بَعِيدٍ ﴿نَارًا سَائِغًا مِنهَا يُخْبِرُ﴾ عَنْ حَالِ الطَّرِيقِ،
حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ

يُقْضَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ

قوله: (يَتَحَيَّرُونَ فِيهَا) أي: لِمُتَعَارِضِ تَزْيِينِ الشَّيَاطِينِ وَإِخْبَارِ الرَّحْمَنِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ بِصِيرَةً
يُمَيِّزُونَ بِهَا الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيحِ؛ فَاهْلُ الْكُفْرِ مَتَحَيَّرُونَ فِي كُفْرِهِمْ؛ لَكُونِهِمْ فِي ظُلُمَاتٍ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ
أَنَّ السَّائِرَ فِي الظُّلُمَاتِ مَتَحَيَّرٌ، بِخِلَافِ السَّائِرِ فِي النُّورِ، فَاهْلُ الْإِيمَانِ مُصَدِّقُونَ مُصَمِّمُونَ
عَلَى اعْتِقَادِهِمْ، وَاهْلُ الْكُفْرِ مُتَشَكِّكُونَ مَتَحَيَّرُونَ.

قوله: ﴿هُمْ الْآخِرُونَ﴾ أي: أَنَّ خُسْرَانَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ مِنْ خُسْرَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ لِدَوَامِ
الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

قوله: (بَشِدَّةً) أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ تَشْدِيدِ الْفِعْلِ.

قوله: ﴿مِن لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: مِنْ عِنْدِ مَنْ يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ، الْعَالَمِ بِالْكَلِّيَّاتِ
وَالْجُزْئِيَّاتِ، فَذَكَرُوصِفِ الْعِلْمِ بَعْدَ الْحِكْمَةِ مِنْ ذِكْرِ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ.

قوله: (اذْكُرْ) قَدَّرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظَرْفٌ لِمَحْذُوفٍ، وَالْمَعْنَى: اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ
لِقَوْمِكَ قِصَّةَ مُوسَى وَمَا وَقَعَ لَهُ.

قوله: (زَوْجَتِهِ) أي: بِنْتِ شَعِيبٍ؛ أي: وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ.

قوله: (عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنْ مَدِينٍ) أي: لِيَجْتَمَعَ بِأَمِّهِ وَأَخِيهِ بِمِصْرَ، وَكَانَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ بَارِدَةٍ مَثْلُجَةٍ،
وَقَدْ ضَلَّ عَنْ الطَّرِيقِ، وَأَخَذَ زَوْجَتَهُ الطَّلُقُ.

أَوْ ءَاتِيَكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا

وكان قد ضلَّها، ﴿أَوْ ءَاتِيَكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ - بِالإضافة لِلْبَيَانِ وَتَرْكِهَا - أي: شُعْلَةٌ نارٍ فِي رَأْسِ قَبِيلَةٍ أَوْ عُودٍ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تَسْتَدْفِئُونَ مِنَ الْبَرْدِ. وَالطَّاءُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الْاِفْتِعَالِ، مِنْ (صَلَّى بِالنَّارِ) بِكَسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِهَا.

﴿٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ ﴿أي: بِأَنْ﴾ ﴿بُورِكَ﴾ أي: بَارَكَ اللهُ ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: مُوسَى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: الْمَلَائِكَةُ، أَوْ الْعَكْسُ، وَ(بَارَكَ) يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَبِالْحَرْفِ،

حاشية الصاوي

قوله: (وكان قد ضلَّها) أي: تاه عنها.

قوله: ﴿أَوْ ءَاتِيَكُمْ﴾ (أو): مانعةٌ خَلَوْ تَجَوَّزَ الْجَمْعَ.

قوله: (أي: شُعْلَةٌ نارٍ) أي: شُعْلَةٌ مَقْتَبَسَةٌ مِنَ النَّارِ، فَالإِضَافَةُ لِبَيَانِ الْجِنْسِ كَمَا قَالَ الْمُفَسِّرُ؛ لِأَنَّ الشَّهَابَ يَكُونُ مِنَ النَّارِ وَغَيْرِهَا كَالْكَوْكَبِ.

قوله: (بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الْاِفْتِعَالِ) أي: لِأَنَّهَا وَقَعَتْ بَعْدَ الصَّادِ، وَهِيَ مِنْ حُرُوفِ الْإِطْبَاقِ، فَقَلِبْتَ طَاءً عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَعْلُومَةِ.

قوله: (بِكَسْرِ اللَّامِ) أي: مِنْ بَابِ (تَعَبَ)، وَقَوْلُهُ: (وَفَتْحِهَا) أي: مِنْ بَابِ (رَمَى).

قوله: ﴿نُودِيَ﴾ (أي: نَادَاهُ اللهُ).

قوله: (أي: بِأَنْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (أَنْ) مُصَدِّرِيَّةٌ، وَمَا بَعْدُهَا فِي تَأْوِيلِ مُصَدَّرٍ، وَحَرْفُ الْجَرْمِ مُقَدَّرٌ قَبْلُهَا؛ أي: نُودِيَ بِبِرْكََةٍ مِنْ فِي النَّارِ... إلخ؛ أي: بِتَقْدِيسِهِ وَتَطْهِيرِهِ مِمَّا يَشْغَلُ قَلْبَهُ عَنْ غَيْرِ اللهِ، وَتَخْلِيصِهِ لِلنَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ؛ أي: نَادَاهُ اللهُ بِأَنَّا قَدَّسْنَاكَ وَطَهَّرْنَاكَ وَاخْتَرْنَاكَ لِلرِّسَالَةِ؛ كَمَا تَقَدَّمَ فِي (طه) حَيْثُ قَالَ: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ...﴾ [١٣] إلخ.

قوله: ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ هُوَ نَائِبٌ فَاعِلٌ ﴿بُورِكَ﴾، وَهَذَا تَحِيَّةٌ لِمُوسَى وَتَكْرِمَةٌ لَهُ.

قوله: (أَوْ الْعَكْسُ) أي: فَتَفْسَّرُ (مَنْ) الْأُولَى بِالْمَلَائِكَةِ، وَالثَّانِيَةِ بِمُوسَى، وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ فَلَا يَحْتَاجُ لَتَقْدِيرٍ مُضَافٍ.

قوله: (يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ) أي: فَيَقَالُ: بَارَكَكَ اللهُ.

قوله: (وَبِالْحَرْفِ) أي: اللَّامِ، وَفِي، وَعَلَى.

وَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوَسَّىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾

ويُقَدَّرُ بعد ﴿فِي﴾ (مكان)، ﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من جملة ما نُودِي، ومعناه تنزيه الله من السُّوء.

(٩ - ١٠) ﴿يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ﴾ أي: الشَّأْنُ ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ﴾ فألقاها، ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾: تَتَحَرَّكُ ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾: حَيَّةٌ خَفِيفَةٌ ﴿وَلَّىٰ مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ﴾: يَرْجِعْ، قال تعالى: ﴿يَمْوَسَّىٰ لَا تَخَفْ﴾ مِنْهَا؛ ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى﴾ عِنْدِي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ مِنْ حَيَّةٍ وَغَيْرِهَا.

حاشية الصاوي

قوله: (ويُقَدَّرُ بعد «فِي» مكان) أي: على التفسير الأول؛ فيقال: أي: بُورِكَ مَنْ فِي مكان النار، وإنما احتيج لهذا التقدير؛ لأنَّ موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقةً، بل كان في المكان القريب منها.

قوله: (من جملة ما نُودِي) أي: به^(١)، وإنما أتى بالتنزيه هنا؛ لدفع ما يتوهم أنَّ الكلام الذي سمعه في ذلك المكان بحرفٍ وصوتٍ، أو كونِ الله في مكانٍ أو جهةٍ.

قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ﴾ لم يُقَلْ هنا: (وَأَن) كما في (القصص)؛ لأنه هنا ذُكِرَ بعد (أَن) فعلٌ، فَحَسُنَ عطف ﴿أَلْقَىٰ﴾ عليه، وما يأتي لم يذكر، فقصد عطف ﴿وَأَن أَلْقَى﴾ على قوله: ﴿أَن يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿تَهْتَزُّ﴾ حال من ضمير ﴿رَآَهَا﴾.

قوله: (حَيَّةٌ خَفِيفَةٌ) أي: في سرعة الحركة، فما يُنافي عِظَمَ جَسَدِهَا.

قوله: (يرجع) أي: لم يرجع على عقبه.

قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ (منها) أي: لأنك في حضرتي، ومن كان فيها.. فهو آمِنٌ، لا يخطر بباله

خوفٌ من شيء.

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَمَجٍ ءَاتِيَةٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَاتِنَا مُبْصِرَةٌ ...

﴿١١﴾ : ﴿إِلَّا﴾ : لَكِنْ ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ : نَفْسَهُ ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ : أَتَاهُ ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ : أَي : تَابَ ، ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ : أَقْبَلَ التَّوْبَةَ وَأَغْفَرَ لَهُ .

﴿١٢﴾ : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ : طَوَّقِ قَمِيصَكَ ﴿تَخْرُجُ﴾ : خِلَافَ لَوْنِهَا مِنَ الْأُذْمَةِ ﴿بَيْضَاءَ﴾ : مِنْ غَيْرِ سُوءٍ : بَرَّصَ لَهَا شُعَاعَ يُغْشِي الْبَصَرَ ، آيَةٌ ﴿فِي ثَمَجٍ ءَاتِيَةٍ﴾ : مُرْسَلًا بِهَا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ : إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ .

(١٣ - ١٤) ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَاتِنَا مُبْصِرَةٌ﴾ : أَي : مُضِيَّةٌ وَاضِحَةٌ ،

حاشية الصاوي

قوله : (لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ ... إلخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء مُنْقَطِعٌ ، و﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ : مَبْتَدَأٌ ، وقوله : ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ﴾ : خَبَرُهُ .
قوله : (أتاه) أي : عَمَلُهُ .

قوله : (طوق القميص) إنما لم يأمره بإدخالها في كمِّه ؛ لأنه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كمَّ لها ، وقيل : لها كمٌّ قصيرٌ .

قوله : ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ﴾ : جَوَابُ لِقَوْلِهِ : (أدخل) .

قوله : (لها شعاع) أي : لِمَعَانٍ وَإِشْرَاقٍ .

قوله : (آية) أشار إلى أنَّ ﴿فِي ثَمَجٍ ءَاتِيَةٍ﴾ فِي مَحَلِّ نَصَبٍ ، مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ أُخْرَى مِنْ ضَمِيرِ ﴿تَخْرُجُ﴾ ، وَقَدْ صَرَّحَ بِهَذَا الْمَحْذُوفُ فِي سُورَةِ (طه) ؛ حَيْثُ قَالَ هُنَاكَ : ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى﴾ ، فَالْمَعْنَى هُنَا : حَالُ كَوْنِهَا آيَةً مَنْدَرَجَةً فِي جُمْلَةِ الْآيَاتِ التَّسْعِ .

قوله : ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ : مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ ، وَقَوْلُهُ : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ : إِنْخِ : تَعْلِيلٌ لِذَلِكَ الْمَقْدَّرِ .

قوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَاتِنَا﴾ : أَي : جَاءَهُمْ مُوسَى بِهَا ، وَقَوْلُهُ : ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ : اسْمُ فَاعِلٍ ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْمَفْعُولُ ، أَطْلَقَ اسْمَ الْفَاعِلِ عَلَى الْمَفْعُولِ ؛ إِشْعَارًا بِأَنَّهَا لَفَرَطٌ وَضُوحَةٌ وَإِنَارَتُهَا كَأَنَّهَا تَبْصُرُ نَفْسَهَا .
قوله : (أي : مضية) أي : إِضَاءَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ فِي جَمِيعِهَا ، وَحَسِيَّةٌ فِي بَعْضِهَا وَهُوَ الْيَدُ .

قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا

﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: بَيَّنَّ ظَاهِرَ، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾: أَي: لَمْ يُقَرُّوا ﴿و﴾: قَدْ ﴿اَسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾: أَي: تَيَقَّنُوا أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾: تَكْبُرًا عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى رَاجِعَ إِلَى الْجَحْدِ، ﴿فَانْظُرْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: الَّتِي عَلِمَتْهَا مِنْ إِهْلَاكِهِمْ.

﴿١٥﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾: ابْنَهُ ﴿عِلْمًا﴾: بِالْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْطِقِ الطَّيْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالُوا هَذَا﴾: أَي: مَا نُشَاهِدُهُ مِنَ الْخَوَارِقِ الَّتِي أَتَى بِهَا مُوسَى.

قوله: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾: حَالٌ مِنَ الْوَاوِ فِي ﴿جَحَدُوا﴾؛ وَلِذَا قُدِّرَ فِيهِ (قَدْ).

قوله: ﴿أَي: تَيَقَّنُوا... إلخ﴾: أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ السِّينَ زَائِدَةٌ.

قوله: ﴿رَاجِعَ إِلَى الْجَحْدِ﴾: أَي: عَلَى أَنَّهُ عِلَّةٌ لَهُ.

قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: ﴿كَيْفَ﴾: خَبَرٌ مُقَدِّمٌ لـ ﴿كَانَ﴾، و﴿عَاقِبَةُ﴾: اسْمُهَا مُؤَخَّرٌ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى إِسْقَاطِ الْخَافِضِ^(١).

قوله: ﴿مِنْ إِهْلَاكِهِمْ﴾: أَي: بِالْإِغْرَاقِ عَلَى الْوَجْهِ الْهَائِلِ الَّذِي هُوَ عِبْرَةٌ لِلْعَالَمِينَ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾: هُوَ بِالْمَدِّ بِمَعْنَى: (أَعْطَيْنَا)، وَهُوَ شُرُوعٌ فِي الْقِصَّةِ الثَّانِيَةِ، وَكَانَ لِدَاوُدَ تِسْعَةُ عَشَرَ وَلَدًا، أَجْلُهُمْ سَلِيمَانٌ، وَعَاشَ دَاوُدُ مِائَةَ سَنَةٍ، وَسَلِيمَانُ ابْنُهُ نَبِيًّا وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَبَيْنَ دَاوُدَ وَمُوسَى خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ وَتِسْعُ وَسِتُونَ سَنَةً، وَبَيْنَ سَلِيمَانَ وَمُحَمَّدٍ ﷺ أَلْفٌ وَسَبْعُ مِائَةِ سَنَةٍ.

قوله: ﴿بِالْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ﴾: أَي: وَهُوَ عِلْمُ الشَّرَائِعِ.

قوله: ﴿وَمَنْطِقِ الطَّيْرِ﴾: أَي: تَصْوِيتِهِ.

قوله: ﴿وَمِنْ غَيْرِ ذَلِكَ﴾: أَي: كَتَسْبِيحِ الْجِبَالِ.

(١) لأنها معلقة لـ «انظر» بمعنى: تفكر. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٨١).

ورد: أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ جَالِساً إِذْ مَرَّ بِهِ طَائِفٌ يَطُوفُ، فَقَالَ لَجُلَسَائِهِ: أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ هَذَا الطَّائِفُ؟
إِنَّمَا قَالَتْ لِي: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُسَلِّطُ، وَالنَّبِيُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، أَعْطَاكَ اللَّهُ الْكِرَامَةَ،
وَأَظْهَرَكَ عَلَى عَدُوِّكَ، إِنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى أَفْرَاحِي ثُمَّ أَمْرُ بَكَ الثَّانِيَةَ، وَإِنَّهُ سَيَرْجِعُ إِلَيْنَا الثَّانِيَةَ، ثُمَّ رَجَعَ،
فَقَالَ لَهُمْ: يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُسَلِّطُ؛ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذِنَ لِي كَيْمَا أَكْتَسِبَ عَلَى أَفْرَاحِي
حَتَّى يَشْبُوا ثُمَّ آتِيكَ فَافْعَلْ بِي مَا شِئْتَ، فَأَخْبَرَهُمْ سُلَيْمَانُ بِمَا قَالَ، وَأَذِنَ لَهُ، فَانْطَلَقَ.

حاشية الصاوي

ومرَّ سليمان على بُلْبُل فوق شجرة يحرك رأسه ويُميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البُلْبُل؟ قالوا: لا يا نبي الله، قال: إنه يقول: أكلتُ نصفَ ثمرة، فعلى الدنيا العفاء.

ومرَّ بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخًا فخاف، فقال له سليمان: احذر، فقال الهدهد: يا نبيَّ الله؛ هذا صبي ولا عقلَ له، فأنا أسخر به، ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حباله الصبي وهو في يده، فقال له: ما هذا؟ قال: ما رأيته حين وقعت بها يا نبيَّ الله، قال: ويحك؛ فأنت ترى الماء تحت الأرض، أما ترى الفخ؟! فقال: يا نبيَّ الله إذا نزل القضاء.. عَمِيَ البصر.

وصاح وَرَشَان^(١) عند سليمان بن داود، فقال سليمان: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: لِدُوا للموت، وابْنُوا للخراب.

وصاحت فاختة، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: ليت الخلق لم يُخلقوا، وليتهم إذ خُلِقُوا عملوا ما خُلِقُوا له.

وصاح عنده طاووس، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: كما تَدِينُ تُدَانُ.

وصاح عنده هدهد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: من لا يَرْحَمَ.. لا يُرْحَمَ.

وصاح عنده صُرْد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: استغفروا الله يا مُذْنِبُونَ^(٢). فمن ثمَّ نهى رسول الله ﷺ عن قَتْلِهِ^(٣)، وقيل: إِنَّ الصرد هو الذي دَلَّ آدم على مكان البيت؛ ولذلك يقال له: الصرد الصرام.

(١) الورشان: بفتح الواو والراء، طائر شبه الحمام، وهو ذكر القماري، ويجمع على ورشان بكسر الواو وسكون الراء، ووراشين. «المصباح المنير»، مادة: (ورش).

(٢) ما أورده المفسر من كلامه عليه السلام مع الطيور رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٩٣/٧)، وكلها من الإسرائيليات.

(٣) كما رواه أبو داود (٥٢٦٧) عن سيدنا ابن عباس رضيهما، وابن ماجه في «سننه» (٣٢٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، والصرد: طائر فوق العصفور يصيد العصافير، ضخم الرأس والمنقار، له ريش عظيم، نصفه أبيض ونصفه أسود. انظر «حياة الحيوان» (٨٣/٢).

حاشية الصاوي

وصاحت عنه طيطرجي^(١)، فقال: أتدرون ما تقول؟ قال: إنها تقول: كلُّ حيٍّ ميّت، وكلُّ جديد بال.

وصاحت عنده خُطَافَةٌ، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: قدّموا خيراً تجدوه. فمن ثمّ نهى رسول الله ﷺ عن قتلها^(٢).

وقيل: إنّ آدم خرج من الجنة، فاشتكى إلى الله تعالى الوحشة، فأنسه الله بالخُطَاف، وألزمها البيوت، فهي لا تفارق بني آدم أنساً لهم، وقال: ومعها أربع آيات من كتاب الله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ...﴾ الآية إلى آخرها، وتمدّد صوتها بقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢١-٢٤].

وهدرت حمامة عند سليمان، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: سبحان ربي الأعلى عدد ما في السماوات والأرض.

وصاح قُمريٌّ عند سليمان، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: سبحان ربي العظيم المهيمن.

قال كعب: وحدثهم سليمان فقال: الغراب يقول: اللّهم العن العُشَّار^(٣)، والحدأ يقول: كلُّ شيءٍ هالك إلا وجهه، والقَطَاة تقول: مَنْ سكت سلّم، والبيغاء تقول: ويلٌ لمن الدنيا همُّه، والضفدع تقول: سبحان ربي القدوس، والبازي يقول: سبحان ربي ويحمده، والسرطان يقول: سبحان المذكور بكلِّ مكان.

وصاح دُرَّاج عند سليمان، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

قال النبي ﷺ: «الديك إذا صاح قال: اذكروا الله يا غافلون»، وقال النبي ﷺ: «النسر إذا صاح قال: يا ابن آدم؛ عِشْ ما شئتَ فأخرك الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد عن الناس راحة،

(١) كذا في النسخ، ولعل الصواب والله أعلم: (طيطوى)، وهو ضرب من القطا. انظر «تفسير الخازن» (٣/٣٣٩).

(٢) رواه أبو داود في «المراسيل» (٣٨٤)، والخطاف: العصفور، وهو الذي تدعوه العامة: عصفور الجنة.

(٣) العُشَّار: الذي يأخذ أموال الناس، وهو ما يُسمونه بالمكس.

وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَخَشَرَ لِسْلَيْمَنْ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالطَّيْرِ

﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ثَوَاتُهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُلُوكُ، ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الْمُؤْتَى ﴿لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾: الْبَيِّنُ الظَّاهِرُ.

﴿١٧﴾ ﴿وَخَشَرَ﴾: جُمِعَ ﴿لِسْلَيْمَنْ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ فِي مَسِيرِ لَهُ، حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

وإذا صاح القنبر قال: إلهي؛ العن مبغض آل محمد، وإذا صاح الخطاف قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخرها، فيقول: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فيمدُّ بها صوته كما يمد القارئ^(١).
قوله: ﴿﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾﴾ قال ذلك تحدثاً بنعمة الله وشكراً على ما أعطاه.
قوله: ﴿﴿وَخَشَرَ لِسْلَيْمَنْ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾﴾ أي: من الأماكن البعيدة، وكان له ثقباء تردُّ أول العسكر على آخره؛ لئلا يتقدموا في المسير.

قال محمد بن كعب: كان عسكر سليمان عليه السلام مئة فرسخ في مئة فرسخ: خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير.
وقيل: نسجت له الجنُّ بساطاً من ذهب وحرير فرسخاً في فرسخ، وكان يُوضع كرسيه في وسطه فيقعد، وحوله كراسي من ذهب وفضة؛ فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، والناس حوله، والجن والشياطين حول الناس، والوحش حولهم، وتُظَلُّه الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس.

وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاث مئة منكوحة - يعني: حرة - وسبع مئة سُرِّيَّة، فيأمر الريح العاصف فترفعه، ثم يأمر الرُّخاء فتسير به.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال: كان سليمان إذا ركب.. حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقُدور العظام، تَسْعُ كُلُّ قَدْرٍ عَشْرَةَ مِنَ الْإِبِلِ، فتطبخ الطباخون، وتخبز الخبازون، وهو بين السماء والأرض، وأتخذ ميادين للدواب، فتجري بين يديه، والريح تهوي، فسار من إصطخر يريد اليمن، فسلك على مدينة رسول الله ﷺ، فلما وصل إليها.. قال سليمان: هذه دار هجرة نبيٍّ يكون آخر الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن تبعه، ولما وصل مكة.. رأى حول البيت أصناماً تُعْبَدُ، فجاوزه سليمان، فلما جاوزه.. بكى البيت، فأوحى الله إليه: ما يُبْكِيكَ؟ قال:

(١) روى الخبرين الثعلبي بسنده في «الكشف والبيان» (٧/١٩٥)، وهما غير صحيحين.

فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُجْمَعُونَ ثُمَّ يُسَاقُونَ.

﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴿هُوَ بِالطَّائِفِ أَوْ بِالشَّامِ، نَمْلُهُ صِغَارٌ أَوْ كِبَارٌ،﴾ قَالَتْ نَمْلَةٌ: ﴿مَلِكَةُ النَّمْلِ

حاشية الصاوي

يا ربّ أبكاني أن هذا نبيّ من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مرّوا عليّ ولم يُصلُّوا عندي، والأصنام تُعبَدُ حولي من دونك، فأوحى الله إليّ: لا تَبْكُ؛ فإني سوف أملؤك وجوهاً سَجْدًا، وأنزل فيك قرآنًا جديدًا، وأبعث منك نبيًّا في آخر الزمان، أحبُّ أنبيائي إليّ، وأجعل فيك عمّاراً من خلقي يعبدونني، أفرض عليهم فريضة يحنّون إليك حين الناقة إلى ولدها، والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدَةِ الشيطان ثم مضى سليمان حتى مرَّ بوادي النمل^(١).

قوله: (يجمعون ثم يُساقون) أي: يمنعون من التقديم حتى يجتمعوا، ثم يؤمرون بالسَّير.

قوله: (﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا﴾) غاية لمحذوف؛ أي: فساروا مُشاةً على الأرض وركباناً حتى إذا أتوا... إلخ.

قوله: (نملُهُ صِغَارٌ) أي: وهو المعروف، وقوله: (أو كِبَارٌ) أي: كالبخاتي أو الذباب.

قوله: (﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾) قيل: اسمها طاخية، وقيل: جرمى.

حكى الزمخشري عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه وقف على قتادة وهو يقول: سلوني، فأمر أبو حنيفة شخصاً سأل قتادة عن نملة سليمان؛ هل كانت ذكراً أو أنثى؟ فلم يجب، فقيل لأبي حنيفة في ذلك، فقال: كانت أنثى، واستدلَّ بلحاق العلامة^(٢).

قال بعضهم: وفيه نظر؛ لأنَّ إلحاق التاء في (قالت) لا يدل على أنها مؤنثة؛ لأنَّ تاءه للوحدة لا للتأنيث، وحينئذٍ: فيصح أن يقال: قال نملة، قالت نملة، وما استدلل به أبو حنيفة يُفيد الظنَّ، لا التحقيق^(٣).

(١) «تفسير البغوي» (٦/١٥٠)، والمراد بـ (قرآنًا جديدًا): شريعة خاتمة لجميع الشرائع.

(٢) «الكشاف» (٣/٣٦١).

(٣) ونقل العلامة الطيبي في «حاشيته» (١١/٤٨٦، ٤٨٨) أجوبة لبعض علماء ما وراء النهر عما نقل عن الإمام الأعظم رحمه الله تعالى وارتضاها، ثم قال: (فظهر أن القول ما قالت حذام، والمذهب ما سلكه الإمام)، وذكر العلامة =

يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسْكَكُمْ

وقد رأت جند سليمان: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسْكَكُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وقد رأت جند سليمان) أي: من ثلاثة أميال؛ بدليل قوله الآتي: (وقد سمعه من ثلاثة أميال).

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ﴾... إلخ) اشتمل هذا القول على أحد عشر نوعاً من البلاغة: أولها: النداء بـ(يا)، ثانيها: لفظ (أي)، ثالثها: هاء التثنية، رابعها: التسمية بقولها: ﴿النَّمْلُ﴾، خامسها: الأمر بقولها: ﴿أَدْخُلُوا﴾، سادسها: التنصيص بقولها: ﴿مَسْكَكُمْ﴾، سابعها: التحذير بقولها: ﴿لَا يَحْطِطَنَّكُمْ﴾، ثامنها: التخصيص بقولها: ﴿سُلَيْمَنْ﴾، تاسعها: التعميم بقولها: ﴿وَجُودُكُمْ﴾، عاشرها: الإشارة بقولها: ﴿وَهُمْ﴾، حادي عشرها: العذر بقولها: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وكانت تلك النملة عرجاء، ذات جناحين، وهي من جملة الحيوانات العشرة التي تدخل الجنة، وهي براق رسول الله ﷺ، وهدهد بلقيس، ونملة سليمان، وعجل إبراهيم، وكبش ولده، وبقرة بني إسرائيل، وكلب أهل الكهف، وحمار العزيز، وناقة صالح، وحوت يونس.

روي: أن سليمان قال لها: لم حذرت النمل؟ أخفيت من ظلمي؟ أما علمت أني نبي عدل؟ فلم قلت: ﴿لَا يَحْطِطَنَّكُمْ سُلَيْمَنْ وَجُودُكُمْ﴾؟ فقالت النملة: أما سمعت قلبي: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؟ مع أني لم أرد حطم النفوس، وإنما أردت حطم القلوب؛ خشية أن يتمنن مثل ما أعطيت، ويفتنن بالدنيا، ويشغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر، فلما تكلمت مع سليمان.. مضت بسرعة إلى قومها فقالت: هل عندكم من شيء نهديه إلى نبي الله؟ قالوا: وما قدر ما نهدي له؟! والله ما عندنا إلا نَبَقَةٌ واحدة، فقالت: حسنة؛ اثتوني بها، فأتوها بها، فحملتها بفيها وانطلقت تجرّها، وأمر الله الريح فحملتها، وأقبلت تشقّ الجنّ والإنس والعلماء والأنبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها في فيه، وأنشأت تقول: [الطويل]

أَلَمْ تَرَنَا نُهْدِي إِلَيْهِ مَالَهُ وَإِنْ كَانَ عَنْهُ دَا غِنَى فَهُوَ قَابِلُهُ

= الآلوسي في «روح المعاني» (١٠/١٧٣): (والحزم القول بعدم صحة هذه الحكاية فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه من عرف، وإن كان إذ ذاك غلاماً حدثاً، وقتادة بن دعامة السدوسي بإجماع العارفين بالرجال كان بصيراً بالعربية، فيبعد كل البعد وقوع ما ذكر منهما، والله تعالى أعلم).

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّرَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴿١﴾ : يَكْسِرَنَّكُمْ ﴿٢﴾ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ بِهَلَاكِكُمْ، نَزَلَ النَّمْلُ مَنْزِلَةَ الْعُقْلَاءِ فِي الْخِطَابِ بِخِطَابِهِمْ.

﴿١٩﴾ ﴿فَتَبَسَّرَ﴾ سُلَيْمَانُ ابْتِدَاءً ﴿ضَاحِكًا﴾ انْتِهَاءً ﴿مِّنْ قَوْلِهَا﴾ وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْ ثَلَاثَةِ

حَاشِيَةُ الصَّادِقِ

وَلَوْ كَانَ يُهْدَى لِلْجَلِيلِ بِقَدْرِهِ لَاقْصَرَ عَنْهُ الْبَحْرُ يَوْمًا وَسَاحِلُهُ
وَلَكِنَّا نُهْدِي إِلَى مَنْ نُحِبُّهُ فَيَرْضَى بِهِ عَنَّا وَيُشْكِرُ فَاعِلُهُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ كَرِيمٍ فَعَالِهِ وَإِلَّا فَمَا فِي مُلْكِنَا مَا يُشَاكِلُهُ
فَقَالَ لَهَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَهَمُ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ أَشْكُرُ خَلَقَ اللَّهُ، وَأَكْثَرُ خَلَقَ اللَّهُ^(١).

والنمل: حيوان معروف شديد الإحساس والشم، حتى إنه يشم الشيء من بعيد، ويدخر قوته، ومن شدة إدراكه: أنه يفلق الحبة فلتقتين؛ خوفاً من الإنبات، ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق؛ لأنها إذا فلتقت فلتقتين.. نبتت، ويأكل في عامه نصف ما جمع، ويستبقي باقيه عدة.

قوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه نهى^(٢)، والثاني: أنه جواب الأمر^(٣).

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ جملة حالية.

قوله: ﴿فَتَبَسَّرَ ضَاحِكًا﴾ مفرع على محذوف، تقديره: فسمع قولها المذكور فتبسّم، وكان سبب ضحك شيتين: أحدهما: ما دلّ على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم من قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، الثاني: سروره بما آتاه الله ما لم يؤت أحداً؛ من إدراك سمعه ما قالته النملة.

قوله: (ابتداء... إلخ) أي: فالتبسّم: انفتاح الفم من غير صوت، والضحك: انفتاحه مع صوت خفيف، والقهقهة: انفتاحه مع صوت قوي، وهي لا تكون من الأنبياء.

(١) ومثل هذه القصص من نسج القصاص، وممتنها باطل.

(٢) وإذا كان نهياً.. ففيه وجهان، أحدهما: أنه نهى مُستأنف لا تعلق له بما قبله من حيث الإعراب، وإنما هو نهى للجنود في اللفظ، وفي المعنى للنمل؛ أي: لا تكونوا بحيث يحطمونكم، كقولهم: (لا أرينك ههنا)، والثاني: أنه يدل من جملة الأمر قبله، وهي: ﴿أَذْخُلُوا﴾. انظر «الدر المصون» (٨/٥٨٦).

(٣) وذلك على قراءة الأعمش؛ فقد قرأ: (لَا يَحْطِمُكُمْ) بجزم الميم، دون نون التوكيد. وأما مع وجود نون التوكيد.. فهو ضعيف يدفعه نون التوكيد؛ لأنه من ضرورات الشعر. انظر «الدر المصون» (٨/٥٨٧)، و«تفسير النسفي» (٢/٥٤٤).

وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدَيْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ

أُمِّيالٍ، حَمَلَتْهُ إِلَيْهِ الرِّيحُ، فَحَبَسَ جُنْدَهُ حِينَ أَشْرَفَ عَلَى وَاوِيهِمْ، حَتَّى دَخَلُوا بُيُوتَهُمْ،
وَكَانَ جُنْدُهُ رُكْبَانًا وَمُشَاةً فِي هَذَا السَّيْرِ، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾: أَلْهِمْنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾ بِهَـا ﴿عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدَيْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ﴾: الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ.

﴿٢٠﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ لِيَرَى الْهُدْهُدَ الَّذِي يَرَى الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ بِنَقْرِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (في هذا السَّير) أي: في حُصوص سيره على وادي النمل، وكان هو وجنوده في غير هذا
المكان راكبين على البساط، وتسير بهم الريح.

قوله: ﴿عَلَيَّ وَعَلَى﴾ إنما ذكر نعمة والدَّيه تكثيراً للنعمة؛ ليزداد في الشكر عليها.

قوله: ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ على حذف مضاف؛ أي: في جملة عبادك، أو (في) بمعنى
(مع)، والمراد: الكاملون في الصلاح؛ لأن الصلاح مَقُولٌ بالتشكيك^(١)؛ فما من مقامٍ إلا وفوقه
أعلى منه، والكامل يقبل الكمال^(٢).

قوله: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ شروعٌ في القصة الثالثة، والمعنى: نظر في الطير فلم ير الهدد، وكان
سؤاله عن الهدد أنه كان دليلَ سليمان على الماء، وكان يعرف موضعَ الماء تحت الأرض كما يرى
في الزجاجة، ويعرف قربه وبعده، فيتقر في الأرض، ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء
في ساعة يسيرة.

قيل: لما ذكر ذلك ابن عباس.. قيل له: إن الصبي يضع له فخاً ويحثو عليه التراب، فيجيء

(١) المعنى المشترك إذا كانت النسبة فيه متفاضلة.. سماه المصطلحون من باب التشكيك، وإذا كانت النسبة واحدة
سموه متواطئاً، والصلاح هنا نسبته متفاضلة.

(٢) وبهذا أجاب المصنف على من قال: درجات الأنبياء أفضل من درجات الصالحين والأولياء، فما السبب في أن
الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين وقد تمنى يوسف عليه السلام بقوله: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾؟
انظر «السراج المنير» (٥١/٣).

فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ
لَأَأْتِجَنَّه أَوْ لِيَأْتِنِي

فِيهَا فَتَسْتَخْرِجُهُ الشَّيَاطِينُ؛ لِاحْتِيَاجِ سُلَيْمَانَ إِلَيْهِ لِلصَّلَاةِ، فَلَمْ يَرَهُ، ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَٰذِهِ﴾ أَي: أَعْرَضَ لِي مَا مَنَعَنِي مِنْ رُؤْيَيْتِهِ، ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ فَلَمْ أَرَهُ لِغَيْبَتِهِ؟ فَلَمَّا تَحَقَّقَهَا قَالَ:

﴿لَاَعَذِبَتْهُ عَذَابًا﴾ : تَعْذِيبًا ﴿شَدِيدًا﴾ يَنْتَفِ رِيْشُهُ وَذَنْبُهُ وَرَمِيْهِ فِي الشَّمْسِ ،
فَلَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْهَوَامِّ ، ﴿أَوْ لَاَذْبَحَتْهُ﴾ بِقَطْعِ حُلُقُومِهِ ، ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي﴾ - بِنُونٍ مُّشَدَّدَةٍ
مَكْسُورَةٍ ، أَوْ مَفْتُوحَةٍ يَلِيْهَا نُونٌ مَكْسُورَةٌ -

حاشية الصاوى

الهدهد وهو لا يُبصر الفخ حتى يقع في عنقه، فقال ابن عباس: إذا نزل القضاء والقدر.. ذهب اللُّبُّ وعمى البصر^(١).

قيل: ولم يكن له في مسيره إلا هدهد واحد.

قوله: (فتستخرجه الشياطين) أي: بأن تسلخ وجه الأرض عن الماء كما تسلخ الشاة.

قوله: ﴿مَالٍ لَا أَرَىٰ الْهٰذِهْدُ﴾ استفهامٌ استخبار.

قوله: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ (أم): منقطعة تفسر بـ(بل) والهمزة، كأنه لما لم يره.. ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره فقال: ﴿بَلَىٰ لَا أَرَىٰ الْهَدُودَ﴾، ثم احتاط فظهر له أنه غائب، فأضرب عن ذلك، وهو إضراب انتقالي.

قوله: ﴿لَاَعْدِيَّتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ الحَلْف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث؛ فد(أو) بين الكلمتين الأولين للتخير، وفي الثالث للترديد بينه وبينهما، فهي في الأخير بمعنى (إلا).

قوله: (بَتَف ريشه) هذا أحد أقوال في معنى التعذيب، وقيل: هو أن يحشره مع غير أبناء جنسه، وقيل: هو أن يطلى بالقَطْرَان ويوضع في الشمس.

قوله: (بنون مشددة... إلخ) أي: والقراءتان سبعيتان^(٢).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٠٦/٢).

(٢) قرأ ابن كثير بنون التوكيد المشددة، بعدها نون الوقاية. وهذا هو الأصل، واتبع مع ذلك رسم مصحفه، والباقون بنون مشددة فقط. انظر «الدر المصون» (٨/٥٩٢).

.....

حاشية الصاوي

قال: فأقام بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً، وسار نحو اليمن، فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسافة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهُو خضرتها، فأحبَّ النزول بها؛ ليصلي ويتغدى، فلماً نزل.. قال الهدهد: قد اشتغل سليمان بالنزول، فارتفع نحو السماء ينظر إلى طول الدنيا وعرضها، ففعل ذلك، فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً رأى بستاناً لبَلْقَيْسَ، فنزل إليه فإذا بهدهد آخر، وكان اسم هدهد سليمان يَعْفُور، وهدهد اليمن عفير، قال عفير ليعفور: من أين أَقْبَلْتَ؟ قال: أَقْبَلْتُ من الشام مع صاحبي سليمان بن داوود، قال: ومن سليمان؟ قال: ملك الإنس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح؛ فَمِنْ أَيْنَ أنت؟ قال عفير: أنا من هذه البلاد، قال: وَمَنْ ملكها؟ قال: امرأة يقال لها: بلقيس، وإنَّ لصاحبك ملكاً عظيماً، ولكن ليس ملك بلقيس دونه؛ فإنها تملك اليمن، وتحت يدها أربع مئة ملك؛ كل ملك على كورة، مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل، ولها ثلاث مئة وزير يدبِّرون ملكها، ولها اثنا عشر قائداً، مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل، فهل أنت منطلقٌ معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يَتَفَقَدَنِي سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء، قال الهدهد اليماني: إنَّ صاحبك يسرُّه أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس ومُلْكها.

فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ

﴿٢٢﴾ ﴿فَمَكَتْ﴾ - بِضَمِّ الْكَافِ وَفَتْحِهَا - ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أَي: يَسِيرًا مِنَ الزَّمَانِ وَحَضَرَ

حاشية الصاوي

وأما سليمان . . فإنه نزل على غير ماء، فسأل عن الماء الجن والإنس، فلم يعلموا، فتفقد الهدد فلم يره، فدعا بعريف الطير وهو النسْر، فسأله عن الهدد، فقال: أصلح الله الملك ما أدري أين هو، وما أرسلته إلى مكان، فعُضِبَ سليمان وقال: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ . . الآية، ثم دعا بالعُقاب وهو أشدُّ الطير طيراناً، فقال له: عليَّ بالهدد الساعة، فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم، ثم التفت يمينا وشمالاً، فرأى الهدد مقبلاً من نحو اليمن، فانقضَّ العقاب يُريده، وعلم الهدد أنَّ العُقاب يقصده بسوء، فقال: بحق الذي قَوَّاك وأقدرك عليَّ إلا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، فتركه العُقاب وقال: ويلك ثكلتك أمك، إنَّ نبيَّ الله قد حلف أن يعذِّبك أو يذبحك، فصارا متوجَّهين نحو سليمان عليه الصلاة والسلام، فلمَّا انتهيا إلى العسكر . . تلقَّاه النسْر والطير وقالوا له: ويلك أين غبت في يومك هذا؟ فلقد تَوعدك نبيُّ الله وأخبراه بما قال سليمان، فقال الهدد: أو ما استثنى نبيُّ الله؟ فقالوا: بلى إنه قال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾، فقال: نجوتُ إذاً.

وكان غيبته من الزوال ولم يرجع إلا بعد العصر، فانطلق به العُقاب حتى أتيا سليمان، وكان قاعداً على كرسيه، فقال العُقاب: قد أتيتك به يا نبيَّ الله، فلمَّا قرب منه الهدد . . رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان عليه الصلاة والسلام، فلمَّا دنا منه . . أخذ برأسه فمدَّه إليه وقال له: أين كنت؟ لأعذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا، فقال: يا نبيَّ الله؛ اذكر وقوفك بين يدي الله عزَّ وجلَّ، فلمَّا سمع سليمان عليه السلام ذلك . . ارتعد وعفا عنه، ثم سأله: ما الذي أبطأك عني؟ فقال الهدد: ﴿أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ . . .﴾ إلى آخره.

قوله: ﴿فَمَكَتْ﴾ (أي: الهدد).

قوله: (بضم الكاف وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان، والأول من باب (قُرب)، والثاني من باب (نَصَر)^(١).

قوله: (أي: يسيراً من الزمان) أي: وهو من الزوال إلى العصر.

(١) قرأ عاصم بفتح الكاف، والباقون بضمها، وهما لغتان، إلا أن الفتح أشهر. انظر «الدر المصون» (٨/٥٩٣).

فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتٌ بَقِيَّةٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ

لِسُلَيْمَانَ مُتَوَاضِعاً يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَإِرْخَاءَ ذَنْبِهِ وَجَنَاحِيهِ، فَعَفَا عَنْهُ وَسَأَلَهُ عَمَّا لَقِيَ فِي غَيْبَتِهِ، ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي: أَطْلَعْتُ عَلَى مَا لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ، ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ - بِالصَّرْفِ وَتَرْكِهِ - قَبِيلَةَ الْيَمَنِ، سُمِّيَتْ بِاسْمِ جَدِّ لَهُمْ بِاعْتِبَارِهِ صُرْفٍ، ﴿بِنْتٌ﴾: خَبِيرٌ ﴿بَقِيَّةٍ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي: هِيَ مَلِكَةٌ لَهُمْ اسْمُهَا بَلْقِيسُ،

حاشية الصاوي

قوله: (فعفا عنه) أي: من أول الأمر قبل أن يذكر العذر.

قوله: (وسأله عما لقي في غيبته) قدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ...﴾ إلخ مفرغ على محذوف.

قوله: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي: علمت ما لم تعلمه أنت ولا جنودك، وفي هذا تنبيه إلى أن الله تعالى أرى سليمان عجزه؛ لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهي ثلاث مراحل.

قوله: (بالصرف وتركه) أي: فهما قراءتان سبعيتان؛ فالصرف نظراً إلى أنه اسم رجل، وتركه نظراً إلى أنه اسم القبيلة للعلمية والتأنيث^(١).

قوله: (اسمها بلقيس) بالكسر، بنت شراحيل، من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكاً هي آخرهم، وكان الملك يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحدٌ منكم كُفئاً لي، وأبى أن يتزوج فيهم، فخطب إلى الجن، فزوجه امرأة منهم يقال لها: ربحانة بنت السكن، قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم: أنه كان كثير الصيد، فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الأطباء فيخلّي عنهم، فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقاً، فخطب ابنته فزوجه إياها^(٢).

(١) قرأ البزي وأبو عمرو بفتح الهمزة، وقرأ قنبل بسكون الهمزة، كأنه نوى الوقف وأجرى الوصل مجراه، والباقون بالجر والتنوين. انظر «الدر المصون» (٨/٥٩٤).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/٣٤٣).

وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ مِنَ الْآلَةِ وَالْعُدَّةِ، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾: سَرِيرٌ ﴿عَظِيمٌ﴾ طُولُهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعاً وَعَرْضُهُ أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً وَارْتِفَاعُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعاً، مَضْرُوبٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، مُكَلَّلٌ بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ وَالزَّبَرْجَدِ الْأَخْضَرِ وَالزُّمُرْدِ، وَقَوَائِمُهُ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ وَالزَّبَرْجَدِ الْأَخْضَرِ وَالزُّمُرْدِ، عَلَيْهِ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَيْتٍ بَابٌ مُغْلَقٌ.

﴿٢٤ - ٢٥﴾ ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: طَرِيقِ الْحَقِّ، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴿٢٥﴾ أَيُّ: أَنْ يَسْجُدُوا

حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عطف على قوله: ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾؛ لأنه بمعنى: مَلِكْتُهُمْ^(١)، قال ابن عباس: كان يخدمها ستُّ مئة امرأة.

قوله: (يحتاج إليه الملوك) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عامٌّ أريد به الخصوص. قوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ أي: تجلس عليه، ووصفه بالعظم بالنسبة إلى ملوك الدنيا، وأما وصف عرش الله بالعظم.. فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السماوات والأرض وما بينهما، فحصل الفرق.

قوله: (طوله ثمانون ذراعاً... إلخ) وقيل: طوله ثمانون، وعرضه كذلك، وارتفاعه في الهواء كذلك.

قوله: (عليه سبعة أبواب) صوابه: آيات؛ بدليل قوله: (على كل بيت باب مغلق).

قوله: ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ أي: فهم مَجُوسٌ.

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴿٢٥﴾ ذكر ذلك ردّاً على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادرٌ على من في السماوات والأرض، عالمٌ بجميع المعلومات.

(١) ويجوز أن يكون في محل نصب على الحال من مرفوع (تملكهم)، و(قد) معها مضمرة عند من يرى ذلك. انظر الدر المصون (٨/٥٩٧).

الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾

له، فزِيدَت (لا) وأدغِمَ فِيهَا نُونَ (أَنْ) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]، وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلٍّ مَفْعُولٍ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ بِإِسْقَاطِ (إِلَى)، ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾: مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَخْبُوءِ مِنَ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ﴾ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بِالسَّيْتِهِمْ.

﴿٢٦﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ اسْتِنَافٌ جُمْلَةٌ ثَنَاءٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى عَرْشِ الرَّحْمَنِ فِي مُقَابَلَةِ عَرْشِ بَلْقِيسَ، وَبَيْنَهُمَا بَوْنٌ عَظِيمٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ تَكُونُ (أَنْ) نَاصِبَةً، وَ(لَا) زَائِدَةً، وَ﴿يَسْجُدُوا﴾ فَعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ بـ(أَنْ)، وَعَلَامَةٌ نَصْبِهِ حَذْفُ النُّونِ، وَالْوَاوُ: فَاعِلٌ، وَعَلَيْهَا: فَلَا يَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَى ﴿يَهْتَدُونَ﴾؛ لِأَنَّهُ مِنْ تَمَتُّهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَهَمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى أَنْ يَسْجُدُوا.

وَقَرَأَ الْكَسَائِيُّ بِتَخْفِيفِ (لَا)، وَتَوَجَّيْهُهَا أَنْ يَقَالَ: إِنْ (أَلَا) لِلْإِفْتِتَاحِ، وَ(يَا): حَرْفُ تَنْبِيهِ، وَ(اسْجُدُوا): فَعْلٌ أَمْرٌ، لَكِنْ سَقَطَتِ أَلِفُ (يَا) وَهَمْزَةُ الْوَصْلِ مِنْ (اسْجُدُوا) خَطًّا، وَوُصِلَتِ الْيَاءُ بِسِينِ (اسْجُدُوا)، فَاتَّحَدَتِ الْقِرَاءَتَانِ لَفْظًا وَخَطًّا.

وَهُنَاكَ وَجْهٌ آخَرُ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ، وَهُوَ أَنَّ (يَا): حَرْفُ نِدَاءٍ، وَالْمَنَادَى مُحذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: أَلَا يَا هَؤُلَاءِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ؛ لِثَلَاثِ يَوْدِيٍّ إِلَى حَذْفِ كَثِيرٍ مِنْ غَيْرِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمُحْذُوفِ.

قوله: (مِنَ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مَرَّتَيْنِ، فَالْمَطَرُ هُوَ الْمَخْبُوءُ فِي السَّمَاوَاتِ، وَالنَّبَاتُ هُوَ الْمَخْبُوءُ فِي الْأَرْضِ.

قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ اعْلَمَ: أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الْهَدَّادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾ إِلَى هُنَا إِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ لِحَقِيقَةِ عَقِيدَتِهِ وَعِلْمِهِ الَّتِي اقْتَبَسَهَا مِنْ سُلَيْمَانَ، وَلَيْسَ دَاخِلًا تَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْهَدَّادُ ذَلِكَ؛ لِئُغْرِيَ سُلَيْمَانَ عَلَى قِتَالِهِمْ، وَلِيُبَيِّنَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِثْلٌ لَهُمْ، بَلْ إِنَّمَا غَرَضُهُ وَصْفُ مُلْكِهِ.

قوله: (وَبَيْنَهُمَا بَوْنٌ) أَي: فَضْلٌ وَمَزِيَّةٌ.

قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَذَا فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى

﴿٢٧﴾ قَالَ: سُلَيْمَانُ لِلْهُدْهِدِ: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فِيمَا أَخْبَرْتَنَا بِهِ، ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أَي: مِنْ هَذَا النَّوعِ، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ (أَمْ كَذَبْتَ فِيهِ)، ثُمَّ دَلَّاهُمْ عَلَى الْمَاءِ فَاسْتُخْرِجَ وَارْتَوَوْا وَتَوَضَّؤُوا وَصَلُّوا، ثُمَّ كَتَبَ سُلَيْمَانُ كِتَابًا صُورَتُهُ: «مِنْ عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ إِلَى بَلْقَيْسَ مَلِكَةِ سَبَأَ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى؛ أَمَّا بَعْدُ، فَلَا تَعْلَوْا عَلَيَّ، وَاثْنُونِي مُسْلِمِينَ»، ثُمَّ طَبَعَهُ بِالْمِسْكِ وَخَتَمَهُ بِخَاتَمِهِ، ثُمَّ قَالَ لِلْهُدْهِدِ:

﴿٢٨﴾ أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَذَا فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ أَي: بَلْقَيْسَ وَقَوْمِهَا، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾: انصَرَفَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ﴾ هذه الجملة مستأنفة، واقعة في جواب سؤال مقدر، تقديره: فماذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر؟

قوله: (فهو أبلغ من: «أم كذبت») أي: لأنه يُفيد أنه إن كان كاذباً في هذه الحادثة.. كان معدوداً من الكاذبين ومحسوباً منهم، والكذب له عادة، وليست فلتة يعفى عنه فيها؛ لأنَّ الكذب على الأنبياء أمرٌ عظيمٌ.

قوله: (من عبد الله) خصَّ هذا الوصف؛ لأنه أشرف الأوصاف، وقُدِّمَ اسمه على البسملة؛ لأنها كانت في ذلك الوقت كافرةً، فخاف أن تستخفَّ باسم الله، فجعل اسمه وقايةً لاسم الله تعالى.

قوله: (السَّلام على من اتبع الهدى) أي: أمانُ الله على من اتَّبَعَ طريقَ الحقِّ وترك الضَّلالَ.

قوله: (فلا تعلوا عليّ) أي: لا تتكبروا.

قوله: (مسلمين) أي: منقادين لدين الله، وفي هذا الخطاب إشعارٌ بأنه رسولٌ من عند الله، يدعوهم إلى دين الله، وليس مُطلقَ سلطانٍ، وإلا.. لقال: واثنوني طائعين.

قوله: (ثم طبعه بالمسك) أي: جعل عليه قطعة مسكٍ كالشَّمعِ.

قوله: ﴿فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ﴾ إمَّا بسكون الهاء، أو كسرهما من غير إشباع، أو بإشباع، ثلاث قراءات سبعيات^(١).

(١) قرأ أبو عمرو وحزمة وأبو بكر بإسكان الهاء، وقالون بكسرها فقط من غير صلة بلا خلاف عنه، وهشام عنه وجهان: بالقصر والصلة، والباقون بالصلة بلا خلاف. انظر «الدر المصون» (٦٠٧/٨).

عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي

﴿عَنْهُمْ﴾ وَقِفْ قَرِيباً مِنْهُمْ، ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: يَرُدُّونَ مِنَ الْجَوَابِ، فَأَخَذَهُ وَأَتَاهَا وَحَوْلَهَا جُنْدُهَا، وَأَلْقَاهُ فِي حَجْرِهَا، فَلَمَّا رَأَتْهُ ارْتَعَدَتْ وَخَضَعَتْ خَوْفاً، ثُمَّ وَقَفَتْ عَلَى مَا فِيهِ.

(﴿٢٩﴾ - ﴿٣١﴾) ثُمَّ ﴿قَالَتْ﴾ لِأَشْرَافِ قَوْمِهَا: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَقَلْبِ الثَّانِيَةِ وَאוْأْ مَكْسُورَةٍ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾﴾ إِنْ جَعَلَ (انظر) بِمَعْنَى: اَنْتَظِرْ. . فـ﴿مَاذَا﴾ بِمَعْنَى: الَّذِي، و﴿يَرْجِعُونَ﴾: صَلَّتْهُ، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، وَيَكُونُ (مَا) مَفْعُولُ ﴿يَرْجِعُونَ﴾، وَالْمَعْنَى: اَنْتَظِرِ الَّذِي يَرْجِعُونَهُ، وَإِنْ جَعَلَ بِمَعْنَى: تَأَمَّلْ وَتَفَكَّرْ. . كَانَتْ (مَا) اسْتِفْهَامِيَّةً، وَ(ذَا) بِمَعْنَى: الَّذِي، و﴿يَرْجِعُونَ﴾: صَلَّتْهَا، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: أَيُّ شَيْءٍ الَّذِي يَرْجِعُونَهُ، وَالْمَوْصُولُ هُوَ خَبَرُ (مَا) الْاسْتِفْهَامِيَّةِ، أَوْ ﴿مَاذَا﴾ كُلُّهَا اسْمٌ وَاحِدٌ مَفْعُولٌ لـ﴿يَرْجِعُونَ﴾، تَقْدِيرُهُ: أَيُّ شَيْءٍ يَرْجِعُونَ؟
قوله: (من الجواب) بَيَانٌ لـ(مَا).

قوله: (وَأَتَاهَا وَحَوْلَهَا جُنْدُهَا... إلخ) وَقِيلَ: أَتَاهَا فَوَجَدَهَا نَائِمَةً، وَقَدْ غَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَوَضَعَتْ الْمَفَاتِيحَ تَحْتَ رَأْسِهَا، وَكَذَلِكَ كَانَتْ تَفْعَلُ إِذَا رَقَدَتْ، فَأَلْقَى الْكِتَابَ عَلَى نَحْرِهَا.
وقيل: كَانَتْ لَهَا كُرَةٌ مُسْتَقْبِلَةُ الشَّمْسِ تَقَعُ فِيهَا حِينَ تَطْلُعُ، فَإِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهَا. . سَجَدَتْ لَهَا، فَجَاءَ الْهَدَّهْدُ، فَسَدَّ الْكُوءَ بِجَنَاحَيْهِ، فَارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ تَعْلَمْ، فَلَمَّا اسْتَبْطَأَتِ الشَّمْسُ. . قَامَتْ تَنْظُرُ، فَرَمَى بِالصَّحِيفَةِ إِلَيْهَا.

قوله: (فَلَمَّا رَأَتْهُ ارْتَعَدَتْ) أَي: حِينَ وَجَدَتْ الْكِتَابَ مَخْتُوماً ارْتَعَدَتْ؛ لِأَنَّ مَلِكَ سُلَيْمَانَ كَانَ فِي خَاتَمِهِ، وَعَرَفَتْ أَنَّ الَّذِي أَرْسَلَ الْكِتَابَ أَعْظَمُ مُلْكاً مِنْهَا، فَقَرَأَتْ الْكِتَابَ، وَتَأَخَّرَ الْهَدَّهْدُ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَجَاءَتْ حَتَّى قَعَدَتْ عَلَى سُرِيرِ مَلِكِهَا، وَجَمَعَتْ أَشْرَافَ قَوْمِهَا.

قوله: (بِقَلْبِهَا وَاوْ مَكْسُورَةٍ) الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: وَتَسْهِيلُ الثَّانِيَةِ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْيَاءِ، أَوْ قَلْبِهَا وَاوْأْ. . . إلخ، فَالْقَرَاءَاتُ ثَلَاثٌ سَبْعِيَّاتٌ^(١).

(١) قَرَأَ الْمَدْنِيُّانِ وَالْمَكِّيُّ وَالْبَصْرِيُّ وَرُوِيَ بِتَسْهِيلِهَا بَيْنَ بَيْنٍ، وَعَنْهُمْ أَيْضاً إِبْدَالُهَا وَاوْأْ خَالِصَةً مَكْسُورَةٍ، وَالْبَاقُونَ بِتَحْقِيقِهَا. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٤١).

أَلْفَىٰ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾

﴿أَلْفَىٰ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾: مَخْتُومٌ، ﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُمْ﴾: أَي: مَضْمُونُهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَقَلْبِ الثَّانِيَةِ وَאוْ - أَي: أَشِيرُوا عَلَيَّ ﴿فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: قَاضِيَّتُهُ ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾: تَحْضُرُونَ.

﴿٣٣﴾ ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أَي: أَصْحَابُ شِدَّةٍ فِي الْحَرْبِ، ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: نَا نُطْعُكَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنِّي أَلْفَىٰ إِلَيْكَ﴾... إلخ) لم تذكر صورة الكتاب، بل اقتضت على ما فيه الفائدة؛ لشدة معرفتها وبلاغة لفظها.

قوله: ﴿كَرِيمٌ﴾: أَي: مَكْرَمٌ مَعْظَمٌ.

قوله: (مختوم) أَي: لِأَنَّ الْكِتَابَ الْمَخْتُومَ يُشْعِرُ بِالْإِعْتِنَاءِ بِالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ؛ لِمَا وَرَدَ: مَنْ كَتَبَ إِلَىٰ أَخِيهِ كِتَابًا وَلَمْ يَخْتُمْهُ... فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِهِ^(١).

قوله: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ﴾) جملة مستأنفة وقعت جواباً لسؤالٍ مقدَّر، تقديره: ماذا مضمونه؟

قوله: ﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ﴾) أَي: الْأَشْرَافُ؛ سَمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ يَمْلَأُونَ الْعُيُونَ بِمَهَابَتِهِمْ، وَكَانُوا ثَلَاثَ مِئَةِ وَائِثِي عَشَرَ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشْرَةُ آلَافٍ مِنَ الْإِتْبَاعِ.

قوله: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾) أَي: إِنَّ عَادَتِي مَعَكُمْ لَا أَفْعَلُ أَمْرًا حَتَّىٰ أَشَاوِرَكُمْ.

قوله: ﴿نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةٍ﴾... إلخ) اسْتُفِيدَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَشَارُوا عَلَيْهَا بِالْقِتَالِ أَوَّلًا، ثُمَّ رَدُّوا الْأَمْرَ إِلَيْهَا.

قوله: (نُطْعُكَ) مجزوم في جواب الأمر.

(١) نقله الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٠٦/٧) من كلام ابن المقفع.

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿٣٤﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا بِالتَّخْرِيبِ، ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مُرْسِلُو الْكِتَابِ.

﴿٣٥﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ مِنْ قَبُولِ الْهَدِيَّةِ أَوْ رَدِّهَا؛ إِنْ كَانَ مَلِكًا قَبْلَهَا أَوْ نَبِيًّا لَمْ يَقْبَلْهَا، فَأَرْسَلَتْ خَدَمًا ذُكُورًا وَإِنَاثًا أَلْفًا بِالسَّوِيَّةِ، وَخَمْسَمِائَةٍ لَبِنَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَتَاجًا مُكَلَّلًا بِالْجَوَاهِرِ، وَمِسْكَاً وَعَنْبَرًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مَعَ رَسُولٍ بِكِتَابٍ، فَأَسْرَعَ الْهُدْهُدُ إِلَى سُلَيْمَانَ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ، فَأَمَرَ أَنْ تُضْرَبَ لَبِنَاتُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْ تُبْسَطَ مِنْ مَوْضِعِهِ إِلَى تِسْعَةِ فَرَاسِخٍ مِيدَانًا، وَأَنْ يَبْنُوا حَوْلَهُ حَائِطًا مُبْشِرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْ يُؤْتَى بِأَحْسَنِ دَوَابِّ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَعَ أَوْلَادِ الْجِنِّ عَنْ يَمِينِ الْمِيدَانِ وَشِمَالِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ﴾... إلخ) أي: فلم ترضَ بالحرب الذي أشاروا عليها به، بل اختارت الصلح، وبيّنت سببه.

قوله: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ أي: عَنُوةً.

قوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: منتظرة رجوع الرسل وعودهم إليّ.

قوله: (إِنْ كَانَ مَلِكًا... قَبْلَهَا) أي: وَقَاتَلَنَاهُ.

قوله: (أَوْ نَبِيًّا... لَمْ يَقْبَلْهَا) أي: وَاتَّبَعْنَاهُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ لَبِيَّةً عَاقِلَةً تَعْرِفُ سِيَاسَةَ الْأُمُورِ.

قوله: (أَلْفًا بِالسَّوِيَّةِ) أي: خَمْسَ مِائَةِ ذَكَرٍ، وَخَمْسَ مِائَةِ أُنْثَى.

قوله: (فَأَمَرَ أَنْ تُضْرَبَ لَبِنَاتُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) أي: كَمَا يُضْرَبُ الطِّينُ.

قوله: (وَأَنْ تُبْسَطَ مِنْ مَوْضِعِهِ) أي: تُوَضَعَ فِي الْأَرْضِ كَالْبَلَاطِ.

قوله: (إِلَى تِسْعَةِ فَرَاسِخٍ) أي: وَهُوَ مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَثَمَنُ يَوْمٍ.

قوله: (وَأَنْ يَبْنُوا) أي: الْجِنُّ.

قوله: (عَنْ يَمِينِ الْمِيدَانِ وَشِمَالِهِ) أي: وَقَصْدُهُ بِذَلِكَ إِظْهَارُ الْبَاسِ وَالشَّدَةِ.

وحاصلُ تفصيل تلك القصة: أَنَّ بَلْقِيسَ عَمَدَتْ إِلَى خَمْسِ مِائَةِ جَارِيَةٍ، فَأَلْبَسَتْ الْجَوَارِيَّ لِبَاسَ الْغُلَمَانِ؛ الْأَقْبِيَةَ وَالْمَنَاطِقَ، وَأَلْبَسَتْ الْغُلَمَانَ لِبَاسَ الْجَوَارِي، وَجَعَلَتْ فِي أَيْدِيهِمْ أَسَاوِرَ الذَّهَبِ،

حاشية الصاوي

وفي أعناقهم أطواق الذهب، وفي آذانهم أقراطه وشنوفاً مرصّعات بأنواع الجواهر، وحملت الجوّاري على خمس مئة فرس، والغلمان على خمس مئة برذون، على كلّ فرسٍ سرجٌ من ذهب مرصّع بالجواهر، وأغشية الديباج، وبعثت إليه لِبَنَاتٍ من ذهب، وَلِبَنَاتٍ من فضة، وتاجاً مكلّلاً بالذُّرِّ والياقوت، وبعثت بالمسك والعنبر والعود، وعمّدت إلى حقّة جعلت فيها درّةً ثمينةً غير مثقوبة، وخرزة جزع معوجّة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له: المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب عقل ورأي، وكتبت مع المنذر كتاباً تذكر فيه الهدية، وقالت: إن كنت نبياً.. فميّز الوُصفاء والوصائف، وأخبرنا بما في الحقّة قبل أن تفتحها، واثقب الدرّة ثقباً مستويّاً، وأدخل الخرزة خيطاً من غير علاج إنس ولا جنّ.

وأمرت بلقيس الغلمان فقالت: إذا كلّمكم سليمان.. فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخيّث، فيشبه كلام النساء، وأمرت الجوّاري أن يكلموه بكلام فيه غِلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه؛ فإن نظر إليك نظراً فيه غضب.. فاعلم أنه ملكٌ فلا يهولتك منظره، فأنا أعزُّ منه، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً.. فاعلم أنه نبيّ، فتفهّم قوله، ورُدّ الجواب.

فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان، فأخبره الخبر، فأمر سليمان الجنّ أن يضرّبوا لِبَنَاتِ الذهب والفضة، ففعلوا، وأمرهم بعمل ميدانٍ مقدار تسع فراسخ، وأن يُقرشَ فيه لِبِنُ الذهب والفضة، وأن يخلّوا قدر تلك اللّبنات التي معهم، وأن يعملوا حول الميدان حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة، ففعلوا، ثم قال سليمان: أيُّ دوابِّ البر والبحر أحسن؟ فقالوا: يا نبيّ الله؛ رأينا في بحر كذا دوابّ مختلفة ألوانها، لها أجنحة وأعراف ونواص، قال: عليّ بها، فأتوا بها، قال: شدّوها عن يمين الميدان وشماله، وقال للجنّ: عليّ بأولادكم، فاجتمع منهم خلقٌ كثيرٌ، فأقامهم على يمين الميدان وشماله، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريرته، ووضع أربعة آلاف كرسي على يمينه وعلى شماله، وأمر الجنّ والإنس والشياطين والوحوش والسباع والطيور، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله. فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدوابّ التي لم يروا مثلها تروث على لِبِنِ الذهب والفضة.. تقاصرت إليهم أنفسهم، ووضعوا ما معهم من الهدايا.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أَتِيدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ
تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٣٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولَ بِالْهَدِيَّةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ ﴿سُلَيْمَنَ قَالَ أَتِيدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَنِيَ اللَّهُ﴾
مِنَ النَّبُوءَةِ وَالْمُلْكِ ﴿خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُم﴾ مِنَ الدُّنْيَا، ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لِفَخْرِكُمْ
بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا.

حاشية الصاوي

وقيل: إنَّ سليمان لما فرش الميدان بلِّينات الذهب والفضة.. ترك من طريقهم موضعاً على قدر
ما معهم من اللَّبَنَات، فلما رأى الرسل موضع اللَّبَنَات خالياً.. خافوا أن يُتَّهَمُوا بذلك، فَوَضَعُوا
ما معهم من اللَّبَنِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِع، ولما نظروا إلى الشياطين.. هَالَهُمْ مَا رَأَوْا وَفَزَعُوا، فَقَالَتْ لَهُمُ
الشياطين: جُوزُوا، لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ، وَكَانُوا يَمْرُونَ عَلَى كِرَادِيسِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ حَتَّى
وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيِ سُلَيْمَانَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِ طَلْقٍ وَتَلَقَّاهُمْ مُتَلَقِّ حَسَنًا، وَسَلَّاهُمْ عَنْ حَالِهِمْ، فَأَخْبَرَهُ
رئيس القوم بما جَاؤُوا بِهِ، وَأَعْطَاهُ كِتَابَ الْمَلِكَةِ، فَنَظَرَ فِيهِ وَقَالَ: أَيْنَ الْحَقَّةُ؟ فَأَتَى بِهَا وَحَرَّكَهَا،
فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ فِيهَا دَرَّةً ثَمِينَةً غَيْرَ مَثْقُوبَةٍ، وَجَزْعَةً، فَقَالَ
الرَّسُولُ: صَدَقْتَ، فَاتَّقُبْ الدَّرَّةَ وَأَدْخِلِ الْخِيْطَ فِي الْجَزْعَةِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: مَنْ لِي بِثَقْبِهَا؟ وَسَأَلَ
الْإِنْسَ وَالْجِنَّ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ ذَلِكَ، ثُمَّ سَأَلَ الشَّيَاطِينَ، فَقَالُوا: تَرْسُلُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَمَّا
جَاءَتِ الْأَرْضَ.. أَخَذَتِ شَعْرَةً فِي فَمِهَا وَدَخَلَتْ فِيهَا حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَقَالَ لَهَا
سُلَيْمَانُ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: تُصَيِّرُ رِزْقِي فِي الشَّجَرِ، فَقَالَ لَهَا: لَكَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ لِهَذِهِ
الْخَرْزَةِ؟ فَقَالَتْ دُودَةٌ بَيْضَاءُ: أَنَا لَهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَتِ الدُّودَةُ خِيْطًا فِي فَمِهَا وَدَخَلَتْ الثَّقْبَ حَتَّى
خَرَجَتْ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: يَكُونُ رِزْقِي الْفَوَاكِهِ، فَقَالَ: لَكَ
ذَلِكَ.

ثم مَيَّزَ بَيْنَ الْغُلَّامِ وَالْجَوَارِي؛ بِأَنْ أَمْرَهُمْ أَنْ يَغْسِلُوا وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ، فَجَعَلَتِ الْجَارِيَةُ تَأْخُذُ
الْمَاءَ بِيَدِهَا وَتَضْرِبُ بِهَا الْآخَرَى وَتَغْسِلُ وَجْهَهَا، وَالْغُلَامُ يَأْخُذُ الْمَاءَ بِيَدَيْهِ وَيَضْرِبُ بِهِ وَجْهَهُ، وَكَانَتِ
الْجَارِيَةُ تَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى بَاطِنِ سَاعِدَيْهَا، وَالْغُلَامُ يَصُبُّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَمَيَّزَ بَيْنَ الْغُلَّامِ وَالْجَوَارِي،
ثُمَّ رَدَّ سُلَيْمَانُ الْهَدِيَّةَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ...﴾ إِلَى آخِرِهِ.
قَوْلُهُ: ﴿قَالَ أَتِيدُونَنِي﴾... إلخ استفهامٌ توبيخٌ؛ أَي: لَا يَنْبَغِي لَكُمْ ذَلِكَ.

أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَبَتَأُهَا الْمَلَأُوا أَيْكُكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾

﴿٣٧﴾ ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بِمَا أُتِيَ بِهِ مِنَ الْهَدِيَّةِ، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ﴾ : لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ : مِنْ بِلَدِهِمْ سَبَأً، سُمِّيَتْ بِاسْمِ أَبِي قَبِيلَتِهِمْ ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إِنْ لَمْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهَا الرَّسُولُ بِالْهَدِيَّةِ جَعَلَتْ سَرِيرَهَا دَاخِلَ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ دَاخِلَ قَصْرِهَا، وَقَصْرَهَا دَاخِلَ سَبْعَةِ قُصُورٍ، وَأَغْلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَجَعَلَتْ عَلَيْهَا حَرَسًا، وَتَجَهَّزَتْ لِلْمَسِيرِ إِلَى سُلَيْمَانَ لِتَنْظُرَ مَا يَأْمُرُهَا بِهِ، فَارْتَحَلَتْ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ قَيْلٍ، مَعَ كُلِّ قَيْلٍ أُلُوفٌ كَثِيرَةٌ، إِلَى أَنْ قَرَبَتْ مِنْهُ عَلَى فَرَسَخٍ شَعْرَ بِهَا.

﴿٣٨﴾ ﴿قَالَ يَبَتَأُهَا الْمَلَأُوا أَيْكُكُمْ﴾ - فِي الْهَمْزَتَيْنِ مَا تَقَدَّمَ - ﴿يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ :

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ حال ثانية مؤكدة للأولى.

قوله: (أي: إن لم يأتوني مسلمين) أفاد بذلك أنَّ يمين سليمان معلق على عدم إتيانهم مسلمين.

قوله: (داخل سبعة أبواب) صوابه: أبيات، وتقدم أنه داخل سبعة أبيات، فيكون حيثن في داخل أربعة عشر بيتاً.

قوله: (حرساً) بفتحيتين جمع: حارس.

قوله: (قيل) بفتح القاف؛ أي: ملك، سمي بذلك؛ لأنه ينقذ ما يقول.

قوله: (إلى أن قربت منه) أي: من سليمان.

قوله: (شعر بها) أي: علم، وذلك أنه خرج يوماً فجلس على سريره، فسمع رَهْجاً قريباً منه^(١)،

فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان، وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان.

قوله: ﴿يَبَتَأُهَا الْمَلَأُوا﴾ الخطاب لكل من عنده من الجن والإنس وغيرهما.

قوله: (ما تقدم) أي: من التحقيق، أو قلب الثانية واواً^(٢).

قوله: ﴿أَيْكُكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا﴾ أي: وكان سليمان إذ ذاك في بيت المقدس، وعرشها في سبأ،

وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين.

(١) كذا في النسخ، ولعل الصواب: (فراى رهجاً قريباً منه)، والرَّهْجُ: الغبار. وانظر «تفسير الخازن» (٣/٣٤٧).

(٢) أبدل الثانية واواً المديان والمكي والبصري ورويس، وحققها الباقون. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٣٦).

قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ

مُنْقَادِينَ طَائِعِينَ، فليأخذه قبل ذلك لا بعده.

﴿٣٩﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴿هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ﴾: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ الَّذِي تَجْلِسُ فِيهِ لِلْقَضَاءِ، وَهُوَ مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أَي: عَلَى حَمْلِهِ، ﴿أَمِينٌ﴾ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا، قَالَ سُلَيْمَانُ: أُرِيدُ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ. ﴿٤٠﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴿الْمُنْزَلُ وَهُوَ آصِفُ بْنُ بَرْخِيَا،﴾

حاشية الصاوي

قوله: (فليأخذه قبل ذلك) أي: قبل إتيانهم مُسْلِمِينَ؛ لأنهم حُرِّيُونَ حِينَئِذٍ.

قوله: (لا بعده) أي: لأنَّ إسلامهم يعصمُ مالهم، وهذا بحسب الظاهر، وأمَّا باطن الأمر.. فقصده أن يَبْهَرَ عقلها بالأمور المستغربة؛ لتزيد إيماناً.

قوله: ﴿عِفْرِيتٌ﴾ بكسر العين، وقرئ شذوذاً بفتحها^(١).

قوله: (وهو القوي) أي: وكان مثل الجبل يَضَعُ قدمه عند منتهى طرفه، وكان اسمه ذكوان، وقيل: صخر.

قوله: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ﴾ يحتمل أنه فعل مضارع أصله: أَتَيْتُ بِهِمَزَتَيْنِ، أبدلت الثانية ألفاً، ويحتمل أنه اسم فاعل ك: ضارب وقائم.

قوله: ﴿مِّنَ مَّقَامِكَ﴾ أي: مَجْلِسِكَ.

قوله: (أسرع من ذلك) أي: لأنَّ المقصودَ الإتيانُ به قبل أن تَقْدَمَ هي، والحال أنَّ بين قدومها مسيرة ساعة ونصف، ومجلسه من الغداة إلى نصف النهار.

قوله: ﴿عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي: وهو التوراة، وهو آصف بن بَرْخِيَا بالمد والقصر، وكان وزير سليمان، وقيل: كاتبه، وكان من أولياء الله تعالى، وقيل: الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب هو جبريل، وقيل: الخضر، وقيل: ملك آخر، وقيل: سليمان نفسه، وعلى هذا: فالخطاب في قوله: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ﴾ لِلْعِفْرِيتِ، وما مشى عليه المفسر هو المشهور.

(١) وبها قرأ أبو حيو. انظر «الدر المصون» (٦١٤/٨).

أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي
ءَأَشْكُرُ

كان صِدِّيقاً يَعْلَمَ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أُجِيبَ: ﴿أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إِذَا نَظَرَتْ بِهِ إِلَى شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُ: انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ رَدَّ بِطَرْفِهِ فَوَجَدَهُ مَوْضُوعاً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَفِي نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ دَعَا آصَفُ بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِهِ، فَحَصَلَ بِأَنْ جَرَى تَحْتَ الْأَرْضِ حَتَّى نَبَعَ تَحْتَ كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ، ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا﴾ أَي: سَاكِناً ﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا﴾ أَي: الْإِتْيَانُ لِي بِهِ ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾: لِيَخْتَبِرَنِي ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ - بِتَحْقِيقِ الهمزتين، وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفاً، وَتَسْهِيلِهَا وَإِدْخَالَ أَلِفٍ بَيْنَ الْمُسْهَلَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (كان صديقاً) أي: مبالغاً في الصدق مع الله ومع عباده.

قوله: ﴿طَرْفُكَ﴾ هو بالسكون: البصر.

قوله: (قال) أي: آصف، وقوله: (له) أي: لسليمان.

قوله: (دعا بالاسم الأعظم) قيل: كان الدعاء الذي دعا به: يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: يا حي يا قيوم، وقيل: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت؛ اتتني بعرشها.

قوله: (بأن جرى تحت الأرض) أي: بحمل الملائكة له؛ لأمر الله لهم بذلك.

قوله: (أي: ساكناً) أي: غير متحرك، كأنه وُضِعَ من قبل بزمان متسع، وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول، وإلا... كان واجب الحذف؛ لأن الظرف يكون مستقراً، وعلى ما ذكره المفسر فالظرف لغو، عامله خاصٌّ مذكور، فتدبر.

قوله: ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: إحسانه إليّ.

قوله: (وإدخال ألف... إلخ) أي: فالقراءات سبعيات، وبقيت خامسة وهي: إدخال ألف بين المحققين^(١).

(١) نافع يسهل الهمزة الثانية، وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه، وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو وهشام، ولم يدخل ورش وابن كثير، ولورش أيضاً إبدالها ألفاً، والباقون بالتحقيق وعدم الإدخال. انظر «السراج المنير» (٦١/٣).

أَمْ أَكْفَرْتُمْ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا
نَنْظُرَ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾

وَالْأُخْرَى وَتَرْكِه - ﴿أَمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ النُّعْمَةُ ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لِأَجْلِهَا؛
لِأَنَّ ثَوَابَ شُكْرِهِ لَهُ، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النُّعْمَةُ ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عَنْ شُكْرِهِ، ﴿كَرِيمٌ﴾ بِالْإِفْضَالِ
عَلَى مَنْ يَكْفُرُهَا.

﴿٤١﴾ ﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي: غَيِّرُوهُ إِلَى حَالٍ تُنْكِرُهُ إِذَا رَأَتْهُ، ﴿نَنْظُرَ أَتَنْهَدِي﴾
إِلَى مَعْرِفَتِهِ ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِمْ؟ قَصَدَ بِذَلِكَ اخْتِبَارَ
عَقْلِهَا لَمَّا قِيلَ لَهُ: إِنَّ فِيهِ شَيْئاً، فغَيِّرُوهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: (لأنَّ ثواب شكره له) أي: لأنَّ الشكر سببٌ في زيادة النعم، قال تعالى: ﴿لِيَنْ شُكْرُهُمْ
لَا زَيْدٌ لَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قوله: (بالإفضال على من يكفرها) أي: فلا يقطع نعمه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران
النعمه.

قوله: ﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ معطوفٌ في المعنى على قوله: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾^(١)،
وكلاهما مرتَّبٌ على قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾.

قوله: (إلى حالة تُنْكِرُهُ إِذَا رَأَتْهُ) أي: فَالتَّنْكِيرُ: إِبْهَامُ الشَّيْءِ بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُ، ضِدُّ التَّعْرِيفِ،
ومنه: التَّنْكِيرُ والمَعْرِفَةُ في اصطلاح النحويين.

قوله: ﴿نَنْظُرَ﴾ هو جواب الأمر.

قوله: (قصد بذلك... إلخ) أشار بذلك إلى حكمة التغير.

قوله: (لما قيل له: إِنَّ فِيهِ شَيْئاً) أي: نَقْصاً، وَالْقَائِلُ لَهُ مَا ذُكِرَ الْجَنُّ، وَقَالُوا لَهُ أَيْضاً:
إِنْ رَجَلَهَا كَرَجَلِي حِمَارٍ، وَقَالُوا لَهُ أَيْضاً: إِنَّ فِي سَاقِيهَا شَعْرًا؛ لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ يَتَزَوَّجُهَا، فَكَرِهُوا
ذَلِكَ؛ لِثَلَا ثَفْشِي لَهُ أَسْرَارُ الْجَنِّ، وَلِثَلَا يَأْتِي لَهُ مِنْهَا أَوْلَادٌ، فَيَخْلِفُوهُ فِي اسْتِخْدَامِ الْجَنِّ، فَيَدُومُ
عَلَيْهِمُ الذُّلُّ.

(١) والمقصود عطف المتعلق، فكان يكفي أن يقال: ونكروا لها عرشها، وإنما أعيد القول لكون المتعلق مختلفاً؛ لكونه
أولاً ثناءً على الله تعالى، وثانياً متعلقاً بشأن عرشها. «فتوحات» (٣/٣٣٥) نقلاً عن شيخه العلامة الأجهوري.

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾

﴿٤٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾ لَهَا: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ أَي: أَمِثْلُ هَذَا عَرْشُكَ؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أَي: فَعَرَفْتُهُ وَشَبَّهْتُ عَلَيْهِمْ كَمَا شَبَّهُوا عَلَيْهَا؛ إِذْ لَمْ يَقُلْ: أَهَذَا عَرْشُكَ؟ وَلَوْ قِيلَ هَذَا قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ سُلَيْمَانُ لَمَّا رَأَى لَهَا مَعْرِفَةً وَعِلْمًا: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿وَصَدَّهَا﴾ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ، ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قِيلَ﴾ لَهَا) القائل لها سليمان، أو مأموره.

قوله: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾) الهمزة: للاستفهام، والهاء: للتنبيه، والكاف: حرف جر، و(ذا): اسم إشارة مجرور بها، والجار والمجرور خبرٌ مقدَّم، و﴿عَرْشُكَ﴾: مبتدأ مؤخر، وفصل بين هاء التنبيه واسم الإشارة بحرف الجر وهو الكاف اعتناءً بالتنبيه، وكان مقتضاه أن يقال: أَهَكَذَا عَرْشُكَ؟

قوله: (أَي: أَمِثْلُ هَذَا؟) أشار بذلك إلى أَنَّ الكاف اسم بمعنى: مثل، وقولهم: لا يفصل بين (ها) التنبيه واسم الإشارة بشيءٍ من حُرُوفِ الجرِّ إلا بالكاف.. معناه: ولو صورةً وإن كانت في المعنى اسماً بمعنى: مثل.

قوله: (وشَبَّهْتُ عَلَيْهِمْ... إلخ) أَي: فَاتَتْ بِهِذِهِ الْعِبَارَةُ مَشَاكِلَ لِكَلَامِ سُلَيْمَانَ، وَالْمَشَاكِلَةُ: الْإِتْيَانُ بِمِثْلِ الْكَلَامِ السَّابِقِ وَإِنْ لَمْ يَتَّحِدِ الْكَلَامَانِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾.

قوله: (قال سليمان) أَي: تَحَدُّثًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ.

قوله: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾) أَي: الْعِلْمَ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُؤْتَى هِيَ الْعِلْمَ بِمَا ذَكَرَ، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسْلِمَ، فَنَحْنُ أَسْبَقُ مِنْهَا عِلْمًا وَإِسْلَامًا.

قوله: ﴿وَصَدَّهَا﴾) أَي: مَنَعَهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾) فَاعِلٌ (صَدَّ)، وَالْمَعْنَى: مَنَعَهَا مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ الَّذِي كَانَتْ تَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُوَ الشَّمْسُ.

قوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾) بِكَسْرِ (إِنَّ) فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ، اسْتِثْنَاءٌ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِفَتْحِهَا عَلَى إِسْقَاطِ حَرْفِ التَّعْلِيلِ^(١).

(١) قَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَأَبُو حَيَّةٍ بِالْفَتْحِ، وَفِيهَا وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا بَدَلُ مِنْ ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ أَي: وَصَدَّهَا أَنَّهَا كَانَتْ، وَالثَّانِي: أَنَّهَا عَلَى إِسْقَاطِ حَرْفِ الْعِلَّةِ؛ أَي: لِأَنَّهَا، فَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ. انظر «الدر لمصون» (٦١٨/٨).

قِيلَ لَمَّا أَدْخُلِيَ الصَّرْحُ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِيبَتُهُ لُجَّةٌ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

﴿٤٤﴾ قِيلَ لَمَّا: أَيْضاً: ﴿أَدْخُلِيَ الصَّرْحُ﴾: هُوَ سَطْحٌ مِنْ زُجَاجٍ أَبْيَضَ شَفَافٍ تَحْتَهُ مَاءٌ عَذْبٌ جَارٍ، فِيهِ سَمَكٌ اصْطَنَعَهُ سُلَيْمَانُ لَمَّا قِيلَ لَهُ: إِنَّ سَاقِيهَا وَقَدَمَيْهَا كَقَدَمَيِ الْحِمَارِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِيبَتُهُ لُجَّةٌ: مِنَ الْمَاءِ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا: لِتُخَوِّضَهُ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ عَلَى سَرِيرِهِ فِي صَدْرِ الصَّرْحِ، فَرَأَى سَاقِيهَا وَقَدَمَيْهَا حِسَاناً، ﴿قَالَ﴾ لَهَا: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾: مُمَلَّسٌ مِنْ قَوَارِيرٍ: أَيْ: زُجَاجٍ، وَدَعَاَهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بِعِبَادَةِ غَيْرِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قِيلَ لَمَّا﴾ أَيْضاً: أَيْ: كَمَا قِيلَ: نَكَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا.

قوله: (هُوَ سَطْحٌ) وَقِيلَ: الصَّرْحُ: الْقَصْرُ، أَوْ صَحْنُ الدَّارِ.

قوله: (مِنْ زُجَاجٍ أَبْيَضٍ) أَيْ: وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْبَلُّورِ.

قوله: (اصْطَنَعَهُ سُلَيْمَانُ) أَيْ: أَمَرَ الشَّيَاطِينَ بِهِ، فَحَفَرُوا حُفِيرَةً كَالصَّهْرِيحِ، وَأَجْرُوا فِيهَا الْمَاءَ، وَوَضَعُوا فِيهَا سَمَكاً وَضَفْدَعاً وَغَيْرَهُمَا مِنْ حَيَوَانَ الْبَحْرِ، وَجَعَلُوا سَقْفَهَا زُجَاجاً شَفَافاً، فَصَارَ الْمَاءُ وَمَا فِيهِ يُرَى مِنْ هَذَا الزُّجَاجِ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِماً بِهِ.. يَظُنُّ أَنَّهُ مَكْشُوفٌ يُخَاضُ فِيهِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

قوله: (لَمَّا قِيلَ لَهُ) الْقَائِلُ ذَلِكَ الْجَنُّ.

قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ أَيْ: أَبْصَرَتْهُ.

قوله: ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ أَيْ: عَلَى عَادَةٍ مَنْ أَرَادَ خَوْضَ الْمَاءِ، قِيلَ: لَمَّا رَأَتْ اللَّجَّةَ.. فَرَعَتْ وَظَنَّتْ أَنَّهُ قَصْدُهَا الْغَرَقُ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهَا بَدٌّ مِنْ امْتِنَالِ الْأَمْرِ.. سَلَّمَتْ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا.

قوله: (لِتُخَوِّضَهُ) أَيْ: لِأَجْلِ أَنْ تَصِلَ إِلَى سُلَيْمَانَ.

قوله: (فَرَأَى سَاقِيهَا... إلخ) أَيْ: فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ.. صَرَفَ بَصَرَهُ عَنْهَا.

قوله: ﴿مُمرَّدٌ﴾ صِفَةُ أُولَى لـ ﴿صَرْحٍ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ صِفَةُ ثَانِيَةٍ، جَمْعٌ: قَارُورَةٌ.

قوله: (مَمَلَّسٌ) وَمِنْهُ: الْأَمْرَدُ؛ لِمَلَّاسَةٍ وَجْهٍ؛ أَيْ: نُعُومَتِهِ؛ لِعَدَمِ الشَّعْرِ بِهِ.

قوله: (بِعِبَادَةِ غَيْرِكَ) أَيْ: وَهُوَ الشَّمْسُ.

وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيْمَنَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وأرادَ تَزَوُّجَهَا، فكَرِهَ شَعَرَ سَاقِيهَا، فَعَمِلَتْ لَهُ الشَّيَاطِينُ النَّوْرَةَ، فَأَزَالَتْهُ بِهَا، فَتَزَوَّجَهَا وَأَحَبَّهَا وَأَقْرَّهَا عَلَى مُلْكِهَا، وَكَانَ يَزُورُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً وَيُقِيمُ عِنْدَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَانْقَضَى مُلْكُهَا بِانْقِضَاءِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ، رُوي أَنَّهُ مُلْكٌ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَعَ سُلَيْمَنَ﴾ حال من التاء في (أسلمت) كما أشار لذلك بقوله: (كائنة)، والمعنى: أسلمت حالة كوني مصاحبة له في الدين، ولا يصح أن يكون متعلقاً بـ(أسلمت)؛ لأنه يوهم أنها متحدة معه في الإسلام في زمن واحد.

قوله: (فعملت له الشياطين النورة) أي: بعد أن سأل الإنس عما يزيل الشعر، فقالوا له: يُحلق بالموسى، فقالت: لم يمس الحديد جسمي، فكره سليمان موسى وقال: إنها تقطع ساقها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري، فسأل الشياطين، فقالوا: نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء، فاتخذوا النورة والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ.

قوله: (فتزوّجها) أي: وولدت منه ولداً، وسمّته داوود، ومات في حياة أبيه، وبقيت معه إلى أن مات، وهذا أحد قولين، وقيل: إنها لما أسلمت.. قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك حتى أزوجهك إياه، فقالت: ومثلي يا نبي الله يتكح الرجال، وقد كان لي من قومي الملك والسلطان؟ قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك، ولا ينبغي لك أن تحرّمي ما أحلّ الله، قالت: إن كان ولا بد.. فزوّجني ذا تبع ملك همدان، فزوّجها إياه، وذهب بها إلى اليمن، وملّك زوجها ذا تبع على اليمن، ودعا سليمان زوبعة ملك الجن وقال له: اعمل لذي تبع ما استعملك فيه، فلم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان، وحال الحال ولم يعلم الجن موته، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته: يا معشر الجن؛ إن سليمان قد مات فارفعوا أيديكم، فرفعوا أيديهم وتفرّقوا.

قوله: (وأقرّها على ملكها) أي: وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها في الارتفاع والحسن.

قوله: (ويقيم عندها ثلاثة أيام) أي: وكان يُبكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام.

قوله: (روي أنه ملك) أي: أعطي الملك.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾

فُسُبْحَان مَنْ لَا انْقِضَاءَ لِدَوَامِ مُلْكِهِ.

﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ ﴿صَالِحًا أَنْ﴾ أَي: بِأَنْ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وَحُدُوهُ، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ فِي الدِّينِ: فَرِيقٌ مُؤْمِنُونَ مِنْ حِينِ إِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ، وَفَرِيقٌ كَافِرُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: (فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه) أي: فما سواه يَفْنَى، وهو الباقي بلا زوال، قال العارف:

مَا آدَمُ فِي الْكَوْنِ وَمَا إِبْلِيسُ مَا مُلْكُ سُلَيْمَانَ وَمَا بِلْقَيْسُ
الْكُلُّ إِمَارَةٌ وَأَنْتَ الْمَعْنَى يَا مَنْ هُوَ لِلْقُلُوبِ مَغْنَاطِيسُ

فالأكوان جميعها إشارة دالة على المقصود بالذات، وهو الله الواحد القهار.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ﴾ شُرُوعٌ فِي الْقِصَّةِ الرَّابِعَةِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ، وَثَمُودُ: اسْمٌ لِقَبِيلَةٍ صَالِحٍ، سَمِّيَتْ بِاسْمِ أَبِي الْقَبِيلَةِ، فَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ، وَتَسْمَى عَادًا الثَّانِيَةَ، وَأَمَّا عَادُ الْأُولَى.. فَهُمْ قَوْمُ هُودَ.

قوله: ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ أَي: فِي النَّسَبِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَوْلَادِ ثَمُودَ الَّذِي هُوَ أَبُو الْقَبِيلَةِ، وَعَاشَ صَالِحٌ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

قوله: (أي: بِأَنْ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (أَنْ) مُصَدَّرِيَّةٌ، وَحَرْفُ الْجَرِّ مُحذُوفٌ، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ مُفَسَّرَةً؛ لَوْجُودِ ضَابِطِهَا، وَهُوَ تَقَدُّمُ جُمْلَةٍ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ.

قوله: (وَحُدُوهُ) أَي: اعْتَقَدُوا أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا.

قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ (إِذَا): فَجَائِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: فَفَاجَأَ إِرْسَالُهُ تَفْرِقَهُمْ وَاخْتِصَامَهُمْ، فَأَمَّنْ فَرِيقٌ، وَكَفَرَ فَرِيقٌ، وَتَقَدَّمَ حِكَايَةُ اخْتِصَامِ الْفَرِيقَيْنِ فِي سُورَةِ (الْأَعْرَافِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ...﴾ [الْأَعْرَافِ: ٧٥].

قوله: (فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق؛ مراعاة لمعناه.

قوله: (من حين إرساله) أي: وبعد ظهور المعجزات.

قَالَ يَنْقُورِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾
قَالُوا أَطِئْنَا بِكَ وَيَمَنَ مَعَكَ قَالَ طَعِرْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

﴿٤٦﴾ قَالَ: لِلْمُكَذِّبِينَ: ﴿يَنْقُورِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: بِالْعَذَابِ قَبْلَ الرَّحْمَةِ حَيْثُ قُلْتُمْ: إِنْ كَانَ مَا أَتَيْنَا بِهِ حَقًّا فَأَتَيْنَا بِالْعَذَابِ، ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ مِنَ الشُّرْكِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فلا تُعَذَّبُونَ.

﴿٤٧﴾ قَالُوا أَطِئْنَا: أَصْلُهُ: تَطَيَّرْنَا، أُدْغِمَتِ النَّاءُ فِي الطَّاءِ وَاجْتَلَبَتِ هَمْزَةُ الْوَصْلِ - أَي: تَشَاءُ مِنَّا ﴿بِكَ وَيَمَنَ مَعَكَ﴾ أَي: الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ قُحِطُوا الْمَطَرُ وَجَاعُوا، ﴿قَالَ طَعِرْكُمْ﴾: شَوْمُكُمْ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَتَاكُمْ بِهِ، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: تُخْتَبَرُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي: لأيِّ شيء تستعجلون العذاب وتطلبونه لأنفسكم، ولا تطلبون الرحمة، ويصح أن يُرَادَ بِالسَّيِّئَةِ والحسنة أسبابُ العذاب وأسبابُ الرحمة، والمعنى: تُوَخَّرُونَ الْإِيمَانَ الَّذِي هُوَ سَبَبٌ فِي الرَّحْمَةِ، وَتُقَدِّمُونَ الْكُفْرَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْعَذَابِ.

قوله: (هَلَّا) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية.

قوله: (من الشرك) أي: بأن تتركوا الشرك وتؤمنوا.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق؛ لأنه صادرٌ من قادرٍ عالمٍ العواقب، لا يُخلف وعده.

قوله: (أدغمت الناء في الطاء) أي: بعد قلبها طاءً.

قوله: (واجتلبت همزة الوصل) أي: للتوصل للنطق بالساكن.

قوله: (أي: تشاء منا) أي: أصابنا الشؤم، وهو: الضيق والشدة.

قوله: (حيث قحطوا المطر) أي: حُيِسَ عَنْهُمْ.

قوله: ﴿قَالَ طَعِرْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: جزاء عملكم من عند الله، عاملكم به، فالشؤم وصفكم لا وصفي، وسمي طائراً؛ لأنه يأتي الظالم بغتة وسرعة كنزول الطائر.

قوله: ﴿تُفْتَنُونَ﴾ أتى بالخطاب مراعاةً لتقدم الضمير وهو الراجح، ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة، فيقال مثلاً: نحن قوم نقرأ ويقرأون.

قوله: (تُخْتَبَرُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ) أي: لتعلموا أَنَّ ما أصابكم من خيرٍ فمن الله، وما أصابكم من شرٍّ فيما كسبت أيديكم.

وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةَ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ.....

﴿٤٨﴾ ﴿وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: مَدِينَةُ ثُمُودَ ﴿تِسْعَةَ رَهْطٍ﴾ أي: رجالٍ ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْمَعَاصِي، مِنْهَا قَرَضُهُمُ الدَّنَانِيرَ وَالْدَّرَاهِمَ، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بِالطَّاعَةِ.

﴿٤٩﴾ ﴿قَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿تَقَاسَمُوا﴾ أي: احلفوا ﴿بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ - بِالنُّونِ، وَالتَّاءِ وَضَمُّ التَّاءِ الثَّانِيَةِ - ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي: مَنْ آمَنَ بِهِ أي: نَقَتْلُهُمْ لَيْلًا ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (مدينة ثمود) أي: وهي الحجر، وتقدّم أنه واد بين الشام والمدينة.

قوله: ﴿تِسْعَةَ رَهْطٍ﴾ ما دون العشرة من الرجال، والنفر: ما دون السبعة إلى الثلاثة.

قوله: (أي: رجال) دفع بذلك ما يقال: إن تمييز التسعة جمع مجرور، فكيف يؤتى به مفرداً؟ فأجاب: بأنه وإن كان مفرداً في اللفظ فهو جمع في المعنى، وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أن مولوداً يولد في شهركم هذا يكون عقر الناقة على يديه، فقتل التسعة أولادهم، وأبى العاشر أن يقتل ولده، فعاش ذلك الولد ونبت نباتاً سريعاً، فكان إذا مرّ بالتسعة.. حزنوا على قتل أولادهم، فسوّل لهم الشيطان أن يجتمعوا في غارٍ، فإذا جاء الليل.. خرجوا إلى صالح وقتلوه.

وتقدّم: أنهم اجتمعوا في الغار، فأرادوا أن يخرجوا منه، فسقط عليهم الغار، فقتلهم وعقر الناقة ولدُ العاشر وهو قدار بن سالف، وقيل: إنهم جاؤوا ليلاً لِقَتْلِهِ شَاهِرِينَ سَيُوفَهُمْ، فَرَمَتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالْأَحْجَارِ؛ كَمَا أَفَادَهُ الْمَفْسِّرُ.

قوله: (أي: احلفوا) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿تَقَاسَمُوا﴾ فعل أمر؛ أي: قال بعضهم لبعض: احلفوا على كذا.

قوله: (بالنون) أي: مع فتح التاء، وقوله: (والتاء) كان المناسب أن يقول: (وبالتاء)؛ لأنَّ ضَمَّ التاء لا يكون إلا على قراءة التاء، فهما قراءتان سبعتان^(١).

قوله: (أي: من آمن به) وسيأتي أنهم أربعة آلاف.

(١) قرأ الأخوان بقاء الخطاب المضمومة وضم التاء، والباقون بنون المتكلم وفتح التاء. انظر «الدر المصون» (٨/٦٢٤).

لَوْلِيهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾

- بِالنُّونِ، والتَّاءِ وَضَمُّ اللَّامِ الثَّانِيَةِ - ﴿لَوْلِيهِ﴾ أي: وَلِيِّ دَمِهِ: ﴿مَا شَهِدْنَا﴾: حَضَرْنَا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ - بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا - أي: إِهْلَاكَهُمْ أَوْ هَلَاكَهُمْ فَلَا نَدْرِي مَنْ قَتَلَهُمْ، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ .
﴿٥٠﴾ ﴿وَمَكْرُؤًا﴾ فِي ذَلِكَ ﴿مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾ أي: جَازَيْنَاهُمْ بِتَعْجِيلِ عُقُوبَتِهِمْ، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

حاشية الصاوي

قوله: (بالنون) أي: مع فتح اللام، وقوله: (والتاء) أي: فقراءة النون هنا مع قراءة النون في الذي قبله، وقراءة التاء مع التاء، فهما قراءتان فقط.

قوله: (أي: ولي دمه) أي: دم مَنْ قُتِلَ مِنْ صَالِحٍ وَمَنْ مَعَهُ.

قوله: ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي: أهل ولي الدم الذي يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين به.

قوله: (بضم الميم) أي: مع فتح اللام، وقوله: (وفتحها) أي: مع فتح اللام وكسرهما، فالقراءات ثلاث سبعيات^(١).

قوله: (أي: إهلاكهم) راجع للضم؛ لأنه من الرباعي.

قوله: (وهلاكهم) راجع للفتح بوجهيه؛ لأنه من الثلاثي.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: ونحلف إننا لصادقون، أو المعنى: والحال إننا لصادقون فيما قلنا.

قوله: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾ أرادوا إخفاء ما يبتئوا عليه من قتل صالح وأهله.

قوله: ﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾ أي: أهلكناهم من حيث لا يشعرون، وهو من باب المشاكلة، نظير

قول الشاعر^(٢): [الكامل]

قَالُوا: اقْتَرِحْ شَيْئًا نَجِدُ لَكَ طَبْعَهُ قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا

وإلا... فحقيقة المكر مُستحيلَةٌ على الله تعالى؛ لأنه التحيل على الغدر، وهو من صفات

العاجز، والعجز على الله محال.

(١) قرأ عاصم بفتح الميم، والباقون بضمها، وكسر اللام حفص، وفتحها الباقون. انظر «السراج المنير» (٦٥/٣).

(٢) قائله أبو الرقعمق؛ كما في «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» (٢٥٢/٢).

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ ﴿٥٣﴾

- ﴿٥١﴾ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ﴾ : أهلكناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بِصِيحَةِ جَبْرِيلَ أَوْ بِرَمِي الْمَلَائِكَةِ بِحِجَارَةٍ يَرَوْنَهَا وَلَا يَرَوْنَهُمْ .
- ﴿٥٢﴾ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ أي : خالية ، - ونصبه على الحال ، والعامِلُ فيها معنى الإشارة - ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ : بِظُلْمِهِمْ أي : كُفْرِهِمْ ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ : لَعِبْرَةٌ ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قُدَرْتَنَا فَيَتَّعِظُونَ .
- ﴿٥٣﴾ ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِصَالِحٍ وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ﴿وَكَانُوا يَنْقُوتُ﴾ الشَّرْكَ .

حاشية الصاوي

- قوله : ﴿فَانْظُرْ﴾ (أي : تأمل وتفكر) .
- قوله : ﴿أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ﴾ بكسر (إن) على الاستئناف ، وفتحها على أنه خبرٌ لمحذوف ؛ أي : وهي تدميرنا إياهم ، والقراءتان سبعيتان^(١) .
- قوله : (أو برمي الملائكة) (أو) : للتنوع ؛ أي : إِنَّ عَذَابَهُمْ نَوْعَانِ مُوزَعَانِ عَلَيْهِمْ : رمي الحجارة على التسعة بسبب تبسّيتهم على قتل صالح وأهله ، والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة . ولو قال المفسر : (أهلكناهم برمي الملائكة الحجارة ، وقومهم أجمعين بصيحة جبريل) . . . لكان أوضح .
- قوله : ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر ؛ أي : ديارهم .
- قوله : ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ (ما) مصدرية ، والباء سيئة .
- قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي : المذكور من إهلاكهم .
- قوله : ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي : من الهلاك ، فخرج صالح بهم إلى حَضْرَمَوْتَ ، فلمَّا دخلها . . مات صالح ، فسُمِّيت تلك البلدة بذلك ، ثم بني الأربعة آلاف مدينة يقال لها : حاضوراء .
- قوله : ﴿وَكَانُوا يَنْقُوتُ﴾ أي : يدومون على اتقاء الشرك ؛ بأن لم يرتدوا .

(١) قرأ الكوفيون بالفتح ، والباقون بالكسر . انظر «الدر المصون» (٦٢٦/٨) .

وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ
.....

﴿٥٨﴾ وَلَوْ طَأَّ - مَنْصُوبٌ بِـ (اذْكُرْ) مُقَدَّرًا قَبْلَهُ، وَيُبَدَلُ مِنْهُ -: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ﴾ أَي: اللِّوَاظَ ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أَي: يُبْصِرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنَّهُمَا كَأَنَّ فِي الْمَعْصِيَةِ.

﴿٥٥﴾ - أَيْنَكُمُ - بِتَحْقِيقِ الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين -
﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ ﴿عَاقِبَةُ فِعْلِكُمْ﴾.

﴿مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْا آلَ لُوطٍ﴾: أهله

حاشية الصاوي

قوله: (ويبدل منه) أي: بدل اشتمال، والمراد: ذكر القول، لا ذكر وقته.

قوله: ﴿لَقَوْمٍ﴾ أي: من حيث إرساله إليهم وإقامته عندهم، وإلا.. فهو في الأصل من أرض بابل، فلمّا قدم مع عمّه إبراهيم إلى الشام.. نزل إبراهيم بفلسطين، ونزل لوط بسدوم.

قوله: (يبصر بعضكم بعضاً) أشار بذلك إلى أنَّ المراد: الإبصار بالعين، وقيل: المراد: إِبصار القلب، ويكون المعنى: وتعلمون أنها قبيحةٌ.

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وتركه، فالقراءات أربعٌ سبعيات^(١).

قوله: ﴿لَتَأْتِيََنَّ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الْبَنَاتِ﴾ أشار بذلك إلى أنهم أساءوا من الطرفين في الفعل والترك، وقوله: ﴿شَهْوَةً﴾ مفعول لأجله.

قوله: (عاقبة فعلكم) أي: وهي العذاب الذي نزل بهم.

قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ مقدّم، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ اسمها مؤخر.

قوله: ﴿عَالٍ لُّوطٍ﴾ المراد: هو وأهله، وهم: بنتاه وزوجته المؤمنة.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة كالياء، وحقَّقها الباقون، وأدخل بينهما قالون وأبو عمرو ألفاً، وهشام بخلاف عنه. انظر «السراج المنير» (٣/٦٧).

مِنْ قَرِيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهَرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنْ
الْغَيْرِيبِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ

﴿مِنْ قَرِيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهَرُونَ﴾ مِنْ أَدْبَارِ الرُّجَالِ.

﴿٥٧﴾ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا﴾: جَعَلْنَاهَا بِتَقْدِيرِنَا ﴿مِنْ الْغَيْرِيبِ﴾: الْبَاقِينَ

فِي الْعَذَابِ.

﴿٥٨﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هُوَ حِجَارَةُ السَّجِّيلِ أَهْلَكْتُهُمْ، ﴿فَسَاءَ﴾: بِئْسَ ﴿مَطَرُ

الْمُنْذَرِينَ﴾ بِالْعَذَابِ مَطَرُهُمْ.

﴿٥٩﴾ ﴿قُلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى هَلَاكِ كُفَّارِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿مِنْ قَرِيْبِكُمْ﴾ الإضافة للجنس؛ لأنه تقدّم أنّ قُرَاهِمَ كَانَتْ خَمْسَةً، وَأَعْظَمَهَا سُدُومٌ.

قوله: ﴿يَنْطَهَرُونَ﴾ أي: يَنْتَرَهُونَ، وَقَالُوا ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِهْزَاءِ.

قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: فَخَرَجَ لَوْطٌ بِأَهْلِهِ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَطَوَّى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْأَرْضَ

حَتَّى نَجَا، وَوَصَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

قوله: (الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ) أي: الَّذِي حُلَّ بِهِمْ، وَهُوَ أَنَّ جَبْرِيلَ اقْتَلَعَ مَدَائِنَهُمْ ثُمَّ قَلَبَهَا، فَهَلَكَ

جَمِيعٌ مِنْ فِيهَا. قِيلَ: كَانَ فِيهَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَلْفٍ.

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: عَلَى مَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ خَارِجًا عَنِ الْمَدَائِنِ لِسَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ.

قوله: (هُوَ حِجَارَةُ السَّجِّيلِ) أي: الطِّينُ الْمَحْرَقُ.

قوله: (مَطَرُهُمْ) هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ.

قوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لَمَّا تَمَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْقَصَصُ.. أَمْرٌ رَسُولُهُ بِحَمْدِهِ وَالسَّلَامِ

عَلَى الْمُصْطَفِينَ؛ شُكْرًا لَهُ عَلَى نُصْرَةِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ، وَقَطْعِ دَابِرِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ، وَتَمْهِيدًا

لَمَّا يَذْكَرُ مِنْ أَدْلَةِ التَّوْحِيدِ الَّتِي أَقَامَهَا رَدًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ. وَالسُّرُّ فِي ذَلِكَ إِنْصَاتِ الْعَاقِلِ وَإِصْغَاؤِهِ؛

لِيَدْخُلَ فِي زُمْرَةِ مَنْ سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿وَسَلَامٌ﴾ أي: أَمَانٌ.

الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

الَّذِينَ اصْطَفَى هُمْ ﴿لِلَّهِ﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَيْنِ، وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا وَتَسْهِيلِهَا، وَإِدْخَالِ أَلِفٍ بَيْنَ الْمُسَهَّلَةِ وَالْأُخْرَى وَتَرْكِه - ﴿خَيْرٌ﴾ لِمَنْ يَعْبُدُهُ، ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ - بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ -
أي: أهل مكة به الآلهة خيرٌ لعباديتها؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ (قيل: هم الأنبياء والرسل، وقيل: أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل: مؤمنو هذه الأمة، وقيل: كلُّ مؤمن من مبدأ الدنيا إلى مُنتهاها، ومعنى (اصطفى): اختارهم أولاً لخدمته وطاعته في الدنيا، ولجنته ونعيمه في الآخرة، فالأصل: اصطفاء الله للعبد؛ فلولاً اصطفاؤه له... ما وفق العبد لخدمة ربه، ومن هذا قولهم: لولا السابقة... ما كانت اللاحقة.

قوله: (بتحقيق الهمزتين... إلخ) ظاهر المفسر أن القراءات أربع، وهو سبق قلم، والصواب: أن هنا قراءتين فقط: تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مدّاً لازماً، وتقدّم أن هذين الوجهين يجريان في خمسة مواضع في القرآن غير هذا: اثنان في الأنعام: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الموضعين، وثلاثة في (يونس): ﴿لِلَّهِ أَذُنٌ لَكُمْ﴾، ﴿أَلَنْتَن﴾ في الموضعين.

قوله: ﴿خَيْرٌ﴾ خبر لفظ الجلالة، وهو إمّا اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار، أو صفة لا تفضيل فيها، والكلام على حذف مضاف، والتقدير: توحيد الله خيرٌ لمن عبده أم الأصنام خيرٌ لمن عبدها؟ فهو تهكُّمٌ بالمشرّكين؛ لأنهم اختاروا عبادة الأصنام على عبادة الله، والاختيار للشيء لا يكون إلا لخير ومنفعة، ولا خير في عبادتها، وكان ﷺ إذا قرأها يقول: «بل الله خيرٌ وأبقى، وأجلُّ وأكرمُ»^(١).

قوله: ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (أم) هذه: متصلة عاطفة على لفظ الجلالة؛ لوجود المعادل، وهو تقدم همزة الاستفهام، بخلاف (أم) الآتية فهي منقطعة تفسّر بـ(بل) وهمزة الاستفهام الإنكاري.

قوله: (بالياء والناء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (أي: أهل مكة) تفسير للواو في ﴿يُشْرِكُونَ﴾.

قوله: (أي: الآلهة) تفسير لـ(ما)، والمعنى: أم الآلهة التي يُشركونها به خيرٌ لعباديتها.

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٩١٥) عن سيدنا علي بن الحسين عليه السلام.

(٢) قرأ عاصم والبصريان بياء الغيبة، وغيرهم بقاء الخطاب. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٣٧).

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ يَبِءَ حَدَائِقِ ذَاتَ
بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ

٦٠ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا﴾ - فِيهِ التِّفَاتُ مِنَ
الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ - ﴿بِهِ حَدَائِقَ﴾: جَمْعُ حَدِيقَةٍ وَهُوَ الْبُسْتَانُ الْمُحَوَّطُ ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾:
حُسْنٍ ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ لِعَدَمِ قُدْرَتِكُمْ عَلَيْهِ، ﴿أَوَّلَهُ﴾ - بِتَحْقِيقِ
الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهَيْنِ فِي مَوَاضِعِهِ السَّبْعَةِ - ﴿مَعَ
اللَّهِ﴾ أَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ؟ أَيْ: لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ القراءة السبعية بإدغام إحدى الميمين في الأخرى،
(وأم): منقطعة، و(من خلق): مبتدأ خبره محذوف، تقديره: خير أم ما يشركون، وقرئ شذوذاً
بتخفيف الميم، فتكون (من) موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام.

قوله: (فيه التفات) أي: وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل، إشارة إلى أن الله تعالى
هو المنبت للأشجار والزرع لا غيره، وخلقها مختلفة الألوان والطعوم مع كونها تسقى بماء واحد.

قوله: (وهي البستان المحوط) أي: المجمعول عليه حائط لعزته.

قوله: ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ صفة لـ ﴿حَدَائِقَ﴾، وأفرد؛ لكونه جمع كثرة لما لا يعقل.

قوله: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي: لا ينبغي؛ لأنكم عاجزون عن إخراج النبات وإن كنتم قادرين
على السقي والغرس ظاهراً.

قوله: ﴿أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي: فضلاً عن ثمارها وأشكالها.

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وتركه، فالقراءات أربعٌ سبعيات^(١).

قوله: (في مواضعه السبعة) أي: مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة، وهي لفظ
﴿أَوَّلَهُ﴾ خمس مرات، و﴿أَوَّلَهُ﴾، و﴿أَوَّلَهُ﴾.

قوله: (أي: ليس معه إله) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري، وكذا يقال فيما بعده.

(١) سهل الثانية مع الإدخال قالون والبصري وأبو جعفر، ومن غير إدخال ورش وابن كثير ورويس، وحققها هشام مع
الإدخال وعدمه، والباقيون كذلك من غير إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٣٦).

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا
وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ
الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ.

﴿٦٠﴾ ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: لَا تَمِيدُ بِأَهْلِهَا ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾: فِيمَا بَيْنَهَا ﴿أَنْهَارًا
وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا﴾: جِبَالًا أَثْبَتَ بِهَا الْأَرْضَ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾: بَيْنَ الْعَذْبِ
وَالْمِلْحِ لَا يَخْتَلِطُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: تَوْحِيدَهُ.

﴿٦١﴾ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾: الْمَكْرُوبَ الَّذِي مَسَّهُ الضَّرُّ ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾: عَنْهُ
وَعَنْ غَيْرِهِ، ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾: الْإِضَافَةُ بِمَعْنَى (فِي)، أَي: يَخْلُفُ كُلُّ قَرْنٍ الْقَرْنَ

حَاشِيَةُ الصَّائِلَةِ

قوله: ﴿﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾﴾: إِضْرَابٌ انْتِقَالِيٌّ مِنْ تَبَكُّيْتِهِمْ إِلَى بَيَانِ سُوءِ حَالِهِمْ.

قوله: ﴿﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾﴾: أَي: مُسْتَقَرًّا لِلْإِنْسَانِ وَالِدَوَابِّ، لَا تَتَحَرَّكُ بِمَا عَلَى ظَهَرِهَا.

قوله: (فِيمَا بَيْنَهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿﴿خِلَالَهَا﴾﴾ ظَرْفٌ لـ ﴿﴿جَعَلَ﴾﴾، وَتَكُونُ بِمَعْنَى: خَلَقَ،
وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى: صَبَّرَ، وَ﴿﴿خِلَالَهَا﴾﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ.

قوله: ﴿﴿حَاجِزًا﴾﴾: أَي: مَعْنَوِيًّا غَيْرَ مُشَاهِدٍ.

قوله: ﴿﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾﴾: أَي: وَكَفَرَهُمْ تَقْلِيدًا، وَالْأَقْلُ يَعْلَمُ الْأَدْلَةَ وَكَفَرَهُمْ عِنَادًا.

قوله: ﴿﴿الْمُضْطَرَّ﴾﴾: هُوَ اسْمُ مَفْعُولٍ، وَهَذِهِ الطَّاءُ أَصْلُهَا تَاءُ الْإِفْتَعَالِ، قَلْبَتْ طَاءً؛ لَوْقُوعِهَا إِثْرَ
حَرْفِ الْإِطْبَاقِ وَهُوَ الضَّادُ.

قوله: ﴿﴿إِذَا دَعَاهُ﴾﴾: أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ إِجَابَةَ الْمُضْطَرِّ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى دَعَائِهِ، فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ
كَانَ مُضْطَرًّا تَرْكُ الدَّعَاءِ، بَلْ يَدْعُو، وَاللَّهُ يَجِيبُهُ عَلَى حَسَبِ مَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَرَأَفُ
عَلَى الْعَبْدِ مِنْ نَفْسِهِ، فَالْعَاقِلُ إِذَا دَعَا.. يُسَلِّمُ فِي الْإِجَابَةِ لِمَرَادِ اللَّهِ.

قوله: (الْإِضَافَةُ بِمَعْنَى: فِي) أَي: فَالْمَعْنَى يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ.

أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ
الْرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدُوُا الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَكَأُو بُرْهَانُكُمْ

الذي قبله، ﴿أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ﴾: تَتَعُظُونَ - بِالْفَوْقَانِيَّةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ، وفيه إدغام
التاء في الذال، و﴿مَّا﴾ زائدة لتقليل القليل ..

﴿٦٣﴾ ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾: يُرْشِدُكُمْ إِلَى مَقَاصِدِكُمْ ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بِالنُّجُومِ لَيْلًا
وَبِعَلَامَاتِ الْأَرْضِ نَهَارًا، ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أَي: قُدَّامَ الْمَطَرِ،
﴿أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ غَيْرَهُ.

﴿٦٤﴾ ﴿أَمَّنْ يَبْدُوُا الْخَلْقَ﴾ فِي الْأَرْحَامِ مِنْ نُطْفَةٍ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ وَإِنْ لَمْ تَعْتَرِفُوا
بِالْإِعَادَةِ؛ لِقِيَامِ الْبَرَاهِينِ عَلَيْهَا، ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ بِالْمَطَرِ وَالْأَرْضِ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿أَوَّلَهُ
مَعَ اللَّهِ﴾ أَي: لَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا إِلَهَ مَعَهُ، ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ: ﴿هَكَأُو
بُرْهَانُكُمْ﴾: حُجَّتُكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (وفيه إدغام التاء في الذال) أي: بعد قلبها دالاً فذالاً، وهذا على كلٍّ من القراءتين^(١).

قوله: (و﴿مَّا﴾ زائدة لتقليل القليل) أي: فالمراد تأكيد القلة.

قوله: (وبعلامات الأرض) أي: كالجبال.

قوله: (أي: قدام المطر) أي: أمامه.

قوله: (وإن لم يعترفوا بالإعادة) أشار بذلك إلى سؤالٍ وارد، حاصله: كيف يقال لهم: ﴿أَمَّنْ
يَبْدُوُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ مع أنهم مُنْكَرُونَ لِلإِعَادَةِ؟ وأشار إلى جوابه بقوله: (لقيام البراهين عليها)،
وإيضاحه أن يقال: إنهم معترفون بالابتداء، ودلالة الابتداء على الإعادة ظاهرة قوية، وحينئذٍ:
صاروا كأنهم لم يبقَ لهم عذرٌ في إنكار الإعادة، بل ذلك محضُ جحودٍ.

قوله: ﴿قُلْ هَكَأُو بُرْهَانُكُمْ﴾) أمره ﷺ بتبكيتهم إثر قيام الأدلة على أنه لا يستحقُّ العبادة غيره.

(١) قرأ هشام والبصري وروح بياء الغيبة مع تشديد الذال والكاف، وحفص والأخوان وخلف بناء الخطاب مع تخفيف
الذال وتشديد الكاف، والباقون بناء الخطاب مع تشديد الذال والكاف. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٣٧).

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَكَ.....

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنْ مَعِيَ إِلَهًا فَعَلَّ شَيْئًا مِمَّا ذُكِرَ. وَسَأَلُوهُ عَنْ وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ فَتَزَلُ: ﴿٦٥﴾ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ ﴿الْغَيْبَ﴾ أَي: مَا غَاب عَنْهُمْ، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنَّ ﴿اللَّهَ﴾ يَعْلَمُهُ، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أَي: كُفَارُ مَكَّةَ كَغَيْرِهِمْ ﴿أَيَّانَ﴾ وَقْتُ يُبْعَثُونَ.

﴿٦٦﴾ ﴿بَلِ﴾ - بِمَعْنَى (هَلْ) - ﴿أَدْرَكَ﴾ - وَزَنَ (أَكْرَمَ)، وَفِي قِرَاءَةِ أُخْرَى: ﴿أَدْرَكَ﴾ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ، وَأَصْلُهُ: تَدَارَكَ، أَبْدَلْتَ التَّاءَ دَالًا وَأُدْغِمْتَ فِي الدَّالِ، وَاجْتَلَبْتَ هَمْزَةَ الْوَصْلِ -،.....

حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (أَنْ مَعِيَ إِلَهًا) الأوضح أن يقول: (أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا)؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ مَأْمُورٌ بِهَذَا الْقَوْلِ، وَهُوَ لَا يَقُولُ لَهُمْ: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنْ مَعِيَ إِلَهًا. قوله: (وسألوه) أَي: الْمُشْرِكُونَ.

قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ﴿مَنْ﴾: فَاعِلٌ ﴿يَعْلَمُ﴾، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ صَلَاتُهَا، وَ﴿الْغَيْبَ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ، وَ﴿إِلَّا﴾ أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ، وَلَفْظُ الْجَلَالَةِ مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (يَعْلَمُهُ)، وَالتَّقْدِيرُ: لَا يَعْلَمُ الَّذِي ثَبَتَ فِي السَّمَاوَاتِ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَرْضِ كَالْإِنْسِ الْغَيْبَ، لَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُهُ.

قوله: (من الملائكة والناس) بيان لـ ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عَلَى سَبِيلِ اللَّفِّ وَالتَّشْرِ الْمُرْتَبِّ. قوله: (لَكِنَّ اللَّهَ...) إلخ) أشار بذلك إِلَى أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مَنْقُطِعٌ، وَلَا يَصَحُّ جَعْلُهُ مُتَّصِلًا؛ لِإِيْهَامِهِ أَنَّ اللَّهَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ مُحَالٌ.

قوله: (وقت يُبْعَثُونَ) تَفْسِيرُ لـ ﴿أَيَّانَ﴾، وَالْمُنَاسِبُ: تَفْسِيرُهَا بِ(مَتَى)؛ لِأَنَّ (أَيَّانَ) ظَرْفٌ مُضْمَنٌ مَعْنَى هَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ، وَ(مَتَى) كَذَلِكَ، بِخِلَافِ لَفْظِ (وقت).

قوله: (بمعنى: هل) أَي: الَّتِي لِلْإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِي.

عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءَ لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

أي: بَلَغَ وَلَحِقَ، أو تَتَابَعَ وَتَلَاخَقَ ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بِهَا حَتَّى سَأَلُوا عَنْ وَقْتِ مَجِيئِهَا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ مِنْ عَمَى الْقَلْبِ وَهُوَ أَبْلَغُ مِمَّا قَبْلَهُ، - وَالْأَصْلُ: عَمِيُونُ، اسْتَشْقَلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ، فَنُقِلَتْ إِلَى الْمِيمِ بَعْدَ حَذْفِ كَسْرِهَا ..

(٦٧ - ٦٨) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيْضاً فِي إنْكَارِ الْبَعْثِ: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءَ لَمُخْرَجُونَ﴾ مِنَ الْقُبُورِ؟ ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ﴾: مَا ﴿هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: جَمْعُ (أَسْطُورَةٍ) بِالضَّمِّ، أَيْ: مَا سَطَرَ مِنَ الْكَذِبِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: بلغ ولحق) راجع للقراءة الأولى، وقوله: (أو تتابع) راجع للثانية^(١)، والمعنى: هل بلغ علمهم بالآخرة أو تتابع علمهم الآخرة حتى سألوا عن وقت مجيء الساعة؟ ليس عندهم علم بذلك، بل ولا إثبات حتى يسألوا عن وقت الساعة، فسؤالهم محض تعنت وعناد.

قوله: ﴿فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أي: الآخرة.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ أي: عندهم جزمٌ بعدمها؛ لعدم إدراكهم دلائلها.

قوله: (بعد حذف كسرتها) أي: وسقطت الياء؛ لوقوعها ساكنة إثر ضمة.

قوله: (أيضاً) أي: كما قالوا ما تقدم.

قوله: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ (كان): فعل ماض ناقص، و(نا): اسمها، و﴿تُرَابًا﴾: خبرها، و﴿ءَابَاؤُنَا﴾: معطوف على اسم (كان)، وسوَّغَه الفصل بخبرها.

قوله: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا﴾ (وعد): فعل ماض، و(نا): نائب الفاعل مفعول أول، و﴿هَذَا﴾:

(١) قرأ المكي والبصريان وأبو جعفر بإسكان لام (بل)، و(أدرك) بهمزة قطع مفتوحة وإسكان الدال، والباقون بكسر لام (بل)، و(أدرك) بهمزة وصل تسقط في الدرج وتثبت في الابتداء مكسورة وفتح الدال وتشديدها ألف بعدها. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٣٧).

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿٦٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿﴾ بِإِنْكَارِهِمْ وَهِيَ هَلَاكُهُمْ بِالْعَذَابِ.

﴿٧٠﴾ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، أَي: لَا تَهْتَمُّ بِمَكْرِهِمْ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّا نَاصِرُونَكَ عَلَيْهِمْ.

حاشية الصاوي

مفعول ثان، و﴿تَحْزَنْ﴾: تأكيد ل(نا)، و(آباؤنا): عطف على المفعول الأول، وسَوْغَةُ الْفَصْلِ بالمفعول الثاني والضمير المنفصل، والمعنى: لقد وعدنا مُحَمَّدٌ بِالْبَعْثِ كما وعد مَنْ قَبْلَهُ آبَاءُنَا بِهِ؛ فَلَوْ كَانَ حَقًّا.. لحصل.

قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أمرٌ تهديدٌ لهم؛ إشارةً إلى أنهم إن لم يرجعوا.. نَزَلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ.

قوله: ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أَي: لتعتبروا بهم، فتَنَزَّجُوا عَنْ قَبَائِحِكُمْ.

قوله: (بِإِنْكَارِهِمْ) أَي: المجرمين.

قوله: (بِالْعَذَابِ) أَي: الدنيوي؛ لأنه هو المشاهدُ آثَارُهُ.

قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: لَا تَغْتَمَّ عَلَى عَدَمِ إِيمَانِهِمْ فِيمَا مَضَى، وَلَا تَخَفْ مِنْ مَكْرِهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ فَالْحُزْنُ: غَمٌّ لَمَّا مَضَى، وَالْخَوْفُ: غَمٌّ لَمَّا يَسْتَقْبَلُ.

قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ﴾ بثبوت النون هنا، وهو الأصل، وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعاً: تسعة مبدوءة بالتاء، وثمانية بالياء، واثنان بالنون، وواحد بالهمزة، وهو حذفٌ غيرٌ لازمٍ قال ابن مالك^(١): [الرجز]

وَمِنْ مُضَارِعٍ لِكَانَ مُنْجَزِمٌ تُحَذَفُ نُونٌ وَهُوَ حَذَفُ مَا التُّزِمَ

قوله: ﴿فِي ضَيْقٍ﴾ بفتح الضاد وكسرها، قراءتان سبعيتان^(٢)؛ أَي: حَرَجٌ.

(١) «الخلاصة»، باب: (كان وأخواتها)، (ص ١٩).

(٢) قرأ ابن كثير بكسر الضاد، والباقون بالفتح. انظر «السراج المنير» (٧٢/٣).

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾

(٧١ - ٧٢) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيهِ؟ ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ﴾ : قُرْبَ ﴿لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فَحَصَلَ لَهُمُ الْقَتْلُ بِبَدْرِ، وَبَاقِي الْعَذَابُ يَأْتِيهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ.

﴿٧٣﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ وَمِنْهُ تَأْخِيرُ الْعَذَابِ عَنِ الْكُفَّارِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فَالْكَفَّارُ لَا يَشْكُرُونَ تَأْخِيرَ الْعَذَابِ لِإِنْكَارِهِمْ وَقُوعِهِ.

(٧٤ - ٧٥) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ : تُخْفِيهِ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بِالسِّيَرَةِ، ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ - الْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ - أَيُ : شَيْءٍ فِي غَايَةِ الْخَفَاءِ عَلَى النَّاسِ، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ : بَيِّنٌ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَمَكْنُونٌ عِلْمُهُ تَعَالَى، وَمِنْهُ تَعْذِيبُ الْكُفَّارِ.

حاشية الصاوي

قوله : ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ خطابٌ للنبيِّ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

قوله : ﴿قُلْ عَسَى﴾ ... إلخ) الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق.

قوله : (القتل بيدٍ) أي : وغيره، وهذا هو العذاب المعجل.

قوله : (وباقى العذاب ...) إلخ) أي : وهو العذاب المؤجل.

قوله : (ومنه) أي : الفضل.

قوله : ﴿لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي : فالتأخير ليس لخفاء حالهم عليه.

قوله : (الهاء للمبالغة) أي : ك : راوية وعلامة، وسماها هاء باعتبار الوقف، ولو قال :

(التاء) .. لكان أسهل، وقيل : إنها كالتاء الداخلة على المصادر نحو : الباقية والكافية، ونظيرها :

الذبيحة والنطيحة في أنها أسماء غير صفات.

قوله : (ومكنون علمه) الواو : بمعنى (أو) ؛ لأنه تفسير ثانٍ، فتسميته كتاباً على سبيل الاستعارة

التصريحية ؛ حيث شبه بالكتاب ؛ كالسجل الذي يضبط الحوادث ويحصيها، ولا يشدُّ عنه شيء منها.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا

(٧٦ - ٧٧) ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ المَوْجُودِينَ فِي زَمَانِ نَبِيِّنَا
﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: بَيَانِ مَا ذُكِرَ عَلَى وَجْهِهِ الرَّافِعِ لِإِخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ
لَوْ أَخَذُوا بِهِ وَأَسْلَمُوا، ﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿٧٨﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كَغَيْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي: عَدْلِهِ، ﴿وَهُوَ
الْعَزِيزُ﴾: الْغَالِبُ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مُخَالَفَتَهُ كَمَا خَالَفَ الْكُفَّارُ
فِي الدُّنْيَا أَنْبَاءَهُ.

﴿٧٩﴾ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: ثِقْ بِهِ، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي: الدِّينِ الْبَيِّنِ، فَالْعَاقِبَةُ
لَكَ بِالنَّصْرِ عَلَى الْكُفَّارِ. ثُمَّ ضَرَبَ أَمْثَالًا لَهُمْ بِالْمَوْتَى وَالصُّمِّ وَبِالْعُمِيِّ فَقَالَ:

(٨٠ - ٨١) ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾﴾ أي: فَقَدْ نَصَّرَ بِالتَّصْرِيحِ عَلَى الْأَكْثَرِ؛ فَلَا يُنَافِي قَوْلَهُ:
﴿مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، وَمِنْ جَمَلَتِهِ: اخْتِلَافُهُمْ فِي شَأْنِ الْمَسِيحِ، وَتَفَرُّقُهُمْ فِيهِ فِرْقًا كَثِيرَةً،
فَوَقَعَ بَيْنَهُمُ التَّبَاغُضُ حَتَّى لَعَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

قوله: (أي: عَدْلِهِ) دَفَعَ بِذَلِكَ مَا يُقَالُ: إِنَّ الْقَضَاءَ مُرَادَفٌ لِلْحُكْمِ فَيُنْحَلُ الْمَعْنَى: يَقْضِي
بِقَضَائِهِ، أَوْ يَحْكُمُ بِحُكْمِهِ، فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْحُكْمِ: الْعَدْلُ.

قوله: (فَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا مُخَالَفَتَهُ... إلخ) تَفْرِيعٌ عَلَى (الْعَزِيزِ)، فَكَانَ الْمُنَاسِبُ تَقْدِيمُهُ بِلِصْقِهِ.
قوله: ﴿﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾﴾... إلخ) تَفْرِيعٌ عَلَى كَوْنِهِ عَزِيزًا عَلِيمًا؛ أي: فَإِذَا ثَبَّتَتْ لَهُ هَذِهِ
الْأَوْصَافُ... فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ تَفْوِضُ الْأُمُورِ إِلَيْهِ وَالثِّقَةُ بِهِ.

قوله: ﴿﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾﴾ عِلَّةٌ لِلتَّوَكُّلِ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾﴾.

وَلَوْأ مُذْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعُنَى عَنْ ضَلَلَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ

الثَّانِيَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْيَاءِ - ﴿وَلَوْأ مُذْبِرِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعُنَى عَنْ ضَلَلَتِهِمْ إِنْ : مَا ﴿تُسْمِعُ﴾ سَمَاعَ إِفْهَامٍ وَقَبُولَ ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ : الْقُرْآنِ ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ : مُخْلِصُونَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ .
 ﴿٨٢﴾ ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ : حَقُّ الْعَذَابِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ فِي جُمْلَةِ الْكُفَّارِ ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أَي : تُكَلِّمُ الْمَوْجُودِينَ حِينَ خُرُوجِهَا بِالْعَرِيَّةِ

حاشية الصاوي

قوله : (بينها وبين الياء) أي : فتقرأ متوسطة بين الهمزة والياء ، والقراءتان سبعتان^(١) .

قوله : ﴿مُذْبِرِينَ﴾ (أي : مُعْرِضِينَ .

قوله : ﴿بِهَدَى الْعُنَى﴾ (ضَمَّنَهُ مَعْنَى (تَضَرَّفُ) فَعْدَاهُ بـ(عَنْ) .

قوله : ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ (أي : مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا ، وَمِنْ هُنَا قَوْلُهُمْ : لَوْلَا السَّابِقَةُ . . مَا كَانَتْ اللَّاحِقَةُ .

قوله : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾ (أي : قَرُبَ وَقُوعُهُ ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْمَاضِي ؛ لِحَصُولِهِ فِي عِلْمِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ الْمَاضِي وَالْحَالَّ وَالْإِسْتِقْبَالَ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَاحِدٌ ؛ لِإِحَاطَتِهِ بِهَا ، وَالْمِرَادُ بِالْقَوْلِ : مُوَاعِيدُ الْقُرْآنِ بِالْفَضَائِحِ وَالْخِزْيِ وَالْعَذَابِ الدَّائِمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ لِلْكَفَّارِ .

قوله : (حَقُّ الْعَذَابِ) تَفْسِيرٌ لـ﴿وَقَعَ﴾ ، وَالْمَعْنَى : قَرُبَ نَزْوُلُهُ بِهِمْ .

قوله : ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ (أي : وَهِيَ الْجَسَّاسَةُ ، وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : «أَنَّ طُولَهَا سِتُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ ، وَلَا يَفُوتُهَا هَارِبٌ»^(٢) ، وَرَوَى : «أَنَّ لَهَا أَرْبَعَ قَوَائِمَ ، وَلَهَا زَعْبٌ وَرِيشٌ وَجَنَاحَانِ»^(٣) .

وَعَنْ ابْنِ جَرِيرٍ فِي وَصْفِهَا : رَأْسُ ثَوْرٍ ، وَعَيْنٌ خَنْزِيرٍ ، وَأُذُنُ فِيلٍ ، وَقَرْنٌ أُيْلٌ^(٤) ، وَعُنُقٌ نَعَامَةٌ ،

(١) سَهْلٌ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو الهمزة الثانية من (الدعاء إذا) كالياء مع تحقيق الأولى ، والباقون بتحقيقهما . انظر «السراج المنير» (٧٤/٣) .

(٢) رواه الثعلبي بسنده في «الكشف والبيان» (٢٢٣/٧) عن سيدنا حذيفة بن اليمان ؓ .

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٦٢) عن سيدنا ابن عباس ؓ .

(٤) الأيل بضم الهمزة وكسر ها ، والياء فيهما مشددة مفتوحة : ذكر الأوعال ، وهو التيس الجبلي .

حاشية الصاوي

وصدر أسد، ولون نمر، وخاصرة هرّة، وذنب كبش، وخُف بعير، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: فيها كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب^(١).

وعن علي رضي الله عنه: أنها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينتظرون؛ فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها^(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه سئل من أين تخرج الدابة؟ فقال: «من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى»^(٣) يعني: المسجد الحرام. وروي: «أنها تخرج ثلاث خرجات: تخرج بأقصى اليمن، ثم تكمن، ثم تخرج بالبادية، ثم تكمن دهرأ طويلاً، فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد»^(٤).

وقيل: تخرج من الصفا؛ لما روي: «بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تَضَطَّرب الأرض تحتهم - أي: تتحرك تحرك القنديل - وتنشق الصفا مما يلي المسعى، فتخرج الدابة من الصفا، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام، فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا، فتنتك نكتة بيضاء، فتفشو حتى يضيء بها وجهه، وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتنتك الكافر بالخاتم في أنفه، فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه، وتكتب بين عينيه: كافر، ثم تقول لهم: أنت يا فلان من أهل الجنة، وأنت يا فلان من أهل النار»^(٥).

وروي: «أن أول الآيات خروجاً طُلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتهما.. فالأخرى على أثرها»^(٦).

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٩٢٥/٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٩٧/١٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: (تخرج الدابة من صدع في الصفا، كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٧٦/٢) عن سيدنا حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٨٤/٤) عن سيدنا أبي سريحة الأنصاري رضي الله عنه.

(٥) رواه البغوي في «تفسيره» (١٨٠/٦).

(٦) رواه مسلم (٢٩٤١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

تَقُولَ لَهُمْ مِنْ جُمْلَةٍ كَلَامُهَا عَنَّا: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أي: كُفَّار مَكَّةَ، - وعلى قِرَاءَةٍ فَتَحِ هَمْزَةٍ ﴿أَنَّ﴾ تُقَدَّرُ الْبَاءُ بَعْدَ ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ - ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: لَا يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ الْمُسْتَمِيلِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْعِقَابِ، وَيَخْرُوجُهَا يَنْقَطِعُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا يُؤْمِنُ كَافِرٌ كَمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

حاشية الصاوي

واختُلف في تعيين هذه الدابة؛ فقليل: هي فصيلُ ناقةٍ صالح، وهو أصحُّ الأقوال؛ فإنه لما عقرت أمه... هرب، فانفتح له حجرٌ، فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه الحجر، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عزَّ وجلَّ، وقيل غير ذلك.

قوله: (تقول لهم) تفسير لـ ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾.

قوله: (عنا) متعلق بمحذوف؛ أي: حال كونها حاكية وناقلة لما تقوله عَنَّا؛ بأن تقول: قال الله: إن الناس... إلخ.

قوله: (أي: كفار مكة) المناسب حمل (الناس) على الموجودين وقتَ خروجها من الكفار.

قوله: (وعلى قِرَاءَةٍ فَتَحِ هَمْزَةٍ «أَنَّ» تُقَدَّرُ الْبَاءُ) أي: للتعدية أو للسببية، وأمَّا على قِرَاءَةِ الْكَسْرِ... فهو مستأنفٌ من كلامه تعالى، تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل، والقراءتان سبعتان^(١).

قوله: (ينقطع الأمر بالمعروف... إلخ) أي: لعدم إفادة ذلك؛ لأنه في ذلك الوقت ظهر المؤمن والكافر عياناً بوسم الدابة؛ فمَنْ وَسَّمَهُ بِالْكَفْرِ... لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُهُ؛ فحِينَئِذٍ: لَا يَنْفَعُ أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ وَلَا نَهْيٌ عَنِ مَنْكَرٍ.

ووجد في بعض النسخ: (ولا يبقى منيبٌ ولا تائبٌ، ولا يؤمن كافر) أي: لا يوجد في هذا الوقت مَنْ يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ - أي: يرجع إليه - وَلَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ تَائِبٍ مِنَ الْعُصَاةِ، وَلَا إِيْمَانُ كَافِرٍ.

(١) قرأ الكوفيون بالفتح، والباقون بالكسر. انظر «الدر المصون» (٨/٦٤٢).

وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا

﴿٨٣﴾ ﴿و﴾ اذْكُر ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: جَمَاعَةٌ ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ وَهُمْ رُؤَسَاؤُهُمُ الْمُتَّبِعُونَ ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أَي: يُجْمَعُونَ بِرَدِّ آخِرِهِمْ إِلَى أَوَّلِهِمْ ثُمَّ يُسَاقُونَ.

﴿٨٤﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا﴾ مَكَانَ الْحِسَابِ ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿أَكَذَّبْتُمْ﴾ أَنْبِيَائِي ﴿بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا﴾ مِنْ جِهَةٍ تَكْذِيبِكُمْ ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا﴾ - فِيهِ إِدْغَامُ (مَا) الِاسْتِفْهَامِيَّةِ - ﴿ذَا﴾ - مَوْضُول - أَي: مَا الَّذِي ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِمَّا أَمَرْتُمْ بِهِ.

﴿٨٥﴾ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾: حَقَّ الْعَذَابُ ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ أَي: أَشْرَكُوا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ﴾ (أَي: الحشرَ الخاصَّ بهم للعذاب بعد انقضاء الحشر العام لجميع الخلق).

قوله: ﴿نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ (مِنْ): تَبْعِيضِيَّةٌ، وَقَوْلُهُ ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ﴾ (مِنْ): بَيَانِيَّةٌ لِلْفَوْجِ.

قوله: ﴿فَوْجًا﴾ الفوج في الأصل: الجماعة المارة المسرعة، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْجَمَاعَةِ مطلقاً.

قوله: (وَهُمْ رُؤَسَاؤُهُمْ) أَي: كَأَبِي جَهْلٍ وَأَبِي بَنِ خَلْفٍ، وَفِرْعَوْنُ وَقَارُونُ وَالنَمْرُودُ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ رُؤَسَاءِ الضَّلَالِ؛ فَكُلُّ رُؤَسَاءِ زَمَنِ تُخْشَرُ عَلَى حِدَةٍ.

قوله: (بَرَدُّ آخِرِهِمْ إِلَى أَوَّلِهِمْ) الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: (بَرَدُّ أَوَّلِهِمْ عَلَى آخِرِهِمْ) أَي: يَحْبَسُ أَوَّلُهُمْ وَيُوقَفُ حَتَّى يَأْتِيَ آخِرُهُمْ، وَيَجْتَمِعُونَ ثُمَّ يُسَاقُونَ.

قوله: ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ الِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ، وَالْمَعْنَى: أَنْكَرْتُمُوهَا وَجَحَدْتُمُوهَا.

قوله: ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ، وَالْمَعْنَى: أَنْكَرْتُمُوهَا مِنْ غَيْرِ فَهْمِهَا وَتَأْمُلِهَا، فَهُمْ مُؤَاخَذُونَ بِالْجَهْلِ وَالْكَفْرِ.

قوله: ﴿أَمَآذَا﴾ (أَم): مُنْقَطِعَةٌ بِمَعْنَى (بَلْ)، وَ(مَا): اسْمُ اسْتِفْهَامٍ، أُدْغِمْتَ مِيمَ (أَم) فِي (مَا)، فَقَوْلُهُ: (فِيهِ إِدْغَامُ «مَا» الِاسْتِفْهَامِيَّةِ) أَي: الِإِدْغَامُ فِيهَا.

قوله: (حَقَّ الْعَذَابِ) أَي: نَزَلَ بِهِمْ، وَهُوَ كُتُبُهُمْ فِي النَّارِ.

فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
 ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ إِذْ لَا حُجَّةَ لَهُمْ.

﴿٨٦﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾: خَلَقْنَا ﴿آلِيلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ﴾ كَغَيْرِهِمْ، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بِمَعْنَى: يُبْصِرُ فِيهِ لِيَتَصَرَّفُوا فِيهِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكْرِ لِإِنْتِفَاعِهِمْ بِهَا فِي الْإِيمَانِ بِخِلَافِ الْكَافِرِينَ.

﴿٨٧﴾ ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: الْقَرْنِ النَّفْخَةُ الْأُولَى

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي: بحجة واعتذار.

قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: يعلموا.

قوله: ﴿أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ﴾ أي: مظلماً، بدلالة قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ كما حذف (ليتصرفوا فيه) من قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بدلالة قوله: ﴿لَيْسَكُنَا فِيهِ﴾ عليه؛ ففي الآية احتباك.

قوله: (بمعنى: يبصر فيه) أي: فالإسناد مجازي من الإسناد إلى الزمان.

قوله: (يتصرفوا فيه) أي: بالسَّعي في مصالحهم.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: الجعل المذكور.

قوله: (دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى) أي: من حيث اختلاف الليل والنهار بالنور والظلمة.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾.

قوله: (النفخة الأولى) أي: وتسمى نفخة الصعق، ونفخة الفزع، فعبر عنها بالفزع، وفي سورة (الزمر) بالصعق، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [الزمر: ٦٨] إلخ، وعند حصولها يموت كل حيٍّ ما عدا ما استثني، وأما النفخة الثانية فعندها يحيى كلٌّ من كان ميتاً، فالنفخة اثنتان، وبينهما أربعون سنة، وقيل: إنها ثلاث: نفخة الزلزلة وذلك حين تسير الجبال وترتج الأرض بأهلها، ونفخة الموت، ونفخة الإحياء، والقول الأول هو المشهور.

والصحيح في الصُّور: أنه قرن من نور خلقه الله، وأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخص ببصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر بالنفخة، وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والأرض، ويسمى بالبوق في لغة اليمن.

فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوُهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾

من إسرافيل، ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى: ﴿فَصَعَقَ﴾ [الزمر: ٦٨]، والتعبير فيه بالماضي لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَكُ الْمَوْتِ، وعن ابن عباس: هُمُ الشُّهَدَاءُ؛ إِذْ هُمُ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، ﴿وَكُلُّ﴾ - تَنْوِينُهُ عَوَظٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ - أي: وَكُلُّهُمْ بَعْدَ إِحْيَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿أَتَوُهُ﴾ - بِصِيغَةِ الْفِعْلِ وَاسِمِ الْفَاعِلِ - ﴿دَاخِرِينَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (من إسرافيل) أي: وهو أحد الرؤساء الأربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل.

قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: كُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

قوله: (أي: خافوا الخوف المفضي إلى الموت) أي: استمرَّ بهم الخوف إلى أن ماتوا به.

قوله: (والتعبير بالماضي... إلخ) جوابٌ عمَّا يُقَالُ: إِنَّ الْفَزَعَ مُسْتَقْبَلٌ؛ فَلِمَ عَبَّرَ بِالْمَاضِي؟ فأجاب: بأنه لتحقيقه نُزُلَ مَنْزِلَةِ الْوَاقِعِ؛ لِأَنَّ الْمَاضِي وَالْحَالُ وَالْإِسْتِقْبَالُ بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِهِ تَعَالَى وَاحِدٌ؛ لِتَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِهِ.

قوله: (أي: جبريل... إلخ) أي: فهؤلاء الأربعة لا يموتون عند النفخة الأولى، بخلاف باقي الملائكة، وإنما يموتون بين النفختين، ويحيون قبل الثانية.

قوله: (وعن ابن عباس: هم الشهداء) وقيل: هم حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وقيل: أهل الجنة من الحور العين والولدان، وخزنة الجنة والنار، وقيل: موسى، وقيل: جميع الأنبياء.

قوله: (إذ هم أحياء) أي: حياةً بَرَزَخِيَّةً لَا تَزُولُ وَلَا تَحُولُ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ كَحَيَاةِ الدُّنْيَا.

قوله: (أي: كلهم) أي: المخلوقات؛ مَنْ صَعَقَ مِنْهَا، وَمَنْ لَمْ يَصَعَقْ.

قوله: (بصيغة الفعل) أي: الماضي، فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة، وتاء مفتوحة، وواو ساكنة.

قوله: (واسم الفاعل) أي: فيقرأ بمد الهمزة، وضمَّ التاء، وسكون الواو، وأصله: آتُونْ لَهُ، حذفت اللام للتخفيف، والنون للإضافة، والقراءتان سبعتان^(١).

(١) قرأ حمزة وحفص: (أتوه) فعلاً ماضياً، ومفعوله الهاء، والباقون: (آتوه) اسم فاعل مضافاً للهاء. انظر الدر المصون، (٨/٦٤٥).

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ

صاغيرين . والتَّعْيِيرُ في الإتيانِ بِالْمَاضِي لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ .

﴿٨٨﴾ ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ : تُبَصِّرُهَا وَقْتُ النَّفْخَةِ ﴿تَحْسَبُهَا﴾ : تَنْظُنُّهَا ﴿جَامِدَةً﴾ : وَاقِفَةً مَكَانَهَا لِعِظَمِهَا ، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ : الْمَطَرُ إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ ، أَي : تَسِيرُ سَيْرَهُ حَتَّى تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ فَتَسْتَوِي بِهَا مَبْثُوثَةً ، ثُمَّ تَصِيرُ كَالْعِهْنِ ، ثُمَّ تَصِيرُ هَبَاءً مَنْثُورًا . ﴿صُنَعَ اللَّهُ﴾ مَصْدَرُ مُؤَكَّدٍ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ أَضِيفَ إِلَى فَاعِلِهِ بَعْدَ حَذْفِ عَامِلِهِ ، أَي : صَنَعَ اللَّهُ ذَلِكَ صُنْعًا ، ﴿الَّذِي أَنْفَنَ﴾ : أَحْكَمَ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ صَنْعَهُ ،

حاشية الصاوي

قوله : (صاغيرين) أي : أذلاءً لهيبة الله تعالى ، فيشملُ الطائِعَ والعاصيَ ، وليس المرادُ ذلَّ المعاصي ، والمعنى : أَنَّ إِسْرَافِيلَ حينَ ينفخُ في الصورِ النفخةَ الثانيةَ التي يكونُ بها إحياءُ الخلقِ يأتي كلُّ إنسانٍ ذليلاً لهيبة الله تعالى .

قوله : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ عطف على قوله : ﴿يُنفَخُ﴾ .

قوله : (وقت النفخة) أي : الثانية ؛ لأنَّ تبديل الأرض وتسيير الجبال وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية ؛ كما يشهد به قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا...﴾ [طه : ١٠٥] الآية ، وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ بُدِّلُ الْأَرْضُ عِزَّ الْأَرْضِ...﴾ [إبراهيم : ٤٨] الآية .

قوله : (لعظميها) أي : وذلك لأنَّ الأجرامَ الكبارَ إذا تحرَّكت مرةً واحدةً .. لا تكادُ تُبَصَّرُ حركتها .

قوله : (المطر) الصواب : إبقاء اللفظ على ظاهره ؛ لأنَّ تفسير السحاب بالمطر لم يقله أحد ، ولعل الباء سقطت من قلم المفسر ، والأصل : (مرَّ السحاب بالمطر) .

قوله : (حتى تقع) أي : الجبال على الأرض .

قوله : (مبسوسة) أي : مفتتة كالرمل السائل .

قوله : (كالعهن) أي : الصوف المنفوش .

قوله : (مؤكَّد لمضمون الجملة قبله) أي : لأنَّ ما تقدم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك إنما هو من صنع الله لا غيره .

قوله : ﴿الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي : وضعه في محله على أكمل حالاته .

إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ

﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ - بالياء والتاء - أي: أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.
 ﴿٨٩﴾ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: (لا إله إلا الله) يوم القيامة ﴿فَلَهُ خَيْرٌ﴾: ثواب ﴿مِنْهَا﴾ أي: بسببها، وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها، وفي آية أخرى: ﴿عَشْرُ أََمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿وَهُمْ﴾ أي: الجاؤون بها ﴿مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ - بالإضافة وكسر الميم وفتحها، و﴿فَزَعٌ﴾ مُنَوَّنًا
 حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أي: لا إله إلا الله) إنما حمّله على هذا التفسير ذكر المقابل؛ لأنّ الكبّ في النار ليس بمطلق سيئة، بل إنما يكون بالكفر، وهو يقابل الإيمان، وحينئذ: فد(أل) في (الحسنة) للعهد؛ أي: الحسنة المعهودة، وهي كلمة التوحيد، وقيل: الحسنة: كل عمل خير من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البرّ.

قوله: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ أي: وهو الخلود في الجنة.

قوله: (أي: بسببها) أشار بذلك إلى أن (من) للسببية، ويصح أن تكون للتعليل؛ أي: من أجل مجيئه بها.

قوله: (وليس للتفضيل) أي: ليس (خير) أفعّل تفضيل؛ لأنه ليس عبادة أفضل من: لا إله إلا الله، ويؤيد ما قاله المفسر ما روي عن ابن عباس أنه قال: (له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب، والأمن من العذاب، أمّا من يكون له شيء خير من الإيمان.. فلا؛ لأنه لا شيء خير من: لا إله إلا الله)^(٢).

قوله: (بالإضافة) أي: إضافة (فزع) لـ(اليوم).

قوله: (وكسر الميم) أي: للإعراب، وقوله: (وفتحها) أي: فتحة بناء، وهو قراءة ثانية في الإضافة، وقوله: (و«فزع» منوناً) معطوف على قوله: (بالإضافة)، فتكون القراءات ثلاثاً

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالغيبة جرياً على قوله: (وكل أنوه)، والباقون بالخطاب جرياً على قوله: (وترى)؛ لأن المراد النبي ﷺ وأُمَّتُه. انظر «الدر المصون» (٦٤٦/٨).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣٠/٧).

﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا

وفتح الميم - ﴿ءَامِنُونَ﴾ .

﴿٩٠﴾ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشُّرْكِ ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ بِأَنَّ وَلِيَّتَهَا، وَذُكِرَتْ الْوُجُوهُ لِأَنَّهَا مَوْضِعُ الشَّرَفِ مِنَ الْحَوَاسِّ، فَغَيْرُهَا مِنْ بَابِ أَوْلَى، وَيُقَالُ لَهُمْ تَبْكِيئًا: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جَزَاءُ ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي. قُلْ لَهُمْ: ﴿٩١﴾ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ أي: مَكَّةَ ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: جَعَلَهَا

حاشية الصاوي

سبعيات^(١)، فكان الأوضح أن يعبرَ بـ(أو) بدل الواو في الأخير.

قوله: ﴿﴿ءَامِنُونَ﴾﴾ أي: لا يُصِيبُهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ، والمراد بالفزع هنا: الخوف من العذاب، وبالفزع المتقدم: الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة في ذلك اليوم؛ فلا تنافي بين إثباته فيما تقدّم ونفيه هنا.

قوله: ﴿﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾﴾ أي: ألقوا عليها في النار.

قوله: (ويقال لهم) أي: وقت كبّهم على وجوههم في النار، والقائل لهم خزنتها.

قوله: (أي: ما ﴿تُجْزَوْنَ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: ﴿﴿قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾﴾... إلخ) أمرٌ ﷺ بأن يقول لهم ما ذكر بعد بيان ما يحصل في المعاد؛ إشارة إلى أن عبادة الله هي المقصودة بالذات له؛ آمنوا أو كفروا، فيتسبّب عن ذلك اهتمامهم بأمر أنفسهم، ورجوعهم عمّا يوجب نقصانهم.

قوله: ﴿﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾﴾ صفة لـ ﴿رَبِّ﴾، ولا يعارضه قوله ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ»^(٢)؛ لأنَّ إسناده التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه، وإسناده التحريم لإبراهيم باعتبار إخباره بذلك وإظهاره.

(١) قرأ الكوفيون بتنوين (فزع)، وغيرهم بترك التنوين، وكسر ميم (يومئذ) المكي والبصريان والشامي، وفتحها غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٣٦٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

حَرَمًا آمِنًا لَا يُسْفَكُ فِيهَا دَمُ إِنْسَانٍ، وَلَا يُظْلَمُ فِيهَا أَحَدٌ، وَلَا يُصَادُ صَيْدُهَا وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا، وَذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ عَلَى قُرَيْشٍ أَهْلِهَا فِي رَفْعِ اللَّهِ عَنْ بَلَدِهِمُ الْعَذَابَ وَالْفِتْنَ الشَّائِعَةَ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْعَرَبِ، ﴿وَلَهُ﴾ تَعَالَى ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ فَهُوَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ وَمَالِكُهُ، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لِلَّهِ بِتَوْحِيدِهِ.

﴿٩٢﴾ ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ عَلَيْكُمْ تِلَاوَةُ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ؛ ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ لَهُ ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ﴾ أَي: لِأَجْلِهَا؛ فَإِنَّ ثَوَابَ اهْتِدَائِهِ لَهُ، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ وَأَخْطَأَ طَرِيقَ الْهُدَى ﴿فَقُلْ﴾ لَهُ: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾: الْمُخَوِّفِينَ، فَلَيْسَ عَلَيَّ إِلَّا التَّبْلِيغُ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

﴿٩٣﴾ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

حاشية الصاوي

قوله: (ولا يختلى خلاها) أي: لا يُقَطَّعُ حَشِيشُهَا الرُّطْبُ.

قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: أَنْ أَثْبِتَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ أي: أَوْاطَّبَ عَلَيْهِ؛ لَتَكْشِفَ لِي حَقَائِقَهُ وَرَقَائِقَهُ؛ لِأَنَّ عُلُومَ الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ، فَتَكَرَّرَ التَّلَاوَةُ أَزْدَادَ عُلُومًا وَمَعَارِفَ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ أَعْظَمُ الْقِرَاءَاتِ^(١) قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ.

قوله: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ لَهُ أَي: لِلْإِيمَانِ.

قوله: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ هُوَ جَوَابُ الشَّرْطِ، وَالرَّابِطُ مَحْذُوفٌ، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (له).

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فَهُوَ مَنْسُوخٌ.

قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أَي: عَلَى مَا أَعْطَانِي مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَجَّلَهَا النُّبُوَّةُ الَّتِي بَهَا إِرْشَادُ الْخَلْقِ لَصَلَاحِهِمْ.

سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴿٩٣﴾ فَأَرَاهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَضَرَبَ الْمَلَائِكَةُ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَعَجَّلَهُمُ اللَّهُ إِلَى النَّارِ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ - بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ -، وَإِنَّمَا يُمَهِّلُهُمْ لِيُوقِتَهُمْ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: (وَضَرَبَ الْمَلَائِكَةُ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) أي: وجوه الذين قُتِلُوا وَأَدْبَارَهُمْ.

قوله: (بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ) أي: فهما قراءتان سبعتان؛ فعلى الأولى هو وعيدٌ محضٌ، وعلى الثانية فيه وعدٌ للطائعين، ووعدٌ للعاصين^(١).



(١) قرأ بالخطاب المدينيان والشامي وحفص ويعقوب، وبالفية غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٣٩).

﴿ طَسَمَ ١ ﴾ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢

سُورَةُ الْقَصَصِ

مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ ... ﴾ الْآيَةُ، نَزَلَتْ بِالْجُحْفَةِ، وَإِلَّا ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ... ﴾ إِلَى لَا تَنْبَغِي الْجَهْلِينَ، وَهِيَ سَبْعٌ أَوْ ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿ طَسَمَ ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ.

٢ ﴿ تِلْكَ ﴾ أَي: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿ ءَايَةُ الْكِتَابِ ﴾ الْإِضَافَةُ بِمَعْنَى (مِنْ) ﴿ الْمُبِينِ ﴾ : الْمُظْهِرُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْقَصَصِ

سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الْحِكَايَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْ اللَّهِ؛ لِأَنَّ (الْقَصَصَ) مَصْدَرٌ بِمَعْنَى: الْإِخْبَارُ، وَتَسْمَى أَيْضاً: سُورَةُ مُوسَى.

قوله: (نزلت بالجحفة) أي: حين خرج النبي ﷺ من الغار ليلاً مهاجراً في غير الطريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق ونزل بالجحفة. عرف الطريق إلى مكة، فاشتاق إليها، فنزلت تلك الآية تسليّةً وتبشيراً له بأنه يرجع إلى مكان عوده - وهو مكة - أحسن مرجع^(١). ومن هنا صحّ استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافرين، وقيل: المعاد: الموت، وقيل: الآخرة، وكلُّ صحيح، وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية، لأنها لم تنزل قبل الهجرة، ولم تنزل بعد استقرارها، بل نزلت بالطريق^(٢).

قوله: (إلى قوله: ﴿ لَا تَنْبَغِي الْجَهْلِينَ ﴾) أي: وهو أربع آيات.

قوله: (أي: هذه الآيات) أي: آيات هذه السورة، والإشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى.

(١) انظر «زاد المسير» (٣/٣٩٦)، وروى البخاري (٤٧٧٣) عن سيدنا ابن عباس ؓ في تفسير قوله تعالى: ﴿ رَأَدَكَ إِلَى مَعَاذٍ ﴾، قال: إلى مكة.

(٢) شطب في (أ) على قوله: (وهذه الآية ليست مكية) إلى قوله: (بل نزلت بالطريق)، والمثبت من (ط٢).

نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ

﴿٣﴾ نَتْلُوا: نَقُصُّ ﴿عَلَيْكَ مِنْ نَبَأٍ﴾: خَبَر ﴿مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾: الصُّدُقِ، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لِأَجْلِهِمْ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهِ.

﴿٤﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا: تَعَظَّمَ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أَرْضِ مِصْرَ ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾: فِرْقًا فِي خِدْمَتِهِ؛ ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾: هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، ﴿يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ﴾: الْمَوْلُودِينَ ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾: يَسْتَبْقِيَهُنَّ أَحْيَاءَ لِقَوْلِ بَعْضِ الْكَهَنَةِ لَهُ: إِنَّ مَوْلوداً يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ زَوَالِ مُلْكِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ﴾ مفعوله محذوف؛ أي: شيئاً، وقوله: ﴿مِنْ نَبَأٍ﴾ (صفة لذلك المحذوف، ويصح أن تكون (من) اسم بمعنى (بعض) هي المفعول، أو زائدة على مذهب الأخفش، و(نبأ) هو المفعول.

قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال إما من فاعل ﴿نَتْلُوا﴾، أو من مفعوله، والمعنى: حال كوننا ملتبسين بالصدق، أو كون الخبر ملتبساً بالصدق.

قوله: (لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللام للتعليل؛ أي: إِنَّ المقصود بالذكر المؤمنين؛ لأنهم هم المتنفعون بذلك، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ كلامٌ مستأنفٌ، بيانٌ للنُّبَأِ.

قوله: (تعظم) أي: تكبر وافتخر.

قوله: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾ أي: أصنافاً، فجعل الصنائع الشريفة والإمارة للقبط، وجعل الصنائع الخسيسة لبني إسرائيل؛ من بناءٍ وحرثٍ وحفرٍ وغير ذلك، ومن لم يستعمله.. ضرب عليه الجزية.

قوله: ﴿يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿يَسْتَضِعُّ...﴾ إلخ، وذلك أن بني إسرائيل لما كثروا بمصر.. استطالوا على الناس، وعملوا المعاصي، فسَلَطَ الله عليهم القبط، فاستضعفهم وذبحوا أبناءهم بأمر فرعون؛ قيل: إنه ذبح سبعين ألفاً إلى أن أنجاهم الله على يد موسى عليه السلام.

إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ.

﴿٥﴾ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَتَيْنِ، وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ يَاءً - يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ، ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ مُلْكُ فِرْعَوْنَ.

﴿٦﴾ ﴿وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أَرْضُ مِصْرَ وَالشَّامِ، ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: (وَيَرَى) بِفَتْحِ التَّحْتَانِيَّةِ وَالرَّاءِ وَرَفْعِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ - ﴿مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾: يَخَافُونَ مِنَ الْمَوْلُودِ الَّذِي يَذْهَبُ مُلْكُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: الراسخين في الفساد.

قوله: ﴿بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ﴾ أي: كدعوى الألوهية.

قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾ أي: نتفضل عليهم بإنجائهم من بأسه.

قوله: ﴿يُقْتَدَى بِهِمْ﴾ أي: بعد أن كانوا أذلاء مسخرين.

قوله: ﴿وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نُملِكهم مصر والشام، يتصرفون فيها كيف يشاؤون.

قوله: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: نبصره، ﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ وما عطف عليه: مفعول أول، و﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ مفعول ثانٍ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وعليها: فلها مفعول واحد، وهو قوله: ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، وعلى هذه: فتجب إمالة الراء إمالة محضة^(١).

قوله: (ورفع الأسماء الثلاثة) أي: على الفاعلية.

قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: المستضعفين.

قوله: (يخافون من المولود...) إلخ) أي: وقد حصل ما خافوه حين أتهمهم مُعْجَزَاتِ مُوسَى عليه السلام، وحين أدركهم الغرق.

(١) قرأ الأخوان (يرى) بفتح الياء والراء مضارع (رأى) مستنداً إلى فرعون وما عطف عليه؛ فلذلك رفعوا، والباقون بضم النون وكسر الراء مضارع (أرى). انظر «الدر المصون» (٨/٦٥١).

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي
إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَىكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

﴿٧﴾ وَأَوْحَيْنَا ﴿﴾ وحي إلهام أو منام ﴿﴾ إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى ﴿﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته: ﴿﴾ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴿﴾: البحر أي: النيل، ﴿﴾ وَلَا تَخَافِي ﴿﴾ غرقه، ﴿﴾ وَلَا تَحْزَنِي ﴿﴾ لفراقه؛ ﴿﴾ إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَىكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي، وخافت عليه فوضعتة في تابوت

حاشية الصاوي

قوله: (وحي إلهام أو منام) هذان قولان للمفسرين، وقيل: كان بملك تمثّل لها، واعترض: بأنها ليست بنبيّة، وأجيب: بأنّ الممنوع نزول الملائكة على غير الأنبياء بالشرائع، وأمّا بغيرها.. فجائز؛ كنزول الملك على البارّ بأمره التي تقدّمت قصّته في (البقرة)^(١).

قوله: ﴿﴾ إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى ﴿﴾ أي: واسمها يُوحَازِد، بضمّ الياء، وكسر النون، وبالذال المعجمة، وقيل: لوخا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب.

وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما: ﴿﴾ أَرْضِعِيهِ ﴿﴾، و﴿﴾ أَلْقِيهِ ﴿﴾، ونهين وهما: ﴿﴾ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴿﴾، وخبرين وبشارتين وهما: ﴿﴾ إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَىكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿﴾ فهما خبران تضمّنا بشارتين.

قوله: ﴿﴾ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴿﴾ يصح أن تكون (أن) مفسّرة أو مصدرية.

قوله: ﴿﴾ وَلَا تَخَافِي ﴿﴾ غرقه دفع بذلك التناقض بين إثبات الخوف ونفيه، فالمثبت هو خوف الذبح، والمنفي هو خوف الغرق.

قوله: ﴿﴾ إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَىكَ ﴿﴾ أي: لتأمين عليه^(٢)، وهو علة للنهي عن الخوف والحزن.

قوله: (فوضعتة في تابوت) وكان طوله خمسة أشبار، وعرضه كذلك، وجعلت المفتاح في التابوت.

(١) عند ذكر قصة بقرّة بني إسرائيل، والخبر بطوله في «تفسير الخازن» (٥٢/١)، وروى: أنه كان باراً بأبيه عند ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٥٥).

(٢) كذا في النسخ بإثبات نون (تأمين) على إهمال (أن) الناصبة، كما أهملت في قوله ﷺ: «ما منعك أن تحجين معنا»، وهو قليل، وبعضهم ينقل أنها لغة لبعض العرب. انظر «شرح التسهيل» لابن مالك (٤٤/٢).

مَطْلِيٍّ بِالْقَارِ مِنْ دَاخِلٍ، مُمَهَّدٌ لَهُ فِيهِ، وَأَغْلَقْتُهُ وَأَلْقَيْتُهُ فِي بَحْرِ النَّيْلِ لَيْلاً.

حاشية الصاوي

قوله: (مطلِّيٍّ بالقار) أي: الزفت.

قوله: (ممَّهَّدٍ) أي: مفروشٍ له فيه، ففرشت فيه قطناً مخلوجاً^(١).

قوله: (وأغلقته) أي: وقبّرت رأسه، وحاصله: أَنَّ أُمَّ مُوسَى لما تقاربت ولادتها، وكانت قابلةً من القوابل التي وكّلهنَّ فرعون بحبالى بني إسرائيل مُصَافِيَةً لَأُمِّ مُوسَى ومصاحبةً لها، فلمّا ضربها الطَّلَقُ.. أرسلت إليها فقالت: قد نزل بي ما نزل، فليُسعِفني حُبُّكَ إِيَّاي اليوم، فعالجتها، فلمّا أن وقع موسى بالأرض.. هالها نورٌ بين عيني موسى، فارتعش كلُّ مفصل فيها، ودخل حبُّ موسى قلبها، ثمّ قالت القابلة لها: يا هذه؛ ما جئتُ إليك حين دعوتني إلا ومرادي قتل مولودك، ولكن وجدتُ لابنك هذا حبّاً ما وجدت حبّاً شيءٍ مثلَ حبه، فاحفظي ابنك.

فلَمّا خرجت القابلة من عندها.. أبصرها بعض العيون، فجاؤوا على بابها؛ ليدخلوا على أم موسى، فقالت أختها: يا أمّاه هذا الحرس بالباب، فلَفَّتْ موسى بِخِرْقَةٍ وألقت في الثُّنُور وهو مسجورٌ، وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع، قال: فدخلوا فإذا الثُّنُور مسجورٌ، ورأوا أمّ موسى ولم يتغيّر لها لونٌ، ولم يظهر لها لبنٌ، فقالوا: ما أدخل عليك القابلة؟ فقالت: هي مُصَافِيَةٌ لي، فدخلت عليّ زائرةٌ، فخرجوا من عندها، فرجع إليها عقلها، فقالت لأخت موسى: وأين الصبي؟ فقالت: ما أدري، فسمعت بكاءً الصبي من الثُّنُور، فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار برداً وسلاماً، فاحتملته.

ثمّ إِنَّ أُمَّ مُوسَى لما رأت إلحاحَ فرعون في طلب الولدان.. خافت على ابنها، وقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتاً، ثمّ تقذف التابوت في النيل، فانطلقت إلى رجلٍ نجارٍ من قوم فرعون، فاشتريت منه تابوتاً صغيراً، فقال النّجار: ما تصنعين بهذا التابوت؟ فقالت: لي ابن أخبؤُهُ في التابوت، وكرهت الكذب، ولم تقل: أخشى عليه كيد فرعون، فلمّا اشترت التابوت وحملته وانطلقت به.. انطلق النجار إلى الذّباحين؛ ليخبرهم بأمر أمّ موسى، فلمّا همّ بالكلام.. أسكت الله لسانه، فلم يُطق الكلام، وجعل يشير بيده، فلم يدرِ الأمناء ما يقول، فأعياهم أمره، قال كبيرهم: اضربوه، فضربوه وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه.. ردّ الله عليه لسانه، فتكلّم، فانطلق

(١) المحلوج: الذي تمّ تخليصه من بذره.

حاشية الصاوي

أيضاً يريد الأمناء، فأتاهم ليُخبرهم، فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً، فضرَبوه وأخرجوه، فبقي حيران، فجعل الله عليه إن ردَّ لسانه وبصره ألا يدلَّ عليه، وأن يكون معه ويَحفظه حيثما كانوا، وعَرَفَ الله منه الصدق، فردَّ عليه لسانه وبصره، فخرَّ معه ساجداً وقال: ربِّ دُلَّنِي على هذا العبد الصالح، فدلَّه الله عليه، فأمن به وصدَّقه^(١).

وقيل: لما حملت أم موسى به.. كتمت أمرها عن جميع الناس، فلم يطلع على حبلها أحدٌ من خلق الله، وذلك شيءٌ ستره الله تعالى؛ لما أراد أن يمنَّ به على بني إسرائيل، فلمَّا كانت السنة التي وُلد فيها.. بعث فرعونُ القوابلَ إليهنَّ، ففتَّشن النساءَ تفتيشاً لم يفتَّشن قبل ذلك مثله، وحملت أم موسى فلم يتغيَّرَ لونُها، ولم تكبر بطنُها، وكانت القوابل لا يتعرَّضن لها، فلما كانت الليلة التي ولدته فيها ولا رقيبَ لها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحدٌ إلا أخته مريم، وأوحى الله إليها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ فَكَلِّفِيهِ فِي آلِيَّ﴾ وهو البحر ليلاً، وكان لفرعون يومئذ بنتٌ لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كلَّ يوم ثلاثُ حاجاتٍ ترفعها إليه، وكان بها برصٌ شديدٌ، وكان فرعون قد جمع لها الأطباء والسحرة، فنظروا في أمرها فقالوا: أيها الملك؛ لا تبرأ إلا من قبل البحر، فيوجد فيه شبه الإنسان، فيؤخذ من ريقه، فيلطخ فيه برصها، فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا، في ساعة كذا، في شهر كذا، حين تُشرق الشمس، فلمَّا كان ذلك اليوم.. غدا فرعون إلى مجلسٍ له كان على شفير النيل، ومعه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت بنت فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها ثلاثٍ عليهنَّ، وتنضح الماء على وجوههنَّ إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، فقال فرعون: إنَّ هذا الشيء في البحر قد تعلَّق بشجرة، اثنوني به، فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه، وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها، فعالجته ففتحت الباب، فإذا بصبيٍّ صغيرٍ في التابوت، وإذا النور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمصُّ منها لبناً، فألقى الله محبَّته في قلب آسية، وأحبَّه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنت فرعون، فلمَّا أخرجوا الصبي من التابوت.. عمدت إلى ما يسيل من ريقه، فلطخت به برصها، فبرأت في الحال بإذن الله تعالى، فقَبَّلته وضَمَّتْه إلى صدرها، فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك؛ إنا نظنُّ أنَّ ذلك

(١) انظر الخبر بطوله في «السراج المنير» (٣/٨٢).

فَاللَّفْطَةُ: ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا

﴿٨﴾ ﴿فَاللَّفْطَةُ﴾: بِالتَّابُوتِ صَبِيحَةَ اللَّيْلِ ﴿ءَالَ﴾: أَعْوَانُ ﴿فِرْعَوْنَ﴾: فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفُتِحَ وَأُخْرِجَ مُوسَى مِنْهُ وَهُوَ يَمْضِي مِنْ إِبْهَامِهِ لَبَنًا؛ ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾: فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ ﴿عَدُوًّا﴾ يَقْتُلُ رِجَالَهُمْ، ﴿وَحَزَنًا﴾: يَسْتَعِيدُ نِسَاءَهُمْ، - وَفِي قِرَاءَةِ بَضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الزَّايِ

حاشية الصاوي

المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رُمِيَ به في البحر خوفاً منك، فهم فرعون بقتله، فقالت آسية: ﴿قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ أي: فنصيب منه خيراً، ﴿أَوْ نَنْجُوهُ، وَلَدًا﴾، وكانت آسية لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون، فوهبه لها وقال فرعون: أمّا أنا فلا حاجة لي فيه. قال رسول الله ﷺ: «لو قال فرعون يومئذ: قُرة عين لي كما هو لك.. لهداه الله كما هداها»^(١)، فقيل لآسية: سَمِيهِ، فقالت: سَمَيْتُهُ مُوسَى؛ لَأَنَا وَجَدَنَاهُ فِي الْمَاءِ وَالشَّجَرِ؛ لِأَنَّ (مَوْ) هُوَ الْمَاءُ، وَ(شَى) هُوَ الشَّجَرُ، فأصل موسى بالمهملة: مَوْشَى بالمعجمة^(٢).

قوله: ﴿فَاللَّفْطَةُ: ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ عطف على ما قدره المفسر بقوله: (فأرضعته... إلخ).

قوله: (صبيحة الليل) أي: وكان يوم الاثنين.

قوله: (وفتح) أي: فتحت آسية بعد أن عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدرُوا.

قوله: (في عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أَنَّ اللام للعاقبة والصيرورة، لا لِلْعَلَةِ؛ لِأَنَّ عِلَّةَ التَّقَاطُهِمْ أَنْ يَكُونَ حَبِيبًا وَابْنًا، فَفِي الْآيَةِ اسْتِعَارَةٌ تَبْعِيَّةٌ فِي مَتَعَلِّقٍ مَعْنَى الْحَرْفِ، يَقْدَرُ تَشْبِيهُهُ تَرْتُّبَ نَحْوِ الْعِدَاوَةِ وَالْحُزَنِ عَلَى نَحْوِ الِاتِّقَاطِ بِتَرْتُّبِ الْعِلَّةِ الْغَاثِيَةِ فِي الْمَحَبَّةِ وَالتَّيْنِي، بِجَامِعِ مُطْلَقِ التَّرْتُّبِ الْأَعْمِّ مِنَ الطَّرْفَيْنِ، فَالتَّرْتُّبُ الثَّانِي مَتَعَلِّقٌ مَعْنَى اللّامِ، فَقَدَّرَ اسْتِعَارَةَ التَّرْتُّبِ الْكَلِمِيِّ الْمَشَبَّهِ بِهِ بِالتَّرْتُّبِ الْكَلِمِيِّ الْمَشَبَّهِ، فَسَرَى التَّشْبِيهُ لِمَعْنَى اللّامِ الَّتِي هِيَ التَّرْتُّبُ الْجَزْئِيُّ، فَاسْتَعِيرَ لَفْظَ اللّامِ وَاسْتَعْمَلَ فِي التَّرْتُّبِ الْجَزْئِيِّ، وَالْعِدَاوَةَ وَالْحُزْنَ قَرِينَةً. أَفَادَهُ الْمَلُوكِيُّ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٣).

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٣٢٦) بنحوه عن سيدنا ابن عباس ؓ.

(٢) انظر الخبر بطوله في «تفسير الخازن» (٣/٣٥٨).

(٣) قرأ العامة بفتح الحاء والزاي، وهي لغة قريش، والأخوان بضم وسكون، وهما لغتان بمعنى واحد؛ كالعُدْمِ والعَدَمِ.

انظر «الدر المصون» (٨/٦٥٥).

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرِ مُوسَىٰ

لُغَتَانِ فِي الْمَصْدَرِ، وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ (حَزَنَهُ) كـ (أَحْزَنَهُ) -، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ﴾: وَزِيرَهُ ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ﴾ مِنَ الْخَطِيعَةِ أَي: عَاصِينَ، فَعُوقِبُوا عَلَى يَدَيْهِ. ﴿٩﴾ ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وَقَدْ هَمَّ مَعَ أَعْوَانِهِ بِقَتْلِهِ: هُوَ ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾، فَأَطَاعُوهَا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ مَعَهُ.

﴿١٠﴾ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرِ مُوسَىٰ﴾ لَمَّا عَلِمَتْ بِالتَّقَاطُطِ

حاشية الصاوي

قوله: (من: حزنه) هو من باب: (طَرِبَ) و(نَصَرَ).

قوله: (فعوقبوا على يديه) أي: مع أنه تربى على أيديهم، فهو أبلغ في إذلالهم.

قوله: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ أي: وهي آسية بنت مزاحم، وكانت من خيار النساء؛ قيل: كانت من ذرية الريان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف الصديق عليه السلام، وقيل: من بنات الأنبياء من بني إسرائيل، من سبط موسى عليه السلام، وقيل: كانت عمته، فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الولد أكبر من ابن سنة، وأنت تذبح ولدان هذه السنة، فدعته يكون عندي، وقيل: إنها قالت له: إنه أتى من أرض أخرى، وليس هو من بني إسرائيل.

قوله: (هو ﴿قُرْتُ عَيْنِي﴾) أشار المفسر إلى أنه خبرٌ لمحذوف.

قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا... إلخ﴾ أي: لما رأت فيه من العلامات الدالة على النجاة والبركة.

قوله: (فأطاعوها) أي: على عادة أمراء مصر من كونهم يطيعون النساء فيما يقُلْنه.

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال من ﴿إِل فِرْعَوْنَ﴾.

قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرِ مُوسَىٰ﴾ يصح أن يبقى (أصبح) على ظاهره إن ثبت أنها ألقته ليلاً،

أو بمعنى (صار) إن كانت ألقته نهاراً.

فَرِحْنَا إِن كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ لِأَخْتِهِ قُصِيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

﴿فَرِحْنَا﴾ مِمَّا سِوَاهُ، ﴿إِن﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمها مَحذُوفٌ - أي: إِنَّهَا ﴿كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ﴾ أي: بِأَنَّهُ ابْنُهَا ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بِالصَّبْرِ أي: سَكَّنَاهُ ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الْمُصَدِّقِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ. - وَجَوَابُ ﴿لَوْلَا﴾ دَلٌّ عَلَيْهِ مَا قَبَلَهَا ..

﴿١١﴾ ﴿وَقَالَ لِأَخْتِهِ﴾ مَرِيَمَ: ﴿قُصِيهِ﴾: اتَّبَعِي أثره حَتَّى تَعْلَمِي خَبْرَهُ، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾: أَبْصَرَتْهُ ﴿عَنْ جُنْبٍ﴾: مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ اخْتِلَاسًا، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنَّهَا أُخْتُه وَأَنَّهَا تَرْقُبُهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فَرِحْنَا﴾ مِمَّا سِوَاهُ﴾ أي: مِنَ التَّفَكُّرِ فِي غَيْرِهِ؛ لِمَا وَرَدَ: أَنَّهُ أَتَاهَا الشَّيْطَانُ وَقَالَ: كَرِهْتَ أَنْ يَقْتُلَ فِرْعَوْنُ ابْنَكَ، فَيَكُونُ لَكَ أَجْرُهُ وَثَوَابُهُ، وَتَوَلَّيْتَ أَنْتَ قَتْلَهُ فَأَغْرَقْتِهِ فِي الْبَحْرِ^(١)؟! فَحَزَنْتَ لَذَلِكَ وَانْحَصَرَتْ فِكْرَتُهَا فِيهِ، وَنَسِيتُ مَا أَوْحَى بِهِ إِلَيْهَا.

قوله: ﴿﴿لَتُبْدَى بِهِ﴾﴾ ضَمَّنَهُ مَعْنَى (تَصْرِّحَ)، فَعَدَّاهُ بِالْبَاءِ، وَيَصَحُّ أَنْ يَبْقَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَتَكُونَ الْبَاءُ زَائِدَةٌ؛ أَيْ: تُظْهِرُهُ.

قوله: ﴿﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾﴾ جَوَابُهَا مَحذُوفٌ؛ أَيْ: لِأَبَدَتْ بِهِ؛ كَمَا أَشَارَ لَهُ الْمَفْسِّرُ.

قوله: (بِوَعْدِ اللَّهِ) أي: الْمَدْلُولُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا رَأَدُّهُ إِلَيْكَ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿﴿لِأَخْتِهِ﴾﴾ أي: شَقِيقَتِهِ.

قوله: (مَرِيَمَ) هُوَ أَحَدُ أَقْوَالٍ، وَقِيلَ: اسْمُهَا كَلْثَمَةُ، وَقِيلَ: كَلْثُومٌ.

قوله: ﴿﴿عَنْ جُنْبٍ﴾﴾ حَالٌ إِمَّا مِنَ الْفَاعِلِ، أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ بِالْبَاءِ؛ أَيْ: أَبْصَرَتْهُ مُسْتَخْفِيَةً كَائِنَةً عَنْ جَنْبٍ، أَوْ أَبْصَرَتْهُ بَعِيداً مِنْهَا.

قوله: (اخْتِلَاسًا) أي: اخْتِفَاءً.

قوله: (وَأَنَّهَا تَرْقُبُهُ) أي: تَنْظُرُهُ.

وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِصُوحٌ ﴿١٢﴾

﴿١٢﴾ ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل رده إلى أمه، أي: مَنَعْنَاهُ مِنْ قَبُولِ ثَدْيِ مُرْضِعَةٍ غَيْرِ أُمِّهِ، فَلَمْ يَقْبَلْ ثَدْيَ وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَرَاضِعِ الْمُحَضَّرَةِ لَهُ، ﴿فَقَالَتْ﴾ أَخْتُهُ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لَمَّا رَأَتْ حُنُوءَهُمْ عَلَيْهِ ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بِالْإِرْضَاعِ وَغَيْرِهِ، ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِصُوحٌ﴾، وَفَسَّرَتْ ضَمِيرَ ﴿لَهُ﴾ بِالْمَلِكِ جَوَاباً لَهُمْ، فَأُجِيبَتْ، فَجَاءَتْ بِأُمِّهِ فَقَبِلَ ثَدْيَهَا، وَأَجَابَتْهُمْ عَنْ قَبُولِهِ بِأَنَّهَا طَيِّبَةُ الرَّيْحِ طَيِّبَةُ اللَّبَنِ، فَأَذِنَ لَهَا فِي إِرْضَاعِهِ فِي بَيْتِهَا، فَرَجَعَتْ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: على موسى.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ هو ظرف مبني على الضم؛ لحذف المضاف إليه وثنية معناه.

قوله: (أي: منعناه) أشار بذلك إلى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع؛ لأنَّ الصبي ليس من أهل التكليف.

قوله: (من المراضع المحضرة) أي: التي أحضرها فرعون.

قوله: ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِصُوحٌ﴾ أي: مُخْلِصُونَ فِي الْعَمَلِ مِنْ شَوَائِبِ الْفَسَادِ.

قوله: (حنوهم عليه) أي: عطفهم وميلهم إليه.

قوله: (وغيره) أي: كالتربية وإصلاح الحال.

قوله: (فَقَبِلَ ثَدْيَهَا) أي: بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدي مُرْضِعَةٍ أَصْلاً، قِيلَ: إِنَّ هَامَانَ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهَا: وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ.. قَالَ: إِنَّهَا لَتَعْرِفُهُ وَأَهْلُهُ، فَخَذَوَهَا وَاحْبِسُوهَا حَتَّى تَخْبِرَ بِحَالِهِ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَرَدْتُ: وَهُمْ لِلْمَلِكِ نَاصِحُونَ، فَأَمَرَهَا فِرْعَوْنُ أَنْ تَأْتِيَ بِمَنْ يَكْفُلُهُ، فَأَتَتْ بِأُمِّ مُوسَى وَهُوَ عَلَى يَدِ فِرْعَوْنَ يَبْكِي طَالِباً لِلرِّضَاعِ، وَهُوَ يُعَلِّلهُ شَفَقَةً عَلَيْهِ، فَلَمَّا وَجَدَ رِيحَهَا.. التَّمَّ ثَدْيَهَا، فَقَالَ لَهَا: مَنْ أَنْتِ مِنْهُ؟ فَقَدْ أَبَى كُلُّ ثَدْيٍ إِلَّا ثَدْيِي؟ فَقَالَتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ طَيِّبَةُ الرَّيْحِ، طَيِّبَةُ اللَّبَنِ، لَا أَكَادُ أُوتِي بِصَبِيِّ إِلَّا قَبِلَنِي، فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا وَقَالَ: أَقِمِي عِنْدَنَا لِإِرْضَاعِهِ، فَقَالَتْ: لَا أَقْدِرُ عَلَى فِرَاقِ بَيْتِي؛ فَإِنْ رَضِيتُمْ.. أَرْضَعْتُهُ فِي بَيْتِي، وَإِلَّا.. فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، وَأَظْهَرَتِ الزُّهْدَ فِيهِ؛ نَفِياً لِلتَّهْمَةِ عَنْهَا، فَارْضَوْا بِذَلِكَ، فَارْجَعَتْ بِهِ إِلَى بَيْتِهَا مِنْ يَوْمِهَا، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ إِلَّا أَهْدَى إِلَيْهَا وَأَتَحَفَهَا بِالذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ.

فَرَدَّدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ
.....

﴿١٣﴾ ﴿فَرَدَّدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بِإِقْبَائِهِ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حِينَئِذٍ، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِرَدِّهِ إِلَيْهَا ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أَي: النَّاسُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بِهَذَا الْوَعْدِ، وَلَا بِأَنَّ هَذِهِ أُخْتُهُ وَهَذِهِ أُمُّهُ. فَمَكَثَتْ عِنْدَهَا إِلَى أَنْ فَطَمَتْهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهَا أُجْرَتُهَا لِكُلِّ يَوْمٍ دِينَارٍ، وَأَخَذَتْهَا لِأَنَّهَا مَالُ حَرْبِيٍّ، فَأَتَتْ بِهِ فِرْعَوْنَ فَتَرَبَّى عِنْدَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ: ﴿أَلَمْ تُرْيِكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٨].

﴿١٤﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وَهُوَ ثَلَاثُونَ سَنَةً أَوْ ثَلَاثَ، ﴿وَاسْتَوَى﴾ أَي: بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: حِكْمَةً ﴿وَعِلْمًا﴾: فَقْهًا فِي الدِّينِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ نَبِيًّا، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَاهُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لِأَنفُسِهِمْ.

﴿١٥﴾ ﴿وَدَخَلَ﴾ مُوسَى ﴿الْمَدِينَةَ﴾: مَدِينَةُ فِرْعَوْنَ وَهِيَ مَنَفُ بَعْدَ أَنْ غَابَ عَنْهَا مُدَّةٌ ...

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ أَي: تبرد وتَسْكُنَ مِنَ أَلَمِ الْفِرَاقِ.

قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ عطف على ﴿تَقَرَّ﴾ منصوب بـ(أَنْ) مضمرة بعد (كَيْ).

قوله: ﴿فَمَكَثَتْ عِنْدَهَا إِلَى أَنْ فَطَمَتْهُ﴾ أَي: وَهُوَ سَتَانٌ.

قوله: ﴿وَأَخَذَتْهَا؛ لِأَنَّهَا مَالُ حَرْبِيٍّ﴾ جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: كَيْفَ جَازَ لَهَا أَنْ تَأْخُذَ أَجْرَةً مِنْهُ عَلَى إِرْضَاعِ وَلَدِهَا؟

قوله: ﴿أَوْ: ثَلَاثَ﴾ أَوْ: لِتَنْوِيعِ الْخِلَافِ.

قوله: ﴿أَي: بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: أَي: كَمَلَ عَقْلُهُ وَانْتَهَى شَبَابُهُ؛ لِأَنَّ مُوسَى أَقَامَ فِي مِصْرَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى مَدِينٍ وَأَقَامَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ، وَوَقَّعَتْهُ قَتْلُ الْقَبْطِيِّ كَانَتْ قَبْلَ ذَهَابِهِ لِمَدِينٍ، فَهِيَ السَّبَبُ فِيهِ.

قوله: ﴿كَمَا جَزَيْنَاهُ﴾ أَي: مِثْلَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلْنَا بِمُوسَى وَأُمِّهِ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ.

قوله: ﴿مَنَفُ﴾ بِضَمٍّ فَسْكَوْنٍ، مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ، أَوْ الْعُجْمَةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ

قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ.....

﴿قَالَ هَذَا﴾ أي: قتله ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ المُهَيِّجُ غَضَبِي، ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾ لابنِ آدَمَ، ﴿مُضِلٌّ﴾ له، ﴿مُبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإِضْلَالِ.

﴿١٦﴾ ﴿قَالَ﴾ نَادِمًا: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بِقَتْلِهِ، ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. أي: الْمُتَّصِفُ بِهِمَا أَزْلًا وَأَبَدًا.

﴿١٧﴾ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ﴾: بِحَقِّ إِنْعَامِكَ ﴿عَلَيَّ﴾ بِالْمَغْفِرَةِ اعْصِمْنِي ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾: عَوْنًا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ بَعْدَ هَذِهِ إِنْ عَصَمْتَنِي.

﴿١٨﴾ ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: يَنْتَظِرُ مَا يَنَالُهُ مِنْ جِهَةِ الْقَتِيلِ، ﴿فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾: يَسْتَعِثُّ بِهِ.....

حاشية الصاوي

الجواب: أَنَّ قَتْلَهُ كَانَ خَطَأً، وَقَدْ يُقَالُ: قَتَلَهُ مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ، وَهُوَ وَاجِبٌ، وَالِاسْتِغْفَارُ مِنْ بَابِ: حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقْرِبِينَ.

قوله: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ نِسْبَتُهُ لِلشَّيْطَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يُؤْمَرْ بِقَتْلِ الْقَبْطِيِّ، وَظَهَرَ لَهُ أَنَّ قَتْلَهُ خِلَافُ الْأَوَّلَى؛ لَمَا يَتَرَبَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْفِتَنِ، وَالشَّيْطَانُ تَفْرِحُهُ الْفِتَنُ.

قوله: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ الْحَقُّ أَنَّ هَذَا تَوَاضَعٌ مِنْهُ، وَحَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقْرِبِينَ.

قوله: ﴿بِحَقِّ إِنْعَامِكَ عَلَيَّ﴾ أَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ (مَا) مُصَدَّرِيَّةٌ، وَالْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿اعْصِمْنِي﴾ إِلَى أَنَّ الْبَاءَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمُقَدَّرٍ هُوَ هَذَا، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ جَوَابُ شَرْطِ قَدَرِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ عَصَمْتَنِي﴾، وَأَرَادَ بِمُظَاهَرَةِ الْمُجْرِمِينَ: صَحْبَةَ فِرْعَوْنَ، وَانْتِظَامَهُ فِي جَمَاعَتِهِ، وَتَكْثِيرَ سَوَادِهِ.

قوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي﴾ (إِذَا): فَجَائِيَّةٌ، وَ﴿الَّذِي﴾: مُبْتَدَأٌ، نَعَتْ لِمُحْذَوْفٍ؛ أَي: فَإِذَا الْإِسْرَائِيلِيَّ الَّذِي، وَ﴿اَسْتَنْصَرَهُ﴾: صِلَتُهُ، وَ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾: خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ.

قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

على قبطي آخر، ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾: بَيِّنُ الغواية لما فعلته أمس واليوم.
 ﴿١٩﴾ ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ - زائدة - ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾: لِمُوسَى وَالْمُسْتَغِيثِ بِهِ
 ﴿قَالَ﴾ الْمُسْتَغِيثُ ظَانًّا أَنَّهُ يَبْطِشُ بِهِ لَمَّا قَالَ لَهُ: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾، ﴿يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي
 كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ﴾: مَا ﴿تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾،
 فَسَمِعَ الْقِبْطِيُّ ذَلِكَ فَعَلِمَ أَنَّ الْقَاتِلَ مُوسَى، فَانْطَلَقَ إِلَى فِرْعَوْنَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَأَمَرَ فِرْعَوْنَ
 الدَّبَّاحِينَ بِقَتْلِ مُوسَى، فَأَخَذُوا فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (على قبطي آخر) أي: يُريد أن يستخدمه، والاستصراخ: الاستغاثة، وسميت بذلك؛ لأنَّ
 المستغيث يُصَوِّت ويصرخ في طلب الغوث.

قوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ قال ابن عباس: إِنَّ الْقِبْطَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلُوا مَنَّا
 رَجُلًا، فَخُذْ لَنَا بِحَقِّنَا، فَقَالَ: ااطْلُبُوا قَاتِلَهُ وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَطُوفُونَ لَا يَجِدُونَ بَيْنَهُ إِذْ مَرَّ
 مُوسَى مِنَ الْغَدِّ، فَرَأَى ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ يِقَاتِلُ فِرْعَوْنِيًّا آخِرًا، فَاسْتَغَاثَهُ عَلَى الْفِرْعَوْنِيِّ، وَكَانَ مُوسَى
 قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ بِالْأَمْسِ مِنْ قَتْلِ الْقِبْطِيِّ، فَقَالَ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ: إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ^(١).

قوله: (لما فعلته أمس واليوم) أي: حيث قاتلت بالأمس رجلاً، فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم
 آخر وتستغيثني عليه.

قوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾... إلخ) وذلك أَنَّ مُوسَى أَخَذَتْهُ الْغِيْرَةُ وَالرَّقَّةُ عَلَى الْإِسْرَائِيلِيِّ،
 فَمَدَّ يَدَهُ لِيَبْطِشَ بِالْقِبْطِيِّ، فَظَنَّ الْإِسْرَائِيلِيُّ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ هُوَ؛ لَمَّا رَأَى مِنْ غَضَبِهِ، وَسَمِعَ
 قَوْلَهُ: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾، فَقَالَ لَهُ: ﴿يَمُوسَى أَتُرِيدُ﴾... إلخ.

قوله: ﴿جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ الجَبَّارُ هُوَ: الَّذِي يَقْتُلُ وَيَضْرِبُ وَيَتَعَاطَمُ، وَلَا يَنْظُرُ فِي الْعَوَاقِبِ.

قوله: ﴿مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ أي: بين الناس.

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ ابْنُ الْمَلَأِ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَذْيَبٌ

﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ ﴿هو مؤمن آل فرعون﴾ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ ﴿: أَخْرِهَا﴾ يَسْعَى ﴿: يُسْرِعُ فِي مَشْيِهِ مِنْ طَرِيقٍ أَقْرَبَ مِنْ طَرِيقِهِمْ﴾، ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ ابْنُ الْمَلَأِ﴾ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴿يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾: يَتَشَاوِرُونَ فِيكَ ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ مِنَ الْمَدِينَةِ، ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فِي الْأَمْرِ بِالْخُرُوجِ.

﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴿لُحُوقَ طَالِبٍ أَوْ غَوَاةٍ اللَّهُ إِيَّاهُ﴾، ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قَوْمِ فِرْعَوْنَ.

﴿٢٢﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ ﴿: قَصَدَ بِوَجْهِهِ﴾ تَلَقَّاهُ مَذْيَبٌ ﴿: جِهَتُهَا، وَهِيَ قَرْيَةُ شُعَيْبٍ مَّسِيرَةً ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ مِّنْ مِّصْرَ، سُمِّيَتْ بِمَدِينِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ طَرِيقَهَا، حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (مؤمن آل فرعون) هو ابن عم فرعون، واسمه حزقييل، وقيل: شمعون، وقيل: سمعان، وهو الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٢٨].

قوله: ﴿يَسْعَى﴾ (صفة لـ ﴿رَجُلٌ﴾)، أو حال منه؛ لوجود المخصص قبله.

قوله: (يتشاورون فيك) أي: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك.

قوله: (أو غوث الله إياه) (أو): مانعةٌ خلَّوْا تَجَوَّزَ الجمع.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي﴾... إلخ) خلَّصني منهم، واحفظني من لحوقهم.

قوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَذْيَبٌ﴾ أي: بإلهام من الله؛ لِعَلَّمَهُ أَنَّ أَرْضَ مَدِينٍ لَا تَسْلُطُ لِفِرْعَوْنَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ مَدِينٍ قَرَابَةً؛ لَكُونَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ كَذَلِكَ.

قوله: (ابن إبراهيم) أي: الخليل عليه السلام، وله ولدٌ آخر اسمه مدائن، فأولاده أربعة: إسماعيل وإسحاق، ومَدِين ومَدَائِن، وإنما لم يصرَّح في القرآن بمَدِين ومَدَائِن؛ لأنَّهما لم يكونا أنبياء.

قوله: (ولم يكن يعرف طريقها) وخرج بلا زاد ولا رَفِيق، ولم يكن له طعامٌ إلا ورق الشجر

قَالَ عَسَىٰ رِفَتْ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَذْيَبٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ

﴿قَالَ عَسَىٰ رِفَتْ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قَصْدَ الطَّرِيقِ، أي: الطَّرِيقَ الوَسْطَ إِلَيْهَا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ مَلَكًا بِيَدِهِ عَنَزَةً فَاَنْطَلَقَ بِهِ إِلَيْهَا.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَذْيَبٍ﴾: بِثَرِّ فِيهَا أَي: وَصَلَ إِلَيْهَا ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾: جَمَاعَةً ﴿مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مَوَاشِيَهُمْ، ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أَي: سِوَاهُمْ

حاشية الصاوي

ونبات الأرض حتى رُئِيتْ خُضْرَتُهُ فِي بَاطِنِهِ مِنْ خَارِجٍ، وَمَا وَصَلَ إِلَى مَدِينٍ حَتَّى وَقَعَ خَفٌّ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ أَوَّلُ ابْتِلَاءٍ مِنَ اللَّهِ لِمُوسَى.

قوله: ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: السَّبِيلَ السَّوِيَّ.

قوله: (أي: للطريق الوسط) أي: وَكَانَ لَهَا ثَلَاثُ طُرُقٍ، فَأَخَذَ مُوسَى يَمْشِي فِي الْوَسْطَى، وَجَاءَ الطَّلَابُ فِي أَثَرِهِ، فَسَارُوا فِي الْآخِرِينَ وَلَمْ يَعْرِفُوا مَحَلَّهُ.

قوله: (ملكاً) أي: وَكَانَ رَاكِباً عَلَى فَرَسٍ؛ قِيلَ: هُوَ جَبْرِيلُ.

قوله: (بِيَدِهِ عَنَزَةٌ) هي: فَوْقَ الْعَصَا وَدُونَ الرَّمْحِ، فِي طَرَفِهَا حَرَبَةٌ كَحَرَبَةِ الرَّمْحِ.

قوله: (بَثْرٌ^(١) فِيهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ أَطْلَقَ الْحَالَ وَأَرَادَ الْمَحَلَّ، فَأَطْلَقَ الْمَاءَ وَأَرِيدَ الْبَثْرَ.

قوله: (أي: وَصَلَ إِلَيْهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْوُرُودِ هُنَا: الْوُصُولُ؛ لِأَنَّ الْوُرُودَ يُطْلَقُ عَلَى الدَّخُولِ فِي الشَّيْءِ، وَعَلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى الشَّيْءِ وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] عَلَى مَشْهُورِ التَّفَاسِيرِ.

قوله: (جَمَاعَةٌ) أَي: كَثِيرَةٌ.

قوله: ﴿يَسْقُونَ﴾ (الجملة حال من فاعل ﴿وَجَدَ﴾^(٢)؛ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى (لَقِيَ)، فَتَنْصِبُ مَفْعُولاً وَاحِداً.

قوله: (مَوَاشِيَهُمْ) هُوَ مَعْمُولٌ ﴿يَسْقُونَ﴾، وَقَدْ حُذِفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَعْمُولُ ﴿يَسْقُونَ﴾ وَ﴿تَذُودَانِ﴾، وَ﴿لَا تَسْقَى﴾؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الْفِعْلَ لَا الْمَفْعُولَ.

(١) خبر مبتدأ محذوف، صرح به الخازن؛ أي: هو بثر فيها. «فتوحات» (٣/٣٦٤).

(٢) في هامش (أ): (لعله من مفعول «وجد». اهـ).

أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى

﴿أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تمنعان أغنامَهُما عن الماء، ﴿قَالَ﴾ موسى لَهُمَا: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنُكُمَا لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾: جمع (راع) أي: يرجعون من سقِيهم خوف الزحام، فنسقي، - وفي قراءة: ﴿يُصْدِرُ﴾ من الرباعي - أي: يصرفوا مواشيهم عن الماء، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي.

﴿٢٤﴾ ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربيهما؛ رفع حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾: انصرف

حاشية الصاوي

قوله: (جمع راع) أي: على غير قياس، وقياسه: بضم الراء ك: قاض وقضاة^(١).

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٢).

قوله: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي: فهذا وجه مباشرتنا للسقي بأنفسنا.

قال الأجهوري في شرح خطبة الشيخ خليل: (تمة: عاش شبيب نبي الله ثلاثة آلاف سنة، ذكره الشيخ زروق، وفي رواية: وكان في غنمه اثنا عشر ألف كلب، وفي رواية: أنه عاش ثلاثة آلاف سنة، وست مئة سنة). انتهى ملخصاً من «حاشية شيخنا الشيخ الجمل على فضائل رمضان للأجهوري».

قوله: (لا يقدر أن يسقي) أي: فیرسلنا اضطراراً.

قوله: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أي: سقى أغنامهما لأجلهما.

قوله: (إلا عشرة أنفس) وقيل: سبعة، وقيل: ثلاثون، وقيل: أربعون، وقيل: مئة.

(١) لأن (فاعلاً) الوصف المعتل اللام ك: قاض قياسه: (فُعلة) نحو: قضاة، ورُماة، خلافاً للزمخشري في قوله: (إن جمع «راع» على «فعال» قياس؛ ك: صيام، وقيام). «فتوحات» (٣/٣٦٤).

(٢) قرأ أبو عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال من: صدر يصدر، وهو قاصر؛ أي: يصدرون بمواشيهم، والباقون بضم الياء وكسر الدال مضارع (أصدر) معدّى بالهمزة، والمفعول محذوف؛ أي: يصدرون مواشيهم. انظر «الدر المصون» (٦٦٣/٨).

إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا

﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ لِسَمُورَةٍ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ وَهُوَ جَائِعٌ، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾: طَعَامٍ ﴿فَقِيرٌ﴾: مُحْتَاجٌ، فَرَجَعْنَا إِلَى أَبِيهِمَا فِي زَمَنٍ أَقَلِّ مِمَّا كَانَتَا تَرْجِعَانِ فِيهِ، فَسَأَلَهُمَا عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرَتَاهُ بِمَنْ سَقَى لَهُمَا، فَقَالَ لِأَحَدَاهُمَا: ادْعِيهِ لِي، قَالَ تَعَالَى:

﴿٢٥﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ ﴿أَيَّ﴾: وَاضِعَةً كُفَّ دِرْعَهَا عَلَى وَجْهِهَا حَيَاءً مِنْهُ، ﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، فَأَجَابَهَا مُنْكَرًا فِي نَفْسِهِ أَخَذَ الْأُجْرَةَ، كَأَنَّهُمَا قَصَدَتِ الْمُكَافَأَةَ إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُرِيدُهَا، فَمَشَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَضْرِبُ ثَوْبَهَا فَتَكْشِفُ سَاقِيهَا، فَقَالَ لَهَا: امْشِي خَلْفِي وَدُلِّينِي عَلَى الطَّرِيقِ، فَفَعَلَتْ، إِلَى أَنْ جَاءَ أَبَاهَا

حاشية الصاوي

قوله: (لسمرة) بضم الميم، وهي شجرة عظيمة من شجر الطلح، وهي التي أمرَ ﷺ ليلة الإسراء بالنزول والصلاة عندها^(١).

قوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ﴾ (إِنَّ): حرف توكيد، والياء: اسمها، و﴿لِمَا أَنْزَلْتَ﴾: متعلق بـ﴿فَقِيرٌ﴾، وهو خبر (إِنَّ)، و﴿أَنْزَلْتَ﴾ بمعنى (تُنْزِل)، والمعنى: إني فقيرٌ ومحتاجٌ لما تنزله إليَّ من أي شيء كان؛ قليلاً أو كثيراً.

قوله: (ادعیه لي) أي: اطلبیہ لیحضر عندي.

قوله: ﴿فَجَاءَتْهُ﴾... إلخ عطف على ما قدَّره المفسر بقوله: (فرجعت... إلخ).

قوله: ﴿تَمْشِي﴾ حال من فاعل (جاء)، وقوله: ﴿عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾ حال من الضمير في ﴿تَمْشِي﴾، والاستحياء هو: الحياء بالمد، وهو حالة تعتري الشخص، تحمله على تجنب الرذائل.

قوله: (كُفَّ دِرْعَهَا) أي: قميصها.

قوله: (منكرًا في نفسه أخذ الأجرة) أي: فلم يكن قصده بالإجابة أخذ الأجرة، بل للتبرك

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧١٤٢)، والبزار في «مسنده» (٤٠٩/٨) عن سيدنا شداد بن أوس ؓ.

فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجْرَةِ الْقَوَى الْآمِينَ ﴿٢٦﴾

وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء، فقال له: اجلس فتعش، قال: أخاف أن يكون عَوْضاً مِّمَّا سَقَيْتُ لَهُمَا، وإنا أهل بيت لا نطلب على عملٍ خيرٍ عَوْضاً، قال: لا، عادتي وعادة آبائي نَقْرِي الضَّيْفَ ونُطْعِمُ الطَّعَامَ، فأكل وأخبره بحاله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ - مصدر بمعنى المقصود - من قتله القبطي وقصدهم قتله وخوفه من فرعون، ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

﴿٢٦﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ وهي المرسلَةُ الكبرى أو الصُّغرى: ﴿يَأْتِيَنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجْرَةِ﴾: اتَّخِذْهُ أَجِيراً يَرَعَى غَنَمَنَا أي: ي: أ بدلنا، ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجْرَةِ الْقَوَى الْآمِينَ﴾ أي: استأجره لِقُوَّتِهِ وأمانته، فسألها عنهما فأخبرته بما تقدَّم من رفعه حَجَرَ البئر ومن قوله لها: امشي خلفي، وزيادة أنها لما جاءتُهُ وَعَلِمَ بِهَا صَوَّبَ رَأْسَهُ فَلَمْ يَرْفَعْهُ، فرَغِبَ في إنكاحه.

حاشية الصاوي

بأيها.

قوله: (وهو شعيب) هذا هو الصحيح، وقيل: هو يثرون، ابن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات، وقيل: هو رجلٌ مِمَّنْ آمَنَ بشعيب. وشعيب هو ابن مبعون بن عنفاش بن مدين بن إبراهيم عليه السلام.

قوله: (وهي المرسلَةُ) أي: وهي التي تزوجها موسى عليه السلام.

قوله: ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجْرَةِ﴾ تعليلٌ للأمر بالاستئجار.

قوله: (فسألها عنهما) أي: بأن قال لها: وما أعلمك قُوَّتَهُ وأمانته؟!

قوله: (وزيادة) أي: على ما ذكرته من القوة والأمانة، وقد يقال: إن هذا من جملة الأمانة؛ فلا زيادة.

قوله: (صَوَّبَ رأسه) أي: خَفَضَهُ.

قوله: (فرغب في إنكاحه) أي: رغب شعيب في إنكاحه ابنته.

قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَّجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ
عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾
قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ

﴿٢٧﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴿وَهِيَ الْكُبْرَى أَوِ الصُّغْرَى﴾، ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾: تَكُونُ أَجِيرًا لِي فِي رَعِي غَنَمِي ﴿ثَمَنِي حِجَّجٌ﴾: أَي: سَنِينَ، ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾: أَي: رَعِي عَشْرَ سَنِينَ ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾: التَّمَامُ، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾: بِاشْتِرَاطِ الْعَشْرِ، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: لِلتَّبَرُّكِ - ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: الْوَافِينَ بِالْعَهْدِ.
﴿٢٨﴾ قَالَ ﴿مُوسَى﴾: ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي قُلْتَهُ ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هَاتَيْنِ﴾ استُفِيدَ مِنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ غَيْرُهُمَا، قِيلَ: كَانَ لَهُ سَبْعُ بَنَاتٍ.

قوله: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ حال من الفاعل أو المفعول^(١)، ومفعول ﴿تَأْجُرَنِي﴾ محذوف^(٢)، والمعنى: تَأْجُرَنِي نَفْسَكَ، وقوله: ﴿ثَمَنِي حِجَّجٌ﴾ ظرفٌ له.

قوله: ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ التَّمَامُ قَدْرُهُ؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف، والتقدير: فَالتَّمَامُ مِنْ عِنْدِكَ تَفْضُلًا لَا إِلْزَامًا.

قوله: ﴿لِلتَّبَرُّكِ﴾ أي: فَالاستثناء لِلتَّبَرُّكِ والتفويض إلى توفيقه تعالى، لا للتعليل؛ لأنَّ صلاحه مُحَقَّقٌ.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة مبتدأ، و﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ خبره، والمعنى: ذَلِكَ الَّذِي وَقَعَ مِنْكَ وَعَاهَدْتَنِي عَلَيْهِ ثَابِتٌ بَيْنَنَا جَمِيعًا، لَا يَخْرُجُ عَنْهُ وَاحِدٌ مِّنَّا، وَيُصَحُّ أَنْ يَكُونَ ﴿ذَلِكَ﴾ مَفْعُولًا لمحذوف؛ أي: قَبِلْتُ ذَلِكَ، وقوله: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ...﴾ إلخ حال من اسم الإشارة، والمعنى: قَبِلْتُ ذَلِكَ الْعَقْدَ حَالِ كَوْنِهِ كَائِنًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْنَا شَهِيدٌ إِلَّا اللَّهُ.

قوله: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ (أي): شَرْطِيَّةٌ، وَجَوَابُهَا: ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾، و(ما): زَائِدَةٌ؛ كَمَا قَالَ الْمَفْسِّرُ.

(١) أي: مشروطاً عليّ، أو عليك.

(٢) أي: مفعوله الثاني.

قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ

الثَّمان أو العَشر - و(ما) زائدة - أي: رَعِيَّةٌ ﴿قَضَيْتُ﴾ به أي: فرَعْتُ مِنْهُ ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ، ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾: أَنَا وَأَنْتَ ﴿وَكِيلٌ﴾: حَفِيزٌ أَوْ شَهِيدٌ. فَتَمَّ الْعَقْدُ بِذَلِكَ، وَأَمَرَ شُعَيْبُ ابْنَتَهُ أَنْ تُعْطِيَ مُوسَى عَصاً يَدْفَعُ بِهَا السَّبَاعَ عَنْ غَنَمِهِ، وَكَانَتْ عَصِيَّ الْأَنْبِيَاءِ عِنْدَهُ، فَوَقَعَ فِي يَدِهَا عَصَا آدَمَ مِنْ آسِ الْجَنَّةِ، فَأَخَذَهَا مُوسَى بِعِلْمِ شُعَيْبٍ.

﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي: رَعِيَهُ وَهُوَ ثَمَانٌ أَوْ عَشْرُ سِنِينَ - وَهُوَ الْمَظْنُونُ بِهِ - ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾: زَوْجَتَهُ بِإِذْنِ أَبِيهَا

حاشية الصاوي

قوله: (الثمان أو العشر) بالنصب تفسير ل(أي).

قوله: (فتم العقد) أي: عقد النكاح والإجارة.

إن قلت: إن الذي وقع من شعيب وعد، والنكاح لا يكون إلا بصيغة إبرام، وأيضاً: لم يبين المنكوحه، وأيضاً: الصداق ليس ثمرته عائدة عليها.

أجيب بجوابين: الأول: أن هذا كان في شرعه جائزاً، والثاني: أنه يمكن تنزيله على شرعنا؛ بأنه قصد بالوعد إنشاء الصيغة، وقد وقع من موسى القبول بقوله: (ذلك)، وبأنه يمكن أنه بين المنكوحه بإشارة مثلاً، وبأن الغنم يمكن أن يكون بعضها مملوكاً لها، فثمره الرعي عائدة عليها.

قوله: (فوقع في يدها عصا آدم) قيل: إنه أودعها ملكاً في صورة رجل عند شعيب، فأمر ابنته أن تأتبه بعصاً، فأتته بها، فردّها سبع مرات، فلم يقع في يدها غيرها، فدفعها إليه، ثم ندم؛ لأنها وديعة عنده، فتبعه، فاختصما فيها، ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع، فأتاها الملك فقال: ألقياها؛ فمن رفعها.. فهي له، فعالجها الشيخ فلم يُطَقها، فرفعها موسى عليه السلام، فكانت له.

قوله: (من آس الجنة) أي: وتوارثها الأنبياء بعد آدم، فصارت منه إلى نوح، ثم إلى إبراهيم حتى وصلت لشعيب، وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته.

قوله: (وهو المظنون به) أي: وإن لم يصرح القرآن به؛ لكمال مروءته، فالمعول عليه أنه وفي العشر.

قوله: ﴿بِأَهْلِهِ﴾ أي: زوجته وولده وخادمه.

ءَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ
جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾

نحو مصر، ﴿ءَأَنَسَ﴾: أَبْصَرَ مِنْ بَعِيدٍ ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾: اسم جبل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ
امْكُثُوا﴾: هُنَا؛ ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾: عَنْ الطَّرِيقِ وَكَانَ قَدْ أَخْطَاَهَا، ﴿أَوْ
جَذْوَةٍ﴾ - بِتَثْلِيثِ الْجِيمِ -: قِطْعَةٌ وَشُعْلَةٌ ﴿مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تَسْتَدْفِئُونَ،
وَالطَّاءُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الْاِفْتِعَالِ مِنْ (صَلَّى بِالنَّارِ) بِكَسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِهَا.

حاشية الصاوي

قوله: (نحو مصر) أي: لصلة رحمه، وزيارة أمه وأخيه.

ورد: (أنه لما عزم على السير.. قال لزوجته: اطلبي من أبيك أن يُعطينا بعض الغنم، فطلبت
من أبيها ذلك، فقال: لكما كلُّ ما ولد هذا العام على غير شبهها من كل أبلق وبلقاء، فأوحى الله
إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء، واسقي منه الغنم، ففعل ذلك، فما أخطأت واحدةً إلا وضعت
حملها ما بين أبلق وبلقاء، فعلم شعيب أن ذلك رِزْقُ ساقه الله إلى موسى وابنته، فوفى له بشرطه،
وأعطاه الأغنام^(١).

قوله: ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ أي: الأيمن؛ بدليل ما يأتي.

قوله: (عن الطريق) أي: نستدلُّ عليها.

قوله: (بتثليث الجيم) أي: وكلُّها سبعة؛ فالكسر قراءة الجمهور، والضمُّ قراءة حمزة، والفتح
قراءة عاصم^(٢).

قوله: (قطعة وشعلة) أي: عودٍ غليظ؛ كان في رأسه نارٌ أو لا، وقيل: هو ما في رأسه نار،
فقوله: ﴿مِنْ النَّارِ﴾ وصفٌ مخصَّصٌ على الأول، وكاشفٌ على الثاني.

قوله: (والطاء بدل من تاء الافتعال) أي: فأصله (تصتلون)، وقعت التاء بعد أحد حُرُوفِ
الإطباق، فقلبت طاءً.

قوله: (بكسر اللام) أي: من باب (رضي)، وقوله: (وفتحها) أي: من باب (رمى).

(١) ذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٧/٧) في القصة حديثاً رواه البزار والطبراني.

(٢) انظر «الدر المصون» (٦٦٨/٨).

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّ
إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾

﴿٣٠﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ﴾ : جَانِبِ ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ لِمُوسَى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ لِمُوسَى لِسَمَاعِهِ كَلَامَ اللَّهِ فِيهَا، ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿شَاطِئِ﴾ بِإِعَادَةِ الْجَارِ - لِنَبَاتِهَا فِيهِ، وَهِيَ شَجَرَةُ عُنَّابٍ أَوْ عُلَيْقٍ أَوْ عَوْسَجٍ، ﴿أَنْ﴾ - مَفْسَّرَةٌ لَا مُخَفَّفَةَ - ﴿يَمْوِسَّ﴾ إِنْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ﴾... إلخ) قيل: إِنَّ مُوسَى لَمَّا رَأَى النَّارَ مُشْتَعِلَةً فِي الشَّجَرَةِ الْخَضِرَاءِ.. علم أَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا نُودِيَ.. علم أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِذَلِكَ النَّدَاءِ.

قوله: ﴿الْأَيْمَنِ﴾ (صفة للشاطئ أو للوادي؛ من الْيُمْنِ وهو البركة، أو الْيَمِينِ مُقَابِلَ الْيَسَارِ، والمعنى: الشاطئ الذي يلي يمين موسى.

قوله: ﴿فِي الْبُقْعَةِ﴾ متعلق بـ﴿نُودِيَ﴾.

قوله: ﴿الْمُبَارَكَةِ﴾ (لموسى) أي: لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَحَلِّ حَصَلَتْ لَهُ الْبَرَكَةُ النَّامَّةُ، فَتِلْكَ اللَّيْلَةُ أَسْعَدُ لَيَالِيهِ؛ كَلِيلَةُ الْإِسْرَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قوله: ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ (حال من الضمير في ﴿نُودِيَ﴾، والتقدير: نُودِيَ مُوسَى وَالحَالُ أَنَّهُ كَائِنٌ فِي جِهَةِ الشَّجَرَةِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ: أَنَّهُ سَمِعَ الْكَلَامَ مِنْ جِهَةِ الشَّجَرَةِ فَقَطْ، بَلِ الْمُحَقِّقُونَ عَلَى أَنَّهُ سَمِعَ الْكَلَامَ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ، بَلَا حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ؛ كَمَا يَكُونُ لَنَا فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ رُؤْيَا ذَاتِهِ بَلَا كَيْفٍ وَلَا انْحِصَارٍ.

قوله: (بَدَل) أي: بَدَلِ اشْتِمَالِ.

قوله: (أَوْ عَوْسَجٍ) أي: شَوْكٍ.

قوله: (مَفْسَّرَةٌ) أي: لِأَنَّهُ تَقَدَّمَهَا جُمْلَةٌ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ.

قوله: (لَا مُخَفَّفَةَ) أي: لِعَدَمِ إِفَادَتِهَا الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ.

قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (هَكَذَا قَالَ هُنَا، وَفِي سُورَةِ طه): ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢]،

وَقَالَ فِي (النمل): ﴿نُودِيَ أَنَّ بُرُوكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوَّلَهَا﴾ [النمل: ٨]، وَلَا تَنَافِيَّ، بَلِ الْكُلُّ قَالَهُ اللَّهُ لَهُ^(١).

(١) إِلَّا أَنَّهُ حَكِيَ فِي كُلِّ سُورَةٍ بَعْضَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ النَّدَاءِ. «فتوحات» (٣/٣٦٧).

وَأَن أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ
إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ
جَنَاحَكَ

﴿٣١﴾ وَأَن أَلْقَى عَصَاكَ ﴿فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ﴾: تَتَحَرَّكُ ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ وهي الْحَيَّةُ
الصَّغِيرَةُ مِنْ سُرْعَةِ حَرَكَتِهَا ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾: هَارِبًا مِنْهَا ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أَي: يَرْجِعْ، فَنُودِيَ:
﴿يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

﴿٣٢﴾ أَسْأَلُكَ: أَدْخُلْ ﴿يَدَكَ﴾ الْيُمْنَى بِمَعْنَى الْكَفِّ ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هُوَ طَوْقُ الْقَمِيصِ،
وَأَخْرَجَهَا ﴿تَخْرُجُ﴾ خِلَافَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَدْمَةِ ﴿يَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أَي: بَرَصٍ،
فَادْخَلَهَا وَأَخْرَجَهَا نُضِيءُ كَشْعَاعِ الشَّمْسِ تُغْشِي الْبَصَرَ، ﴿وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَن أَلْقَى﴾ عطف على قوله: ﴿أَن يَمُوسَى﴾.

قوله: (من سرعة حركتها) أي: فهو وجهٌ شبهها بالجَانِّ، وقوله في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا هِيَ
تُعْبَأُ مُمِيتٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] أي: في عظم الجَنَّةِ، فتحصَّلَ أنها باعتبار الجَنَّةِ كالشعبان العظيم،
وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحيَّة الصغيرة.

قوله: ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ أي: باعتبار الطبع البشري حين رآها بهذه الصفة.

ورد: أنها لم تدع شجرة ولا صخرة إلا ابتلعتهَا، حتى إن موسى سمع صريرَ أسنانها وقعقة
الشجر والصخر في جوفها، ثم ولَّى مُدْبِرًا^(١).

قوله: (من الأدمة) أي: الحُمرة^(٢).

قوله: (تغشي البصر) أي: تُغْطِيهِ.

قوله: ﴿وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ جعل الجناح هنا مضموماً، وفي آية (طه) مضموماً إليه حيث
قال: ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَيَّ جَنَاحَكَ﴾ [طه: ٢٢]؛ لأنَّ المراد بالجناح المضموم: اليد اليمنى، وبالجناح
المضموم إليه: اليد اليسرى، وكلُّ من اليدين جناحٌ.

(١) ذكره الخازن في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤) عن وهب.

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: الشُّمرة؛ كما «الفتوحات» (٣/ ٣٦٨).

مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَلِكَ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾

مِنَ الرَّهْبِ ﴿٣٢﴾ - يَفْتَحُ الحَرْفَيْنِ، وَسُكُونُ الثَّانِي مَعَ فَتْحِ الْأَوَّلِ وَضَمُّهُ - أَي: الْخَوْفِ
الْحَاصِلِ مِنْ إِضَاءَةِ الْيَدِ بِأَن تَدْخُلَهَا فِي جَيْبِكَ فَتَعُودَ إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى، وَعَبَّرَ عَنْهَا
بِالْجَنَاحِ لِأَنَّهَا لِلْإِنْسَانِ كَالْجَنَاحِ لِلطَّائِرِ، ﴿فَذَلِكَ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ - أَي: الْعَصَا
وَالْيَدِ، وَهُمَا مُؤْنَتَانِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْمُشَارَ بِهِ إِلَيْهِمَا الْمُبْتَدَأُ لِتَذْكِيرِ خَبَرِهِ، ﴿بُرْهَانٌ﴾ مُرْسَلَانِ
﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ متعلق بـ(اضمم).

قوله: (بفتح الحرفين... إلخ) فالقراءات ثلاثٌ سَبْعِيَّاتٌ^(١).

قوله: (بأن تدخلها) أي: تَدْخُلَ الْيَدَ الْيُمْنَى الَّتِي حَصَلَ فِيهَا الْبَيَاضُ فِي جَيْبِكَ، فَتَعُودَ لِحَالَتِهَا
الْأُولَى، فَيَزُولُ عَنْكَ الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ الَّذِي حَصَلَ لَكَ.

قوله: (كالجناح للطائر) أي: لِأَنَّ الطَّائِرَ إِذَا خَافَ.. نَشَرَ جَنَاحِيهِ، وَإِذَا أَمِنَ وَاطْمَأَنَّ..
ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فَهُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ؛ فَالْمَشْدَدُ تَشْنِيَةٌ (ذَلِكَ) بِلَامِ الْبَعْدِ،
وَالْمَخْفَفُ تَشْنِيَةٌ (ذَاكَ)؛ فَالتَّشْدِيدُ عَوْضٌ عَنِ اللَّامِ فِي الْمَفْرَدِ^(٢).

قوله: (وإنما ذكر المشار به... إلخ) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ الْعَصَا وَالْيَدَ مُؤْنَتَانِ، فَكَانَ اللَّاتِقُ
الْإِشَارَةَ إِلَيْهِمَا بِ(تَانِ)، فَأَجَابَ: بِأَنَّهُ رُوعِي الْخَبَرِ.

قوله: (مرسلان) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ﴿بُرْهَانٌ﴾.

قوله: ﴿وَمَلَئِهِ﴾ أي: جماعته.

(١) قرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء، والأخوان وابن عامر وأبو بكر بالضم والإسكان، والباقون بفتحيتين. انظر «الدر
المصون» (٦٧٠/٨).

(٢) شدد ابن كثير وأبو عمرو النون، وخففها الباقون. انظر «السراج المنير» (٩٨/٣).

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْتَمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

(٣٣ - ٣٤) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو القبطي السابق، ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به، ﴿وَأَخِي هَارُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾: أَيْبُنْ، ﴿فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: مُعِينًا، وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة، ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ - بِالْجَزْمِ جَوَابُ الدُّعَاءِ، وفي قراءة بالرفع، وَجُمْلَتُهُ صَفَةُ ﴿رِدْءًا﴾ -، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾: نُقَوِّيكَ ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا﴾: غَلَبَةً ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بِسُوءٍ، اذْهَبَا ﴿بِأَيِّتِنَا أُنْتَمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ﴾ لَهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِسَانًا﴾ أي: كلاماً.

قوله: ﴿رِدْءًا﴾ حال من ضمير (أرسله).

قوله: (بفتح الدال) أي: مع التنوين، وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ أي: يُقَوِّيني في الصدق عند الخصم؛ بتوضيح الحجج والبراهين.

قوله: (جواب الدعاء) أي: الذي هو قوله: ﴿فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ﴾؛ لأنَّ طلب الأدنى من الأعلى

دعاء.

قوله: ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ أي: بِسَبَبِ الْعَقْدَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ بِسَبَبِ الْجَمْرَةِ الَّتِي وَضَعَهَا وَهُوَ صَغِيرٌ

فِي فِيهِ.

قوله: ﴿نُقَوِّيكَ﴾ أي: فَشَدُّ الْعَضْدِ كُنَايَةٌ عَنِ التَّقْوِيَةِ؛ مِنْ إِطْلَاقِ السَّبَبِ وَإِرَادَةِ الْمُسَبَّبِ؛ لِأَنَّ شَدَّ

الْعَضْدِ يَسْتَلْزِمُ شَدَّ الْيَدِ، وَشَدُّ الْيَدِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْقُوَّةِ.

قوله: (بسوء) متعلق بـ ﴿يَصِلُونَ﴾، وقوله: ﴿بِأَيِّتِنَا﴾ متعلق بمحذوف قدره بقوله: (اذْهَبَا) بدليل

الآية الأخرى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾، وَجَمَعَهُمَا فِي ضَمِيرٍ وَاحِدٍ مَعَ أَنَّ هَارُونَ لَمْ يَكُنْ حَاضِرًا مَجْلِسَ

(١) قرأ نافع بنقل حركة الهمزة إلى الدال وحذف الهمزة، والباقيون بسكون الدال وتنوين الهمزة بعدها. انظر «السراج

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ

﴿٣٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ: وَاضِحَاتٍ - حَال - ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾: مُخْتَلَقٌ، ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ كَائِنًا ﴿فِي﴾ أَيَّامِ ﴿آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿وَقَالَ﴾ - بِوَاوٍ وَدُونِهَا - ﴿مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ﴾ أَي: عَالِمٌ ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ - الضَّمِيرُ لِلرَّبِّ - ﴿وَمَنْ﴾ - عَطْفٌ عَلَى (مَنْ) - ﴿تَكُونُ﴾ - بِالْفَوْقَانِيَّةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ - ..

حاشية الصاوي

المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمصر؛ لأنَّ الله أرسل جبريل إلى هارون بالرسالة وهو بمصر في ذلك الوقت، فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة، وهارون سمعه بواسطة جبريل.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المراد بها: العصا واليد، وجمعهما لأنَّ كلَّ واحدةٍ اشتملت على آياتٍ متعددة، وتقدَّم ذلك في سورة (طه).

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي: فرعون وقومه.

قوله: (مُخْتَلَقٌ) أي: مخترعٌ من قبَلِ نفسه.

قوله: ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾... إلخ هذا عنادٌ وكذبٌ؛ إذ هم يعرفون أنَّ قبله الرسل كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم.

قوله: (بِوَاوٍ وَدُونِهَا) أي: فهما قراءتان سبعيتان؛ فعلى الواو يكون تابعاً لما قبله، وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفاً في جواب سؤال^(١).

قوله: (أي: عالم) أشار بذلك إلى أنه لا مُفاضلة في أوصاف الله تعالى؛ لأنَّ التفاضل من مقتضيات الحدود، وهو مستحيل عليه، فلا تفاضل بين صفاته مع بعضها، ولا مع صفات خلقه.

قوله: (عطف على «مَنْ» قبلها) أي: فهي محل جرٍّ، والعلم مُسلَّط عليها.

قوله: (بالفوقانية والتحتانية) أي: فهما قراءتان سبعيتان، ف﴿لَهُ﴾ خبر ﴿تَكُونُ﴾ مقدَّم، و﴿عَقِبَهُ﴾: اسمها مؤخَّر على كلا الوجهين، وذكر الفعل على قراءة التحتانية للفعل، ولأنه مجازي التأنيث^(٢).

(١) قراءة العامة بإثبات واو العطف، وابن كثير حذفها، وكلُّ وافق مُصحفه؛ فإنها ثابتة في المصاحف غير مصحف مكة، وإثباتها وحذفها واضحان، وهو الذي يُسميه أهل البيان الوصل والفصل. انظر «الدر المصون» (٦٧٨/٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالياء على التذكير، والباقيون بالتاء على التأنيث. انظر «السراج المنير» (١٠٠/٣).

لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدَ لِي يَهْمَنُّ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا

﴿لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أي: هو أنا في الشَّقِينِ، فأنا مُحِقٌّ فيما جئتُ به، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: الكافرون.

﴿٣٨﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدَ لِي يَهْمَنُّ عَلَى الطِّينِ﴾: فاطبخ لي الآجر، ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾: قصرًا عاليًا

حاشية الصاوي

قوله: (أي: العاقبة المحمودة... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالدار: الدار الآخرة، وأنَّ الإضافة على معنى (في)، ويصح أنَّ المراد بالدار: دار الدنيا، والمراد بالعاقبة المحمودة: الجنة؛ لأنَّ العاقبة قسمان: مذمومة، ومحمودة، فالجنة عاقبة محمودة، والنار عاقبة مذمومة.

قوله: (وهو أنا في الشَّقِينِ) تفسيرٌ للموصول، كأنه قال: إن لم تشهدوا لي بالصدق وبأنَّ العاقبة المحمودة لي.. فالله عالمٌ بأني جئتُ بالهدى، وبأنَّ العاقبة المحمودة لي.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ تعليلٌ لقوله: ﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ أي: بعد أن شاهدَ إيمان السحرة وما وقع منهم.

قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ أي: ليس لي علمٌ بوجود إلهٍ غيري، وليس مرادُهُ بالهيئة نفسه كونه خالقاً للسموات والأرض وما فيهما، ولا يشك عاقلٌ في أنَّ الله هو الخالق لكل شيء، وكان اعتقاده أنَّ العالم العلويَّ أثرٌ في العالم السفليِّ، فلا حاجة للصانع.

قوله: ﴿عَلَى الطِّينِ﴾ أي: بعد اتخاذهِ لبناً، قيل: إنه أوَّل من اتخذ الآجر وبَنَى به، وهو الذي علَّم صنعه لهامان، ولما أمر وزيره هامان ببناء الصرح.. جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بَنَاءٍ سوى الأتباع والأجراء، فطبخ الآجر والجبس، ونشر الخشب، وسبك المسامير، فبنَّوهُ ورفَعوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بناءٌ أحدٍ من الخلق، فلما فرغوا.. ارتقى فرعون فوقه وأمر بَنَشَابَةَ، فضربها نحو السماء، فردَّت إليه وهي ملطخةٌ دماً، فقال: قد قتلت إله موسى، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكباً على البراذين، فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس، فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع: قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف، وقطعة وقعت في البحر، وقطعة وقعت في المغرب، ولم يبقَ أحدٌ عمل في الصرح عملاً إلا هلك.

لَمَكِّي أَطْلِعْ إِلَيَّ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي آلِيٍّ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً

﴿لَمَكِّي أَطْلِعْ إِلَيَّ إِلَهَ مُوسَى﴾ : أنظر إليه واقف عليه، ﴿وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ في ادعائه إلهاً آخر وأنه رسوله.

(﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ : أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ - بالبناء للفاعل وللمفعول - ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ : طرَحْنَاهُمْ ﴿فِي آلِيٍّ﴾ : البحر المالح فغرقوا، ﴿فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ في الدنيا ﴿آيَةً﴾ - بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية

حاشية الصاوي

قوله : ﴿لَمَكِّي أَطْلِعْ﴾) كأنه من قُبَحَ تَوَهَّمُ أَنَّ إِلَهَ مُوسَى فِي السَّمَاءِ يُمْكِنُ الرُّقَى إِلَيْهِ .

قوله : (وأنه رسوله) أي : أَنَّ مُوسَى رَسُولُ الْإِلَهِ .

قوله : ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾) أي : تَكَبَّرَ .

قوله : ﴿فِي الْأَرْضِ﴾) أي : أرض مصر .

قوله : (بالبناء للفاعل والمفعول) أي : فهما قراءتان سبعيتان^(١) .

قوله : ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾) أي : عَقَبَ تَكَبُّرَهُ وَعِنَادَهُ .

قوله : ﴿فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾) الخطاب لرسول الله ﷺ ؛ ليخبر به المشركين ، فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم .

قوله : (وإبدال الثانية) أي : فهما قراءتان سبعيتان ، لكن قراءة الإبدال من طريق «الطيبة» ، لا من طريق «الشاطبية»^(٢) .

(١) قرأ نافع وحزمة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم ، والباقون بضم الياء وفتح الجيم . انظر «السراج المنير» (٣/١٠١) .

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس بتسهيل الثانية بلا إدخال لأحد منهم ، وقرأ أبو جعفر بالتسهيل مع الإدخال ، وقرأ هشام بالتحقيق مع الإدخال وعدمه ، وقرأ الباقر بالتحقيق من غير إدخال . هذا هو طريق «الشاطبية» =

يَدْعُوتُ إِلَى الْتَّكْرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْتَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ

ياءٌ -: رُؤساء في الشرك، ﴿يَدْعُوتُ إِلَى الْتَّكْرِ﴾ يدعائهم إلى الشرك، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾ يدفع العذاب عنهم، ﴿وَاتَّبَعْتَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: خزيًا، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾: المبعدين.

﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: التَّوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ - حال من ﴿الْكِتَابِ﴾ -: جَمْعُ (بَصِيرَة)

حاشية الصاوي

قوله: (بدعائهم إلى الشرك) أي: المؤدّي للنار.

قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين، أو الموسومين بعلامة منكرة؛ كزُرقة العيون، وسواد الوجه.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ إخبار من الله لقريش بامتنانه على بني إسرائيل حين أهلك الأمم الماضية لما عاندوا وكذبوا رُسُلهم وصاروا في زمن فترة بإنزاله التوراة؛ ليتعبدوا بها، والمقصود من ذلك: تعدادُ النعم على هذه الأمة المحمدية، والمعنى: كما أنزل على موسى التوراة وقومُه في فترة وجهلٍ أنزل على محمد القرآن وقومُه في فترة وجهلٍ؛ ليهتدوا به.

قوله: (وعاد وثمود) عطف على (قوم نوح)، ولم يُنَوِّنْهُ؛ لأنه علمٌ على القبيلة، وهو بهذا الاعتبار ممنوعٌ من الصرف؛ للعلمية والتأنيث^(١).

قوله: (وغيرهم) أي: كفرعون.

قوله: (حال من ﴿الْكِتَابِ﴾) أي: إمَّا على حذف مضاف؛ أي: ذا بصائر، أو مبالغة، على حدِّ ما قيل في: زيدٌ عدلٌ، وكذا يقال في قوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾.

= «التيسير»، وأما إبدالها ياء محضة لنافع ومن معه.. فليس من طرق «الحرز» وأصله، بل هو من طريق «النشر»، ووقف عليه حمزة بالتسهيل فقط. انظر «البدور الزاهرة» (ص ١٣٤).

(١) عبارة «الفتوحات» نقلًا عن العلامة الأجهوري (٣/ ٣٧١): (وعاد معطوفٌ على «قوم نوح» فهو منصوب، وكان الأولى رسمه بألف بعد الدال؛ إذ رسمه بدونها يُوهم أنه معطوف على «نوح»، فيقتضي أنَّ لعاد قومًا مع أنهم أنفسهم قوم هود)، فقول المصنف رحمه الله: (للعلمية والتأنيث) يرجع لمنع صرف (ثمود) فحسب.

وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ

وهي نور القلب، أي: أنواراً للقلوب، ﴿وَهَدَى﴾ من الضلالة لِمَنْ عَمِلَ بِهِ، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَنْ آمَنَ بِهِ، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَعِظُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ.

﴿٤٤﴾ ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿بِجَانِبِ﴾ الْجَبَلِ أَوْ الْوَادِي أَوْ الْمَكَانِ ﴿الْغَرْبِيِّ﴾ مِنْ مُوسَى حِينَ الْمُنَاجَاةِ، ﴿إِذْ قَضَيْنَا﴾: أَوْحَيْنَا ﴿إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ بِالرَّسَالَةِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لِذَلِكَ فَتَعَلَّمَهُ فَتُخْبِرَ بِهِ.

﴿٤٥﴾ ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾: أُمَمًا بَعْدَ مُوسَى، ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي: طَالَتْ أَعْمَارُهُمْ فَتَسُو الْعُهُود
حاشية الصاوي

قوله: (أي: أنواراً للقلوب) أي: تبصر به القلوب؛ كما أنَّ إنسان العين تُبصر به العين^(١).
قوله: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: فالعاقل إذا عَلِمَ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ مِنْ أَوْصَافِهِ أَنَّهُ مُنَوَّرٌ لِلْقُلُوبِ وَهَادٍ مِنَ الضَّلَالَةِ وَرَحْمَةٌ لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ.. بَادِرَ إِلَى امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِالتَّوَانِي وَالْكَسَلِ وَالْعِنَادِ.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾... إلخ) المقصود من ذلك: إقامة الحجة على مَنْ كَذَّبَهُ ﷺ؛ يعني: كيف تكذبونه بعد إتيانه بتفاصيل ما حَصَلَ لِلأُمَمِ السَّابِقَةِ وَأَنْبِيَائِهِمْ وَالْحَالِ أَنْكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَاضِرًا ذَلِكَ وَلَا شَاهِدًا لَهُ؟!

قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾) إن قلت: إِنَّ هَذَا مَعْلُومٌ نَفِيٌّ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ فما ثمرة ذكره عقبه؟

أجيب: بأنه لا يلزم من كونه هناك - على قَرَضِ حُصُولِهِ - مشاهدته لذلك؛ ولذلك قال ابن عباس: لم تحضر ذلك الموضع، ولو حضرته.. ما شاهدت ما وقع فيه.

قوله: (بعد موسى) أي: لأنَّ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَتَعَبَّدُونَ بِالتَّوْرَةِ كِدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَذِي الْكُفْلِ كَانُوا بَعْدَ مُوسَى.

(١) إنسان العين: هو النقطة السوداء اللامعة وسط سواد العين.

وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ

واندرست العلوم وانقطع الوحي، فَجِئْنَا بِكَ رَسُولًا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ خَبَرَ مُوسَى وَغَيْرِهِ، ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾: مُقِيمًا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ - خبر ثانٍ - فَتَعْرِفُ قِصَّتَهُمْ فَتُخَبِّرُ بِهَا، ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لَكَ وَإِلَيْكَ بِأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ.

﴿٤٦﴾ ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾: الْجَبَلِ ﴿إِذْ﴾: حِينَ ﴿نَادَيْنَا﴾ مُوسَى أَنْ: خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ، ﴿وَلَكِنْ﴾ أَرْسَلْنَاكَ

حاشية الصاوي

قوله: (واندرست العلوم) أي: فكيف يأتيك الخبر من غير وحي؟!

قوله: (وأوحينا إليك خبر موسى وغيره) أي: ليكون معجزةً لك، وتذكيراً لقومك.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ (إن قلت: إن قصة مدين متقدمة على قصة الإرسال، فكان مقتضى

الترتيب ذكرها قبلها.

أجيب: بأن المقصود تعدد العجائب من غير نظرٍ للترتيب؛ إشارةً إلى أنَّ أيَّ واحدةٍ تكفي

في إثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه.

قوله: (مقيماً) أي: إقامةً طويلةً تشعر بمعرفتك قصتهم.

قوله: ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ متعلق بـ ﴿ثَاوِيًا﴾.

قوله: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (أي: وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار تتلوها عليهم، ولولا

ذلك.. ما علمتها ولم تُخبرهم بها).

قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ (أي: كما لم تحضر يا محمد جانب المكان الغربي

إذ أرسل الله موسى إلى فرعون فكذلك لم تحضر جانب الطور؛ إذ نادينا موسى لما أتى الميقات

مع السبعين لأخذ التوراة، وبين الإرسال وإيتاء التوراة نحو ثلاثين سنةً، وهذا بالنظر للعالم

الجسماني؛ لإقامة الحجة على الخصم، وأما بالنظر للعالم الروحاني.. فهو حاضرٌ رسالةً كلِّ رسولٍ

وما وقع له، من لدن آدم إلى أن ظهر بجسمه الشريف، ولكن لا يُخاطَبُ به أهلُ العناد.

رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون.

﴿٤٧﴾ ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾: عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وجواب (لولا) محذوف، وما بعدها مبتدأ، والمعنى: لولا الإصابة المُسبِّب عنها قولهم المُسبِّب عنها لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى، وهي ست مئة سنة.

قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ﴾... إلخ (لولا): حرف امتناع لوجود، و(أن) وما بعدها: في تأويل مصدر مبتدأ، وخبره محذوف وجوباً، تقديره: موجود؛ كما قال المفسر.

قوله: ﴿فَيَقُولُوا﴾ عطف على ﴿تُصِيبَهُمْ﴾، والفاء: للسببية.

قوله: (وجواب «لولا») أي: الأولى، وأما الثانية.. فهي تحضيضية.

قوله: (أو لولا قولهم... إلخ) أي: فالمعنى الأول فيه انتفاء الجواب - وهو عدم الإرسال - لوجود السبب والمسبب معاً، والمعنى الثاني؛ لوجود المسبب الناشئ عن السبب، فتدبر.

قوله: (لما أرسلناك إليهم رسولاً) أي: فالحامل على إرسالك تعللهم بهذا القول، فالمعنى: امتنع عدم إرسالنا لك؛ لوجود المصائب المسبب عنها قولهم: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ... إلخ.

إن قلت: إن الآية تقتضي وجود إصابتهم بالمصائب، وقولهم المذكور والواقع أنهم حين نزول تلك الآيات لم يُصابوا ولم يقولوا.

أجيب: بأن الآية على سبيل الفرض والتقدير، فالمعنى: لولا إصابة المصائب واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير... لما أرسلناك إليهم، فهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا...﴾ الآية [طه: ١٣٤].

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَّلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا

﴿٤٨﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: مُحَمَّدٌ ﴿مِّنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾: مِنَ الْآيَاتِ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَالْعَصَا وَغَيْرِهِمَا، أَوِ الْكِتَابِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَّلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ حَيْثُ ﴿قَالُوا﴾ فِيهِ وَفِي مُحَمَّدٍ: ﴿سِحْرَانِ﴾، - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿سِحْرَانِ﴾ - أَي: الْقُرْآنُ وَالتَّوْرَةُ ﴿تَظَاهَرَا﴾: تَعَاوَنَا، ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ﴾ مِنَ التَّبَيَّنِ وَالْكِتَابَيْنِ ﴿كَافِرُونَ﴾.

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾) ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾: مِنَ الْكِتَابَيْنِ

حاشية الصائلي

قوله: ﴿قَالُوا﴾ (أَي: تَعَنَّتَا).

قوله: (أَوِ الْكِتَابِ جُمْلَةً) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى قَوْلٍ آخَرَ فِي تَفْسِيرِ الْمِثْلِ.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ (أَي: قَبْلَ ظُهُورِكَ).

قوله: ﴿سِحْرَانِ﴾ (خَبَرٌ لِّمَحْذُوفٍ؛ أَي: هُمَا).

قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أَي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(١).

قوله: (تَعَاوَنَا) أَي: بِتَصْدِيقِ كُلِّ مَنَّهُمَا الْآخَرِ، وَذَلِكَ: أَنَّ كَفَارَ مَكَّةَ بَعَثُوا رَهْطًا مِنْهُمْ إِلَى رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ فِي عِيدٍ لَهُمْ، فَسَأَلُوهُمْ عَنْ شَأْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالُوا: إِنَّا نَجِدُهُ فِي التَّوْرَةِ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ الرَّهْطُ وَأَخْبَرُوهُمْ بِمَا قَالَتِ الْيَهُودُ.. قَالُوا مَا ذَكَرَ^(٢).

قوله: (وَالْكِتَابَيْنِ) الْوَاوُ: بِمَعْنَى (أَو).

قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ...﴾ (إِلَخ) أَي: إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ.. فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاضِحٍ فِي هِدَايَةِ الْخَلْقِ، فَإِنْ أَتَيْتُمْ بِهِ.. اتَّبَعْتُهُ، وَهَذَا تَنْزِيلٌ لِلْخَصْمِ؛ زِيَادَةً فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

(١) قرأ الكوفيون بكسر السين وإسكان الحاء، وغيرهم بفتح السين وألف بعدها مع كسر الحاء. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٤١).

(٢) انظر «زاد المسير» (٣/ ٣٨٧).

أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

﴿أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم، ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دُعَاكَ بِالْإِنْيَانِ بِكِتَابٍ، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في كُفْرِهِمْ، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أضلَّ منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين.

﴿٥١﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ فَيُؤْمِنُونَ.

﴿٥٢﴾ ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: الْقُرْآنَ ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْضاً، نَزَلَتْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَتَّبِعُهُ﴾﴾ مجزوم في جواب شرط مقدر، تقديره: إِنْ أَتَيْتُمْ بِهِ.. أَتَّبِعُهُ^(١).

قوله: ﴿﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾﴾ أي: لم يفعلوا ما أمرتهم به.

قوله: ﴿﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾﴾ أي: ليس لهم مُسْتَنَدٌ إِلَّا اتِّبَاعُ هَوَاهُمُ الْفَاسِدِ.

قوله: ﴿﴿أَي: لا أضلَّ منه﴾﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: ﴿﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾﴾ العامة على تشديد الصاد، وهو مأخوذٌ إمَّا من: وصل الشيء بالشيء بمعنى: جعله تابعاً له؛ لأنَّ القرآن تابعٌ بعضه بعضاً، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ قَسِيرٍ﴾ [الفرقان: ٣٣]، أو من: وصل الحبل: جعله أوصالاً؛ أي: أنواعاً؛ لأنَّ القرآن أنواع؛ كالوعد والوعيد، والقصص والعبر والمواعظ.

قوله: ﴿﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾﴾ الاسم الموصول: مبتدأ، و﴿﴿ءَاتَيْنَاهُمُ﴾﴾: صِلته، و﴿﴿هُمْ﴾﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿﴿بِهِ﴾﴾: متعلق ب﴿﴿يُؤْمِنُونَ﴾﴾، و﴿﴿يُؤْمِنُونَ﴾﴾: خبر الثاني، وهو وخبره: خبر الأول.

قوله: ﴿﴿أَيْضاً﴾﴾ أي: كما آمنوا بكتابهم.

(١) بناء على قول أكثر المتأخرين في تقدير الشرط، خلافاً لابن مالك رحمه الله إذ قال في «شرح الكافية» (٣/١٥٥١): (وأكثر المتأخرين ينسبون جزم جواب الطلب لـ «إِنْ» مقدرةً، والصحيح: أنه لا حاجة إلى تقدير لفظ «إِنْ»، بل تضمَّن لفظ الطلب لمعناها مُغْنٍ عن تقدير لفظها كما هو مُغْنٍ في أسماء الشرط، نحو: مَنْ يَأْتِنِي أَكْرَمُهُ، وهذا هو مذهب الخليل وسيبويه رحمهما الله تعالى).

وَلِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾

في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره، ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام.

﴿٥٣﴾ وَلِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ ﴿الْقُرْآنُ﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ: مُؤَحِّدِينَ.

﴿٥٤﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴿بِإِيمَانِهِمْ بِالْكِتَابَيْنِ﴾، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْعَمَلِ بِهِمَا، ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾: يَدْفَعُونَ ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ مِنْهُمْ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: يَتَصَدَّقُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: (نزل في جماعة أسلموا من اليهود) قال ابن عباس: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب: أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من أهل الشام^(١).

وقيل: إنها نزلت في أربعين رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة، آمنوا بالنبي ﷺ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة.. قالوا: يا رسول الله؛ إن لنا أموالاً؛ فإن أذننا لنا.. انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين، فأذن لهم، فانصرفوا، فأتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين^(٢). والمقصود من قصة هؤلاء: الثناء عليهم، والفخر بهم على المشركين.

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أي: فإسلامنا ليس بمتجدد، بل هو موافق لما عندنا؛ لأن في كتبهم صفة النبي ﷺ ونعته، فتمسكوا بكتابهم ولم يغيروا، ولم يبدلوا إلى أن بعث رسول الله ﷺ، فنظروا إلى صفاته وأحواله، فلما وجدوها مطابقة لما عندهم.. أظهروا ما كان عندهم من الإسلام.

قوله: (بصبرهم) أشار بذلك إلى أن (ما) مصدرية، وقوله: (على العمل بهما) أي: أو على أذى المشركين ومن عاداهم من أهل دينهم.

قوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة؛ أي: الكلمة الطيبة الجميلة، أو المعنى: إذا وقعت منهم معصية.. أتبعوها بطاعة كالتوبة.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/٣٦٧).

(٢) أورد الخبر الثعلبي في «الكشف والبيان» (٩/٢٥٠) عن سعيد بن جبير.

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي
الْجَهْلِينَ ﴿٥٥﴾

﴿٥٥﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ: الشَّتَمَ وَالْأَذَى مِنَ الْكُفَّارِ ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: سَلَامٌ مُتَارِكَةٌ، أَي: سَلِمْتُمْ مِنَّا مِنَ الشَّتَمِ وَغَيْرِهِ، ﴿لَا نَبْنِي الْجَهْلِينَ﴾: لَا نَصْحَبُهُمْ.

﴿٥٦﴾ وَنَزَلَ فِي حِرْصِهِ ﷺ عَلَى إِيْمَانِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ... إلخ﴾ وذلك أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَسُبُّونَ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ: تَبًّا لَكُمْ، أَعْرَضْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَتَرَكْتُمُوهُ، فَيُعْرَضُونَ عَنْهُمْ وَيَقُولُونَ: لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ.

قوله: (سَلَامٌ مُتَارِكَةٌ) أَي: إِعْرَاضٌ وَفِرَاقٌ، لَا سَلَامَ تَحِيَّةٍ.

قوله: (لَا نَصْحَبُهُمْ) الْأَوْضَحُ أَنَّ يَقُولُ: لَا نَطْلُبُ صُحْبَتَهُمْ^(١).

قوله: (وَنَزَلَ فِي حِرْصِهِ... إلخ) وذلك: أَنَّهُ لَمَّا احْتَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ.. جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: يَا عَمُّ؛ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ^(٢)، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي؛ قَدْ عَلِمْتُ إِنَّكَ لَصَادِقٌ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَقَالَ: جَزَعٌ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ عَلَيْكَ وَعَلَى بَنِي أَبِيكَ غَضَاوَةٌ بَعْدِي.. لَقُلْتُهَا، وَلَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ عِنْدَ الْفِرَاقِ؛ لَمَّا أَرَى مِنْ شِدَّةِ وَجْدِكَ وَنَصِيحَتِكَ، ثُمَّ أُنْشَدَ:

[الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ جِذَاؤُ مَسَبَّةٍ لَوَجَدْتَنِي سَمْحاً بِذَلِكَ مُبِينَا

(١) لِأَنَّ الْإِبْتِغَاءَ هُوَ الطَّلَبُ. «فتوحات» (٣/٣٧٤).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٤) عَنْ سَيِّدِنَا الْمُسَيِّبِ بْنِ حَزْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: (فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرُغِبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالَا يَكْلِمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخِرُ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ»، فَتَنَزَّلَتْ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وَتَنَزَّلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾).

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّبَعِ
الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هِدَايَتَهُ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالمٌ
﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: قَوْمُهُ: ﴿إِن نَّبَعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ أي: نُنْتَزِعُ مِنْهَا
بِسُرْعَةٍ،

حاشية الصاوي

ولكنني سوف أموت على ملة أشياخ عبد المطلب وهاشم وبنو عبد مناف، ثم مات، فأتى عليَّ
ابنُه للنبي ﷺ وقال له: عمُّك الضال قد مات، فقال له: «اذهب فواره»^(١).

وما تقدَّم من أنه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح، وقيل: إنه أحيي وأسلم ثم مات، ونقل هذا
القول عن بعض الصوفية^(٢).

قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي: لا تقدر على هدايته.

إن قلت: إنَّ بين هذه الآية وآية: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] تنافي^(٣)..
أجيب: بأن المنفيَّ هنا خلق الاهتداء، والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: فسَلِّم أمرَك لله؛ فإنه أعلم بأهل السعادة وأهل
الشقاوة، ولا يبالى بأحد.

قوله: (أي: قومه) أي: وهم بعض أهل مكة؛ كالحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف؛ فإنه
أتى النبي ﷺ فقال له: أنا أعلم أنك على الحق، ولكنَّا نخاف إن تبعنَّاك وخالفنا العرب أن يتخطفونا
من أرضنا^(٤).

قوله: ﴿الْهُدَى﴾ أي: وهو دين الإسلام.

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٩٣).

(٢) وبين العلامة أحمد زيني دحلان رحمه الله تعالى هذا المسلك في رسالته «أسنى المطالب في نجاة أبي طالب».

(٣) كذا في الأصول، وحققها النصب (تنافياً)؛ لأنها اسم (إنَّ) مؤخر، إلا أن يقدر ضمير الشأن، فتكون مبتدأ مؤخرًا.

(٤) انظر «زاد المسير» (٣/٣٨٨).

أَوَلَمْ تُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجَيِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِكَ.....

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾: يَأْمَنُونَ فِيهِ مِنَ الْإِغَارَةِ وَالْقَتْلِ الْوَاقِعِينَ مِنْ بَعْضِ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضٍ، ﴿يُجَيِّئُ﴾ - بِالْفَوْقَانِيَّةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ - ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، ﴿رِزْقًا﴾ لَهُمْ ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أَي: عِنْدَنَا، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ مَا نَقُولُهُ حَقٌّ.

﴿٥٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِكَ.....

حاشية الصاوي

قوله ﴿أَوَلَمْ تُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أَي: نجعل مكانهم حرماً ذا أمن، وعدِّي بنفسه؛ لأنه بمعنى (جعل)، يدل عليه الآية الأخرى وهي: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] ^(١).

قوله: (يأمنون فيه) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازاً عقلياً.

قوله: ﴿يُجَيِّئُ﴾ أَي: يُحْمَلُ وَيُسَاقُ.

قوله: (بالفوقانيّة والتحتانيّة) أَي: فهما قراءتان سبعيتان ^(٢).

قوله: ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مجازٌ عن الكثرة؛ كقوله: ﴿وَأَوْتَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، قال بعض العارفين: مَنْ يَتَعَلَّقُ بِبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَيَسْعَى إِلَيْهِ فَهُوَ مِنْ خِيَارِ الْخَلْقِ؛ لقوله في الآية: ﴿يُجَيِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

قوله: (من كل أوب) أَي: ناحية وطريق وجهة.

قوله: ﴿رِزْقًا﴾ إما بمعنى: مَرْزُوق، فيكون منصوباً على الحال من ﴿ثَمَرَاتٍ﴾، أو باقٍ على مصدريته، فيكون مفعولاً مطلقاً مؤكّداً لمعنى ﴿يُجَيِّئُ﴾ أَي: نرزقهم رزقاً.

قوله: (أَنَّ مَا نَقُولُهُ حَقٌّ) قدره؛ إشارة إلى أَنَّ مَفْعُولَ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: ﴿وَكََمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ ردٌّ بذلك على الكُفَّارِ وَبَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ الْعِبَارَةَ بِالْعَكْسِ،

(١) (مَكَّنَ) متعدي بنفسه من غير أن يضمَّن معنى (جعل)، كقوله: ﴿مَكَّنَهُمْ فِيمَا إِنَّا تُكِّنْكُمْ فِيهِ﴾. انظر «الدر المصون» (٦٨٦/٨).

(٢) قرأ نافع بقاء التانيث مراعاة للفظ (ثمرات)، والباقون بالياء للفصل، ولأنه تانيث مجازي. انظر «الدر المصون» (٦٨٦/٨).

بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾
وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي
الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴿٥٨﴾ أي: عَيْشَهَا، وَأُرِيدَ بِالْقَرْيَةِ أَهْلُهَا، ﴿فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لِلْمَارَّةِ يَوْمًا أَوْ بَعْضَهُ، ﴿وَكَُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ مِنْهُمْ.

﴿٥٩﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى ﴿بِظُلْمٍ مِنْهَا﴾ حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ ﴿أَي: أَعْظَمِهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ.

حاشية الصاوي

وَأَنَّ خَوْفَ التَّخْطَفِ يَكُونُ بِالْكَفْرِ لَا بِالْإِيمَانِ، وَأَنَّهُمْ مَا دَامُوا مُصْرِّينَ عَلَى كُفْرِهِمْ.. يَحُلُّ بِهِمْ وَبِأَلِّ بِطَرَهُمْ؛ كَمَا حَصَلَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ.

قوله ﴿بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي: كَفَرَتْ بِنِعْمَةِ رَبِّهَا فِي زَمَنِ مَعِيشَتِهَا؛ أَي: حَيَاتِهَا.

قوله: ﴿فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ﴾ أي: خَرَبَ بِسَبَبِ ظَلْمِهِمْ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ وَهُودٍ؛ فَإِنَّ السَّفَارَ^(١) تَمَرُّ عَلَى تِلْكَ الْمَسَاكِنِ، وَتَنْزِلُ بِهَا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ.

قوله: (لِلْمَارَّةِ يَوْمًا أَوْ بَعْضَهُ) أي: لِأَنَّ الْمَارَّ فِي الطَّرِيقِ إِذَا نَزَلَ لِلِاسْتِرَاحَةِ إِنَّمَا يَسْتَمِرُّ فِي الْغَالِبِ يَوْمًا أَوْ بَعْضَهُ.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾... إلخ بيانٌ لِلْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي سَبَقَتْ بِهَا مَشِيتُهُ تَعَالَى، وَالْمَعْنَى: مَا ثَبَتَ فِي حُكْمِهِ أَنَّ يَهْلِكُ قَرْيَةً قَبْلَ الْإِنذَارِ.

قوله: (أَي: أَعْظَمِهَا) أي: وَهِيَ الْمَدَنُ بِالنِّسْبَةِ لِمَا حَوَالِيهَا، فَجَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ أَنْ يَبْعَثَ الرُّسُولَ مِنْ أَهْلِ الْمَدَائِنِ؛ لِأَنَّهُمْ أَعْقَلُ وَأَفْظَنُ، وَيَتَّبِعُهُمْ غَيْرُهُمْ، وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَبْعُوثًا لِجَمِيعِ الْخَلْقِ.. كَانَتْ بَلَدُهُ أَفْضَلَ الْبِلَادِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَقَبِيلَتُهُ أَشْرَفَ الْقَبَائِلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

قوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾... إلخ أي: لِقَطْعِ الْحُجَجِ وَالْمَعَاذِيرِ.

قوله: ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ استثناءٌ مِنْ عُمُومِ الْأَحْوَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ: مَا كُنَّا نَهْلِكُهُمْ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالٍ كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ.

(١) قَوْمُ سَفَارٍ مِثْلُ: رَاكِبٍ وَرُكَّابٍ؛ أَي: مُسَافِرُونَ. انْظُرْ «الصَّحَاحَ» لِلْجَوْهَرِيِّ، مَادَّة: (س ف ر).

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٦٠﴾ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا ﴿٦٠﴾ أي: تَمَتَّعُونَ وَتَتَزَيَّنُونَ بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ ثُمَّ يَفْنَى، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: ثَوَابُهُ ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (ما): اسم موصول مبتدأ، و﴿أُوتِيتُمْ﴾: صلته، و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: بيان ل(ما)، وقوله: ﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: خبره، وقرن بالفاء؛ لما في المبتدأ من معنى العموم. ويصح أن تكون (ما) شرطية، وقوله: ﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة جواب الشرط.

قوله: (ثم يفنى) أي: يذهب بفنائكم، فجميع ما في الدنيا عرضٌ زائلٌ يذهب بذهاب أهله، ولا يبقى إلا جزاؤه، فحلل الدنيا حساباً، وحرامها عقاباً.

قوله: (وهو ثوابه) أي: ثواب الأعمال التي قُصِدَ بها وجهه سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (أي: دائمٌ بدوام الله).

قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الهمزة داخل على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أتركتم التدبُّر في أحوالكم فلا تعقلون؛ فمن أثر الفاني على الباقي.. فلا عقلَ عنده؛ لما في الحديث: «الدنيا دارٌ مَنْ لا دارَ له، ومالٌ مَنْ لا مالَ له، ولها يجمع مَنْ لا عقلَ له»^(١).

ولله درُّ الإمام الشافعي حيث قال: [الرمل]

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطِنَا	طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا	أَنَّهُا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطِنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا	صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

وليس المراد من ذلك ترك الدنيا رأساً، والخروج منها بالمرَّة، بل المراد: لا يجعلها أكبر همٍّ، ولا مبلغَ علمه، وإنما يطلب الدنيا؛ ليستعينَ بها على خدمة ربِّه؛ لتكون مزرعةً لآخرته؛ لما في الحديث: «نعم المالُ الصالح في يد الرجل الصالح»^(٢)، فالمضرُّ شغل القلب، والنيَّةُ السوء.

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٧١/٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٩٧/٤) عن سيدنا عمرو بن العاصي رضي الله عنه.

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ

- بالتاء والياء - أَنْ الْبَاقِي خَيْرٌ مِنَ الْفَانِي؟

﴿٦١﴾ ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ﴾: مُصِيبُهُ وَهُوَ الْجَنَّةُ ﴿كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ فَيَزُولُ عَنْ قَرِيبٍ، ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ النَّارُ؟ الْأَوَّلُ الْمُؤْمِنُ وَالثَّانِي الْكَافِرُ، أَي: لَا تَسَاوِي بَيْنَهُمَا.

(٦٢ - ٦٣) ﴿وَاذْكُرْ﴾ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ اللهُ

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أَنْ الْبَاقِي خَيْرٌ مِنَ الْفَانِي) قَدَّرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنْ مَفْعُولٌ ﴿يَقُولُونَ﴾ مَحْذُوفٌ، وَاسْتَفِيدَ مِنْهُ: أَنْ أَعْقَلَ النَّاسَ الْمَشْتَغِلُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، الَّذِينَ اخْتَارُوا الْبَاقِي عَلَى الْفَانِي، وَمِنْ هُنَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ أَوْصَى بِثُلْثِ مَالِهِ لِأَعْقَلِ النَّاسِ.. صُرِفَ إِلَى الْمَشْتَغِلِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

قوله: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ...﴾ (إِلخ) (مَنْ): مُبْتَدَأٌ، وَجُمْلَةٌ ﴿وَعَدْنَاهُ﴾: صَلَتْهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿كَمَنْ مَنَعْنَاهُ...﴾ (إِلخ): خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ، وَالْمَعْنَى: أَيْسَتَوِي مَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ بِمَنْ أَنَهُمْ فِي طَلَبِ الْفَانِي حَتَّى صَارَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ لِلْعَذَابِ؟ فَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الْجَانَةِ: ٢١].

قوله: (مُصِيبُهُ) أَي: مَدْرَكُهُ لَا مُحَالَةَ؛ لِأَنَّ وَعْدَهُ لَا يَتَخَلَّفُ.

قوله: ﴿مَنَعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أَي: الْمَشُوبَ بِالْأَكْدَارِ.

قوله: (الأول) أَي: وَهُوَ مَنْ وَعَدْنَاهُ، وَالثَّانِي وَهُوَ مَنْ مَنَعْنَاهُ.

قوله: (أَي: لَا تَسَاوِي بَيْنَهُمَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الِاسْتِفْهَامَ إِنكَارِيًّا بِمَعْنَى النَفْيِ.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أَي: الْمَشْرُكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ،

(١) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِالْيَاءِ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْمَوْعِظَةِ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْإِلْتِفَاتِ لِلْإِعْرَاضِ بِهِ عَنْ خُطَابِهِمْ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ عَلَى الْخُطَابِ جَرِيًّا عَلَى مَا تَقَدَّمَ. انْظُرْ «السَّراجُ الْمُنِيرُ» (١١١/٣).

(٢) انْظُرْ «الْحَاوِي الْكَبِيرُ» لِلْمَاورِدِيِّ (٣٥٣/٨).

فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ هُم شُرَكَائِي؟ ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بِدُخُولِ النَّارِ وَهُمْ رُؤَسَاءُ الضَّلَالَةِ: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هُم - مُبْتَدَأٌ وَصِفَةٌ - ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ - خَبَرُهُ - فَعَوُوا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لَمْ نُكْرِهِهُمْ عَلَى الْغِيِّ، ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ مِنْهُمْ ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ - ﴿مَا﴾ نَافِيَةٌ، وَقَدْ مَ الْمَفْعُولُ لِلْفَاصِلَةِ -.

حاشية الصاوي

أو النداء من الله لهم، والمنفي في آية: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ كلامُ الرضا والرحمة؛ فلا ينافي أنه يكلمهم كلامَ غضبٍ وسخطٍ.

قوله: ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ تفسير للنداء.

قوله: ﴿تَزْعُمُونَ﴾ هُم شُرَكَائِي أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ مَفْعُولِي ﴿تَزْعُمُونَ﴾ محذوفان.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ كلامٌ مُسْتَأْنَفٌ وَقَعَ فِي جَوَابِ سَوْأَلٍ مَقْدَرٍ، تَقْدِيرُهُ: مَاذَا قَالُوا؟ وَجَوَابُ هَذَا السَّوْأَلِ: أَنَّهُ حَصَلَ التَّنَازُعُ وَالتَّخَاصُمُ بَيْنَ الرُّؤَسَاءِ وَالْآتِبَاعِ، فَقَالَ الْآتِبَاعُ: إِنَّهُمْ أَضَلُّونَا، وَقَالَ الرُّؤَسَاءُ: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ...﴾ إلخ، فَهُوَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَبْرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا...﴾ [إبراهيم: ٢١] إلخ، وَبِمَعْنَى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ...﴾ [غافر: ٤٧] إلخ.

قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أَي: ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

قوله: (وهم رؤساء الضلال) أي: الذين أطاعوهم في كلِّ ما أمروهم به ونهواهم عنه.

قوله: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا...﴾ إلخ اسم الإشارة: مُبْتَدَأٌ، وَالْمَوْصُولُ: نَعْتُهُ، وَ﴿أَغْوَيْنَا﴾: صَلَّتْهُ، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ، وَ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾: خَبَرُهُ، وَصَحَّ الْإِخْبَارُ بِهِ؛ لِتَقْيِيدِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾؛ فَفِيهِ زِيَادَةٌ فَائِدَةٌ عَلَى الصَّلَةِ، وَالْمَعْنَى: تَسْبِينًا لَهُمْ فِي الْغِيِّ، فَقَبِلُوا مِنَّا وَلَمْ يَتَّبِعُوا الرِّسْلَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي فِيهَا الْمَوَاعِظُ وَالْأَوَامِرُ وَالنَّوَاهِي، فَلَمْ نُخَيِّرْهُمْ عَنْ أَنْفُسِنَا، بَلْ اخْتَرْنَا لَهُمْ مَا اخْتَرْنَاهُ لَأَنْفُسِنَا، فَاتَّبَعُونَا بِهَوَاهِمِ.

قوله: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ مِنْهُمْ هذا تقريرٌ لما قبله.

قوله: (وقدَّم المفعول) وهو قوله: ﴿إِيَّانَا﴾.

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا

﴿٦٤﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴿٦٤﴾ أي: الأصنامَ الَّذِينَ تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ، ﴿فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دُعَاءَهُمْ، ﴿وَرَأَوُا﴾ هُمْ ﴿الْعَذَابَ﴾: أَبْصَرُوهُ ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا لَمَا رَأَوْهُ فِي الْآخِرَةِ.

(﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾) ﴿وَوَ﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِلَيْكُمْ؟ ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾: الْأَخْبَارُ الْمُنْجِيَّةُ فِي الْجَوَابِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أَي: لَمْ يَجِدُوا خَبْرًا لَهُمْ فِيهِ نَجَاةٌ، ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنْهُ فَيَسْكُتُونَ.

﴿٦٧﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ مِنَ الشُّرْكِ ﴿وَوَآمَنَ﴾: صَدَّقَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أَدَّى الْفَرَائِضَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: اسْتَغِيثُوا بِالْهَيْكَلِ الَّذِي عِبَدْتُمُوهَا لِتَنْصَرِكُمْ وَتُدْفَعْ عَنْكُمْ مَا نَزَلَ بِكُمْ، وَهَذَا الْقَوْلُ لِلتَّهَكُّمِ وَالتَّبَكُّيتِ لَهُمْ.

قوله: ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي: نَازِلًا بِهِمْ.

قوله: ﴿مَا رَأَوْهُ﴾ هُوَ جَوَابُ (لَوْ).

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ، فَتَحْصُلُ أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَنْ إِشْرَاكِهِمْ وَجَوَابِهِمْ لِلرَّسْلِ.

قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ أي: خَفِيََتْ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَهْتَدُوا لْجَوَابٍ فِيهِ رَاحَةٌ لَهُمْ، أَوِ الْكَلَامُ عَلَى الْقَلْبِ، وَالْأَصْلُ: فَعَمُوا عَنِ الْأَنْبَاءِ - أَي: ضَلُّوا وَتَحَيَّرُوا فِي ذَلِكَ - فَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى جَوَابٍ فِيهِ نَجَاتُهُمْ.

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنْهُ أَي: عَنِ الْخَبَرِ الْمُنْجِي؛ لِحَصُولِ الدَّهْشَةِ لَهُمْ، وَلِقْنُوطِهِمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ حِينَئِذٍ.

قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾... إلخ) أَي: رَجَعَ عَنْ كُفْرِهِ حَالِ الْحَيَاةِ.

فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ
الْخَيْرَةُ ۚ

﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾: النَّاجِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ.
﴿٦٨﴾ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾: مَا يَشَاءُ، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾: لِلْمُشْرِكِينَ
﴿الْخَيْرَةُ﴾: الاختيارُ في شيء،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق؛ لأنه وعد كريم،
ومن شأنه: لا يخلف وعده.

قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ سبب نزولها: أَنَّ الوليد بن المغيرة استعظم النبوة
ونزول القرآن على رسول الله ﷺ وقال: لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم، فنزلت
هذه الآية ردًّا عليه^(١).

واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوال كثيرة؛ فقليل: يخلق ما يشاء من خلقه،
ويختار ما يشاء منهم لطاعته، وقيل: يخلق ما يشاء من خلقه، ويختار ما يشاء لنبوته، وقيل: يخلق
ما يشاء: محمداً، ويختار الأنصار لدينه، وقيل: يخلق ما يشاء: محمداً، ويختار ما يشاء: أصحابه
وأمنه؛ لما روي: «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَارَ مِنْ
أَصْحَابِي أَرْبَعَةً - يعني: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً - فجعلهم أصحابي، وفي أصحابي كلُّهم خيرٌ،
واختار أمتي على سائر الأمم، واختار لي من أمتي أربعة قرون»^(٢)، فقد اختار محمداً على سائر
المخلوقات، واختار أُمَّته على سائر الأمم، فكما هو أفضل الخلق على الإطلاق.. أُمَّتُهُ أَفْضَلُ
الْأُمَمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾: بالتحريك والإسكان معناهما واحد، وهو الاختيار، و﴿مَا﴾:
نافية، و﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، والجار والمجرور: خبرها مقدَّم، و﴿الْخَيْرَةُ﴾: اسمها
مؤخَّر، والجملة مستأنفة، فالوقف على ﴿يَخْتَارُ﴾.

والمعنى: ليس للخلق جميعاً الاختيار في شيء لا ظاهراً ولا باطناً، بل الخيرة لله تعالى

(١) انظر «زاد المسير» (٣/٣٩١).

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٦): (رواه البزار، ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف).

سُبْحَنَ اللَّهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

﴿سُبْحَنَ اللَّهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن إشراكهم.

﴿٦٩﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ: تُسِرُّ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَغَيْرِهِ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بِالْإِسْتِثْمِ مِنْ ذَلِكَ.

﴿٧٠﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى: الدُّنْيَا ﴿وَالْآخِرَةُ﴾: الْجَنَّةُ، ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾: الْقَضَاءُ النَّافِذُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بِالنُّشُورِ.

حاشية الصاوي

في أفعاله؛ لما في الحديث القدسي: «يا عبادي؛ أنت تريد وأنا أريد، ولا يكون إلا ما أريد؛ فإن سلّمت لي ما أريد.. أعطيتك ما تريد، وإن لم تُسلّم لي ما أريد.. أتعبتُك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد»^(١).

وإنما خصّ المفسّر المشركين بذلك؛ مراعاةً لسبب النزول، ويصح أن تكون (ما) مصدرية، وما بعدها مؤوّل بمصدر، والمعنى: ويختار اختياراتهم فيه، ويصح أن تكون موصولة، والعائد محذوف، والتقدير: ويختار الذي لهم فيه الاختيار، وحينئذ: فلا يصح الوقف على «يختار»، والأول: أظهر؛ فالواجب على الإنسان أن يعتقد أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في شيء أبداً، وإنما الذي يظهر على أيدي الخلق أسباب عادية يمكن تخلفها.

قوله: ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ﴾ أي: تنزيهاً له عما لا يليق به.

قوله: (من الكفر وغيره) أي: كالإيمان، فيجازي الكافر بالخلود في النار، والمؤمن بالخلود في الجنة.

قوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ أي: هو مستحقّ للثناء بالجميل في الدنيا والجنة؛ لأنه لا مُعْطِي للنعم فيهما إلا هو سبحانه وتعالى، فالمؤمنون يحمدونه في الجنة بقولهم: الحمد لله الذي صدّقنا وعده، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن؛ كما حمدوه في الدنيا، لكن الحمد في الدنيا مكلفون به، وأما في الآخرة.. فهو تَلَذُّذٌ؛ لانقطاع التكليف بالموت.

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نواذر الأصول» (١٠٧/٢) ممّا أوحاه الله تعالى لسيدنا داود عليه السلام.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّتِلَّ

﴿٧١﴾ ﴿قُلْ﴾ لِأَهْلِ مَكَّةَ: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّتِلَّ﴾

حاشية الصاوي

قال العلماء: لا ينبغي لأحد أن يُقدِّم على أمر من أمور الدنيا والآخرة حتى يسأل الله تعالى الخيرة في ذلك، وذلك بأن يُصلي ركعتين صلاة الاستخارة، يقرأ في الركعة الأولى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ...﴾ الآية، وفي الثانية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾ [الأحزاب: ٣٦] الآية، ثم يدعو بالدعاء الوارد في «صحيح البخاري»: عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همَّ أحدكم بالأمر... فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم؛ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم؛ إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، ويسره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رَضَّنِي بِهِ»، قال: «ويسمِّي حاجته»^(١)، وروي عن أنس أن النبي ﷺ قال له: «يا أنس؛ إذا هممت بأمر... فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى ما يسبق إلى قلبك واعمله؛ فإنَّ الخير فيه»^(٢)، فإن لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين... يقرأ: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (والإخلاص)، فإن لم يكن يحفظ هذا الدعاء... فليقرأ: (اللهم خِرْ واختَرْ لي)؛ كما روي عن عائشة عن أبي بكر رضي الله عنه^(٣).

واعلم: أنَّ هذه الكيفية هي الواردة في الحديث الصحيح، وأما الاستخارة في المنام أو بالمصحف أو السبحة... فليس وارداً عن النبي ﷺ؛ ولذا كرهه العلماء وقالوا: إنه نوعٌ من الطيرة.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ...﴾ (إلخ) ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ و﴿جَعَلَ﴾ تنازعاً في ﴿الَّتِلَّ﴾، أعمل الثاني، وأضمر في الأول وحذف، وهو مفعوله الأول، ومفعوله الثاني جملة الاستفهام بعده،

(١) «صحيح البخاري» (٦٣٨٢).

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٩٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٥١٦).

سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ

سَرْمَدًا: ﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ﴾ بِزَعْمِكُمْ ﴿يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ﴾: نَهَارٌ تَطْلُبُونَ فِيهِ الْمَعِيشَةَ؟ ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ذَلِكَ سَمَاعٌ تَفْهَمُ فَتَرْجِعُونَ عَنِ الْإِشْرَاقِ؟ ﴿٧٢﴾ قُلْ: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ﴾ بِزَعْمِكُمْ ﴿يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ﴾: تَسْتَرِيحُونَ ﴿فِيهِ﴾ مِنَ التَّعَبِ؟ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَا فِي الْإِشْرَاقِ فَتَرْجِعُونَ عَنْهُ؟ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ ﴿تَعَالَى﴾ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ: فِي اللَّيْلِ،

حاشية الصاوي

و﴿إِنْ﴾: حرف شرط، و﴿جَعَلَ﴾: فعل الشرط، و﴿اللَّهُ﴾: فاعله، و﴿اللَّيْلَ﴾: مفعول أول، و﴿سَرْمَدًا﴾: مفعول ثان، وجواب الشرط محذوف تقديره: ماذا تفعلون؟ وتقدم الكلام على نظيرتها في (الأنعام).

قوله: ﴿سَرْمَدًا﴾ (من السرد، وهو المتابعة والاطراد).

قوله: (دائماً) أي: بأن يسكن الشمس تحت الأرض.

قوله: (إلى يوم القيامة) متعلق ب﴿جَعَلَ﴾.

قوله: ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ﴾ بزعمكم دفع بذلك ما يقال: إِنَّ المقام لـ(هل)؛ لأنها لطلب التصديق، لا (مَنْ) التي لطلب اليقين؛ لأنه يُوهم وجود آلهة غيره تعالى، فأجاب: بأنه مجارة للمشركين في زعمهم وجود آلهة معه.

قوله: (سماع تفهم) أي: تدبّر واعتبار؛ لأنَّ مجرد الإبصار لا يُفيد.

قوله: ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ أي: بأن يسكن الشمس في وسط السماء.

قوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: تفضله وإحسانه.

قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾... إلخ) لأنَّ المرء في الدنيا لا بدَّ وأن يحصل له التعب؛ ليحصل ما يحتاج إليه في معاشه، فجعل الله له محلَّ تكسُّب وهو النهار، ومحل راحة وسكون؛ ليسترىح من ذلك التعب، وهو الليل.

وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴿٧٣﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى.....

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النَّهَارِ لِلْكَسْبِ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النُّعْمَةُ فِيهِمَا.

(٧٤ - ٧٥) ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذَكَرَ ثَانِيًا لِيُنَبِّئَ عَلَيْهِ، ﴿وَنَزَعْنَا﴾: أَخْرَجْنَا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وَهُوَ نَبِيُّهُمْ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا قَالُوا، ﴿فَقُلْنَا﴾ لَهُمْ: ﴿هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ﴾ عَلَى مَا قُلْتُمْ مِنَ الْإِشْرَاقِ، ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ﴾ فِي الْإِلَهِيَّةِ ﴿لِلَّهِ﴾ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، ﴿وَضَلَّ﴾: غَابَ ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنَّ مَعَهُ شَرِيكًا تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ.

﴿٧٦﴾ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴿ابْنُ عَمِّهِ وَابْنُ خَالَتِهِ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ استفيد من الآية مدحُ السعي في طلب الرزق؛ لما ورد: «الكاسب حبيب الله»^(١).

قوله: (ذكر ثانياً؛ لينبي عليه: ﴿وَنَزَعْنَا﴾... إلخ) أي: وإشارة إلى أَنَّ الشُّرَكَاءَ أَمْرُهُ عَظِيمٌ، لَا شَيْءَ أَجْلَبَ مِنْهُ لَغَضَبِ اللَّهِ؛ كَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ عَظِيمٌ لَا شَيْءَ أَجْلَبَ مِنْهُ لِرِضَا اللَّهِ.

قوله: (يشهد عليهم بما قالوا) أي: وأمة محمد يشهدون للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم بالتكذيب^(٢).

قوله: ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: التوحيد لله خاصة، لا لغيره.

قوله: (من أن معه شريكاً) بيان ل(ما).

قوله: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف؛ للعلمية والعجمة.

قوله: (ابن عمه) أي: واسم ذلك العم يَصْهَرُ - بياء تحتية مفتوحة، وصاد مهملة ساكنة، وهاء

(١) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٣٣٣٩) من شهادة سيدنا محمد ﷺ وأُمَّتِهِ لَسَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَكَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

وَأَمِنْ بِهِ، ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ بِالْكَبْرِ وَالْعُلُوِّ وَكَثْرَةِ الْمَالِ، ﴿وَأَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ﴾: تَثْقُلُ ﴿بِالْمُصْبَكَةِ﴾: الْجَمَاعَةِ ﴿أُولَى﴾: أَصْحَابِ ﴿الْقُوَّةِ﴾ أَي: تَثْقُلُهُمْ - فَالْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ -، وَعِدَّتْهُمْ قِيلَ: سَبْعُونَ، وَقِيلَ: أَرْبَعُونَ، وَقِيلَ: عَشْرَةٌ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بِكَثْرَةِ الْمَالِ فَرَحَ بَطَرٍ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بِذَلِكَ.

حاشية الصاوي

مضمومة - بن قَاهَتْ - بقاف وهاء مفتوحة وثناء مثلثة - ويصهر أبو قارون وعمران أبو موسى أخوان، ولدا قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وقيل: إِنَّ قارون عمُّ موسى. قوله: (وَأَمِنْ بِهِ) أَي: وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة، فسمع كلام الله، ثم حسد موسى على رسالته، وهارون على إمامته.

قوله: (بِالْكَبْرِ) هو احتقار ما سواه، ومن جملة تكبره: أن زاد في ثيابه شبراً، ومن جملة بغيه بالكبر: حسده لموسى عليه السلام على النبوة، وكان يسمّى المنوّر؛ لحسن صورته. قوله: ﴿مِنَ الْكُنُوزِ﴾ سميت كنوزاً؛ لما قيل: إنه وجد كنزاً من كنوز يوسف عليه السلام، وقيل: لامتناعه من أداء الزكاة.

قوله: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾... إلخ ﴿مَا﴾: اسم موصول، صفة لموصوف محذوف، و﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب، و﴿مَفَاتِحُهُ﴾: اسمها، وجملة ﴿لَتَنُوءَ﴾ خبرها، والجملة صلة الموصول، والتقدير: وآتيناه من الكنوز الشيء الذي مفاتحه تثقل العصبة أُولَى الْقُوَّةِ، وكانت مفاتحه من حديد، فلما كثرت.. جعلها من خشب، فثقلت، فجعلها من جلود البقر - وقيل: من جلود الإبل - كل مفتاح على قدر الإصبع، وكانت تُحْمَلُ معه على أربعين - وقيل: على ستين - بغلاً.

قوله: ﴿لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَكَةِ﴾ الباء: للتعدية، والمعنى: لتثقل المفاتيح العصبة.

قوله: (فَرَحَ بَطَرٍ) أَي: لأنه هو المذموم، وأما الفرح بالدنيا من حيث إنها تُعِينُهُ عَلَى أُمُورِ الْآخِرَةِ؛ كقضاء الدين والصدقة وإطعام الحاج وغير ذلك.. فلا بأس به.

وَاتَّبَعَ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي

﴿٧٧﴾ ﴿وَاتَّبَعَ﴾: اطلب ﴿فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ﴾: مِنَ الْمَالِ ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾: بِأَنْ تُنْفِقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، ﴿وَلَا تَنْسَ﴾: تَتْرُكْ ﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: أَي: أَنْ تَعْمَلَ فِيهَا لِلْآخِرَةِ، ﴿وَأَحْسِنَ﴾: لِلنَّاسِ بِالصَّدَقَةِ ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾: تَطْلُبْ ﴿الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾: بِعَمَلِ الْمَعَاصِي؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾: بِمَعْنَى أَنَّهُ يُعَاقِبُهُمْ.

﴿٧٨﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾: أَي: الْمَالِ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾: أَي: فِي مُقَابَلَتِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (بأن تُنفقه في طاعة الله) أي: كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك.

قوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: بأن تصرف عمرك في مرضاة ربك، ولا تدع نفسك من غير خير، فتصير يوم القيامة مفلساً؛ لما في الحديث: «اغتنم خمساً قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلِكَ، وغناك قبل فقرِكَ، وحياتك قبل موتِكَ»^(١).
وقيل: المراد بالنصيب: الكفن ومؤن التجهيز، قال الشاعر: [الطويل]

نَصِيبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ رِذَاءً إِنْ تُسْذِرْ فِيهِمَا وَحَنُوطُ

قوله: ﴿وَأَحْسِنَ﴾: لِلنَّاسِ بِالصَّدَقَةِ الْمُنَاسِبُ حَمْلُهُ عَلَى الْعُمُومِ، وَيَكُونُ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾: الْكَافُ: لِلتَّشْبِيهِ، وَ(مَا): مُصَدِّرَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَحْسِنْ إِحْسَانًا كإِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْكَ، أَوْ لِلتَّلْعِيلِ.

قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾: جَوَابٌ لِمَا قَالُوهُ مِنَ الْجَمْلِ الْخَمْسِ، كَأَنَّهُ يَنْكَرُ مُحَضَّزَ الْفَضْلِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ حَالُ كَوْنِي مُتَّصِفًا بِالْعِلْمِ الَّذِي عِنْدِي، فَأَعْطَانِي اللَّهُ تِلْكَ الْأَمْوَالَ؛ لَكُونِي مُسْتَحَقًّا لَهَا؛ لِفَضْلِي وَعِلْمِي.

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٨٣٢) مرسلاً من حديث عمرو بن ميمون، ووصله الحاكم في «المستدرک» (٣٠٦/٤)

من حديث سيدنا ابن عباس ؓ.

أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ.....

وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾: الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ لِلْمَالِ، أي: هو عالم بذلك، ويهلكهم الله ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ لِعِلْمِهِ تَعَالَى بِهَا، فيدخلون النار بلا حساب.

﴿٧٩﴾ ﴿فَخَرَجَ﴾ قَارُونُ ﴿عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ بِأَتْبَاعِهِ الْكَثِيرِينَ رُكْبَانًا، مُتَحَلِّينَ بِمَلَابِسِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَى خِيُولٍ وَبِغَالٍ مُتَحَلِّيَةٍ،
حاشية الصاوي

قوله: (وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة) وقيل: العلم الذي فضل به هو علم الكيمياء؛ فإن موسى علمه ثلثه، ويوشع ثلثه، وكالب ثلثه^(١)، فخدعهما قارون حتى أضاف ما عندهما إلى ما عنده، فكان يأخذ من الرصاص فيجعله فضة، ومن النحاس فيجعله ذهباً، فكثر بذلك ماله وتكبر، وعلى هذا فقوله: ﴿عَلَى عَلَيْهِ عِنْدِي﴾ المراد به: علم الكيمياء، ويكون المعنى: اكتسبته بعلمي الذي عندي، لا من فضل الله كما تقولون.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ الهمزة داخله على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أيدعي ذلك ولم يعلم أن الله... إلخ، والاستفهام للتوبيخ، والمعنى: أنه إذا أراد إهلاكه.. لم ينفعه ذلك.

قوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم.

إن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ عَنَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

أجيب: بأن السؤال قسمان: سؤال استعتاب، وسؤال توبيخ وتقريع، فالمنفي سؤال الاستعتاب الذي يعقبه العفو والغفران؛ كسؤال المسلم العاصي، والمثبت سؤال التوبيخ الذي لا يعقبه إلا النار.

قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ عطف على قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيَهُ عَلَىٰ عَلَيْهِ﴾، وما بينهما اعتراض، وكان خروجه يوم السبت، وقوله: (بأتباعه) قيل: كانوا أربعة آلاف، وقيل: تسعين ألفاً عليهم

(١) أي: إن موسى عليه السلام علم الكيمياء ثلاثة: يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا، وقارون. «فتوحات» (٣/ ٣٨١).

قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ.....

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا﴾ - لِلتَّيْبَةِ - ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ في الدنيا، ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ﴾ : نَصِيبٌ ﴿عَظِيمٍ﴾ : وافٍ فيها.

﴿٨٠﴾ ﴿وَقَالَ﴾ لَهُمْ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ : ﴿وَيَلَكُمْ﴾ - كلمة زجر - ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ في الآخرة بِالْجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مِمَّا أُوتِيَ قَارُونُ فِي الدُّنْيَا. ﴿وَلَا يُلْقَاهَا﴾ أَي : الْجَنَّةَ الْمُثَابَ بِهَا ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ.

﴿٨١﴾ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ﴾ : بِقَارُونِ ﴿وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ.....

حاشية الصاوي

المعصفرات، وهو أول يوم رُئي فيه المعصفر^(١)، وكان عن يمينه ثلاث مئة غلام، وعن يساره ثلاث مئة جارية بيض عليهنّ الحلبي والديباج، وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر، وكانت بغلته شهباء؛ بياضها أكثر من سوادها، سرجها من ذهب، وكان على سرجها الأرجوان - بضمّ الهمزة والجيم - وهو قطيفة حمراء.

قوله : ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي : وكانوا مؤمنين غير أنهم محجوبون.

قوله : (كلمة زجر) أي : وهي منصوبة بمقدّر؛ أي : ألزمكم الله ويلكم، والأصل في الويل : الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع.

قوله : ﴿مَّا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ في الدنيا لأن الثواب منافعُهُ عَظِيمَةٌ.

قوله : ﴿وَلَا يُلْقَاهَا﴾ أي : يُوقَفُ للعمل بها.

قوله : (على الطاعة وعن المعصية) أي : وعلى الرضا بأحكامه تعالى.

قوله : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ قال أهل العلم بالأخبار والسّير : كان قارونُ أعلم بني

(١) وهو اللباس المصبوغ بالعصفر، وهو صبغ أحمر معروف، وقد نهى الرجال عن لبس المعصفر؛ لأنه من لباس الزينة وأسباب الكبر، ولأن له رائحة لا تليق بالرجال. انظر «روح البيان» (٦/٤٣٣).

حاشية الصاوي

إسرائيل بعد موسى وهارون، وأقرأهم للتوراة، وأجملهم وأغناهم، وكان حسن الصوت، فبغى وطغى واعتزّ بأتباعه، وجعل موسى يُداريه للقرابة التي بينهما، وهو يؤذيه في كلِّ وقتٍ ولا يزيد إلا عتواً وتجبّراً ومعاداةً لموسى حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان المملأ من بني إسرائيل يَغدون إليه ويروحون، ويطعمهم الطعام، ويحدثونه ويضاحكونه.

قال ابن عباس: فلما نزلت الزكاة على موسى.. أتاه قارون فصالحه عن كلِّ ألف دينار على دينار واحد، وعن كلِّ ألف درهم على درهم، وعن كلِّ ألف شاة على شاة، وكذلك سائر الأشياء، ثم رجع إلى بيته، فحسبه فوجده شيئاً كثيراً، فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إنَّ موسى قد أمركم بكلِّ شيءٍ فأطعتموه، وهو يريد أن يأخذ أموالكم، قالت بنو إسرائيل: أنت كبيرنا فمُرنا بما شئت، قال: أمركم أن تأتونا بفلانة الزانية، فنجعل لها جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك.. خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه، فدعّوها، فجعل لها قارون ألف دينار، وألف درهم، وقيل: جعل لها طشتاً من ذهب؛ وقيل: قال لها قارون: أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، ثم أتى إلى موسى فقال له: إنَّ بني إسرائيل ينتظرون خروجك؛ لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض، فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل؛ مَنْ سرق.. قُطِعَتْ يده، ومن افترى.. جُلِدَ ثمانين، ومن زنى وليست له امرأة.. جُلِدَ مئة، ومن زنى وله امرأة.. رجمناه حتى يموت، قال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال قارون: فإنَّ بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية، قال موسى: ادعوها، فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة؛ أنا فعلتُ بك ما يقول هؤلاء؟ وعظّم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلّا صدقت، فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها: أحدث توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله، فقالت: لا والله، ولكنَّ قارون جعل لي جعلاً على أن أؤذيك بنفسي، فخرَّ موسى ساجداً يبكي وقال: اللهم؛ إن كنتُ رسولك.. فاغضب لي، فأوحى الله إليه أني أمرت الأرض أن تُطيعك، فمُرَّها بما شئت، فقال موسى: يا بني إسرائيل؛ إنَّ الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمَنْ كان معه.. فليثبت مكانه، ومَنْ كان معي.. فليعتزل، فاعتزلوا، فلم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض؛ خذيهم، فأخذتهم الأرض

مِنْ فَتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ

مِنْ فَتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٨٢﴾ أَي: غَيْرِهِ بِأَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُ الْهَلَاكَ، ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ﴾ مِنْهُ.

﴿٨٢﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ ﴿٨١﴾ أَي: مِنْ قَرِيبٍ ﴿يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ

حاشية الصاوي

بأقدامهم، ثم قال: يا أرض؛ خذهم، فأخذتهم إلى الركبتين، ثم قال: يا أرض؛ خذهم، فأخذتهم الأرض إلى أوساطهم، ثم قال: يا أرض؛ خذهم، فأخذتهم إلى الأعناق، وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى، ويُنَادِيهِ قَارُونَ اللَّهُ وَالرَّحْمَ، حتى قيل: إنه ناشده سبعين مرة، وموسى في ذلك لا يلتفت إليه؛ لشدّة غضبه، ثم قال: يا أرض؛ خذهم، فانطبقت عليهم^(١).

قال قتادة: خسف به، فهو يتجلجل في الأرض كلّ يوم قامّة رجلٍ، لا يبلغ قعرها إلا يوم القيامة، وفي الخبر: «إِذَا وَصَلَ قَارُونَ إِلَى قَرَارِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ.. نفخ إسرافيل في الصور»^(٢).

وأصبحت بنو إسرائيل يتحدّثون فيما بينهم أنّ موسى إنما دعا على قارون؛ ليستبدّ بداره وكنوزه وأمواله، فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض.

قال بعضهم: مقتضى هذا الحديث أنّ الأرض لا تأكل جسمه، فيمكن أن يلغز ويقال: لنا كافرٌ لا يبلى جسده بعد الموت، وهو قارون.

قوله: ﴿مَنْ فَتَنَ﴾ (مَنْ): زائدة، و﴿فَتَنَ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ إن كانت ناقصة، والجار والمجرور خبرها، أو فاعل بها إن كانت تامة.

قوله: ﴿مِنْ الْمُتَصَرِّينَ﴾ (أي: الممتنعين بأنفسهم).

قوله: (أي: من قريب) أشار بذلك إلى أنّ المراد بالأمس الوقت الماضي القريب، لا اليوم الذي قبل يومك.

قوله: ﴿وَيَكَاثُرُ اللَّهُ... إلخ﴾ فيها خمسة مذاهب:

الأول: أنّ (وي) كلمة برأسها، اسم فعل بمعنى: أعجب، والكاف: للتعليل، و(أنّ) وما دخلت

(١) انظر القصة كاملة في «تفسير الخازن» (٣/٣٧٢).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٣/٣١٨).

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ

يَبْسُطُ: يُوسِّعُ ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، - (وَي) اسمُ فعلٍ بِمَعْنَى أَعْجَبَ، أي: أنا، والكاف بِمَعْنَى اللّامِ - ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ - بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ - ﴿وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لِنِعْمَةِ اللَّهِ كَقَارُونَ.

﴿٨٣﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴿أي: الْجَنَّةُ

حاشية الصاوي

عليه مجرور بها؛ أي: أعجب لأنَّ الله يَبْسُطُ الرزق... إلخ، فالوقف على (وي)، وهو قراءة الكسائي.

الثاني: أن (كَأَنَّ) للتشبيه غير أنه ذهب معناه منها، وصارت لليقين، وحيثُ: فالوقف على (وي) كالذي قبله.

الثالث: أن (ويك) كلمة برأسها، والكاف: حرف خطاب، و(أَنَّ) معمولة لمحذوف؛ أي: أعلم أنَّ الله يبسط الرزق... إلخ، وحيثُ: فالوقف على (ويك)، وهو قراءة أبي عمرو.

والرابع: أن أصلها (ويلك)، حذفت اللام، وحيثُ: فالوقف على الكاف أيضاً.

الخامس: أن ﴿وَيَكَاكَ﴾ كلُّها كلمةٌ بسيطةٌ، ومعناها: ألم ترَ الله يبسط الرزق... إلخ، وحيثُ: فالوقف على النون.

قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالإيمان والرحمة.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَيَكَاكَ﴾ تأكيد لما قبله، ويجري فيها ما جرى في التي قبلها.

قوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة؛ فإنَّ فرعون وقارون تكبَّرا وتجبَّرا واختارا العلوَّ، فأل أمرهما للخسران والوبال والدمار، وموسى وهارون اختارا التواضع، فأل أمرهما للعزَّ الدائم الذي لا يزول ولا يحول.

قوله: (أي: الجنة) أي: وما فيها من النعيم الدائم، ورؤية وجه الله الكريم، وسماع كلامه القديم.

(١) قرأ حفص: ﴿لَخَسَفَ﴾ مبنياً للفاعل؛ أي: الله تعالى، والباقون بينائه للمفعول. انظر «الدر المصون» (٦٩٩/٨).

يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا

﴿يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْبَغْيِ، ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بِعَمَلِ الْمَعَاصِي، ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الْمَحْمُودَةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عِقَابُ اللَّهِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ.

﴿٨٤﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا: ثَوَابٌ بِسَبَبِهَا، وَهُوَ عَشْرُ أَمْثَالِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ التعبير بالإرادة أبلغ في النفي؛ لأنه نفى للفعل وزيادة.

قوله: ﴿يَجْعَلُهَا﴾ أي: نصيرها.

قوله: (بالبغي) أي: الظلم والكبر؛ كما وقع لفرعون وقارون وجنودهما.

قوله: (بعمل المعاصي) أي: كالقتل والزنا والسرقة وغير ذلك من الأمور التي تخالف أوامره تعالى.

قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أظهر في مقام الإضمار؛ إظهاراً لشأنهم، ومدحاً لهم بنسبتهم للتقوى، وتسجيلاً على ضدهم.

قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ تقدّم أنه إن أريد بالحسنة: لا إله إلا الله.. فالمراد بالخير: الجنة، و(من) للتعليل، وليس في الصيغة تفضيل، وإن أريد بها مطلق طاعة.. فالمراد بالخير منها: عشرة أمثالها؛ كما جاء مفسراً به في الآية الأخرى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فقول المفسر: (ثواب بسببها... إلخ) إشارة للمعنى الثاني.

قوله: (وهو عشر أمثالها) هذا أقلُّ المضاعفة، وتضاعف لسبعين، ولسبع مئة، والله يضاعف لمن يشاء، وهذا في الحسنة التي فعلها بنفسه أو فعلت من أجله؛ كالقراءة أو الذكر إذا فعل وأُهدي ثوابه للميت مثلاً، وأمّا الحسنة التي تؤخذ في نظير الظلامة^(١).. فلا تضاعف، بل تؤخذ الحسنة للمظلوم، وأمّا المضاعفة.. فتكتب للظالم؛ لأنها محض فضل من الله تعالى، ليس للعبد فيه فعل، والمضاعفة مخصوصة بهذه الأمة، وأما غيرهم.. فلا مضاعفة له.

(١) كما لو ضرب زيد عمراً ضربة، وكان لزيد حسنات موجودة، فيؤخذ منها فيعطى لعمرو، فهذه الحسنة لا تنسب لعمرو، لا حقيقة ولا حكماً؛ فلا تضاعف له، وخرج أيضاً: ما لو هم بحسنة فلم يعملها لمانع، فإنها تكتب له واحدة، ويجازى عليها من غير تضعيف. «فتوحات» (٣/ ٣٨٥).

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي
فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ ﴿٨٥﴾

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: مثله.
﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾: أنزله ﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى مكة، وكان قد
اشتاقها، ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة
له: إِنَّكَ فِي ضَلَالٍ، أي: فهو الجائي بالهدى وهم في ضلالٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾... إلخ) أظهر في مقام الإضمار؛ تسجيلاً وتقبيحاً
على فاعل السيئات؛ لينزجر عن فعلها.

قوله: (أي: مثله) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: (أنزله) أي: أو افترضه، بمعنى: أوجب عليك تبليغه للعباد والتَّمَسُّكُ به.

قوله: (إلى مكة وكان قد اشتاقها) تقدّم أن سبب نزول هذه الآية: أنه ﷺ لما أُذِنَ له في الهجرة
إلى المدينة وخرج من الغار مع أبي بكر ليلاً... سار في غير الطريق، فلما نزل بالجحفة بين مكة
والمدينة وعرف طريق مكة.. اشتاق إليها، وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل عليه جبريل وقال له:
أنتشاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال عليه السلام: «نعم»، فقال جبريل: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي
فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ يعني: إلى مكة ظاهراً عليهم^(١).

وسميت البلد معاداً؛ لأنَّ شأن الإنسان أن ينصرف من بلده ويعود إليها، وتقدّم أن هذه السورة
ينبغي قراءتها للمسافر تفاؤلاً بعوده لوطنه، ولا يقال: إنَّ الآية قيلت للنبي ﷺ فكيف تقال لغيره؟
لأنه يقال: إن القرآن نزل للتعبد والاعتداء به، فكأنه قال: كما صدقت وعد نبيك.. فاصدق وعدي.

قوله: (جواباً لقول كفار مكة له... إلخ) أي: كما قالت بنو إسرائيل لموسى مثل ذلك، فردَّ الله
عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ [القصص: ٣٧].

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٣٩٦)، وروى البخاري (٤٧٧٣) عن سيدنا ابن عباس ؓ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾، قال: «إلى مكة»، وتقدم هذا في تفسير أول السورة.

وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهِيرًا
لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكَ

و﴿أَعْلَمْ﴾ بِمَعْنَى عَالِمٍ.

﴿٨٦﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ: الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ أَلْقَى إِلَيْكَ
﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهِيرًا﴾: مُعِينًا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي دَعَاكَ إِلَيْهِ.
﴿٨٧﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكَ: أَصْلُهُ: يَصُدُّونَنَّكَ، حُذِفَتْ نُونُ الرَّفْعِ لِلْجَازِمِ، وَالْوَاوُ الْفَاعِلُ
لِلتَّقَائِمِهَا مَعَ النُّونِ السَّاكِنَةِ -
حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (و﴿أَعْلَمْ﴾ بِمَعْنَى: عَالِمٍ) إِنَّمَا احْتِيجَ إِلَى تَحْوِيلِهِ؛ لِتَعْدِيتهِ لِلْمَفْعُولِ بِنَفْسِهِ، وَإِلَّا... فَكَانَ
مَقْتَضِي الظَّاهِرِ تَعْدِيتهِ بِهِ (مِنْ).

قوله: (﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو﴾) أَي: قَبْلَ مَجِيءِ الرِّسَالَةِ إِلَيْكَ.

قوله: (﴿أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾) أَي: فَإِنزَالَهُ عَلَيْكَ لَيْسَ عَنْ مِيعَادٍ، وَلَا بِطَلْبِ مَنْكَ،
وَمِنْ هُنَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ النُّبُوَّةَ لَيْسَتْ مَكْتَسِبَةً لِأَحَدٍ، قَالَ فِي «الْجَوْهَرَةِ»: [الرجز]
وَلَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ مُكْتَسَبَةً وَلَوْ رَقِيَ فِي الْخَيْرِ أَغْلَى عَقَبَةً
... إلخ^(١).

قوله: (لَكِنْ أَلْقَى إِلَيْكَ... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ.

قوله: (﴿فَلَا تَكُونْ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾) الْخَطَابُ لَهُ، وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ؛ لِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

قوله: (حُذِفَتْ نُونُ الرَّفْعِ لِلْجَازِمِ) أَي: وَهُوَ (لَا) النَّاهِيَةُ.

قوله: (لِلتَّقَائِمِهَا سَاكِنَةً) أَي: وَوُجُودِ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا، وَهُوَ الضَّمَّةُ. وَمَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسَرُ
فِي تَصْرِيفِ الْفِعْلِ إِنَّمَا يَأْتِي عَلَى نُدُورٍ، وَهُوَ تَأْكِيدُ الْفِعْلِ الْخَالِي عَنِ الطَّلَبِ، فَالْأَوَّلَى أَنْ يَقُولَ:
وَأَصْلُهُ: (يَصُدُّونَنَّكَ)، دَخَلَ الْجَازِمُ فَحُذِفَ النُّونُ، ثُمَّ أُكِّدَ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ، فَحُذِفَتْ الْوَاوُ؛
لِلتَّقَائِمِهَا، وَوُجُودِ الضَّمَّةِ دَلِيلًا عَلَيْهَا.

(١) بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ جَلَّ اللَّهُ وَاهِبُ الْمِنَّةِ

عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ.....

﴿عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: لا تَرْجِعْ إِلَيْهِمْ في ذلك، ﴿وَادْعُ﴾ النَّاسَ ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بِإِعَانَتِهِمْ، وَلَمْ يُؤْثَرِ الْجَازِمُ فِي الْفِعْلِ لِبِنَائِهِ.

﴿٨٨﴾ وَلَا تَدْعُ: تَعْبُدُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: بعد وقت إنزالها عليك.

قوله: (أي: لا ترجع إليهم) أي: لا تركز إلى أقوالهم.

قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الخطاب له، والمراد غيره.

قوله: (ولم يؤثر الجازم في الفعل) أي: لفظاً وإن كان مؤثراً محلاً.

قوله: (لبنائه) أي: بسبب مباشرة نون التوكيد له، بخلاف قوله: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾، فتأثر بالجازم وإن كان مؤكداً بالنون؛ لعدم مباشرتها للفعل؛ فإنه فصل بينهما بواو الجماعة، قال ابن مالك: ^(١) [الرجز]

وَأَعْرَبُوا مُضَارِعاً إِنْ عَرَبَا

مِنْ نُونٍ تَوْكِيدٍ مُبَاشِرٍ.....

قوله: (تعبد) أشار بذلك إلى أن المراد بالدعاء العبادة، وحينئذ: فليس في الآية دليل على ما زعمه الخوارج من أن الطلب من الغير حياً أو ميتاً شرك؛ فإنه جهل مركب؛ لأن سؤال الغير من حيث إجراء الله النفع أو الضر على يده قد يكون واجباً؛ لأنه من التمسك بالأسباب، ولا يُنكر الأسباب إلا جحوداً أو جهولاً.

قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: كل ما سوى الله تعالى قابل للهلاك، وجائز عليه؛ لأن وجوده ليس ذاتياً، قال بعض العارفين ^(٢): [الكامل]

الله قُلْ وَذَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَوَى إِنْ كُنْتَ مُرْتَاداً بُلُوغَ كَمَالِ

(١) «الخلاصة»، باب: (المعرب والمبني).

(٢) الأبيات لسيد أبي مدين الغوث رحمته الله؛ كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى في شرحه لـ «جوهرة التوحيد» (ص ١٤٧).

لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

إِلَّا إِيَّاهُ، ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾: الْقَضَاءُ النَّافِذُ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: بِالنُّشُورِ مِنْ قُبُورِكُمْ.



حاشية الصاوي

فَالْكُلُّ دُونَ اللَّهِ إِنْ حَقَّقْتَهُ عَدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ
مَنْ لَا وُجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ فَوُجُودُهُ لَوْلَاهُ عَيْنُ مُحَالِ
وَالْعَارِفُونَ قُنُوا بِهِ لَمْ يَشْهَدُوا شَيْئاً سِوَى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَالِ
وَرَأَوْا سِوَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَالِكاً فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَالْآسْتِقْبَالِ

وقيل: المراد بالهلاك: الانعدام بالفعل، ويُستثنى منه ثمانية أشياء، نظمها السيوطي في قوله:

[الطويل]

ثَمَانِيَّةٌ حُكْمُ الْبَقَاءِ يَعْثُمُهَا مِنْ الْخَلْقِ وَالْبَاقُونَ فِي حَيْزِ الْعَدَمِ
هِيَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَنَارٌ وَجَنَّةٌ وَعَجَبٌ وَأَزْوَاحُ كَذَا اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ

وهو معنى قول صاحب «الجوهرة»^(١): [الرجز]

وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ قَدْ خَصَّصُوا عُُمُومَهُ فَاظْلُبْ لِمَا قَدْ لَخَّصُوا
وَلَا مَفْهُومَ لِمَا عَدَّهُ السِّيَوطِي، بَلْ مِنْهَا أَجْسَادُ الْأَنْبِيَاءِ وَالشَّهَدَاءِ وَمَنْ فِي حُكْمِهِمْ، وَالْحُورُ
وَالْوِلْدَانُ.

قوله: (إِلَّا إِيَّاهُ) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بالوجه: الذات، ويصح أن المراد به: ما عمل لأجله سبحانه وتعالى؛ فَإِنَّ ثَوَابَهُ بَاقٍ.

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: في جميع أحوالكم.



(١) انظر «شرح جوهرة التوحيد» للمُصنّف رحمه الله تعالى (ص ٣٦٣).

﴿الْعَنْكَبُوتِ﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾



مَكِّيَّةٌ، وهي تسع وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الْعَنْكَبُوتِ﴾ الله أعلم بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ.

﴿٢﴾ ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: يُخْتَبَرُونَ بِمَا يَتَّبِعْنَ بِهِ حَقِيقَةُ إِيْمَانِهِمْ، نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ آمَنُوا فَأَذَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

(سورة العنكبوت مكية) مبتدأ وخبرٌ، وفي بعض النسخ: (سورة العنكبوت، وهي تسع وستون آية مكية)؛ ففيه الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة الحالية.

وسُمِّيت بذلك؛ لذكر العنكبوت فيها، من باب: تسمية الجزء باسم الكل، وتقدّم أن أسماء السور توقيفيٌّ، وقوله: (مكية) أي: كلّها، وقيل: مدنيّة كلّها، وقيل: مكية إلا عشر آيات من أولها إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا...﴾ إلخ؛ فإنها مدنيّة.

قوله: (الله أعلم بمراده) تقدّم غير مرّة أنّ هذا القول أسلم؛ لأنه من المتشابه الذي يفوّض علمه لله تعالى.

قوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ الاستفهام يصح أن يكون للتقرير، وحينئذٍ فيكون المعنى: يجب على الناس أن يعترفوا بأنهم لا يتركون سُدىً، بل يُمتحنون ويبتلون؛ لأنّ الدنيا دارُ بلاءٍ وامتحانٍ، أو التوبيخ، وعليه فالمعنى: لا يليق منهم هذا الحسبان - أي: الظن والتخمين - بل الواجب عليهم علمهم بأنهم لا يتركون.

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا.....

﴿٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴿٣﴾ فِي إِيْمَانِهِمْ عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ،

حاشية الصاوي

و(حَسَب): فعل ماضٍ، و﴿النَّاسُ﴾: فاعله، و﴿أَن﴾ وما دخلت عليه: في تأويل مصدر سَدَّتْ مَسَدً مفعولي (حَسَب)، و﴿أَن يَقُولُوا﴾: علة للحسبان، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ﴾ الجملة حالية مقيدة لقوله: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ﴾، ويكون المعنى: أحسب الناس أن يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين، أو من أجل نطقهم بالشهادتين، بل لا بد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين؛ لتمييز الراسخ من غيره. قوله: (بما يتبين به حقيقة إيمانهم) أي: من المشاق كالهجرة والجهاد وأنواع المصائب في الأنفس والأموال.

قوله: (نزل في جماعة) أي: كعمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يُعَذَّبُونَ بمكة، والمقصود من الآية: تسليّة هؤلاء، وتعليم من يأتي بعدهم. قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾... إلخ) إمّا حالاً من ﴿النَّاسُ﴾، وحينئذٍ فالمعنى: أحسبوا ذلك والحال أنهم علموا أن ذلك ليس سنة الله، ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]؟ أو من فاعل ﴿يُفَتَّنُونَ﴾، والمعنى: أحسبوا ألا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الأمم السابقة؟ روى البخاري عن خباب بن الارت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر، ألا تدعونا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمنّى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم كنتم تستعجلون»^(١).

قوله: ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾... إلخ) عبر في جانب الصدق بالفعل الماضي، وفي جانب الكذب باسم الفاعل؛ إشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر لم يظهر منهم إلا ما كان مخبأً، وأمّا الصادقون.. فقد زال وصف الكذب عنهم، وتجدد لهم الصدق، فناسبه التعبير بالفعل. قوله: (علم مشاهدة) جوابٌ عما يقال: إن علم الله لا تجدد فيه، والجواب: أن المراد: ليظهر متعلق علم الله للناس ببيان الصادق من الكاذب.

وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾
مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ فيه .

﴿٤﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ : الشُّرَكَ وَالْمَعَاصِي ﴿أَنْ يَسْفُتُونَا﴾ : يَفُوتُونَا
فلا نَنْتَقِمَ مِنْهُمْ؟ ﴿سَاءَ﴾ : بِسْ ﴿مَا﴾ : الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾ : حُكْمُهُمْ هذا .

﴿٥﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا : يَخَافُ ﴿لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بِهِ ﴿لَآتٍ﴾ : فَلْيَسْتَعِدَّ لَهُ ، ﴿وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ : لَأَقْوَالِ الْعِبَادِ ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ : بِأَفْعَالِهِمْ .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ...﴾ (إلخ) انتقال من توبيخ إلى توبيخ، فالأول : توبيخ للناس على ظنهم
بلوغ الدرجات بمجرد الإيمان من غير مشقة ولا تعب، والثاني : أشد منه، وهو توبيخهم على ظنهم
أنهم يفوتون عذاب الله ويقرّون منه مع دوامهم على الكفر .

قوله : (الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أن (ما) اسم موصول، فاعل ﴿سَاءَ﴾ ،
و﴿يَحْكُمُونَ﴾ : صلته، والعائد محذوف، والمخصوص بالذم محذوف، قدره بقوله : (حكمهم هذا)،
ويصح أن يكون (ما) مميّزاً، والفاعل ضمير مفسّر بـ(ما)، قال ابن مالك^(١) : [الرجز]

و(مَا) مُمَيِّزٌ وَقِيلَ : فَاعِلٌ فِي نَحْوِ : نِعَمَ مَا يَقُولُ الْفَاضِلُ

قوله : ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ أي : يعتقد ويجزم بأنه يلاقي الله، فيرجو رحمته ويخاف
عقابه، وهذا التفسير أتمّ ممّا قاله المفسّر؛ لأنّ المؤمن المصدّق بلقاء الله لا بدّ له من الرجاء
والخوف معاً، ويؤيد ما قلناه جواب الشرط الذي قدره بقوله : (فليستعد له) أي : يتهيأ ويستحضر
للرحمة والنجاة من العذاب .

قوله : ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ ليس هذا هو جواب الشرط، وإلا . . . لزم أن مَنْ لا يرجو
لقاء الله . . . لا يكون أجل الله آتياً له، بل الجواب ما قدره المفسّر .

قوله : (بأفعالهم) أي : وعقائدهم .

(١) «الخلاصة»، باب : (نعم وبس وما جرى مجراهما) .

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

﴿٦﴾ وَمَنْ جَاهَدَ جِهَادَ حَرْبٍ أَوْ نَفْسٍ ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾: فَإِنَّ مَنَفْعَةَ جِهَادِهِ لَهُ لَا لِلَّهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ.

﴿٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

حاشية الصاوي

قوله: (جِهَادَ حَرْبٍ) أي: وهو الجهاد الأصغر، وقوله: (أَوْ نَفْسٍ) أي: وهو الجهاد الأكبر؛ لأنَّ الشيطان يَجْرِي من ابن آدم مجرى الدم، والنفس أخْتُهُ، وَلَا تَغِيب عن الإنسان أَبَدًا، وهي خَفِيَّةٌ تَظْهَرُ الْمُحِبَّةَ لِمُصَاحِبِهَا، بِخِلَافِ الْعَدُوِّ مِنَ الْكُفَّارِ، وَإِذَا قَتَلَهُ الْكَافِرُ.. مَاتَ شَهِيدًا، وَأَمَّا إِذَا قَتَلَتْهُ نَفْسُهُ.. فَأَمَّا عَاصٍ أَوْ كَافِرٌ، فَلَا شَكَّ أَنَّ جِهَادَ النَّفْسِ أَكْبَرُ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ؛ وَلِذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الْجِهَادِ: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَأَيُّ جِهَادٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: «جِهَادُ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ»^(١).

قوله: ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: فَلَا تَمْتَنُوا بِطَاعَتِكُمْ وَخِدْمَتِكُمْ عَلَى رَبِّكُمْ، فَالْفَضْلُ لَهُ فِي تَوْفِيقِكُمْ لِعِبَادَتِهِ، فَالْحَصْرُ إِضَافِيٌّ؛ فَلَا يُنَافِي أَنَّهُ يَنْتَفِعُ غَيْرُهُ بِجِهَادِهِ؛ كَمَا يَنْتَفِعُ الْآبَاءُ بِصَلَاحِ الْأَوْلَادِ، فَالْمَقْصُودُ: نَفْيُ النِّفْعِ عَنِ اللَّهِ؛ لِاسْتِحَالَتِهِ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: فَلَا يَصِلُ لَهُ مِنْهُمْ نَفْعٌ وَلَا ضَرٌّ؛ لِمَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ.. مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ.. مَا نَقَصَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا»^(٢).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... إلخ) مبتدأ، خبره: الجملة القسميَّة^(٣)، وهذا وعدٌ حَسَنٌ لِلْمُتَّصِفِينَ بِالْإِيمَانِ.

(١) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٧٣) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وفيه: (مجاهدة العبد هواه) بدل (جهاد النفس والشيطان).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أي: مع جوابها، والتقدير: والله لَنُكْفِرَنَّ، ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر على الاشتغال؛ أي: وليخلصن الذين آمنوا من سيئاتهم. انظر «الدر المصون» (١٠/٩).

لَتُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا

لَتُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴿٧﴾ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ، ﴿وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بِمَعْنَى حَسَن - وَنَصْبُهُ بِنَزْعِ الْخَافِضِ الْبَاءِ - ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَهُوَ الصَّالِحَاتِ.

﴿٨﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا ﴿٨﴾ أَي: إِيْصَاءٌ ذَا حُسْنٍ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَتُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: لا نؤاخذهم بها، وهذا ظاهرٌ في غير المعصومين، وأمَّا المعصومون.. فلا سيئات لهم، فما معنى تكفيرها؟

أجيب: بأنَّ الكلام على الفرض والتقدير، يعني: أنه لو وجدت منهم سيئات.. تُكْفَرُ، أو المراد بالسيئات: خلافُ الأولى على حسب مقامهم، ومن هنا قيل: إنَّ حسناتِ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين.

قوله: (بمعنى: حَسَن) فاسم التفضيل ليس على بابِه؛ لأنه يوهم أنهم يجازون على الأحسن، لا على الحسن، وقد يقال: المراد بالأحسن: الثواب الواقع في مقابلة الأعمال الصالحة، فالمعنى عليه حينئذٍ: نضاعف لهم الثواب في نظير أعمالهم الصالحة، فتأمل.

قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا﴾ سبب نزولها هي آية (لقمان) و(الأحقاف): أنَّ سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين إلى الإسلام لما أسلم.. آلت أمُّه حمنة بنت أبي سفيان ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظلَّ بسقفٍ حتى تموت أو يكفر سعدٌ بمحمد، فأبى سعد أن يُطيعها، فصبرت ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى غشي عليها، فأتاها وقال لها: والله لو كان لك مئة نفسٍ فخرجت نفساً نفساً.. ما كفرتُ بمحمد ﷺ، فإن شئت.. فكلي، وإن شئت.. فلا تأكلي، فلمَّا رأت ذلك.. أكلت، فنزلت الآية بالوصية عليها^(١).

وإنما أمر الله الأولاد ببرِّ والديهم دون العكس؛ لأنَّ الأولاد جُبلُوا على القسوة وعدم طاعة الوالدين، فكلَّفهم الله بما يخالف طبعهم، والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالأولاد، فوكلهم الله لما جُبلُوا عليه.

قوله: (أي: إيْصَاءٌ ذَا حُسْنٍ) أشار بذلك إلى أن ﴿حُسْنًا﴾ صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف، ويصح أن يبقى على مصدرَيْته مبالغةً على حدِّ: زيد عدل.

وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾

بأن يبرَّهما، ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: بإشراكه ﴿عِلْمٌ﴾: موافقةً للواقع فلا مفهوم له، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الإشراك، ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

﴿٩﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ: الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم.

حاشية الصاوي

قوله: (بأن يبرَّهما) أي: يحسن إليهما، وأوجه البر كثيرة جداً؛ منها: لين الجانب، والخدمة، وبذل المال لهما، وطاعتهما في غير معاصي الله، وغير ذلك.

قوله: ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ أتى هنا باللام، وفي (لقمان) بـ(على) حيث قال: ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ [لقمان: ١٥]؛ لأنَّ ما هنا موافق لما قبله في قوله: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾، وما في (لقمان) ضمَّن ﴿جَهَدَاكَ﴾ معنى: حملاك.

قوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (ما): مفعول (تشرك) أي: إلهاً لا علم لك به.

قوله: (موافقة للواقع) علةٌ لمحذوف تقديره: ذكر هذا القيد موافقة للواقع؛ أي: بأنَّ الواقع أن الإله واحد، فليس إله لك به علم، وإله لا علم لك به، وأمَّا الأصنام.. فأشراكها مع الله في العبادة ضررٌ وسخافةٌ عقل؛ إذ لو تأمل الكافر أدنى تأمل.. ما علم إلهاً غير الله ولا ظنَّه ولا توهمه.

قوله: ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ فيه وعدٌ حسنٌ لمن برَّ بوالديه وأتبع الهدى، ووعدٌ لمن عَقَّ والديه وأتبع سبيل الردى.

قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بالصالح والسيئ، فيترتب على كلِّ جزاؤه.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ (إلخ) (الذين): اسم موصول مبتدأ، و﴿ءَامَنُوا﴾: صلته، وقوله: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ...﴾ (إلخ) خبره^(١).

قوله: (بأن نحشرهم معهم) أي: يوم القيامة، بل ويجتمعون بهم في البرزخ؛ إذا مات المؤمن

(١) أي: الجملة القسمية مع الجواب، ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمَر على الاشتغال.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ
نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ

﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ ﴿١﴾ أَي: أذا هم له
﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ في الخوف منه، فَيُطِيعُهُمْ فَيُنَافِقُ، ﴿وَلَئِن﴾ - لَأَمْ قَسَمَ - ﴿جَاءَ نَصْرٌ﴾
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فَعَنِمُوا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ - حُذِفَتْ مِنْهُ نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي النُّونَاتِ، وَالْوَاوُ
ضَمِيرُ الْجَمْعِ

حاشية الصاوي

الصالح.. اجتمعت روحه بمن أحب من الأنبياء والأولياء حتى تقوم القيامة، فحينئذ يكون مرافقاً
لهم في الدرجات العالية، قال تعالى: ﴿إِن تَحْتَبِئُوا كِبَارًا مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَنُدْخِلُكُمْ مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾... إلخ) لما بيّن حال المؤمنين والكافرين فيما تقدّم..
بيّن هنا حال المنافقين، وهم من أظهروا الإسلام وأخفوا الكفر.

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: خبر مقدّم، و﴿مَن يَقُولُ﴾: مبتدأ مؤخر، وقوله: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾... إلخ: مقول
القول.

قوله: ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ (أي: آذوه الكفار على إظهار الإيمان^(١)).

قوله: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ (أي: لم يصبر على الأذى، بل ترك الدين، والتشبيه من
حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر، فكَذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ جَعَلُوا أَذَاهُمْ مَانِعاً لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ،
وَكَانَ يُمْكِنُهُمُ الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى إِلَى حَدِّ الْإِكْرَاهِ، وَتَكُونُ قُلُوبُهُمْ مَطْمَئِنَّةً بِالْإِيمَانِ).

قوله: ﴿لِيُطِيعَهُمْ﴾^(٢) (أي: ظاهراً وباطناً، وأما المكروه.. فقد أطاع ظاهراً، لا باطناً، والمواخاة
مرجعها للقلب).

قوله: ﴿وَالْوَاوُ... إلخ﴾ عطف على (نون الرفع)، سلّط عليه قوله: ﴿حُذِفَ مِنْهُ﴾.

(١) كذا في (أ): (آذوه الكفار) على لغة: (يتعاقبون فيكم ملائكة)، وفي (ط ٢): (آذاه الكفار).

(٢) في (ط ٢): (فيطيعهم).

إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَّعَ أَنْفَالِهِمْ
.....

لِلتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ - ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمانِ فَأَشْرِكُونَا فِي الْغَنِيمَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بِعَالِمٍ ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾: قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالنِّفَاقِ؟ بلى.

﴿١١﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فَيُجَازِي الْفَرِيقَيْنِ. - وَاللَّامُ فِي الْفَعْلَيْنِ لَامُ قَسَمٍ -.

﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا: دِينَنَا، ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ فِي اتِّبَاعِنَا إِنْ كَانَتْ، وَالْأَمْرُ بِمَعْنَى الْخَبَرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ فِي ذَلِكَ.

﴿١٣﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ: أَوْزَارَهُمْ ﴿وَأَنْفَالًا مَّعَ أَنْفَالِهِمْ﴾ بِقَوْلِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ: اتَّبِعُوا

حاشية الصاوي

قوله: (لالتقاء الساكنين) أي: ولوجود الضمة دليلاً عليها.

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان) أي: وإنَّ الذي وقع منا إنما هو على سبيل الإكراه.

قوله: (أي: بعالم) أشار بذلك إلى أنَّ التفضيل في صفات الله وأسمائه ليس مراداً.

قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... إلخ) أي: ليظهر متعلق علمه للناس فيفتضح المنافق،

ويظهر شرف المؤمن الخالص.

قوله: (إن كانت) أي: على فرض حصولها، وإلا.. فهم ليسوا مسلمين أنَّ في اتباعهم خطايا.

قوله: (والأمر بمعنى الخبر) أي: فالمعنى: ليكن منكم الاتباع ومثلاً الحمل.

قوله: ﴿وَأَنْفَالًا مَّعَ أَنْفَالِهِمْ﴾) أي: لأنَّ الدَّالَّ على الشرِّ كفاعله من غير أن ينقصَ من وزر

الأتباع شيء.

وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ
أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ

سَيَّلْنَا وإضلالهم مُقْلِدِيهِمْ، ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ
سُؤَالَ تَوْبِيخٍ. - وَاللَّامُ فِي الْفِعْلَيْنِ لَامُ قَسَمٍ، وَحُذِفَ فاعِلُهُمَا الواو وَنُونُ الرَّفْعِ -.

﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴿وَعُمُرُهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرُ﴾، ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ فَكَذَّبُوهُ، ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أَي: الْمَاءُ الْكَثِيرُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يَخْتَلِقُونَ مِنَ الْبَاطِلِ الَّتِي مِنْ جَمَلَتِهَا قَوْلُهُمْ: ﴿اتَّبِعُوا
سَيِّلَنَا...﴾ إلخ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾... إلخ) لما قَدَّمَ سبحانه وتعالى تكاليف هذه الأمة، وَبَيَّنَّ أَنَّ مَنْ
أَطَاعَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ عَصَى فَلَهُ النَّارُ... بَيَّنَّ هُنَا أَنَّ هَذِهِ التَّكَالِيفُ لَيْسَتْ مَخْتَصَّةً بِهَذِهِ الْأُمَّةِ، بَلْ مِنْ
قَبْلِهِمْ كَانُوا كَذَلِكَ.

وَتَقَدَّمَ أَنَّ نُوحًا اسْمُهُ: عَبْدُ الْغَفَارِ، وَقِيلَ: يَشْكُرُ، وَكَانَ يُسَمَّى السَّكَنَ؛ لِأَنَّ النَّاسَ بَعْدَ آدَمَ سَكَنُوا
إِلَيْهِ، فَهُوَ أَبُوهُمْ، وَلَقَّبَ بَنُوهُ؛ لَكثْرَةِ نَوْحِهِ عَلَى قَوْمِهِ، وَقِيلَ: عَلَى خَطِيئَتِهِ؛ لِمَا رَوَى: أَنَّهُ مَرَّ بِكَلْبٍ
فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا أَقْبَحَهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَعْبَتْنِي أَمْ أَعْبَتَ الْكَلْبُ، اخْلُقْ أَنْتَ أَحْسَنَ مِنْهُ؟^(١).
ونوح هو: ابنُ لَمَكْ بنِ مَثُوشَلَخَ بنِ إِدْرِيسَ بنِ يَرْدَ بنِ أَهَالِيلَ بنِ قَيْنَانَ بنِ أَنْثُوشَ بنِ شِيثَ بنِ آدَمَ
عليه السلام.

قوله: (وعمره أربعون سنة أو أكثر) تقدَّم أنه اختلف في الأكثر؛ فُقِيلَ: بُعِثَ عَلَى رَأْسِ
خَمْسِينَ، وَقِيلَ: مِثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَقِيلَ: مِثَّةَ سَنَةٍ، وَقِيلَ: غَيْرُ ذَلِكَ.

قوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ﴾... إلخ) الْحِكْمَةُ فِي ذِكْرِ لُبُّثِهِ هَذِهِ الْمُدَّةَ: تَسْلِيَتُهُ ﷺ عَلَى عَدَمِ
دُخُولِ الْكُفَّارِ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: لَا تَحْزَنْ؛ فَإِنَّ نُوحًا لَبِثَ هَذَا الْعَدَدَ الْكَثِيرَ وَلَمْ
يُؤْمِنْ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا قَلِيلٌ، فَصَبِرْ وَمَا ضَجَرَ، فَأَنْتَ أَوْلَى بِالصَّبْرِ؛ لِقَلَّةِ مُدَّةِ مَكْثِكَ وَكَثْرَةِ مَنْ آمَنَ مِنْ
قَوْمِكَ.

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣/٢٤٠)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/٢٧٤).

وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

طاف بهم وعلاهم فغرقوا، ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾: مُشْرِكُونَ.

﴿١٥﴾ ﴿فَأَنجَيْنَهُ﴾ أي: نُوحًا ﴿وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ﴾ أي: الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِيهَا، ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾: عِبْرَةً ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ النَّاسِ إِنْ عَصَوْا رُسُلَهُمْ. وعاش نُوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ، حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ.

﴿١٦﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾: خَافُوا عِقَابَهُ، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ،

حاشية الصاوي

والحكمة في المغايرة بين العام والسنة: التفنن، وخصّ لفظ العام بالخمسين؛ إشارة إلى أنَّ نوحاً لما غرقوا.. استراح وبقي في زمن حسن، والعرب تعبّر عن الخصب بالعام، وعن الجذب بالسنة. قوله: (طاف بهم وعلاهم) أي: أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أربعين ذراعاً. قوله: (الذين كانوا معه فيها) قيل: كانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة، وقيل: تسعة؛ أولاده الثلاثة وستّة من غيرهم، وقيل غير ذلك.

قوله: (ستين أو أكثر) قيل: عاش بعد الطوفان مئتين وخمسين سنة.

قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ قرأ العامة بالنصب، عطف على ﴿نُوحًا﴾، أو معمول لمحذوف كما درج عليه المفسّر حيث قدر (اذكر)، وقرئ شذوذاً بالرفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: ومن المرسلين إبراهيم^(١).

قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: امثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم.

قوله: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ أي: اجتنبوا نواهيه.

قوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: ما ذكّر من العبادة والتقوى.

قوله: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه... إلخ) أي: في زعمكم أنَّ فيه خيراً، والأحسن أن يقال: ذلكم خير لكم من جميع الحظوظات المعجّلة.

(١) وبها قرأ النخعي وأبو جعفر وأبو حنيفة. انظر «الدر المصون» (١٤/٩).

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا.....

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: الخَيْرَ مِنْ غَيْرِهِ.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أَي: غَيْرِهِ ﴿أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: تَقُولُونَ كَذِبًا: إِنَّ الْأَوْثَانَ شُرَكَاءُ لِلَّهِ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَرْزُقُوكُمْ، ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾: اطْلُبُوهُ مِنْهُ، ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾: أَي: تُكَذِّبُونِي يَا أَهْلَ مَكَّةَ.....

حاشية الصاوي

قوله: (الخير) أي: وهو عبادة الله، وقوله: (من غيره) أي: وهو عبادة غيره.

قوله: ﴿أَوْثَانًا﴾: جمع وثن، وهو ما يصنع من حجر أو غيره؛ لِيَتَّخِذَ مَعْبُودًا.

قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: أي: تَخْتَلِقُونَهُ وَتَخْتَرِعُونَهُ.

قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: أي: لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ؛ لِعَجْزِهِمْ وَعَدَمُ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ.

قوله: (فاطلبوه منه) أي: وَلَا تَطْلُبُوهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ تَكْفُلٌ لِكُلِّ دَابَّةٍ بِرِزْقِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

قوله: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾: أي: لِأَنَّ بِالشُّكْرِ تَزْدَادُ النِّعَمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قوله: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: أي: تُرْجَعُونَ؛ فَيُشِيبُ الطَّائِعَ، وَيُعَذِّبُ الْعَاصِي.

قوله: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾: شَرْطٌ حَذَفَ جَوَابُهُ، تَقْدِيرُهُ: فَلَا يَضُرُّنِي تَكْذِيبُكُمْ، وَإِنَّمَا تَضُرُّونَ أَنْفُسَكُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾: دَلِيلُ الْجَوَابِ.

فَقَدْ كَذَبَ أُمُّهُ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمَعِيتِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ

﴿فَقَدْ كَذَبَ أُمُّهُ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ مَنْ قَبْلِي، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمَعِيتِ﴾: إِلَّا الْبَلَاغُ الْبَيْنَ. فِي هَاتَيْنِ الْقِصَّتَيْنِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ. وَقَالَ تَعَالَى فِي قَوْمِهِ:
 ﴿١٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ - بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ -: يَنْظُرُوا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ - هُوَ بَضْمُ أَوَّلِهِ، وَقُرْئُ بِفَتْحِهِ مِنْ (بَدَأَ) وَ(أَبْدَأَ) بِمَعْنَى - أَي: يَخْلُقُهُمْ ابْتِدَاءً،

حاشية الصاوي

ومن هنا إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ جملٌ معترضةٌ بين كلام إبراهيم وجواب قومه له؛ إشارةً إلى أنَّ المقصود بالخطاب أمة محمد ﷺ^(١).

قوله: (مَنْ قَبْلِي) (مَنْ): اسم موصول مفعول ﴿كَذَبَ﴾، والمعنى: فلم يضرَّ الرسل تكذيب قومهم لهم.

قوله: (فِي هَاتَيْنِ الْقِصَّتَيْنِ) أَي: قصة نوح وإبراهيم.

قوله: (وَقَدْ قَالَ تَعَالَى) أَي: ردًّا على مُنْكَرِي الْبَعْثِ.

قوله: (بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ) أَي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾... إلخ) لما تقدَّم ذكر التوحيد وذكر الرسالة.. ذكر الحشر، وهذه الأصول الثلاثة يجب الإيمان بها، ولا يَنْفَكُ بعضها عن بعض.

قوله: (وَقُرْئُ بِالْفَتْحَةِ) أَي: شذوذاً^(٣).

قوله: (مَنْ: بَدَأَ وَأَبْدَأَ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مَشَوَّشٌ.

(١) ويحتمل أن تكون من جملة قول سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه، والمراد بالأُمَم قبله: قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم، فلا اعتراض. انظر «تفسير النسفي» (٦٠٨/٢).

(٢) قرأ الأخوان وأبو بكر بالخطاب، على خطاب إبراهيم لقومه بذلك، والباقون بالغيبة ردًّا على الأُمَم المَكْذُوبَةِ. انظر «الدر المصون» (١٥/٩).

(٣) وبها قرأ الزبير وعيسى وأبو عمرو بخلاف عنه. انظر «الدر المصون» (١٥/٩).

ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُ﴾ أي: الخلق كما بدأهم، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فكيف يُنكرون الثاني؟!

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾) ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وأماتهم، ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ - مدًا، وقصرًا مع سُكُونِ الشَّيْنِ - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه البدء والإعادة، ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه، ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رَحْمَتِهِ، ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: تُرَدُّونَ.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ رَبِّكُمْ عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها، أي: لا تفوتونه، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُ﴾ قَدَّرَ الضمير؛ إشارة إلى أن الجملة ليست معطوفة على ما قبلها، بل هي مستأنفة^(١).

قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أمرٌ من الله لمحمد ﷺ بأن يقول لمنكري البعث ما ذكر؛ ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات، ومن قدر على إنشائها بدءًا.. يقدر على إعادتها.

قوله: (مع سكون الشين) راجعٌ للقصر، والقراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، وقوله: ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: فيهما فلا يسأل عما يفعل.

قوله: (لو كنتم فيها) أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض والسماء حقيقتُهما، ويصح أن يراد بهما جهة السفلى والعلو.

(١) لأن إعادة الخلق لم تقع بعد فيقرروا برويتها، ويُؤيد الاستئناف فيه قوله تعالى على عقب ذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾. انظر «مغني اللبيب» (١٨/٢).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «النشأة» بالمد هنا و(النجم) وفي (الواقعة)، والباقون بالقصر مع سكون الشين. انظر «الدر المصون» (١٦/٩).

مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي...

﴿مِنْ وَلِيِّ﴾ يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ.
 ﴿٢٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أي: الْقُرْآنِ وَالْبَعْثِ ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي: جَنَّتِي، ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِم.
 ﴿٢٤﴾ قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ الَّتِي قَذَفُوهُ فِيهَا بِأَنْ جَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: إِنْجَاثِهِ مِنْهَا ﴿لَآيَاتٍ﴾ هِيَ عَدَمُ تَأْثِيرِهَا فِيهِ مَعَ عِظَمِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: القرآن والبعث) لَفَتْ وَنَشَرٌ مُرْتَّبٌ؛ فالأول راجع للآيات، والثاني راجع للقاء.
 قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ (أي: يوم القيامة، وعَبَّرَ بِالْمَاضِي؛ لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ.
 قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ...﴾ (إلخ) أي: لم يكن جواب قوم إبراهيم له حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان جزاء لما صدر منه من النصيحة إلا ذلك؛ فَإِنَّ النَّفْسَ الْخَبِيثَةَ أَبَتْ أَلَّا تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسِيءَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا.
 وهذا الكلام واقعٌ من كبارهم لصغارهم؛ لأنَّ الشَّأْنَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْقَتْلِ أَوْ التَّحْرِيقِ يَكُونُ مِنَ الْكِبَارِ، وَالَّذِي يَتَوَلَّى ذَلِكَ الصَّغَارَ، وَإِنَّمَا أَجَابُوا بِذَلِكَ عِنَادًا بَعْدَ ظُهُورِ الْحُجَّةِ مِنْهُ.
 قوله: ﴿أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ أتى هنا بالترديد، واقتصر في (الأنبياء) على أحد الأمرين^(١)، وهو الذي فعلوه؛ إشارةً إِلَى أَنَّ مَا هُنَا حِكَايَةٌ عَنْ أَصْلِ تَشَاوُرِهِمْ، وَمَا فِي (الأنبياء) عَنْ عَزْمِهِمْ وَتَصْمِيمِهِمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ.
 قوله: ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَقَذَفُوهُ فِي النَّارِ فَأَنجَاهُ اللَّهُ... إلخ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (التي قذفوه فيها).
 قوله: (هي) أي: الآيات.

(١) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةٌ عَنْهُمْ: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ

وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير، ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُونَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَا.

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيمُ: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها، - و(ما) مصدرية - ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ - خَبَر (إِنَّ)، وعلى قراءة النصب مفعولٌ له، و(ما) كافة - المَعْنَى: تَوَادَّدْتُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (وإخمادها) أي: سكونٌ لَهَا بِهَا مع بقاء جمرها، وأما الإهماد.. فهو طفء النار بالمرّة.

قوله: (في زمن يسير) أي: مقدار طرفة عين.

قوله: (لأنهم المتنفعون) علةٌ لمحذوف، والتقدير: خَصُّوا بالذكر؛ لأنهم... إلخ.

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم) عطف على قوله: ﴿فَأَنبَحَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.

قوله: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ (إِنَّ): حرف توكيد ونصب، و(ما): مصدرية، و﴿اتَّخَذْتُمْ﴾: صِلَتِهَا مَسْبُوكَةٌ بِمَصْدَرِ اسْمِ (إِنَّ)، و﴿أَوْثَانًا﴾: مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف، قَدْرُهُ الْمَفْسَّرُ بِقَوْلِهِ: (تَعْبُدُونَهَا)، و(مَّوَدَّةٌ): خبر (إِنَّ)، و﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: حال من ﴿أَوْثَانًا﴾، وهذا على قراءة الرفع. وقوله: (وعلى قراءة النصب مفعول له، و«ما» كافة) أي: سواء قُرئ بتنوين (مودة) ونصب (بينكم)، أو بعدم التنوين وَخَفَضَ (بينكم). و(اتخذ)؛ إما مُتَعَدٌّ لَوَاحِدٍ، أو لاثْنَيْنِ والثاني هو قوله: ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾.

ويصح أن تكون (ما) اسماً موصولاً، و﴿اتَّخَذْتُمْ﴾: صِلَتِهَا، والعائد محذوف، والتقدير: إِنَّ الَّذِي اتَّخَذْتُمُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا تَعْبُدُونَهَا لِأَجْلِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَكُمْ^(١)، فَتَحْصُلُ أَنَّ الْقَرَاءَاتِ ثَلَاثٌ: الرفع مع جرّ (بينكم)، والنصب مع جرّ (بينكم)، وفتحها، وكلُّهَا سَبْعِي^(٢).

(١) في (ب): زيادة: (ونقل عن عاصم أنه رفع «مودة» غير منونة ونصب «بينكم»، وخرجت على إضافة «مودة» للظرف، وإنما بني؛ لإضافته إلى غير مُتَمَكِّنٍ؛ كقراءة: ﴿لَقَدْ نَقَعَ بَيْنَكُمْ﴾ بالفتح إذا جعل «بينكم» فاعلاً، وقد ذكرت في أصل (أ) ولكن وضع عليها علامة الشطب.

(٢) في (ط ٢): (فتحصل أن القراءات أربع: الرفع مع جر «بين» وفتحها، والنصب مع جر «بين» وفتحها، وكلها سبعي)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع «مودة» غير منونة وجرّ «بينكم»، ونافع وابن عامر وأبو بكر بنصب «مودة» منونة ونصب «بينكم»، وحمزة وحفص بنصب «مودة» غير منونة وجرّ «بينكم». انظر «الدر المصون» (١٨/٩).

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ

على عبادتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: يَتَّبِعُ الْقَادَةَ مِنَ الْإِتْبَاعِ، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: يَلْعَنُ الْإِتْبَاعُ الْقَادَةَ، ﴿وَمَاْوَاكُمُ﴾: مَصِيرُكُمْ جَمِيعًا ﴿النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾: مَا يَعِينُ مِنْهَا.

﴿٢٦﴾ ﴿فَأَمَّنْ لَهُ﴾: صَدَّقَ بِإِبْرَاهِيمَ ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابنُ أَخِيهِ هَارَانَ، ﴿وَقَالَ﴾ إِبْرَاهِيمَ: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ مِنْ قَوْمِي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ أَي: إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَنِي رَبِّي، وَهَجَرَ قَوْمَهُ وَهَاجَرَ مِنْ سَوَادِ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي مُلْكِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صُنْعِهِ.

﴿٢٧﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بَعْدَ إِسْحَاقَ، ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (المعنى) أي: الحاصل من تلك القراءات.

قوله: (يتبرأ القادة) أي: يُنكرونها ويقولون لهم: لا نعرفكم.

قوله: (صدَّقَ بِإِبْرَاهِيمَ) أي: بنبوّته وإن كان مؤمناً قبل ذلك، وَيَجِبُ الْوَقْفُ عَلَى ﴿لُوطٌ﴾؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ مِنْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ؛ فَلَوْ وُصِّلَ . . لِتَوْهَمِ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ لُوطٍ.

قوله: (أي: إلى حيث أمرني ربي) دفع بذلك ما يُتوهم من ظاهر اللفظ إثبات الجهة له سبحانه وتعالى.

قوله: (وهاجر من سواد العراق) أي: فنزل بحران هو وزوجته سارة ولوط ابن أخيه، ثم انتقل منها فنزل بفلسطين، ونزل لوط بسدوم، وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمساً وسبعين سنة.

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: بعد هجرته.

قوله: (بعد إسماعيل) أي: بأربع عشرة سنة.

قوله: ﴿فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: إبراهيم.

وَالْكِتَابَ وَءَايَاتَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ

فكُلُ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، ﴿وَالْكِتَابَ﴾ بِمَعْنَى الْكِتَابِ، أَي: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ، ﴿وَأَيَاتَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وَهُوَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ فِي كُلِّ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الَّذِينَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى.

﴿٢٨﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿لَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أَيْنَكُمْ ﴿- بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلِفَ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهَيْنِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ -﴾ ﴿لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ﴾ أَي: أَدْبَارَ الرِّجَالِ ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

﴿٢٩﴾ ﴿أَيْنَكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾: طَرِيقَ الْمَارَّةِ بِفَعْلِكُمْ الْفَاحِشَةَ بِمَنْ يَمُرُّ بِكُمْ، فَتَرَكَ النَّاسَ الْمَمَرَّ بِكُمْ، ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ﴾ أَي: مُتَحَدِّثُكُمْ ﴿الْمُنْكَرَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (فكُلُ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ) أَي: لَانْحِصَارِ الْأَنْبِيَاءِ فِي إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَمُوسَى وَخَلْدَ شَعِيبَ.

قوله: (وَهُوَ الثَّنَاءُ فِي كُلِّ أَهْلِ الْأَدْيَانِ) أَي: فَجَمِيعُ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يُحِبُّونَهُ وَيَذْكُرُونَهُ بِخَيْرٍ، وَيَتَمَنُّونَ إِلَيْهِ.

قوله: ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أَي: الْكَامِلِينَ فِي الصَّلَاحِ.

قوله: ﴿وَلَوْطًا﴾ مَعْمُولٌ لِمَحْذُوفٍ، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (اذْكُرْ).

قوله: ﴿لِقَوْمِهِ﴾ أَي: أَهْلَ سَدُومَ وَتَوَابِعِهَا.

قوله: (وَإِدْخَالِ أَلِفَ بَيْنَهُمَا) أَي: وَعَدَمِهِ، فَالْقَرَاءَاتُ أَرْبَعٌ سَبْعِيَّاتٌ^(١).

قوله: (الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) أَي: مِنْ عَهْدِ آدَمَ إِلَى قَوْمِ لُوطَ.

قوله: (بِفَعْلِكُمُ الْفَاحِشَةَ بِمَنْ يَمُرُّ بِكُمْ) قِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يَجْلِسُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ وَعِنْدَ كُلِّ رَجُلٍ

(١) قَالَ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ فِي الْقَرَاءَاتِ: (مَا فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ)، وَحَكَمَهُ: أَنْ نَافِعًا وَابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامَرٍ وَحَفْصٌ يَخْبِرُونَ فِي الْأَوَّلِ وَيَسْتَفْهَمُونَ فِي الثَّانِي، وَأَنَّ الْبَاقِينَ يَسْتَفْهَمُونَ فِيهِمَا). انْظُرْ «الدَّرَجَاتُ الْمَصُونَةُ» (١٨/٧).

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾
 قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا
 إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ.....

فِعَلَ الْفَاحِشَةِ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ، ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي اسْتِقْبَاحِ ذَلِكَ وَأَنَّ الْعَذَابَ نَازِلٌ بِفَاعِلِيهِ.

﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِتَحْقِيقِ قَوْلِي فِي إِنْزَالِ الْعَذَابِ ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾: الْعَاصِينَ بِإِتْيَانِ الرِّجَالِ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ.

﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بَعْدَهُ، ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أَي: قَرْيَةِ لُوطٍ، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾: كَافِرِينَ.

﴿٣٢﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾ أَي: الرُّسُلُ: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ﴾.....

حاشية الصاوي

مِنْهُمْ قِصْعَةٌ فِيهَا حَصَى، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ عَابِرُ سَبِيلٍ.. حَذَفُوهُ، فَأَيُّهُمْ أَصَابَهُ كَانَ أَوْلَى بِهِ، فَيَأْخُذُ مَا مَعَهُ وَيَنْكُحُ وَيُغْرِمُهُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ، وَلَهُمْ قَاضٍ بِذَلِكَ.

قَوْلُهُ: (فَعَلَ الْفَاحِشَةَ) أَي: وَالضَّرَاطُ وَكَشَفَ الْعُورَاتِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْقَبَائِحِ.

قَوْلُهُ: (﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا﴾) أَي: عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِهْزَاءِ.

قَوْلُهُ: (بِإِتْيَانِ الرِّجَالِ) أَي: وَفَعَلَ بَقِيَّةَ الْفَوَاحِشِ.

قَوْلُهُ: (فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ) أَي: فَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِإِهْلَاكَهُمْ، وَأَرْسَلَهُمْ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، فَبَشَّرُوا إِبْرَاهِيمَ بِالذَّرِيَّةِ الطَّيِّبَةِ، وَأَنْذَرُوا قَوْمَ لُوطٍ بِالْعَذَابِ.

قَوْلُهُ: (بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) أَي: وَبِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ.

قَوْلُهُ: (﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾) هَذَا بَعْضُ الْمَجَادَلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ

لُوطٍ﴾؛ حَيْثُ قَالَ لَهُمْ: أَتُهْلِكُونَ قَرْيَةً فِيهَا ثَلَاثُ مِثَّةٍ مُؤْمِنٍ؟ قَالُوا: لَا، إِلَى أَنْ قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: إِنْ فِيهَا لُوطًا، قَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا.

وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ يَهُيمَ
وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنَ
الْغَيْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا

- بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِ﴾: الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ يَهُيمَ: حَزَنَ بِسَبَبِهِمْ، ﴿وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾: صَدْرًا لِأَنَّهُمْ حِسَانُ الْوُجُوهِ فِي صُورَةِ أَضْيَافٍ، فَخَافَ عَلَيْهِمْ قَوْمَهُ، فَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُمْ رُسُلُ رَبِّهِ، ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ - ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِ﴾ - وَنَصَبَ (أَهْلَكَ) عَظْفَ عَلَى مَحَلِّ الْكَافِ ..

﴿٣٤﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾: عَذَابًا

حاشية الصاوي

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (الباقين في العذاب) أي: الذين لم يخلصوا منه؛ لأنَّ الدَّالَّ على الشرِّ كفاعله، وهي قد دَلَّتْ القوم على أضيافٍ لوط، فصارت واحدةً منهم بسبب ذلك.

قوله: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ﴾ (أَنْ): زائدة للتوكيد.

قوله: (حزن بسببهم) أشار بذلك إلى أَنَّ الْبَاءَ فِي ﴿بِهِمْ﴾ سَبَبِيَّةٌ.

قوله: ﴿ذُرْعًا﴾ (تميز محوّل عن الفاعل؛ أي: ضاق ذُرْعُهُ، وقوله: (صدرًا) تفسيرٌ لحاصل المعنى، وإلَّا... فالذرع معناه: الطاقة والقوة.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (على محل الكاف) أي: وهو النصب على أنها مفعول (منجّو).

قوله: (عذابًا) قيل: حجارة، وقيل: نار، وقيل: خسف، وعليه: فالمراد بكونه من السماء: أَنَّ الْحَكَمَ بِهِ مِنَ السَّمَاءِ.

(١) قرأ حمزة والكسائي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم بعدها، والباقون بفتح النون وتشديد الجيم بعدها. انظر «السراج المنير» (١٣٧/٣).

(٢) قرأ المكي وشعبة والأخوان ويعقوب وخلف بالتخفيف، وغيرهم بالتشديد. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٤٥).

مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدِينِكَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَكَذَّبُوهُ ﴿٣٧﴾

﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا﴾: بِالْفِعْلِ الَّذِي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بِهِ أَي: بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ.

﴿٣٥﴾ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾: ظَاهِرَةٌ هِيَ آثَارُ خَرَابِهَا ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

﴿٣٦﴾ ﴿وَإِلَىٰ مَدِينِكَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: اخْشَوْهُ، هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ - حَالٌ مُّوَكَّدَةٌ لِعَامِلِهَا، مِنْ (عَثِيَ) بِكَسْرِ الْمُثَلَّثَةِ: أَفْسَدَ..

﴿٣٧﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾
 فَكَذَّبُوهُ

حاشية الصاوي

قوله: (هي آثار خرابها) وقيل: هي الحجارة التي أهلکوا بها، أبقاها الله عز وجل حتى أدركتها أوائل هذه الأمة، وقيل: هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض.

قوله: (﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾) متعلق بـ﴿تَرَكْنَا﴾، أو بـ﴿بَيِّنَةً﴾، وخصَّصهم؛ لأنهم المنتفعون بالانتعاز بها.

قوله: (﴿وَإِلَىٰ مَدِينِكَ﴾) متعلق بمحذوف معطوف على ﴿أَرْسَلْنَا﴾ في قصة نوح.

قوله: (﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾) أي: لأنه من ذرية مدين بن إبراهيم، الذي هو أبو القبيلة، فكما هو منسوب لمدين هم كذلك.

قوله: (﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾) أي: وحُدوه.

قوله: (﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾) يصح أن يبقى الرجاء على معناه، ويكون المعنى: ارجوا رحمة الله في اليوم الآخر، ويصح أن يكون بمعنى: خافوا، والمعنى: خافوا عقاب الله في اليوم الآخر، وإليه يشير المفسر بقوله: (اخْشَوْهُ).

قوله: (من «عَثِيَ» بكسر المثلثة) أي: من باب (تعب)، ويصح أن يكون من باب (قال).

قوله: (﴿فَكَذَّبُوهُ﴾) إن قلت: مقتضى الظاهر أن يقال: فلم يَمَثَلُوا أوامره؛ لأنَّ التكذيب إنما يكون في الإخبار.

فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادَا وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ: الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾: بَارِكِينَ عَلَى الرُّكْبِ مَبِينِينَ.

﴿٣٨﴾ ﴿و﴾ أَهْلَكْنَا ﴿عَادًا وَثُمُودًا﴾ - بِالصَّرْفِ وَتَرْكِهِ، بِمَعْنَى الْحَيِّ وَالْقَبِيلَةِ - ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ إِهْلَاكُهُمْ ﴿مِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾ بِالْحَجَرِ وَالْيَمَنِ، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: سَبِيلَ الْحَقِّ، ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾: ذَوِي بَصَائِرٍ.

حاشية الصاوي

أَجِيب: بَأَنَّ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مُتَضَمِّنٌ لِلْخَبَرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: اللَّهُ وَاحِدٌ فاعْبُدْهُ، وَالْحَشْرُ كَائِنٌ فَارْجُوهُ، وَالْفَسَادُ مُحَرَّمٌ فَاجْتَنِبْهُ، فَالتَّكْذِيبُ رَاجِعٌ إِلَى الْإِخْبَارِ.

قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ﴾ أي: الزَّلْزَلَةُ الَّتِي نَشَأَتْ مِنْ صِيحَةِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِمُ، وَتَقَدَّمَ فِي (هُود): ﴿فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ﴾، وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ؛ فَإِنَّ سَبَبَ الرَّجْفَةِ الصَّيْحَةُ، وَالرَّجْفَةُ سَبَبٌ فِي هَلَاكِهِمْ، فَتَارَةً يُضَافُ الْأَخْذُ لِلْسَّبَبِ، وَتَارَةً لِسَبَبِ السَّبَبِ.

قوله: (بِالصَّرْفِ وَتَرْكِهِ) رَاجِعٌ لثُمُودٍ فَقَطْ، وَقَوْلُهُ: (بِمَعْنَى الْحَيِّ وَالْقَبِيلَةِ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مَرَّتَيْنِ، فَكَوْنُهُ بِمَعْنَى الْحَيِّ يَكُونُ اسْمَ جَنْسٍ لَمْ تُوجَدْ فِيهِ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي هِيَ إِحْدَى عِلَّتَيْ مَنَعَ الصَّرْفِ، وَكَوْنُهُ بِمَعْنَى الْقَبِيلَةِ يَكُونُ عَلَمَ شَخْصٍ عَلَى أَبِي الْقَبِيلَةِ، فَقَدْ وَجَدْتَ فِيهِ الْعِلَّتَانِ.

قوله: (إِهْلَاكُهُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ فَاعِلَ ﴿تَبَيَّنَ﴾ ضَمِيرٌ عَائِدٌ عَلَى الْإِهْلَاكِ.

قوله: (بِالْحَجَرِ) رَاجِعٌ لثُمُودٍ، وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ، وَقَوْلُهُ: (وَالْيَمَنِ) رَاجِعٌ لِعَادٍ.

قوله: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أي: بِوَاسِطَةِ الرُّسُلِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذْرٌ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ بَيَّنُّوا طَرِيقَ الْحَقِّ بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ.

قوله: (ذَوِي بَصَائِرٍ) أي: عَقْلَاءُ مُتَمَكِّنِينَ مِنَ النَّظَرِ وَالِاسْتِبْصَارِ، لَكِنْهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا تَكْبِيرًا وَعِنَادًا.

وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَافِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَاخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتُهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ.....

﴿٣٩﴾ ﴿و﴾ أَهْلَكْنَا ﴿قُرُونٌ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ مِنْ قَبْلُ ﴿مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ : الْحُجَجِ الظَّاهِرَاتِ ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَافِقِينَ﴾ : فَائِثِينَ عَذَابَنَا .

﴿٤٠﴾ ﴿فَاخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ : رِيحًا عَاصِيفَةً فِيهَا حَصَبَاءُ كَقَوْمِ لُوطٍ ، ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتُهُ الصَّيْحَةُ﴾ : كَثُودٌ ، ﴿وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ : كَقَارُونَ ، ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا﴾ : كَقَوْمِ نُوحٍ وَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ : فَيُعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ : بِارْتِكَابِ الذَّنْبِ .

﴿٤١﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ : أَي : أَصْنَامًا يَرْجُونَ نَفْعَهَا

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَقُرُونٌ﴾ : قَدَمَهُ عَلَى فِرْعَوْنَ ؛ لِشَرَفِهِ عَلَيْهِ لَكُونِهِ ابْنِ عَمِّ مُوسَى .

قوله : ﴿وَهَمَانَ﴾ : هُوَ وَزِيرُ فِرْعَوْنَ .

قوله : ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ : أَي : تَكَبَّرُوا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ .

قوله : ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ : الْبَاءُ : سَبِيَّةٌ ؛ أَي : بِسَبَبِ ذَنْبِهِ .

قوله : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ : أَي : يُعَامِلُهُمْ مَعَامِلَةَ مَلِكٍ ظَالِمٍ فِي رَعِيَّتِهِ ، وَعَلَى فِرْعَوْنَ لَوْ عَذَّبَهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ . . لَا يَكُونُ ظَالِمًا ؛ لِأَنَّهُ الْخَالِقُ الْمُتَصَرِّفُ فِي مُلْكِهِ عَلَى مَا يَرِيدُ .

قوله : (يَرْجُونَ نَفْعَهَا) هَذَا هُوَ وَجْهُ الشُّبْهِ ؛ أَي : فَمَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَامًا يَعْبُدُونَهَا فِي اعْتِمَادِهِمْ عَلَيْهَا وَرَجَائِهِمْ نَفْعَهَا كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ فِي اتِّخَاذِهَا بَيْتًا لَا يُغْنِي عَنْهَا فِي حَرٍّ وَلَا بَرْدٍ وَلَا مَطَرٍ وَلَا أَذًى .

وَحَمَلُ الْمَفْسَّرِ الْأَوْلِيَاءَ عَلَى الْأَصْنَامِ مَخْرُجٌ لِلْأَوْلِيَاءِ بِمَعْنَى : الْمُتَوَلِّينَ خِدْمَةَ رَبِّهِمْ ؛ فَإِنَّ اتِّخَاذَهُمْ بِمَعْنَى : التَّبَرُّكَ وَالِاتِّجَاءَ بِهِمْ وَالتَّعَلُّقَ بِأَذْيَالِهِمْ مَأْمُورٌ بِهِ ، وَهُمْ أَسْبَابٌ عَادِيَّةٌ ، تَنْتَزِلُ الرِّحْمَاتُ وَالْبَرَكَاتُ عَنْدهُمْ لَا بِهِمْ ، خِلَافًا لِمَنْ جَهِلَ وَعَانَدَ وَزَعَمَ أَنَّ التَّبَرُّكَ بِهِمْ شَرٌّ .

كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا

﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لِنَفْسِهَا تَأْوِي إِلَيْهِ، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ : أضعف ﴿الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ لا يَدْفَعُ عَنْهَا حَرًّا وَلَا بَرْدًا، كذلك الأصنام لا تَنْفَعُ عَابِدِيهَا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما عَبْدُوهَا.

﴿٤٢﴾ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ - بِمَعْنَى الَّذِي - ﴿يُدْعُونَ﴾ : يَعْبُدُونَ - بِالْيَأِ وَالنَّاءِ - ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ غَيْرِهِ ﴿مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي مُلْكِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صُنْعِهِ.

﴿٤٣﴾ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ فِي الْقُرْآنِ ﴿نَضْرِبُهَا﴾ : نَجْعَلُهَا ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ أَي : يَفْهَمُهَا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ هو حيوان معروف، له ثمانية أرجل، وستة أعين، يقال: إنه أقنع الحيوانات، جعل الله رزقه أحرص الحيوانات وهو الذباب والبق. ونونه أصلية، والواو والياء زائدتان؛ بدليل قولهم في الجمع: عناكب، وفي التصغير: عُنْكَيب.

قوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ الجملة حالية.

قوله: ﴿كذلك الأصنام لا تنفع عابديها﴾ أي: فَمَنْ التَّجَأَ لغير الله.. فلا ينفعه شيء، ومن التَّجَأَ لله.. وقاه بغير سبب، وبسببٍ ضعيف، ومن هنا: وقاية رسول الله ﷺ من الكفار حين نزل الغار بالعنكبوت وبيض الحمام مع كونهما أضعف الأشياء^(١).

قوله: ﴿ما عبدوها﴾ قدره؛ إشارة إلى أنَّ جواب (لو) محذوف.

قوله: ﴿بمعنى: الذي﴾ أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مَا﴾: اسم موصول، وجملة ﴿يُدْعُونَ﴾: صلتها، والموصول وصلته معمول له ﴿يَعْلَمُ﴾.

قوله: ﴿أي: يفهمها﴾ أي: يفهم صحتها وفائدتها.

(١) حديث نسج العنكبوت رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٤٨/١) من حديث سيدنا ابن عباس ؓ، وأما حديث بيض الحمام.. فرواه البزار في «مسنده» (٤٣٤٤) من حديث زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك ؓ.

إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾
 أَتُلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ

﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾: المتدبرون.

﴿٤٤﴾ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: مُحَقَّقًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُم الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَا فِي الْإِيمَانِ بِخِلَافِ الْكَافِرِينَ.

﴿٤٥﴾ ﴿أَتُلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعاً أي: مِنْ شَأْنِهَا ذَلِكَ
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾﴾ خَصَّهُمْ؛ لأنهم المتنفعون بذلك، وأما الكافرون.. فيزدادون طغياناً وعتواً.

قوله: (محققاً) أشار بذلك إلى أَنَّ الباء في ﴿بِالْحَقِّ﴾ للملابسة، والجار والمجرور حال.

قوله: (خُصُّوا بِالذِّكْرِ) جوابٌ عمّا يقال: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَةً لِّكُلِّ عَاقِلٍ.

قوله: ﴿﴿أَتُلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾﴾ أي: ما أوحاه الله إليك بنزول جبريل به، والمعنى: تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِتِلَاوَتِهِ وَتَرَدَّادِهِ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ؛ لِأَنَّ فِيهِ مُحَاسِنَ الْآدَابِ، وَمَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ.

قوله: ﴿﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾﴾ بيانٌ لـ(ما).

قوله: ﴿﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾﴾ أي: دُمْ عَلَى إِقَامَتِهَا بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَآدَابِهَا؛ فَإِنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ؛ مِنْ أَقَامِهَا.. فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ هَدَمَهَا.. فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ. وَالخَطَابُ لِلنَّبِيِّ، وَالْمُرَادُ هُوَ وَأُمَّتُهُ؛ بِدَلِيلِ مَدْحِهِمْ فِي آيَةِ: ﴿﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ...﴾﴾ [فاطر: ٢٩] آيَةِ.

قوله: ﴿﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾﴾ أي: الْمَوَاضِبَةُ عَلَيْهَا تَكُونُ سَبَباً فِي تَطْهِيرِهِ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ إِذَا اسْتَوْفِيَتْ شُرُوطُهَا وَآدَابُهَا؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ حِينَ الْإِقْبَالِ عَلَى الصَّلَاةِ التَّطَهُّرُ مِنَ الْحَدَثِ الْحَسِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، وَتَجْدِيدُ التَّوْبَةِ، فَإِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَخَشَعَ وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَاهُ، وَأَنَّهُ مَظْلَعٌ عَلَيْهِ يَرَاهُ.. فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ عَلَى جَوَارِحِهِ هَيْبَتُهَا.

وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ

ما دام المرء فيها، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من غيره من الطاعات،
حاشية المناوي

وقوله: (ما دام المرء فيها) هذا أحد قولين، والقول الصحيح: أنها تنهى عنها في سائر الأوقات؛ لما روي: أن فتى من الأنصار كان يُصلي مع رسول الله ﷺ ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه، فوصف للنبي ﷺ حاله فقال: «إن الصلاة ستنهاه»، فلم يلبث أنه تاب وحسن حاله^(١)، وروي عن بعض السلف: أنه كان إذا قام إلى الصلاة.. ارتعد واصفرَّ لونه، فكلم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى، وحقَّ لي هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع ملك الملوك؟! وأما من كانت صلاته بخلاف ذلك؛ بأن كانت لا خشوعَ فيها ولا تذكراً.. فإنها لا تكون سبباً في نهيه عن الفحشاء والمنكر، بل يستمرُّ على ما هو عليه من البعد؛ لما ورد: «مَنْ لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر.. لم تَزده من الله إلا بعداً»^(٢).

قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾ أي: بسائر أنواعه ﴿أَكْبَرُ﴾ أي: أفضل الطاعات على الإطلاق؛ لما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله»^(٣).

وروي أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: أيُّ العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً»، قالوا: يا رسول الله؛ ومن الغازی في سبيل الله؟ فقال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً.. لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة»^(٤).

فالذكر أفضل الأعمال، وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة؛ ولذا ورد عن الجنيد: أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه فيلقنهم الذكر ويأمرهم بالإكثار منه، فتتورُّ قلوبهم.

(١) قال العلامة المناوي في «الفتح السماوي» (٢/٨٩٧) عند ذكر القاضي البيضاوي لهذا الحديث: (قال الحافظ ابن حجر: لم أجده، قال الولي العراقي: لم أقف عليه. وفي «مسند أحمد» والبخاري وإسحاق وأبي يعلى عن أبي هريرة: «جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال: إن فلاناً يُصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، فقال: إن صلاته ستنهاه»).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٢٥)، والشهاب القضاعي في «مُسْنَدِهِ» (٥٠٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠).

(٤) رواه الترمذي (٣٣٧٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فَيُجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿٤٦﴾ ﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ بِآيَاتِهِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى حُجَجِهِ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بِأَن حَارَبُوا وَأَبَوْا أَنْ يُقَرُّوا بِالْجِزْيَةِ، فَجَادِلُوهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُسَلِّمُوا أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ، ﴿وَقُولُوا﴾ لِمَنْ قَبْلَ الْإِقْرَارِ بِالْجِزْيَةِ إِذَا أَخْبَرُوكُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا فِي كُتُبِهِمْ: ﴿ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ وَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ فِي ذَلِكَ، ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: مُطِيعُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ أي: من خيرٍ وشرٍّ فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: لَا تَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ إِلَّا بِالْكَلَامِ اللَّيِّنِ، وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: فَادْعُوهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ بِالْإِغْلَظِ وَالشَّدَّةِ، وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يُسَلِّمُوا أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ، فهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ [التوبة: ٢٩] الآية، وعلى هذا التقرير: فالآية محكمة، وهو التحقيق^(١).

قوله: (بأن حاربوا... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بالظلم: الامتناع ممَّا يلزمهم شرعاً، فلا يقال: إِنَّ الكلَّ ظالمون؛ لأنهم كفارٌ.

قوله: (أو يعطوا الجزية) أي: يلتزموا بإعطائها.

قوله: ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي: لِمَا رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾»... الآية^(٢)، وفي رواية:

(١) وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال، وهي قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ الآية. انظر «تفسير القرطبي» (٣٥٠/١٣).

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٥) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ

﴿٤٧﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ: الْقُرْآنَ كَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ التَّوْرَةَ وَغَيْرَهَا، ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَغَيْرِهِ ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بِالْقُرْآنِ، ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾: أَيُّ: أَهْلِ مَكَّةَ ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا بعدَ ظُهورِهَا ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ أَيُّ: الْيَهُودَ، وَظَهَرَ لَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ وَالْجَائِي بِهِ مُحَقَّقٌ وَجَحَدُوا ذَلِكَ.

﴿٤٨﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ: أَيُّ: الْقُرْآنَ

حاشية الصاوي

«وقولوا: آمنا بالله وبكتبه وبرسله؛ فإن قالوا باطلاً.. لم تصدقوهم، وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم»^(١) ومحل ذلك: ما لم يتعرّضوا لأمر توجب نقض عهدهم؛ كأن يظهروا أنَّ شرعهم غير منسوخ، وأنَّ نبينا غير صادق فيما جاء به وغير ذلك؛ فحينئذٍ نقاتلهم.

ومحلّه أيضاً: ما لم يخبرونا بخبر موافق لما في كتابنا، وإلا.. فيجب تصديقهم من حيث إنَّ الله أخبرنا به.

قوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: نفعناهم به؛ بأن أعطيناهم نوره، وظهرت ثمرته عليهم، هم الذين يؤمنون به، وإلا.. فجميع علمائهم أوتوا الكتاب، ولم يُسلم منهم إلا القليل، ويصح أن يكون المراد: ففريق من أهل الكتاب... إلخ.

قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ أي: يُنكرها بعد معرفتها.

قوله: (أي: اليهود) لا مفهوم له، بل النصارى والمشركون كذلك، فالمناسب أن يقول: (إلا الكافرون كاليهود).

قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ شروع في إثبات الدليل على أنَّ القرآن من عند الله، وأنه مُعجز للبشر؛ كأنَّ الله يقول لأهل الكتاب: أنتم لا عُذر لكم في إنكار القرآن، ولا في تكذيب النبي ﷺ؛ لأنَّ من جملة صفاته في كتبهم أنَّه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ووجد بهذه الصفة؛ فلو فرض أنه كان يكتب أو يقرأ.. لحصل لكم الشك في نبوته وفي القرآن؛ لوجوده على خلاف الصفة التي في كتبهم.

(١) رواه أبو داود (٣٦٤٤) عن سيدنا أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَزَّتَابَ الْمُبْطُلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ
مِنْ رَبِّهِ.....

﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا﴾ أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَزَّتَابَ﴾: شَكَّ
﴿الْمُبْطُلُونَ﴾: اليهود فيك وقالوا: الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

﴿٤٩﴾ ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾
أي: المؤمنون يحفظونه، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ أي: اليهود وجحدوها بعد
ظهورها لهم.

﴿٥٠﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾: هَلَا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ أي: مُحَمَّدٌ ﴿آيَةٌ مِنْ
رَبِّهِ﴾ - وفي قراءة: ﴿آيَةٌ﴾ - كناية صالح وعصا موسى ومائدة عيسى،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ مفعول ﴿تَنْلُوا﴾، و﴿مِنْ﴾: زائدة.

قوله: (أي: لو كنت قارئاً كاتباً) لفٌّ ونشرٌ مرتب.

قوله: (اليهود) لا مفهوم له.

قوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ﴾ إضرابٌ عما تقدّم من الارتياب.

قوله: (أي: المؤمنون يحفظونه) أي: لفظاً ومعنى؛ لما ورد: «وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم
أناجيلهم»^(١) أي: كالأناجيل، والمعنى: أن القرآن محفوظ في صدورهم، وثابت فيها؛ كما كان كتاب
النصارى ثابتاً في أناجيلهم.

قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ أي: القرآن.

قوله: (اليهود) تقدّم ما فيه.

قوله: (وفي قراءة: ﴿آيَةٌ﴾) أي: وهما سبعيتان^(٢).

(١) رواه الطبراني بنحوه في «المعجم الكبير» (١٠٠٤٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص: (آيات) بالجمع؛ لأن بعده ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَةُ﴾ بالجمع إجماعاً، والباقون
(آية) بالإنفراد؛ لأن غالب ما جاء في القرآن كذلك. انظر «السراج المنير» (١٤٦/٣).

قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يُنْزِلُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: مُظْهِرٌ إِنْذَارِي بِالنَّارِ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ.

﴿٥١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فِيمَا طَلَبُوا ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ فَهُوَ آيَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لَا انْقِضَاءَ لَهَا، بِخِلَافِ مَا ذُكِرَ مِنَ الْآيَاتِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: الْكِتَابَ ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَى﴾: عِظَةً ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بِصِدْقِي، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وَمِنْهُ حَالِي وَحَالُكُمْ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وَهُوَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (ينزلها كيف يشاء) أي: على ما يُريد، ولا دخل لأحد في ذلك؛ لأنَّ المعجزة أمرٌ خارق للعادة يأتي بفضل الله.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ (الهمزة داخله على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أجهلوا ولم يكفهم... إلخ؟)، والاستفهام للتوبيخ.

قوله: ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا﴾ «أَنَّ» وما دخلت عليه في تأويل مصدر: فاعل (يكف)، والتقدير: أولم يكفهم إنزالنا.

قوله: (مستمرة لا انقضاء لها) أخذ ذلك من قوله: ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾.

قوله: (بخلاف ما ذكر من الآيات) أي: فانقضت بموت الرسل.

قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بذلك.

قوله: (ومنه: حالي وحالكم) أي: من جملة ما في السماوات والأرض.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ أي: خضعوا له وعبدوه.

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

مِنْكُمْ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فِي صَفَقَتِهِمْ حَيْثُ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ.

﴿٥٣﴾ وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَهُ ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عَاجِلًا، ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوَقْتٍ إِتْيَانِهِ.

(﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾) ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَنَقُولُ ﴿فِيهِ - بِالْثُونِ - أَي: نَأْمُرُ بِالْقَوْلِ، - وَبِالْيَاءِ - أَي: يَقُولُ أَي: الْمُؤَكَّلُ بِالْعَذَابِ: ﴿ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَي: جَزَاءُهُ فَلَا تَقْوُتُونَا.

حاشية الصاوي

قوله: (حيث اشترى الكفر بالإيمان) أي: أخذوا الكفر وتركوا الإيمان.

قوله: ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَهُ﴾ أي: للعذاب.

قوله: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ أي: كوقعة بدر؛ فإنها أتتهم على حين غفلة.

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يظنون أن العذاب يأتيهم أصلاً.

قوله: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ تعجّب من قلة فطنتهم ومن تعنتهم، والمعنى: كيف يستعجلون العذاب والحال أن جهنم محيطَةٌ بهم يوم القيامة لا مفرّ لهم منها؟!

قوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾ ظرف لقوله: ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾، والمعنى على الاستقبال؛ أي: سُحِيط بهم في ذلك اليوم.

قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ تفسيرٌ للإحاطة، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

قوله: (أي: نأمر بالقول) إنما أوله؛ جمعاً بين ما هنا وبين قوله في الأخرى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤].

قوله: (أي: جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ

﴿٥٦﴾ ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ في أي أرض تيسرت فيها العبادة، بأن تهاجروا إليها من أرض لم تيسر فيها، نزل في ضعفاء مسلمي مكة، كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها.

﴿٥٧﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ - بالتاء والياء - بعد البعث.

﴿٥٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ﴾ : نُنْزِلْنَهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطابٌ لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من إظهار الإسلام في مكة كما قال المفسر، والإضافة لتشريف المضاف.

قوله: ﴿فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ (إياي): منصوب بفعلٍ محذوف دلٌّ عليه المذكور^(١).

قوله: (كانوا في ضيق... إلخ) أي: فوسَّع الله لهم الأمر، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فمن تعسرت عليه العبادة في بلد.. فعليه أن يهاجر منها لبلد تيسر له فيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالمهمُّ العبادة في أي مكان تيسر، ولا يُعوَّل على مكان في الدنيا؛ لأنها دار ممرٍّ لا مقرٍّ، والمارُّ في الطريق لا يُعوَّل على مسكن، ولا قرار في طريقه.

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: لا تُقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت؛ فإنَّ كلَّ نفس ذائقة الموت، فالحكمة في تخويفهم من الموت: كونُ مفارقة الأوطان تهون عليهم؛ فإنَّ من أيقن بالموت هان عليه كلُّ شيء في الدنيا.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لما ذكر أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم.. أتبعه بذكر أحوال المؤمنين وما آل إليه أمرهم.

(١) أي: فاعبدوا إياي فاعبدون، فاستغنى بأحد الفعلين عن الثاني، والفاء في قوله: ﴿فَإِنِّي﴾ بمعنى الشرط؛ أي: إن ضاق بكم موضع.. فإياي فاعبدوا؛ لأن أرضي واسعة. انظر «تفسير القرطبي» (٣٨٥/١٣).

مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَنِّ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا

- وفي قراءة بالمثلثة بعد النون من الشواء: الإقامة، وتعديته إلى ﴿غُرَفًا﴾ بحذف (في) -، ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾: مُقَدِّرِينَ الْخُلُود ﴿فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَمِلِينَ﴾ هذا الأجر.

﴿٥٩﴾ هُمْ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على أذى الْمُشْرِكِينَ والهجرة لإظهار الدين، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

﴿٦٠﴾ ﴿وَكَأَنِّ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لِضَعْفِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بالمثلثة) أي: الساكنة بعد النون، وبعدها واو مكسورة، ثم ياء مفتوحة^(١)، و﴿غُرَفًا﴾ على هذه القراءة: إما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر، أو مفعول به بتضمين (تثوي) معنى (تنزل)، فيتعدى لاثنتين.

قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: الغُرَفِ.

قوله: (مُقَدِّرِينَ الْخُلُود فيها) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة؛ أي: إنهم حين الدخول مُقَدَّرُونَ الْخُلُود؛ لأنه أتم في النعيم؛ لسماعهم النداء من قِبَلِ اللَّهِ: «يا أهل الجنة؛ خلود بلا موت»^(٢).

قوله: (هذا الأجر) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ نعت لـ ﴿الْعَمِلِينَ﴾، أو خبرٌ لمحذوف كما قال المفسر.

قوله: (إظهار الدين) متعلق بالهجرة.

قوله: ﴿وَكَأَنِّ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ سبب نزولها: أنه ﷺ لما أمر المؤمنين بالهجرة..

قالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال؟ فَمَنْ يطعمنا بها ويسقينا؟^(٣)

(١) وبها قرأ الأخوان وخلف. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٤٦).

(٢) كما رواه البخاري (٦٥٤٥) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٣) انظر «زاد المسير» (٤١٢/٣).

اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ

﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، بِضَمِّائِرُكُمْ.

﴿٦١﴾ وَلَئِنْ - لام قَسَم - ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: الكُفَّار ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: يُصَرِّفُونَ عن تَوْجِيده بعد إقرارهم بذلك؟

﴿٦٢﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ: يُوسِّعُهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتِحَانًا، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُ لَهُ ﴿بَعْدَ الْبَسْطِ أَي: لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً،﴾

حاشية الصاوي

وقوله: ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي: لا تدخره لغد كالبهائم والطيور. قال سفيان بن عيينة: ليس شيء من الخلق يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة^(١).

قوله: ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوي في أمر الرزق، بل ذلك بتقديره سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]، فينبغي للإنسان أن يفوض أمر الرزق له تعالى، ولا ينافي هذا أخذه في الأسباب؛ لأن الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها لا بها، فالأسباب لا تُنكر، ومن أنكرها.. فقد ضلَّ وخسر.

قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: كفَّار مكة.

قوله: ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾... إلخ) أتى في جانب السماوات والأرض بالخلق، وفي جانب الشمس والقمر بالتسخير؛ إشارة إلى أن الحكمة في خلقهما: التسخير الذي ينشأ عنه الليل والنهار اللذان بهما قوام العالم، بخلاف السماوات والأرض؛ فالنفع في مجرد خلقهما.

قوله: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ الاستفهام للتوبيخ.

قوله: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي: فلا تركز لغيره؛ فليس مالكا لضرر

ولا نفع.

إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ.....

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه محل البسط والتضييق.

﴿٦٣﴾ ﴿وَلَئِنْ﴾ - لام قسم - ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فكيف يشركون به؟ ﴿قُلِ﴾ ﴿لَهُمْ﴾: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ثبوت الحجة عليكم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تناقضهم في ذلك.

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ وأما القرب فمن أمور الآخرة؛ لظهور

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ أي: بالنبات الناشئ عن الماء.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أي: جوعها وقحط أهلها^(١).

قوله: (فكيف يشركون به؟!) أي: بعد إقرارهم.

قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: والأقل يعقل، ومن عقل منهم... اهتدى وآمن.

قوله: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أشار بذلك إلى أن الدنيا حقيرة لا تزن جناح بعوضة، فينبغي

للعاقل التجافي عنها، وبأخذ منها بقدر ما يوصله للآخرة، قال بعض العارفين^(٢): [الوافر]

تأمل في الوجود بعين فكر ترى الدنيا الدنيئة كالخيال

ومن فيها جميعاً سوف يفنى ويبقى وجه ربك ذو الجلال

قوله: ﴿إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ اللهو: الاشتغال بما فيه نفع عاجل، واللعب: الاشتغال بما لا نفع

فيه أصلاً.

قوله: (وأما القرب) أي: كالتوحيد والذكر والعبادة.

(١) في (ط ٢): (جديها) بدل (جوعها).

(٢) نسبهما المقرري في «نفع الطيب» (١/١٢٠) لمامية الرومي، واسمه محمد بن أحمد.

(٣) كذا في الأصول بإثبات الألف، وحقها الحذف لأنها مجزومة بالطلب، إلا أن يقال: إنه اكتفى بحذف الحركة

المقدرة على الألف؛ كما في قراءة قبل: (إنه من يتقى ويصبر) بإثبات الياء. وانظر «مغني الليب» (ص ٦٢١).

وَلَيْتَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لِهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْنَعُوا فُسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

ثَمَرَتِهَا فِيهَا، ﴿وَلَيْتَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لِهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ بِمَعْنَى الْحَيَاةِ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ مَا أَثَرُوا الدُّنْيَا عَلَيْهَا.

﴿٦٥﴾ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أَي: الدُّعَاءُ، أَي: لَا يَدْعُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ لِأَنَّهُمْ فِي شِدَّةٍ لَا يَكْشِفُهَا إِلَّا هُوَ، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ. ﴿٦٦﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ مِنَ النِّعْمَةِ، ﴿وَلِيَسْتَمْنَعُوا﴾ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، - وَفِي قِرَاءَةٍ: بِسُكُونِ اللَّامِ أَمْرٌ تَهْدِيدٌ -، ﴿فُسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ ذَلِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: (بمعنى الحياة) أي: الدائمة الخالدة التي لا زوال فيها.

قوله: (ما آثروا الدنيا عليها) جواب (لو) أي: ما قدّموا لذات الدنيا على الآخرة.

قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ﴾... إلخ) أي: وذلك أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا إِذَا رَكَبُوا فِي الْبَحْرِ.. حملوا معهم الأصنام، فإذا اشتدَّت الرِّيحُ.. أَلْقَوْهَا فِي الْبَحْرِ وَقَالُوا: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَدَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الْكَرْبَ.

قوله: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ جواب (لما)، والمعنى: عَادُوا إِلَى شُرَكَائِهِمْ؛ لِأَجْلِ كُفْرِهِمْ بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ، وَتَلَذُّهُمْ بِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا، فَلَمْ يُقَابِلُوا النِّعْمَ بِالشُّكْرِ، بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ.

قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ اللام: لام العاقبة والصيرورة، وقوله: ﴿وَلِيَسْتَمْنَعُوا﴾ عطف عليه.

قوله: (وفي قراءة بسكون اللام) أي: فهما قراءتان سبعتان^(١).

قوله: (أمر تهديد) أي: في الفعلين؛ بدليل الوعيد المرتب عليهما بقوله: ﴿فُسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾، فالحاصل: أَنَّهُ إِذَا سَكُنَتِ اللَّامُ فِي الثَّانِي.. تَعَيَّنَ كَوْنُهَا لِلْأَمْرِ فِي الْفَعْلَيْنِ، وَإِنْ لَمْ تُسَكَّنْ.. كَانَتْ فِي الْفَعْلَيْنِ لِلْعَاقِبَةِ وَالصَّيْرُورَةِ.

(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم وورش بكسر اللام، والباقون بسكونها. انظر «الدر المصون» (٩/٢٧).

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

﴿٦٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا: يَعْلَمُوا ﴿أَنَا جَعَلْنَا﴾ بَلَدَهُمْ مَكَّةَ ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قِتْلًا وَسَبِيًّا دُونَهُمْ؟ ﴿أَفِالْبَاطِلِ﴾: الصُّنَمِ ﴿يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ بِإِسْرَاحِهِمْ؟ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ أَي: لَا أَحَدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِأَن أُشْرِكَ بِهِ، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾: النَّبِيِّ أَوْ الْكِتَابِ ﴿لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مَأْوًى ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ أَي: فِيهَا ذَلِكَ، وَهُوَ مِنْهُمْ.

﴿٦٩﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا: فِي حَقِّنا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أَعْمُوا فلم يروا... إلخ؟!.

قوله: ﴿وَيُخَاطَفُ النَّاسُ﴾ الجملة حالية على تقدير المبتدأ؛ أي: وهم يُخَاطَفُ... إلخ.

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ قال المفسِّرون: إِنَّ هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد؛ لكونها مكيَّة، وحيثُذ: فالمرادُ بالجهاد فيها: جهادُ النفس.

قال الحسن: الجهاد: مخالفة الهوى. وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به. وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وقيل: والذين جاهدوا فيما عملوا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا؛ لما في الحديث: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمَ.. عِلْمَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(١).

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال السيوطي في «الدرر المنتشرة» (ص ١٩٢): (وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس مرفوعاً: «مَنْ تَعْلَمَ عِلْمًا فَعَمِلَ بِهِ.. كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْلِمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ»، وفي كتاب «رواية الكبار عن الصغار» لأبي يعقوب البغدادى عن سفيان: «مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ.. وَفُقَ لِمَا لَا يَعْلَمُ».)

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طُرُقَ السَّيْرِ إِلَيْنَا، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾: الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ وَالْعَوْنِ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طُرُقَ الوصولِ إِلَى مَرْضَاتِنَا، فالطريق هي: العمل بالأحكام الشرعية، وثمرتها الحقيقة، وهي: العلوم والمعارف المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

قوله: ﴿لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمَر؛ لإظهار شرفهم بوصف الإحسان، والمعنى: وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَهُم بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ وَالْمَحَبَّةِ، فهي معية خاصة، وإليها الإشارة بقوله ﷺ في الحديث القدسي: «إِذَا أَحَبَّيْتَهُ... كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ...» الحديث^(١).



(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

﴿الْم ١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾



مَكِّيَّةٌ، وهي سِتُّونَ أو تِسْعٌ وخَمْسُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ الله أعلم بِمُرَادِهِ بِهِ.

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ الرُّومِ

مبتدأ، و«ستون» خبر أول، و«مكية» خبر ثان، وظاهر المفسر أن كلها مكِّيَّة، وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿فَسُبِّحَنَّ اللَّهُ حِينَ تُسْوَبُ...﴾ الآية^(١).

قوله: (الله أعلم بمُرَادِهِ بذلك) تقدّم أن هذا أصحُّ التفاسير.

قوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ الروم: اسم قبيلة، سُمِّيَتْ باسم جدّها، وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وسُمِّيَ عيصو؛ لأنه كان مع يعقوب في بطن، فعند خروجهما تراحما وأراد كلُّ أن يخرج قبل الآخر، فقال عيصو ليعقوب: إن لم أخرج قبلك وإلا... خرجت من جنبها، فتأخّر يعقوب شفقةً منه؛ فلهذا كان أبا الأنبياء، وعيصو أبا الجبارين.

وسبب نزول هذه الآية: أنه كان بين فارس والروم قتالٌ، وكان المشركون يودّون أن تغلب فارس الروم؛ لأنّ فارس كانوا مجوساً أمّيين، والمسلمون يودّون غلبة الروم على فارس؛ لكونهم أهل كتاب، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم، واستعمل عليهم رجلاً يقال له: شهريزان، وبعث قيصر جيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى بنخنس، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشقّ عليهم، وفرّج به كفار مكة، وقالوا

(١) كذا في «البيضاوي»، وفي «القرطبي»: مكية كلها من غير خلاف. «فتوحات» (٣/٤٠٥).

وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، غَلَبَتْهَا فَارِسٌ وَلَيْسُوا أَهْلُ كِتَابٍ

حاشية الصاوي

للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وفارس أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا . . لنظهرن عليكم، فأنزل الله هذه الآيات^(١).

فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال: فرحتم بظهور إخوانكم، فلا تفرحوا، فوالله لنظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبيُّنا ﷺ، فقام إليه أبيُّ بن خلف الجمحي وقال: كذبت، فقال له الصديق: أنت كذبت يا عدو الله، فقال: اجعل أجلاً أناحبك - أي: أقامرك وأراهنك - عليه، فراهنه على عشر قلائص منه، وعشر قلائص من الآخر، فقال أبيُّ: إن ظهرت الروم على فارس . . غرمتُ ذلك، وإن ظهر فارس على الروم . . غرمتُ لي، ففعلوا وجعلوا الأجلَ ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، وكان ذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: «ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر، وما دده في الأجل»، فخرج أبو بكر، فلقي أبيًّا، فقال: لعلك ندمت؟ فقال: لا، فتعال أزايدك في الخطر وأمددك في الأجل، فاجعلها مئة قلوص ومئة قلوص إلى تسع سنين - وقيل: إلى سبع - فقال: قد فعلتُ، فلما خشي أبيُّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة . . أتاه ولزمه وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة، فأقم لي كفيلاً، فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر، فلمَّا أراد أبيُّ بن خلف أن يخرج إلى أحد . . أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال: لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً، ثم خرج إلى أحد، ثم رجع أبيُّ بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي ﷺ إياها حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك على رأس سبع سنين من مناجبتهم - وقيل: كان يوم بدر - وربطت الروم خيولهم بالمدائن، وبنوا بالعراق مدينة وسموها روميَّة، فأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثته، وجاء به إلى النبي ﷺ، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له النبي ﷺ: «تصدَّق بها»^(٢).

قوله: (وهم أهل كتاب) أي: نصارى، فنصرهم علامة على نصره النبي ﷺ وأصحابه، وقوله: (ليسوا أهل كتاب) أي: بل هم مجوس، فنصرهم علامة على نصر كفار مكة؛ فكلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون.

(١) انظر «زاد المسير» (٣/٤١٥).

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» (٦/٢٥٧)، وبنحوه الترمذي (٣١٩٣) عن سيدنا ابن عباس رضيهما.

فِي آذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ
وَمِنْ بَعْدُ

بَلْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَفَرِحَ كُفَّارُ مَكَّةَ بِذَلِكَ وَقَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ: نَحْنُ نَغْلِبُكُمْ كَمَا غَلَبَتْ
فَارِسُ الرُّومِ.

﴿٣﴾ فِي آذَى الْأَرْضِ ﴿٣﴾ أَي: أَقْرَبِ أَرْضِ الرُّومِ إِلَى فَارِسِ بِالْجَزِيرَةِ، التَّقَى فِيهَا
الْجَيْشَانِ، وَالْبَادِئُ بِالْغَزْوِ الْفُرسَ، ﴿وَهُمْ﴾ أَي: الرُّومِ ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أُضِيفَ الْمَصْدَرُ
إِلَى الْمَفْعُولِ أَي: غَلَبَ فَارِسُ إِيَّاهُمْ ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فَارِسَ.

﴿٤﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿٤﴾ هُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ أَوْ الْعَشْرِ، فَالتَّقَى الْجَيْشَانِ
فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْإِلْتِقَاءِ الْأَوَّلِ وَغَلَبَتْ الرُّومُ فَارِسَ، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾
حَاشِيَةُ الصَّائِبِ

قوله: (بل يعبدون الأوثان) أي: التي من جملتها النار.

قوله: (وقالوا للمسلمين... إلخ) هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة.

قوله: (أقرب أرض الروم) أي: ﴿فِي آذَى﴾ أفعل تفضيل، و(أل): عوض عن المضاف إليه.

قوله: (بالجزيرة) المراد بها: ما بين دجلة والفرات، وليس المرادُ بها جزيرة العرب.

قوله: ﴿وَهُمْ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ خبره.

قوله: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ متعلق بـ(يغلبون)، وهو على حذف مضاف؛ أي: في انتهاء بضع
سنين، وأبهم البضع؛ لإدخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت.

قوله: (فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول) أي: يومَ بدر إن كانت الواقعة
الأولى قبل الهجرة بخمس سنين، أو يومَ الحديبية إن كانت الأولى قبل الهجرة بسنة، والمراد
بالجيشين: جيش كسرى، وجيش قيصر ملك الروم، فأقبل في خمس مئة ألف رومي إلى الفرس،
وغلبوهم، ومات كسرى ملك الفرس.

قوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ أي: لا لغيره.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ القراءة المشهورة ببناء (قبل) و(بعد) على الضم؛ لحذف المضاف

ونبّه معناه.

وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾
وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

أي: من قبل غلبِ الروم ومن بعده، المعنى: أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً بأمرِ الله
أي: إرادته، ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ تغلبُ الرومُ ﴿يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٥﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ ﴿إِيَّاهُمْ﴾ على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يومَ وقوعه يومَ بدر
ينزول جبريل بذلك مع فرحهم ينصُرهم على المشركين فيه ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ
الْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

﴿٦﴾ وَعَدَ اللَّهُ ﴿مَصْدَرٌ بَدَلٌ مِنَ اللَّفْظِ بِفِعْلِهِ، وَالْأَصْلُ: وَعَدَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ، لَا يَخْلِفُ
اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ به، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كُفَّار مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده تعالى ينصُرهم.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: من قبل غلبِ الروم) أي: من قبل كونهم غاليين، وقوله: (ومن بعده) أي: من بعد
كونهم مغلوبين.

قوله: (إن غلبة فارس... إلخ) جوابٌ عما يقال: ما فائدة قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿غَلِبَتْ
الرُّومُ﴾؟ وحاصل الجواب: أنَّ فائدته إظهارُ أنَّ ذلك بأمرِ الله؛ لأنَّ شأنَ مَنْ غَلِبَ بعد كونه مغلوباً
أن يكون ضعيفاً؛ فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم.. لما غلبوا أولاً.

قوله: (أي: يوم تغلبُ الروم) أشار بذلك إلى أن تنوين (يومئذٍ) عوضٌ عن جملة.

قوله: ﴿يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾ أي: فاستبشر المؤمنون بنصر الروم على فارس،
وعلموا أنَّ الغلبة لهم على كفَّار مكة.

قوله: (يوم بدر) هذا أحد قولين، وهو مبنيٌّ على أنَّ الواقعة الأولى كانت قبل الهجرة بخمس
سنين، وقيل: يوم الحديبية بناءً على أنَّ الأولى قبل الهجرة بسنة.

قوله: (مصدر) أي: مؤكِّدٌ لمضمون الجملة التي تقدَّمت، وعامله محذوف؛ أي: وعدهم الله
وعداً.

قوله: (به) أي: بالنصر.

قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لجهلهم وعدم تفكرهم واعتبارهم.

يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

﴿٧﴾ ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: معاشها من التجارة والزراعة والبناء والعُرس وغير ذلك، ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ - إعادة (هم) تأكيد ..

﴿٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم، ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك نفى عند انتهائه وبعده البعث، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

﴿٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، وهي

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ (أي: الأكثر).

قوله: ﴿ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (أي: وأما باطناً منها وهو كونها مجازاً إلى الآخرة يتزود فيها بالأعمال الصالحة .. فليس لهم به علم).

قوله: (أعاده^(١)) أي: لفظ (هم).

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ (الهمزة داخله على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أعموا ولم يتفكروا؟).

قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (أي: بالحكمة، لا عبثاً).

قوله: (نفى عند انتهائه) أي: تنعدم السماوات والأرض وما بينهما عند انقضاء ذلك الأجل.

قوله: ﴿بِلِقَائِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿كَافِرُونَ﴾، واللام غير مانعة من ذلك؛ لوقوعها في غير محلها، وهو خبر (إن).

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الهمزة داخله على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أقعدوا ولم يسيروا؟ والاستفهام للتوبيخ، والجملة معطوفة على جملة: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ عطف سبب على مسبب؛ لأن السير سبب للتفكير.

(١) كذا في (أ)، ولعل نسخة المصنف: (أعاده تأكيداً)، وفي (ط) (٢): (إعادة) وهي الموافقة لنسخ الجلال: (إعادة هم) تأكيد).

كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْءَى

إِهْلَاكُهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كَعَادِ وَثَمُودَ، ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾:
حَرَّتُوهَا وَقَلَّبُوهَا لِلزَّرْعِ وَالْغَرْسِ، ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أَي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿وَحَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالْحُجَجِ الظَّاهِرَاتِ، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بِإِهْلَاكِهِمْ بِغَيْرِ جُرْمٍ،
﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ.

﴿١٠﴾ ثُمَّ كَانَ عَقِبُهُ الَّذِينَ آسَفُوا السَّوْءَ: تَأْنِيثُ (الْأَسْوَ): الْأَقْبَحُ - حَبَرَ ﴿كَانَ﴾
 عَلَى رَفَعٍ ﴿عَقِبَهُ﴾، وَاسْمُ ﴿كَانَ﴾ عَلَى نَصْبٍ ﴿عَقِبَهُ﴾ -

حاشية الصاوى

قوله: ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾ بالقصر لعامة القراء، وقرئ شذوذاً: (وَأَنَارُوا) بألف بعد الهمزة^(١).

قوله: ﴿أَكْثَرُ مِمَّا عَمُرُوها﴾ نعتٌ لمصدر محذوف؛ أي: عمارةٌ أكثر من عمارتهم.

قوله: ﴿وَحَآءَ تَحْمُ رُسُلَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: فَلَمْ يُدْعِنُوا لَهَا، بَلْ كَذَّبُوا بِهَا.

قوله: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي: يُعاملهم معاملة ملك ظالم جبار، بل ملك عدل رحيم، وعلى فرض أخذهم من غير جرم لا يكون ظالماً؛ إذ لا مُشارك له في خلقه، ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه ما لا يلزمه.

قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَهُ الَّذِينَ اسْتَوْا السَّوَاءَ﴾ بيان لعاقبة أمرهم إثر بيان حالهم في الدنيا.

قوله: (خبر ﴿كَانَ﴾ على رفع ﴿عَقِبَةَ﴾) أي: و﴿عَقِبَةُ﴾: اسمها، وهي مضاف للموصول، و﴿أَسْتَوَى﴾: صلته، و﴿الْأَسْوَى﴾: صِفة لموصوف محذوف؛ أي: المجازاة السوَّى، وهي جهنم، خبر ﴿كَانَ﴾.

وقوله: (واسم ﴿كَانَ﴾ على نصب ﴿عَقِبَةَ﴾) أي: فـ ﴿الْأَسْوَأَى﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، و﴿عَقِبَةَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدّم، وعلى كل: فقوله: ﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ خبر لمحذوف، تقديره: وإساءتهم أن كذبوا،

(١) وهي قراءة أبي جعفر؛ كما في «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (١٦٣/٣).

أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

والمُرَادُ بِهَا جَهَنَّمُ، وإِسَاءَتُهُمْ ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

(١١ - ١٢) ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي: يُنْشِئُ خَلْقَ النَّاسِ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: خَلَقَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ - بِالْيَاءِ وَبِالتَّاءِ -
حاشية الصاوي

فهي جملة مُستأنفة بيانٌ لصلّة الموصول، فيصح الوقف على ﴿الشَّوْائِ﴾، هذا ما اختاره المفسّر من أوجه شئى، وهو أنورها^(١). وذُكِرَ الفعل؛ لأنَّ اسم (كان) على كلِّ مجازي التانيث.

قوله: (المراد بها) أي: السوأي.

قوله: (أي: بأن ﴿كَذَّبُوا﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على تقدير الباء، وهي للسببية.

قوله: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ عبّر بالمضارع؛ إشارةً إلى أن البدء متجدّد شيئاً فشيئاً ما دامت الدنيا.

قوله: (أي: ينشئ خلق الناس) أي: يُظْهِرُهُم من العدم.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالرفع، والباقون بالنصب؛ فالرفع على أنها اسم (كان)، وذُكِرَ الفعل؛ لأن التانيث مجازي، وفي الخبر حيثنذ وجهان: أحدهما: (السوأي) أي: الفعلة السوأي، أو الحصلة السوأي، والثاني: (أن كذبوا) أي: كان آخر أمرهم التكذيب؛ فعلى الأول: يكون في (أن كذبوا) وجهان: أحدهما: أنه على إسقاط الخافض؛ إما لام العلة؛ أي: لأن كذبوا، وإما باء السببية؛ أي: بأن كذبوا، فلمّا حذف الحرف... جرى القولان المشهوران بين الخليل وسيبويه في محل (أن)، والثاني: أنه بدل من (السوأي) أي: ثم كان عاقبتهم التكذيب، وعلى الثاني: يكون (السوأي) مصدرًا لـ (أساؤوا)، أو يكون نعتاً لمفعول محذوف؛ أي: أساؤوا الفعلة السوأي. وجوّز بعضهم أن يكون خبر (كان) محذوفاً للإبهام، والسوأي: إما مصدر، وإما مفعول كما تقدم؛ أي: اقترفوا الخطيئة السوأي؛ أي: كان عاقبتهم الدمار.

وأما النصب فعلى خبر (كان)، وفي الاسم وجهان: أحدهما: السوأي؛ أي: كانت الفعلة السوأي عاقبة المسيئين، و(أن كذبوا) على ما تقدّم، والثاني: أن الاسم (أن كذبوا)، والسوأي: على ما تقدّم أيضاً. انظر «الدر المصون» (٣٤/٩).

(٢) قرأ أبو عمرو وشعبة بالياء على الغيبة على النسق الماضي، والباقون بالتاء على الخطاب. انظر «السراج المنير» (١٥٩/٣).

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾: يَسْكُتُ الْمُشْرِكُونَ لِانْقِطَاعِ حُجَّتِهِمْ.

﴿١٣﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ﴾ أَي: لَا يَكُونُ ﴿لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ مِمَّنْ أَشْرَكُوهُمْ بِاللَّهِ وَهُمْ الْأَصْنَامُ لِيَشْفَعُوا لَهُمْ ﴿شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا﴾ أَي: يَكُونُونَ ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أَي: مُتَبَرِّئِينَ مِنْهُمْ.
(﴿١٤﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾ - تَأْكِيد - ﴿يُنْفِرُونَ﴾ أَي: الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ؛ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: جَنَّةٌ ﴿يُحْبَرُونَ﴾: يُسْرُونَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾) أَي: وهو يوم الإعادة.

قوله: (يسكت المشركون) أَي: عن جوابٍ يدفع عنهم العذاب.

قوله: (أَي: لا يكون) أشار بذلك إلى أَنَّ الماضي بمعنى المضارع؛ لأنَّ المنفي بـ(لم) ماضي المعنى.

قوله: ﴿بِشُرَكَائِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿كَافِرِينَ﴾.

قوله: (تأكيد) أَي: لفظي.

قوله: (أَي: المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله أولاً: ﴿اللَّهُ يَبْدُؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾.

قوله: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾) الروضة: كلُّ أرضٍ ذات نبات وماء ورونق ونضارة.

قوله: ﴿يُحْبَرُونَ﴾) أَي: يُكْرَمُونَ وَيَنْعَمُونَ بما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين، روي: «أَنَّ فِي الْجَنَّةِ أَشْجَاراً عَلَيْهَا أَجْرَاسٌ مِنْ فِضَّةٍ، فَإِذَا أَرَادَ أَهْلُ الْجَنَّةِ السَّمَاعَ.. بَعَثَ اللَّهُ رِيحاً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَتَقَعَ فِي تِلْكَ الْأَشْجَارِ، فَتَحَرَّكَ تِلْكَ الْأَجْرَاسُ بِأَصْوَاتٍ لَوْ سَمِعَهَا أَهْلُ الدُّنْيَا لَمَاتُوا طَرِباً»^(١).

(١) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٩٧/٧) من حديث عبد الله بن عرادة الشيباني عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم، وذكره الزمخشري في «كشافه» (٤٧٧/٣).

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَنَ
 اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ
 تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: الْقُرْآنِ ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾: الْبَعْثِ وَغَيْرِهِ ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي
 الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿فَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾ أي: سَبِّحُوا اللَّهَ بِمَعْنَى: صَلُّوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي: تَدْخُلُونَ
 فِي الْمَسَاءِ، وَفِيهِ صَلَاتَانِ الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: تَدْخُلُونَ فِي الصُّبْحِ، وَفِيهِ
 صَلَاةُ الصُّبْحِ.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعْتِرَاضٌ، وَمَعْنَاهُ: يَحْمَدُهُ أَهْلُهُمَا، ﴿وَعَشِيًّا﴾
 - عَطَفَ عَلَى ﴿حِينَ﴾ - وَفِيهِ صَلَاةُ الْعَصْرِ، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: تَدْخُلُونَ فِي الظُّهْرِ وَفِيهِ
 صَلَاةُ الظُّهْرِ.

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مقابل قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

قوله: (وغيره) أي: كالجنة والنار.

قوله: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ أي: حاضرون.

قوله: ﴿فَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾... إلخ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر أولاً أنه يبدأ
 الخلق ويعيده، وأن الخلق يكونون فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.. ذكر هنا أنه منزلة
 عن النقائص؛ إشارة إلى أن تسييحه وتحميده وسيلتان للنجاة من العذاب، وحلول دار الثواب.

قوله: (بمعنى: صلوا) إنما فُسِّرَ التسييح بالصلاة؛ لأن التنزيه يكون باللسان والأركان، ولا شيء
 أجمع لذلك كله من الصلاة.

قوله: (أي: تدخلون في المساء) أشار بذلك إلى أن ﴿تُمْسُونَ﴾ و﴿تُصْبِحُونَ﴾ إعلان تامان.

قوله: (وفيه صلاتان... إلخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية جمعت الصلوات الخمس، وخصَّها
 بالذكر دون سائر العبادات؛ لأنها عماد الدين، من أقامها.. فقد أقام الدين.

قوله: (اعتراض) أي: بين المعطوف والمعطوف عليه، والحكمة في ذلك: الإشارة إلى أن
 التوفيق للعبادة نعمة ينبغي أن يُحَمَّدَ عليها.

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْحَيَّ وَيُمِيتُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

﴿١٩﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ ﴿﴾ كالإنسانِ مِنَ النُّطْفَةِ وَالطَّائِرِ مِنَ الْبَيْضَةِ، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ﴾: النُّطْفَةُ وَالْبَيْضَةُ ﴿مِنَ الْحَيِّ وَيُمِيتُ الْأَرْضَ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أَي: يُبْسِئُهَا، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الْإِخْرَاجُ ﴿تُخْرَجُونَ﴾ مِنَ الْقُبُورِ، - بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ - .
﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴿تَعَالَى الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِهِ﴾ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴿أَي: أَصْلَحَكُمْ آدَمَ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ مِنْ دَمٍ وَلَحْمٍ ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (أَي: فَالْقَادِرُ عَلَى إِخْرَاجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَعَكْسِهِ، وَإِحْيَاءِ الْأَرْضِ . . قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْخَلْقِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ؛ فَفِي ذَلِكَ رَدٌّ عَلَى مُنْكَرِي الْبَعْثِ .
قوله: (لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ) أَي: فَهَمَا قَرَأَتَانِ سَبْعَتَانِ^(١) .
قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ (شُرُوعٌ فِي ذِكْرِ جُمْلَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وذكر لفظ (من آيات) ستّ مرات، تنتهي عند قوله: ﴿إِذَا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾، وابتدأها بذكر خلق الإنسان، ثم بخلق العالم علويًا وسفليًا؛ إشارةً إلى أَنَّ الإنسانَ هو المنتفع بها، والحكمةُ في ذكر تلك الآيات: ليهتدي بها من أراد الله هدايته، وتقوم الحجة على مَنْ لم يهتد .
قوله: (أَي: أَصْلَحَكُمْ آدَمَ) أشار بذلك إلى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَيَصِحُّ أَنْ يَبْقَى الْكَلَامُ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ لِأَنَّ النُّطْفَةَ نَاشِئَةً مِنَ الْغِذَاءِ، وَهُوَ نَاشِئٌ مِنَ التُّرَابِ .
قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ (عَبَّرَ بِـ(ثُمَّ)؛ إِشَارَةً إِلَى تَرَاخِي أَطْوَارِهِ؛ لِكَوْنِهِ أَوَّلًا نُّطْفَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ عِلْقَةً إِلَى آخِرِ أَطْوَارِهِ، وَأَتَى بَعْدَهَا بِـ(إِذَا) الْفَجَائِيَّةِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَفْصَلْ بَيْنَ تِلْكَ الْأَطْوَارِ وَبَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ فَاصِلٌ وَإِنْ كَانَ الْكَثِيرُ الْإِتْيَانُ بِهَا بَعْدَ الْفَاءِ .

(١) قرأ الأخوان وخلف وابن ذكوان بخلف عنه بفتح التاء وضم الراء، والباقون بضم التاء وفتح الراء، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان، هذا ما يؤخذ من «الشاطبية» لابن ذكوان، ولكن الذي حققه صاحب «النشر»: أن طريق الأخفش وهي طريق «الشاطبية» بفتح التاء وضم الراء، وقال: لا ينبغي أن يؤخذ من التيسير بسواه. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٤٨).

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٢١﴾ فَخُلِقَتْ حَوَاءٌ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ، وَسَائِرُ النَّاسِ مِنْ نُطْفِ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ﴿٢١﴾ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴿٢١﴾ وَتَأْلُفُوهَا، ﴿٢١﴾ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ ﴿٢١﴾ جَمِيعاً ﴿٢١﴾ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴿٢١﴾ الْمَذْكُورِ ﴿٢١﴾ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ فِي صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾ (أي: زوجات).

قوله: (من ضلع آدم) أي: الأيسر القصير وهو نائم، فلمَّا استيقظ ورآها.. مال إليها، فقالت له الملائكة: مه يا آدم حتى تؤدِّي مهرها، فقال: وما مهرها؟ ف قيل له: أن تصلي على محمد ﷺ^(١).
قوله: (وسائر النساء) أي: باقيهن.

قوله: ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (أي: قيل: المراد بالمودة: الجماع، والرحمة: الولد، وقيل: المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة؛ فإذا تخلف هذا الأمر؛ بأن لم توجد بينهما محبة ولا مودة.. فالمناسب المفاصلة).

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ (أي: فيما ذكر من خلقهم من تراب، وخلق أزواجهم من أنفسهم، واللقاء المودة والرحمة بينهم).

قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (أي: يتأملون في تلك الأشياء؛ ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الإيمان، سيما إذا تأمل في خلق الله إياه من نطفة، ثم جعله بشراً سوياً، ثم جعل له زوجة من جنسه، ولم تكن جنينة ولا بهيمة، وأسكن بينهما المحبة والشفقة، وإذا أراد جماعها زينها له، وجعل بينهما اللذة، فإذا نزلت النطفة منه.. جعلها راحة له، وخلق منها بشراً سوياً، وغير ذلك من أنواع التفكرات، فإذا تأمل الإنسان في ذلك.. كان سبباً في زيادة معارفه وأدبه مع ربه؛ ولذا قال بعض العارفين: لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول إلى الله تعالى، ومنه: ما روي: «حُبُّ إِلَهِي مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثَ: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»^(٢).

(١) ذكره ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص ٣٠٧).

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (٦١/٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ: «حُبُّ إِلَهِي النَّسَاءَ وَالطِّيبَ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴿٢٢﴾ أي: لغاتكم من عَرَبِيَّةٍ
وَعَجَمِيَّةٍ وَغَيْرِهِمَا، ﴿وَالْوَنُكْمُ﴾ من بياضٍ وسوادٍ وَغَيْرِهِمَا، وأنتم أولادُ رَجُلٍ وَاحِدٍ وامرأةٍ
وَاحِدَةٍ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ - يَفْتَحِ اللَّامَ
وَكَسْرَهَا - أي: ذَوِي الْعُقُولِ وَأُولِي الْعِلْمِ.

﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: إنشاؤهما من العدم إلى الوجود.
قوله: (أي: لغاتكم) أي: بأن خلق فيكم علماً ضرورياً تفهمون بها لغاتكم ولغات بعضكم على
اختلافها.
قوله: ﴿وَالْوَنُكْمُ﴾ أي: فجعلكم ألواناً مختلفة؛ منكم الأبيض والأسود والمتوسط، وغازير بين
أشكالكم، حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان في شيء من ذلك وإن كانا في غاية
التشابه.

وإنما قرن هذا بخلق السماوات والأرض وإن كان من جملة خلق الإنسان؛ إشارة إلى أنه آية
مستقلة دالة على وحدانية الصانع.

قوله: (بفتح اللام وكسرهما) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أي: ذوي العقول وأولي العلم) أي: وهم أهل المعرفة الذين لا تحجبهم المصنوعات
عن صانعها، بل يشهدون الصانع في المصنوعات، قال العارف^(٢): [المقارب]

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

قوله: ﴿مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ قيل: في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: ومن آياته منامكم

(١) قرأ حفص بكسر اللام، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٩/٣٧).

(٢) البيت لأبي العتاهية في «ديوانه» (ص ٤٥) من قصيدة مطلعها:

أَلَا إِنَّنَا كُنَّا بَائِدٌ وَأَيُّ بَنِي آدَمَ خَالِدٌ؟

وَابْتَغَاؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ

بِإِرَادَتِهِ رَاحَةً لَّكُمْ، ﴿وَابْتَغَاؤُكُمْ﴾ بِالنَّهَارِ ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ أَي: تَصَرُّفُكُمْ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ بِإِرَادَتِهِ، ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعَ تَدَبُّرٍ وَاعْتِبَارٍ.

﴿٢٤﴾ ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ﴾ أَي: إِرَاءَتُكُمْ ﴿الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ لِلْمُسَافِرِ مِنَ الصَّوَاعِقِ، ﴿وَطَمَعًا﴾ لِلْمُقِيمِ فِي الْمَطَرِ، ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أَي: يُبْسِئُهَا بِأَنْ تُثَبَّتَ، ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

﴿٢٥﴾ ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾: بِإِرَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ بِأَنْ يَنْفُخَ إِسْرَافِيلُ
.....

حاشية الصاوي

بالليل، وابتغواؤكم من فضله بالنهار، حذف حرف الجر؛ لاتصاله بالليل، والأحسن أن يبقى على حاله^(١)، والنوم بالنهار من جملة النعم لا سيما في أوقات القيلولة في البلاد الحارة.

قوله: (بإرادته) أي: فلا قدرة لأحد على اجتلابه.

قوله: (راحة لكم) أي: من آثار التعب الحاصل لكم.

قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ غاير بين رؤوس الآي تفنُّناً؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْعَقْلِ هُم أَهْلُ الْفِكْرِ وَالسَّمْعِ.

قوله: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ الجارُّ والمجرور خبر مقدم، و﴿يُرِيكُمُ﴾: مؤوَّل بمصدر، مبتدأ مؤخر، وحذفت (أن) من الفعل؛ لدلالة ما قبله وما بعده عليه، وهكذا يقال فيما تقدَّم وما يأتي.

قوله: ﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: تثبت وتستقر.

قوله: (من غير عمد) بفتحيتين: اسم جمع لعمود، وقيل: جمع له، أو ضمَّتين: جمع عمود

ك: رُسُل ورسول.

قوله: ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ متعلق بـ﴿دَعَاكُم﴾^(٢).

(١) أي: بلا تقدير، ويكون المعنى والله أعلم: ومن آياته منامكم في الزمانين، وابتغواؤكم فيهما.

(٢) أو أنه متعلق بمحذوف صفة لـ (دعوة)، أو بمحذوف يدل عليه (تخرجون) أي: خرجتم من الأرض، ولا جائز

أن يتعلق بـ (تخرجون)؛ لأن ما بعد (إذا) لا يعمل فيما قبلها. انظر «الدر المصون» (٣٩/٩).

إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَنْثُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

في الصُّور لِلْبَعْثِ مِنَ الْقُبُورِ ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ مِنْهَا أَحْيَاءٌ، فَخُرُوجُكُمْ مِنْهَا بِدَعْوَةٍ مِنْ آيَاتِهِ تَعَالَى.

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكاً وَخَلْقاً وَعَبِيداً، ﴿كُلُّ لَهُ قَنْثُونَ﴾: مُطِيعُونَ.

﴿٢٧﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ لِلنَّاسِ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ، ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ مِنَ الْبَدْءِ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ مِنْ أَنَّ إِعَادَةَ الشَّيْءِ أَسْهَلُ مِنْ ابْتِدَائِهِ، وَإِلَّا فَهُمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى سَوَاءٌ فِي السَّهُولَةِ، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: الصِّفَةُ الْعُلْيَا

حاشية الصاوي

قوله: (في الصور) أي: نفخة البعث، فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها؛ لأنَّ فيه طاقات بعدد الأرواح، فتجتمع فيه ثم تخرج بالنفخة دفعة واحدة، فلا تخطئ روحٌ جسدها.

قوله: ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ عبَّرَ في ابتداء خلق الإنسان بـ(ثم) حيث قال: ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ وتركها من هنا؛ لأنه في ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخي؛ لكونه على أطوار مختلفة، بخلاف الإعادة فلا تدريج فيها، بل تحصل دفعة واحدة.

قوله: (مطيعون) أي: لأفعاله طاعة انقياد، لا طاعة عبادة، وقيل: المعنى: قائمون للحساب، وقيل: مُقَرَّرُونَ بالعبودية إمَّا باللسان أو الحال.

قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ الضمير عائدٌ على الإعادة المفهومة من قوله: ﴿يُعِيدُهُ﴾، وذكر الضمير مراعاةً للخبر.

قوله: (بالنظر إلى ما عند المخاطبين) أي: فهو مبنيٌّ على ما تقتضيه عقولهم؛ لأنَّ مَنْ أعاد منهم شيئاً.. كان أهونَ عليه وأسهل من إنشائه، وهو جوابٌ عمَّا يقال: إِنَّ أفعال الله كُلُّهَا متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى. وأجيب أيضاً: بأنَّ اسم التفضيل ليس على بابه؛ فـ﴿أَهْوَتْ﴾ بمعنى: هيِّن. قوله: (أي: الصفة العليا) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿الْمَثَلُ﴾ بمعنى الصفة، و﴿الْأَعْلَى﴾ بمعنى العليا؛ أي: المرتفعة المنزهة عن كلِّ نقص.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ

وهي أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خَلْقِهِ.

﴿٢٨﴾ ﴿ضَرَبَ﴾: جَعَلَ ﴿لَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ ﴿مَثَلًا﴾ كَأَنَّهَا ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهو: ﴿هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: مِنْ مَمَالِيكِكُمْ ﴿مِنْ شُرَكَاءَ﴾ لَكُمْ ﴿فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾ مِنْ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا، ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وَهُمْ ﴿فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أَمْثَالَكُمْ مِنْ الْأَحْرَارِ - وَالْأَسْتَفْهَامِ

حاشية الصاوي

قوله: (وهي أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(١)) أي: فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولوازمها من كلِّ كمال، والتَّنْزِيهِ عن كلِّ نقص.

قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ أي: صفة وشكلاً تَقْيِسُونَ عليه.

قوله: (كَأَنَّهَا ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾) أشار بذلك إلى أَنَّ (مِن) ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لـ ﴿مَثَلًا﴾.

قوله: ﴿هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ﴾... إلخ ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام، و﴿لَكُمْ﴾: خبر مقدَّم، و﴿شُرَكَاءَ﴾: مبتدأ مؤخَّر، و﴿مِن﴾: زائدة، و﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: حال من ﴿شُرَكَاءَ﴾؛ لكونه نعت نكرة قدَّم عليها، و﴿مِن﴾: تبعيضية، فتحصَّل أَنَّ (مِن) الأولى ابتدائية، والثانية تبعيضية، والثالثة زائدة.

قوله: ﴿﴿فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾﴾ أي: مَلَكْنَاكُمْ، وأشار بذلك إلى أَنَّ الرزق حقيقة لله تعالى. وإيضاح هذا المثل أن يقال: إذا لم يصحَّ أن تكون مَمَالِيكِكُمْ شركاء فيما بأيديكم من رزق الله.. فلا يصح بالأولى جعل بعض مَمَالِيكِ اللَّهِ شركاء فيما هو له حقيقة.

قوله: ﴿﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾﴾ أي: مُسْتَوُونَ معهم في التَّصَرُّفِ على حُكْمِ عَادَةِ الشُّرَكَاءِ.

قوله: ﴿﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾﴾ من جملة المنفي، فهو مرْتَبٌ عليه، فالمراد: نفي الثلاثة: الشركة، والاستقامة مع العبيد، وخوفهم كخوف أنفسكم، والمعنى: أنتم تَنفُونَ عنهم الأوصاف الثلاثة من أجل كونهم مَمَالِيكِ لَكُمْ؛ فكيف تثبتون تلك الأوصاف لبعض مَمَالِيكِ اللَّهِ؟!

(١) في (ط ٢): (وهي أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وهي الموافقة لِنُسخِ الجلال.

كَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْهَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

بِمَعْنَى النَّفْيِ - الْمَعْنَى: لَيْسَ مَمَالِيكُكُمْ شُرَكَاءَ لَكُمْ إِلَى آخِرِهِ عِنْدَكُمْ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ بَعْضَ مَمَالِيكَ اللَّهِ شُرَكَاءَ لَهُ؟! ﴿كَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ﴾: نُبَيِّنُهَا مِثْلَ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

﴿٢٩﴾ ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِالْإِشْرَاكِ ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أَي: لَا هَادِيَ لَهُ، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: مَا يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَقْهَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مَائِلًا إِلَيْهِ، أَي: أَخْلِصْ دِينَكَ لِلَّهِ أَنْتَ وَمَنْ تَبِعَكَ، ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾: خَلْقَتُهُ ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وَهِيَ دِينُهُ، أَي: الْإِزْمُوهَا، حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (بمعنى النفي) أي: فهو استفهام إنكاري.

قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: فهذا المثل إنما ينفع العاقل الذي يتدبر الأمور.

قوله: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾... إلخ) إضرابٌ عمّا ذكر أولاً؛ إشارةً إلى أنهم لا حُجةَ لهم في الإشراك، ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم.

قوله: (لا هادي له) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: ﴿فَأَقْهَ وَجْهَكَ﴾ شروعٌ في تسليته ﷺ، والمراد بإقامة الوجه: بذل الهمة ظاهراً وباطناً في الدين.

قوله: (أنت ومن تبعك) أشار بذلك إلى أنَّ الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأُمَّته.

قوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ منصوب بفعل محذوف، قدّره المفسّر بقوله: (الزموها)، وهي ترسم بالتاء المجرورة، وليس في القرآن غيرها، وقوله: (وهي دينه) أي: دين الإسلام، وعلى هذا: فالخلق جميعاً مجبولون على التوحيد يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؛ ولذا قال ﷺ: «كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرّانه»^(١)، وهذا غير ما سبق في علم الله، وأمّا هو فعلم أن قوماً

(١) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

لَا بَدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفِتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ
إِلَيْهِ

﴿لَا بَدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾: لِدِينِهِ، أي: لَا تُبَدِّلُوهُ بِأَنْ تُشْرِكُوا، ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفِتُمْ﴾: الْمُسْتَقِيمِ تَوْحِيدِ اللَّهِ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ تَوْحِيدِ اللَّهِ. ﴿مُنِيبِينَ﴾: رَاجِعِينَ ﴿إِلَيْهِ﴾ تَعَالَى فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، - حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ (أَقِم)

حاشية الصاوي

يكفرون، وقوماً يؤمنون؛ فَمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِيْمَانُهُ.. فقد استمرَّ على فِطْرَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ، وَمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ كُفْرُهُ.. فقد رَجَعَ عَنْ فِطْرَتِهِ وَإِنْ كَانَ سَبَقَ مِنْهُ التَّوْحِيدُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ: الزَّمِ أَنْتَ وَمَنْ تَبِعَكَ الْفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَكَ رَبُّكَ عَلَيْهَا، وَهِيَ التَّوْحِيدُ، وَهَذَا أَحَدُ أَقْوَالِ ثَلَاثَةٍ فِي مَعْنَى الْفِطْرَةِ.

وقيل: المراد بها: الخلقة الأصلية التي ابتدأهم الله عليها من سعادة وشقاوة، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ؛ فَمَنْ ابْتَدَأَ اللَّهُ خَلْقَهُ لِلضَّلَالَةِ.. صَيَّرَهُ إِلَى الضَّلَالَةِ وَإِنْ عَمِلَ بِأَعْمَالِ الْهُدَى وَمَنْ ابْتَدَأَ اللَّهُ خَلْقَهُ لِلْهُدَى.. صَيَّرَهُ إِلَى الْهُدَى وَإِنْ عَمِلَ بِأَعْمَالِ الضَّلَالَةِ.

وقيل: إنها الخلقة والطبيعة التي في نفس الطفل، يكون بها مهياً لمعرفة ربه، ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب؛ كما خلق أَسْمَاعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ قَابِلَةً لِلْمَسْمُوعَاتِ وَالْمَبْصُرَاتِ، فَمَا دَامَتْ بَاقِيَةً عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ أَدْرَكَتِ الْحَقَّ وَدِينَ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَحْجِبُهَا عَنْهُ إِلَّا وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ بَعْدَ الْبُلُوغِ؛ وَلِذَا كَانَ كُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ قَبْلَ بُلُوغِهِ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَهَذَا قَوْلٌ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ.

قوله: (أي: لا تبدلوه) أشار بذلك إلى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَا بَدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾ خبرٌ والمراد منه الأمر.

قوله: (توحيد الله) تفسير لقوله: ﴿ذَلِكَ﴾.

قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله) أي: بل جَهِلُوا ذَلِكَ، فَعَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ.

قوله: (حال من فاعل «أقم») أي: وما بينهما اعتراض^(١).

(١) أو يكون حالاً من فاعل (الزموا) المضمرة؛ أي: الزموها مُنِيبِينَ، أو خبراً لـ (كان) مقدرة؛ أي: كونوا مُنِيبِينَ؛ لدلالة قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾. وانظر «الدر المصون» (٩/٤٤).

وَاتَّقُوا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ
ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مَنَّ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ
وما أريد به - أي: أقيموا ﴿وَاتَّقُوا﴾: خافوه، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ - بَدَل بِإِعَادَةِ الْجَارِّ - ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ بِاخْتِلَافِهِمْ فِيمَا يَعْبُدُونَهُ،
﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾: فَرَقًا فِي ذَلِكَ، ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ مِنْهُمْ ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عِنْدَهُمْ ﴿فَرِحُونَ﴾:
مَسْرُورُونَ، - وفي قِرَاءة: (فَارَقُوا) - أي: تَرَكُوا دِينَهُمُ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ.

﴿٣٣﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿ضُرٌّ﴾: شِدَّةٌ ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ﴾: رَاجِعِينَ
﴿إِلَيْهِ﴾ دُونَ غَيْرِهِ، ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مَنَّ رَحْمَةً﴾ بِالْمَطَرِ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ﴾ أُرِيدَ بِهِ التَّهْدِيدُ،
حاشية الصاوي

قوله: (وما أريد به) أي: بالخطاب؛ فإنه أريد به محمد ومن تبعه.

قوله: (أي: أقيموا) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَاتَّقُوا﴾ عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله.

قوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (أي: فأهل السعادة فرحون بسعادتهم، وأهل الشقاوة فرحون بما زين لهم الشيطان؛ لظنهم أنهم على حق).

قوله: (وفي قراءة: «فارقوا») أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ (إذا): شرطية، وجوابها قوله: ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ﴾، وقوله: (أي: كفار مكة) خص ذلك بهم؛ لأنه سبب النزول، وإلا... فالعبرة بعموم اللفظ.

قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾ (إذا): فجائية قائمة مقام الفاء، فهي رابطة للشرط.

قوله: (أريد به التهديد) أي: فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقريع، على حدّ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾.

(١) وبها قرأ حمزة والكسائي. انظر «السراج المنير» (٣/١٦٨).

فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ سَيَأْتِيَهُمْ شِسَّةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ

﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تمتعكم، - فيه التفات عن الغيبة - .
 ﴿٣٥﴾ ﴿أَمْ﴾ - بمعنى همزة الإنكار - ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: حُجَّةٌ وَكِتَابٌ ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تَكَلَّمَ دَلَالَةً ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ﴾ أي: يَأْمُرُهُم بِالْإِشْرَاقِ؟ لا .
 ﴿٣٦﴾ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾: كُفَّارَ مَكَّةَ وَغَيْرَهُمْ ﴿رَحْمَةً﴾: نِعْمَةً ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ فَرَحَ بَطْرِ، ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ﴾: شِدَّةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: يَيَاسُونَ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَمِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَشْكُرَ عِنْدَ النُّعْمَةِ وَيَرْجُو رَبَّهُ عِنْدَ الشَّدَّةِ .
 ﴿٣٧﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يَعْلَمُوا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يُوسِّعُهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ امْتِحَانًا،

حاشية الصاوي

قوله: (عاقبة تمتعكم) قدره؛ إشارة إلى أن مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ محذوف .
 قوله: (فيه التفات عن الغيبة) أي: إلى الخطاب؛ لأجل المبالغة في زجرهم .
 قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي: فهي مُنْقَطِعَةٌ تَفْسِّرُ تَارَةً بِالْهَمْزَةِ وَحْدَهَا، وَتَارَةً بِالْهَمْزَةِ وَ(بل).
 قوله: ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ داخل في حيز النفي .
 قوله: (أي: يَأْمُرُهُم بِالْإِشْرَاقِ) أشار بذلك إلى أَنَّ (ما)، مصدرية، والأحسن أن يجعلها موصولة؛ أي: بِالْأَمْرِ الَّذِي كَانُوا يَشْرِكُونَ بِسَبَبِهِ .
 قوله: (فرح بطر) أي: عجب وكبر، فيصرفونها فيما يُغضبُه تعالى، ولو فرحوا بها فرح سرور . .
 لصرفوها فيما يُرضيه .
 قوله: ﴿يَقْنَطُونَ﴾ بفتح النون وكسرها، سبعيتان^(١) .
 قوله: (ومن شأن المؤمن) أي: من خصلته وهيئته .
 قوله: (ويرجو ربه عند الشدة) أي: لأنه يشهد أنه لا كاشف لها غيره، ولا رحيم سواه .
 قوله: (امتحاناً) أي: اختباراً؛ لينظر أيشكر أم يطغى .

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون بعد القاف، والباقون بالفتح. انظر «السراج المنير» (٣/ ١٧٠).

وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَاتِ ذَا الْقُرْنَىٰ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُهُ لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

﴿٣٨﴾ فَاتِ ذَا الْقُرْنَىٰ: الْقَرَابَةِ ﴿حَقَّهُ﴾ مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ، ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: الْمُسَافِرِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَأُمَّةُ النَّبِيِّ تَبِعَ لَهُ فِي ذَلِكَ، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أَي: ثَوَابَهُ بِمَا يَعْمَلُونَ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الْفَائِزُونَ.

﴿٣٩﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا بِأَنْ يُعْطِيَ شَيْئًا هَبَةً أَوْ هَدِيَّةً لِّيَطْلُبَ أَكْثَرَ مِنْهُ، فَسُمِّيَ

حاشية الصاوي

قوله: (ابتلاء) أي: فينظر هل يصبر ويرضى أم يضجر ويشكو.

قوله: ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْنَىٰ حَقَّهُ﴾ هذه الآية في صدقة التطوع، لا في الزكاة الواجبة؛ لأنَّ السورة مكية، والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة.

قوله: (القربة) أخذ أبو حنيفة من الآية أنَّ النفقة على الأرحام عموماً واجبة على القادر، وعند مالك والشافعي: النفقة على الأصول والفروع واجبة، وما عدا ذلك مندوب^(١).

قوله: (وأمة النبي... الخ) أشار بذلك إلى أنَّ الأمر وإن كان للنبي فالمراد أمته.

قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الظافرون بمقصودهم.

قوله: ﴿وَمَا آتَيْتُم﴾ بالمد والقصر، قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (بأن تعطوا شيئاً... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ هذه الآية نزلت في هبة الثواب، وهي: أن يريد الرجل بهديته أكثر منها، وهي مكروهة في حقنا، وأما في حقَّه ﷺ. فمحرومة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، والحكم فيها إذا وقعت: أنه إذا شرط عليه الثواب.. لزمه الدفع، وإن لم يشترط عليه.. فلا يلزمه إلا دفع قيمتها إن كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له، لا من نحو غني لفقير.

قوله: (فسمّي) أي: المَعْطَى، وهو الهدية.

(١) انظر «حاشية ابن عابدين» (٦٢٨/٣)، و«المدونة» (٢٦٦/٢)، و«تحفة المحتاج» (٣٤٥/٨).

(٢) قرأ ابن كثير بقصر الهمزة بمعنى: ما جئتم به من إعطاء رياء، والباقون بمدّها. انظر «السراج المنير» (١٧١/٣).

لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ

بِاسْمِ الْمَطْلُوبِ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ، ﴿لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الْمُعْطِينَ أَي: يَزِيدُ ﴿فَلَا يَرْبُوا﴾: يَزْكُو ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَي: لَا ثَوَابَ فِيهِ لِلْمُعْطِينَ، ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾: صَدَقَةٍ ﴿تُرِيدُونَ﴾ بِهَا ﴿وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ ثَوَابَهُمْ بِمَا أَرَادُوهُ، فِيهِ التَّيَفَاتُ عَنِ الْخُطَابِ.

﴿٤٠﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مِمَّنْ أَشْرَكْتُمْ

بِاللَّهِ

حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (باسم المطلوب) أي: الذي يأخذه من المهدى إليه في مقابلة ما أعطاه.

قوله: ﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ أي: في تحصيلها.

قوله: (المعطين) أي: الآخذين للهبة والهدية.

قوله: (أي: لا ثواب فيه للمعطين) أي: الدافعين لما ذكر، فالأول اسم مفعول، والثاني اسم فاعل.

قوله: (صدقة) أي: صدقة تطوع، وعبر عنها بالزكاة؛ إشارة إلى أنها مطهرة للأموال والأبدان والأخلاق.

قوله: ﴿هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ أي: الذين تضاعفت لهم الحسنات.

قوله: (فيه التفتات عن الخطاب) أي: تعظيماً لحالهم، أو قصداً للعموم، كأنه قيل: من فعل ذلك.. فأولئك هم المضعفون.

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وهي تفيد الحصر؛ لكونها معرفة الطرفين.

قوله: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾... إلخ) خبر مقدم، و﴿مِنْ﴾: للتبعيض، و﴿مَنْ يَفْعَلُ﴾: مبتدأ

مؤخر، وقوله: ﴿مِنْ ذَلِكَ﴾: جارٌّ ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿شَيْءٍ﴾؛ لكونه نعت نكرة

تقدم عليها، و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: مفعول ﴿يَفْعَلُ﴾، و﴿مِنْ﴾: زائدة، والتقدير: من الذي يفعل شيئاً من

ذلكم من شركائكم؟ واسم الإشارة يعود على ما ذكر من الأمور الأربعة، وهي الخلق، والرزق،

والإماتة، والإحياء.

مَنْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ

﴿مَنْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ﴾؟ لا، ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿٤١﴾ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ أي: القفار بِقَحْطِ الْمَطَرِ وَقِلَّةِ النَّبَاتِ ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أي: البلاد التي على الأنهار بِقِلَّةِ مَائِهَا، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ مِنَ الْمَعَاصِي؛
حاشية الصاوي

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى﴾ هذا نتيجة ما قبله؛ أي: فإذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله، ولا شريك له في شيء منها.. فالواجب تسييحُه وتنزيهه عن كل نقص.

قوله: (أي: القفار) بكسر القاف جمع (قَفْرٍ)، وهي: الأرض التي لا ماء بها ولا نبات، وأما الْقَفَارُ - بفتح القاف - فهو الخبز الذي لا أَدَمَ معه^(١).

قوله: (بقحط المطر) أي: منعه من النزول.

قوله: (أي: البلاد التي على الأنهار) وقيل: إِنَّ قِلَّةَ الْمَطَرِ كما تؤثر في البر تؤثر في البحر؛ فَتَخْلُو أَجْوَادَ الْأَصْدَافِ، وتعمو دوابُّه^(٢)، فإذا أمطرت السماء.. تَفْتَحُ الْأَصْدَافَ فِي الْبَحْرِ؛ فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ، وتكثر دوابُّ البحر.

قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ الباء: سببية، و(ما): مصدرية؛ أي: بسبب كسبهم.

قوله: (من المعاصي) أي: ومبدؤها قتل قابيل هابيل؛ لأنَّ الأرض كانت قبل ذلك نضرةً مثمرةً، لا يأتي ابنُ آدم شجرةً إلَّا وجد عليها الثمر، وكان البحر عذباً، وكان الأسد لا يَصُولُ على الغنم ونحوها، فلما قتله.. اقشعرت الأرض^(٣)، ونبت الشوك في الأشجار، وصار ماء البحر ملحاً، وتسلَّطت الحيوانات بعضها على بعض.

(١) ومنه: أقفر البيت: إذا خلا من آدم.

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: (وتعمى دوابه)، وفي «القرطبي» (٤٠/١٤): (إذا قلَّ المطر.. قلَّ الغوص عنده، وأخفق الصيادون، وغيمت دواب البحر).

(٣) اقشعرت الأرض: اربدت وتقبضت وتجمعت. «تاج العروس» (٤٢٠/١٣).

لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدَّعُونَ ﴿٤٣﴾

﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ - بِالْيَاءِ وَالنُّونِ - ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: عُقُوبَتَهُ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يَتُوبُونَ.
 ﴿٤٢﴾ ﴿قُلْ﴾ لِكُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ فَأَهْلِكُوا بِإِسْرَاحِهِمْ، وَمَسَاكِنُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ خَاوِيَةً.
 ﴿٤٣﴾ ﴿فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: دِينَ الْإِسْلَامِ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هو يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿يَوْمَئِذٍ يُصَدَّعُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ اللام: للعاقبة والصيرورة، متعلق بقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ...﴾ إلخ، وهذا فيمن أظهر الفساد وتكبر وتجبر وكفر، وإلا... فالمصائب للصالحين رفع درجات، ولعصاة المؤمنين تكفير سيئات.

قوله: (أي: عقوبته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: وهي الدمار والهلاك إن لم يتوبوا، وكذلك يحل بكفار مكة إن لم يتوبوا، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٥].

قوله: ﴿فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأُمَّتُهُ، والمعنى: ابذل همَّكَ في دين الإسلام واشتغل به، ولا تحزن عليهم.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: وأما بعد مجيئه... فلا ينفع العامل عمله، بل كل إنسان يلقي جزاء ما عمله قبل ذلك، قال تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّاءٌ ﴿٤٠﴾ تَرَفَعَهَا قَرَّةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٤١].

قوله: ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ متعلق بـ﴿يَأْتِي﴾.

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُصَدَّعُونَ﴾ التنوين عوض عن جملة؛ أي: يوم إذ يأتي هذا اليوم.

مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ ..

- فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الصَّادِ -: يَتَفَرَّقُونَ بَعْدَ الْحِسَابِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

﴿٤٤﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ: وَبِالْ كُفْرِهِ وَهُوَ النَّارُ، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يُوطَّئُونَ مَنَازِلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ.

﴿٤٥﴾ لِيَجْزِيَ - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ - ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾: يُشَبِّهُهُمْ، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ أَي: يُعَاقِبُهُمْ.

﴿٤٦﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ﴾ تَعَالَى ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بِمَعْنَى: لِيُبَشِّرَكُمْ بِالْمَطَرِ، ﴿وَلِيَذِيقَكُمْ﴾ بِهَا

حاشية الصاوي

قوله: (فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد) أي: فأصله: يتصدعون، أبدلت التاء صاداً وأدغمت في الصاد.

قوله: (يتفرقون بعد الحساب) أي: عند سماع قوله تعالى: ﴿وَأَمْتَرُوا أَلْيَوْمَ أَنَّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

قوله: (وبال كفره) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (يوطئون منازلهم) أي: فالأعمال الصالحة في الدنيا بها تُهيأُ المنازل في الجنة.

قوله: (متعلق بـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾) أي: والتقدير: يتفرقون ليجزي الذين آمنوا من فضله، والذين كفروا بعدله.

قوله: ﴿الرِّيَّاحَ﴾ أي: الشمال والصبأ والجنوب؛ فإنها رياح الرحمة، وأما الدَّبُور.. فهي رياح العذاب، يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ اجعلها رياحاً، ولا تجعلها ريحاً»^(١).

قوله: ﴿وَلِيَذِيقَكُمْ﴾ عطف على ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾، كأنه قال: لِيُبَشِّرَكُمْ وليذيقكم^(٢).

(١) رواه الإمام الشافعي في «المسند» (٨١/١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٣/١١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) وهو عطف على المعنى - المسمى في غير القرآن: عطف التوهم - في المركبات، ويحتمل أن التقدير: وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلها، انظر «مغني اللبيب» (ص ٦٢٣).

مِنْ رَحْمَتِهِ. وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ فَتُنْفِثُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ

﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: الْمَطَرُ وَالْخَصْبُ، ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾: السُّفُنُ بِهَا ﴿بِأَمْرِهِ﴾: بِإِرَادَتِهِ، ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾: تَطْلُبُوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: الرِّزْقَ بِالتَّجَارَةِ فِي الْبَحْرِ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: هَذِهِ النِّعَمُ يَا أَهْلَ مَكَّةَ فَتَوْحِّدُونَهُ.

﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ: بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ فِي رِسَالَتِهِمْ إِلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوهُمْ، ﴿فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: أَهْلَكْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوهُمْ، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: عَلَى الْكَافِرِينَ بِإِهْلَاكِهِمْ وَإِنجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿٤٨﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ فَتُنْفِثُ سَحَابًا: تُزْعِجُهُ، ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (مِنْ): تَبْعِيضِيَّةٌ؛ أَي: بَعْضَ رَحْمَتِهِ.

قوله: (يا أهل مكة) خَصَّصَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ، وَالْأ. . . فَالْعِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا﴾ هذه الآية مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْآيَاتِ الْمُفْصَّلَةِ وَالْمُفْصَّلَةِ؛

لأنَّ قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ﴾ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ ءَايَنَاهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيْحَ﴾، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ: تَسْلِيَتُهُ ﷺ وَتَأْنِيصُهُ؛ حَيْثُ وَعَدَهُ بِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمُومًا.

قوله: ﴿فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ عَطَفَ عَلَى مَحْذُوفٍ، قَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ: (فَكَذَّبُوهُمْ).

قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (كَانَ): فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ، وَ﴿نَصْرُ﴾: اسْمُهَا مُؤَخَّرٌ،

وَ﴿حَقًّا﴾: خَبَرُهَا مُقَدَّمٌ، وَ﴿عَلَيْنَا﴾: مُتَعَلِّقٌ بِ﴿حَقًّا﴾، أَوْ بِمَحْذُوفٍ صِفَةٌ، وَهَذَا وَعْدٌ حَسَنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِهِمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ لَا يَتَخَلَّفُ.

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَهُوَ تَفْصِيلٌ لِمَا أَجْمَلَ أَوَّلًا؛ كَمَا تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ

عَلَيْهِ.

قوله: (تُزْعِجُهُ) أَي: تَهَيِّجُهُ وَتَحْرُكُهُ.

قوله: ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: يَنْشُرُهُ فِي جِهَتِهَا مُتَّصِلًا بِبَعْضِهِ يَبْعُضُ.

وَجَعَلَهُ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى عَائِثِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

مِنْ قِلَّةٍ وَكَثْرَةٍ، ﴿وَجَعَلَهُ كِسْفًا﴾ بَفَتْحِ السِّينِ وَسُكُونِهَا: قِطْعًا مُتَفَرِّقَةً، ﴿فَرَى الْوَدْقَ﴾: الْمَطَرُ ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أَي: وَسَطِهِ، ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾: بِالْوَدْقِ ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يَفْرَحُونَ بِالْمَطَرِ.

﴿٤٩﴾ ﴿وَإِنْ﴾: وَقَدْ ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ - تَأْكِيد - ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: آيسِينَ مِنْ أَنْزَالِهِ.

﴿٥٠﴾ ﴿فَانْظُرْ إِلَى عَائِثِ﴾ - فِي قِرَاءَةٍ: ﴿عَائِثِ﴾ - ﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أَي: نِعْمَتِهِ بِالْمَطَرِ ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أَي: يُبْسِئُهَا بِأَنْ تُنْبِتَ،

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح السين وسكونها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)؛ فالمفتوح جمع: كِسْفَةٌ، والمسكن مخفف المفتوح؛ فقوله: (قطعا) تفسير للوجهين.

قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿إِذَا﴾: فُجَائِيَّةٌ، والمعنى: فاجأهم الفرح.

قوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ فسر (إن) بـ(قد) تبعا لغيره؛ فالواو: للحال، و(قد): للتحقيق، وبعضهم جعلها مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والجملة خبرها؛ بدليل اللام في ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾؛ فإنها اللام الفارقة، وكلُّ صحيح.

قوله: (تأكيد) أي: إشارة إلى أنه أتاهم الفرح بعد تماذي يأسهم.

قوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَى عَائِثِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ (أي: ما ينشأ عن المطر من خضرة الأشجار وأثمارها وبهجتها ونضارتها).

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضا^(٢).

(١) قرأ أبو جعفر وابن ذكوان وهشام بخلف عنه بإسكان السين، والباقون بفتحها، وهو الوجه الثاني لهشام. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٤٩).

(٢) قرأ ابن عامر والأخوان وحفص بالجمع، والباقون بالافراد. انظر «الدر المصون» (٩/٥٣).

إِنَّ ذَلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٥١﴾ ﴿وَلَئِنْ﴾ - لَمْ قَسَمَ - ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مُضِرَّةً عَلَى نَبَات ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾ : صاروا - جَوَابِ الْقَسَمِ - ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي : بعد اصفارِهِ ﴿يَكْفُرُونَ﴾ : يَجْحَدُونَ النُّعْمَةَ بِالْمَطَرِ .

﴿٥٢﴾ ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ - بِتَحْقِيقِ الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء - ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ .

﴿٥٣﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ﴾ : مَا ﴿تَسْمَعُ﴾ سَمَاعَ إِفْهَامٍ وَقَبُولٍ ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ : الْقُرْآنِ ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ : مُخْلِصُونَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ .

حاشية الصاوي

قوله : (مضرة) أي : وهي ريح الدبور .

قوله : ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أي : بعد خضرته .

قوله : (جواب القسم) أي : وقد سدَّ مسدَّ جواب الشرط ؛ للقاعدة المعلومة من أنه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما .

قوله : (يجحدون النعمة) أي : فشأنهم يفرحون عند الخصب ؛ فإذا جاءتهم مصيبة في زرعهم . جحدوا سابق نعمة الله عليهم .

قوله : ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ﴾ تعليلٌ لمحذوف ، والمعنى : لا تحزن على عدم إيمانهم ، فهم موتى صم عمي ، وأنت لا تسمع مَنْ كان كذلك .

قوله : (بتحقيق الهمزتين . . . إلخ) أي : وهما قراءتان سبعيتان^(١) .

قوله : ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي : يصدق بها .

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية في الوصل ، والباقون بالتحقيق ، ووقف حمزة وهشام على (الدعاء) وأبدلا الهمزة ألفاً مع المدَّة والتوسط والقصر . انظر «السراج المنير» (١٧٦/٣) .

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثَوَّ غَيْرَ سَاعَةٍ

﴿٥٤﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ: ماءٌ مهين، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر - وهو ضعفُ الطفولية - ﴿قُوَّةً﴾ أي: قُوَّةُ الشاب، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعفُ الكبر وشيبُ الهرم، - والضعف في الثلاثة بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَفَتْحِهِ - ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الضعف والقُوَّة والشباب والشَّيْبَة، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ، ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يَشَاءُ. ﴿٥٥﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾: يَحْلِفُ ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: الكافرون: ﴿مَا لِيُثَوَّ﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ ضَعْفٍ﴾ أي: أصلٍ ضعيفٍ.

قوله: (ماء مهين) أي: حقيرٍ ضعيفٍ قليلٍ.

قوله: ﴿وَشَيْبَةً﴾ أي: وهو بياض الشعر الأسود، ويحصل أَوَّلُهُ غالباً في السنة الثالثة والأربعين، وهو أول سن الكهولة، والأخذ في النقص بعد الخمسين لثلاث وستين فيزيد، وهو أول سن الشيخوخة، فيزيد الضعف في الجسم والعقل إلى آخر العمر، وهذا في غير أهل التقوى والصلاح، وأما هم.. فيزيد عقلهم لآخر عُمرهم.

قوله: (بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَفَتْحِهِ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ أي: تحصل وتوجد، والمراد بها: القيامة، سُمِّيَتْ بذلك؛ لحصولها في آخر ساعةٍ من ساعات الدنيا.

قوله: (الكافرون) أي: المنكرون للبعث.

قوله: (مكثوا في القبور) إنما استقلُّوا تلك المدة؛ لأنَّ عذاب القبر خفيفٌ بالنسبة لما شاهدوه من عذاب النار، وقيل: المراد: مكثوا في الدنيا، فاستقلُّوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة.

(١) قرأ حمزة وشعبة وحفص بخلف عنه. بفتح الضاد والباقون بضمها وهو الوجه الثاني لحفص والوجهان عنه جيدان. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٥٠).

كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ
الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: يُصَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ الْبَعْثِ كَمَا صُرِّفُوا عَنِ الْحَقِّ
الصِّدْقِ فِي مُدَّةِ اللَّبْثِ.

﴿٥٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ﴿لَقَدْ لَبِثْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾:
فِيمَا كَتَبَهُ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ الَّذِي أَنْكَرْتُمُوهُ، ﴿وَلَكِنَّكُمْ
كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَقُوعَهُ.

﴿٥٧﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ﴾ - بِالْيَاءِ وَالْتَاءِ - ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ﴾ فِي إِنْكَارِهِمْ لَهُ،
﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ الْعُتْبَى أَيْ: الرَّجُوعُ إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ.

حاشية الصاوي

قوله: (يُصَرِّفُونَ عَنِ الصِّدْقِ) أي: الإقرار والاعتراف به في الدنيا.

قوله: (﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾) أي: ردًّا عليهم وتكذيباً لهم.

قوله: (وغيرهم) أي: كالأنبياء والمؤمنين.

قوله: (أنكرتموه) أي: في الدنيا.

قوله: (﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾) التنوين عوض عن جمل محذوفة؛ أي: يَوْمَئِذٍ قَامَتِ السَّاعَةُ وحلف
المشركون كاذبين وردَّ عليهم الملائكة وغيرهم وبيَّنوا كذبهم لا تنفع... إلخ.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (﴿مَعذِرَتُهُمْ﴾) أي: اعتذارهم.

قوله: (العتبى) ك: (الرجعى) وزناً ومعنى، والمعنى: لا يُجَابُونَ لما طلبوه من الرجوع
إلى الدنيا.

(١) قرأ الكوفيون بياء التذكير وغيرهم بتاء التأنيث. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٥١).

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا: جَعَلْنَا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ تَنْبِيهًا لَهُمْ، ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ﴾ - لَمْ قَسَمَ - ﴿يَا مُحَمَّدُ﴾ بِآيَةٍ ﴿مِثْلَ الْعَصَا وَالْيَدِ لِمُوسَى﴾ ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ - حُذِفَ مِنْهُ نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي النُّونَاتِ، وَالْوَاوُ ضَمِيرُ الْجَمْعِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْهُمْ: ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿أَنْتُمْ﴾ أَي: مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: أَصْحَابُ أَبَاطِيلَ. ﴿٥٩﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ التَّوْحِيدَ كَمَا طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ هَؤُلَاءِ.

﴿٦٠﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِنَصْرِكَ عَلَيْهِمْ ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بِالْبَعْثِ، أَي: لَا يَحْمِلُنَّكَ عَلَى الْخَفَةِ وَالطَّيْشِ بِتَرْكِ الصَّبْرِ، أَي: لَا تَتْرُكْهُ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ (مِنْ): للتبعض؛ أي: بعض كلِّ صفة؛ لأجل إرشادهم.

قوله: ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾ (أَي): مِمَّا اقترحوا.

قوله: (حذف منه نون الرفع... إلخ) هذا سبق قلم من المفسر؛ فالصواب أن يقول: هو فعل مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والذين: فاعله؛ لأنَّ اللام مفتوحة بانفلاق القرءاء. قوله: (منهم) حال من الكافرين.

قوله: ﴿فَأَصْبِرْ﴾ (أَي): إذا علمت حالهم وأنهم لا يؤمنون؛ لوجود الطبع على قلوبهم... فاصبر... إلخ.

قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (تعليل للأمر بالصبر).

قوله: (والطيّش) عطف مرادف على (الخفة).

قوله: (أَي: لا تتركه) أي: لا تترك الصبر؛ لتكذيبهم وإيذائهم.



﴿الْعَمَّ﴾ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾



مَكِّيَّةٌ أَوْ إِلَّا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ...﴾ الْآيَتَيْنِ فَمَدْنِيَّتَانِ، وَهِيَ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الْعَمَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ.

﴿٢﴾ ﴿تِلْكَ﴾ أَيُ: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿ءَايَتُ الْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنُ ﴿الْحَكِيمِ﴾: ذِي الْحِكْمَةِ، - وَالْإِضَافَةُ بِمَعْنَى (مِنْ) -.

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

سُورَةُ الْقَمَانِ

(سورة لقمان مكية) مبتدأ وخبر، سُمِّيَتْ بذلك؛ لذكر قصة لقمان فيها.

قوله: (إِلَّا) ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾... (إلخ) هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل: مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا، وقيل: إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إِلَى ﴿حَبِيرٌ﴾، وهذا القول الثالث للبيضاوي^(١).

قوله: (أَيُ: هَذِهِ الْآيَاتُ) أَيُ: آيَاتُ السُّورَةِ، وَأُشِيرَ إِلَيْهَا بِإِشَارَةِ الْبَعِيدِ؛ لَعُلَّو رَتَبَتْهَا، وَرَفَعَتْ قَدْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً مِنَ الْأَذْهَانِ.

قوله: (ذِي الْحِكْمَةِ) أَيُ: الْمَشْتَمِلُ عَلَى الْحِكْمَةِ، وَهِيَ: الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَيُصَحُّ أَنْ يَرَادَ بِ(الْحَكِيمِ): الْمَحْكَمُ؛ أَيُ: الْمُتَقَنَّ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَيُصَحُّ أَنْ يَرَادَ: الْحَكِيمُ قَائِلُهُ، حَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، وَهُوَ الضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ، فَبِانْقِلَابِهِ مَرْفُوعاً اسْتَكْنَى فِي الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ.

(١) انظر «تفسير البيضاوي» (٤/٢١٢).

هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ

﴿٣﴾ هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ - بالرفع - ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾، - وفي قراءة العامة بالنصب حالاً من الآيات، العامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة -.

﴿٤ - ٥﴾ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ - بيان لِلْمُحْسِنِينَ - ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ - ﴿هُمْ﴾ الثاني تأكيد - ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون.

﴿٦﴾ ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي: ما يلهي منه عَمَّا يَعْنِي

حاشية الصاوي

قوله: (بالرفع) أي: لحمزة على أنه خبرٌ لمحذوف، قدّره بقوله: (هو).

قوله: (وفي قراءة العامة) أي: وهم السبعة ما عدّا حمزة.

قوله: (حالا من «الآيات») أي: حالة كون كلٍّ منهما حالاً.

قوله: (من معنى الإشارة) أي: كأنه قال: أشير إلى تلك الآيات حال كونها هدىً ورحمةً.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يؤدّونها بأركانها وآدابها.

قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: يعطونها لمستحقّيها.

قوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: يؤمنون بقاء الله والبعث.

قوله: (الفائزون) أي: بما أُعِدَّ لهم من النّعيم المقيم.

قوله: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي﴾... إلخ) شروع في ذكر مُقابل الفريق الأول على حكم عاداته

تعالى في كتابه.

والجارُّ المجرور: خبر مقدّم، والاسم الموصول: مبتدأ مؤخر. واعلم أنّ (مَنْ) لفظها مفرد،

ومعناها جمع، فرُوعي لفظها في جميع الضمائر الآتية، وروعي معناها في قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ عَدَابٌ مُهِينٌ﴾.

قوله: ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ إمّا من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: الحديث اللّهُو؛ أي: المشغل

عَمَّا يَعْنِي، أو الإضافة على معنى (من)، وإليه يشير المفسّر بقوله: (أي: ما يلهي منه).

لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ
ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ
.....

﴿لِيُضِلَّ﴾ - بفتح الياء وضمها - ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا﴾
- بالنصب عطفاً على (يُضِلُّ)، وبالرفع عطفاً على ﴿يَشْتَرِي﴾ - ﴿هُزُوًا﴾: مهزوءاً بها،
﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذو إهانة.
﴿٧﴾ ﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾: متكبراً ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ
فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: صمماً، - وجعلنا التشبيه حالاً من ضمير ﴿وَلَّى﴾، أو الثانية بيانٌ للأولى -
﴿فَبَشَّرَهُ﴾: أعلمه
.....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح الياء) أي: يستمرّ على الضلال، وقوله: (وَضَمُّهَا) أي: ليقع غيره في الضلال،
فهو ضالٌّ مضلٌّ، والقراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (طريق الإسلام) أي: الأمور الموصلة للإسلام؛ فاللهو: كلُّ ما يشغل عن عبادة الله
وذكره من الأضاحيك والخرافات والمغاني والمزامير وغيرها من الأمور الباطلة^(٢).

قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (حال من فاعل ﴿يَشْتَرِي﴾) أي: حال كونه جاهل القلب وإن كان عليم
اللسان.

قوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ (أي: الآيات^(٣)).

قوله: (بالنصب... إلخ) أي: والقراءتان سبعيتان^(٤).

قوله: (مهزوءاً بها) أي: لمحاكاته لها بالخرافات.

قوله: (أَعْلِمُهُ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالبشارة: مطلق الإعلام بالخبر وإن لم يكن فيه بشارة،

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء قبل الضاد من الضلالة، بمعنى: ليثبت على ضلاله، والباقون بضمها. انظر
«السراج المنير» (٣/١٨١).

(٢) الأضاحيك: جمع (الأضحوكة) بالضم، وهي: ما يُضحك منه.

(٣) أي: أو السبيل. «فتوحات» (٣/٤٢٣).

(٤) قرأ الأخوان وحفص بالنصب عطفاً على (ليضل)، فهو علة كالذي قبله، والباقون بالرفع عطفاً على (يشتري)،
فهو صلة، وقيل: الرفع على الاستئناف من غير عطف على الصلة. انظر «الدر المصون» (٩/٦١).

يُعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا

﴿يُعَذَابِ أَلِيمٍ﴾: مُؤْلِم. وَذِكْرُ الْبِشَارَةِ تَهْكُمُ بِهِ وَهُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، كَانَ يَأْتِي الْحَبِيرَةَ يَتَجَرَّ، فَيَسْتَرِي كُتُبَ أَخْبَارِ الْأَعَاجِمِ وَيُحَدِّثُ بِهَا أَهْلَ مَكَّةَ وَيَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا يُحَدِّثُكُمْ أَحَادِيثَ عَادٍ وَثُمُودَ، وَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ أَحَادِيثَ فَارِسَ وَالرُّومِ، فَيَسْتَمْلِحُونَ حَدِيثَهُ وَيَتْرُكُونَ اسْتِمَاعَ الْقُرْآنِ.

(٨ - ٩) ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ - حال مُقَدَّرَةٌ - أي: مُقَدَّرًا خُلُودُهُمْ فِيهَا إِذَا دَخَلُوهَا، ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وَعَدَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ

حاشية الصاوي

ودفع بذلك ما يقال: إِنَّ الْإِخْبَارَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لَيْسَ بِشَارَةً، بَلْ هُوَ نَذَارَةٌ، وَقَوْلُهُ: (وَذِكْرُ الْبِشَارَةِ... إلخ) جَوَابُ آخَرٍ، فَكَانَ الْمُنَاسِبُ أَنْ يَذْكُرَهُ بِ(أَوْ).

قوله: (النضر بن الحارث) أي: ابن كلدة، كان صديقاً لقريش.

قوله: (فيستملحون حديثه) أي: يعدونه مليحاً فيصغون له.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين

به.

قوله: ﴿جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ المراد بها: جميع الجنان، لا خصوص المسماة بهذا الاسم.

قوله: (أي: مقدراً دخولهم) أي: فهم عند دخولهم يُقَدَّرُونَ الْخُلُودَ؛ لِسَمَاعِهِمُ النِّدَاءَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ:

«يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؛ خُلُودٌ بَلَا مَوْتَ»^(١).

قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ وَعَدَ: مُؤَكَّدٌ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ فِي مَعْنَى: وَعَدَهُمُ اللَّهُ

بِذَلِكَ، وَ﴿حَقًّا﴾: مُؤَكَّدٌ لِمُضْمُونِ الْجُمْلَةِ الْأُولَى، وَالْعَامِلُ مُخْتَلَفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: وَعَدَ ذَلِكَ وَعَدًا، وَحَقَّهُ حَقًّا^(٢).

(١) كما رواه البخاري (٦٥٤٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المصدر المؤكَّد لنفسه هو: الواقع بعد جملة هي نصٌّ في معناه، وسمي بذلك لأنه بمنزلة إعادة الجملة؛ فكانه نفسها، والمؤكد لغيره هو: الواقع بعد جملة تحتل غيره فتصير به نصًّا، وسمي بذلك لأنه أثر في الجملة، فكانه غيرها؛ لأنَّ المؤثِّر غير المؤثَّر فيه؛ فلذا كان (وعد) مؤكِّدًا لنفسه، و(حقًّا) مؤكِّدًا لغيره. وفي (ط٢): (قوله: =

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ

وَحَقُّهُ حَقًّا، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ فَيَمْنَعُهُ مِنْ إِنْجَازِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾: الَّذِي لَا يَضَعُ شَيْئًا إِلَّا فِي مَحَلِّهِ.

﴿١٠﴾ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أَي: الْعَمَدُ جَمْعُ (عِمَاد) وَهُوَ الْأُسْطُوَانَةُ، وَهُوَ صَادِقٌ بِأَنْ لَا عَمَدَ أَصْلًا، ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي﴾: جِبَالًا مُرْتَفِعَةً لِي ﴿أَنْ﴾ لَا ﴿تَمِيدَ﴾: تَتَحَرَّكَ بِكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (الذي لا يغلبه شيء) أي: لا يقهره أحد.

قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾... إلخ) هذا دليل على أنه عزيز حكيم، لا يمنعه أحد من إنجاز وعده ووَعِيدِهِ.

قوله: (أي: العَمَد) أشار بذلك إلى أن جملة ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة لـ ﴿عَمَدٍ﴾.

قوله: (جمع عماد) ك: أَهَبِ جَمْعُ إِهَابٍ^(١).

قوله: (الأسطوانة) بضم الهمزة وهي: السَّارِيَّة.

قوله: (وهو صادق... إلخ) أي: لِأَنَّ السَّالِبَةَ تَصْدُقُ بِنَفِي الْمَوْضُوعِ وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا، وَيَصَحُّ أَنْ يَرَادَ الشُّقُّ الثَّانِي وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لَهَا عَمْدٌ لَا تَرَى، وَهِيَ قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: ﴿رَوْسِي﴾ أي: ثَوَابِت.

قوله: (جبالاً مرتفعة) قال ابن عباس: هي سبعة عشر جبلاً منها: ق، وأبو قبيس، والجودي، ولبنان، وطور سينين.

قوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾) قَدَّرَ الْمَفْسِّرُ لَامَ التَّعْلِيلِ وَ(لَا) النَّافِيَةَ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ حِكْمَةَ تَثْبِيتِ الْأَرْضِ بِالْجِبَالِ عَدَمُ تَحَرُّكِهَا بِأَهْلِهَا.

= «وعد الله حقاً» مصدران مؤكِّدان لمضمون الجملة الأولى، والعامل مختلف، والتقدير: وعد ذلك وعداً، وحقه حقاً). وانظر «الفتوحات الإلهية» (٣/٤٢٤)، و«شرح الأشموني للألفية» (١/٤٧٧).

(١) وفي الكثير يجمع على: (أُهْب) بضم الأولين. «تاج العروس» (٢/٤٠)، وقوله: (جمع: عماد) وجمع عَمُود أيضاً، وجمعه كما في «المختار»: (في القلة: «أعمدة»، وفي الكثرة: «عَمَد» بفتحيتين، و«عُمَد» بضمّتين). «فتوحات» (٣/٤٢٤).

وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ

وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا - فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْغِيْبَةِ - ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ : صِنْفٍ حَسَنٍ .

﴿١١﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ أَي : مَخْلُوقُهُ ﴿فَأَرُونِي﴾ : أَخْبِرُونِي يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ غَيْرُهُ أَي : آلِهَتُكُمْ حَتَّى أَشْرَكْتُمُوهَا بِهِ تَعَالَى . - و(ما) اسْتِفْهَامُ إِنكَارٍ مُبْتَدَأٌ ، و(ذا) بِمَعْنَى (الَّذِي) بِصِلَتِهِ خَبَرُهُ ، و(أَرُونِي) مُعَلَّقٌ عَنِ الْعَمَلِ ، وَمَا بَعْدَهُ سَدٌّ مَسَدٌ الْمَفْعُولِينَ . - ﴿بَلِ﴾ - لِلانْتِقَالِ - ﴿الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ : بَيْنَ بِأَشْرَاكِهِمْ وَأَنْتُمْ مِنْهُمْ .

﴿١٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ أَي : نَشَرَ ، وَقَوْلُهُ : ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ (مِنْ) : زَائِدَةٌ ^(١) .

قوله : (فيه التفات) أَي : مِنَ الْغِيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ ؛ زِيَادَةٌ فِي التَّبَكُّيْتِ وَالْإِزَامِ الْحِجَّةِ .

قوله : ﴿هَذَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ أَي : مَا ذَكَرَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا .

قوله : (استفهام إنكار) أَي : وَتَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ .

قوله : (معلق عن العمل) أَي : فِي الْفَلْظِ ، وَأَمَّا فِي الْمَحَلِّ . . فَهُوَ عَامِلُ النَّصْبِ .

قوله : (سد مسد المفعولين) ظَاهِرُهُ : أَنَّ (أَرُونِي) تَنْصِبُ ثَلَاثَ مَفَاعِيلَ : الْيَاءَ ، وَجُمْلَةَ الْاسْتِفْهَامِ الَّتِي سَدَّتْ مَسَدَ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ ، وَهَذَا غَيْرُ مَا ذَكَرُوهُ مِنْ أَنَّ (أَرِي) إِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى (أَخْبِر) . . فَإِنَّهَا تَتَعَدَّى لِمَفْعُولَيْنِ : الْأَوَّلَ صَرِيحٍ ، وَالثَّانِي جُمْلَةَ الْاسْتِفْهَامِ ؛ فَالْمُنَاسِبُ لِلْمَفْسَّرِ أَنْ يَقُولَ : (سَدَّتْ مَسَدَ الثَّانِي) .

قوله : (لِلانْتِقَالِ) أَي : مِنْ تَبَكُّيْتِهِمْ إِلَى الْإِخْبَارِ بِتَقْبِيحِ الظَّالِمِينَ عَمُومًا .

قوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾ اخْتَلَفَ فِي لُقْمَانَ ؛ فَقِيلَ : اسْمٌ أَعْجَمِي ، مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالْعَجْمَةِ ، وَقِيلَ : عَرَبِيٌّ ، وَمُنْعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَزِيَادَةُ الْأَلْفِ وَالنُّونِ .

(١) أَي : عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ تَبْعِيضِيَّةً . انظر «الدر المصون» (٢/ ٢٠٥) .

مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْدِّينَانِ وَالْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ، وَحِكْمُهُ كَثِيرَةٌ مَأْثُورَةٌ، كَانَ يُفْتِي قَبْلَ بَعْثَةِ دَاوُدَ وَأَدْرَكَ بَعْثَتَهُ وَأَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ وَتَرَكَ الْفُتْيَا وَقَالَ فِي ذَلِكَ: أَلَا أَكْتَفِي إِذَا كُفِّتُ؟ وَقِيلَ لَهُ:

حاشية الصاوي

واختلف فيه أيضاً ف قيل: هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ^(١)، وهو آزر؛ فعلى هذا: هو ابنُ ابنِ أخِي إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل: كان ابنُ أختِ أيوب، وقيل: كان ابنُ خالته، يقال: إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داوودَ.

واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة والشعبي فقالا بنبوته، وقيل: خَيْرُ بين النبوة والحكمة، فاختر الحكمة، ورُوي: أنه كان نائماً في نصف النهار، فتُودي: يا لقمان؛ هل لك أن نجعلك خليفة في الأرض فتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال: إن خيرني ربي.. قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإن عزم علي.. فسمعاً وطاعة؛ فإني أعلم أن الله إن فعل لي ذلك.. أعانني وعصمني، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لِمَ يا لقمان؟ قال: إن الحاكم بأشدّ المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كلِّ مكان؛ إن عدل.. نجا، وإن أخطأ الطريق.. أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً خيراً من أن يكون شريفاً، ومن يختار الدنيا على الآخرة.. تفتنه الدنيا ولم يُصب الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن منطقته، فنام نومة، فأعطي الحكمة، فانتبه وهو يتكلم بها، ثم نُودي بها داوود بعده فقبلها^(٢).

وكان لقمان يؤازر داوود لحكمته، وقيل: كان خياطاً، وقيل: كان راعي غنم، فروي أنه لقيه رجلاً وهو يتكلم بالحكمة، فقال: ألسنت فلاناً الراعي؟ قال: بلى، قال: فيم بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني.

قوله: (منها العلم والديانة) أي: فالحكمة هي: العلم والعمل، ولا يسمّى الرجل حكيماً حتى يجمعهما، وقيل: الحكمة: المعرفة والأمانة، وقيل: هي نور القلب يُدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر.

قوله: (وحكمه كثيرة) قال وهب: تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة، أدخلها الناس في كلامهم.

قوله: (وقال في ذلك) أي: في شأن الاعتذار عن ترك الفتيا.

(١) في «الخازن» (٣/٣٩٧): (لقمان بن باعوراء بن ناخور بن تارخ).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوارد الأصول» (١/٣٧٣).

أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لَقْمَنْ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ

أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يُبَالِي أَنْ رَأَهُ النَّاسُ مُسِيئًا، ﴿أَنِ﴾ أَي: وَقُلْنَا لَهُ: أَنْ ﴿أَشْكُرْ لِلَّهِ﴾ عَلَى مَا أَعْطَاكَ مِنَ الْحِكْمَةِ، ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لِأَنَّ ثَوَابَ شُكْرِهِ لَهُ، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النِّعْمَةَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عَنْ خَلْقِهِ، ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ فِي صُنْعِهِ. ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ لَقْمَنْ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ﴾ - تَصْغِيرُ إِشْفَاقٍ - ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ﴾ بِاللَّهِ

حاشية الصاوي

قوله: (وقلنا له: أن ﴿أَشْكُرْ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أن (أن) زائدة، وجملة ﴿أَشْكُرْ﴾ مَقُولُ الْقَوْلِ، وَالْأَنْسَبُ: أَنَّ (أَنْ) تَفْسِيرِيَّةٌ؛ لِتَقَدُّمِ جُمْلَةٍ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ^(١).
قوله: (على ما أعطاك من الحكمة) أي: فهي نعمة يجب الشكر عليها؛ بِصَرْفِهَا فِي مَصَارِفِهَا.
قوله: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ﴾... إلخ) تَعْلِيلٌ لِلأَمْرِ بِالشُّكْرِ.
قوله: (محمود في صنعه) أي: فهو حَقِيقٌ بِأَنْ يُحْمَدَ مِنْ دُونِ الْمَخْلُوقَاتِ.
قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَنْ لِبَنِيهِ﴾ أي: واسمه: ثاران، وقيل: مشكم، وقيل: أنعم، قيل: كان ابنه وامرأته كافرين، فما زال يعظهما حتى أسلما.
قيل: وضع لقمان جراباً من خردل إلى جنبه، وجعل يعظ ابنه موعظة، ويخرج خردلة خردلة، فنقد الخردل، فقال: يا بني؛ وعظمتك موعظة لو وعظتها جبلاً... لتفطر، فتفطر ابنه ومات^(٢).
قوله: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ الجملة حالية.
قوله: ﴿يَبْنَىٰ﴾ بكسر الياء وفتحها، قراءتان سبعيتان^(٣).
قوله: (إشفاقي) أي: محبة.

(١) أي: وهي إيتاء الحكمة.

(٢) عزاه الإمام السيوطي في «الدر المنثور» (٥١٣/٦) لابن أبي الدنيا من حديث حفص بن عمر الكندي.

(٣) قرأ حفص بفتح الياء، وسكَّنَها ابن كثير، وكسرها الباقر. انظر «السراج المنير» (١٨٥/٣).

لَظَلُمَ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾

﴿لَظَلُمَ عَظِيمٌ﴾ فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَأَسْلَمَ.

حاشية الصاوي

قوله: (فرجع إليه) أي: إلى دين أبيه وهو الإسلام، وقال له أيضاً: يا بني؛ اتخذ تقوى الله تعالى تجارة.. يَأْتِكَ الرِّبْحُ مِنْ غَيْرِ بِضَاعَةٍ^(١).

يا بني؛ احضر الجنائز ولا تحضر العرس؛ فَإِنَّ الْجَنَائِزَ تَذْكُرُ الْآخِرَةَ، وَالْعُرْسُ يُشْهِيكُ الدُّنْيَا.
يا بني؛ لا تكن أعجزَ من هذا الديك الذي يُصَوِّتُ بِالسَّحَارِ وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِكَ.
يا بني؛ لا تؤخِّرِ التَّوْبَةَ؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بِغَتَّةٍ.

يا بني؛ لا ترغب في ودِّ الجاهل؛ فيرى أنك تَرْضَى عَمَلَهُ.

يا بني؛ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُرِ النَّاسَ أَنَّكَ تَخْشَى؛ لِيُكْرِمُوكَ بِذَلِكَ وَقَلْبُكَ فَاجِرٌ.

يا بني؛ ما ندمتُ عَلَى الصَّمْتِ قَطُّ؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ مِنْ فَضَّةٍ.. كَانَ السَّكُوتُ مِنْ ذَهَبٍ.

يا بني؛ اعتزل الشَّرَّ كَيْمَا يَعْتَزَلَكَ؛ فَإِنَّ الشَّرَّ لِلشَّرِّ خُلُقٌ.

يا بني؛ عليك بمجالس العلماء، واستمع كلام الحكماء؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بِوَابِلِ الْمَطَرِ؛ فَإِنَّ مِنْ كَذِبٍ.. ذَهَبَ مَاءُ وَجْهِهِ، وَمِنْ سَاءِ خَلْقِهِ.. كَثُرَ غَمُّهُ، وَنَقُلُ الصَّخُورِ مِنْ مَوَاضِعِهَا أَيْسَرُ مِنْ إِفْهَامِ مَنْ لَا يَفْهَمُ.

يا بني؛ لا تُرْسِلْ رَسُولَكَ جَاهِلًا؛ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ حَكِيمًا.. فَكُنْ رَسُولَ نَفْسِكَ.

يا بني؛ لا تنكح أمةً غيرَكَ؛ فتورث بَيْنَكَ حَزَنًا طَوِيلًا.

يا بني؛ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا تَقْرَأُ فِيهِ عَيْنٌ حَلِيمٌ.

يا بني؛ اختر المجالس عَلَى عَيْنِكَ، فَإِذَا رَأَيْتَ الْمَجْلِسَ يُذَكِّرُ فِيهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.. فَاجْلِسْ مَعَهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَكُ عَالِمًا.. يَنْفَعُكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُنْ غَيِّيًا.. يَعْلَمُوكَ، وَإِنْ يَطَّلِعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَةٍ.. تُصِيبَكَ مَعَهُمْ.

يا بني؛ لا تجلس في المجلس الذي لَا يُذَكِّرُ فِيهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَكُ عَالِمًا.. لَا يَنْفَعُكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُ غَيِّيًا.. يَزِيدُوكَ غِبَاءً، وَإِنْ يَطَّلِعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَخَطٍ.. يُصِيبُكَ مَعَهُمْ.

(١) في (أ): (يَأْتِيكَ) والياء إشباع للكسرة، أو الجزم بحذف الحركة على حد قراءة قنبل: (إنه من يتقي ويصير) بإثبات الياء وجزم (بصير). انظر «مغني اللبيب» (ص ٦٢١).

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

﴿١٤﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾: أَمَرْنَاهُ أَنْ يَبْرَهُمَا،

حاشية الصاوي

يا بني؛ لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.

يا بني؛ إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان بها^(١)، وشراعها التوكل على الله لعلك أن تنجو.

يا بني؛ إني حملت الجندل والحديد فلم أحمل شيئاً أثقل من جارِ السوء، وذقتُ المرارة كلها فلم أذق أشدَّ من الفقر.

يا بني؛ إن الحكمة أجلسَت المساكين مجالس الملوك.

يا بني؛ لا تتعلَّم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم.

يا بني؛ إذا أردت أن تؤاخي رجلاً.. فأغضبه قبل ذلك؛ فإن أنصفك عند غضبه، وإلا.. فاحذره.

يا بني؛ إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدار أنت إليها تسير أقرب من دارٍ أنت عنها ترحل.

يا بني؛ عود لسانك أن يقول: اللهم اغفر لي؛ فإنَّ الله ساعاتٍ لا تردُّ.

يا بني؛ إياك والدِّين؛ فإنه ذلٌّ بالنهار وهمُّ بالليل.

يا بني؛ ارجُ الله رجاءً لا يجرِّئك على معصيته، وخَفِ الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته... إلى غير ذلك من المواعظ الماثورة عنه عليه السلام.

قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾... (الخ) هاتان الآيتان نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص كما تقدَّم^(٢)، فهما مُعترضتان بين كلامي لقمان، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، (فأل) في ﴿الْإِنْسَانَ﴾ للجنس.

قوله: (أن يبرهما) أي: يُحسن إليهما.

(١) كذا في الأصول، وفي «الفتوحات» (٤٢٦/٣): (وحشوها الإيمان بالله).

(٢) في سورة (العنكبوت)، وسبب النزول في «مُسلم» (١٧٤٨).

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ﴿وَهَنَّا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَلُّهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ ١٤ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ فَوَهَنْتَ ﴿وَهَنَّا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضَعُفْتَ لِلْحَمْلِ وَضَعُفْتَ لِلطَّلْقِ وَضَعُفْتَ لِلْوِلَادَةِ، ﴿وَفَصَلُّهُ﴾ أي: فِطَامُهُ ﴿فِي عَامَيْنِ﴾، وَقُلْنَا لَهُ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ أي: الْمَرْجِعِ.

﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ: مُوَافَقَةُ لِلْوَاقِعِ ﴿فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: بِالْمَعْرُوفِ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ، ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾: طَرِيقَ

حاشية الصاوي

قوله: (فوهنت) قَدَّرَ الفعل؛ إشارةً إلى أَنْ ﴿وَهَنَّا﴾ مفعول مطلق، والأحسن: جعله حالاً من ﴿أُمُّهُ﴾ أي: ذات وهن.

قوله: ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ صفة لـ ﴿وَهَنَّا﴾ أي: ضعفاً كائناً على ضعف، والمراد: التوالي، لا خصوص وهنين؛ بدليل قول المفسر: (أي: ضعفت للحمل... إلخ).

قوله: (أي: فطامه) أي: ترك رضاعه.

قوله: ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ أي: في انقضائهما.

قوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي﴾ يحتمل أنها مفسرة لجملة (وصينا)، أو مصدرية^(١).

قوله: (أي: المرجع) أي: فأجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

قوله: (موافقة للواقع) أي: فلا مفهوم له، وهو جوابٌ عما يقال: إِنَّ الشَّرِيكَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فربما يتوهم وجود شريك له به علم.

قوله: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا﴾ أي: أمورهما التي لا تتعلق بالدين.

قوله: (أي: بالمعروف) أشار بذلك إلى أنه منصوب بنزع الخافض.

قوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾

(١) قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس.. فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار

الصلوات الخمس.. فقد شكر الوالدين. «خازن» (٣/٣٩٨).

مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيشُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ

﴿مَنْ أَنَابَ﴾: رَجَعَ ﴿إِلَيَّ﴾ بِالطَّاعَةِ، ﴿ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيشُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَأُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، وَجُمْلَةُ الْوَصِيَّةِ وَمَا بَعْدَهَا اعْتِرَاضٌ.

﴿١٦﴾ ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا﴾ أَي: الْحَصْلَةُ السَّيِّئَةُ ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾

حاشية الصاوي

﴿مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ قيل: إِنَّ الْخَطَابَ لِلْمَكْلُفِينَ عَمُومًا، ويراد بـ ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَمَنْ عَلَى قَدَمِهِمْ، وقيل: الْخَطَابُ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، والمراد بـ ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك أَنَّهُ حِينَ أَسْلَمَ أَتَاهُ عِثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَقَالُوا لَهُ: قَدْ صَدَّقْتَ هَذَا الرَّجُلَ وَأَمَنْتَ بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُوَ صَادِقٌ، فَأَمِنُوا، ثُمَّ جَاءَ بِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى أَسْلَمُوا، فَهَؤُلَاءِ سَابِقُونَ لِلْإِسْلَامِ بِإِرْشَادِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١).

قوله: (فأجازيكم عليه) أي: الفعل الحسن والسيئ.

قوله: (وجملة الوصية) أي: وهي قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ... إلخ، وقوله: (وما بعدها) أي: وهو قوله: ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ﴾ ... إلخ، وقوله: (اعتراض) أي: بين كلامي لقمان.

قوله: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ ... إلخ رجوعٌ لذكر وصايا لقمان لولده، وسبب تلك المقالة: أَنَّهُ قَالَ لَهُ وَلَدُهُ: يَا أَبَتُ؛ إِنْ عَمِلْتُ الْخَطِيئَةَ حَيْثُ لَا يَرَانِي أَحَدٌ كَيْفَ يَعْلَمُهَا اللَّهُ؟ فَقَالَ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةُ، وَهَذَا السُّؤَالُ لَيْسَ عَنْ اعْتِقَادٍ لِمُضْمُونِهِ؛ إِذْ هُوَ مُسْلِمٌ، لَا يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَإِنَّمَا مَقْصُودُهُ الْإِنْتِقَالُ مِنَ الْعِلْمِ بِالْدَّلِيلِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ؛ وَلِذَا مَاتَ مِنْ اسْتِيْلَاءِ الْهَيْبَةِ عَلَى قَلْبِهِ.

قوله: ﴿مِنْ خَرْدَلٍ﴾ هُوَ حَبُّ الْكَبْرِ، وَهُوَ أَصْغَرُ حَبٍّ، والمراد: أَصْغَرُ شَيْءٍ؛ بِدَلِيلِ ضَرْبِ الْمَثَلِ بِالذَّرَّةِ فِي الْآيَةِ.

قوله: ﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ قيل: المراد بها تحت الأرضين السبع، وهي التي تكتب فيها أعمال

يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَمِيرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ

أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِي بِهَا اللَّهُ﴾ فيحاسب عليها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها، ﴿خَيْرٌ﴾ بمكانها.

﴿١٧﴾ ﴿يَبْنِي أَمِيرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ بِسَبَبِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ

حاشية الصاوي

الفجار، وخضرة السماء منها؛ لما قيل: خلق الله الأرض على حوت، والحوث في الماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، وقيل: على ظهر ثور، وهو على الصخرة، وهي التي ذكرها لقمان، فليست في السماء ولا في الأرض.

قوله: (أي: في أخفى مكان من ذلك) أي: من الصخرة والسموات والأرض، فأخفى الصخرة باطنها، وأخفى السماوات أعلاها، وأخفى الأرض أسفلها.

قوله: ﴿يَأْتِي بِهَا اللَّهُ﴾ جواب الشرط.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أي: عالمٌ بخفيات الأمور.

قوله: ﴿خَيْرٌ﴾ أي: عالمٌ ببواطن الأشياء كظواهرها، قيل: إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان، فانشقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمها، فمات مسلماً شهيداً ﷺ.

قوله: ﴿يَبْنِي أَمِيرَ الصَّلَاةِ﴾ أي: بشروطها وأركانها وآدابها؛ لكونها عماد الدين، ومناجاة الله تعالى.

قوله: ﴿وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بكل ما عُرفَ شرعاً؛ لأنَّ الدَّالَّ على الخير كفاعله.

قوله: ﴿وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: باليد أو اللسان أو القلب على حسب الطاقة، فإن لم يُفد..

فالهجر أولى بالمعروف.

قوله: (بسبب الأمر والنهي) المناسب حملة على العموم، فالصبرُ على المصائب سواء كانت من

الخلق أو الخالق أمره عظيم؛ لأنَّ الكلَّ في الحقيقة من الله، والمراد بالصبر: التسليم لأحكام الله،

والرجوع إليه، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

مَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ

﴿مَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ أي: معزوماتها التي يُعزمُ عليها لوجوبها.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ - وفي قراءة: (تصاعر) - ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تُمِلْ وجهك عنهم تكبراً، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خيلاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: مُتَبَخِّخٍ في مشيه، ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس.

﴿١٩﴾ ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: تَوَسَّطْ فِيهِ بَيْنَ الدَّيْبِ

حاشية الصاوي

قوله: (التي يعزم عليها؛ لوجوبها) أي: تحتثها على المكلفين؛ فلا ترخيص في تركها.

قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ الصَّعَرُ بفتح الحاء في الأصل: داء يصيب البعير يلوي عنقه، ثم استعمل في ميل العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشدقين؛ لأجل الفخر على الناس، والمراد: لا تتكبر فتحقر الناس، ولا تُعرض عنهم بوجهك إذا كلموك.

قوله: (وفي قراءة: «تصاعر») أي: وهما سبعيتان، ومعناها واحد^(١).

قوله: (أي: خيلاء) أي: عجباً وتكبراً، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخِرَّقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

قوله: ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس) أي: لظنه أن نعمة الله أسبغت عليه؛ لاستحقاقه إيّاها، فتكبر بها على الناس.

قوله: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ لما أمره أولاً بحسن الباطن.. أمره ثانياً بحسن الظاهر؛ ليجمع له في وصيته بين كمال الظاهر والباطن.

قوله: (بين الدَّيْبِ) أي: وهو ضعيف المشي جداً، قال الشاعر^(٢): [الخفيف]

زَعَمْتَنِي شَيْخًا وَلَسْتُ بِشَيْخٍ إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَيْبًا

(١) قرأ نافع وأبو عمرو والأخوان: (تصاعر) بآلف وتخفيف العين، والباقون دُون آلف وتشديد العين، والرسم يحتملها؛ فإن الرسم بغير آلف، وهما لغتان: لغة الحجاز التخفيف، وتميم الثقيل. انظر «الدر المصون» (٩/٦٥).

(٢) البيت لأبي أمية أوس الحنفي؛ كما في «شرح شواهد المغني» (٢/٩٣٢).

١٩

وَأَغْضَضَ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ

والإسراع، وَعَلَيْكَ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، ﴿وَأَغْضَضَ﴾: اخْفِضْ ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ: أَقْبَحَهَا ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾؛ أَوَّلُهُ زَفِيرٌ وَآخِرُهُ شَهيقٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (والإسراع) أي: وهو قُوَّةُ المشي، وهي مذمومة؛ لما ورد: «سُرعة المشي تذهب بهاء المؤمن»^(١).

إن قلت: في الحديث: «كنا نجهد أنفسنا خلفَ رسول الله ﷺ»^(٢) فيقتضي أنه يسرع في مشيه. أجيب: بأنه ﷺ في نفسه مشية متوسطة، وبالنسبة للصحابة هو أعلى مشياً منهم؛ لما في الحديث المتقدم: «وهو غير مكترث، كأنَّ الأرض تطوى له».

قوله: ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ (مِنْ) تَبْعِيضِيَّةٌ، أَوِ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ، صِفَةٌ لِمَحذُوفٍ؛ أَي: شَيْئاً مِنْ صَوْتِكَ)^(٣).

قوله: ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (أَي: هَذَا الْجِنْسُ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْعُلُوِّ الْمَفْرُطِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ؛ فَإِنَّ كُلَّ حَيَوَانٍ يَصِيحُ مِنْ ثَقَلٍ أَوْ تَعَبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَالْحِمَارُ يَصِيحُ لَغَيْرِ سَبَبٍ، وَصِيَاحُ كُلِّ شَيْءٍ تَسْيِيحٌ لِلَّهِ تَعَالَى إِلَّا الْحِمَارَ).

إن قلت: إِنَّ دَقَّ النِّحَاسِ بِالْحَدِيدِ أَشَدُّ صَوْتاً مِنَ الْحَمِيرِ.

أجيب: بِأَنَّ الصَّوْتَ الشَّدِيدَ لِحَاجَةٍ يَتَحَمَّلُهُ الْعَقْلَاءُ، بِخِلَافِ الصَّوْتِ الْخَالِي مِنَ الثَّمَرَةِ وَالْفَائِدَةِ، وَهُوَ صَوْتُ الْحِمَارِ.

قوله: (أَوَّلُهُ زَفِيرٌ) أَي: صَوْتُ قَوِي، وَقَوْلُهُ: (وَآخِرُهُ شَهيقٌ) أَي: صَوْتُ ضَعِيفٍ، وَهُمَا صِفَةُ صَوْتِ أَهْلِ النَّارِ.

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (١٣٨/٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٩٠/١٠) من حديث سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٢) رواه الترمذي (٣٦٤٨) عن سيدنا أبي هريرة ؓ بلفظ: «ما رأيتُ أحداً أسرعَ في مشيه من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تُطوى له، إنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث».

(٣) وعند الأخفش: يجوز أن تكون مزيدة، ويؤيده: «يَغْضُضُونَ أَصْوَاتَهُمْ». «الدر المصون» (٦٦/٩).

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً
وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى

﴿٢٠﴾ ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: تَعَلَّمُوا يَا مُخَاطَبِينَ ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ مِنَ الشَّمْسِ
وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ لِتَنْتَفِعُوا بِهَا، ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مِنَ الثَّمَرِ وَالْأَنْهَارِ وَالذَّبَابِ، ﴿وَأَسْبَغَ﴾:
أَوْسَعَ وَأَتَمَّ ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾ وَهِيَ حُسْنُ الصُّورَةِ وَتَسْوِيَةُ الْأَعْضَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ،
﴿وَبَاطِنَةً﴾ هِيَ الْمَعْرِفَةُ وَغَيْرُهَا، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى﴾ مِنْ رَسُولٍ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾... إلخ رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم.

قوله: (يا مخاطبين) القياس بالواو؛ لأنه منادى مفرد، وهو مبني على ما يرفع به إلا أن يُقال:
إنه نكرة غير مقصودة، فهو منصوب.

قوله: ﴿نِعَمَهُ﴾) إما بالجمع فـ ﴿ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ حالان، أو الإفراد بتاء التانيث، نكرة، فهما
نعتان لها، وهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (هي حسن الصورة... إلخ) وقيل: الظاهرة: نعمة الدنيا، والباطنة: نعمة العقبى،
وقيل: الظاهرة: ما تُرى بالابصار كالجمال والجاه والجمال في الناس، والباطنة: ما يجده الإنسان
من نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى، وكلُّ صحيح.

قوله: (وتسوية الأعضاء) أي: تناسبها.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾) نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف وأمّية بن خلف ومن هذا
حذوهم، كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وصفاته من غير علم^(٢).

قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾) أي: بالجهل وعدم المعرفة.

قوله: ﴿وَلَا هُدًى﴾) من رسول) أي: جاءهم به.

(١) قرأه نافع وأبو عمرو وحفص بفتح العين وبعد الميم هاء مضمومة، والباقون بسكون العين وبعد الميم تاء مفتوحة
مُؤَنَّة، ومعناها الجمع أيضاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾. انظر «السراج المنير» (٣/١٩٢).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/٣٩٩).

وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُو كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى

﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

﴿٢١﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، قال تعالى: ﴿أَتَتَّبِعُونَهُ﴾ ﴿وَلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: مُوجِبَاتِهِ؟ لا.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يُقْبِلُ عَلَى طَاعَتِهِ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مُوَحِّدٌ، ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: بِالْطَّرَفِ الْأَوْثَقِ الَّذِي لَا يُخَافُ انْقِطَاعَهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ أي: نِيرٌ واضح الدلالة.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ الجمع باعتبار المعنى.

قوله: ﴿أَتَتَّبِعُونَهُ﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ هذا الشرط للحال، والتقدير: أيتبعونه والحال أَنَّ الشيطان يدعوهم إلى العذاب، وحيثئذ: فلا جواب له.

قوله: ﴿يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: يدعو آبائهم؛ لأنَّ مدار إنكار الاتِّباع كونُ الرؤساء تابعين للشيطان.

قوله: (لا) أي: لا يليق منهم ذلك.

قوله: (أي: يقبل على طاعته) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بالوجه: الذات، والمعنى: مَنْ يَبْذِلُ ذَاتَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ وَالْحَالُ أَنَّهُ مُوَحِّدٌ.. فقد استمسك... إلخ، وهذا هو حقيقة الشكر، فالإقبال على الله ظاهراً وباطناً موجبٌ للأمن من عذاب الله، ومن زوال تلك النعمة، وهذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قوله: (موحِّدٌ) إنما فسره بذلك؛ ليشمل الإحسان في حقِّ العامة وهو التوحيد، وإلا... فالإحسان الكامل: أن تعبد الله كأنك تراه.

قوله: (بالطرف الأوثق) أي: الموصول إلى الله بلا انقطاع، فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله بمن أراد أن يرقى إلى شاطئ جبل، فتمسك بأوثق جبل، فهو تشبيه تمثيلي بذكر طرفي التشبيه.

وَالِىَ اللَّهِ عِقْبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ.....

﴿وَالِىَ اللَّهِ عِقْبَةُ الْأُمُورِ﴾ : مَرَجِعُهَا.

﴿٢٣﴾ ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿كُفْرُهُۥ﴾ : لَا تَهْتَمَّ بِكُفْرِهِ، ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ أي : بِمَا فِيهَا كَغَيْرِهِ، فَمُجَازٍ عَلَيْهِ.

﴿٢٤﴾ ﴿نُمْنِعُهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿قَلِيلًا﴾ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ لَا يَجِدُونَ عَنْهُ مَحِيصًا.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلَئِنْ﴾ - لَا مُ قَسَمَ - ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ - حُذِفَ مِنْهُ نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي الْأَمْثَالِ،
حاشية الصاوي.

قوله : (مرجعها) أي : فيجازي عليها.

قوله : ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ ... إلخ) هذا مُقابل الفريق الأول.

قوله : ﴿فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُۥ﴾ بفتح الياء وضم الزاي، ويضم الياء وكسر الزاي، قراءتان سبعيتان^(١)؛ أي : فتسلَّ ولا تَغْتَمَّ على ذلك.

قوله : ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي : نُخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا.

قوله : ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ أتى بـ(ثم)؛ إشارةً إلى أن العذاب الغليظ إنما يكون لهم في الآخرة لا في الدنيا، كما أن المؤمن إذا نُعم في الدنيا بأنواع النعم . . . فليس ذلك جزاءً لأعماله الصالحة.
قوله : (لا يجدون عنها محيصاً) أي : ملجأً.

قوله : ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ الجملة جواب القسم، وحذف جواب الشرط؛ للقاعدة، ولفظ الجلالة مرفوع إمَّا على أنه فاعل بفعل محذوف تقديره : خلَقَهُنَّ اللهُ؛ بدليل آية : ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، أو خبرٌ لمحذوف تقديره : الخالق لهنَّ.

(١) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٥١).

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ

وَوَاوُ الضَّمِيرِ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ - ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى ظُهُورِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمُ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَجُوبَهُ عَلَيْهِمُ.

﴿٢٦﴾ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْدًا، فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةُ فِيهِمَا غَيْرُهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ خَلْقِهِ، ﴿الْحَمِيدُ﴾: الْمَحْمُودُ فِي صُنْعِهِ.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ﴾ - عَطَفَ عَلَى اسْمِ (أَنَّ) -

حاشية الصاوي

قوله: (وَوَاوُ الضمير) أي: لالتقاءها ساكنة مع نون التوكيد، وبقيت الضمة دليلاً عليها.

قوله: (﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَجُوبَهُ عَلَيْهِمُ) أي: بل يعتقدون أنَّ الإشراك يقرب إلى الله تعالى مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده.

قوله: (﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾) هذا نتيجة ما قبله؛ أي: فحيث ثبت أنه الخالق لها تحقق أنه المالك لها.

قوله: (المحمود في صنعه) أي: المتَّصف بالكمالات أزلاً وأبداً، لا يستحقُّ الحمد غيره.

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (أَنَّ): حرف توكيد ونصب، و(ما): اسم موصول في محل نصب اسمها، وجملة الجار والمجرور مع مُتعلِّقه: صلة الموصول، و﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾: بيان لها، وتوحيدُ (شجرة) إشارة إلى استغراق الأفراد، كأنه قال: لو أنَّ كلَّ شجرةٍ شجرةٍ تجعل أقلاماً... إلخ، وقوله: ﴿أَقْلَمٌ﴾ خبر (أَنَّ).

قوله: (﴿وَالْبَحْرُ﴾) أي: المحيط؛ لأنَّ الحقيقة إذا أُطلقت.. تنصرف للفرد الكامل.

قوله: (عطف على اسم «أَنَّ») أشار بذلك إلى توجيه قراءة النصب، وترك توجيه قراءة الرفع، وتوجيهها أن يقال: إما عطف على جملة (أَنَّ) واسمها وخبرها؛ لأنَّ موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف، والتقدير: لو ثبت أنَّ ما في الأرض... إلخ، أو مبتدأ، خبره: ﴿يَمْدُومُ﴾، والجملة حالَّة^(١).

(١) ولم يحتج إلى ضمير رابط بين الحال وصاحبها؛ للاستغناء عنه بالواو، وقرأ أبو عمرو بالنصب، والباقون بالرفع.

يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مِدَاداً ﴿مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ الْمُعَبَّرُ بِهَا عَنْ مَعْلُومَاتِهِ بِكِتَابِهَا بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ بِذَلِكَ الْمِدَادِ، وَلَوْ بِأَكْثَرٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَعْلُومَاتِهِ تَعَالَى غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، ﴿حَكِيمٌ﴾: لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

﴿٢٨﴾ ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خَلَقاً وَبَعَثاً؛ لِأَنَّهُ بِكَلِمَةٍ (كُنْ فَيَكُونُ)، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: يَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ، ﴿بَصِيرٌ﴾: يُبْصِرُ كُلَّ مُبْصَرٍ، لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (مداد) خبر لمحذوف، تقديره: والجميع مداد، وهو جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدّر، تقديره: ما تجعل تلك الأبحر؟ فأجاب بقوله: (مداد)، يدل على ذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي...﴾ [الكهف: ١٠٩] إلخ.

قوله: ﴿كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ أي: مدلولات كلامه النفسي القديم القائم بذاته تعالى؛ بدليل قوله: (المعبر بها)^(١)؛ فَإِنَّ مدلول الكلام القديم هو ما أحاط به العلم القديم، وأما الكلام المنزل للقراءة والتعبّد به كالكتب السماوية.. فهو دالٌّ على بعض مدلول الكلام القديم؛ فلذلك كان له مبدأ وغاية. قوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ سبب نزولها: أَنَّ أَبِي بَنِ خَلْفٍ وَجَمَاعَةً قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: خَلَقْنَا أَطْوَاراً، نُطْفَةٌ ثُمَّ عُلُقَةٌ ثُمَّ مَضْغَةٌ ثُمَّ عِظَامٌ، ثُمَّ تَقُولُ: إِنَّا نَبِئْتُ خَلْقاً جَدِيداً جَمِيعاً فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَتَزَلَّتْ^(٢).

والمعنى: أَنَّ اللَّهَ لَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، بَلْ خَلَقَ الْعَالَمَ وَبَعَثَهُ بِرَمْتِهِ كَخَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَبَعَثَهَا.

قوله: (خَلْقاً وَبَعَثاً) لَفٌّ وَنَشْرٌ مَرَّتَبٌ.

(١) قوله: (المعبر بها عن معلوماته) يعني: على سبيل الفرض والتقدير؛ أي: لو كان يُعبر به، وإلا.. فالتعبير به محال؛ لأن التعبير إنما يكون بالألفاظ المحدثة، ويعد هذا كله: لا حاجة لقوله: (المعبر بها)؛ لأن الكلام القديم في حدّ ذاته لا يتناهى ولا ينحصر. اهـ فلي تأمل. «فتوحات» (٣/٤٣٢).

(٢) انظر «زاد المسير» (٣/٤٣٤).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ

﴿٢٩﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعَلَّمَ يَا مُخَاطَبُ ﴿أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ﴾: يُدْخِلُ ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ﴾: يُدْخِلُهُ ﴿فِي اللَّيْلِ﴾: فَيَزِيدُ كُلَّ مِنْهُمَا بِمَا نَقَصَ مِنَ الْآخِرِ، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا﴾: يَجْرِي ﴿فِي فَلَكِهِ﴾: إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿ذَلِكَ﴾: الْمَذْكُورُ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾: بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ -: يَعْبُدُونَ

حاشية الصاوي

قوله: (يا مخاطباً) نصبه؛ لكونه قصد أنه نكرة غير مقصودة.

قوله: (بما نقص) أي: بالجزء الذي نقص من الآخر، وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار، فتارة يزيدها بالليل، وتارة بالنهار.

قوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: عطف على ﴿يُوَلِّجُ﴾، وعبر في الأول بالمضارع؛ لأن الإيلاج متجدد، بخلاف التسخير.

قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: عبر هنا بـ(إلى)، وفي (فاطر) و(الزمر) باللام تفتناً؛ لأن اللام و(إلى) لالتهاء^(١).

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور أي: من الآيات الكريمة، وهو مبتدأ، خبره قوله: (بأن الله هو الحق الثابت) أي: الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

(١) وهو قوله تعالى في سورة (فاطر): ﴿يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، وفي سورة (الزمر): ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفْلُ﴾.

(٢) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص: (يدعون) بالياء على الغيبة، والباقون بالتاء على الخطاب. انظر «السراج المنير» (٣/١٩٧).

مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ

﴿مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾: الزَّائِل، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾: عَلَى خَلْقِهِ بِالْقَهْرِ، ﴿الْكَبِيرُ﴾: الْعَظِيم.

﴿٣١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾: السَّفْن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ﴾: يَا مُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ ﴿مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: عِبْرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، ﴿شَكُورٍ﴾: لِنِعْمَتِهِ.

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾: أَي: عَلا الْكُفَّارَ ﴿مَوَجٌ كَالظُّلَلِ﴾: كَالْجِبَالِ الَّتِي تُظِلُّ مَنْ تَحْتَهَا ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أَي: الدُّعَاءُ بِأَنْ يُنَجِّيَهُمْ، أَي: لَا يَدْعُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾... إلخ) هذا دليل آخر على إثبات الألوهية لله وحده.

قوله: ﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾: أَي: إِحْسَانِهِ.

قوله: (أَي: علا الكفار) أَي: أَحَاطَ بِهِمْ، فَ(علا) فعلٌ ماضٍ، لَا حَرْفُ جَرٍّ.

قوله: (أَي: لَا يَدْعُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ) أَي: كَالْأَصْنَامِ؛ لِأَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي غَايَةِ الشَّدَةِ وَالْهَوْلِ، فَلَا يَجِدُونَ مَلْجَأً لِكُشْفِ مَا نَزَلَ بِهِمْ غَيْرَهُ تَعَالَى.

قوله: (متوسط بين الكفر والإيمان) المناسب: تَفْسِيرُ (المقتصد) بِالْعَدَلِ الْمُوفِيِّ بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ؛ لِيَكُونَ مُوَافِقًا لِسَبَبِ النُّزُولِ؛ فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ هَرَبَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى الْبَحْرِ، فَجَاءَتْهُمْ رِيحٌ عَاصِفٌ، فَقَالَ عَكْرَمَةُ: لَيْتَ أَنْجَانَا اللَّهُ مِنْ هَذَا... لَأَرْجِعَنَّ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَأَضَعَنَّ يَدِي فِي يَدِهِ، فَسَكَنَ الرِّيحَ، فَرَجَعَ عَكْرَمَةُ إِلَى مَكَّةَ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ^(١).

(١) رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (١٠١٩) عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ هَرَبَ عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، فَركب البحر، فَخَبَّ بِهِمُ الْبَحْرُ، فَجَعَلَتِ الصَّوَارِي وَمَنْ فِي الْبَحْرِ يَدْعُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَسْتَغِيثُونَ بِهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقِيلَ: «مَكَانٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ عَكْرَمَةُ: «فَهَذَا إِلَهُ مُحَمَّدٍ الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ، ارْجِعُوا بِنَا إِلَيْهِ»، فَرَجَعَ وَأَسْلَمَ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ قَدْ أَسْلَمَتْ قَبْلَهُ فَكَانَا عَلَى نِكَاحِهِمَا)، وَانْظُرْ «زَادَ الْمَسِيرَ» (٤٣٥/٣).

وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾

وَمِنْهُمْ بَاقٍ عَلَى كُفْرِهِ، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ - وَمِنْهَا الْإِنْجَاءُ مِنَ الْمَوْجِ - ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غَدَّارٌ ﴿كَفُورٍ﴾ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿٣٣﴾ ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ﴾ أَي: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿أَتَقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي﴾: يُغْنِي ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ فِيهِ شَيْئًا، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ﴾ فِيهِ ﴿شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بِالْبَعَثِ، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عَنِ الْإِسْلَامِ، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ فِي جِلْمِهِ وَإِمهَالِهِ ﴿الْغُرُورُ﴾: الشَّيْطَانُ.

حاشية الصاوي

قوله: (ومنهم باق على كفره) أي: وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا...﴾ إلخ.

قوله: (غدار) أي: لأنه نقض العهد ورجع إلى ما كان عليه.

قوله: ﴿أَتَقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: امثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه.

قوله: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ...﴾ إلخ) كلٌّ من الجملتين نعت لـ (يومًا)، والمعنى: أن يوم القيامة يقول كل إنسان: نفسي نفسي، لا أملك غيرها، ولا يهتم بقريب ولا بعيد.

وهذه الآية مخصوصة بالكفار، وأما المسلمون... فيستفدون من بعضهم؛ فالأولاد تنفع الآباء، والآباء تنفع الأولاد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَلَهُمْ أَسْمَاءٌ مِمَّا دُؤِنَتْ﴾ [الطور: ٢١]، وأما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته: «أنا لا أغني عنك من الله شيئاً»^(١)... فهو تحذير لها من الكفر الذي به تنقطع الأنساب.

قوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ﴾ مبتدأ، و﴿هُوَ﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿جَازٍ﴾ خبر الثاني، وهو وخبره: خبر الأول، أو معطوف على ﴿وَالِدٍ﴾.

قوله: (في جلمه وإمهاله) أشار بذلك إلى أن الباء سببية، والكلام على حذف المضاف، والأصل: ولا يغُرَّنَّكُم بسبب جلم الله وإمهاله الغرور.

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا

﴿٣٤﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴿٣٥﴾ مَتَى تَقُومُ، ﴿٣٦﴾ وَيُنَزِّلُ ﴿٣٧﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿٣٨﴾ الْغَيْثَ ﴿٣٩﴾ بِوَقْتٍ يَعْلَمُهُ، ﴿٤٠﴾ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴿٤١﴾ أَذْكَرُ أَمْ أَنْثَى؟ وَلَا يَعْلَمُ وَاحِدًا مِنَ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿٤٢﴾ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴿٤٣﴾ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى، حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾... (إلخ) نزلت لما قال الحارث بن عمرو للنبي ﷺ: متى الساعة؟ وأنا قد ألقيت الحب في الأرض؛ فمتى السماء تُمطر؟ وامرأتي حامل؛ فهل حملها ذكر أم أنثى؟ وأي شيء أعمله غدا؟ ولقد علمتُ بأي أرض ولدت؛ فبأي أرض أموت؟^(١)
قوله: (متى تقوم) أي: وقت قيامها.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (بوقت علمه) أي: وفي أي مكان يُنزله.

قوله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ (أي: من حيث ذاتها، وأما بإعلام الله للعبد.. فلا مانع منه كالأنبياء وبعض الأولياء، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن أَرْزَقَ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، قال العلماء: وكذا ولي؛ فلا مانع من كون الله يُطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيبات، فتكون معجزة للنبي، وكرامة للولي؛ ولذلك قال العلماء: والحق: أنه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى أطلعته على تلك الخمس، ولكنه أمر بكتمها^(٣).

والحكمة في كونه تعالى أضاف العلم إلى نفسه في الثلاثة الأول، ونفى العلم عن العباد في الأخيرتين منها مع أن الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها ونفي علم العباد بها: أن الثلاثة الأول أمرها عظيم، لا يُتوهم في الخلق علمها، بخلاف الأخيرتين، فهما من صفات العباد، فربما يتوهمون علمهما، فإذا انتفى عنهم علمهما.. كان انتفاء علمهم بغيرهما أولى.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/٤٠١).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي. انظر «السراج المنير» (٣/١٩٩).

(٣) وهو الذي نقله الإمام اللقاني في «هداية المريد لجوهرة التوحيد» (٢/٩٧٥) عن جمع.

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِكُلِّ شَيْءٍ، ﴿خَبِيرٌ﴾ بِبَاطِنِهِ كَظَاهِرِهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمرَ حَدِيثُ «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ».



حاشية الصاوي

قوله: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ لم يَقُلْ: بِأَيِّ وَقْتٍ تَمُوتُ فِيهِ؛ لِأَنَّ انْتِقَالَ الْإِنْسَانِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرٍ فِي وَسْعِهِ وَاخْتِيَارِهِ، فَتَوَهَّمَهُ عِلْمَ مَكَانِ مَوْتِهِ أَقْرَبُ، بِخِلَافِ الزَّمَانِ؛ فَفِيهِ تَنْبِيهٌُ عَلَى انْتِفَاءِ عِلْمِ الْأَقْرَبِ؛ لِيَفْهَمُ مِنْهُ عِلْمُ الْأَبْعَدِ بِالْأُولَى.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى لَيْسَ مَخْتَصًّا بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمَتَقَدِّمَةِ، بَلْ هُوَ عَلِيمٌ بِبَوَاطِنِ الْأَشْيَاءِ كَظَوَاهِرِهَا.



﴿آلَهُ﴾



مَكِّيَّةٌ، ثَلَاثُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿آلَهُ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ السَّجْدَةِ

أَيُّ: الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا السَّجْدَةُ.

قَوْلُهُ: (مَكِّيَّةٌ) ظَاهِرُهُ: أَنَّ جَمِيعَهَا مَكِّيٌّ، وَقَالَ غَيْرُهُ: إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ، وَقِيلَ: إِلَّا خَمْسَ آيَاتٍ أَوَّلَهَا قَوْلُهُ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾، وَآخِرُهَا قَوْلُهُ: ﴿الَّتِي كُتِبَ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

وَوُرِدَ فِي فَضْلِهَا أَحَادِيثٌ؛ مِنْهَا: مَا فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ﴿آلَهُ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ السَّجْدَةُ، وَ﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الْآذَرِ﴾^(١)، وَقَدْ أَخَذَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ مَالِكٌ؛ لِإِعْدَمِ اسْتِمْرَارِ الْعَمَلِ عَلَيْهِ^(٢).

وَمِنْهَا: أَنَّهُ ﷺ كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ ﴿آلَهُ﴾ تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^(٣).

وَتُسَمَّى أَيْضاً الْمُنْجِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا أَحَدُ الْمُنْجِيَّاتِ السَّبْعِ، وَهِيَ: هَذِهِ السُّورَةُ، وَ(يَس)، وَ(الدُّخَانُ)، وَ(الْوَاقِعَةُ)، وَ(هَلْ أَتَى)، وَ(الْمَلِكُ)، وَ(الْبُرُوجُ)، وَلَمَّا وَرَدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ أَنَّهُ قَالَ: اقْرَءُوا الْمُنْجِيَّةَ، وَهِيَ ﴿آلَهُ﴾ تَنْزِيلُ؛ فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَقْرَأُهَا مَا يَقْرَأُ شَيْئًا غَيْرَهَا، وَكَانَ كَثِيرَ

(١) «صحيح مسلم» (٨٧٩)، ورواه البخاري (٨٩١) عن سيدنا أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر «تحفة المحتاج» (٥٥/٢)، و«منح الجليل شرح مختصر خليل» (٣٦٦/٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٤٠/٣) عن سيدنا جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ

﴿٢﴾ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ : الْقُرْآنُ مُبْتَدَأُ ﴿لَا رَيْبَ﴾ : شَكٌّ ﴿فِيهِ﴾ - خَبَرٌ أَوَّلٌ - ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - خَبَرٌ ثَانٍ ..

﴿٣﴾ ﴿أَمْ﴾ : بَلْ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ مُحَمَّدٌ، لَا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾

حاشية الصاوي

الخطايا، فنشرت جناحها عليه وقالت: رب؛ اغفر له؛ فإنه كان يُكثر قراءتي، فشفعها الله فيه، وقال: «اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة»^(١).

قوله: ﴿﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾﴾ أي: نزوله ومجيئه.

قوله: ﴿﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾﴾ أي: لفظاً ومعنى.

قوله: (خبر ثان) هذا أحسن الأعراب في هذا الموضع، ويصح أن يكون حالاً من ضمير الخبر^(٢).

قوله: ﴿﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾﴾ «أم»: منقطعة تفسر بـ(بل) والهمزة عند البصريين، والمفسر قدرها بـ(بل) فقط، وهو غير مناسب؛ بدليل قوله: (لا)؛ فإنه إشارة إلى أن الاستفهام إنكاري مع أنه لم يذكر الهمزة، ولعلها سقطت من قلم ناسخ الميضة.

قوله: ﴿﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾﴾ إضرابٌ انتقاليٌّ عن نفي الافتراء عنه إلى إثبات حقيقته، ويصح أن يكون

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٣٧٣٠).

(٢) قوله: ﴿﴿تَنْزِيلُ﴾﴾ فيه أوجه: أحدها: أنه خبر (الم)؛ لأن (الم) يراد به السورة وبعض القرآن، و(تنزيل) بمعنى: مُنْزَل، والجملة من قوله: ﴿﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾﴾ حال من (الكتاب)، والعامل فيها (تنزيل)؛ لأنه مصدر، و﴿﴿مِنْ رَبِّ﴾﴾ متعلق به أيضاً، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في (فيه)؛ لوقوعه خبراً، والعامل فيه الظرف أو الاستقرار. الثاني: أن يكون (تنزيل) مبتدأ، و﴿﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾﴾ خبره، و﴿﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾﴾ حال من الضمير في (فيه)، ولا يجوز حينئذ أن يتعلق بـ(تنزيل)؛ لأن المصدر قد أُخبر عنه فلا يعمل، ومَنْ يتسع في الجار لا ييالي بذلك. الثالث: أن يكون (تنزيل) مبتدأ أيضاً، و﴿﴿مِنْ رَبِّ﴾﴾ خبره، و﴿﴿لَا رَيْبَ﴾﴾ حال، أو معترض. الرابع: أن يكون ﴿﴿لَا رَيْبَ﴾﴾ و﴿﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾﴾ خبرين لـ(تنزيل).

الخامس: أن يكون خبر مبتدأ مُضْمَر، وكذلك ﴿﴿لَا رَيْبَ﴾﴾، وكذلك ﴿﴿مِنْ رَبِّ﴾﴾، فتكون كل جملة مُستقلة برأسها. ويجوز أن يكونا حالين من (تنزيل)، وأن يكون ﴿﴿مِنْ رَبِّ﴾﴾ هو الحال، و﴿﴿لَا رَيْبَ﴾﴾ مُعْتَرِض. انظر «الدر المصون» (٧٧/٩).

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

لِتُنذِرَ ﴿٣﴾ به ﴿قَوْمًا مَّا﴾ - نافية - ﴿أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك. ﴿٤﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة،

حاشية الصاوي

إبطالياً لقولهم، كأنه قيل: ليس هو كما قالوا، بل هو الحق، وقولهم: (كل ما في القرآن من الإضراب انتقالي) ^(١).. يحمل على غير هذا، والمعنى: أن القرآن محصور في الحق، لا يخرج عنه لغيره، واستفيد الحصر من الجملة المعرفة الطرفين.

قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ هو فعل ينصب مفعولين: الأول: ﴿قَوْمًا﴾، والثاني: محذوف، قدره المفسر بقوله: (به)، وقدره غيره (العقاب) ^(٢).

قوله: ﴿مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ جعل المفسر الجملة منفية صفة لـ ﴿قَوْمًا﴾ ^(٣).

واختلف في القوم؛ فقيل: المراد بهم العرب؛ لأنهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ، وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ [يس: ٦]، وقيل: المراد بهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما السلام، فيشمل بني آدم برؤسهم.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الترجي بالنسبة له ﷺ، والمعنى: لتنذر قوماً راجياً لاهتدائهم، لا آيساً منه.

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مبتدأ وخبر، وهو شروع في ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى.

قوله: (أولها الأحد، وآخرها الجمعة) أي: على سبيل التوزيع؛ فخلق الأرض أولاً في الأحد

(١) كما ذهب إليه ابن مالك رحمه الله في «شرحه على الكافية»، ووهبه ابن هشام في «المغني» (ص ١٧٧). والإضراب الإبطالي: إبطال الحكم السابق ونفي مضمونه والانصراف عنه إلى ما بعده، والانتقالي: الانتقال من غرض إلى آخر يُخالفه.

(٢) انظر «الدر المصون» (٧٩/٩).

(٣) وجعل الإمام أبو حيان (ما) موصولة، والمعنى: لتنذر قوماً العقاب الذي أتاهاهم. انظر «البحر المحيط» (١٩٢/٧).

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة سَرِير المُلْك استِواءٌ يَلِيقُ بِهِ، ﴿مَا لَكُمْ﴾ يا كُفَّار مَكَّةَ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غَيْرِهِ ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ - اسْمُ (ما) بِزِيَادَةِ (مِن) - أي: ناصِر ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يَدْفَعُ عَذَابَهُ عَنْكُمْ،

حاشية الصاوي

والاثنين، وخلق ما فيها في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السماوات في الخميس والجمعة، وفي ذلك إشكال، وهو أن الأيام لم تكن معروفة إذ ذاك، فضلاً عن تسميتها؛ لعدم وجود الشمس والأفلاك التي بها تعرف الأيام، وأجيب: بأن المراد مقدار ستة أيام كائنة في علمه تعالى؛ بحيث تكون عند ظهورها لنا أولها الأحد وآخرها الجمعة، ويقتضي هذا أنها كأيام الدنيا، وبه قال الحسن، وقال ابن عباس والضحاك: اليوم منها مقدار ألف سنة^(١).

قوله: (سَرِير المُلْك) أي: ومنه: ﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١]، والمراد به هنا: الجِسم النوراني المحيط بالعالم كله.

قوله: (استواء يَلِيقُ بِهِ) هذا إشارة لطريقة السلف الذين يؤمنون بالمتشابه ويفوضون علمه لله تعالى، وهو أسلم؛ ولذا سلكه المفسر، وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستيلاء والقهر؛ إذ هو أحد معنَي الاستواء، ومنه: قال الشاعر^(٢): [الرجز]

قَدْ اسْتَوَى بِشَرْ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُّهْرَاقِ
وتقدّم الكلام في هذا غير مرة.

قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾ هذا نتيجة ما قبله؛ أي: فحيث ثبت أنه الخالق للسماوات والأرض وما بينهما، وهو المالك للعرش وما حوى.. فلا ولي ولا شفيع غيره.

قوله: (يا أهل مكة) خصّهم؛ لأنهم سبب نزول الآية، وإلا.. فالعبرة بعموم اللفظ.

قوله: (اسم «ما») أشار بذلك إلى أن (ما) حجازيّة و﴿وَلِيٍّ﴾: اسمها مؤخّر، و﴿مِنْ دُونِهِ﴾: خبرها مقدّم، وفيه: أن شرط إعمالها الترتيب، وهو مفقود هنا، إلا أن يقال: إنه مشى على قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه في عملها، والأحسن: جعلها تميميّة، و﴿مِنْ دُونِهِ﴾: خبر مقدّم، و﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخّر؛ لأنّ القرآن لا ينبغي حمله على ضعيف.

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٨٦/١٤).

(٢) هو للبعيث كما قاله ابن عباد، أو للأخطل كما قاله الجوهري. انظر «إتحاف السادة المتقين» (١٠٦/٣).

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟

﴿٥﴾ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مُدَّةُ الدُّنْيَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾﴾ الهمزة داخله على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أغفلتم فلا تفكرون؟

قوله: ﴿﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾﴾ أي: الشأن والحال، والمعنى: يتصرف في الخلق على طبق علمه وإرادته، وهو القضاء والقدر المشار إليهما بقول الأجهوري: [من: الرجز]

إِرَادَةُ اللَّهِ مَعَ التَّعَلُّقِ	فِي أَزَلٍ قَضَاؤُهُ فَحَقُّقِي
وَالْقَدَرُ الْإِجَادُ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى	وَجْهِ مُعَيَّنٍ أَرَادَهُ عَلا
وَبَعْضُهُمْ قَدْ قَالَ: مَعْنَى الْأَوَّلِ	الْعِلْمُ مَعَ تَعَلُّقِي فِي الْأَزَلِ
وَالْقَدَرُ الْإِجَادُ لِلْأُمُورِ	عَلَى وَفَاقِ عِلْمِهِ الْمَذْكُورِ

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾﴾ [الرحمن: ٢٩]، فالتصريف الذي يظهر في الخلق من حيث وجوده على طبق العلم والإرادة.. قدر، ومن حيث علم الله وإرادته به.. قضاء، فكل شيء بقضاء وقدر.

قوله: ﴿﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾﴾ قال ابن عباس: معناه: ينزل القضاء والقدر، وقيل: ينزل الوحي مع جبريل، ورُوي أنه: «يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين، فأما جبريل فموكل بالأرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم»^(١).

وقد قيل: إنَّ العرش موضع التدبير؛ كما أنَّ ما دون العرش موضع التفصيل، قال تعالى: ﴿﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ... يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾﴾ [الرعد: ٢]، وما دون السماوات موضع التصريف.

قوله: (مدة الدنيا) أي: وهي كما ورد: «سبعة آلاف سنة، بُعثَ رسول الله ﷺ في الألف

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (٣١٦/١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٩/٧) من حديث عبد الرحمن بن سابط.

ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾

﴿ثُمَّ يَرْجِعُ﴾: يَرْجِعُ الْأَمْرُ وَالتَّدْبِيرُ ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾
فِي الدُّنْيَا، وَفِي سُورَةِ (سَأَلَ): ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لِشِدَّةِ
أَهْوَالِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَكُونُ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيُهَا
فِي الدُّنْيَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ.

﴿ذَلِكَ﴾ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أَيُّ: مَا غَابَ عَنِ الْخَلْقِ
وَمَا حَضَرَ، ﴿الْعَزِيزُ﴾: الْمَنِيعُ فِي مُلْكِهِ، ﴿الرَّحِيمُ﴾: بِأَهْلِ طَاعَتِهِ.

حاشية الصاوي

السادس^(١)، ومدة أمته تزيد على الألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمس مئة سنة كما ذكره
السيوطي في «الكشف عن مجاوزة الأمة الألف»^(٢)، وهذا أحد أقوال تقدمت.

قوله: (يرجع الأمر والتدبير ﴿إِلَيْهِ﴾) أَيُّ: يَنْتَقِلُ التَّصْرِيفُ الظَاهِرِيُّ مِنْ أَيْدِي الْعَبِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَيَكُونُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

قوله: (لشدة أهواله... إلخ) إشارة لوجه الجمع بين الآيتين؛ أَيُّ: فَالْمُرَادُ مِنْ ذِكْرِ الْأَلْفِ
وَذِكْرِ الْخَمْسِينَ: التَّنْبِيهُ عَلَى طُولِهِ، وَالتَّخْوِيفُ مِنْهُ، لَا الْعَدَدَ الْمَذْكُورَ بِخُصُوصِهِ.

وجمع أيضاً: بِأَنَّ مَوَاقِفَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَمْسُونَ مَوْقِفًا؛ لِكُلِّ مَوْقِفٍ أَلْفٌ، فَهَذِهِ الْآيَةُ بَيَّنَّتْ أَحَدَ
الْمَوَاقِفِ، وَآيَةٌ (سَأَلَ) بَيَّنَّتْ الْمَوَاقِفَ كُلَّهَا، وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ.

وجمع أيضاً: بِأَنَّ الْعَذَابَ مُخْتَلَفٌ؛ فَيُعَذَّبُ الْكَافِرُ بِجَنَسٍ مِنَ الْعَذَابِ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُنْقَلُ
إِلَى جَنَسٍ آخَرَ مَدَّةً خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ.

قوله: (من صلاة مكتوبة) صَادِقٌ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَهُوَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ قَصِيرٌ جَدًّا.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿عَلِيمٌ﴾ خَبَرُ أَوَّلٍ، وَ﴿الْعَزِيزُ﴾ خَبَرُ ثَانٍ، وَ﴿الرَّحِيمُ﴾ خَبَرُ ثَالِثٍ،
وَ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ خَبَرُ رَابِعٍ، وَهَذِهِ قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِرَفْعِ (عَالِمٍ)، وَخَفَضِ (الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ)

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٠٢/٨)، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن زمل الجهني من حديثه الطويل،
وفيه: «فالدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفاً».

(٢) «الكشف عن مجاوزة الأمة الألف» (ص ٢٥).

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

(٧ - ٨) ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ - بفتح اللام فعلاً ماضياً صفة، وبسكونها بدل اشتمال - ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾: آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: ذُرِّيَّتَهُ ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾: عِلْقَةٍ ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: ضَعِيفٍ هُوَ النُّطْفَةُ.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: خَلَقَ آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ﴾ أي: جَعَلَهُ حَيًّا حَسَّاساً بَعْدَ أَنْ كَانَ جَمَاداً، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: لِذُرِّيَّتِهِ ﴿السَّمْعَ﴾ بِمَعْنَى الْأَسْمَاعِ ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: الْقُلُوبَ، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ - (ما) زائدة مُؤَكِّدَةٌ لِلْقَلَّةِ ..

حاشية الصاوي

على أنهما بدلان من الهاء في ﴿إِلَيْهِ﴾، وقرئ أيضاً بجرّ (عالم) وما بعده، وخرّجت على جعل اسم الإشارة فاعلاً لـ ﴿يَعْرِجُ﴾، و(عالم) وما بعده: بدل من الضمير في (إليه)^(١).

قوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي: أَحْكَمَ وَأَتَقَنَ.

قوله: (صفة) أي: لـ (كل)، أو لـ (شيء).

قوله: (وسكونها) أي: وهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (بدل اشتمال) أي: من ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾.

قوله: (ذُرِّيَّتَهُ) سميت نسلًا؛ لأنها تنسل؛ أي: تنفصل.

قوله: (أي: خلق آدم) أشار بذلك إلى أَنَّ الضمير في (سَوَّاهُ) عائد إلى آدم، ويصح أن يكون عائداً على النسل، ويكون المعنى: سَوَّى أَعْضَاءَهُ فِي الرَّحْمِ، وَصَوَّرَهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ يُشَبِّهُ الْجَمَادَ؛ حَيْثُ كَانَ نُطْفَةً، ثُمَّ عِلْقَةً، ثُمَّ مَضْغَةً.

قوله: ﴿مِنْ رُّوحِهِ﴾ الإضافة للتشريف.

قوله: (أي: لِذُرِّيَّتِهِ) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، والنكته: أَنَّ الْخَطَابَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْحَيِّ، فَلَمَّا نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ .. حَسُنَ خَطَابُهُ.

(١) قرأ بالأولى أبو زيد، وبالثانية زيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٨٠/٩).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بسكون اللام، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٨١/٩).

وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ

﴿١٠﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: مُنْكَرُوا الْبَعْثَ: ﴿أِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾: غَبْنَا فِيهَا بِأَنْ صِرْنَا تُرَاباً مُخْتَلِطاً بِتُرَابِهَا ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ - استِفْهَامُ إنْكَارٍ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهَيْنِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ -، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بِالْبَعْثِ ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿١١﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿يَتَوَفَّنَا مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ حكاية لبعض قبائحهم وأباطيلهم، وقرأ العامة بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى: ذهبنا، وقرئ شذوذاً بكسر اللام، وبضم الضاد وكسر اللام مشددة^(١).

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وتركه، فتكون القراءات أربعاً سبعيات^(٢).

قوله: (في الموضعين) أي: وهما: ﴿أِذَا ضَلَلْنَا﴾، ﴿إِنَّا﴾.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ انتقال من جحدهم البعث إلى جحدهم لقاء الله بالمرّة.

قوله: ﴿قُلْ﴾ لهم) أي: للكفار، وخصّهم بالذكر؛ لوجود التشنيع بعد ذلك.

قوله: ﴿يَتَوَفَّنَا مَلِكُ الْمَوْتِ﴾ أسند التوفي في هذه الآية لملك الموت، وفي آية (الأنعام) للرسول^(٣)، وفي (الزمر) لله تعالى^(٤)، ولا منافاة بينها؛ فما هنا محمولٌ على مباشرة أخذها حين تصل للحلوقوم، وما في (الأنعام) محمولٌ على معالجة أعوان عزرائيل لمن أمر بقبض رُوحه؛ فإنَّ المباشر لإخراجها من الظفر إلى الحلوق أعوانه، وما في (الزمر) محمولٌ على الحقيقة؛ فإن المتوفّي حقيقة هو الله تعالى.

(١) قرأ يحيى بن يعمر وابن محيصين وأبو رجاء بكسر اللام، وهي لغة العالية، وقرأ علي وأبو حيوة: (ضَلَلْنَا) بضم الضاد وكسر اللام المشددة من: ضَلَّلَهُ بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٨٤/٩).

(٢) مذهب قالون وأبي عمرو في الاستفهام تسهيل الثانية وإدخال الألف بينها وبين همزة الاستفهام، وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير إدخال، وهشام يُسهّل الثانية ويحقّقها مع الإدخال، والباقون بتحقيقهما من غير إدخال. انظر «السراج المنير» (٢٠٦/٣).

(٣) في قوله عزّ شأنه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾.

(٤) في قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾.

ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياء فيجازيكم بأعمالكم.

﴿١٢﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾: الكافرون ﴿ناكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: مُطَاطَبُوا حَيَاءً يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكرنا مِنَ الْبَعْثِ، ﴿وَسَمِعْنَا﴾ مِنْكَ تَصْدِيقَ الرُّسُلِ فِيمَا كَذَّبْنَاهُمْ فِيهِ، ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إِلَى الدُّنْيَا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ فِيهَا، ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الْآنَ، فَمَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ وَلَا يَرْجِعُونَ،

حاشية الصاوي

روي: «أن الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد، يأخذ منها مَنْ شاء أَخَذَهُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب»^(١).

وروي: «أن خطوته ما بين المشرق والمغرب»^(٢)، وروي: «أنه جعلت له الأرض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء»^(٣).

وقيل: إنه على مراح بين السماء والأرض، وقيل: إن له حربةً تبلغ ما بين المشرق والمغرب، وهو يتصفَّح وجوه الناس، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفَّحهم في كل يوم مرَّتين، فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله.. ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له: الْآن يَنْزِلُ بِكَ عَسْكَرُ الْمَوْتِ.

قوله: ﴿فِيْجَازِيْكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ﴾ أي: عليها من خير وشر.

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ الخطاب لكلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ يَصْلَحُ لَهُ.

قوله: ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ أي: خافضوها.

قوله: ﴿وَسَمِعْنَا مِنْكَ تَصْدِيقَ الرُّسُلِ﴾ أي: فيما أخبرونا به من الوعد والوعيد.

قوله: ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الْآنَ أي: آمناً في الحال، ويحتمل أن المعنى: لم يقع منا الشرك؛

كقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

(١) أورده الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣٢٨/٧).

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٨) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

(٣) أورده الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣٢٨/٧) من كلام مجاهد رحمه الله.

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا

وَجَوَاب (لَوْ): لَرَأَيْتَ أَمْرًا فَظِيْعًا. قَالَ تَعَالَى:

﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى فَتَهْتَدِي بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ بِاخْتِيَارٍ مِنْهَا، وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴿وهو:﴾ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾: الْجِنَّ ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وَتَقُول لَهُمِ الْخَزَنَةُ إِذَا دَخَلُوهَا:

﴿١٤﴾ فَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أَي: بِتَرْكِكُمْ الْإِيمَانَ بِهِ، ﴿إِنَّا نَسِينَكُمْ﴾: تَرَكْنَاكُمْ فِي الْعَذَابِ، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ الدَّائِمِ﴾ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

﴿١٥﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا:

حاشية الصاوي

قوله: (لَرَأَيْتَ أَمْرًا فَظِيْعًا) أَي: شَنِيعًا عَجِيبًا.

قوله: (﴿هُدًى﴾) أَي: إِيْمَانَهَا، وَالْمَعْنَى: لَوْ أَرَدْنَا خَلْقَ كُلِّ نَفْسٍ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.. لَفَعَلْنَا ذَلِكَ.

قوله: (﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾) أَي: ثَبَتَ وَتَقَرَّرَ وَعَيَّدِي.

قوله: (﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾) قَدَّمَ هُمْ؛ لِأَنَّ دُخُولَ الْجِنَّةِ النَّارَ أَكْثَرُ مِنَ الْإِنْسِ.

قوله: (أَي: بِتَرْكِكُمْ الْإِيمَانَ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالنِّسْيَانِ: التَّرْكَ.

قوله: (﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾) كَرَّرَهُ لِيَبَانَ مَفْعُولُ (ذُوقُوا) الْأَوَّلِ.

قوله: (﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) أَي: بِسَبَبِ عَمَلِكُمْ.

قوله: (﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾... إلخ) هَذَا تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ عَلَى بَقَاءِ مَنْ كَفَرَ عَلَى كُفْرِهِ؛ كَأَنَّ اللَّهَ

يَقُولُ لِنَبِيِّهِ: لَا تَحْزَنْ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ مُجْبُولُونَ عَلَى الْإِتِّعَاضِ بِالْقُرْآنِ، وَأَهْلُ الْكُفْرِ مُجْبُولُونَ عَلَى عَدَمِ الْإِتِّعَاضِ بِهِ؛ فَالْخَلْقُ فَرِيقَانِ فِي عِلْمِ اللَّهِ.

الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ

الْقُرْآنِ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾: وَعِظُوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا﴾ مُتَلَبِّسِينَ ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾
 أَي: قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.
 ﴿١٦﴾ ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ﴾: تَرْتَفِعُ ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: مَوَاضِعِ الْإِضْطِجَاعِ بِفُرْشِهَا

حاشية الصاوي

قوله: (القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية: بأنه يقتضي مدح كل من سمع القرآن وأتعه به وسجد لله وإن لم يكن موضع سجود.

وأجيب: بأن السُّنَّةَ بَيَّنَّتْ مواضع السجود في القرآن، فمدح المتعظين بالقرآن في كل آية، الساجدين في مواضع السجود.

قوله: ﴿(خَرُّوا سُجَّدًا)﴾ أي: على وجوههم؛ تعظيماً لآياته، وامثالاً لأمره، وخصَّ السجود بالذكر؛ لأنه غاية الذل والخضوع، وهو لا يكون إلا لله، وفعله لغيره كفرٌ، ولأنه روح الصلاة وأعظم أركانها، ولأنه يُقَرَّبُ العبد من الله تعالى؛ لما في الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»^(١).

قوله: (ملتبسِينَ ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾) أي: جمعوا في سُجودهم بين التَّنْزِيهِ والحمد؛ فالتنزيه حاصلٌ بوضع الأعضاء على الأرض، وبَقَوْلِهِمْ: (سبحان الله)، والحمد لله حاصلٌ بقولهم: (وبحمده)، فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد، ويطلب فيه أيضاً الدعاء، ومما ورد فيما يقال في سجودات القرآن: «اللهم؛ اكتب لي بها أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذكراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام»^(٢).

قوله: ﴿(وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)﴾ أي: لا يتكبرون ولا يأنفون.

قوله: ﴿(نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ)﴾ أسند التجافي للجُنُوب؛ لأنَّ الواعظ الذي يكون سبباً في القيام للصلاة ونحوها من جهة الجُنُوب، وهو القلب، فالإنسان إذا كان مشغولاً بربه... سُلِّطَ عليه واعظٌ في قلبه يُقْلِقُهُ، فيكون قليل النوم والهجوم، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]،

(١) رواه مسلم (٤٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٥٧٩)، وابن ماجه (١٠٥٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ
أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

لِصَلَاتِهِم بِاللَّيْلِ تَهَجُّدًا، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ مِنْ عِقَابِهِ، ﴿وَطَمَعًا﴾ فِي رَحْمَتِهِ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يَتَصَدَّقُونَ.

﴿١٧﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ﴾: خُبِّي ﴿لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: مَا تَقَرَّبَ بِهِ أَعْيُنُهُمْ، -
وَفِي قِرَاءَةٍ: بِسُكُونِ الْيَاءِ مُضَارِعٌ - ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

فإذا اضطجع.. قصد بذلك التَّقْوَى عَلَى الْقِيَامِ وَالْخِدْمَةِ، وبالجمله فتكون جميع أفعاله دائرة بين
الواجب والمندوب.

قوله: (لصلاتهم بالليل) أي: لما فيها من نور القلب، ورضا الرب؛ لما في الحديث: «ما زال
جبريل يُوصيني بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون»^(١).

قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ أي: لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهم، والمعنى:
لا تعلم ذلك تفصيلاً، وإلا.. فنحن نعلمه إجمالاً كالأشجار والأنهار والغُرَف والحدود والولدان
وغير ذلك؛ لأنَّ عطاء الجنة لا تحيط به العقول؛ ففي الحديث: «الموضع سوط أحدكم في الجنة
خيرٌ من الدنيا وما فيها»^(٢).

قوله: ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي: سُرورها وفرحها؛ فلا يلتفتون لغيره.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٣).

قوله: (مضارع) أي: والفاعل مستتر تقديره: أنا؛ ففي الحديث: «أعددتُ لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(٤).

قوله: ﴿جَزَاءً﴾ مفعول لأجله.

(١) رواه الديلمي في «الفردوس» (٦٣٠٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٢٥٠) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) قرأ حمزة بسكون الياء، والباقون بالفتح. انظر «السراج المنير» (٣/٢١٠).

(٤) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ

(١٨ - ٢٠) ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي: المؤمنون والفاسيقون؛ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا﴾ هو ما يُعَدُّ لِلضَّيْفِ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾... إلخ سبب نزولها: أنه كان بين علي بن أبي طالب وعقبة^(١) ابن أبي معيط تنازع، فقال الوليد بن عقبة لعلي: اسكت؛ فإنك صبي، وأنا والله أبسط منك لساناً، وأشجع منك جناحاً، وأملأ منك حشواً في الكتية، فقال علي: اسكت؛ فإنك فاسق^(٢).

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

قوله: ﴿كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ أي: كافراً.

قوله: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي: في المآل، وقد راعى المعنى فجمع؛ لأنَّ المراد الفريق في كلٍّ، وروي: أنه ﷺ كان يتعمد الوقف على قوله: ﴿فَاسِقًا﴾، ويبتدئ بقوله: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٣).

قوله: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ تفصيل لما أجمل أولاً.

قوله: ﴿نُزُلًا﴾ أي: مهياة ومعدة لإكرامهم، كما تهياً للضيف التازل بالكرام.

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بسبب كونهم يعملون الصالحات.

قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ لم يقل: وعملوا السيئات؛ إشارة إلى أنَّ مجرد الكفر كافٍ في الخلود في النار، فلا التفات إلى الأعمال معه، وأما العمل الصالح.. فله مع الإيمان تأثير؛ فلذا قرنه به.

قوله: ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ أي: مسكنهم ومنزلهم.

(١) كذا في الأصول، ولعلها: الوليد بن عقبة بن أبي معيط كما في سبب النزول.

(٢) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٤٣) عن سيدنا ابن عباس ؓ، وانظر «زاد المسير» (٤٤٢/٣).

(٣) ذكر الأشموني في «منار الهدى في بيان الوقف والابتداء» (١٣/١) أنَّ الوقف كما أورده المفسر من وقف جبريل الذي

ينبغي للقارئ تعلمه. وانظر «الدر المصون» (٨٨/٩).

كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾

كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾
﴿٢١﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ ﴿٢٠﴾ : عَذَابُ الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْجَدْبِ سِنِينَ
وَالْأَمْرَاضِ، ﴿دُونَ﴾ : قَبْلَ ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عَذَابِ الْآخِرَةِ، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ : أَيِ : مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ
﴿يَرْجِعُونَ﴾ إِلَى الْإِيمَانِ.

﴿٢٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴿٢٢﴾ : الْقُرْآنِ ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أَيِ : لَا أَحَدَ أَظْلَمُ
مِنْهُ، ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ : الْمُشْرِكِينَ ﴿مُنْقِمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا﴾... إلخ) بيان لكون النار مأواهم.

روي: «أن النار تضربهم، فيرتفعون إلى طبقاتها، حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا
منها.. يضربهم لهبها، فيهوون إلى قعرها، وهكذا يفعل بهم أبداً»^(١).

قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطف على ﴿أُعِيدُوا﴾، والقاتل لهم الخزنة.

قوله: ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (صفة لـ(عذاب))، وعبر هنا بالتذكير؛ نظراً للمضاف،
وهو العذاب، وفي (سبأ) بالتأنيث؛ نظراً للمضاف إليه، وهو النار^(٢).

قوله: (والجدب سنين) أي: بمكة سبع سنين، حتى أكلوا فيها الحيف والعظام والكلاب.

قوله: (أي: من بقي منهم) أي: بعد القحط، وبعد يوم بدر، والترجي في القرآن بمنزلة
التحقيق، وقد تحقق ذلك عند الفتح.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾... إلخ) بيان إجمالي لحال المكذب إثر بيانه تفصيلاً.

قوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: ترك الإيمان بها.

قوله: (أي: لا أحد... إلخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٩٧/٢) من تفسير الحسن رحمه الله تعالى.

(٢) أي: في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً

﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: التَّوْرَةَ ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾: شَكٌّ ﴿مِّن لِّقَائِهِ﴾،
وقد التقيا ليلة الإسراء، ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: موسى أو الكتاب ﴿هُدًى﴾: هادياً ﴿لِّبَنِي
إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَيْنِ وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ يَاءً -: قَادَةٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الحكمة في ذكر موسى: قُربه من النبي ﷺ، ووجود من
كان على دينه؛ لتقوم الحجّة عليهم.

قوله: (وقد التقيا ليلة الإسراء) أي: في الأرض عند الكتيب الأحمر وهو قائمٌ يُصلي في قبره،
وفي السماء السادسة؛ كما ورد بذلك الحديث^(١).

وفي كلامه إشارة إلى أن الضمير في ﴿لِّقَائِهِ﴾ عائِدٌ على (موسى)، والمصدر مضاف لمفعوله
أي: من لقاء موسى ليلة الإسراء، وهو أقوى الاحتمالات في هذا الموضع^(٢).

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً﴾ أي: وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل، أو أتباع الأنبياء.
قوله: (وإبدال الثانية ياء) تقدّم أنها سبعة، لكن من طريق «الطبية»، لا من طريق «الشاطبية»^(٣).

(١) أما حديث رؤيته عليه السلام قائماً يصلي.. فرواه مسلم (٢٣٧٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه، وأما حديث رؤيته في السماء
السادسة.. فرواه مسلم في حديث قصة الإسراء (١٦٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) وفي عود الضمير في (لقائه) أقوال: أحدها: ما ذكره المصنف رحمه الله، والثاني: أنَّ الضمير يعود على (الكتاب)،
وحينئذ: يجوز أن تكون الإضافة للفاعل؛ أي: من لقاء الكتاب لموسى، أو المفعول؛ أي: من لقاء موسى الكتاب؛
لأن اللقاء تصح نسبته إلى كل منهما، والثالث: أنه يعود على (الكتاب) على حذف مضاف؛ أي: من لقاء مثل كتاب
موسى، والرابع: أنه عائِد على ملك الموت؛ لتقدّم ذكره، والخامس: عَوْدُهُ على الرجوع المفهوم من الرجوع
في قوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: لا تك في مِرْيَةٍ من لقاء الرجوع، والسادس: أنه يعود على ما يفهم من سياق
الكلام مما ابتلي به موسى من البلاء والامتحان، قاله الحسن؛ أي: لا بدَّ أن تلقى ما لقي موسى من قومه. وهذه
أقوال بعيدة ذكرتها للتنبية على ضعفها، وأظهرها: أن الضمير: إما لموسى، وإما للكتاب؛ أي: لا ترتّب
في أن موسى لقي الكتاب وأنزل عليه. انظر «الدر المصون» (٨٩/٩).

(٣) انظر «البدور الزاهرة» (ص ١٣٣).

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ عَلَى دِينِهِمْ وَعَلَى الْبَلَاءِ مِنْ عَدُوِّهِمْ، ﴿وَكَانُوا
بِآيَاتِنَا﴾ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِنَا وَوَحْدَانِيَّتِنَا ﴿يُوقِنُونَ﴾ - وَفِي قِرَاءَةِ بَكْسَرِ اللَّامِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ - .
(٢٥ - ٢٦) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِنْ
أَمْرِ الدِّينِ، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَي: يَتَبَيَّنُ لِكُفَّارِ مَكَّةَ إِهْلَاكُنَا كَثِيرًا
﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾: الْأُمَمِ بِكُفْرِهِمْ، ﴿يَمْشُونَ﴾ - حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿لَهُمْ﴾ - ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾
فِي أَسْفَارِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا فَيَعْتَبِرُوا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَتِنَا،
﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعَ تَدَبُّرٍ وَاتِّعَازٍ؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ أي: تحمّلوا المشاق؛ فالصبر عواقبه خير، كما قيل: [البسيط]

الصَّبْرُ كَالصَّبْرِ مُرْفِي مَذَاقَتِهِ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ
والمعنى: جعلنا منهم أئمة حين صبروا.

قوله: ﴿وَكَانُوا﴾ عطف على ﴿صَبَرُوا﴾.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً، وخُرِجَتْ عَلَى جَعْلِ اللَّامِ لِلتَّعْلِيلِ، وَ(ما):
مصدرية؛ أي: جعلناهم أئمة لأجل صبرهم^(١).

قوله: ﴿يَبْنَهُمْ﴾ أي: المؤمنين والمشرّكين، أو بين الأنبياء وأممهم.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الهمزة داخلّة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أغفلوا
ولم يتبين لهم... إلخ؟.

قوله: ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ (من): بيانية ل(كم)، و﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: حال من ﴿الْقُرُونِ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من كثرة إهلاك الأمم الخالية.

(١) قرأ الأخوان بكسر اللام وتخفيف الميم، والباقون بفتحها وتشديد الميم. انظر «الدر المصون» (٩٠/٩).

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ

﴿٢٧﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: اليابسة التي لا نبات فيها، ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا فيعلمون أننا نقدر على إعادتهم.

﴿٢٨ - ٢٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: يُمَهِّلُونَ لِتَوْبَةٍ أَوْ مَعْدِرَةٍ.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾ إِنْزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (اليابسة التي لا نبات فيها) أي: التي قُطِعَ وأزيل بالمرّة، ف(الجرز) معناه: القطع، سُمِّيَتِ الأرض اليابسة بذلك؛ لقطع النبات منها، وقيل: المراد بـ(الجرز): موضع باليمن.

قوله: ﴿نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ (قدّم الأنعام؛ لأنّ أكلها مقدّم؛ لكونها تأكل قبل أن يُثمر. قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾) سبب نزولها: أنّ المسلمين كانوا يقولون: إنّ الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم، وكان أهل مكة إذا سمعوه . . يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء: متى هذا الفتح؟^(١)

قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ المراد به: يوم القيامة؛ لأنه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين. قوله: ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾ أي: لأنّ الإيمان المقبول هو الذي يكون في الدنيا، ولا يُقبلُ بعد خروجه منها.

قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: يؤخّرون، وقوله: (أو معذرة) أي: اعتذار.

قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: اتركهم ولا تتعرّض لهم.

إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ بِكَ حَدِثَ مَوْتٍ أَوْ قَتْلٍ فَيَسْتَرْيَحُونَ مِنْكَ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ.



حاشية الصاوي

قوله: (وهذا قبل الأمر بقتالهم) أي: فهو منسوخُ بآية الجهاد، ويحتمل أن الآية محكمة، ومعنى ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: اقبل عُذر من أسلم منهم وترك ما هو عليه، وقد وَقَعَ منه ذلك؛ فقد عفا عن وحشي حين أسلم بعد قتله حمزة عَمَّهُ ﷺ، وعن جميع مَنْ دخل عليهم مكة عام الفتح.



﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ أَتَى اللَّهَ.....﴾



مدينة، ثلاثٌ وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ أَتَى اللَّهَ﴾:

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

أي: التي ذكرت فيها قصّة الأحزاب، وهذه السورة اشتملت على مدح النبي ﷺ والصادقين من أصحابه، والتشنيع على المنافقين وذمهم، وكانت هذه السورة قدر سورة (البقرة)، وكانت فيها آية الرجم: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبةً نكالا من الله والله عزيز حكيم)^(١)، فأبقى الله منها ما هو بأيدينا، ورفع الزائد، خلافاً للروافض؛ حيث زعموا أنّ تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة، فأكلها الداجن^(٢).

قوله: (مدينة) أي: بإجماع.

قوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ﴾ لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال: ﴿يَمُوسَى﴾،

(١) روى النسائي في «السنن الكبرى» (٧١٥٠) عن زرّ، قال: قال لي أبيّ بن كعب: كم تعدون سورة الأحزاب آية؟ قلنا: ثلاثة وسبعين، فقال أبي: كانت لتعدل سورة (البقرة)، ولقد كان فيها آية الرجم: (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبةً نكالا من الله والله عزيز حكيم).

(٢) روى ابن ماجه (١٩٤٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته.. دخل داجنٌ فأكلها»، وعلّق العلامة السندي على الحديث في «حاشيته» (٥٩٩/١)، فقال: (ولم تُرد أنه كان مقروءاً بعد؛ إذ القول به يوجب وقوع التغير في القرآن، وهو خلاف النص؛ أعني: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾)، فهذه الرواية وأمثالها مَحْمُولَةٌ عَلَى النسخ. وانظر «تفسير القرطبي» (١١٣/١٤).

وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

دُمْ عَلَى تَقْوَاهُ، ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فِيمَا يُخَالِفُ شَرِيعَتَكَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِمَا يَكُونُ قَبْلَ كَوْنِهِ، ﴿حَكِيمًا﴾ فِيمَا يَخْلُقُهُ.

﴿٢﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴿١﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ - وَفِي قِرَاءَةِ الْفُوقَانِيَّةِ ..

﴿٣﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴿٢﴾ فِي أَمْرِكَ،

حاشية الصاوي

﴿يَعِيسَى﴾، ﴿يَسَاءُؤُودُ﴾؛ لكونه ﷺ أفضلَ الخلق على الإطلاق، فخاطبه بما يُشعر بالتعظيم والإجلال؛ حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، وإن ذكر اسمه صريحاً.. أرذفه بما يشعر بالتعظيم؛ حيث قال: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ﴾، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ إلى غير ذلك.

قوله: (أي: دُمْ عَلَى تَقْوَاهُ) دفع بذلك ما يقال: إِنَّ فِي الْآيَةِ تَحْصِيلَ الْحَاصِلِ.

وسبب نزول هذه الآية: أَنَّ أَبَا سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبٍ وَعُكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ وَأَبَا الْأَعُورَ عَمْرُو بْنَ سَفِيَّانَ السَّلَمِيَّ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَنَزَلُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَأْسٍ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَ قِتَالِ أَحَدٍ، وَقَدْ أَعْطَاهُم النَّبِيُّ ﷺ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يَكَلِّمُوهُ، فَقَامَ مَعَهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي سَرْحٍ وَطُعْمَةَ بْنُ أَبِي رُقٍ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: ارْضُضْ ذِكْرَ آلِهَتِنَا اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ، وَقُلْ: إِنَّ لَهَا شَفَاعَةً لِمَنْ عِبَدَهَا، وَنَدْعُكَ وَرَبَّكَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ عَمْرُو: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ ائْذَنْ لَنَا فِي قَتْلِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُهُمُ الْأَمَانَ، فَقَالَ عَمْرُو: اخْرُجُوا فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَمْرُو أَنْ يَخْرُجَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ^(١).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾) تعليلٌ للأمر والنهي.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾) الواو: ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة التحتانية، وضمير النبي وأُمَّتِهِ عَلَى قِرَاءَةِ الْفُوقَانِيَّةِ، وَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾) أي: اعتمد عليه، وفوض أمورك إليه.

(١) أورده الثعلبي في «الكشف والبيان» (٥/٨).

(٢) قرأ أبو عمرو بياء الغيبة، والباقون بقاء الخطاب. انظر «الدر المصون» (٩/٩١).

وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّثَى تَنْظَهُرُونَ

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: حَافِظًا لَّكَ، وَأَمَّتُهُ تَبِعَ لَهُ فِي ذَلِكَ كُلُّهُ.

﴿٤﴾ ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ رَدًّا عَلَى مَنْ قَالَ مِنَ الْكُفَّارِ: إِنَّ لَهُ قَلْبَيْنِ يَعْقِلُ بِكُلِّ مِنْهُمَا أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِ مُحَمَّدٍ، ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّثَى﴾ - بِهَمْزَةٍ وَيَاءٍ وَبِلَا يَاءٍ - ﴿تَنْظَهُرُونَ﴾ - بِلَا أَلِفٍ قَبْلَ الْهَاءِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (الباء: زائدة في فاعل (كفى)، و﴿وَكِيلًا﴾: حال.

قوله: (تبع له في ذلك) أي: فيما ذكر من قوله: ﴿أَتَى اللَّهَ﴾ إلى هنا.

قوله: ﴿مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ أي: لأنَّ القلب عليه مدار قوى الجسد، فيمتنع تعدُّده؛ لأنه يؤدي للتناقض، وهو أن يكون كلُّ منها أصلًا لكل قوى الجسد، وغير أصلٍ لها.

قوله: (ردًّا على من قال... إلخ) أي: وهو أبو معمر جميل بن معمر الفهري، كان رجلاً لبيباً حافِظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا من أجل أنَّ له قلبين، وكان هو يقول: لي قلبان أعقل بكلِّ منهما أفضل من عقل محمد، فلمَّا هزم الله المشركين يوم بدر.. انهزم أبو معمر، فلقاه أبو سفيان وإحدى نعليه بيده، والأخرى برجله، فقال له: يا أبا معمر؛ ما حال الناس؟ قال: انهزموا، فقال: ما بال إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر: ما شعرتُ إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذٍ أنه لو كان له قلبان.. لما نسي نعله في يده^(١).

قوله: (بهَمْزَةٍ وَيَاءٍ وَبِلَا يَاءٍ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢)، وهو جمع (التي)، قال ابن مالك^(٣): [الرجز]

بَالَّاتِ وَاللَّاءِ الَّتِي قَدْ جُمِعَا

قوله: (بِلَا أَلِفٍ قَبْلَ الْهَاءِ) أي: فأصله: (تَنْظَهُرُونَ) بتاءين، سُكِّنَتِ الثَّانِيَةُ وَقَلْبَتِ ظَاءٌ وَأَدْغَمْتَ فِي الظَّاءِ.

(١) انظر «زاد المسير» (٣/٤٤٧).

(٢) قرأ الكوفيون وابن عامر بياء ساكنة بعد همزة مكسورة، وقرأ قنبل وورش بهَمْزَةٍ مكسورة دون ياء. انظر «الدر المصون» (٩/٩٢) فقد ذكر قراءة أخرى لأبي عمرو والبري بياء ساكنة وصلاً بعد ألف محضة في أحد وجهيهما.

(٣) «الخلاصة»، باب: (الموصل) (ص ١٥).

مِنْهُمْ أُمَّهَتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ

وبها، والتاء الثانية في الأصل مُدْغَمَةٌ في الظاء - ﴿مِنْهُمْ﴾ يَقُولُ الْوَاحِدُ مَثَلًا لِزَوْجَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي ﴿أُمَّهَتِكُمْ﴾ أَي: كَالْأُمَّهَاتِ فِي تَحْرِيمِهَا بِذَلِكَ الْمُعَدِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ طَلَاقًا، وَإِنَّمَا تَجِبُ بِهِ الْكَفَّارَةُ بِشَرْطِهِ كَمَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ (الْمُجَادَلَةِ)، ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (وبها والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء) أي: فهاتان قراءتان سبعيتان، وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً، وهما: فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وأصلها: بتاءين حذفت إحداهما، وضمُّ التاء وكسر الهاء مع تخفيف الظاء أيضاً مضارع (ظاهر)^(١). وهذا القراءات واردة في (قد سمع) أيضاً غير فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء^(٢)؛ لأنَّ المضارع هناك مبدوء بالياء، فلا تتأتى فيه، وفي الماضي ثلاث لغات: (تظَّهَّرَ) ك: تكلَّم، و(تظَاهَر) ك: تقاتل، و(ظَاهَر) ك: قاتل.

قوله: (يقول الواحد مثلاً لزوجته... إلخ) أي: وضابطه: أن يشبه زوجته كلاً أو بعضاً بظهر مؤبدة التحريم.

قوله: ﴿أُمَّهَتِكُمْ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿جَعَلَ﴾.

قوله: (بشرطه) أي: وهو العزم على العود، فإن لم يعزم على العود... فلا تجب عليه كفارة ما لم يمسه، وإلا... تحققت عليه ولو طلقها بعد ذلك.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ نزلت في حق زيد بن حارثة وهو كما رُوي: كان من سبايا الشام، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد، فوهبه لعَمَّتِهِ خديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة لرسول الله ﷺ، فأعتقه وتبَّاه، فأقام عنده مدة، ثم جاء عنده أبوه وعمُّه في فدائه، فقال لهما النبي ﷺ: «خياراه»، فاختار الرقَّ مع رسول الله ﷺ على حُرِّيَّتِهِ وقومه، فقال النبي ﷺ عند ذلك: «يا معشر قريش؛ اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه»، وكان يطوف على حلقِ قريش يُشهدهم على ذلك، فرضي ذلك عمُّه وأبوه وانصرفا، فزوجه رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، فمكثت معه مدة، ثم أخبر الله نبيه أنه زوجة

(١) قرأ عاصم: (تُظَاهِرُونَ) بضم التاء وكسر الهاء بعد ألف، مضارع: ظاهر، وابن عامر: (تُظَاهِرُونَ) بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء، مضارع: تظاهر، والأخوان كذلك إلا أنهما خففا الظاء، والباقون: (تُظَاهِرُونَ) بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء والهاء دون ألف. انظر «الدر المصون» (٩/٩٣).

(٢) انظر «البدور الزاهرة» (ص ٣٥١).

أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ.....

جَمْع (دَعِيَ) وَهُوَ مَنْ يَدْعِي لِغَيْرِ أَبِيهِ ابْنًا لَهُ، ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حَقِيقَةً، ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي: الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقِينَ قَالُوا لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ الَّتِي كَانَتْ امْرَأَةً لَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الَّذِي تَبَنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالُوا: تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ امْرَأَةَ ابْنِهِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ فِي ذَلِكَ، ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾: سَبِيلَ الْحَقِّ.

﴿٥﴾ لَكِنْ ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾: أَعْدَلُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾: بَنُو عَمِّكُمْ، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ فِي ذَلِكَ،

حاشية الصاوي

زَيْنَب، فَلَمَّا طَلَّقَهَا زَيْدٌ.. تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَكَلَّمَ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا: تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ حَلِيلَةَ ابْنِهِ وَهُوَ يَحْرِمُهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ رَدًّا عَلَيْهِمْ، وَسَتَّانِي هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي أَثْنَاءِ السُّورَةِ^(١).

قَوْلُهُ: (جَمْع دَعِيَ) أَي: بِمَعْنَى مَدْعُوٍّ، وَأَصْلُهُ: (دَعِيَوْ)، اجْتَمَعَتِ الْوَاوُ وَالْيَاءُ، وَسَبَقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالسَّكُونِ، قَلَبْتُ الْوَاوُ يَاءً وَأَدْغَمْتُ فِي الْيَاءِ.

قَوْلُهُ: (أَي: الْيَهُودُ) تَفْسِيرٌ لِلْكَافِ فِي ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ رُوِيَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: مَا كُنَّا نَدْعُو زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَّا زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَتْ ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾^(٢).

قَوْلُهُ: ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ أَي: دَعَاؤُهُمْ لِأَبَائِهِمْ أَبْلَغُ فِي الْعَدْلِ وَالصَّدَقِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أَي: فَادْعُوهُمْ بِمَادَةِ الْأَخُوَّةِ؛ بَأَنَّ تَقُولُوا: يَا أَخِي مِثْلًا.

قَوْلُهُ: (بَنُو عَمِّكُمْ) تَفْسِيرٌ لِلْمَوَالِي؛ فَإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى مَعَانَ، مِنْ جَمَلَتِهَا: ابْنُ الْعَمِّ، وَالْمَعْنَى: إِذَا لَمْ تَعْرِفُوا نَسَبَ شَخْصٍ وَأَرَدْتُمْ خُطَابَهُ.. فَقُولُوا لَهُ: يَا ابْنَ عَمِّي مِثْلًا.

قَوْلُهُ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أَي: إِثْمٌ.

(١) رَوَى الْخَبَرُ بِتَمَامِهِ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (٣/٣١)، وَتَرْوِيحُهُ ﷺ وَقَوْلُ الْمُنَافِقِينَ فِيهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٢٠٧) مِنْ حَدِيثِ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٨٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٢٥) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ أَلَيْسَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ

﴿وَلَكِنْ﴾ في ﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه وهو بعد النهي، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي، ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

﴿٦﴾ ﴿أَلَيْسَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: ذُؤو القَرَاباتِ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ﴾ أي: ولكن الجناح فيما تعمدته قلوبكم.

قوله: ﴿أَلَيْسَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: إنه ﷺ أحقُّ بكلِّ مؤمن من نفسه، كان في زمنه أو لا، فطاعة النبيّ مقدّمة على طاعة النفس في كلّ شيء من أمور الدين والدنيا؛ لأنها طاعة الله، قال تعالى: ﴿فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٨٠]، وإذا كان أولى بهم من أنفسهم.. فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى، فحقّه ﷺ على أمته أعظم من حقِّ السيّد على عبده، وهذه الآية أعظم دليل على أنه ﷺ هو الواسطة العظمى في كلّ نعمة وصلت للخلق.

قوله: (فيما دعاهم إليه) أي: من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة، فإذا طلب النبيّ شيئاً من أمر الدنيا أو الدين وطلبت النفس خلافه.. فالحق في الطاعة للنبيّ، وحينئذٍ: فلا يتأتى من النبيّ الغضب ولا السرقة، ولكن من كمال أخلاقه أنه كان يتدأين من اليهود، ويشتري الشيء بالثمن.

وإنما جعله الله أولى بالمؤمنين؛ لأنه ﷺ لا يفعل شيئاً عن هوى نفسه بل عن وحي، فجميع أفعاله وأقواله عن ربّه.

قوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: من عقد عليهنّ، سواء دخل بهنّ أو لا، مات عنهنّ أو طلقهنّ، وسراريه اللاتي تمتّع بهنّ كذلك.

قوله: (في حرمة نكاحهنّ عليهم) أي: والتعظيم والاحترام والبرّ، لا في غير ذلك من النظر والخلوة؛ فإنهنّ في ذلك كالأجانب.

قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ مبتدأ، و﴿بَعْضُهُمْ﴾ بدل، أو مبتدأ ثان، و﴿أُولَىٰ﴾: خبر.

قوله: (في الإرث) أشار بذلك إلى أنّ الكلام على حذف مضاف، والتقدير: الأقارب أولى بإرث بعضهم من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب.

فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فنسخ، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بِوَصِيَّةٍ فَجَائِزٍ، ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾، وأريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ.

﴿٧﴾ ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ﴾ حِينَ أُخْرِجُوا مِنْ صُلْبِ آدَمَ كَالذَّرِّ جَمْعِ ذَرَّةٍ وهي أصغر النمل، ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بِأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ.

قوله: (أي: من الإرث بالإيمان والهجرة) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بـ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: أن الأقارب أولى بإرث بعضهم من الإرث بسبب الإيمان والهجرة الذي كان في صدر الإسلام، وذلك أن النبي ﷺ كان يواخي بين الرجلين، فإذا مات أحدهما.. ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(١).

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا﴾ استثناء منقطع؛ ولذا فسره بـ(لكن).

قوله: ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ﴾ أي: مَنْ تَوَالَوْنَهُ مِنَ الْأَجَانِبِ.

قوله: (بوصية) أي: فلما نسخ الإرث بالإيمان والهجرة.. توصل إلى نفع الأجانب بالوصية، وهي خارجة من ثلث المال.

قوله: ﴿مَسْطُورًا﴾ أي: مكتوباً.

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ ظرف لمحذوف، قدره بقوله: (اذكر).

قوله: (وهي أصغر النمل) أي: فكل أربعين منها أصغر من جناح بعوضة.

قوله: (بأن يعبدوا الله) أي: يؤخّده، وهو تفسير للميثاق.

(١) أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/٢٢٩) من حديث سيدنا ابن عباس ؓ.

وَآخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَيَدْعُوا إِلَى عِبَادَتِهِ، وَذَكَرُ الْخَمْسَةِ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، ﴿وَآخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾: شَدِيدًا بِالْوَفَاءِ بِمَا حُمِّلُوهُ وَهُوَ الْيَمِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى. ثُمَّ أَخَذَ الْمِيثَاقَ.

﴿٨﴾ ﴿لَيْسَ لَكَ﴾ اللَّهُ ﴿الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ تَبَكِيَّتًا لِلْكَافِرِينَ بِهِمْ، ﴿وَأَعَدَّ﴾ تَعَالَى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بِهِمْ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤْلِمًا، - هُوَ عَطَفٌ عَلَى (أَخَذْنَا) ..

﴿٩﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (ويدعوا إلى عبادته) أي: يُبَلِّغُوا شَرَائِعَهُ لِلخَلْقِ، فَعَهْدُ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ كَعَهْدِ مُطْلَقِ الْخَلْقِ.

قوله: (من عطف الخاص على العام) أي: والنكته كونهم أولي عزم، ومشاهير الرسل، وَقَدْ مَهَّيَ اللَّهُ؛ لِمَزِيدِ شَرَفِهِ وَتَعْظِيمِهِ.

قوله: (بما حملوه) أي: وهو عبادة الله والدعاء لها.

قوله: (وهو اليمين) أي: الحلف بالله أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَيَدْعُوا إِلَى عِبَادَتِهِ، فَالْمِيثَاقُ الثَّانِي غَيْرُ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ إِصْءَاءٌ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالدَّعْوَى إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ يَمِينٍ، وَالثَّانِي مَغْلَظٌ بِالْيَمِينِ، وَالشَّيْءُ مَعَ غَيْرِهِ غَيْرُهُ فِي نَفْسِهِ^(١).

قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ﴾ متعلق بـ(أَخَذْنَا)، وَفِي الْكَلَامِ التَّفَاتُّ مِنَ التَّكَلُّمِ لِلْغَيْبَةِ كَمَا أَشَارَ لَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (ثم أخذ الميثاق). والمراد بـ(الصادقين): الرسل.

قوله: (تبكيئا للكافرين) أي: تقييحا عليهم، فَالْحِكْمَةُ فِي سَوَالِ الرِّسْلِ عَنْ صِدْقِهِمْ وَهُوَ تَبْلِيغُهُمْ مَا أَمَرُوا بِهِ مَعَ عِلْمِهِ تَعَالَى أَنَّهُمْ صَادِقُونَ: التَّقْيِيحُ عَلَى الْكُفَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قوله: (هو عطف على «أخذنا») ويصح أن يكون في الكلام احتباك، وهو الحذف من الثاني نظير ما أثبت في الأول، والتقدير: ليسأل الصادقين عن صدقهم فأعد لهم نعيماً مقيماً، ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم وأعد لهم عذاباً أليماً.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ هذا شروع في ذكر قصة غزوة الأحزاب،

(١) في «الكشاف» (٣/٥٣٣): (فإن قلت: فماذا أراد بالميثاق الغليظ؟ قلت: أراد به ذلك الميثاق بعينه. ومعناه: وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقاً غليظاً).

حاشية الصاوي

وكانت في شوال سنة أربع، وقيل: خمس، وسيبها: أنه لما وقع إجلاء بني النضير من أماكنهم.. سار منهم جمعٌ من أكابرهم منهم حُيي بن أخطب وكنانة بن الربيع وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير إلى أن قدموا مكة على قريش، فحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً، وأحبُّ الناس إلينا مَنْ أعاننا على عداوة محمد، ثم قالت قريش لأولئك: يا معشر اليهود؛ إنكم أهل الكتاب الأول، فأخبرونا أنحن على الحق أم محمّد؟ فقالوا: بل أنتم على الحق، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِيحْثِهِمْ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥١-٥٥].

فلَمَّا قالُوا ذلك لقريش.. سرَّهم ونشطوا لحرب محمد، ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤوا غطفان وقيس وغيلان، فاجتمعوا على ذلك، وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن، ولما تهيأ الكل للخروج.. أتى ركبٌ من خُزاعة في أربع ليال حتى أخبروا محمداً بما اجتمعوا عليه، فشرع في حفر الخندق بإشارة من سلمان الفارسي؛ فقال له: يا رسول الله؛ إنا كنا بفارس إذا حاصرونا.. خندقنا علينا، فعمل فيه النبي والمسلمون حتى أحكموه، وكان النبي يقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، ومكثوا في حفره ستة أيام، وقيل: خمسة عشر يوماً، وقيل: أربعة وعشرين، وقيل: شهراً.

قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا وإذا ببطن الخندق صخرة كسرت حديدنا، وشقَّت علينا، فقلنا: يا سلمان؛ ازق إلى رسول الله ﷺ وأخبره بخبر هذه الصخرة، فأتى سلمان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ خرجت لنا صخرة بيضاء مروءة من بطن الخندق، فكسرت حديدنا، وشقَّت علينا، فمُرنا فيها بأمرِك؛ فإننا لا نحبُّ أن نجاوز خطك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان إلى الخندق، وأخذ المعول من سلمان، وضربها به ضربة صدعها، وبرق منها برقٌ أضاء ما بين لابتَيْها - يعني: المدينة - حتى كأنَّ مصباحاً في جوف بيتٍ مظلم، فكبَّر رسول الله ﷺ، وكبَّر المسلمون، ثم ضربها الثانية، فبرق منها برقٌ مثلُ الأول، فكبَّر رسول الله ﷺ، وكبَّر المسلمون معه، ثم ضربها الثالثة فكسرها، فبرق منها برقٌ مثلُ الأول، وأخذ بيد سلمان ورقي، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ لقد رأيتُ شيئاً ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال: «أرايتم ما يقول سلمان؟» قالوا: نعم، قال: «ضربت ضربتي الأولى، فبرق البرق الذي رأيتم، فأضاء لي منها قصور الحيرة

حاشية الصاوي

ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أنَّ أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثانية، فبرق لي الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور قيصر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أنَّ أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أنَّ أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا^(١)، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله، موعِد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر.

فقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يمينكم ويعدكم الباطل ويخبر أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تُفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ...﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية.

فلما فرغوا من حفره.. أقبلت قريش والقبائل، وجملتهم اثنا عشر ألفاً، فنزلوا حول المدينة، والخندق بينهم وبين المسلمين، فلما رآته قريش.. قالوا: هذه مَكيدة لم تكن العرب تعرفها، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينهم وبين القوم.

وخرج عدو الله حُبي بن أخطب رئيس بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة، فلما سمع كعب حيّاً.. أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له وقال له: ويحك يا حبي، إنك امرؤ مَشْؤوم، إني عاهدت محمداً، فلست بناقض؛ فإني لم أر منه إلا وفاءً وصدقاً، فما زال حيّاً به ويقول له: جئتُك بعزّ الدهر حتى فتح له ونقض عهد رسول الله، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله.. بعث لهم سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عباد سيد الخزرج، وعبد الله بن رواحة، فوجدوهم نقضوا عهد رسول الله ﷺ، فشاتموا وقالوا لهم: لا عقد بيننا وبينكم، ورجعوا أخبروا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل، ومكثوا في ذلك الحصار خمسة عشر يوماً، وقيل: أربعة وعشرين يوماً، فاشتد على المسلمين الخوف.

(١) رواه بنحوه النسائي في «المجتبى» (٤٣/٦) عن أبي سكينه رجل من المحررين عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

حاشية الصاوي

ثُمَّ إِنَّ نَعِيمًا ابْنَ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيَّ مِنْ غَطَفَانَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَسْلَمْتُ، وَإِنْ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَذَلْنَا عَنْكَ إِنْ اسْتَطَعْتَ؛ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَذَعَةٌ»، فَخَرَجَ نَعِيمٌ حَتَّى أَتَى بَنِي قَرِظَةَ، وَكَانَ نَدِيمًا لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمْ وَدِّيَ إِيَّاكُمْ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، قَالُوا: صَدَقْتَ، لَسْتَ عِنْدَنَا بِمَثِّهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ قَرِشًا وَغَطَفَانًا جَاؤُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَرِشًا وَغَطَفَانًا لَيْسُوا كَهَيْئَتِكُمْ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ، بِهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَتَحَوَّلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنْ قَرِشًا وَغَطَفَانًا أَمْوَالُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِ، وَإِنْ رَأَوْا نَهْزَةً وَغَنِيمَةً.. أَصَابُوا^(١)، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ.. لِحَقُّوا بِبِلَادِهِمْ، وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ، وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تُقَاتِلُوهُ مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى تَأْخُذُوا رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثَقَّةً لَكُمْ عَلَى أَنْ يِقَاتِلُوا مَعَكُمْ مُحَمَّدًا؛ لَا يَتَأَخَّرُوا، قَالُوا: أَشَرْتُ بِرَأْيٍ وَنَصَحَ.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى قَرِشًا فَقَالَ لِأَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ: قَدْ عَرَفْتُمْ وَدِّيَ إِيَّاكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمَّدًا، فَقَدْ بَلَغَنِي أُمُورُ رَأَيْتُ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَبْلُغَكُمْ نَصْحًا لَكُمْ، فَارْتَمُوا عَلَيَّ، قَالُوا: نَفْعَلُ، قَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّ مَعْشَرَ الْيَهُودِ قَدْ نَدَمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنْ قَدْ نَدَمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا، فَهَلْ يُرْضِيكَ عَنَّا أَنْ نَأْخُذَ مِنْ قَرِيشٍ وَغَطَفَانٍ رَجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَنُعْطِيَهُمْ، فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، ثُمَّ نَكُونَ مَعَكُمْ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ أَنْ: نَعَمْ، فَإِنْ بَعَثْتَ إِلَيْكُمْ يَهُودَ يَلْتَمِسُونَ رَهْنًا مِنْ رَجَالِكُمْ.. فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى غَطَفَانَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، أَنْتُمْ أَهْلِي وَعَشِيرَتِي وَأَحِبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أَرَاكُمْ تَتَهَمُونِي، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ: فَارْتَمُوا عَلَيَّ، قَالُوا: نَفْعَلُ، فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقَرِيشٍ، وَحَذَّرَهُمْ مِثْلَ مَا حَذَّرَهُمْ.

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ مِنْ شَوَالِ سَنَةِ خَمْسٍ، وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ أَرْسَلَ أَبُو سَفْيَانَ وَرُؤُوسَ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي قَرِظَةَ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا لَسْنَا بِدَارِ مَقَامٍ، قَدْ هَلَكَ الْخَفُّ وَالْحَافِرُ، فَاعْذُوا لِلْقِتَالِ حَتَّى نَنَاجِزَ مُحَمَّدًا وَنَفْرُغَ مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ أَنَّ الْيَوْمَ السَّبْتُ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا نَعْمَلُ شَيْئًا فِيهِ، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا، فَأَصَابَهُمْ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ، وَلَسْنَا مَعَ الَّذِي نَقَاتِلُ

حاشية الصاوي

معكم حتى تُعطونا رهناً من رجالكم، يكون بأيدينا ثقةً لنا حتى نناجز معكم محمداً، فإننا نخشى إن ضَرَمْتكم الحرب واشتدَّ عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلمَّا رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة . . قالت قريش وغطفان: تعلمنَّ والله إن الذي حدَّثكم به نعيم بن مسعود لحقٌّ؛ فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تُريدون القتال . . فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقٌّ، ما يُريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة . . انتهزوها، وإن كان غير ذلك . . انتهزوا إلى بلادهم وخلَّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تُعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذَّل الله عزَّ وجلَّ بينهم.^(١)

وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً، وهي ريح الصبا في ليلة شديدة البرد والظلمة، فقلعت بيوتهم، وقطعت أطنابهم، وكفأت قدورهم، وصارت تُلقِي الرجل على الأرض، وأرسل الله الملائكة، فزلزلتهم ولم تقاتل، بل نفثت في قلوبهم الرعب.

ثم إن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يَقُومُ فَيَذْهَبُ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَيَأْتِينَا بِخَبَرِهِمْ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ؟» فما قام منَّا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ^(٢)، ثم التفت إلينا فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منَّا أحدٌ، ثم صلى هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثم التفت إلينا فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منَّا أحدٌ من شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَالْبَرْدِ، ثم قال: «يَا حُذِيفَةُ»، فقلت: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَمْتُ حَتَّى أَتَيْتَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَمَسَحَ رَأْسِي وَوَجْهِي ثُمَّ قَالَ: «أَنْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ حَتَّى تَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئاً حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيَّ»، ثم قال: «اللَّهُمَّ؛ احْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ»، فَأَخَذَتْ سَهْمِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَمْشِي نَحْوَهُمْ، كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حِمَامٍ، فَذَهَبَتْ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ، وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً، وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ، لَا تَقْرَأُ لَهُمْ قَدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً، وَأَبُو سَفْيَانَ قَاعِدٌ يَصْطَلِي، فَأَخَذَتْ سَهْمًا فَوَضَعَتْهُ

(١) خبر سيدنا نعيم بن مسعود رضي الله عنه رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٠٤-٤٠٦).

(٢) في (أ): (هوناً من الليل)، والمثبت من (ط)، والهويُّ بالفتح: الحين الطويل من الزمان، وقيل: هو مُختَص بالليل. انظر «النهاية» لابن الأثير (٥/ ٢٨٥).

إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴿١﴾ مِنَ الْكُفَّارِ مُتَحَرِّبُونَ أَيَّامَ حَفْرِ الْخَنْدَقِ، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ - بِالنَّاءِ - مِنْ حَفْرِ الْخَنْدَقِ، - وَبِالْيَاءِ - ..

حاشية الصاوي

في كبد قوسي، فأردت أن أرميه، ولو رميته لأصيبته، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تحدثن حدثاً حتى ترجع»، فرددت سهمي في كنانتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم؛ لا تقر لهم قدوراً ولا ناراً ولا بناءً.. قام فقال: يا معشر قريش؛ ليأخذ كل منكم بيد جليسه، فلينظر من هو؟ فأخذت بيد جليسي فقلت: من أنت؟ فقال: سبحان الله، أما تعرفني؟ أنا فلان بن فلان رجل من هوازن، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش؛ إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، فقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم. وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فاستمروا راجعين إلى بلادهم.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأني أمشي في حمام، فأتيته وهو قائم يصلي، فلما سلم.. أخبرته، فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل، فلما أخبرته وفرغت.. قررت^(١) وذهب عني الدفء، فأتاني النبي ﷺ، فأنامني عند رجله، وألقى عليّ طرف ثوبه، وألصق صدري ببطن قدميه، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، قال: «قم يا نومان»^(٢).

قوله: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ﴾ بدل من ﴿نِعْمَةً﴾، والعامل ﴿أَذْكُرُوا﴾.

قوله: (متحزبون) أي: مجتمعون، وتقدم أنهم كانوا اثني عشر ألفاً، وكان المسلمون إذ ذاك ثلاثة آلاف، والمنافقون من جملتهم.

قوله: ﴿رِيحًا﴾ أي: وهي الصبا التي تهب من المشرق ولم تتجاوزهم.

قوله: (ملائكة) أي: وكانوا ألفاً ولم يقاتلوا، وإنما ألقوا الرعب في قلوبهم.

قوله: (وبالياء) فهما قراءتان سبعيتان^(٣).

(١) القرطبي في القاف: البرد.

(٢) خبر سيدنا حذيفة بن اليمان رواه بنحوه مسلم (١٧٨٨)، وانظر خبر الغزوة كاملاً عند البيهقي في «الدلائل» (٣/٣٨٩)، والواقدي في «مغازيه» (٢/٤٤١).

(٣) قرأ أبو عمرو بياء الغيبة، والباقون بقاء الخطاب. انظر «الدر المصون» (٩/٩١).

بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ.....

مِنْ تَحْزِيبِ الْمُشْرِكِينَ ﴿بَصِيرًا﴾.

﴿١٠﴾ ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي وَأَسْفَلِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾: مَالَتْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى عَدُوِّهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾: جَمَعَ (حَنْجَرَةً)، وَهِيَ مُتَهَيِّئَةُ الْحُلُقُومِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ الْمُخْتَلِفَةَ بِالنَّصْرِ وَالْيَأْسِ.

﴿١١﴾ ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: اخْتَبِرُوا لِيَتَبَيَّنَ الْمُخْلِصُونَ مِنْ غَيْرِهِ،.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ﴾ بدل من ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ﴾.

قوله: (من أعلى الوادي) أي: وهم أسد وغطفان.

قوله: (وأسفله) أي: وهم قريش وكنانة.

قوله: (من المشرق والمغرب) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قوله: (من كل جانب) أي: المحيط من كل جانب.

قوله: (وهي متهيئ الحلقوم) أي: من أسفله.

قوله: ﴿الظُّنُونًا﴾ بألف بعد النون وصلًا ووقفًا، وبدونها في الحاليين، وبإثباتها وقفًا وحذفها وصلًا، ثلاث قراءات سبعيات، وتجري في قوله أيضاً: ﴿السَّبِيلًا﴾، و﴿الرَّسُولًا﴾ في آخر السورة^(١).

قوله: (بالنصر) أي: من المؤمنين، وقوله (والياس) أي: من المنافقين وبعض الضعفاء.

قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ ظرف مكان؛ أي: في ذلك المكان، وهو الخندق.

(١) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بإثبات ألف بعد نون (الظنوننا)، ولام (الرسول) في قوله: ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا﴾، ولام (السبيل) في قوله: ﴿فَأَضَلُّنَا السَّبِيلًا﴾ وصلًا ووقفًا موافقة للرسم؛ لأنهم رُسموا في المصحف كذلك، وقرأ أبو عمرو وحزمة بحذفها في الحاليين؛ لأنها لا أصل لها، والباقيون بإثباتها وقفًا وحذفها وصلًا. انظر الدر المصون، (٩/٩٨).

وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلِ يَثْرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا

﴿وَزُلْزِلُوا﴾: حُرِّكُوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ.

﴿١٢﴾ ﴿وَ﴾ اذْكَرْ ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: ضَعْفُ اعْتِقَادٍ: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بِالنَّصْرِ ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: بِاطِلَالٍ.

﴿١٣﴾ ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أَي: الْمُنَافِقِينَ ﴿يَتَأَهَّلُ يَثْرَبَ﴾ هِيَ أَرْضُ الْمَدِينَةِ، وَلَمْ تُصَرَفْ لِلْعَلَمِيَّةِ وَوزنِ الْفِعْلِ، ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ - بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا - أَي: لَا إِقَامَةَ وَلَا مَكَانَةً، ﴿فَارْجِعُوا﴾ إِلَى مَنَازِلِكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانُوا خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى سَلْعِ جَبَلٍ خَارِجِ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿(زِلْزَالًا)﴾ بكسر الزاي في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بفتح الزاي، وهما لغتان في مصدر الفعل المضَعَّف إذا جاء على (فعلال) ك: صلصال، وقلقال^(١).

قوله: ﴿(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ)﴾... إلخ) القائل معتب بن بشير، وقال أيضاً: يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرَّز خوفاً وفرقاً، ما هذا إلا وعد غرور.

قوله: ﴿(وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ)﴾ القائل هو أوس بن قيثي - بكسر الظاء المعجمة - من رؤساء المنافقين.
قوله: (هي أرض المدينة) أي: فسُمِّيت باسم رجل من الْعَمَالِقة، كان نزلها قديماً، وقد نهى النبي ﷺ عن تسميتها بذلك، وسَمَّاهَا: طيبة، وطابة، وقبة الإسلام، ودار الهجرة.

قوله: (ووزن الفعل) أي: فهي على وزن (يَضْرِب).

قوله: (بضم الميم وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (ولا مكانة) أي: تمكُّناً، فهو بمعنى: الإقامة.

قوله: (جبل خارج المدينة) أي: بينها وبين الخندق، فجعل المسلمون ظهورهم إليه، ووجوههم للعدو.

(١) وبها قرأ عيسى والجحدري، وقد يُراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو: صلصال بمعنى: مُصلِّص، وزلزال بمعنى: مُزلِّز. انظر «الدر المصون» (٩/١٠٠).

(٢) قرأ حفص بضم الميم، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٩/١٠٠).

وَيَسْتَفْزِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾
وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ
كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ

﴿وَيَسْتَفْزِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع، ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غيرُ حَصِينَةٍ يُخْشَى
عَلَيْهَا، قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن﴾: ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ﴾ أي: المَدِينَةُ ﴿عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: نَوَاحِيهَا ﴿ثُمَّ سَأَلُوا﴾ أي: سَأَلَهُمُ
الدَّاخِلُونَ ﴿الْفِتْنَةَ﴾: الشَّرْكَ ﴿لَآتَوَهَا﴾ - بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ - أي: أَعْطَوْهَا وَفَعَلُوهَا، ﴿وَمَا
تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ كَانَ عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَسْتَفْزِنُ﴾ عطف على ﴿قَالَتْ طَافَةُ﴾، وعبرَ بالمضارع؛ استحضاراً للصورة.

قوله: (يخشى عليها) أي: من السراق؛ لكونها قصيرة البناء.

قوله: (قال تعالى) أي: تكديماً لهم.

قوله: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: دخلها الأحزاب.

قوله: (الشرك) أي: ومقاتلة المسلمين.

قوله: (بالمَد والقصر) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أي: أعطوها وفعلوها) لفٌّ ونشرٌ.

قوله: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ أي: ما أقاموا بالمدينة بعد نقض العهد وإظهار الكفر وقاتل
المسلمين إلا زمناً قليلاً ويهلكون، فالعزة لله ورسوله والمسلمين، فالمعنى: لو دخل الكفار المدينة
وارتد هؤلاء المنافقون وقاتلوكم مع الكفار.. لأخذ الله بأيديكم سريعاً بقطع دابرهم؛ فلا تخشوا
منهم داخل المدينة أو خارجها.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل غزوة الخندق.

(١) قرأ نافع وابن كثير بالقصر بمعنى: لجؤوها وغشيوها، والباقون بالمَد بمعنى: لأعطوها، ومفعوله الثاني محذوف
تقديره: لآتوها السائلين. انظر «الدر المصون» (١٠٢/٩).

لَا يُؤْلَوْنَ الْأَذْبَرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ
أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ
مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ

لَا يُؤْلَوْنَ الْأَذْبَرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ عَنْ الْوَفَاءِ بِهِ، ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ
الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا﴾ إِنْ فَرَرْتُمْ ﴿لَا تُمْنَعُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ فِرَارِكُمْ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بِقِيَّةِ
أَجَالِكُمْ.

﴿١٧﴾ ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾: يُجِيرُكُمْ ﴿مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾: هَلَاكًا وَهَزِيمَةً،
﴿أَوْ﴾ يُصِيبُكُمْ بِسُوءٍ إِنْ ﴿أَرَادَ﴾ اللَّهُ ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾: خَيْرًا، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
أَي: غَيْرِهِ ﴿وَلِيًّا﴾ يَنْفَعُهُمْ، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَدْفَعُ الضَّرَّ عَنْهُمْ.

﴿١٨﴾ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾: الْمُثْبِطِينَ ﴿مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يُؤْلَوْنَ الْأَذْبَرُ﴾ أي: بل يثبتون على القتال حتى يموتوا شهداء.

قوله: ﴿مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء أي: مسؤولاً صاحبه؛ هل وفى به أم لا؟

قوله: ﴿إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ﴾ أي: لأنه مُصِيبُكُمْ لَا مُحَالَةَ.

قوله: ﴿وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: وإن نفعكم الفرار وتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع
إلا زمنًا قليلًا.

قوله: ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ قَدَّرَ لَهُ الْمَفْسِّرُ عَامِلًا يَنَاسِبُهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (أَوْ يَصِيبُكُمْ بِسُوءٍ)؛ لِأَنَّهُ

لَا يَصْلَحُ لِمُتْلَطِّ الْعَامِلِ السَّابِقِ وَهُوَ ﴿يَعْصِمُكُمْ﴾، عَلَى حَدِّ^(١): [الرجز]

عَلَفْتُهَا تَبْنَأُ وَمَاءً بَارِدًا

قوله: (الْمُثْبِطِينَ) أي: المكسِّلين غيرهم عن القتال في سبيل الله، وهم المنافقون.

قوله: ﴿وَالْقَائِلِينَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: فِي الْكُفْرِ وَالْعَدَاوَةِ

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِالْقَائِلِينَ: الْيَهُودُ مِنْ بَنِي قَرِيطَةَ.

هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ

هَلُمَّ: ﴿تَعَالَوْا﴾ ﴿إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾: الْقِتَالُ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ.

﴿١٩﴾ ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بِالْمُعَاوَنَةِ جَمْع (شَحِيح) - وَهُوَ حَالٌ مِنْ ضَمِير ﴿يُؤْتُونَ﴾ -، ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي﴾ كَنَظَرٍ أَوْ كَدَوْرَانِ الَّذِي ﴿يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أَي: سَكْرَاتِهِ، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وَحِيزَتِ الْغَنَائِمُ ﴿سَلَفُوكُمْ﴾: آذَوْكُمْ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ اسم فعل، ويلزم صفةً واحدةً للواحد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث، وهذه لغة أهل الحجاز، وعند تميم هو: فعل أمر تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث، ومقتضى عبارة المفسر أنه لازم؛ حيث فسره بـ(تعالوا)، ويصح جعله متعدياً بمعنى: قُربوا، ومفعوله محذوف، والتقدير: أنفسكم إلينا.

قوله: (رياءً وسمعةً) أي: لأنَّ شأن من يكسُل غيره عن الحرب لا يفعلُه إلا قليلاً لغرض خبيث.

قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: مانعين للخير عنكم.

قوله: (جمع «شحيح») هذا هو المسموع فيه، وقياسه: (أفعلاء) ك: خليل وأخلاء. والشُّحُّ: البخل.

قوله: ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾... إلخ هذا وصف لهم بالجبن؛ لأنَّ شأن الجبان الخائف ينظر يميناً وشمالاً شاخصاً ببصره.

قوله: (كنظر أو كدوران) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ﴾ نعتٌ لمصدر محذوف من ﴿يَنْظُرُونَ﴾، أو من: ﴿تَدُورُ﴾^(١).

قوله: ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: لأنه يشخص ببصره، ويذهب عقله.

قوله: ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ السلق: بسط العضو ومده للقهر، كان يداً أو لساناً، ففي الآية استعارة

(١) والتقدير: ينظرون إليك نظراً مثل نظر الذي يغشى عليه من الموت، أو تدور دوراناً مثل دوران عين الذي يغشى عليه. «فتوحات» (٤٠٢/٣)، وذكر العلامة السمين في «الدر المصون» (١٠٦/٩) وجهاً ثالثاً، وهو أن يكون حالاً من (أعينهم) أي: تدور أعينهم حال كونها مشبهة عين الذي يغشى عليه من الموت.

يَا لَسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُوتُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

أَوْ ضَرَبُوكُمْ ﴿يَا لَسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي: الغنيمة يَطْلُبُونَهَا، ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ حقيقة، ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ بإرادته.

﴿٢٠﴾ ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إِلَى مَكَّةَ لِخَوْفِهِمْ مِنْهُمْ، ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كَرَّةً أُخْرَى ﴿يَوَدُّوا﴾: يَتَمَنَّوْنَ ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: كَائِنُونَ فِي الْبَادِيَةِ، ﴿يَسْتَلُوتُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾: أَخْبَارِكُمْ مَعَ الْكُفَّارِ، ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هَذِهِ الْكَرَّةَ ﴿مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ رِيَاءً وَخَوْفًا مِنَ التَّعْيِيرِ.

حاشية الصاوي

بالكناية؛ حيث شبه اللسان بالسيف، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو السلق بمعنى: الضرب، فإثباته تخيل، والحِداد ترشيح.

قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي: مانعين له، فلا نفع في أنفسهم، ولا في مالهم.

قوله: ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ حقيقة أي: بقلوبهم وإن أسلموا ظاهراً.

قوله: ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: أظهر بطلانها.

قوله: ﴿يَحْسَبُونَ﴾ أي: المنافقون؛ لشدة جبنهم.

قوله: ﴿الْأَحْزَابُ﴾ أي: قريشاً وغطفان واليهود.

قوله: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: ساكنون في البادية خارج المدينة؛ ليكونوا في بعدٍ

عن الأحزاب.

قوله: ﴿يَسْتَلُوتُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ يصح أن يكون حالاً من الواو في ﴿بَادُوتُ﴾، أو جملة

مستأنفة، والمعنى: يسألون كلَّ قادم من جانب المدينة عما جرى بينكم وبين الكفار قائلين فيما

بينهم: إن غلب المسلمون.. قاسمناهم في الغنيمة، وإن غلب الكفار.. فنحن معهم.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا ﴿٢١﴾

﴿٢١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ - بِكسرِ الهمزة وضمِّها - ﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداءً به في القتال والشبَّات في موطنه، ﴿لِّمَن﴾ - بَدَلٍ مِنْ ﴿لَكُمْ﴾ - ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾: يَخَافُهُ ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ بِخِلَافِ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ هذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من تمام قصة الأحزاب، وفيها عتابٌ للمتخلفين عن القتال مع رسول الله ﷺ من المؤمنين والمنافقين.

قوله: (بكسر الهمزة وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (اقتداء) أشار بذلك إلى أنَّ الأسوة اسمٌ بمعنى المصدر، وهو الاتِّساء، يقال: اتَّسَى فلان بفلان؛ أي: اقتدى به.

قوله: (في القتال) لا مفهوم له، بل الاقتداء برسول الله ﷺ واجبٌ في الأقوال والأفعال والأحوال؛ لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى، بل جميعُ أفعاله وأقواله وأحواله عن ربِّه؛ ولذا قال العارف^(٢): [الوافر]

وَحَصَّكَ بِالْهُدَى فِي كُلِّ أَمْرٍ فَلَسْتَ تَشَاءُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
وإنما حصَّ القتال بالذكر؛ لأنه معرض السَّبب.

قوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: فالمتَّصف بهذه الأوصاف ثبتت له الأسوة الحسنة في رسول الله، وأمَّا من لم يكن متَّصفاً بتلك الأوصاف.. فليس كذلك.
قوله: ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: بلسانه، أو جنانه، أو ما هو أعم.

(١) قرأ عاصم بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة، والباقون بالكسر، وهما لغتان ك: العُدوة والعِدوة، والقُدوة والقِدوة. انظر «الدر المصون» (١٠٨/٩).

(٢) البيت من قصيدة للإمام العارف عبد الله بن محمد الشبراوي في ديوانه «منايح الألفاظ بمدائح الأشراف» (ص ٣٩) مطلعها:

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

﴿٢٢﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ﴿مِنَ الْكُفَّارِ﴾ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿مِنَ الْابْتِلَاءِ وَالنَّصْرِ﴾، ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ فِي الْوَعْدِ، ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذَلِكَ ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾: تَصْدِيقًا بِوَعْدِ اللَّهِ، ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لِأَمْرِهِ.

﴿٢٣﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴿مِنَ الثَّبَاتِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ أي: أبصروهم محدقين حول المدينة.

قوله: ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ﴾ أي: بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ أي: بقوله: «إِنَّ الْأَحْزَابَ سَائِرُونَ إِلَيْكُمْ بَعْدَ تِسْعِ لَيَالٍ، أَوْ عَشْرِ، وَالْعَاقِبَةُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ».

قوله: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي: ظهر صدق خبر الله ورسوله في الوعد بالنصر، فاستبشروا بالنصر قبل وصوله.

وأظهر في محل الإضمار؛ زيادة في تعظيم اسم الله، ولأنه لو أضمر.. لجمع بين اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد، مع أن النبي ﷺ عاب على من قال: من يُطع الله ورسوله.. فقد رشد، ومن يعصمها.. فقد غوى، فقال له: «بئس خطيب القوم أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله»^(١).

قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك أي: الوعد، أو الصدق.

قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾... إلخ هم جماعة من الصحابة نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ﷺ.. ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا^(٢).

(١) رواه مسلم (٨٧٠) عن سيدنا عدي بن حاتم ؓ، وقيل: إنما ردَّ عليه؛ لأنه وقف على «يعصهما»، وعلى الأول: استشكل بعضهم قوله ﷺ: «حتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما»؛ فقد جمع بينهما في ضمير واحد، وأجيب: بأن النبي ﷺ أعرف بقدر الله تعالى منا، فليس لنا أن نقول كما يقول. انظر «الدر المصون» (٩/ ١١٠).

(٢) روى البخاري (٢٨٠٥) عن أنس ؓ، قال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله؛ غيبتُ =

فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: مات أو قُتِلَ في سَبِيلِ اللَّهِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ ذلك، ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ في العَهْد، وَهُمْ بِخِلَافِ حَالِ الْمُنَافِقِينَ.

﴿٢٤﴾ ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾ بِأَنْ يُمِيتَهُمْ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِمَنْ تَابَ ﴿رَّحِيمًا﴾ بِهِ.

﴿٢٥﴾ ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَي: الْأَحْزَابَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أي: وَفِي نَذْرِهِ بِمَوْتِهِ فِي الْقِتَالِ، يُقَالُ: نَحَبٌ يَنْحُبُ، مِنْ بَابِ (قَتَلَ): نَذَرَ، وَمِنْ بَابِ (ضَرَبَ): بَكَى.

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ (ذلك) أي: قِضَاءُ النَّحْبِ بِالمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

قوله: (بِخِلَافِ حَالِ الْمُنَافِقِينَ) أي: فَقَدْ بَدَلُوا وَغَيَّرُوا، فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالَ إِنَّمَا يُقَاتِلُ خَوْفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَالِهِ، لَا طَمَعًا فِي رِضَا اللَّهِ.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَفَرَقَ بَيْنَ نِيَّاتِهِمْ؛ لِيَجْزِيَ اللَّهُ... إلخ.

قوله: (بِأَنْ يُمِيتَهُمْ عَلَىٰ نِفَاقِهِمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّ مَفْعُولَ (شَاءَ) مُحذوف، وَدَفَعَ بِذَلِكَ مَا يُقَالُ: إِنَّ عَذَابَهُمْ مُحْتَمٌّ فَكَيْفَ عُلِّقَ عَلَى الْمَشِئَةِ؟ فَالتَّعْلِيلُ بِحَسَبِ عِلْمِنَا، وَأَمَّا فِي عِلْمِ اللَّهِ.. فَالْأَمْرُ مُحْتَمٌّ؛ إِمَّا بِالسَّعَادَةِ، أَوْ بِالشَّقَاوَةِ، وَسَيُظْهِرُ ذَلِكَ لِلْعِبَادِ.

= عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين.. ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون.. قال: اللهم؛ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بينانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا وَعَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ إلى آخر الآية).

بَغِطْهُمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ

﴿بَغِطْهُمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾: مُرَادُهُمْ مِنَ الظَّفَرِ بِالْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ﴾ بِالرَّيْحِ وَالْمَلَائِكَةِ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ عَلَى إِيجَادِ مَا يُرِيدُهُ، ﴿عَزِيزًا﴾: غَالِبًا عَلَى أَمْرِهِ. ﴿٢٦﴾ ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أَي: قَرِيطَةً ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾: حُصُونِهِمْ جَمْع (صَيْصِيَّة)

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَغِطْهُمْ﴾ (الجملة حالية^(١))؛ أي: مُلتبسين بالغيظ.

قوله: ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ (حال ثانية).

قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ﴾ (أي: لم يحصل بينهم اختلاط في الحرب، بل إنما كان بينهم ضرب بالسهم والخنق بينهم).

قوله: (بالريح) أي: فكففت قدورهم، وقطعت خيامهم.

قوله: (والملائكة) أي: بإلقاء الرعب في قلوبهم، وتقدم بسط ذلك في القصة.

قوله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾... إلخ) شروع في ذكر قصة بني قريظة، وذكرت عقب الأحزاب؛ لكون بني قريظة كانوا من جملة الذين تحزبوا على رسول الله وأصحابه ونقضوا عهده وحاربوه.

قال العلماء بالسَّير: لما أصبح ﷺ من الليلة التي انصرف فيها الأحزاب راجعين إلى بلادهم.. انصرف هو والمؤمنون إلى المدينة، ووضعوا السلاح، فلمَّا كان الظهر.. أتى جبريلُ وعليه عمامة إستبرق، راكباً على بغلة بيضاء، عليها قطيفة ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش، وهي تغسل رأسه، وقد غسلت شقَّه الأيمن، فقال: يا رسول الله؛ قد وضعت السلاح؟ قال: «نعم»، قال جبريل: عفا الله عنك، ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم، فقال: إنَّ الله يأمرُك بالسَّير إلى بني قريظة، فانهض إليهم؛ فإنِّي قد قطعْتُ أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال، وألقيتُ الرعب في قلوبهم، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي:

(١) الأولى أن يقال: (الجائر والمجرور متعلقان بمحذوف حال)؛ لأنَّ الحال هنا مفرد وليس جملة.

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

وهو ما يُتَحَصَّنُ بِهِ، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخَوْفَ، ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مِنْهُمْ وَهُمْ الْمُقَاتِلَةُ، ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ مِنْهُمْ أَي: الذَّرَارِيَّ.

حاشية الصاوي

«أن من كان مُطِيعاً فلا يُصَلِّينَ العصر إلا في بني قريظة»، فحاصَرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة حتى جَهِدَهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أتنزّلون على حكمي؟»، فأبوا، فقال: «أتنزّلون على حكم سعد بن معاذ سيّد الأوس؟»، فرضوا به، فحكّمه فيهم، فقال سعد: إنّي أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فقال ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات»، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث من نساء بني النجار، ثم خرج إلى سوق المدينة الذي هو سُوقها اليوم، فخندق فيه خندقاً، ثم بعث إليهم، فأتي بهم إليه، وفيهم حُيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكعب بن أسد رأس بني قريظة، وكانوا ست مئة أو سبع مئة، فأمر عليّاً والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق، فلمّا فرغ من قتلهم، وانقضى شأنهم. . ثوفي سعد المذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الأحزاب، وحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، قالت عائشة: فوالذي نفس محمد بيده؛ إنني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجري، قالت: وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١).

قوله: (وهو ما يتحصّن به) أي: سواء كان من الحُصُون أو لا، حتى الشوكة والقرن وباب الدار ونحو ذلك تسمّى صِيصِيَّة^(٢).

قوله: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ بيان لما فعل بهم.

قوله: (وهم المقاتلة) أي: وكانوا ست مئة، وقيل: سبع مئة.

قوله: (أي: الذراري) أي: وكانوا سبع مئة، وقيل: وخمسين.

- (١) انظر خبر بني قريظة بتمامه في «سبل الهدى والرشاد» (٩/٥)، وحديث صلاة العصر ببني قريظة رواه البخاري (٩٤٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر ؓ، وحديث تحكيم سيدنا سعد بن معاذ ؓ فيهم رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري ؓ، وفيهما: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك»، وحديث بكاء الشيخين ؓ عند وفاة سيدنا سعد ؓ رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٤٢/٦) من مسند الصديقة عائشة ؓ.
- (٢) الصيصية: شوكة الديك التي في رجله، وأيضاً: قرن البقر والظباء. «تاج العروس» (٢٧/١٨).

وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْكُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾
يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ

﴿٢٧﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْكُوهَا ﴿٢٧﴾ بعد وهي خيبر، أَخَذَتْ بعد قَرِيطَةَ، ﴿٢٧﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾.

﴿٢٨﴾ يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴿٢٨﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بعد) أي: الآن، وعبر بالماضي؛ لتحقيق الحصول.

قوله: (وهي خيبر) أي: وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة.

قوله: (أخذت بعد قريظة) أي: بسنتين أو ثلاث على الخلاف المتقدم في قريظة؛ هل هي في الرابعة أو الخامسة، وخيبر كانت في السابعة في أول المحرم، وهي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية، وذات مزارع ونخل كثير، بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل، فأقبل عليها صبيحة النهار، وفي تلك الليلة لم يَصِحْ لهم ديك، ولم يتحركوا، وكان فيها عشرة آلاف مقاتل، فنزل رسول الله ﷺ عليها، وحاصرها، وبنى هناك مسجداً صلى به طول مقامه عندها، وقطع من نخلها أربع مئة نخلة، وسبى أهلها، وأصاب من سبيها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكانت وقعت في سهم دحية الكلبي، فتنازع بعض الصحابة في شأن ذلك، فأخذها رسول الله ﷺ، وأرضاه، وكانت من سبط هارون أخي موسى، فأسلمت، ثم أعتقها وتزوجها، وجعل عتقها صداقها^(١).

قوله: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾) اختلف المفسرون في هذا التخيير؛ هل كان تفويضاً في الطلاق لهنَّ فيقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويضاً في الطلاق، وإنما خيرهنَّ على أنهنَّ إن اخترن الدنيا.. فارقهنَّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَمْرَئِكُنَّ﴾.

وذهب قوم: إلى أنه كان تفويضاً، وأنهنَّ لو اخترن الدنيا.. لكان طلاقاً؛ فلا يحتاج لإنشاء صيغة من رسول الله ﷺ.

(١) روى البخاري (٤٢٠٠) عن أنس رضي الله عنه، قال: صلى النبي ﷺ الصبح قريباً من خيبر بغلس، ثم قال: «الله أكبر، حربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»، فخرجوا يسعون في السكك، فقتل النبي ﷺ المقاتلة، وسبى الذرية، وكان في السبي صفية، فصارت إلى دحية الكلبي، ثم صارت إلى النبي ﷺ، فجعل عتقها صداقها.

إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

وَهُنَّ تِسْعٌ - وَطَلَبْنَ مِنْهُ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا مَا لَيْسَ عِنْدَهُ -: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

حاشية الصاوي

قوله: (وهنَّ تسعٌ) أي: وهنَّ اللاتي مات عنهنَّ، وقد جمعهنَّ بعض العلماء بقوله^(١): [الطويل]
 تُؤَفِّي رَسُولُ اللَّهِ عَنْ تِسْعِ نِسْوَةٍ إِلَيْهِنَّ تُعْزَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ
 فَعَائِشَةُ مَيْمُونَةُ وَصَفِيَّةُ وَحَفْصَةُ تَثْلُوهُنَّ هِنْدُ وَزَيْنَبُ
 جُوَيْرِيَّةُ مَعَ رَمْلَةٍ ثُمَّ سَوْدَةُ ثَلَاثٌ وَسِتُّ نَظْمُهُنَّ مَهْدَبُ
 فعائشة هي: بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وميمونة بنت الحارث الهلالية،
 وصفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير، وهند هي: أم سلمة بنت أبي أمية، وزينب بنت
 جحش، وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية، ورملة هي: أم حبيبة بنت أبي سفيان بن
 حرب، وسودة هي: بنت زمعة.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: التَّعَمُّقُ فِيهَا.

قوله: ﴿وَزِينَتَهَا﴾ أي: زخارفها.

روي: (أن أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد
 منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم جاء عمر فاستأذن، فأذن له فدخل، فوجد النبي ﷺ جالساً
 واجماً ساكناً، وحوله نساؤه، قال عمر: فقلت: والله لأقولنَّ شيئاً أضحك به النبي ﷺ، فقلت:
 يا رسول الله؛ لو رأيت بنت خاتمة سألني النفقة، فقلتُ إليها فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ
 وقال: «هنَّ حولي كما ترى يسألنني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر
 إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تَسْأَلُنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ؟ فَقُلْنَ: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً أَبَداً مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْراً، ثُمَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ
 لِّأَزْوَاجِكَ ۖ كُنَّ لِلْمَحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْراً عَظِيماً﴾.

قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة؛ إني أريد أن أعرض عليك أمراً أوجبُّ ألاَّ تعجلي فيه
 حتى تستشيري أبويك»، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله

(١) نسبها الإمام القسطلاني في «المواهب اللدنية» (١/ ٤٩١) إلى الحافظ أبي الحسن بن فضل المقدسي رحمه الله تعالى.

فَفَعَالَيْنِ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَلًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ

فَفَعَالَيْنِ أُمَتِّعَنَّ ﴿٢٨﴾ أي: مُتْعَةَ الطَّلَاقِ، ﴿وَأَسْرَحَنَّ سَرَلًا جَمِيلًا﴾: أَطْلَقْكُنَّ مِنْ غَيْرِ ضِرَارٍ. ﴿٢٩﴾ ﴿وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: الْجَنَّةَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْنَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا. ﴿٣٠﴾ ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾

حاشية الصاوي

أَسْتَشِيرُ أَبُويَّ؟! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. وكلُّهنَّ قُلنَّ كما قالت عائشة، فشكر لهنَّ ذلك، فأنزل الله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾، ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾، ويقول: ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَأٍ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّ إِتِكَ مِنْ نَشَأٍ﴾^(١).

قوله: ﴿فَفَعَالَيْنِ﴾ فعل أمر مبني على السكون، ونون النسوة فاعل.

قوله: ﴿أُمَتِّعَنَّ﴾ جواب الشرط، وما بينهما اعتراض، ويصح أن يكون مجزوماً في جواب الأمر، والجواب هو قوله: ﴿فَفَعَالَيْنِ﴾.

قوله: ﴿أَطْلَقْكُنَّ مِنْ غَيْرِ ضِرَارٍ﴾ أي: من غير تعب ولا مشقة.

قوله: ﴿فَاخْتَرْنَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا﴾ أي: ودُئِمْنَ عَلَى ذَلِكَ، فكنَّ زاهداتٍ في الدنيا حتى ورد: أَنَّ عائشة دخل عليها ثمانون ألف درهم من بيت المال، فأمرت جارياتها بتفرقتها، وفترقتها في مجلس واحد، فلما فرغت... طلبت عائشة منها شيئاً تُفطر به وكانت صائمة ولم تجد منها شيئاً^(٢).

قوله: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ﴾... إلخ هذه الآيات خطابٌ من الله لأزواج النبي؛ إظهاراً لِفَضْلِهِنَّ وَعِظَمِ قَدْرِهِنَّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ الْعِتَابَ وَالتَّشْدِيدَ فِي الْخُطَابِ مُشْعِرٌ بِرَفْعَةِ رَتَبَتِهِنَّ؛ لِشِدَّةِ قُرْبِهِنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُنَّ ضَجِيعَاتُهُ فِي الْجَنَّةِ، فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله، خلافاً لمن شذَّ وزعم أَنَّ حَبَّ النَّبِيِّ وَالْقُرْبَ مِنْهُ وَالتَّعَلُّقَ بِهِ شَرُّ.

قوله: ﴿بِفَحِشَةٍ﴾ قيل: المراد بها: الزنا، والمعنى: لو وَقَعَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ هَذَا الْفِعْلُ... لَحُدَّتْ حَدَّيْنِ؛ لِعِظَمِ قَدْرِهَا كَالْحَرَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْأُمَةِ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ: فَلَا خُصُوصِيَّةَ لِنِسَاءِ النَّبِيِّ، بَلْ

(١) رواه مسلم (١٤٨٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وقوله: (وجأت عنقها): دَفَقَتْه.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (١٥/٤).

يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لِيلَهُ وَرَسُولِهِ
وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا

- بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِهَا - أَي: بُيِّنْتَ أَوْ هِيَ بَيِّنَةٌ ﴿يُضَعَّفُ﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: (يُضَعَّفُ) بِالتَّشْدِيدِ، وَفِي أُخْرَى: (نُضَعَّفُ) بِالنُّونِ مَعَهُ وَنُصِبَ (الْعَذَابُ) - ﴿لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضِعْفِي عَذَابٍ غَيْرِهِنَّ، أَي: مِثْلِيهِ، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.
﴿٣١﴾ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ﴾: يُطِيعُ ﴿مِنْكُمْ لِيلَهُ وَرَسُولِهِ﴾ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا

حاشية الصاوي

جميع نساء الأنبياء مَصُونَات من الزنا؛ ولذا قال ابن عباس: (ما بَغَتْ امرأة نبي قط) ^(١)، وإنما خانت امرأة نوح ولوط في الإيمان والطاعة.

وقيل: المراد بها: التشوز وسوء الخلق.

وقيل: الفاحشة إذا وردت معرفة فهي: الزنا واللواط، وإن وردت منكرة فهي: سائر المعاصي، وإن وردت منعوتة كما هنا فهي: حقوق الزوج وسوء عشرته.

وقيل: المراد بها جميع المعاصي، وهو الأظهر، وهذا على سبيل الفرض والتقدير، على حد: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَجْطَنَ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وإلا.. فنساء النبي مُطَهَّرَات مَصُونَات من الفواحش.

قوله: (بفتح الياء وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيتان ^(٢).

قوله: ﴿الْعَذَابُ﴾ أي: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

قوله: (أي: مثليه) أي: فضعف الشيء: مثله، وضعفاه: مثلاه، وأضعافه: أمثاله.

قوله: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً، فلا يُبَالِي الله بأحد وإن عظمت رتبته، فليس أمر الله كأمر الخلق بترك تعذيب الأعزة حيث أذنبوا لكثرة أوليائهم وأعوانهم، بل المكرم عند الله هو التقي.

قوله: ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾ أي: تَدُمُ عليه، وفيه مراعاة معنى (مَنْ) على قراءة التاء، ومراعاة لفظها على قراءة الياء ^(٣).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٤٣/١٥).

(٢) قرأ ابن كثير وشعبة بفتح الياء التحتية؛ أي: ظاهر فُحْشِهَا، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٢٤١/٣).

(٣) قرأ الأخوان بالياء من تحت، والباقون بالتاء من فوق. انظر «الدر المصون» (١١٧/٩).

مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

مَرَّتَيْنِ ﴿٣١﴾ أي: مثلي ثواب غيرهنَّ من النساء - وفي قراءة بالتَّحْتَانِيَّةِ في (تَعْمَل) و(نُؤْتِيهَا) - وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ في الجنة زيادةً.

﴿٣٢﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ ﴿٣٢﴾: كَجَمَاعَةٍ ﴿٣٢﴾ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ ﴿٣٢﴾ الله فَإِنَّكُمْ أَعْظَمُ، ﴿٣٢﴾ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴿٣٢﴾ لِلرِّجَالِ، ﴿٣٢﴾ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴿٣٢﴾: نِفَاقٌ، ﴿٣٢﴾ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ مِنْ غَيْرِ خُضُوعٍ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ (أي: مرّةً على الطاعة والتقوى، ومرّةً أخرى على خدمة رسول الله الخدمة الباطنية التي لا تبيسر من غيرهنَّ).

قوله: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (تقدّم أنّ حكمة التشديد عليهنَّ شدةً قريهنَّ من رسول الله ﷺ، وهو دليلٌ على رفعة قدرهنَّ، وعظم رتبتهنَّ؛ فلا يليق منهنَّ التوغّل في الشهوات، وتطلب زينة الدنيا؛ لأنّ رسول الله ﷺ قال: «لستُ من الدنيا، وليست الدنيا مِنِّي»^(١)، والمقربون منه كذلك، والمعنى: ليست الواحدة منكنَّ كالواحدة من آحاد النساء، فالتفاضل في الأفراد.

قوله: ﴿إِنْ أَتَقَيْتُنَّ﴾ شرطٌ حُذِفَ جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه كما يشير له المفسّر بقوله: (فإنكنَّ أَعْظَمُ)، والمعنى: إن اتقيتُنَّ الله.. فلا يقاس بالواحدة منكنَّ واحدةً من سائر النساء.

قوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾ كلامٌ مستأنفٌ مفرّعٌ على التقوى^(٢).

قوله: ﴿بِالْقَوْلِ﴾ (أي: بأن تتكلّمن بكلام رقيق يميل قلوب الرجال إليكنَّ؛ إذ لا يليق منكنَّ ذلك؛ لكونكنَّ أَعْظَمُ النساء).

قوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ في ذلك احتِراسٌ عمّا يقال: إنهنَّ أمهات المؤمنین، والإنسان لا يطمع في أمّه، فأجاب: بأن الذي يقع منه الطمع إنما هو المنافق؛ لأنَّ شهوته حاصلة معه، وهو منزوع الخشية والخوف من الله، ولكن نُهي عن عمومها؛ سدّاً للذريعة.

قوله: ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (أي: حسناً، فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير، لا ريبة فيه).

(١) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٥٤٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) وقيل: هو جواب الشرط.

وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى

﴿٣٣﴾ - بِكسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِهَا - ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ مِنَ الْقَرَارِ، - وَأَصْلُهُ: اقْرَرْنَ بِكسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا مِنْ (قَرَرْتُ) بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكسْرِهَا، نُقِلَتْ حَرَكَةُ الرَّاءِ إِلَى الْقَافِ وَخُذِفَتْ مَعَ هَمْزَةِ الْوَصْلِ - ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ - بِتَرْكِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ مِنْ أَصْلِهِ - ﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أَي: مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنْ إِظْهَارِ النِّسَاءِ مُحَاسِنَهُنَّ لِلرِّجَالِ، وَالْإِظْهَارُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (بكسر القاف وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (من القرار) أي: الثبات، بيان لمعنى القراءتين.

قوله: (وأصله: اقررن بكسر الراء) أي: من باب (ضرب)، وقوله: (وفتحها) أي: من باب (علم)، فماضي الأول مفتوح، والأمر منه مكسور، والثاني بالعكس.

قوله: (نقلت حركة الراء) أي: الأولى، وحركتها إما كسرة على الأول، أو فتحة على الثاني.

قوله: (مع همزة الوصل) أي: للاستغناء عنها بتحريك القاف، والمعنى: اثبتن في بيوتكن، ولا تخرجن إلا لضرورة.

قوله: ﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ اختلف في زمنها؛ ف قيل: هي ما قبل بعثة إبراهيم، وقيل: ما بين آدم ونوح، وقيل: ما بين نوح وإدريس، وقيل: ما بين نوح وإبراهيم، وقيل: ما بين موسى وعيسى، وقيل: ما بين عيسى ومحمد ﷺ، وقيل: هي ما قبل الإسلام مطلقاً، وعليه اقتصر المفسر، وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كنَّ عليه، وليس المعنى أنْ ثَمَّ جاهلية أخرى.

قوله: (من إظهار محاسنهن للرجال) أي: فكانت المرأة تلبس القميص من الدر غير مخيط الجانبين، وكان النساء يظهرن ما يقبح إظهاره، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها، فينفرد خلها بما فوق الإزار، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل، وربما سأل أحدهما صاحبه البدل.

قوله: (والإظهار بعد الإسلام... إلخ) جوابٌ عمّا يقال: إنّ إظهار الزينة واقعٌ من فسقة النساء بعد الإسلام؛ فلا حاجة لذكر الجاهلية الأولى، فأجاب: بأنه تقدّم النهي عنه في قوله: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ...﴾ إلخ.

(١) قرأ نافع وعاصم بفتح القاف، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٢٠).

وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ

مَذْكُورٌ فِي آيَةٍ: ﴿وَلَا يُبْدِيكَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾: الإِثْمَ يَا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أَي: نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ مِنْهُ ﴿تَطْهِيرًا﴾.

﴿٣٤﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ: الْقُرْآنِ ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: السُّنَّةُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ (أَي: بِشُرُوطِهَا وَأَدَابِهَا).

قوله: ﴿وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾ (أَي: لِمُسْتَحَقِّيْهَا).

قوله: ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (أَي: فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَالنَّوَاحِي؛ فَلَا تَلِيْقُ مِنْكُمْ الْمَخَالَفَةُ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ).

قوله: ﴿الرِّجْسَ﴾ (أَي: الذَّنْبَ الْمَدْنُسَ لِعَرْضِكُنَّ).

قوله: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَنَادَى، وَحَرْفُ النَّدَاءِ مَحْذُوفٌ قَدْرُهُ الْمَفْسَّرُ).

قوله: (أَي: نِسَاءَ النَّبِيِّ) قَصْرُهُ عَلَيْهِنَّ؛ لِمُرَاعَاةِ السِّيَاقِ، وَإِلَّا... فَقَدْ قِيلَ: الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي أَهْلِ بَيْتِ سَكَنِهِ وَهُنَّ أَزْوَاجُهُ، وَأَهْلُ بَيْتِ نَسَبِهِ وَهُنَّ ذُرِّيَّتُهُ.

قوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أَكَّدَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى الزِّيَادَةِ فِي التَّطْهِيرِ بِسَبَبِ التَّكَالِيفِ، فَالْعِبَادَةُ وَالتَّقْوَى سَبَبٌ لِلطَّهَارَةِ، وَهِيَ الْخُلُوصُ مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي، فَمَنْ ادَّعَى الطَّهَارَةَ مَعَ ارْتِكَابِهِ الْمَعَاصِي... فَهُوَ ضَالٌّ كَذَّابٌ.

قوله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (أَي: لِتَذْكُرْنَ بِهِ أَنْفُسَكُنَّ أَوْ غَيْرَكُنَّ، وَفِيهِ تَذْكِيرٌ لَهُنَّ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ؛ حَيْثُ جَعَلَهُنَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَشَاهِدْنَ نَزُولَ الْوَحْيِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُوجِبٌ لِلزُّومِ التَّقْوَى).

قوله: ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (بَيَانٌ لِمَا).

إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ لَطِيفًا خَيْرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ
وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
وَالْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْخَفِظِينَ وَالْخَفِظَاتِ
وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ لَطِيفًا﴾ بأوليائه، ﴿خَيْرًا﴾ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ﴾: الْمُطِيعَاتِ
﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾: فِي الْإِيمَانِ ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾: عَلَى الطَّاعَاتِ،
﴿وَالْخَاشِعِينَ﴾: الْمُتَوَاضِعِينَ ﴿وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ
وَالْخَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْخَفِظَاتِ﴾: عَنِ الْحَرَامِ، ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
مَغْفِرَةً﴾: لِلْمَعَاصِي ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾: عَلَى الطَّاعَاتِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَطِيفًا﴾ أي: عالماً بخفيات الأمور.

قوله: ﴿خَيْرًا﴾ أي: مطلقاً على كل شيء.

قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾... إلخ سبب نزولها: أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ جُلَسْنَ يَتَذَكَّرْنَ
فِيمَا بَيْنَهُنَّ وَيَقُلْنَ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ الرِّجَالَ فِي الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَذْكُرِ النِّسَاءَ بِخَيْرٍ، فَمَا فِينَا خَيْرٌ نَذْكُرُ بِهِ،
إِنَّا نَخَافُ أَلَّا تُقْبَلَ مِنَّا طَاعَةٌ، فَسَأَلَتْ أُمَ سَلَمَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ كَثِيرَةَ السُّؤَالِ لَهُ، فَقَالَتْ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَا بَالُ رَبَّنَا يَذْكُرُ الرِّجَالَ فِي كِتَابِهِ وَلَا يَذْكُرُ النِّسَاءَ؟ فَخَشِيَ أَلَّا يَكُونَ فِيهِنَّ خَيْرٌ،
فَنَزَلَتْ؛ جَبْرًا لِمَا ظَهَرَ^(١).

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: إِنَّمَا عَظِفَ وَصَفُهُمَا بِالْإِيمَانِ عَلَى وَصَفِهِمَا بِالْإِسْلَامِ وَإِنْ كَانَا
مُتَّحِدَيْنِ شَرْعًا؛ نَظَرًا إِلَى أَنَّهُمَا مُخْتَلِفَانِ مَفْهُومًا؛ إِذَا الْإِسْلَامُ: التَّلَفُّظُ بِالشَّهَادَتَيْنِ بِشَرَطِ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ
بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَالْإِيمَانُ: الْإِذْعَانُ الْقَلْبِيُّ بِشَرَطِ النُّطْقِ بِاللِّسَانِ، وَيَكْفِي فِي الْعَظْفِ أَدْنَى تَغَايِرٍ.
قوله: ﴿وَالْخَفِظَاتِ﴾: حَذَفَ الْمَفْعُولُ؛ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَالْحَافِظَاتُ فُرُوجَهُنَّ.

قوله: ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ أي: بأيِّ ذِكْرٍ كَانَ؛ مِنْ تَسْبِيحٍ أَوْ تَهْلِيلٍ أَوْ تَحْمِيدٍ أَوْ صَلَاةٍ

(١) رواه الإمام النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٠٤) بنحوه.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

﴿٣٦﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ﴾ - بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ - ﴿لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي: الاختيارُ

حاشية الصاوي

على النبي ﷺ، والكثرة مختلفة باختلاف الأشخاص، فالكثرة في حق العامة أقلها ثلاث منه، وفي حق المريدين اثنا عشر ألفاً، وفي حق العارفين عدمُ خُطور الغير على قلوبهم، ومنه قول العارف ابن الفارض^(١): [الطويل]

وَلَوْ خَطَرْتُ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةً عَلَى خَاطِرِي يَوْمًا حَكَمْتُ بِرِدَّتِي

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: لا ينبغي ولا يصلح ولا يليق، وهذا اللفظ يستعمل تارة في الحظر والمنع كما هنا، وتارة في الامتناع عقلاً كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمُ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠]، وتارة في الامتناع شرعاً كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِإِسْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١].

قوله: ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ ذكر اسم الله؛ للتعظيم، وإشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله؛ لكونه لا ينطق عن الهوى.

و(إذا): يصح أن تكون ظرفاً معمولاً لما تعلق به خبر (كان)، والتقدير: وما كان مستقراً لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله أمراً كون الخيرة لهم، ويصح أن تكون شرطية، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله.

قوله: ﴿أَنْ تَكُونَ﴾ اسم (كان) مؤخر، والجاء والمجرور خبر مقدم.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان، فالتاء ظاهرة، والياء نظراً إلى أن ﴿الْخِيَرَةُ﴾ مجازي التأنيث، أو للفصل بين العاقل والمعمول^(٢).

قوله: ﴿الْخِيَرَةُ﴾ بفتح الياء، وقرئ شذوذاً بإسكانها، ومعناها واحد، وهو الاختيار^(٣).

قوله: (أي: الاختيار) أشار بذلك إلى أن ﴿الْخِيَرَةُ﴾ مصدر.

(١) البيت من تائيته المشهورة، انظر «ديوانه» (ص ٥٢).

(٢) قرأ الكوفيون وهشام بالياء من أسفل، والباقون بالتاء من فوق مراعاة للفظها. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٢٤).

(٣) وبها قرأ عيسى بن سليمان. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٢٤).

مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾

﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ خلاف أمر الله ورسوله، نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب، خطبها النبي لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما لطنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رخصاً للآية، ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾: بيناً، فزوجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها، وفي نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ حال من ﴿الْخَيْرَةُ﴾.

قوله: (وأخته زينب) أي: بنت جحش، وأمهما أمية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ.
قوله: (خطبها النبي وعنى لزيد) أي: بعد أن كان زوجه أولاً أم أيمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن، كانت لعبد الله أبي النبي ﷺ، فأعتقها، وقيل: أعتقها النبي ﷺ، وعاشت بعده ﷺ خمسة أشهر، وقيل: سنة، وولدت لزيد أسامة، وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين، وقيل: بخمس.
قوله: (فكرها ذلك) أي: كون الخطبة لزيد، وقالت لرسول الله ﷺ: أنا بنت عمك، فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة، وزيد أسود^(١).

قوله: (ثم رخصاً للآية) أي: حين نزلت الآية توبيخاً لهما.

قوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ (إلخ) هذا من تمام ما نزل في شأنهما، فكان المناسب للمفسر تأخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية.

قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ أي: أخطأ طريق الصواب.

قوله: (فزوجها النبي لزيد) أي: وأعطاه رسول الله عشرة دنانير، وستين درهماً، وخماراً ودرعاً وملحفة، وخمسين مدّاً من طعام، وثلاثين صاعاً من تمر.

قوله: (ثم وقع بصره عليها) هذا بناء على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ

(١) روى الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩) عن سيدتنا زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: خطبني عدّة من قريش، فأرسلت أختي حمّة إلى رسول الله ﷺ أستشيره، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين هي ممن يُعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟» قالت: ومن هو يا رسول الله؟ قال: «زيد بن حارثة؟» قال: فغضبت حمّة غضباً شديداً، وقالت: يا رسول الله، أتزوج بنت عمّك مولاك؟ قالت: جاءتني فأعلمتني، فغضبت أشدّ من غضبها، وقلت أشدّ من قولها، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، قالت: فأرسلت إلى رسول الله ﷺ، وقلت: إني أستغفر الله وأطيع الله ورسوله، افعل ما رأيت، فزوجني زيدا.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ

أريدُ فراقها، فقال: «أمسك عليك زوجك» كما قال تعالى:

﴿٣٧﴾ وَإِذْ - مَنْصُوبٌ بـ (اذكُر) - ﴿تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بِالْإِعْتِقَادِ، وَهُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، كَانَ مِنْ سَبِيِّ الْجَاهِلِيَّةِ اشْتَرَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَأَعْتَقَهُ وَتَبَّاهُ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ فِي أَمْرِ طَلَاقِهَا، ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: مُظْهِرُهُ مِنْ مَحَبَّتِهَا وَأَنْ لَوْ فَارَقَهَا زَيْدٌ

حاشية الصاوي

مُبْدِيهِ هو حُبُّهَا الَّذِي درج عليه المفسر تبعاً لغيره، وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة، لا سيما بجنابه الشريف، وأيضاً: يبعد أن النبي يخفي عليه حالها مع كونها بنت عمته وفي حجره.

قوله: (فقال: أمسك عليك زوجك) أي: لا تفارقها.

قوله: (منصوب بـ «اذكُر») أي: فهو معمول لمحذوف.

قوله: (اشتراه رسول الله) فيه تسمُّحٌ، بل الذي في السَّيَر: أن خديجة اشترته بأربع مئة درهم، ثم وهبته لرسول الله، وهذا الشراء صُوري، وإلَّا... فهو كان حرّاً؛ لأنه لم يكن الرق بالسَّبي مشروعاً؛ لكونهم أهل فترة، وهم ناجون، ليس فيهم حربي، والعلماء عرّفوا الرقّ بأنه عجز حكمي سببه الكفر.

روي: أن عمّه لقيه يوماً بمكة، فعرفه وضمّه إلى صدره وقال له: لِمَنْ أَنْتَ؟ قال: لمحمد بن عبد الله، فأتوه وقالوا: هذا ابننا فرُدّه علينا، فقال: «اعرضوا عليه؛ فإن اختاركم... فخذوه»، فبعث إلى زيد وخيِّره، فقال: يا رسول الله؛ ما أختار عليك أحداً، فجذبه عمّه وقال: يا زيد؛ اخترت العبودية على أهلك وعمك؟! قال: نعم، هي أحب إليّ من أن أكون عندكم، فتبَّاه رسول الله ﷺ^(١).

قوله: (من محبتها) بيان لما أبداه، وهذا القول مردود؛ لما تقدّم أنه يُنزّه عنه رسول الله ﷺ، والصواب أن يقول: إنّ الذي أخفاه في نفسه هو ما أخبره الله به من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها؛ لما روي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان قد أوحى الله إليه أن زيدا

(١) روى الخبر بتمامه ابن سعد في «الطبقات» (٣/٣١).

وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا

تَزَوَّجَتْهَا، ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ أَنْ يَقُولُوا: تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِهِ، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَزَوَّجَهَا وَلَا عَلَيْكَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ، ثُمَّ طَلَّقَهَا زَيْدٌ وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: حَاجَةً ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ بِغَيْرِ إِذْنٍ،

حاشية الصاوي

يُطَلَّقُ زَيْنَبُ، وَأَنَّهُ يَتَزَوَّجُهَا بِتَرْوِيجِ اللَّهِ إِيَّاهَا، فَلَمَّا شَكَى زَيْدٌ لِلنَّبِيِّ خُلُقَ زَيْنَبَ وَأَنَّهَا لَا تُطِيعُهُ وَأَعْلَمَهُ بِأَنَّهُ يَرِيدُ طَلَاقَهَا. . قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى جِهَةِ الْأَدَبِ وَالْوَصِيَّةِ: «اتَّقِ اللَّهَ فِي قَوْلِكَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»^(١)، وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَخْفَى فِي نَفْسِهِ، وَخَشِيَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَلْحَقَهُ قَوْلُ النَّاسِ فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ زَيْنَبَ بَعْدَ زَيْدٍ وَهُوَ مَتَّبِعُهُ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَى الْكُتْمِ لِأَجْلِ هَذَا الْعَذْرِ.

وَالْحِكْمَةُ فِي تَزَوُّجِ رَسُولِ اللَّهِ بِزَيْنَبَ: إِبْطَالُ حُكْمِ التَّبْنِيِّ، وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ وَلَدِ الصُّلْبِ وَوَلَدِ التَّبْنِيِّ مِنْ حَيْثُ إِنْ وَلَدَ الصُّلْبُ يَحْرُمُ التَّزَوُّجَ بِزَوْجَتِهِ، وَوَلَدُ التَّبْنِيِّ لَا يَحْرُمُ.

قَوْلُهُ: (وَتَزَوَّجَهَا) هَكَذَا فِي بَعْضِ النُّسخِ بِصِيغَةِ الْأَمْرِ، وَفِي نَسْخَةٍ: (وَيَزَوِّجُهَا) فَعَلَ مُضَارِعًا. قَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ أَيُّ: بِأَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ أَرْبٌ، وَطَلَّقَهَا، وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا، وَفِي ذِكْرِ اسْمِهِ صَرِيحًا دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ جَبْرٌ وَتَأْنِيسٌ لَهُ وَعَوَاضٌ مِنَ الْفَخْرِ بِأَبَوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانَ اسْمُهُ قَرَأْنَا يَتْلَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَشَرِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَزَادَ فِي الْآيَةِ أَنْ قَالَ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أَيُّ: بِالْإِيمَانِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَعَلِمَ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَهَذِهِ فَضِيلَةٌ أُخْرَى.

قَوْلُهُ: (فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ بِغَيْرِ إِذْنٍ) أَيُّ: وَلَا عَقْدَ وَلَا صَدَاقَ، وَهَذَا مِنْ خُصُوصِيَّاتِهِ الَّتِي لَمْ يَشَارِكْ فِيهَا أَحَدٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَكَانَ تَزَوُّجُهُ بِهَا سَنَةً خَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَقِيلَ: سَنَةٌ ثَلَاثٌ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ بَعْدَهُ مِنْ زَوْجَاتِهِ، مَاتَتْ بَعْدَهُ بِعَشْرِ سِنِينَ، وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَكَانَتْ تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ وَتَقُولُ: (زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ)^(٢)، وَكَانَتْ

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (٤٦٦/٣)، وَالْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي «نَوَادِرِ الْأَصُولِ» (١٨٦/٢)، وَنَقَلَ الثَّعْلَبِيُّ فِي «الْكَشَفِ

وَالْبَيَانِ» (٣٤٩/٤) عَنِ الْقَاضِي عِيَّاضَ قَالَ: (وَتَأْوِيلُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَحْسَنُ التَّأْوِيلَاتِ وَأَصَحُّهَا، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ

عَطَاءٍ، وَصَحَّحَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ). انْتَهَى.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٢٤٠) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لِيَكُنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾

وَأَشْبَعَ الْمُسْلِمِينَ خُبْرًا وَلَحْمًا، ﴿لِيَكُنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: مَقْضِيَّةٌ ﴿مَفْعُولًا﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾: أَحَلَّ ﴿اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: كَسُنَّةِ اللَّهِ، فَنُصِبَ بِنَزْعِ الْخَافِضِ، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ تَوْسِعَةً لَهُمْ فِي النِّكَاحِ، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: فَعَلُهُ ﴿قَدَرًا مَقْدُورًا﴾: مَقْضِيًّا.

حاشية الصاوي

تقول للنبي: (جدِّي وجدك واحد، وليس من نسائك من هي كذلك غيري، وقد أنكحنيك الله، والسفير في ذلك جبريل) (١).

قوله: (وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً) أي: فذبح شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه، ولم يولم النبي على أحدٍ من نسائه كما أولم على زينب.

قوله: ﴿لِيَكُنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾... (إلخ) أي: فهو دليلٌ على أنَّ هذا الأمر ليس مخصوصاً به ﷺ.

قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي: موجوداً لا محالة.

قوله: ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: إثم.

قوله: (فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على المصدرية (٢)، وفي هذه الآية ردُّ على اليهود؛ حيث عابوا على النبي ﷺ كثرة النساء.

قوله: (توسعة لهم في النكاح) أي: فقد كان لداود مئة امرأة، ولسليمان ولذه سبع مئة امرأة، وثلاث مئة سُرِّيَّة.

قوله: ﴿قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ هو من التأكيد ك: (ظلٌّ ظليل) و(ليلٌ أليل).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧٦/٢٠) من مُرْسَلِ الشعبي.

(٢) وهو مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة؛ أي: سنَّ الله ذلك سُنَّةً. انظر «الدر المصون» (٧١٥/٩).

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

﴿٣٩﴾ الَّذِينَ - نعت لِّلَّذِينَ ﴿٣٩﴾ قبله - ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ فلا يَخْشَوْنَ مَقَالََةَ النَّاسِ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: حَافِظًا لِأَعْمَالِ خَلْقِهِ وَمُحَاسِبُهُمْ.

﴿٤٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴿٤٠﴾ فليسَ أَبَا زَيْدٍ أَي: وَالِدِهِ، فلا يَحْرُمُ عَلَيْهِ التَّزْوُجُ بِزَوْجَتِهِ زَيْنَبَ، ﴿وَلَكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فلا يَكُونُ لَهُ ابْنٌ رَّجُلٌ بَعْدَهُ يَكُونُ نَبِيًّا، - وفي قِرَاءَةِ بَفَتْحِ التَّاءِ كَالْوَاوِ الحَتْمِ - أَي: بِهِ خُتِمُوا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ أَي: أَبَوَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ؛ فلا يُنَافِي أَنَّهُ أَبُوهُمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ شَفِيقٌ عَلَيْهِمْ، وَنَاصِحٌ لَهُمْ، يَجِبُ عَلَيْهِمْ تَعْظِيمُهُ وَتَوْقِيرُهُ.

قوله: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ (العامة على تخفيف لَكِن)، وَنَصَبَ ﴿رَّسُولَ﴾ على أَنَّهُ خَبَرٌ لِّ(كَانَ) المَحْذُوفَةِ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِتَشْدِيدِ (لَكِن)، وَرَسُول: اسْمُهَا، وَخَبَرُهَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: أَبٌ مِنْ غَيْرِ وَرَاثَةٍ؛ إِذْ لَمْ يَعِشْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرَ، وَقُرِئَ أَيْضًا بِتَخْفِيفِهَا وَرَفَعَ (رَسُول) على الْإِبْتِدَاءِ، وَالْخَبَرُ مَقْدَّرٌ؛ أَي: هُوَ، أَوْ بِالْعَكْسِ، وَوَجْهُ الاسْتِدْرَاكِ: رَفَعَ مَا يَتَوَهَّمُ مِنْ نَفْيِ الْأَبَوَّةِ عَنْهُ أَنَّ حَقَّهُ لَيْسَ أَكِيدًا، فَأَفَادَ أَنَّ حَقَّهُ أَكْذٌ مِنْ حَقِّ الْأَبِ الْحَقِيقِيِّ بِوَصْفِ الرِّسَالَةِ^(١).

قوله: (فلا يكون له ابنٌ رجلٌ بعده يكون نبياً) النفي في الحقيقة متوجه للوصف؛ أَي: كَوْنُ ابْنِهِ رَجُلًا، وَكَوْنُهُ نَبِيًّا بَعْدَهُ، وَإِلَّا... فَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الذُّكُورِ أَوْلَادٌ ثَلَاثٌ: إِبْرَاهِيمَ وَالْقَاسِمَ وَالطَّيِّبَ، وَلَكِنْهُمْ مَاتُوا قَبْلَ الْبُلُوغِ، فَلَمْ يَبْلُغُوا مَبْلَغَ الرِّجَالِ، فَكَوْنُهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ يُلْزِمُ مِنْهُ عَدَمَ وَجُودِ وَلَدٍ بَالِغٍ لَهُ. وَأُورِدَ عَلَيْهِ: بِمَنْعِ الْمَلَاظِمَةِ؛ إِذْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَجَدَ لَهُمْ أَوْلَادٌ بِالْغُيُوبِ وَلَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَأُجِيبَ: بِأَنَّ الْمَلَاظِمَةَ لَيْسَتْ عَقْلِيَّةً، بَلْ عَلَى مَقْتَضَى الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ بَعْضَ الرُّسُلِ بِجَعْلِ أَوْلَادِهِمْ أَنْبِيَاءَ كَالْخَلِيلِ، وَنَبِيًّا أَكْرَمَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ؛ فَلَوْ عَاشَ أَوْلَادُهُ... اقْتَضَى تَشْرِيفُ اللَّهِ لَهُ جَعْلَهُمْ أَنْبِيَاءَ؛ لِجَمْعِهِ الْمَزَايَا الْمُتَفَرِّقَةَ فِي غَيْرِهِ، فَتَدَبَّرْ.

(١) قرأ أبو عمرو في رواية بتشديد (لكن)، وقرأ زيد بن علي وابن أبي عمير بتخفيفها ورفع (رسول) على الابتداء. انظر

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ مِنْهُ بِأَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَإِذَا نَزَلَ السَّيِّدُ عِيسَى يَحْكُمُ بِشَرِيعَتِهِ .
 (﴿٤١﴾ - ﴿٤٣﴾) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ : أَوَّلُ
 النَّهَارِ وَآخِرَهُ،

حاشية الصاوي

قوله : (وإذا نزل السيد عيسى... إلخ) جوابٌ عما يقال : كيف قال تعالى : ﴿وَحَاقَتْهُ النَّيِّبُ﴾
 وعيسى ينزل بعده وهو نبيٌّ؟

ولا يرد على هذا وضع الجزية، وعدم قبول غير الإسلام ونحو ذلك مما جاء في الأحاديث
 مما يخالف شرعنا ؛ لأن ذلك شرع نبينا عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام .

قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ في هذه إشارة إلى تشریف المؤمنين عموماً،
 حيث ناداهم وأمرهم بذكره وتسبيحه، وصلى عليهم هو وملائكته، وأفاض عليهم الأنوار، وحيّاهم .
 والمقصود من ذكر العباد ربهم : كونُ الله يذكرهم قال تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة : ١٥٢] ،
 وليس المقصودُ انتفاعُهُ تعالى بذلك، تنزّه الله عن أن يصلَ له من عباده نفعٌ أو ضررٌ، قال تعالى : ﴿إِنْ
 تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ ، فذكرنا لأنفسنا ؛ لأنه لا غنى لنا عن ربنا طرفة عين، وإذا كان كذلك . .
 فلا تليق الغفلة عنه أبداً، بل المطلوب ذكره دائماً وأبداً .

واعلم : أن الله تعالى لم يفرض فريضةً على عبادة إلا جعل لها حداً معلوماً، وعذرَ أهلها في حال
 العذر غير الذكر ؛ فلم يجعل له حداً، ولم يعذر أحداً في تركه إلا من كان مغلوباً على عقله ؛ ولذا أمرهم
 به في جميع الأحوال، قال تعالى : ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء : ١٠٣] ؛ ففيه إشارة
 إلى أن الذكر أمرٌ عظيمٌ، وفضله جسيمٌ .

قوله : ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ خصَّ التسبيح بالذكر وإن كان داخلاً فيه ؛ لكونه أعلى مراتبه،
 وحكمة تخصيص التسبيح بهذين الوقتين : لكونهما أشرف الأوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما .

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ أي: يَرْحَمُكُمْ ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ أي: يَسْتَغْفِرُونَ لَكُمْ؛ ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾: لِيُذَيِّمَ إِخْرَاجَهُ إِيَّاكُمْ ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الْكُفْرِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي: الْإِيمَانِ، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ استئناف في معنى التعليل للأمر بالذكر والتسبيح^(١).

قوله: ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ عطف على الضمير المستتر في ﴿يُصَلِّي﴾، والفاصل موجود^(٢).

قوله: (أي: يستغفرون لكم) أي: يطلبون لكم من الله المغفرة، قال تعالى: ﴿وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ...﴾ [غافر: ٧] الآيات.

قوله: (ليذيم إخراجهم إياكم) جوابٌ عما يقال: إن إخراجهم إيانا من الظلمات حاصلٌ بمجرد الإيمان. وإيضاحُ الجواب: أن المراد دوام هذا الإخراج؛ لأنَّ الغفلة عن الخالق إذا دامت.. ربما أخرجت العبد من النور، والعيادُ بالله.

قوله: ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ جمع الأول؛ لَتَعَدُّ أَنْوَاعَ الْكُفْرِ، وَأَفْرَدَ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، لَا تَعَدُّ فِيهِ؛ فَمَنْ ادَّعَى الْإِيمَانَ وَأَثَبَتِ التَّعَدُّدَ وَالْمُخَالَفَةَ.. فهو ضالٌّ مضلٌّ خارجٌ عن السنة والجماعة.

قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أي: يقبل القليل من أعمالهم، ويعفو عن الكثير من ذنوبهم؛ حيث أخلصوا في إيمانهم.

(١) لأنَّ صَلَاتَهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مَعَ عَدَمِ اسْتِحْقَاقِهِمْ لَهَا وَغَنَاءُ عَنِ الْعَالَمِينَ مِمَّا يُوجِبُ عَلَيْهِمُ الْمُدَاوِمَةَ عَلَى مَا يَسْتَوْجِبُهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْ ذِكْرِهِ تَعَالَى وَتَسْبِيحِهِ. «فتوحات» (٤٦٦/٣).

(٢) لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولاً، والاستغفار ثانياً؛ فإن استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له، بل على أن يراد بهما معنى مجازي عام، يكون كلا المعنيين فرداً حقيقياً له، وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم؛ فإن كلاً من الرحمة والاستغفار فردٌ حقيقي له، أو الترحم والانعطاف المعنوي المأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصُّوري الذي هو الركوع والسجود، ولا ريب في أن استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم، وأما أن ذلك سبب للرحمة؛ لكونهم مُجَابِي الدَّعْوَةِ كما قيل.. فاعتباره ينزع إلى الجمع بين المعنيين المتغايرين، فتدبر. انظر «إرشاد العقل السليم» (١٠٧/٧).

نَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴿٤٤﴾ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٥﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٦﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ

﴿٤٤﴾ نَحِيَّتُهُمْ ﴿منه تعالى﴾ ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ بِلِسَانِ الْمَلَائِكَةِ، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة.

(﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾ على مَنْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمْ، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ مَنْ صَدَّقَكَ بِالْجَنَّةِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُنْذِرًا مَنْ كَذَّبَكَ بِالنَّارِ، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾: إِلَى طَاعَتِهِ ﴿بِإِذْنِهِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿نَحِيَّتُهُمْ﴾ (منه تعالى) أي: التَّحِيَّةُ الصَّادِرَةُ مِنْهُ تَعَالَى زِيَادَةً فِي الْإِعْتِنَاءِ بِهِمْ، وَتَعْظِيمًا لِقَدْرِهِمْ.

قوله: ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾) اختلف في وقت اللَّقَاءِ؛ فُقِيلَ: عِنْدَ الْمَوْتِ، وَقِيلَ: عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْقُبُورِ، وَقِيلَ: عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

قوله: (بِلِسَانِ الْمَلَائِكَةِ) أي: لما ورد: «إِذَا جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ رُوحَ الْمُؤْمِنِ يَقُولُ لَهُ: رَبِّكَ يُقَرِّتُكَ السَّلَامُ»^(١)، وَفِي الْحَقِيقَةِ هُمْ يَسْمَعُونَ السَّلَامَ مِنْ اللَّهِ، وَمِنْ الْمَلَائِكَةِ، وَمِنْ الْخَلْقِ غَيْرِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْتُ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [٢٣-٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [٢٥] إِلَّا قِيلًا سَلَامًا [الواقعة: ٢٥-٢٦].

قوله: (هو الجنة) أي: وما فيها من النعيم المقيم.

قوله: (على من أرسلت إليهم) أي: لتتعرف أحوالهم، وتكون مشاهدًا لما صدر منهم من الأعمال الحسنة والقبیحة، فالأعمال تُعرض عليه حيًا وميتًا، ويصح أن يكون المراد: شاهدًا يوم القيامة للمؤمنين، وعلى الكافرين، فهو مقبول الدعوى، لا يحتاج في دعواه إلى شهادة أحد، فيشهد للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم إمامًا بالتصديق أو التكذيب.

(١) روى ابن الأعرابي في «معجمه» (٢٢٨٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود مرسلًا قال: (إذا أراد الله قبض روح المؤمن أوحى إلى ملك الموت أن أقره مني السلام).

وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

بأمره، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ هو الجنة، ﴿وَلَا تُطِيعِ
الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يُخَالِفُ شَرِيعَتَكَ، ﴿وَدَعْ﴾: اترك ﴿أَذُنَهُمْ﴾ لا تُجَازِمِهِمْ عَلَيْهِ
إِلَى أَنْ تُؤْمَرَ فِيهِمْ بِأَمْرٍ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو كافيك،

حاشية الصاوي

قوله: (بأمره) دفع بذلك ما يقال: إِنَّ الإِذْنَ حَاصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾، فأجاب: بأنَّ المراد
بالإِذْنَ: الأمر.

والحكمة في الإِذْنَ: تسهيل الأمر وتيسيره؛ لأنَّ الدخول في الشيء من غير إِذْنٍ متعذِّرٌ،
فإذا حصل الإِذْنَ.. سهل وتيسَّر، ومن هنا أخذ الأشياخ استعمالَ الإِجازة للمريدين، فَمَنْ أَجَازَهُ
أَشْيَاخُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِرشَادِ.. فقد سهلت له الطريق وتيسَّرت، وَمَنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ الإِجازة
وتصدَّرَ بِنَفْسِهِ.. فقد عَطَّلَ نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ، وانسَدَّتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ.

قوله: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ يحتمل أَنَّ المراد بالسراج: الشمس وهو ظاهر، ويحتمل أن المراد به:
المصباح، وحينئذٍ فيقال: إنما شُبِّهَ بالسراج ولم يُشَبَّهَ بالشمس مع أَنَّ نورها أتمُّ؛ لأنَّ السراج يسهل
اقتباس الأنوار منه، وهو ﷺ تقتبس منه الأنوار الحسية والمعنوية.

قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حيث كنت متصفاً بالصفات الخمسة.. فبشِّر المؤمنين.

قوله: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تُدَارِ الكفار، ولا تَلِيَنَّ لَهُمْ جَانِبَكَ فِي أَمْرِ الدِّينِ، بل اثبت
على ما أوحى إليك وبلغه، ولا تكتم منه شيئاً.

قوله: ﴿وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾ إمَّا من إضافة المصدر لفاعله؛ أي: أذيتهم إياك؛ فلا تُقاتلهم جزاء
على ما صدر منهم، أو لمفعوله؛ أي: اترك أذيتك لهم في نظير كفرهم، واصفح عنهم، واصبر،
ولا تعاجلهم بالعقوبة. وهذا منسوخٌ بآية القتال.

قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ثق به في أمورك واعتمد عليه.. يَكْفِكَ أُمُورُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا.

وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمْسُوْهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْنَ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُوْنَهَا فَمَتَّعُوْهُنَّ

﴿وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلًا﴾ مُفَوَّضًا إِلَيْهِ.

﴿٤٩﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمْسُوْهُنَّ ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ - أي: تُجَامِعُوهُنَّ، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْنَ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُوْنَهَا﴾ تُحْصُونَهَا بِالْأَقْرَاءِ وَغَيْرِهَا، ﴿فَمَتَّعُوْهُنَّ﴾: أَعْطُوهُنَّ مَا يَسْتَمْتِعْنَ بِهِ أَي: إِنْ لَمْ يُسَمَّ لَهُنَّ أَصْدِيقَةٌ، وَإِلَّا فَلَهُنَّ نِصْفُ الْمُسَمَّى فَقَطْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلًا﴾ الباء: زائدة في الفاعل؛ أي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَافٍ مِنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أُمُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّوَكُّلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَإِذَا عَجَزَ الْإِنْسَانُ عَنْ أَمْرٍ. . فعليه بالتوكل على الله، والتفويض إليه؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيهِ مَا أَمَّهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قوله: ﴿اِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ المراد بالنكاح: العقد؛ بدليل قوله: ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمْسُوْهُنَّ﴾، وذكر المؤمنات خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ؛ إِذِ الْكِتَابِيَّاتُ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْمُؤْمِنَاتُ بِالذِّكْرِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْأُولَى لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَنْكَحَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَأَمَّا نِكَاحُ الْكِتَابِيَّاتِ. . فمكروه، أو خلاف الأولى.

قوله: ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمْسُوْهُنَّ﴾ أي: ولو طال زمن العقد.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهما سبعيتان^(١).

قوله: (أي: تُجَامِعُوهُنَّ) تفسير لكلٍّ من القراءتين.

قوله: ﴿تَعْتَدُوْنَهَا﴾ إِمَّا مِنَ الْعِدَّةِ، أَوْ مِنَ الْاَعْتِدَادِ، أَي: تَحْسِبُونَهَا، أَوْ تَسْتَوْفُونَ عِدَّتَهَا؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَدَّ الدَّرَاهِمَ فَاَعْتَدَّهَا؛ أَي: اسْتَوْفَى عِدَّتَهَا.

قوله: (وعليه الشافعي) أي: ومالك، فالمطلقة قبل الدخول إِنْ سُمِّيَ لَهَا صَدَاقٌ. . فلا متعة لها، ولا عِدَّةٌ عَلَيْهَا، وَإِنْ لَمْ يُسَمَّ لَهَا صَدَاقٌ؛ بَأَن نَكَحَتْ تَفْوِضًا. . فلا عِدَّةٌ عَلَيْهَا، وَلَهَا الْمَتْعَةُ إِمَّا وَجُوبًا كَمَا هُوَ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، أَوْ نَدْبًا كَمَا هُوَ عِنْدَ مَالِكٍ^(٢).

(١) قرأ الأخوان وخلف بضم التاء وألف بعد الميم فيصير مدًا لازماً، والباقون بفتح التاء ولا ألف بعد الميم. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٥٦).

(٢) انظر «تحفة المحتاج» (٧/ ٤١٥)، و«المدونة» (٢/ ٢٣٢).

وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ

﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: خَلُّوا سَبِيلَهُنَّ مِنْ غَيْرِ إِضْرَارٍ.
 ﴿٥٠﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾: مُهُورُهُنَّ ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ مِنَ الْكُفَّارِ بِالسَّبْيِ كَصَفِيَّةَ
 حاشية الصاوي

قوله: (خَلُّوا سَبِيلَهُنَّ) أي: اتركوهنَّ.

قوله: (من غير إضرار) أي: بأن تمسكوهنَّ تعنتاً حتى يفتدينَ منكم، أو تؤذوهنَّ وتتكلموا في أعراضهنَّ.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾... إلخ) اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية؛ ف قيل: المعنى: إن الله أحلَّ له أن يتزوَّج بكل امرأة دفع مَهرها... إلى آخره، فعلى هذا تكون هذه الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير المدلول عليه بقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾، فهذه الآية وإن كانت مُتَقَدِّمَةً في التلاوة فهي متأخرة في النزول على الآية المنسوخة بها؛ كآية الوفاة في (البقرة).

وقيل: المراد: أحللنا لك أزواجك الكائنات عندك؛ لأنهنَّ اخترنك على الدنيا، ويؤيده قول ابن عباس: كان رسول الله يتزوَّج من أيِّ النساء شاء، وكان يشقُّ على نسائه، فلمَّا نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء إلا من سَمِّي... سُرَّ نساؤه بذلك^(١). والقول الأول أصح.

قوله: ﴿الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾) بيان لما كان يفعلُه من مكارم الأخلاق، وإلا... فالله أحلَّ له أن يتزوَّج بلا مهر.

قوله: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾) بيان لـ ﴿مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾، وهذا القيد خَرَجَ مخرجَ الغالب، بل الملك بالشراء كذلك.

قوله: (كَصَفِيَّةَ) هي بنت حبي بن أخطب، من نسل هارون أخي موسى، وتقدَّم أنها كانت من سبي خيبر، أذن النبي ﷺ لرحية الكلبي في أخذ جارية، فأخذها، فقيل للنبي ﷺ: أعطيته سيدة

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/٢٨٨).

وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ

وَجُوبَرِيَّةَ، ﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾

حاشية الصاوي

بني قريظة والنضير وهي لا تصلح إلا لك؟ فخشي عليهم الفتنة، فأعطاه غيرها، ثم أعتقها وتزوجها، وبني بها وهو راجع إلى المدينة^(١).

وفي رواية: (أنه ﷺ قال لها: «هل لك في؟»، قالت: نعم يا رسول الله؛ إني كنت أتمنى ذلك في الشرك، وكان بعينها خضرة، فسألها عنها فقالت: إنها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم في حجرها، فرأت قمراً وقع في حجرها، فلما استيقظ.. أخبرته، فلطمها وقال: تتمنين ملك يثرب؟!^(٢) ماتت في رمضان سنة خمسين، ودُفنت في البقيع.

قوله: (وجوبرية) أي: وهي بنت الحارث الخزاعية، وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، فكتبها، فجاءت تسأل النبي ﷺ وعرفته بنفسها، فقال: «هل لك إلى ما هو خير من ذلك؛ أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك؟» قالت: نعم، فسمع الناس بذلك، فأعتقوا ما بأيديهم من قومها، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، قالت عائشة: فما رأينا امرأة كانت أعظم في قومها بركة منها، أعتق بسببها مئة أهل بيت من بني المصطلق^(٣). وقسم لها النبي ﷺ، وكانت بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين.

قوله: ﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ﴾ أي: نساء قريش المنسوبات لأبيك، وقوله: ﴿وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾ أي: نساء بني زهرة المنسوبات لأمك. وحكمة أفراد العم والخال دون العمّة

(١) روى البخاري في حديث فتح خيبر (٣٧١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: (فجاء دحية الكلبي رضي الله عنه، فقال: يا نبي الله؛ أعطني جارية من السبي، قال: «أذهب فخذ جارية»، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله؛ أعطيت دحية صفية بنت حيي، سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلا لك؟! قال: «ادعوه بها»، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ.. قال: «خذ جارية من السبي غيرها»، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها، فقال له ثابت: يا أبا حمزة، ما أصدقها؟ قال: نفسها، أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق.. جهّزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل، فأصبح النبي ﷺ عروساً).

(٢) رواها ابن حبان في «صحيحه» (٥١٩٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود (٣٩٣١) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً

بِخِلَافٍ مَن لَّمْ يُهَاجِرْ، ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾

حاشية الصاوي

والخالة: أن العمَّ والخال يَعْمَان إذا أضيفا؛ لكونهما مفردين خاليتين من تاء الوحدة، والعمة والخالة لا يَعْمَان؛ لوجود التاء^(١).

قوله: (بخلاف مَن لم يهاجر) أي: فلا يحللن له، وهذا الحكم كان قبل الفتح حين كانت الهجرة شرطاً في الإسلام، فلَمَّا نُسِخَ حكم الهجرة.. نُسِخَ هذا الحكم.

قوله: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾ معطوف على مفعول ﴿أَحْلَلْنَا﴾ أي: وأمّا غير المؤمنة.. فلا تحلُّ له، وظاهر الآية: أَنَّ النكاح ينعقد في حقِّه ﷺ بالهبة، وحيثُذ: فيكون من خصوصياته^(٢).

والنساء اللاتي وهبن أنفسهن أربع: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم.

واعلم: أنه يحرم على النبي تزوج الحرة الكتابية؛ لما في الحديث: «سألتُ ربي ألا أزوج إلا من كان معي في الجنة، فأعطاني»^(٣)، ولقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ أَمْهَنَهُمْ﴾ ولا يليق أن تكون المشركة أمَّ المؤمنين، ويحرم عليه أيضاً نكاح الأمة ولو مسلمة؛ لأنَّ نكاحها مشروط بأمرين: خوف العنت، وعدم وجود مهر الحرة، وكلا الأمرين مَفْقُود منه ﷺ، وأما تسريه بالأمة الكتابية.. ففيه خلاف.

(١) قد سئل كثيرٌ عن حكمه أفراد العمَّ والخال دون العمة والخالة، حتى إنَّ السبكي رحمه الله صنف جزءاً فيه سماه: «بذل الهمة في أفراد العم وجمع العمّة»، وقد رأيت لهم فيه كلمات ضعيفة كقول الرازي: إنَّ العمَّ والخال على زنة المصدر، وقيل: إنه يعمُّ إذا أضيف، والعمة والخالة لا تعمُّ؛ لتاء الوحدة، وهي إن لم تمنعه حقيقة تأباه ظاهراً، ولا ياباه قوله في سورة (النور): ﴿أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ﴾؛ لأنه على لأصل. وأحسن منه ما قيل: إنَّ أعمامه ﷺ العباس وحمزة ﷺ وأبو طالب، وبنات العباس كنَّ ذات أزواج لا يليق ذكرهن، وحمزة ﷺ أخوه من الرضاع لا تحل له بناته، وأبو طالب ابنته أم هانئ لم تكن مهاجرة. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١٧٨/٧).

(٢) وذهب آخرون: إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج؛ كما في حقِّ سائر الأمة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ الْفَرَسُ أَنْ يَسْتَنْكِحَكُم﴾، وكان اختصاصه في ترك المهر لا في لفظ النكاح. انظر «تفسير الخازن» (٤٣١/٣).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرک» (١٤٨/٣) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفى ﷺ بلفظ: «سألتُ ربي عز وجل ألا أزوج أحداً من أمتي، ولا أتزوج إلا كان معي في الجنة، فأعطاني».

إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ

إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴿يَطْلُبُ نِكَاحَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ﴾، ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النِّكَاحَ بِلَفْظِ الْهَبَةِ مِنْ غَيْرِ صَدَاقٍ، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: الْمُؤْمِنِينَ ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ مِنَ الْأَحْكَامِ بِأَنْ لَا يَزِيدُوا عَلَى أَرْبَعِ نِسَوٍ، وَلَا يَتَزَوَّجُوا إِلَّا بِوَلِيِّ وَشُهُودٍ وَمَهْرٍ، ﴿وَو﴾ فِي ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ مِنَ الْإِمَاءِ بِشِرَاءٍ وَغَيْرِهِ بِأَنْ تَكُونَ الْأَمَةُ مِمَّنْ تَحِلُّ لِمَالِكِهَا كَالْكِتَابِيَّةِ، بِخِلَافِ الْمَجُوسِيَّةِ وَالْوَثْنِيَّةِ، وَأَنْ تُسْتَبْرَأَ قَبْلَ الْوَطْءِ؛ ﴿لِكَيْلَا﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَ ذَلِكَ - ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضَيْقٌ فِي النِّكَاحِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أظهر في محل الإضمار؛ تشريفاً لهذا الوصف، وإظهاراً لعظمة قدره عنده.

قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ هذا الشرط قيد في الشرط الأول؛ فَإِنْ هَبَتْ نَفْسَهَا لَا تَوْجِبُ حِلَّهَا إِلَّا إِذَا أَرَادَ نِكَاحَهَا؛ بَأَنْ يَحْصُلَ مِنْهُ الْقَبُولُ بَعْدَ الْهَبَةِ، أَوْ يَسْأَلَهَا فِي ذَلِكَ قَبْلَ الْهَبَةِ فتدبر.

قوله: ﴿خَالِصَةً﴾ مصدر معمول لمحذوف؛ أي: خلصت لك خالصة، ومجيء المصدر على هذا الوزن كثير؛ ك: العاقبة، والعافية، والكاذبة.

قوله: (من غير صداق) أي: ومن غير ولي وشهود.

قوله: (وغيره) أي: كهبة.

قوله: (بخلاف المجوسية... إلخ) أي: فلا تحل لمالكها إلا إذا استسلمها، وذلك كجواني السودان والحبشة والمغرب؛ لأنهم يُجبرون على الإسلام؛ ولذا لا يجوز للكفار شراؤهم كما هو مقرر في الفقه.

قوله: (وأن تستبرأ قبل الوطء) أي: كتابية كانت أو مجوسية.

قوله: (متعلق بما قبل ذلك) أي: وهو قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾، والمعنى: أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة؛ لثلا يكون عليك ضيق.

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ تُرْجَى مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُتَوَى إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ فيما يعسر التحرز عنه، ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

﴿٥١﴾ - ﴿تُرْجَى﴾ - بالهمزة والياء بدله -: تُؤَخَّر ﴿مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ أي: أزواجك عن نوبتها، ﴿وَتُتَوَى﴾: تَضُمُّ ﴿إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ﴾ مِنْهُنَّ فَتَأْتِيهَا، ﴿وَمِنْ أَبْغَيْتَ﴾: طَلَبْتَ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ مِنَ الْقِسْمَةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ فِي طَلَبِهَا وَضَمِّهَا إِلَيْكَ، خَيْرٌ فِي ذَلِكَ
حاشية الصاوي

قوله: (لما يعسر التحرز عنه) أي: لقولهم: إذا ضاق الأمر... اتسع.

قوله: ﴿﴿تُرْجَى مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ﴾... إلخ﴾ اتفق المفسرون على أن المقصود من هذه الآية: التوسعة على رسول الله ﷺ في معاشرته لنسائه، واختلفوا في تأويلها، وأصح ما قيل فيها: التوسعة على رسول الله ﷺ في ترك القسم، فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته؛ لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أغار على النبي ﷺ على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أوتهب المرأة نفسها لرجل؟ فلما أنزل الله: ﴿﴿تُرْجَى مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُتَوَى إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾﴾ قالت: قلت: والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك^(١).

وقيل: إنَّ ذلك في الواهبات أنفسهن، وحينئذٍ: فيكون المعنى: تأخذ من شئت منهن، وتترك من شئت.

وقيل: إنَّ ذلك في الطلاق، فالمعنى: لك طلاق من شئت منهن، وإمساك من شئت. وعلى كلِّ حالٍ: فالآية معناها: التوسعة عليه في أمر النساء.

قوله: (والياء بدله) أي: بدل الهمزة، وحينئذٍ: فهو مرفوع بضمة مقدرة على الياء، منع من ظهورها الثقل.

قوله: (عن نوبتها) أي: من القسم.

قوله: ﴿﴿وَمِنْ أَبْغَيْتَ﴾... إلخ﴾ أي: التي طلبت ردّها إلى فراشك بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسمة، فلا جناح عليك.

ذَلِكَ أَذَقَ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

بعد أن كان القسم واجباً عليه، ﴿ذَلِكَ﴾ التَّخْيِيرُ ﴿أَذَقَ﴾: أَقْرَبُ إِلَى ﴿أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْنَهُنَّ﴾ ما ذَكَرَ الْمُخَيَّرَ فِيهِ ﴿كُلُّهُنَّ﴾ - تَأْكِيدٌ لِلْفَاعِلِ فِي (يَرْضَيْنَ) -، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ وَالْمَيْلِ إِلَى بَعْضِهِنَّ، وَإِنَّمَا خَيْرُنَاكِ فِيهِنَّ تَيْسِيرًا عَلَيْكَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِهِ، ﴿حَلِيمًا﴾ عَنْ عِقَابِهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (بعد أن كان القسم واجباً عليه) هذا أحد قولين، وقيل: كان مخيراً من أول الأمر ولم يكن واجباً عليه ابتداءً.

قوله: ﴿ذَلِكَ أَذَقَ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ هذا إشارة إلى حكمة تخييره في القسم وعدم وجوبه عليه، والمعنى: لم يجب عليه القسم بين نسائه مع أنه عدل؛ لأنَّ التَّخْيِيرَ أَقْرَبُ إِلَى سَكُونِ أَعْيُنِهِنَّ وَعَدَمِ حَزْنِهِنَّ، وَأَقْرَبُ إِلَى رِضَائِهِنَّ بِمَا حَصَلَ لَهُنَّ؛ لِأَنَّهُنَّ إِذَا عَلِمْنَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجِبْ عَلَى النَّبِيِّ شَيْئاً مِنَ الْقَسْمِ وَحَصَلَ مِنْهُ الْقَسْمُ.. سُرِرْنَ بِذَلِكَ وَقِنَعْنَ بِهِ.

قوله: (تأكيد للفاعل) أي: فهو بالرفع، وهذه قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بالنصب تأكيداً للمفعول^(١).

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ خطابٌ للنبي على جهة التعظيم، ويحتمل أن يُرَادَ العموم.

قوله: (والميل إلى بعضهن) أي: بالطبع، فكان يميل إلى بعضهن أكثر من بعض، وكان يقول: «اللهم؛ إنَّ هذا حظي فيما أملك؛ فلا تَوَاخِذْنِي فيما لا أملك»^(٢).

واتفق العلماء على أنه ﷺ كان يعدل بينهنَّ في القسمة حتى مات غير سودة رضي الله عنها؛ فإنها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها.

قوله: ﴿حَلِيمًا﴾ عن عقابهم) أي: يعلم العيب ويستره، فينبغي للإنسان ألا يفرط في حقوقه؛

(١) وهي قراءة أبي إياس بن عائذ. انظر «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (١٨٢/٢).

(٢) رواه أبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي في «المجتبى» (٦/٧)، وابن ماجه (١٩٧١) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، وفيها: (فلا تلمني) بدل (لا تَوَاخِذْنِي).

لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا
مَلَكَتْ يَمِينُكَ.....

﴿٥٢﴾ لَا تَحِلُّ - بِالنَّاءِ والياءِ - ﴿لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ بعد التسع التي اخترتك، ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ﴾ - بِتَرْكِ إِحْدَى الثَّانِيَيْنِ فِي الْأَصْلِ - ﴿بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ بِأَنْ تُطَلِّقَهُنَّ أَوْ بَعْضَهُنَّ وَتَنْكِحَ بَدَلَ مَنْ طَلَّقْتَ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ مِنَ الْإِمَاءِ، فَتَحِلُّ لَكَ، وَقَدْ مَلَكَ ﷺ بَعْدَهُنَّ مَارِيَّةً.....

حاشية الصاوي

لأنَّ انتقام الحليم وغضبه أمرٌ عظيم؛ لما في الحديث: «اتقوا غيظ الحليم»^(١)، ففي الآية ترغيب وترهيب.

قوله: (بالنَّاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (بعد التسع) أي: بعد اجتماعهنَّ في عصمتك، فهنَّ بمنزلة الأربع لآحاد الأمة، فقد قصر الله نبيه عليهنَّ جزاءً لهنَّ على اختيارهنَّ الله ورسوله، وهنَّ التسع اللاتي توفي عنهنَّ، وهنَّ: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي، وميمونة بنت الحارث، وزينب بنت جحش، وجويرة بنت الحارث المصطلقية. وقيل: المراد: بعد التخيير.

قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ البدل في الجاهلية: أن يقول الرجل للرجل: تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك، والمراد هنا: نهية عن المفارقة والإبدال بأيٍّ وجو.

قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ (مِنْ): زائدة في المفعول.

قوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ حال من فاعل ﴿تَبَدَّلَ﴾.

قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ استثناء متصل من ﴿النِّسَاءِ﴾؛ لأنه يتناول الأزواج والإماء، وقيل: منقطع لإخراجه من الأزواج.

قوله: (وقد ملك بعدهنَّ مارية) أي: القبطية، أهداها له المقوقس ملك القبط، وهم أهل مصر والإسكندرية، وذلك: أنه ﷺ بعث له حاطب بن أبي بلتعة بكتاب يدعو فيه إلى الإسلام صورته:

(١) لم أجده، وفي «كشف الخفاء» (١/١٦٦): «أعوذ بالله من غضب الحليم» ليس بحديث كما زعمه بعضهم.

(٢) قرأ أبو عمرو بالنَّاء الفوقية، والباقون بالياء التحتية. انظر «السراج المنير» (٣/٢٦٤).

وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾

وَوَلَدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمَ وَمَاتَ فِي حَيَاتِهِ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾: حَفِظًا.

حاشية الصاوي

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين؛ فإن توليت.. فإنما عليك إثم القبط، ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية»، فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس.. وجده في الإسكندرية، فدفعه إليه، فقرأه، ثم جعله في حُقٍّ من عاج، وختَم عليه، ودفعه إلى جارية، ثم كتب جوابه في كتاب صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط: سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت به وما تدعو إليه، وعلمت أن نبيًا قد بقي، وما كنتُ أظن إلا أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك - أي: فإنه قد دفع له مئة دينار وخمسة أثواب - وبعثتُ لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم - أي: وهما مارية وسيرين - وعشرين ثوبًا من قباطي مصر، وطيبًا وعودًا ونُدًا ومسكًا مع ألف مثقال من الذهب، ومع قدح من قوارير، وبَغْلَةٌ للركوب).

وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين، وخصيًا يقال له: مابور، والبغلة هي دلدل، وكانت شهباء، وفرسًا - وهو اللزاز؛ فإنه سأل حاطبًا ما الذي يحبُّ صاحبك من الخيل؟ فقال له: الأشقر، وقد تركت عنده فرسًا يقال لها: المرتجز، فانتخب له فرسًا من خيل مصر الموصوفة، فأسرج وألجم، وهو فرسه الميمون، وأهدى إليه عسلاً من عسل بُنْهَا - قرية من قرى مصر - فأعجب به ﷺ وقال: «إن كان هذا عسلكم.. فهذا أحلى»، ثم دعا فيه بالبركة^(١).

قوله: (وولدت له إبراهيم) أي: في ذي الحجة سنة ثمان، وعاش سبعين يوماً، وقيل: سنة عشرة أشهر^(٢)، وقوله: (ومات في حياته) أي: ولم يُصلِّ عليه بنفسه، بل أمرهم فصلُّوا عليه^(٣).

(١) انظر خبر كتابه ﷺ للمقوقس ملك القبط وهدايا المقوقس له في «السيرة الحلبية» (٣/ ٣٥٢).

(٢) كما نقله العلامة ابن حجر الهيتمي في «المنح المكية شرح الهمزية» (ص ٦١٧).

(٣) كما في رواية أبي داود (٣١٨٧) عن سيدتنا عائشة، قالت: «مات إبراهيم ابن النبي ﷺ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً فلم يُصلِّ عليه رسول الله ﷺ»، ونقل العلامة الصالحي الشامي في «سبل الهدى والرشاد» (٢٤/ ١١) روايات صلواته ﷺ على ابنه سيدنا إبراهيم، ثم قال: (وهذه الطرق يُقوي بعضها بعضاً).

يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْرِينَ إِنَّهُ

﴿٥٣﴾ ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في الدُّخُولِ بِالطَّعَامِ ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾، فَتَدْخُلُوا ﴿غَيْرَ نَبْرِينَ﴾: مُنْتَظَرِينَ ﴿إِنَّهُ﴾: نُضِجَهُ، مَصْدَرٌ (أَنْيَ يَأْنِي)،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾... إلخ) هذه الآية نزلت في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله ﷺ.

عن أنس بن مالك قال: (كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، حين أصبح النبي ﷺ بها عروساً، فدعا القوم، فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي رهطٌ عند النبي ﷺ، فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ، فخرج وخرجتُ معه؛ لكي يخرجوا، فمشى النبي ﷺ ومشيتُ حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظنَّ أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعتُ معه، حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع النبي ﷺ ورجعتُ حتى إذا بلغ حجرة عائشة، وظنَّ أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعتُ معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الستر، وأنزل الحجاب) (١).

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أي: إلا بسبب الإذن لكم.

قوله: ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ متعلق بـ﴿يُؤْذَنَ﴾؛ لتضمينه معنى (يدعى) كما قدَّره المفسر.

قوله: ﴿فَتَدْخُلُوا﴾ (غَيْرَ نَبْرِينَ إِنَّهُ) هذا التقدير غير مناسب؛ لأنه يقتضي أنَّ الدخول مع الإذن لا يجوز معه انتظار نضج الطعام مع أنه يجوز، فالمناسب حذف هذا التقدير؛ إذ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يدخلون من غير إذن، ويبتغون نضج الطعام، فتهاهم الله عن كلِّ من الأمرين. والحاصل: أنَّ أسباب النزول في هذه الآيات تعددت، منها: أن قوماً كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوى ويبتغون نضج الطعام.

ومنها: أن قوماً كانوا يدخلون بإذن ويتخلَّفون بعدما طعموا مستأنسين لحديث.

ومنها: مؤاكلة الأجانب مع رسول الله ﷺ بحضور زوجاته. فنزلت آية الحجاب، ونهي عن ذلك كله، وهذه آيات الحجاب لخصوص أمهات المؤمنين، وأما لعموم الأمة.. فقد تقدَّمت في سورة (النور)، تأمل.

قوله: (مصدر: أني يأنى) أي: من باب (رمى)، وقياس مصدره: (أنَّى) لكنه لم يُسمع، وإنما المسموع (إنَّى) بالكسر والقصر.

وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا﴾ تمكثوا ﴿مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض، ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ أن يخرجكم، ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أن يخرجكم، أي: لا يترك بيانه، - وقُرئ: (يَسْتَحْيِي) بياء واحدة -، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: ستر،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ أي: أكلتم الطعام.

قوله: ﴿فَانْتَشِرُوا﴾ أي: اذهبوا حيث شئتم في الحال، ولا تمكثوا بعد الأكل والشرب.

قوله: ﴿وَلَا﴾ تمكثوا ﴿مُسْتَنْسِينَ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿مُسْتَنْسِينَ﴾ حال من محذوف، وذلك المحذوف معطوف على (انتشروا)^(١).

قوله: ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ أي: لتضييقه عليه.

قوله: ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ أي: من إخراجكم.

قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ المراد به (الحق): إخراجكم من منزله، وأطلق الاستحياء في حق الله وأريد لازمه، وهو ترك البيان.

قوله: (بياء واحدة) أي: قراءة شاذة^(٢).

قوله: ﴿فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ روي: أن عمر قال: يا رسول الله؛ يدخل عليك البر والفاجر؛ فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت^(٣).

(١) ويجوز أن يكون معطوفاً على حال مقدرة؛ أي: لا تدخلوا هاجمين ولا مستأنسين، وأن يكون مجروراً عطفاً على (ناظرين) أي: غير ناظرين وغير مستأنسين. انظر «الدر المصون» (٩/١٤٠).

(٢) هي رواية عن ابن كثير، وهي لغة تميم، يقولون: استحي يستحي، مثل: استقى يستقي. انظر «الدر المصون» (٩/١٤٠).

(٣) رواه البخاري (٤٧٩٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا
أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ مِنَ الْخَوَاطِرِ الْمُرِيبَةِ، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا
رَسُولَ اللَّهِ﴾ بِشَيْءٍ، ﴿وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾

حاشية الصاوي

وروي: أَنَّ رسول الله ﷺ كان يأكل ومعه بعض أصحابه، فأصابته يد رجلٍ منهم يد عائشة
وهي تأكل معهم، فكره النبي ذلك، فنزلت هذه الآية^(١).

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن، وعدم الاستئناس للحديث،
وسؤال المتاع من وراء الحجاب.

قوله: (من الخواطر المريبة) أي: أنقى وأبعد لدفع الريبة والتهمة، وهو يدلُّ على أنه لا ينبغي
لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع مَنْ لا تحلُّ له؛ فَإِنَّ مجانبته ذلك أحسنُّ لحاله، وأحصنُّ لنفسه.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي: ما صحَّ وما استقام لكم، وقوله: ﴿أَنْ تُؤْذُوا﴾ هو اسم
﴿كَانَ﴾، و﴿لَكُمْ﴾ خبرها، و﴿أَنْ تُنكِحُوا﴾ عطف على اسم ﴿كَانَ﴾. نزلت هذه الآية في رجل
من الصحابة يقال له: طلحة بن عبيد الله، قال في سرِّه: إذا قبض رسول الله ﷺ.. نكحت عائشة،
ثم ندم هذا الرجل، ومشى إلى مكة على رجله، وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله، وأعتق
رقيقاً، فكفر الله عنه^(٢).

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد وفاته، أو فراقه ولو قبل الدخول بها؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ عقد عليها
رسول الله ﷺ يتأبَّد تحريمها على أمته، وأمَّا إمامه.. فلا يحرمَّن على غيره إلا بمسِّه لهنَّ.

(١) نقله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤٧٩/٣) عن مجاهد.

(٢) كذا نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢٨/١٤) عن مقاتل بن سليمان ومعمار، ونقل العلامة ابن عاشور في «التحرير
والتنوير» (٩٣/٢٢) قول ابن عطية: (هذا عندي لا يصح على طلحة، والله عاصمه من ذلك)، ثم قال: (وأقول:
لا شك أنه من موضوعات الذين يطعنون في طلحة بن عبيد الله، وهذه الأخبار واهية الأسانيد، ودلائل الوضع
واضحة؛ فَإِنَّ طلحة إن كان قال ذلك بلسانه.. لم يكن ليخفى على الناس؛ فكيف يتفرد بروايته من انفراد؟! وإن كان
خطر ذلك في نفسه ولم يتكلم به.. فمن ذا الذي اطلع على ما في قلبه؟! وليس بمتعين أن يكون لنزول هذه الآية
سبب؛ فإن كان لها سبب.. فلا شك أنه قول بعض المنافقين؛ لما يؤذن به قوله تعالى عقب هذه الآيات: ﴿لَئِنْ لَمْ
يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ الآية).

أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ

أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبًا عَظِيمًا.

﴿٥٤﴾ إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ مِنْ نِكَاحِهِنَّ بَعْدَهُ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

﴿٥٥﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أَي: الْمُؤْمِنَاتِ، ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ مِنَ الْإِمَاءِ وَالْعَبِيدِ أَنْ يَرَوْهُنَّ وَيُكَلِّمُوهُنَّ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: ما ذُكِرَ من إيذائه ونكاح أزواجه من بعده.

قوله: ﴿إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا﴾ أي: تظهروه على ألسنتكم، وقوله: ﴿أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ أي: في صدوركم، وقوله: ﴿فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ﴾ جواب الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تعليل للجواب، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ﴾... إلخ) هذا في المعنى مستثنى من قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا...﴾ الآية.

روي: أنه لما نزلت آية الحجاب.. قال آباؤهن وأبنائهن: يا رسول الله! أوتكلمهن أيضاً من وراء حجاب؟ فنزلت هذه الآية، وقوله: ﴿فِي آبَائِهِنَّ﴾ أي: أصولهن وإن علون^(١)، وقوله ﴿وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ المراد: فروعهن وإن سفلوا.

قوله: ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ (الإضافة من حيث المشاركة في الوصف وهو الإسلام، فقول المفسر: (أي: المؤمنات) تفسير للمضاف، ومفهومه: أن النساء الكافرات لا يجوز لهن النظر لأزواج النبي وهو كذلك، ولا مفهوم لأزواج النبي، بل جميع النساء المسلمات كذلك؛ فلا يحل للمسلمة أن تبدي شيئاً منها للكافرة؛ لثلاث تصفها لزوجها الكافر.

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب: (علوا).

وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ فيما أُمِرْتُمْ بِهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ. ﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ (عطف على محذوف، والتقدير: امْتثلن ما أُمِرْتُمْ بِهِ واتقن الله). وحكمة تخصيص الحجاب هنا بأمهات المؤمنين وإن تقدم في سورة (النور) عموماً: دفع توهم أن أزواج النبي كالأمهات من كل وجه، فأفاد هنا أنهن كالأمهات في التعظيم والتوقير، لا في الخلوة والنظر؛ فإنهن كالأجانب، بل هن أشد، فذكر لهن حجاباً مخصوصاً؛ فلا يقال: إنه مكرّر مع ما تقدم في (النور).

قوله: (لا يخفى عليه شيء) أي: من الطاعات والمعاصي الظاهرة والخفية. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾... إلخ) هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات، وأفضل الخلق على الإطلاق؛ إذ الصلاة من الله على نبيه: رحمته المقرونة بالتعظيم، ومن الله على غير النبي: مطلق الرحمة؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فانظر الفرق بين الصلاتين، والفضل بين المقامين. قوله: ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ بالنصب معطوف على اسم (إن)، وقوله: ﴿يُصَلُّونَ﴾ خبر عن الملائكة، وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره: إِنَّ اللَّهَ يُصَلِّي، وملائكته يصلون، وهذا هو الأتم؛ لتغاير الصلاتين^(١).

والمراد بالملائكة: جميعهم، والصلاة من الملائكة: الدعاء للنبي بما يليق به، وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم، وحينئذ: فقد وسعت رحمة النبي كل شيء تبعاً لرحمة الله، فصار بذلك مهبط الرحمات ومنبع التجليات.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ أي: ادعوا له بما يليق به، وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي: تشریفهم بذلك؛ حيث اقتدوا بالله في مطلق الصلاة، وإظهار تعظيمه ﷺ، ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق؛ لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم، وحق

(١) أي: من جعل (يصلون) خبراً عن اسم الجلالة والملائكة.

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ أَي: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ.

حاشية الصاوي

على مَنْ وصل له نعمةٌ من شخص أن يكافئه، فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه.

إن قلت: إنَّ صلاتهم طلبٌ من الله أن يصلي عليه، وهو مُصلٌ عليه مطلقاً؛ طلبوا أو لا. أجيب: بأنَّ الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته ﷺ.. طلبوا من القادر المالك أن يكافئه، ولا شك أن الصلاة الواصلة للنبي من الله لا تقف عند حدٍّ، فكلما طُلِبَتْ من الله.. زادت على نبيِّه، فهي دائمةٌ بدوام الله.

قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) إن قلت: خصَّ السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة.

أجيب: بأنَّ هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذي النبي، والأذية إنما هي من البشر.. فناسب التخصيص بهم؛ لأنَّ في السلام سلامةٌ من الآفات. وأكد السلام دون الصلاة؛ لأنها لما أُسْنِدَتْ لله وملائكته.. كانت غنيَّةً عن التأكيد.

واعلم: أن العلماء اتَّفَقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ، ثم اختلفوا في تعيين الواجب؛ فعند مالك: تجب الصلاة والسلام في العمر مرة، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض، وعند غيرهما: تجب في كل مجلس مرَّة، وقيل: تجب عند ذكره، وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد^(١).

وبالجملة: فالصلاة على النبي أمرٌها عظيمٌ، وفضلها جسيمٌ، وهي من أفضل الطاعات، وأجلُّ القربات، حتى قال بعض العارفين: إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ؛ لأنَّ الشيخ والسند فيها صاحبُها؛ لأنها تُعَرِّضُ عليه، ويُصَلِّي على المصلي، بخلاف غيرها من الأذكار؛ فلا بدَّ فيها من الشيخ العارف، وإلا.. دخلها الشيطان، ولم ينتفع صاحبها بها.

قوله: (أي: قولوا: اللهم؛ صلِّ على محمد وسلم) أي: اجمعوا بين الصلاة والسلام، وصيغ الصلاة على النبي ﷺ كثيرةٌ لا تحصى، وأفضلها: ما ذُكِرَ فيه لفظ الآل والصحب؛ فمن تمسَّك بأيِّ صيغة منها.. حصل له الخير العظيم.

(١) انظر «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (١٤/١)، و«الأم» (١٤٠/١)، و«حاشية ابن عابدين» (٥١٦/١).

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾

﴿٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿﴾ وَهُمْ الْكُفَّارُ يَصِفُونَ الله بما هو مُنَزَّه عنه مِنَ الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ، ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أَبْعَدَهُمْ، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾: ذَا إِهَانَةٍ وَهُوَ النَّار.

﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴿﴾: يَرْمُونَهُمْ بِغَيْرِ مَا عَمِلُوا، ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾: تَحَمَّلُوا كَذِبًا ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾: بَيِّنًا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الإيذاء في حق الله معناه: تعدي حدوده^(١)، وفي حق الرسول ظاهر.

قوله: (وَهُم الْكُفَّارُ) أي: اليهود والنصارى والمشركون.

قوله: ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: بِحَجَبِهِمْ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، وقوله: ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أي: بِتَخْلِيدِهِمْ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ.

قوله: (أَبْعَدَهُمْ) أي: عن رحمته.

قوله: (ذَا إِهَانَةٍ) أي: هَوَانٍ وَاسْتِخْفَافٍ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾... إلخ قيل: نزلت في علي بن أبي طالب، كانوا يؤذونه ويُسمعون، وقيل: نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها، وقيل: نزلت في شأن المنافقين الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يطلبون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن؛ فإن سكنت المرأة.. اتبعوها، وإن زجرتهم.. انتهوا عنها^(٢).

وفي هذه الآية زجر لمن يسيء الظن بالمؤمنين والمؤمنات، ويتكلم فيهم من غير علم، وهي بمعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

(١) وقالت فرقة: ذلك على حذف مضاف، تقديره: يؤذون أولياء الله. «تفسير القرطبي» (١٤/٢٣٨).

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في «زاد المسير» (٣/٤٨٣).

يَتَّيِبُهَا لِلنِّسَاءِ قُلْ لِّأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّيْنٌ لَّمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ

﴿٥٩﴾ ﴿يَتَّيِبُهَا لِلنِّسَاءِ قُلْ لِّأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾ : جَمْع (جَلِيب) وهي الملاءة التي تَشْتَمِلُ بِهَا الْمَرْأَةُ، أي: يُرَخِّينَ بَعْضَهَا عَلَى الْوُجُوهِ إِذَا خَرَجْنَ لِحَاجَتِهِنَّ إِلَّا عَيْنًا وَاحِدَةً، ﴿ذَلِكَ أَدْنَى﴾ : أَقْرَبُ إِلَى ﴿أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ بِأَنْهُنَّ حَرَائِرٌ، ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ بِالتَّعَرُّضِ لَهُنَّ بِخِلَافِ الْإِمَاءِ، فَلَا يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ، فَكَانَ الْمُنَافِقُونَ يَتَعَرَّضُونَ لَهُنَّ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لِمَا سَلَفَ مِنْهُنَّ مِنْ تَرْكِ السِّتْرِ، ﴿رَحِيمًا﴾ بِهِنَّ إِذْ سَتَرَهُنَّ. ﴿لَّيْنٌ﴾ - لَامٌ قَسَمٌ - ﴿لَّمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ﴾ عَنْ نِفَاقِهِمْ ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلنِّسَاءِ قُلْ لِّأَزْوَاجِكُمْ﴾... إلخ) سبب نزولها: أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِلنِّسَاءِ بِالْأَذْيَةِ يُرِيدُونَ مِنْهُنَّ الزَّانَا، وَلَمْ يَكُونُوا يَطْلُبُونَ إِلَّا الْإِمَاءَ، وَلَكِنْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ الْحُرَّةَ مِنَ الْأَمَةِ؛ لِأَنَّ زَيَّْ الْكُلِّ وَاحِدٌ، تَخْرُجُ الْحُرَّةُ وَالْأَمَةُ فِي دَرَجَةٍ وَخِمَارٍ، فَشَكَّوْنَ ذَلِكَ لِأَزْوَاجِهِنَّ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَرَلَّتْ^(١).

قوله: ﴿يُدْنِيكَ﴾ (أي: يُرَخِّينَ وَيُغَطِّينَ).

قوله: (التي تَشْتَمِلُ بِهَا) أي: تَتَغَطَّى وَتَسْتَتِرُ بِهَا الْمَرْأَةُ مِنْ فَوْقِ الدَّرْعِ وَالْخِمَارِ.

قوله: (فلا يغطين وجوههن) أي: فَكُنَّ لَا يَغَطِّينَ وَجُوهَهُنَّ. وَهَذَا فِيْمَا مَضَى، وَأَمَّا الْآنَ.. فَالْوَاجِبُ عَلَى الْحُرَّةِ وَالْأَمَةِ السِّتْرُ بِثِيَابٍ غَيْرِ مَزِينَةٍ خَوْفَ الْفِتْنَةِ.

قوله: (لما سلف منهن من ترك الستر) ورد: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِجَارِيَةٍ مُتَقَنِّعَةٍ، فَعَلَاهَا بِالْذَّرَّةِ وَقَالَ لَهَا: أَتَشَبَّهِينَ بِالْحَرَائِرِ يَا لَكَّاع؟ أَلْقَى الْقِنَاعَ^(٢).

قوله: ﴿لَّيْنٌ لَّمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ﴾ (أي: كَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابِهِ).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (أي: فَجُورٌ، وَهُمْ الزُّنَاةُ، وَهُمْ مِنْ جَمَلَةِ الْمُنَافِقِينَ).

(١) انظر «تفسير الطبري» (٣٢٦/٢٠).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٤٣٧/٣)، وَلَكَّاعٌ: كَلِمَةٌ تُقَالُ لِمَنْ يَسْتَحْقِرُ بِهِ مِثْلَ الْعَبْدِ وَالْأَمَةِ وَالْخَامِلِ وَالْقَلِيلِ الْعَقْلِ؛ مِثْلَ

قَوْلِكَ: يَا خَسِيسَ.

وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ

بالزنى، ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِمْ: قد أتاكم العدو وسراياكم قُتِلُوا أو هُزِمُوا، ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لَنَسْلُطَنَّكَ عَلَيْهِمْ، ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾: يُسَاكِنُونَكَ ﴿فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ يَخْرُجُونَ.

﴿٦١﴾ ﴿مَلْعُونِينَ﴾: مُبْعَدِينَ عَنِ الرَّحْمَةِ ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾: وَجِدُوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ أي: الْحُكْمُ فِيهِمْ هَذَا عَلَى جِهَةِ الْأَمْرِ بِهِ.

﴿٦٢﴾ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سَنَ اللَّهِ ذَلِكَ ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِي مُنَافِقِيهِمُ الْمُرْجِفِينَ الْمُؤْمِنِينَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: بالكذب، وذلك: أَنَّ نَاسًا مِنْهُمْ كَانُوا إِذَا خَرَجَتْ سَرَايَاهُمْ . . . يَوْقَعُونَ فِي النَّاسِ أَنَّهُمْ قَدْ قُتِلُوا وَهَزِمُوا، وَيَقُولُونَ: قَدْ أَتَاكُمُ الْعَدُو.

قوله: ﴿لَنَسْلُطَنَّكَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فَتُخْرِجُهُمْ مِنْ مَجْلِسِكَ وَتَقْتُلُهُمْ، وَقَدْ فَعَلَ لَهُمْ ﷺ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ (بَرَاءة) . . . جَمَعَهُمْ وَصَعَدَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا فُلَانُ قُمْ فَاخْرُجْ؛ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ، وَيَا فُلَانُ قُمْ»^(١)، فَقَامَ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَوَلَّوْا إِخْرَاجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ.

قوله: ﴿مَلْعُونِينَ﴾ حال من محذوف، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (ثم يخرجون)^(٢).

قوله: (أي: الحكم فيهم هذا) أي: الأخذ والقتل.

قوله: (على جهة الأمر به) أي: إِنَّ الْآيَةَ خَبْرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ.

قوله: (أي: سَنَ اللَّهِ ذَلِكَ) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿سُنَّةَ﴾ مُصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ، وَفِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ؛ أي: فَلَا تَحْزَنْ عَلَى وَجُودِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْمِكَ؛ فَإِنَّهُ سَنَّةٌ قَدِيمَةٌ؛ كَمَا كَانَ فِي قَوْمِ مُوسَى مِنْهُمْ مُوسَى السَّامِرِيُّ وَاتِّبَاعُهُ، وَقَارُونُ وَاتِّبَاعُهُ.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٤١/١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ويجوز أن يكون منصوباً بـ (أخذوا) الذي هو جواب الشرط، وهذا عند الكسائي والفراء؛ فإنهما يجيزان تقديم معمول الجواب على أداة الشرط نحو: خيراً إن تأتني تُصَبِّب. وقد منع الزمخشري ذلك فقال: ولا يصح أن ينتصب بـ (أخذوا)؛ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. وهذا منه مشي على الجادة. انظر «الدر المصون» (١٤٣/٩).

وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾

﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ مِنْهُ.

﴿٦٢﴾ ﴿يَسْأَلُ النَّاسُ﴾ أَهْلُ مَكَّةَ ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ مَتَى تَكُونُ؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يُعَلِّمُكَ بِهَا أَي: أَنْتَ لَا تَعْلَمُهَا، ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ﴾: تُوجَدُ ﴿قَرِيبًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: تغييراً ونسخاً؛ لكونها بُنِيَتْ عَلَى أساسٍ مَتِينٍ، فَلَيْسَتْ مِثْلَ الْأَحْكَامِ الَّتِي تَبْدُلُ وَتُنْسخُ.

قوله: ﴿يَسْأَلُ النَّاسُ﴾ أي: عَلَى سَبِيلِ الاسْتِهْزَاءِ وَالسَّخَرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَنْكُرُونَهَا.

واعلم: أَنَّ السَّائِلَ لِلنَّبِيِّ عَنِ السَّاعَةِ أَهْلُ مَكَّةَ وَالْيَهُودَ، فَسُؤَالُ أَهْلِ مَكَّةَ اسْتِهْزَاءٌ، وَسُؤَالُ الْيَهُودِ امْتِحَانٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَخْفَى عِلْمَهَا فِي التَّوْرَةِ؛ فَإِنْ أَجَابَهُم بِالتَّعْيِينِ.. ثَبَتَ عِنْدَهُمْ كَذِبُهُ، وَإِنْ أَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي مِثْلًا.. ثَبَتَ نُبُوَّتَهُ وَصِدْقَهُ؛ فَقَوْلُ الْمَفْسَّرِ: (أي: أَهْلُ مَكَّةَ) أَي: وَالْيَهُودَ.

قوله: ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ أي: عَنْ أَصْلِ ثَبُوتِهَا، وَعَنْ وَقْتِ قِيَامِهَا.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: لَمْ يُظْلَعْ عَلَيْهَا أَحَدًا، وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ وَقْتُ السُّؤَالِ، وَإِلَّا.. فَلَمْ يَخْرُجْ نَبِيُّنَا ﷺ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْمَغْيِبَاتِ، وَمَنْ جَمَلَتِهَا السَّاعَةُ، لَكِنْ أَمَرَ بِكُمْ ذَلِكَ^(١).

قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ (ما): اسْتِفْهَامِيَّةٌ مُبْتَدَأٌ، وَجُمْلَةٌ ﴿يُدْرِيكَ﴾: خَبَرُهُ، وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ.

قوله: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿لَعَلَّ﴾: حَرْفُ تَرْجُّحٍ وَنَصْبٍ، وَ﴿السَّاعَةُ﴾: اسْمُهَا، وَجُمْلَةٌ ﴿تَكُونُ﴾: خَبَرُهَا، وَ﴿قَرِيبًا﴾: حَالٌ، وَ﴿تَكُونُ﴾: تَامَةٌ؛ وَلِذَا فَسَّرَهَا بِـ(تَوْجِدٍ)^(٢)، وَالْمَعْنَى: قُلْ: أَتَرْجِي وَجُودَ السَّاعَةِ عَنْ قَرِيبٍ؟ فَكُلُُّ مِنْهُمَا جُمْلَةٌ مُسْتَقْلَةٌ؛ لَمَّا وَرَدَ: «أَنَّ الدُّنْيَا سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ، بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْأَلْفِ السَّابِعِ»^(٣)، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا الْقَلِيلُ.

(١) وهو الذي نقله الإمام اللقاني في «هداية المريد لجوهرة التوحيد» (٩٧٥/٢) عن جمع.

(٢) الظاهر أن (قريباً) خبر كان على حذف موصوف؛ أي: شيئاً قريباً، وقيل: التقدير: قيام الساعة، فروعيت الساعة في تأنيث (تكون)، وروعي المضاف المحذوف في تكدير (قريباً)، وقيل: (قريباً) كثر استعماله استعمال الظروف، فهو هنا ظرف في موضع الخبر. انظر «الدر المصون» (١٤٣/٩).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٦/٧) بلفظ: «الدنيا سبعة آلاف سنة، أنا في آخرها ألفاً»، وروى الحاكم =

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾
يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَّا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا

(٦٤ - ٦٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾: أَبْعَدَهُمْ، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾: نَارًا شَدِيدَةً يَدْخُلُونَهَا، ﴿خَالِدِينَ﴾: مُقَدَّرًا خُلُودَهُمْ ﴿فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يَحْفَظُهُمْ عَنْهَا، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَدْفَعُهَا عَنْهُمْ، ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿لَيِّنَّا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ﴾.

﴿٦٧﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الْآتِبَاعُ مِنْهُمْ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أبعدهم) أي: عن رحمته.

قوله: (مقَدَّرًا خُلُودَهُمْ) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقَدَّرَة.

قوله: ﴿فِيهَا﴾ أي: في السَّعِيرِ، وأنه مراعاة لمعناه.

قوله: ﴿أَبَدًا﴾ تأكيد لما استفيد من قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾.

قوله: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ﴾ إمَّا ظرف لـ ﴿خَالِدِينَ﴾، أو لـ ﴿يَقُولُونَ﴾ مُقَدَّم عليه، والمعنى: تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يُشَوَّى بالنار.

قوله: ﴿يَقُولُونَ يَلَيِّنَّا﴾ كلامٌ مستأنف واقع في جواب سؤال مقَدَّر، كأنه قيل: ماذا صَنَعُوا عند ذلك؟ فقيل: يقولون متحسرين على ما فاتهم: يا ليتنا... إلخ.

قوله: ﴿وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ﴾ بألف بعد اللام ودونها هنا وفي قوله: ﴿السَّبِيلَ﴾، قراءتان سبعيتان، وتقدَّم التَّنْبِيهِ على ذلك^(١).

قوله: ﴿سَادَتَنَا﴾ جمع إما لـ (سَيِّد)، أو لـ (سَائِد) على غير قياس.

= في «المستدرک» (٥٩٧/٢) عن ابن عباس ؓ قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تقول: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة».

(١) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بإثبات ألف لام (الرسول) في قوله: ﴿وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ﴾، ولام (السبيل) في قوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ وصلًا ووفقًا موافقة للرسم؛ لأنهم رُسِمَ في المصحف كذلك، وقرأ أبو عمرو وحزمة بحذفها في الحالين؛ لأنها لا أصل لها، والباقيون بإثباتها وفقًا وحذفها وصلًا. انظر «الدر المصون» (٩٨/٩).

وَكُذِّبْنَا فَأَظْلَمْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِنِمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنَا كَثِيرًا ﴿٦٨﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا

- وفي قراءة: (سادتنا) جمع الجمع - ﴿وَكُذِّبْنَا فَأَظْلَمْنَا السَّبِيلَ﴾: طريق الهدى.

﴿٦٨﴾ رَبَّنَا ءَاتِنِمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿٦٨﴾ أي: مثلي عذابنا، ﴿وَالْعَنَتُمْ﴾: عَذَّبْتُمْ ﴿لَعْنَا كَثِيرًا﴾ عَذَّوْهُ، - وفي قراءة بالموحدة - أي: عظيماً.

﴿٦٩﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا ﴿٦٩﴾ مَعَ نَبِيِّكُمْ ﴿٦٩﴾ كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ ﴿٦٩﴾ بِقَوْلِهِمْ مَثَلًا: مَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ، ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ بِأَنْ وَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ لِيَغْتَسِلَ، فَفَرَّ

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (جمع الجمع) أي: جمع تصحيح بالالف والتاء ل: (سادة) الذي مفردة إمّا (سيد)، أو (سائد).

قوله: (أي: مثلي عذابنا) أي: لأنهم ضلُّوا وأضلُّوا.

قوله: (وفي قراءة بالموحدة) أي: وهما سبعيتان^(٢).

قوله: (ما يمنعه أن يغتسل معنا... إلخ) أي: لما روي: (أنَّ بني إسرائيل كانوا يغتسلون عُراة ينظر بعضهم إلى سوءة بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب يوماً يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففرَّ الحجر بثوبه، فجعل موسى عليه السلام يغدو إثره يقول: «ثوبي حجر، ثوبي حجر» حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءة موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظروا إليه، فأخذ ثوبه، فاستتر به وشفق بالحجر ضرباً. قال أبو هريرة: والله إنَّ به ندباً - أي: أثراً - ستة أو سبعة من ضرب موسى)^(٣).

قوله: ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ﴾ أي: أظهر براءته لهم.

(١) قرأ ابن عامر في آخرين بالجمع بالالف والتاء، والباقون: «سادتنا» على أنه جمع تكسير غير مجموع بالالف وتاء. انظر «الدر المصون» (١٤٤/٩).

(٢) قرأ عاصم بالباء الموحدة؛ أي: لعنا هو أشد اللعن وأعظمه، والباقون بالتاء المثلثة؛ أي: كثير العدد. انظر «السراج المنير» (٢٧٣/٣).

(٣) رواه البخاري (٢٧٨).

وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ

الْحَجَرُ بِهِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ مَلَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَدْرَكَهُ مُوسَى، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَاسْتَرَّ بِهِ، فَرَأَوْهُ لَا أَدْرَةَ بِهِ، وَهِيَ نَفْخَةٌ فِي الْخُصْيَةِ، ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ذَا جَاوٍ. وَمِمَّا أُودِيَ بِهِ نَبِينُنَا ﷺ أَنَّهُ قَسَمَ قَسَمًا فَقَالَ رَجُلٌ: هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُريدُ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى، فَغَضِبَ النَّبِيُّ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ: «يَرْحَمَ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبْرٌ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

(٧٠ - ٧١) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صَوَابًا، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: يَتَقَبَّلُهَا، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: نَالَ غَايَةَ مَطْلُوبِهِ.

﴿٧٢﴾ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾: الصَّلَوَاتِ وَغَيْرَهَا مِمَّا فِي فِعْلِهَا

حاشية الصاوي

قوله: (وهي نفخة في الخصية) أي: بسبب انصباب مادة أو ريح غليظ فيها.

قوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ المراد: عندية مكانة وقدر، لا مكان.

قوله: (فغضب النبي من ذلك) أي: وقال كما في رواية: «إن لم أعدل من يعدل؟ خسرت وندمت إن لم أعدل»^(١).

قوله: ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ المراد: قولاً فيه رضا الله؛ بأن يكون ممّا يعني الإنسان، فدخل في ذلك جميع الطاعات القولية، وهذا التفسير أتم من غيره.

قوله: (يتقبلها) أي: يثيبكم عليها.

قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: يمحوها من الصحف، أو يسترها عن الملائكة.

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾: اختلف في المراد بالأمانة: فأحسن ما قيل فيها: التكاليف الشرعية، وقيل: إنها قواعد الدين الخمس، وقيل: هي الودائع، وقيل: الفرج، وقيل غير ذلك.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦١٠)، وَمُسْلِمٌ (١٠٦٣) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِمَا: (قَدْ خَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ).

عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّتُكَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ

من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بِأَنْ خَلَقَ فِيهَا فَهَمًّا وَنُطْقًا، ﴿فَأَيُّتُكَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾: خِيفَ ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ﴾: آدَمُ بَعْدَ عَرْضِهَا عَلَيْهِ،
حاشية الصاوي

روي: أَنَّ الله قال للسموات والأرض والجبال: «اتحملن هذه الأمانة بما فيها؟» قلن: وما فيها؟ قال: «إن أحسننَّ.. جوزيتنَّ، وإن عصيتنَّ.. عوقبتنَّ»، قلن: لا يا رب، نحن مُسَخَّرَاتُ لأمرِكَ، لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك؛ خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله؛ لئلا يَقمَنَ بها، لا معصية ولا مخالفة لأمره، وكان العرض عليهنَّ تخييراً لا إلزاماً، ولو ألزمهنَّ.. لم يمتنعن من حملها^(١).

قوله: (من الثواب) بيان لـ(ما) أي: عرضناها مع الثواب والعقاب على السموات... إلخ.
قوله: (بأن خلق فيها فهماً) أي: حتى عَقَلَتِ الخطاب، وقوله: (ونطقاً) أي: حتى رَدَّتِ الجواب.

قوله: ﴿فَأَيُّتُكَ أَنْ يَحْمِلَهَا﴾ أي: استصغاراً وخوفاً من عدم الوفاء بها، فليس إياوهنَّ كإباء إبليس من السجود لآدم؛ لأنَّ السجود كان فرضاً، والأمانة كانت عرضاً، وإياؤه استكباراً، وإياوهنَّ استصغاراً.

قوله: ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أي: خِيفَ من عدم القيام بها، وعدم أدائها.
قوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ﴾ عطف على محذوف، تقديره: فعرضناها على الإنسان فحملها.
قوله: (بعد عرضها عليه) روي: أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قال لآدم: «إني عرضتُ الأمانة على السموات والأرض والجبال، فلم تُطَقها، فهل أنت آخذها بما فيها؟» قال: يا ربُّ؛ وما فيها؟ قال: «إن أحسننَّ.. جوزيت، وإن أسأت.. عوقبت»، فحملها آدم فقال: بين أذني وعاتقي، قال الله تعالى: «أَمَّا إِذَا تَحَمَّلْتَ.. فسأعينك، وأجعل لبصرِكَ حجاباً؛ فإذا خَشِيتُ أَنْ تنظرَ إلى ما لا يحلُّ.. فأُرْخِ عليه حجابَه، وأجعل لسانَكَ لَحِيينَ وغِلافاً؛ فإذا خَشِيتُ.. فأغلق عليه، وأجعل لفرجِكَ لباساً؛ فلا تَكشِفُه على ما حرمتُ عليك». قال مجاهد: فما كان بين أن تحمّلها وبين أن أخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر إلى العصر^(٢).

(١) رواه البغوي في «تفسيره» (٣٨٠/٦).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣٨١/٦)، و«الخازن» (٤٣٩/٣).

إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لِنَفْسِهِ بِمَا حَمَلَهُ، ﴿جَهُولًا﴾ بِهِ.

﴿٧٢﴾ ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ - اللَّامُ مُتَعَلِّقَةٌ بِـ ﴿عَرَضْنَا﴾ الْمُتَرْتَّبُ عَلَيْهِ حَمْلُ آدَمَ - ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ : الْمُضِيِّعِينَ الْأَمَانَةَ، ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ : الْمُؤَدِّينَ الْأَمَانَةَ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿رَحِيمًا﴾ بِهِمْ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه) أي: حيث حمّلها ما لا تطيقه، وقوله: ﴿جَهُولًا﴾ به) أي: بما حمّله، وقيل: جهولاً بقدر ربّه؛ لأنه لا يعلم قدره غيره، وهذا يناسب تفسير (الإنسان) بـ: آدم، وعود الضمير عليه وإن أريد بالضمير ما يشمله وأولاده، ويكون في الكلام استخدام؛ فيقال في الأنبياء والصالحين منهم كذلك، وفي غيرهم الظلم والجهل من حيث خيانتته في الأمانة ومجاوزته حدّ الشرع.

قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ اللام: للعاقبة والصيرورة على حدّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾ [الذاريات: ٥٦].

قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين) أي: حيث عفا عمّا سلف منهم.

قوله: ﴿رَحِيمًا﴾ بهم) أي: حيث أثابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات.

وحكمة إخبار الأمة بما حصل من تحمّل آدم الأمانة: ليكونوا على أهبة، ويعرفوا أنهم متحمّلون أمراً عظيماً، لم تقدر على حمّله الأرض والسموات والجبال، وقيل في حقّ المعصوم: إنه كان ظلوماً جهولاً.



﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...﴾ الْآيَةُ فَمَدَنِيَّةٌ، وَهِيَ أَرْبَعٌ أَوْ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حَمِدَ تَعَالَى نَفْسَهُ بِذَلِكَ، وَالْمُرَادُ بِهِ الثَّنَاءُ بِمَضْمُونِهِ مِنْ ثُبُوتِ الْحَمْدِ وَهُوَ الْوَصْفُ بِالْجَمِيلِ لِلَّهِ تَعَالَى،
حاشية الصاوي

سُورَةُ سُورَةِ الْآيَةِ

بالصرف وتركه؛ كما سيأتي، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِذِكْرِ قِصَّةِ سَبَأَ فِيهَا، مِنْ بَابِ: تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ بَعْضِهِ.

قوله: (حَمِدَ تَعَالَى) مِنْ بَابِ (فَهَمَ).

قوله: (المراد^(١) به) بِالْجَرِّ، نَعَتْ لَاسِمِ الْإِشَارَةِ.

قوله: (الثَّنَاءُ بِمَضْمُونِهِ) أَي: إِنْشَاءُ الثَّنَاءِ بِمَضْمُونِهِ، وَهُوَ الْوَصْفُ بِالْجَمِيلِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ إِنْشَاءُ الْمَضْمُونِ؛ لِأَنَّ اتِّصَافَهُ بِالْجَمِيلِ أَزْلِيٌّ ثَابِتٌ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِنَّمَا تَعَبَّدْنَا اللَّهَ تَعَالَى بِتَجْدِيدِ حَمْدِهِ مُوَافِقٍ لِلْحَمْدِ الْأَزْلِيِّ، وَهَذَا يُؤَيِّدُ قَوْلَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ: إِنْ (أَل) فِي (الْحَمْدِ) عَهْدِيَّةٌ^(٢)؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا عَلَّمَ عَجَزَ خَلْقَهُ عَنْ كُنْهِ حَمْدِهِ... حَمِدَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ أَزْلاً، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْمَدُوهُ بِحَمْدٍ مُوَافِقٍ لِحَمْدِهِ،

(١) كَذَا فِي نَسْخَةِ الْمُصَنَّفِ عَلَى الْإِتْبَاعِ، وَفِي نَسْخِ الْجَلَالِ: (وَالْمُرَادُ بِهِ الثَّنَاءُ... إلخ).

(٢) بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْحَمْدَ صَادِرٌ مِنْ كَلَامِ الْعِبَادِ، أَمَا إِنْ كَانَ الْحَمْدُ صَادِرًا مِنْهُ تَعَالَى فَ (أَل) إِمَّا لِلِاسْتِغْرَاقِ، أَوْ لِلْجِنْسِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ عَهْدِيَّةً؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَيْءٌ مَعْهُودٌ غَيْرَ الْحَاصِلِ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ؛ كَمَا سَيَأْتِي لِلْمُصَنَّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَوَّلِ سُورَةِ (فَاطِرٍ).

الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ① يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ

﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكاً وَخَلْقاً، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ كَالدُّنْيَا يَحْمَدُهُ أَوْلِيَائُهُ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فِي فِعْلِهِ، ﴿الْخَبِيرُ﴾ بِخَلْقِهِ.
② ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يَدْخُلُ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كَمَاءٍ وَغَيْرِهِ،

حاشية الصاوي

فَتَحَصَّلَ أَنَّ الْوَصْفَ بِالْجَمِيلِ ثَابِتٌ لِلَّهِ أَزْلاً، وَإِنْشَاءُ الشَّاءِ بِهِ حَادِثٌ، فَقَوْلُ اللَّهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ اللَّفْظُ وَالتَّلَفُظُ حَادِثَانِ دَأْلَانِ عَلَى مَعْنَى قَدِيمٍ، وَهُوَ اتِّصَافُ اللَّهِ بِالْجَمِيلِ.

إِنْ قُلْتَ: الْحَمْدُ مَدْحٌ، وَمَدْحُ النَّفْسِ مَذْمُومٌ بَيْنَ الْخَلْقِ، فَمَا وَجْهُ ذَلِكَ؟

أَجِيبُ: بِأَنَّ أَوْصَافَ الرَّبِّ لَا تَقَاسُ عَلَى أَوْصَافِ الْعَبِيدِ، أَلَا تَرَى الْإِتِّصَافَ بِالْعِظَمَةِ وَالْكِبَرِيَاءِ؛ فَإِنَّهَا نَقْصٌ فِي الْخَلْقِ، كَمَا فِي الْخَالِقِ، وَبِهَذَا انْهَدَمَ قَوْلُ الْمَعْتَزَلَةِ: إِنَّ كُلَّ مَا حَسَّنَهُ الْعَقْلُ يَوْصَفُ بِهِ الرَّبُّ، وَكُلَّ مَا قَبَّحَهُ الْعَقْلُ يَنْزَعُ عَنْهُ، وَبَنَوْا عَلَى ذَلِكَ أُمُوراً فَاسِدةً؛ مِنْهَا: وَجُوبُ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: (مُلْكاً وَخَلْقاً) أَيُّ: إِنَّ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَمْلُوكٌ وَمَخْلُوقٌ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَوْلُهُ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ أَيُّ: فِي نَظِيرِ النِّعَمِ الَّتِي تُعْطَى لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، فَالْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ مَخْصُوصٌ بِمَنْ آمَنَ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ.. فَلْيَسُوا مِنْ أَهْلِهِ.

قَوْلُهُ: (كَالدُّنْيَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ فِي الْآيَةِ اكْتِفَاءً.

قَوْلُهُ: (يَحْمَدُهُ أَوْلِيَائُهُ) الْمُرَادُ بِهِمُ: الْمُؤْمِنُونَ.

قَوْلُهُ: (إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ) أَيُّ: فَيَقُولُونَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فَاطِرُ: ٣٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ [الزَّمَرُ: ٧٤].

قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ أَيُّ: فَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ فِي فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ.

قَوْلُهُ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ تَفْصِيلٌ لِبَعْضِ مَعْلُومَاتِهِ الَّتِي تَعَلَّقَ بِهَا مَصَالِحُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا.

قَوْلُهُ: (كَمَاءٍ وَغَيْرِهِ) أَيُّ: كَالْكُنُوزِ وَالْأَمْوَاتِ.

وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ الْغَيْبِ

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كَنَبَاتٍ وَغَيْرِهِ، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ مِنْ رِزْقٍ وَغَيْرِهِ، ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يَصْعَدُ ﴿فِيهَا﴾ مِنْ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بِأَوْلِيَائِهِ، ﴿الْغَفُورُ﴾ لَهُمْ. ﴿٣﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾: الْقِيَامَةُ، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ الْغَيْبِ﴾ - بِالْجَرِّ صِفَةً وَالرَّفْعَ خَبَرَ مُبْتَدَأً، وَ(عَلَام) بِالْجَرِّ -

حاشية الصاوي

قوله: (كنبات وغيره) أي: كالكنوز والأموال إذا أخرجت من القبور.

قوله: (من رزق وغيره) أي: كالبركات والملائكة والصواعق.

قوله: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ضَمَّنَ العروج معنى الاستقرار فعَدَّاهُ بـ(في) دون (إلى).

قوله: (من عمل وغيره) أي: كالملائكة، فهو سبحانه وتعالى محيط بجميع ذلك.

قوله: ﴿الْغَفُورُ﴾ لَهُمْ) أي: إذا عَصَوْهُ أَوْ فَرَّطُوا فِي بَعْضِ حُقُوقِهِ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَغُفْرَانَهُ مُخْتَصَّانَ بِمَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَهَذَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا . . فَرَحْمَتُهُ وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

قوله: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾) أَرَادَ الْكُفَّارُ بِضْمِيرِ التَّكْلِمِ جَمِيعَ الْخَلْقِ، لَا خُصُوصَ أَنْفُسِهِمْ، وَأَرَادُوا أَيْضاً بِنَفْيِ إِيْتَانِهَا نَفْيَ وَجُودِهَا، لَا عَدَمَ حُضُورِهَا مَعَ كَوْنِهَا مَوْجُودَةً فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

قوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ رَدٌّ لِكَلَامِهِمْ؛ لِأَنَّ كَلَامَهُمْ نَفْيَ، فَأُجِيبَ بِالنَّفْيِ ^(١)، وَنَفْيِ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ.

قوله: ﴿وَرَبِّي﴾) أَتَى بِالْقِسْمِ تَأْكِيداً لِلرَّدِّ، وَقَوْلُهُ: ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ﴾) تَقْوِيَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، وَالْحِكْمَةُ فِي وَصْفِهِ تَعَالَى بِهَذَا الْوَصْفِ: الْإِهْتِمَامُ بِشَأْنِ الْمَقْسَمِ عَلَيْهِ.

قوله: (بالجر . . إلخ) أي: فالقراءات الثلاث سبْعِيَّاتٍ: وَجْهَانِ فِي صِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ، وَوَجْهٌ وَاحِدٌ فِي صِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ ^(٢).

(١) عَلَى مَعْنَى: أَنَّ لَيْسَ الْأَمْرَ إِلَّا إِتْيَانَهَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تَأْكِيدٌ لَهُ عَلَى أَتَمِّ الْوَجْهِ وَأَكْمَلِهِ. انْظُرْ «إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ» (١٢١/٧).

(٢) قَرَأَ الْأَخْوَانُ: (عَلَام) عَلَى صِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ وَخَفَضَهُ نَعْتاً لـ (رَبِّي)، أَوْ بَدَلًا مِنْهُ، وَهُوَ قَلِيلٌ لِكَوْنِهِ مُشْتَقًّا، وَنَافِعٌ وَابِنٌ عَامِرٌ: (عَالِمٌ) بِالرَّفْعِ عَلَى: هُوَ عَالِمٌ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ: (لَا يَعْزُبُ)، وَالباقون: (عَالِمٌ) الْخَفْضُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (١٤٨/٩).

لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا

﴿لَا يَغْرُبُ﴾: يَغِيبُ ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغر نملة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: بين هو اللوح المحفوظ.
﴿٤﴾ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ فيها ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: حَسَنٌ فِي الْجَنَّةِ.

﴿٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يَغْرُبُ﴾ (بضم الزاي في قراءة الجمهور، وكسرها في قراءة الكسائي) ^(١).

قوله: ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ قرأ العامة بضم الراء في (أصغر) و(أكبر) على أنه مبتدأ، وخبره قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، وقرئ بفتح الراء على أن (لا) نافية للجنس، و(أصغر): اسمها، وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ خبرها، والمعنى على كل من القراءتين واحد، وهو أن كل ما كان وما يكون وما هو كائن من سائر المخلوقات ثابت في اللوح المحفوظ ومبين به، زيادة على تعلق علم الله به، وإثباتها في اللوح لا لاحتياج؛ تنزه الله عنه.

إن قلت: أي حاجة إلى ذكر الأكبر بعد الأصغر؛ إذ هو مفهوم بالأولى؟

أجيب: بأنه لرفع توهم أن إثبات الأصغر خوف توهم النسيان، وأما الأكبر.. فلا ينسى؛ فلا حاجة إلى إثباته، فأفاد: أن كلاً مرسوم في اللوح المحفوظ لا لاحتياج.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا... إلخ﴾ علة لقوله: ﴿لَتَأْتِيَٰكُمْ﴾، كأنه قال: لتأتينكم لأجل جزاء المؤمنين والكافرين، واللام: للعاقبة والصيرورة.

قوله: (حَسَنٌ فِي الْجَنَّةِ) أي: محمود العاقبة، وأعظمه رؤية الله تعالى.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ عطف على قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وما بينهما اعتراض سيق لبيان جزاء المؤمنين، وهذا أحسن من جعله مبتدأ خبره: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ... إلخ﴾.

فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى

﴿٥﴾ إبطال ﴿ءَايَاتِنَا﴾ : القرآن ﴿مُعْجِزِينَ﴾ - وفي قراءة هنا وفيما يأتي : ﴿مُعْجِزِينَ﴾ - أي : مُقَدِّرِينَ عَجَزَنَا أو مُسَابِقِينَ لَنَا ، فَيَقُوتُونَا لِظَنِّهِمْ أَن لا بَعَثَ ولا عِقَابَ ، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ﴾ : سَيِّئِ الْعَذَابِ ، ﴿أَلِيمٌ﴾ : مُؤْلِمٌ - بِالْجَرِّ وَالرَّفْعِ ، صِفَةٌ لِّ﴿رَّجَزٍ﴾ أو ﴿عَذَابٍ﴾ ..

﴿٦﴾ ﴿وَيَرَى﴾ : يَعْلَمُ

حاشية الصاوي

قوله : ﴿﴿٥﴾﴾ إبطال ﴿ءَايَاتِنَا﴾) أي : بالطعن فيها ، ونسبتها إلى الأكاذيب .

قوله : (وفي قراءة) أي : وهي سبعة أيضاً^(١) .

قوله : (أي : مُقَدِّرِينَ عَجَزَنَا ... إلخ) لفٌّ ونشْرٌ مرَّتَّبٌ ، والمعنى : مؤلِّمين أنهم يُعْجِزُونَ رسولنا بسبب سَعِيهِمْ في إبطال القرآن .

قوله : (أو مسابِقِينَ لَنَا) أي : مُغَالِبِينَ لَنَا بسبب طعنهم في القرآن ، ظانِّين أنَّ مغالبتهم تمنع عنهم العذاب ، وذلك أَنَّ القرآن يُثَبِّتُ البعث والعذاب لمن كفر ، فيطعنون فيه ويريدون إبطاله ؛ لظَنِّهِمْ أَنَّ ذلك الإبطال يَنْفَعُهُمْ ، فيَقْرَؤُوا^(٢) من البعث والعذاب ؛ لاعتقادهم بطلانه .

قوله : (لظنهم أَن لا بعث ... إلخ) عِلَّةٌ لقوله : ﴿سَعَوْا﴾ .

قوله : (بالجر والرفع) أي : فهما قراءتان سبعيتان^(٣) .

قوله : ﴿﴿وَيَرَى﴾﴾ إما بالرفع بضمة مقدَّرة على الاستئناف ، أو بالنصب على أنه مَعْطُوفٌ على (يجزي) ، فقول المفسِّر : (يعلم) يصح قراءته بالوجهين ، و﴿الَّذِينَ﴾ : فاعل ، و﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ : مفعول أول ، و﴿هُوَ﴾ : ضمير فصل ، و﴿الْحَقُّ﴾ : مفعول ثانٍ ، وقوله : ﴿وَيَهْدِي﴾ : إما عطْفٌ على (الحق) من باب : عطْفُ الفعل على الاسم الخالص ، كأنه قيل : ويرى الذين أوْتُوا العلم الذي أنزل إليك من ربك الحق وهادياً ، أو مستأنف ، أو حال بتقدير : وهو يهدي .

(١) قرأ المكي والبصري بحذف الألف بعد العين مع تشديد الجيم ، والباقون بإثبات الألف وتخفيف الجيم . انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٥٨) .

(٢) كذا في الأصول بحذف النون ، وهي لغة معروفة .

(٣) قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب برفع الميم ، والباقون بخفضها . انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٥٨) .

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ يَبْتَئِيكُمْ إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أَيِ: الْقُرْآنَ ﴿هُوَ﴾ - فَصْلٌ - ﴿الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ﴾: طَرِيقُ ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أَيِ: اللَّهِ، أَيِ: ذِي الْعِزَّةِ الْمَحْمُودِ.

﴿٧﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيِ: قَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى جِهَةِ التَّعَجُّبِ لِبَعْضٍ: ﴿هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ﴾ هُوَ مُحَمَّدٌ ﴿يَبْتَئِيكُمْ﴾: يُخْبِرُكُمْ أَنْكُمْ ﴿إِذَا مَزَقْتُمْ﴾: قُطِعْتُمْ ﴿كُلَّ مُمَزَقٍ﴾ بِمَعْنَى تَمْزِيقٍ

حاشية الصاوي

قوله: (مؤمنو أهل الكتاب) هذا أحد أقوال، وقيل: المراد بهم: أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل: جميع المسلمين.

قوله: ﴿الْعَزِيزِ﴾ (أي: عديم النظير والشَّيْبَةِ والمثل، أو من: (عزَّ) بمعنى: قهر وغلب).

قوله: ﴿الْحَمِيدِ﴾ (أي: فعليل بمعنى: مفعول؛ أي: محمود في ذاته وصفاته وأفعاله).

قوله: (هو محمد) نكروه تجاهلاً وسُخْرِيَةً؛ فإنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل، مع أنه عندهم أشهر من الشمس في رابعة النهار.

قوله: ﴿إِذَا مَزَقْتُمْ﴾ (أي: يتعيَّن أنَّ عامل الظرف محذوف، تقديره: تُبْعَثُونَ وتَحْشَرُونَ إِذَا مَزَقْتُمْ... إلخ، يدل عليه قوله: ﴿إِنَّا لَنَافِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، ولا يصح أن يكون عامِله ﴿يَبْتَئِيكُمْ﴾؛ لأن الإخبار لم يقع في ذلك الوقت، ولا قوله: ﴿مَزَقْتُمْ﴾؛ لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأنَّ ما بعد (إنَّ) لا يعمل فيما قبلها^(١)، وعبارة المفسِّر غير وافية بالمراد؛ فلو قال: يخبركم أنكم تُبْعَثُونَ إِذَا مَزَقْتُمْ... لوفى بالمقصود.

قوله: (بمعنى: تمزيق) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مُمَزَقٍ﴾ اسم مصدر؛ لأنَّ كلَّ ما زاد على الثلاث يجيء اسم مصدره وزمانه ومكانه على زنة اسم المفعول.

(١) ومن توسَّع في الظرف أجازَه. هذا إِذَا جَعَلْنَا (إِذَا) ظرفاً محضاً، فإن جعلناه شرطاً... كان جوابها مقدراً؛ أي:

تُبْعَثُونَ، وهو العامل في (إِذَا) عند جمهور النحاة. انظر «الدر المصون» (٩/١٥٤).

إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي
الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟

﴿٨﴾ ﴿أَفَتَرَى﴾ - بِفَتْحِ الهمزة للاستفهام واستغنيَ بها عن همزة الوصل - ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك، ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: جُنُونٌ تَخَيَّلَ بِهِ ذَلِكَ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْعَذَابِ ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ فِيهَا ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ عَنِ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا.

﴿٩﴾ ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾: يَنْظُرُوا ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: مَا فَوْقَهُمْ وَمَا تَحْتَهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: تنشؤون خلقاً جديداً بعد تمزيق أجسامكم.

قوله: ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يحتمل أن يكون من تمام قول الكافرين: ﴿هَلْ نَدُكَّرُ...﴾ إلخ، ويحتمل أن يكون من كلام السامع جواباً للقاتل.

قوله: (واستغنيَ بها) أي: بهمزة الاستفهام؛ لأنها كافية في التوصل للنطق بالساكن.

قوله: (في ذلك) أي: الإخبار بالبعث.

قوله: (جنون) أي: خبل في عقله.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ هذا إنشاء كلام من الله ردّاً عليهم، وما تقدّم وإن كان كلامه إلا أنه حكاية عنهم.

قوله: ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ أي: في الآخرة، وذكره إشارة إلى أنه متحمّس الوقوع، فنزل المتوقّع منزلة الواقع، وقدّمه على (الضلال) وإن كان الضلال حاصلًا لهم بالفعل؛ لأنّ التسلية بحصول العذاب لهم أتمّ من الإخبار بكونهم في الضلال.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ الهمزة داخله على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أعْمُوا فلم يروا... إلخ؟.

قوله: ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ المراد به: ما يُنظر له من غير التفات، وقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ المراد به: ما ينظر له بالتفات، فالمراد جميع الجهات.

مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا

﴿مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا﴾ - بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا -: قِطْعَةٌ ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ - وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء -، ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَرْئِيَّ﴾ ﴿لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: راجع إلى رَبِّهِ تَذُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَعْثِ وَمَا يَشَاءُ. ﴿١٠﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾: نُبُوَّةٌ وَكِتَابًا، وَقُلْنَا:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (بيان لـ(ما)، والمعنى: أفلم يتفكروا في أحوال السماء والأرض فيستدلوا على باهر قدرته تعالى؟ وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّتْهَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ...﴾ [ق: ٦] الآية.

قوله: ﴿إِنْ نَشَأْ﴾ هذا تحذيرٌ للكفار، كأنه قيل: لم يبقَ من أسباب وقوع العذاب بكم إلا تعلق مشيئتنا به.

قوله: ﴿نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ أي: كما خسفناها بقارون.

قوله: ﴿أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا﴾ أي: كما أسقطناها على أصحاب الأيكة.

قوله: (بسكون السين وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، وكلُّ منهما جمع (كسفة)، فقول المفسر: (قطعة)، المناسب: (قطعا).

قوله: (في الأفعال الثلاثة) أي: نشاء، ونخسف، ونسقط^(٢).

قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَرْئِيَّ﴾ (المرئي) أي: من السماء والأرض.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ اللام: مُوطئة لقسم محذوف تقديره: وعزَّتنا وجلالنا^(٣).

قوله: (وكتاباً) أي: وهو الزبور.

قوله: (وقلنا) قدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿يَجِبَالُ﴾ مقول لقول محذوف معطوف على قوله: ﴿ءَاتَيْنَا﴾، فهو زيادة على الفضل.

(١) قرأ حفص بفتح السين، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٣/٢٨١).

(٢) قرأ الأخوان: (يشأ، يخسف، يسقط)، بالياء في الثلاثة، والباقون بنون العظمة فيها. انظر «الدر المصون» (٩/١٥٨).

(٣) اللام واقعة في جواب قَسَم محذوف كما قدره المفسر رحمه الله.

يَنْجِبَالُ أَوْيٍ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ (١)

﴿يَنْجِبَالُ أَوْيٍ﴾: رَجَعِي ﴿مَعَهُ﴾ بِالتَّسْبِيحِ، ﴿وَالطَّيْرُ﴾ - بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ (الْجِبَالِ) -
أَي: وَدَعَوْنَاهَا تُسَبِّحُ مَعَهُ، ﴿وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ فَكَانَ فِي يَدِهِ كَالْعَجِينِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿(أَوْيٍ)﴾ بفتح الهمزة وتشديد الواو، أمرٌ من التأويب، وهو الترجيع، وهو قراءة العامة،
وقرئ شذوذاً: (أُويي) بضم الهمزة وسكون الواو، أمرٌ من: آب بمعنى: رجع^(١)؛ أي: ارجعي
وعُودي معه في التسبيح كلما سَبَّحَ، فكان داوود إذا سَبَّحَ.. أجابته الجبال، وعطفت عليه الطير
من فوقه، وقيل: كان إذا أدركه فتورٌ.. أسمع الله تسبيح الجبال، فيَنشِطُ له.

قوله: (عطفًا على محلّ «الجبال») أي: لأن محلّه نصب؛ لكونه منادى مفرداً، أو مفعولاً
معه^(٢)، وقرئ بالرفع عطف على لفظ (الجبال) تشبيهاً للحركة البنائية بالحركة الإعرابية^(٣)، قال ابن
مالك^(٤): [الرجز]

وَإِنْ يَكُنْ مَصْحُوبَ (أَل) مَا نُسِقَا فَفِيهِ وَجْهَانِ وَرَفْعٌ يُنْتَقَى

قوله: ﴿(وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ)﴾ سبب ذلك: أَنَّ الله تعالى أرسل له ملكاً في صورة رجل، فسأله
داوود عن حال نفسه، فقال له: ما تقول في داوود؟ فقال: نِعَمَ هو، لولا خصلة فيه، فقال داوود:
ما هي؟ قال: إنه يأكل ويُطعم عياله من بيت المال، فسأل داوود ربّه أن يسبّب له سبباً يستغني به عن
بيت المال، فألأن الله له الحديد، وعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدَّرْعِ، فهو أول من اتخذها، وكانت قبل ذلك
صفائح. قيل: كان يعمل كلّ يوم درعاً وبيّعها بأربعة آلاف درهم، ويُنفق ويتصدق منها؛ فلذا
قال ﷺ: «كان داوود لا يأكل إلا من عمل يَدِهِ»^(٥).

قوله: (فكان في يده كالعجين) أي: من غير نارٍ ولا آلة.

(١) وبها قرأ ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق. انظر «الدر المصون» (١٥٩/٩).

(٢) قاله الزجاج، ورد عليه: بأن قبله لفظة (معه)، ولا يقتضي العامل أكثر من مفعول معه واحد، إلا بالبدل أو العطف،
لا يقال: جاء زيد مع بكر مع عمرو. انظر «الدر المصون» (١٥٩/٩).

(٣) قرأ السلمي والأعرج ويعقوب وأبو نوفل وأبو يحيى وعاصم في رواية: (والطير) بالرفع. انظر «الدر المصون»
(١٦٠/٩).

(٤) «الخلاصة»، (فصل: تابع المنادى)، (ص ٥٠).

(٥) رواه البخاري (٢٠٧٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر سبب النزول في «تفسير الخازن» (٤٤٢/٣).

أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسْلَيْمَنْ
الرَّيْحَ

﴿١١﴾ وَقُلْنَا: ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ مِنْهُ ﴿سَبِغَتٍ﴾: دُرُوعًا كَوَامِلَ يَجْرُهَا لَا بِسْهَا عَلَى الْأَرْضِ،
﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ أَي: نَسَجَ الدُّرُوعَ قَبْلَ لِصَانِعِهَا: سَرَّادُ أَي: اجْعَلْهُ بِحَيْثُ تَتَنَاسَبُ
حَلْقُهُ، ﴿وَأَعْمَلُوا﴾ أَي: آل دَاوُدَ مَعَهُ ﴿صَليحًا﴾ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿فَأَجَازِيكُمْ بِهِ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿وَوَ﴾ سَخَرْنَا ﴿لِسْلَيْمَنْ الرَّيْحَ﴾ - وقراءة الرِّفْعِ بِتَقْدِيرِ (تَسْخِيرٍ) -

حاشية الصاوي

قوله: (دروعاً كوامل) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿سَبِغَتٍ﴾ صفة لموصوف محذوف.

قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ اختلف في معنى الآية؛ فقيل: اجْعَلْهُ عَلَى سَبِيلِ الْحَاجَةِ، وَلَا تَنْهَمْكَ
فِيهِ، بَلِ اشْتَغَلْ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، وَقِيلَ: قَدَّرَ الْمَسَامِيرَ فِي حَلْقِ الدُّرُوعِ، لَا غِلَظًا وَلَا دَقَاقًا، وَرَدَّ ذَلِكَ:
بأنه لم يكن في حَلْقِهَا مَسَامِيرٌ؛ لَعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا بِسَبَبِ إِلَانَةِ الْحَدِيدِ، وَحِينَئِذٍ: فَلَا ظَهَرَ: مَا قَالَ
الْمُفَسِّرُ مِنْ أَنَّ السَّرْدَ: الدُّرُوعَ، وَالتَّقْدِيرُ: اجْعَلْ كُلَّ حَلْقَةٍ مَسَاوِيَةً لِأَخْتِهَا، ضَيْقَةٌ لَا يَنْفِذُ مِنْهَا
السَّهْمُ، فِي الْغِلَظِ؛ لَا تَقْبَلُ الْكُسْرَ، وَلَا تَثْقُلُ حَامِلُهَا، وَالْكُلُّ نِسْبَةٌ وَاحِدَةٌ.

قوله: (بعيـث تناسـب حلـقه) بفتحـين، أو بكسر ففتح، جمع (حَلْقَةٍ) بفتح فسكون، أو بفتحـين^(١).

قوله: (أَي: آل داوود) تفسير للواو في ﴿أَعْمَلُوا﴾.

قوله: ﴿صَليحًا﴾ أَي: عملاً صالحاً، وَلَا تَتَكَلَّمُوا عَلَى عِزِّ أَبِيكُمْ وَجَاهِهِ.

قوله: (فأجازيكم عليه) أَي: إن خيراً.. فخيئراً، وإن شراً.. فشرّاً.

قوله: ﴿وَلِسْلَيْمَنْ الرَّيْحَ﴾ الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (سَخَرْنَا)،

بدليل التصريح به في قوله تعالى: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ [ص: ٣٦].

قوله: (بتقدير: تسخير) أَي: فالجارُّ والمجرور: خبرٌ مقدَّم، و(الريـح): مبتدأ مؤخَّر، على حذف

مضاف، والأصل: وتسخير الريح كائن لِسليمان، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه^(٢).

(١) وحكى يونس عن أبي عمرو بن العلاء (حَلْقَةً) في الواحد بالتحريك، والجمع: حلق وحلقات، وقال ثعلب: كلهم
يُجِيزُهُ عَلَى ضَعْفِهِ، قَالَ أَبُو يُونُسَ: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ يَقُولُ: لَيْسَ فِي الْكَلَامِ (حَلْقَةً) بِالْتَحْرِيكِ إِلَّا
فِي قَوْلِهِمْ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ حَلَقَةٌ، لِلَّذِينَ يَخْلِقُونَ الشَّعَرَ: جَمْعُ حَالِقٍ. «الصَّحَاحُ» لِلْجَوْهَرِيِّ، مَادَّة: (ح ل ق).

(٢) العامة على النصب، وأبو بكر بالرفع على الابتداء، والخبر في الجار قبله، أو محذوف، وجوز أبو البقاء أن يكون
فاعلاً، يعني بالجار، وليس بقوي؛ لعدم اعتماده. انظر «الدر المصون» (١٦٠/٩).

غُدُوَّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ
وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾

﴿غُدُوَّهَا﴾: مَسِيرُهَا مِنَ الْغَدْوَةِ بِمَعْنَى الصَّبَاحِ إِلَى الزَّوَالِ ﴿شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا﴾: سَيْرُهَا مِنَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ ﴿شَهْرٌ﴾ أَي: مَسِيرَتُهُ، ﴿وَأَسَلْنَا﴾: أَذْبَنَّا ﴿لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أَي: النَّحَاسِ، فَأُجْرِيَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهِنَّ كَجَرِي الْمَاءِ، وَعَمَلُ النَّاسِ إِلَى الْيَوْمِ مِمَّا أُعْطِيَ سُلَيْمَانُ، ﴿وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾: بِأَمْرِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ: يَعْدِلُ ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ لَهُ بِطَاعَتِهِ ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: النَّارِ فِي الْآخِرَةِ، وَقِيلَ: فِي الدُّنْيَا، بِأَنْ يَضْرِبَهُ مَلَكٌ بِسَوْطٍ مِنْهَا ضَرْبَةً تُحَرِّقُهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿غُدُوَّهَا شَهْرٌ﴾ مبتدأ وخبر، والمعنى: سيرها من الغداة إلى الزوال شهر للسائر المجذ، ومن الزوال للغروب مسيرة شهر. عن الحسن: كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل بإصطخر، وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من إصطخر فيبيت ببابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع، وتقدم: أَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَحْمِلُ الْبَسَاطَ بِجُيُوشِهِ لِأَيِّ جِهَةٍ تَوَجَّهَ إِلَيْهَا، فَالْعَاصِفُ تَقْلَعُ الْبَسَاطَ، وَالرُّخَاءُ تَسِيرُهُ^(١).

قوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أَي: جعلنا النحاس في معدنه جارياً كالعين النابعة من الأرض، وكانت تلك العين باليمن.

قوله: ﴿فَأُجْرِيَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ﴾ قيل: مرة واحدة، وقيل: كان يسيل في كل شهر ثلاثة أيام.

قوله: ﴿وَعَمَلُ النَّاسِ...﴾ إلخ) مبتدأ خبره قوله: ﴿مِمَّا أُعْطِيَ سُلَيْمَانُ﴾ أَي: صنعُ الناسِ النحاسَ وإِذَابَتُهُ بِالنَّارِ مِنْ آثَارِ كَرَامَةِ سُلَيْمَانَ؛ لِأَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَلِينُ بِنَارٍ وَلَا غَيْرِهَا.

قوله: ﴿مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يصح أن يكون مبتدأ، خبره: الجار والمجرور قبله، ويصح أن يكون مفعولاً لمحذوف تقديره: وسخرنا من الجنِّ مَنْ يَعْمَلُ، و﴿مَنْ﴾ على كُلِّ حَالٍ وَاقِعَةٌ عَلَى فَرِيقٍ. قوله: ﴿بطاعته﴾ أَي: بطاعة سليمان.

قوله: ﴿بأن يضربه ملك...﴾ إلخ) أَي: فقد وُكِّلَ اللهُ مَلَكاً بِالْجَنِّ الْمُسَخَّرِينَ لِسُلَيْمَانَ، وَجَعَلَ فِي يَدِهِ سَوْطاً مِنْ نَارٍ، فَمَنْ زَاغَ مِنْهُمْ عَنْ طَاعَةِ سُلَيْمَانَ.. ضَرَبَهُ بِذَلِكَ السَّوْطِ ضَرْبَةً أَحْرَقَتْهُ.

(١) انظر الأقوال في سورة (الأنبياء)، (٤/٣٥١-٣٥٢).

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ

﴿١٣﴾ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ﴾: أبنية مرفوعة يُصعد إليها بدرج، ﴿وَتَمَثِيلٍ﴾: جمع (تمثال) وهو كل شيء مثله بشيء، أي: صور من نحاس وزجاج ورُخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته، ﴿وَحِفَانٍ﴾: جمع جفنة ﴿كَالْجَوَابِ﴾ أي جمع (جابية)، وهي حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها، ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾: ثابِتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تُتخذ من الجبال باليمن يُصعد إليها بالسلايل، وقلنا: ﴿أَعْمَلُوا﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُدَ﴾ بطاعة الله

حاشية الصاوي

قوله: (أبنية مرفوعة) أي: مساجد أو غيرها، وسميت بذلك؛ لأن صاحبها يُحارب فيها غيره لحمايتها، وقيل: المراد بالمحارب: خصوص المساجد، والأقرب: ما قاله المفسر، وليس المراد بها: الطاقات التي تقف فيها الأئمة في المساجد؛ إذ هي حادثة في المساجد بعد زمن النبي ﷺ، وسميت بالمحارب؛ تشبيهاً لها بالأبنية المرفوعة؛ لأنها رفيعة القدر؛ ولذا خصوها بالأئمة.

قوله: ﴿وَتَمَثِيلٍ﴾ قال بعضهم: إنها صورٌ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء، كانت تصوّر في المساجد؛ ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهاداً، يدلُّ على هذا قوله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَئِكَ كَانَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ.. بَنُوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوَّروا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ»^(١) أي: ليذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة.

قوله: (ولم يكن اتخاذ الصور حراماً... إلخ) جوابٌ عما يقال: إنَّ اتخاذ الصور حرام، فكيف يليق اتخاذها من سليمان؟

واعلم: أنَّ اتخاذ الصور أولاً كان لمقصدٍ حسنٍ، فلما ساء المقصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله.. حرّم الله اتخاذها على العباد.

قوله: (وهي حوض كبير) أي: وسمي جابية؛ لأنَّ الماء يُجبي فيه أي: يُجمع.

قوله: ﴿ءَالَ دَاوُدَ﴾ المراد: سليمان وأهل بيته.

(١) رواه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ ﴿١٣﴾

﴿شُكْرًا﴾ لَهُ عَلَى مَا آتَاكُمْ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾: الْعَامِلُ بِطَاعَتِي شُكْرًا لِنِعْمَتِي.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿شُكْرًا﴾ مفعول لأجله؛ أي: اعملوا لأجل الشكر لله على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التي لا تضاهي، وهذا أعظم المقاصد، وهو العمل لأجل شكر الله على نعمه، فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاته وسابق نعمه عليهم؛ حيث أوجدتهم من العدم، وجعل لهم السمع والبصر والأفئدة والعافية وغير ذلك من أنواع النعم التي لا تحصى.

قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾ أي: لكون هذا القصد عزيزاً لم يوفق له إلا القليل من الناس، وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم إمّا لأجل طلب الدنيا، أو خوفاً من النار، وطمعاً في الجنة. فائدة: من جملة عمل الجن لسليمان بيت المقدس، وذلك: أن داوود ابتدأ بناءه في موضع فسطاط موسى الذي كان ينزل فيها، فرفعه قدر قامة، فأوحى الله إليه: لم يكن تمامه على يدك، بل على يد ابن لك اسمه سليمان، فلما قضى على داوود، واستخلف سليمان، وأحبّ إتمامه. . جمع الجنّ والشياطين، وقسم عليهم الأعمال، فأرسل بعضهم في تحصيل الرخام، وبعضهم في تحصيل البلور من معادنه، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح، فلما فرغ منها. . ابتدأ في بناء المسجد، فوجّه الشياطين فرقاً؛ منهم من يستخرج الجواهر والياقوت والذّرّ الصافي من أماكنها، ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه، فأتي من ذلك بشيء كثير، ثم أحضر الصنّاع لنحت تلك الأحجار، وإصلاح تلك الجواهر، وثقب تلك اليواقيت واللالئ، فبناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وجعل عمّده من البلور الصافي، وسقّفه بأنواع الجواهر، وبسط أرضه بالعنبر، فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور منه، فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلم يزل على هذا البناء حتى غزاه بخت نصر^(١)، فخرّب المدينة وهدمه وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر، وحمله إلى ملكه بالعراق حين بطرت بنو إسرائيل النعم، وقتلوا زكريا ويحيى^(٢).

(١) بخت نصر: يجوز كتابة اسمه موصولاً ومفصلاً كما جرى عليه المخطوط، قيل: بخت بمعنى: ابن، ونصر: اسم صنم وجد مطروحاً عنده، فنُسب إليه.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٦/٣٩٠).

فلما قضينا عليه الموت

﴿۱۴﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ : على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾ أي : مات ومكث قائماً على عصاه

حاشية الصاوي

وكان ابتداءً بناء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملك سليمان، وكان عُمره سبعاً وستين سنة، وملك وهو ابن سبع عشرة، وكان مُلكه خمسين سنة، وقَرَّب بعد فراغه منه اثني عشر ألف ثور، ومئة وعشرين ألف شاة، واتخذ اليوم الذي فَرَّغ فيه من بنائه عيداً، وقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله تعالى بالدعاء، وقال: اللهم؛ أَنْتَ وهبت لي هذا السلطان، وقَوَّيتني على بناء هذا المسجد، اللهم؛ فأوزعني شكركَ على ما أنعمتَ عليّ، وتوفَّقني على ملَّتكَ، ولا تُزِغ قلبي بعد إذ هديتني، اللهم؛ إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنبٌ دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه، ولا خائفٌ إلا أَمَّنته، ولا سقيمٌ إلا شفَّيته، ولا فقيرٌ إلا أغنيته، والخامسة: ألاَّ تصرف نظرك عَمَّن دخل حتى يَخْرُج منه إلا مَنْ أَرَادَ إلحاداً أو ظلماً يا رَبَّ العالمين.

وروي: (أَنَّ سُلَيْمَانَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ . . سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى خِلَالَ ثَلَاثٍ: حَكَمًا يُضَافُ حُكْمُهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ حِينَ فَرَّغَ مِنْ بِنَائِهِ أَلَّا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ إِلَّا يَنْهَاهُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ إِلَّا خَرَجَ مِنْ حُطَّتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)^(١).

إذا علمت ذلك.. فبيت المقدس تمّ بناؤه وهو حيّ، وهو الصحيح.

قوله: ﴿فَلَمَّا قُضِيَٰنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتُ﴾... (الخ) روي: أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ يَتَجَرَّدُ لِلْعِبَادَةِ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ السَّنَةِ وَالسَّنَتَيْنِ، وَالشَّهْرِ وَالشَّهْرَيْنِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ وَمَعَهُ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُ اللَّهُ بَوَاقِ مَوْتِهِ.. قَالَ: اٱللهُمَّ؛ أَخْفِ عَلَيَّ ٱلْجَنَّةَ حَتَّى تَعْلَمَ ٱلْإِنْسُ أَنَّ ٱلْجَنَّةَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ، وَكَانَتِ ٱلْجَنَّةُ تُخْبِرُ ٱلْإِنْسَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنَ ٱلْغَيْبِ أَشْيَاءَ، وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا فِي عَيْدٍ، ثُمَّ لَبِسَ كِفَنَهُ وَتَحَنَّنَ، وَدَخَلَ ٱلْمَحْرَابَ وَقَامَ يَصْلِي، وَٱتَّكَأَ عَلَى عَصَاهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَمَاتَ، فَكَانَ ٱلْجَنَّةُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُ حَيٌّ، وَلَا يَنْكُرُونَ ٱحْتِبَاسَهُ عَنِ ٱلْخُرُوجِ إِلَى ٱلنَّاسِ؛ لِتَتَكَرَّرَ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ (٢).

فالحكمة في إخفاء موته: ظهور أنَّ الجَنَّ لا يَعْلَمُونَ الغيب، لا تتميم بناء بيت المقدس كما قيل؛ فإنَّ الصحيح أنه تمَّ قبل موته بالزمن الطويل.

(١) رواه النسائي في «المجتبى» (٣٤/٢) عن سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) انظر «الدر المنثور» (٦/٦٨٢)، و«تفسير الخازن» (٣/٤٤٤).

مَا دَلَّمُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ

حولاً مَيِّتاً، والجنُّ تعمل تلك الأعمال الشاقة على عاداتها لا تشعر بموته، حتى أكلت الأرضه عصاه فخر مَيِّتاً، ﴿مَا دَلَّمُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ مصدر أَرْضَتِ الخَشْبَةُ بالبناء للمفعول: أكلتها الأرضه، ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ - بالهمز وتركه بِالْف - : عصاه لأنها يُنسأ : يُطرد ويُزجر بها، ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ مَيِّتاً ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ : انكشف لهم ﴿أَنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ - أي : أنهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ : العمل الشاقُّ لهم لِظَنِّهِمْ حياته خلاف ظَنِّهِمْ علم الغيب، وعُلِمَ كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضه من العصا بعد موته يوماً وليلة مثلاً.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ ﴿١٥﴾

حاشية الصاوي

قوله : (حتى أكلت الأرضه عصاه) فلما أكلتها .. أحبها الجنُّ وشكروا لها، فهم يأتونها بالماء والطين في خروق الخشب، وقالوا لها : لو كنت تأكلين الطعام والشراب .. لأتيناك بهما.

قوله : (مصدر : أَرْضَتِ الخَشْبَةُ) أي : أَكَلْتُ، بمعنى ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ : دابة الأكل، وهذا أحد وجهين، والوجه الآخر : أن المراد بالأرض المعروفة، ونُسِبَتْ لها؛ لخروجها منها.

قوله : (بالهمز) أي : الساكن أو المفتوح، فتكون القراءات ثلاثاً سبعيات^(١).

قوله : (الشاقُّ لهم) اللام : بمعنى : على، وفي نسخة : (له) أي : لسليمان.

قوله : (لظنُّهم حياته) علة لقوله : ﴿مَا لَبِثُوا﴾.

قوله : (وعلم كونه ... إلخ) إمَّا بالبناء للمفعول، أو مصدر مبتدأ، خبره قوله : (بحساب ... إلخ)، فتحصل : أنَّ الجنَّ أرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضه على العصا، فأكلت في يوم وليلة مقداراً، فحسبوا على ذلك، فوجدوه قد مات من منذ سنة.

قوله : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ اللام : مُوطئة لقسم محذوف؛ أي : والله لقد كان ... إلخ^(٢)، و﴿لِسَبَإٍ﴾ : خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، و﴿ءَايَةً﴾ : اسمها مؤخر، و﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ : حال.

(١) قرأ بهمزة ساكنة ابن ذكوان، وبألف محضة نافع وأبو عمرو، وبهمزة مفتوحة الباقون. انظر «الدر المصون» (٩/١٦٣).

(٢) اللام واقعة في جواب قسم محذوف كما قدَّره المفسر رحمه الله.

فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةُ جَنْتَانِ

- بِالصَّرْفِ وَعَدَمِهِ -: قَبِيلَةُ سُمِّيَتْ بِاسْمِ جَدِّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ بِالْيَمَنِ ﴿ءَايَةُ﴾ دَالَّةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿جَنْتَانِ﴾ - بَدَل -

حاشية الصاوي

قوله: (بالصرف وعدمه) أي: وفي عدم الصرف قراءتان: فتح الهمزة، وسكونها، فالقراءات ثلاث^(١).

قوله: (سُمِّيَتْ بِاسْمِ جَدِّ لَهُمْ) أي: وهو سبأ بن يشجب - بجيم مضمومة - بن يعرب بن قحطان. روي: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَمَا سَبَأُ أَرْضٌ أَوْ امْرَأَةٌ؟ قَالَ: «لَيْسَتْ بِأَرْضٍ وَلَا امْرَأَةً، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرًا مِنَ الْعَرَبِ فَنَامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ - أَي: سَكَنُوا الْيَمَنَ - وَتَشَاءَمَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ - أَي: سَكَنُوا الشَّامَ - فَأَمَّا الَّذِينَ تَشَاءَمُوا: فَلَخَمٌ، وَجَذَامٌ، وَغَسَانٌ، وَعَامِلَةٌ، وَأَمَّا الَّذِينَ تَنَامَنُوا: فَالْأَزْدُ، وَالْأَشْعَرِيُّونَ، وَجَمِيرٌ، وَكَنْدَةٌ، وَمَذْحِجٌ، وَأَنْمَارٌ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَمَا أَنْمَارٌ؟ قَالَ: «الَّذِينَ مِنْهُمْ خَثْعُمٌ وَبَحِيلَةٌ»^(٢).

والمقصود من تلك القصة: اتعاط هذه الأمة المحمدية؛ ليعتبروا ويشكروا نعمة الله عليهم، وألا يحلَّ بهم ما حلَّ بمن قبلهم.

قوله: ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ بالجمع كـ(مساجد)، والإفراد؛ إمَّا بكسر الكاف، أو فتحها، ففيه ثلاث قراءات سبعيات^(٣).

قوله: (باليمن) أي: وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام.

قوله: (دَالَّةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ) أي: فإذا تأمل العاقل فيها. . استدللَّ على باهر قُدْرَتِهِ، وأنه الخالق لجميع المخلوقات.

قوله: (بَدَل) أي: من ﴿ءَايَةُ﴾ التي هي اسم ﴿كَانَ﴾، وصَحَّ إبدال المثنى من المفرد؛

(١) قرأ البزي وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين، وقنبل بإسكانها، والباقون بكسرها منوَّنة. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٦٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٢٢) عن سيدنا قُروَةَ بن مسيك المرادي رضي الله عنه.

(٣) قرأ حمزة وحفص: (مسكنهم) بفتح الكاف مفرداً، والكسائي كذلك إلا أنه كسر الكاف، والباقون: (مساكنهم) جمعاً. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٦٩).

عَنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا

﴿عَنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ﴾ عَنْ يَمِينٍ وَادِيهِمْ وَشِمَالِهِ، وَقِيلَ لَهُمْ: ﴿كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ عَلَى مَا رَزَقَكُمْ مِنَ النُّعْمَةِ فِي أَرْضٍ سَبَّأَ، ﴿بَلَدَةً طَيِّبَةً﴾ لَيْسَ فِيهَا سِبَاخٌ وَلَا بَعُوضَةٌ وَلَا ذُبَابَةٌ وَلَا بُرْغُوثٌ وَلَا عَقْرَبٌ وَلَا حَيَّةٌ، وَيَمُرُّ الْغَرِيبُ فِيهَا وَفِي ثِيَابِهِ قُمَّلٌ فَيَمُوتُ لِطَيْبِ هَوَائِهَا، ﴿وَاللَّهُ رَبُّ غَفُورٌ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عَنْ شُكْرِهِ وَكَفَرُوا،

حاشية الصاوي

لأنه في قوة المتعدد، وذلك أَنَّ الجنتين لما كانتا متمثلتين، وكانت كلُّ واحدة دالةً على قدرة الله من غير انضمام غيرها لها. . . صحَّ جعلهما آيةً واحدةً؛ نظير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] ^(١).

قوله: (عن يمين واديهم وشماله) هذا أحد قولين، وقيل: عن يمين الذهاب وشماله.

قوله: (وقيل لهم) أي: على لسان أنبيائهم؛ لأنه بعث لهم ثلاثة عشر نبياً، فدعواهم إلى الله، وذكروهم بنعمه، وهذا الأمر للإذن والإباحة.

قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أي: اصرفوا نعمته في مصارفها.

قوله: (أرض سبأ... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ قوله: ﴿بَلَدَةً طَيِّبَةً﴾ خبرٌ لمحذوف، فهو كلامٌ مستأنف.

قوله: (ليس بها سببخ) جمع سبخة، وهي: الأرض ذات الملح.

قوله: (ولا بعوضة) البعوض: البق، وقوله: (ولا برغوث) بضم الباء.

قوله: (فيموت) أي: القمل، ومثله: باقي الهوام.

قوله: ﴿وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ أي: يستر ذنوبكم.

قوله: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره) أي: عن أمره واتباع رسله؛ لما روي: أنه أرسل لهم ثلاثة عشر نبياً، فدعواهم إلى الله، وذكروهم بنعمه، وأنذروهم عقابه، فكذبوهم وقالوا: ما نعرف الله علينا نعمة، فقولوا له: فليحبس عنا هذه النعم إن استطاع ^(٢). وكان لهم رئيسٌ يلقب بالحمار، كان له ولدٌ

(١) واعتمد أبو حيان كون (جنتان) خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي جنتان؛ أي: بُستانان. «فتوحات» (٣/٤٩١).

(٢) انظر «تفسير الطبري» (٧٩/٢٢).

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾: جَمَعَ (عَرِمَة) وهو ما يُمَسِّك الماء من بِنَاءٍ وَغَيْرِهِ إلى وقت حاجَتِهِ، أي: سَيْلٍ وادِيهِم المَمْسُوك بما ذُكِرَ، فَأَغْرَقَ جَنَّتَيْهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ﴾: تَشْبِيه (ذَوَات) مُفْرَدَ عَلَى الْأَصْلِ، ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: مُرٌّ بَشِيع

حاشية الصاوي

فمات، فرفع رأسه إلى السماء فبزق وكفر، فلا يمرُّ بأرضه أحدٌ إلا دعاه للكفر، فإن أجابه، وإلا.. قتله^(١).

قوله: (وهو ما يمسك الماء من بِنَاءٍ وَغَيْرِهِ) أي: فكان وادِيهِمْ أرضاً مُتَّسعة بين جبال شامخة، فَبَنَتْ بَلْقِيسُ سَدًّا حَوْلَ ذَلِكَ الْوَادِي بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ، وَجَعَلَتْ لَهُ أَبْوَاباً ثَلَاثَةً، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَصَارَ مَاءُ السُّيُولِ يَتَسَاقَطُ مِنَ الْجِبَالِ خَلْفَ السَّدِّ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَكَانُوا يَسْقُونَ مِنَ الْأَعْلَى، ثُمَّ مِنَ الْأَوْسَطِ، ثُمَّ مِنَ الْأَدْنَى عَلَى حَسَبِ عُلُوِّ الْمَاءِ وَهَبُوطِهِ؛ فَالْعَرِمُ هُوَ هَذَا السَّدُّ.

وقيل: العرم: اسمٌ للْفَأَرِ الَّذِي نَقَبَ السَّدَّ؛ لَمَّا وَرَدَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ فِي كَهَانَتِهِمْ أَنَّهُ يَخْرُبُ سَدَّهُمْ فَأَرَّةً، فَلَمْ يَتْرَكُوا فَرْجَةً بَيْنَ صَخْرَتَيْنِ إِلَّا رَبطُوا إِلَى جَانِبِهَا هَرَّةً، فَلَمَّا جَاءَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ بِهِمْ.. أَقْبَلَتْ فَأَرَّةٌ حَمْرَاءُ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ الْهَرَرِ، فَسَاوَرَتْهَا حَتَّى اسْتَأْخَرَتْ عَنِ الْجَحْرِ، ثُمَّ وَثَبَتْ فَدَخَلَتْ فِي الْفَرْجَةِ الَّتِي عِنْدَهَا، وَنَقَبَتْ السَّدَّ حَتَّى أَوْهَنْتَهُ لِلْسَّيْلِ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ، فَلَمَّا جَاءَ السَّيْلُ.. دَخَلَ تِلْكَ الْفَرْجَةَ حَتَّى بَلَغَ السَّدَّ، وَفَاضَ الْمَاءُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ فَأَغْرَقَهَا، وَدَفَنَ بَيْوتَهُمْ^(٢).

قوله: ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ تسميتهما بذلك تهكُّمٌ بِهِمْ؛ لِمَشَاكَلَةِ الْأَوَّلِ.

قوله: (مفرد على الأصل) أي: لأنَّ أَصْلَهَا: ذَوِيَّةٌ، تَحَرَّكَتِ الْيَاءُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا، قَلْبَتْ أَلْفًا، فَصَارَ: ذَوَاتٌ، ثُمَّ حُذِفَتِ الْوَاوُ تَخْفِيفًا، فَفِي تَشْبِيهِهِ وَجْهَانِ: اعْتِبَارُ الْأَصْلِ، وَاعْتِبَارُ الْعَارِضِ؛ فَالْأَوَّلُ: ذَوَاتَانِ، وَالثَّانِي: ذَاتَانِ.

قوله: (مرٌّ بَشِيع) قيل: هو شجر الأراك، وقيل: كلُّ شجر له شوكٌ.

(١) ولهذا يقال في المثل: أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ. انظر «البحر المحيط» (٢٥٨/٧).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣٩٤/٦)، وسَاوَرَتْهَا: وَاثَبَتْهَا وَقَاتَلَتْهَا، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «فَكِدْتُ أَسَاوِرَهُ فِي الصَّلَاةِ» أَي: أَوَاتَبَهُ وَأَقَاتَلَهُ.

وَأَتْلَوْا شَيْءٌ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

- بِإِضَافَةٍ ﴿أَكُلِ﴾ بِمَعْنَى مَأْكُولٍ وَتَرْكِهَا -، وَيُعْطَفُ عَلَيْهِ: ﴿وَأَتْلَوْا شَيْءٌ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.
﴿١٧﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ التَّسْبِيلُ ﴿جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾: بِكُفْرِهِمْ، ﴿وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾
- بِالْيَاءِ، وَبِالنُّونِ مَعَ كَسْرِ الزَّايِ وَنَصْبِ ﴿الْكَفُورِ﴾ - أَي: مَا يُنَاقَشُ إِلَّا هُوَ.
﴿١٨﴾ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بَيْنَ سَبَأَ وَهُمْ بِالْيَمَنِ ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بِالْمَاءِ

حاشية الصاوي

قوله: (بإضافة ﴿أَكُلِ﴾) أي: بضم الكاف لا غير، وقوله: (وتركها) أي: بضم الكاف
وسكونها، فالقراءات ثلاث سبعيات^(١).

قوله: (ويعطف عليه) أي: على (أكل).

قوله: ﴿وَمِن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الصحيح: أن السدر - وهو النبق - نوعان: نوع يؤكل ثمره، وينتفع
بورقه، ونوع له ثمر غص لا يؤكل أصلاً، ولا ينتفع بورقه، وهو المسمى بالضال، وهو المراد هنا.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ مفعول ثانٍ لـ (جزينا) مقدّم عليه.

قوله: (بكفرهم) أشار بذلك إلى أن (ما) مصدرية.

قوله: (بالياء والنون) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (أي: ما يناقش إلا هو) أشار بذلك إلى أن الحصر منصب على المناقشة والتدقيق
في الحساب والمؤاخذه بكل الذنوب، وإلا... فمطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر، لكن المؤمن
يعامل بالفضل، والكافر يعامل بالعدل.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ عطف على ما تقدّم، عطف قصة على قصة.

(١) قرأ نافع وابن كثير بإسكان الكاف وتثنية اللام، وأبو عمرو ويعقوب بضم الكاف وترك التنوين، والباقون بضم
الكاف وتثنية اللام. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٦٠).

(٢) قرأ الأخوان وحفص (نجازي) بنون العظمة وكسر الزاي؛ أي: نحن، (إلا الكفور) مفعول به، والباقون بضم الياء
وفتح الزاي مبنياً للمفعول، (إلا الكفور) رفع على ما لم يُسم فاعله، ومسلم بن جندب: (يجزى) مبنياً للمفعول،
(إلا الكفور) رفع على ما تقدم، وقرئ: (يجزى) مبنياً للفاعل وهو الله تعالى، (الكفور) نصباً على المفعول به. انظر
«الدر المصون» (٩/١٧٤).

قُرَى ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيْالِيًّ وَأَيَّامًا ءَامِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَهُمْ أَحَادِيثَ

والشَّجَر وهي قُرَى الشَّام التي يَسِيرُونَ إِلَيْهَا لِلتَّجَارَةِ، ﴿قُرَى ظَهْرَةَ﴾: مُتَوَاصِلَةٌ مِنَ الْيَمَنِ
إِلَى الشَّام، ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بِحَيْثُ يَقِيلُونَ فِي وَاحِدَةٍ وَيَبِيتُونَ فِي أُخْرَى إِلَى انْتِهَاءِ
سَفَرِهِمْ، وَلَا يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى حَمْلِ زَادٍ وَمَاءٍ، أَي: وَقُلْنَا: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيْالِيًّ وَأَيَّامًا
ءَامِينَ﴾ لَا تَخَافُونَ فِي لَيْلٍ وَلَا فِي نَهَارٍ.

﴿١٩﴾ ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ﴾ - فِي قِرَاءَةٍ: ﴿بَعْدَ﴾ - ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إِلَى الشَّام: اجْعَلْهَا
مَفَاوِزَ؛ لِيَتَطَاوَلُوا عَلَى الْفُقَرَاءِ بِرُكُوبِ الرَّوَاحِلِ وَحَمْلِ الزَّادِ وَالْمَاءِ، فَبَطَرُوا النُّعْمَةَ،
﴿وَزَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بِالْكَفْرِ، ﴿فَجَعَلْنَهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لِمَنْ بَعْدَهُمْ فِي ذَلِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُرَى ظَهْرَةَ﴾ قيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبع مئة قرية متصلة من سبأ إلى الشام.
قوله: ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي: جعلنا السَّيْرَ بين قراهم وبين القرى المباركة سيرا مقدرا
من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية.
قوله: (ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء) أي: فكانوا يسرون غير جائعين ولا ظامئين
ولا خائفين مسيرة أربعة أشهر، في أماكن لا يحرك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه
لا يُحرّكه.

قوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ أي: لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة.. تمنّوا طول السفر
والتَّعب في المعاش؛ نظير قول بني إسرائيل: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ...﴾ [البقرة: ٦١]
الآية، وكنتمني أهل مكة العذاب بقولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً
مِّنَ السَّمَاءِ...﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

قوله: (مفاوز) جمع مفازة، وهو الموضع المهلك، مأخوذ من: فوز بالتشديد: إذا مات،
وقيل: من: فاز: إذا نجا وسلم، سمي بذلك تفاعلاً بالسَّلامة.
قوله: ﴿أَحَادِيثَ﴾ أي: يُتحدَّثُ بأخبارهم.

وَمَزَقْنَهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾

﴿وَمَزَقْنَهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾: فَرَّقْنَاهُمْ فِي الْبِلَادِ كُلَّ التَّفْرِيقِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ ﴿لَآيَاتٍ﴾: عِبْرًا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عَنِ الْمَعَاصِي، ﴿شَكُورٍ﴾ عَلَى النُّعْمِ.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أَي: الْكُفَّارُ مِنْهُمْ سَبًّا ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أَنَّهُمْ بِإِغْوَائِهِ يَتَّبِعُونَهُ، ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ فَصَدَّقَ - بِالتَّخْفِيفِ - فِي ظَنِّهِ أَوْ صَدَّقَ - بِالتَّشْدِيدِ - ظَنَّهُ أَي: وَجَدَهُ صَادِقًا، ﴿إِلَّا﴾ بِمَعْنَى (لَكِنْ) ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - (مِنْ): لِلْبَيَانِ - أَي: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ لَمْ يَتَّبِعُوهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (فَرَّقْنَاهُمْ فِي الْبِلَادِ) أَي: لِضَيْقِ عَيْشِهِمْ وَخَرَابِ أَمَاكِنِهِمْ، وَهِيَ سَنَةٌ بَاقِيَةٌ فِي كُلِّ مَنْ بَطَرَ النُّعْمَةُ وَظَلَمَ، فَقَدْ أَفَادَنَا اللَّهُ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ أَنَّهُ أَصَابَهُمْ بِنِعْمَتَيْنِ، وَابْتَلَاهُمْ بِنِقْمَتَيْنِ. قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أَي: فَهُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: ﴿ظَنَّهُ﴾ أَي: وَسَبَبَ ظَنَّهُ: إِمَّا رُؤْيَاهُ أَنَّهُمَا كَانَا فِي الشَّهَوَاتِ، أَوْ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ: ﴿أَجْعَلْ فِيهَا﴾، أَوْ وَسُوسَتَهُ لَادَمَ فِي الْجَنَّةِ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا، فَظَنَّ ضَعْفَ أَوْلَادِهِ بِالنِّسْبَةِ لَهُ وَإِنْ كَانَ لَمْ تَوْثُرْ وَسُوسَتُهُ لَادَمَ^(٢).

قوله: (فَصَدَّقَ - بِالتَّخْفِيفِ - فِي ظَنِّهِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ظَنَّهُ﴾ عَلَى قِرَاءَةِ التَّخْفِيفِ مَنْصُوبٌ عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ، وَالْمَعْنَى: صَارَ فِيمَا ظَنَّهُ أَوَّلًا مِنْ إِغْوَائِهِمْ عَلَى يَقِينٍ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ «صَدَّقَ» بِالتَّشْدِيدِ... إلخ) أَي: فَ(ظَنَّهُ) مَفْعُولٌ لَ(صَدَّقَ)، وَالْمَعْنَى: حَقَّقَ ظَنَّهُ، وَوَجَدَهُ صَادِقًا. قوله: (بِمَعْنَى «لَكِنْ»)_ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مَنْقُطِعٌ، وَحَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ تَفْسِيرُهُ الضَّمِيرَ بِالْكَفَّارِ^(٣)، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مُتَصِلًا؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبُ وَيَتَّبِعُ إِبْلِيسَ فِي بَعْضِ الْمَعَاصِي، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الْمُرَادُ بِهِمْ: مَنْ لَمْ يَتَّبِعْهُ أَصْلًا، وَالْأَقْرَبُ: الْأَوَّلُ؛ لِأَنَّ الْمَعْصُومِينَ اسْتِثْنَاهُمْ مِنْ حِينَ طَرَدَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ [ص: ٨٢-٨٣].

(١) قرأه الكوفيون بتشديد الدال بعد الصاد، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٣/٢٩٤).

(٢) أو ظن فيهم ظنًا حيث قال: ﴿فَعِزُّكَ لِأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ﴿وَلَا تَحِدْ أَكْثَرَهُمْ شُكْرًا﴾، فَصَدَّقَ ظَنَّهُ وَحَقَّقَهُ بِفَعْلِهِ ذَلِكَ بِهِمْ وَاتَّبَاعَهُمْ إِيَّاهُ. انظر «معالم التنزيل» (٦/٣٩٧).

(٣) أَي: فِي قَوْلِهِ: (عَلَيْهِمْ) فَسَّرَ الضَّمِيرَ بِالْكَفَّارِ؛ فَلَا يَتَنَاوَلُ الْمُؤْمِنِينَ. «فتوحات» (٣/٤٩٥).

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيْظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ اَدْعُوا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ

﴿٢١﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ: تَسْلِيْطٌ ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ عِلْمٌ ظُهُورٌ ﴿مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ فَتُجَازِي كُلًّا مِنْهُمَا، ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيْظٌ﴾: رَقِيبٌ.
 ﴿٢٢﴾ ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِكُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿اَدْعُوا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ﴾ أَي: زَعَمْتُمُوهُمْ آلِهَةً ﴿مِنْ دُوْنِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ لِيَنْفَعُوْكُمْ بِزَعَمِكُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (تسليط منا) أي: فالشيطان سبب في الإغواء، لا خالق الإغواء، فمن أراد الله حفظه.. منع الشيطان عنه، ومن أراد الله إغواءه.. سلط الشيطان عليه، والكل فعل الله تعالى^(١).

قوله: (علم ظهور) أي: فالمعنى: ليظهر متعلق علمنا؛ فاللام: للعاقبة، لا للتعليل، ومعنى الآية: ما كان له عليهم إيجاد إضلال، بل خالق الهدى والضلال هو نحن، وإنما سبقت حكمتنا بتسليطه؛ ليميز بين عبادنا من خلقنا فيه الكفر، ومن خلقنا فيه الإيمان، فاتباعه وعدمه علامة على ما تعلق به علمه تعالى، فتدبر.

قوله: (رقيب) أي: فهو تعالى قادر على منع إبليس منهم، عالم بما سيقع.

قوله: ﴿قُلْ اَدْعُوا﴾ بكسر اللام على أصل التخلص، وباليضم إتباعاً، قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (أي: زعمتموهم آلهة) أي: فالمفعولان محذوفان؛ الأول: لطلوه بصلته، والثاني: لقيام صفته - أعني: قوله: ﴿مِنْ دُوْنِ اللَّهِ﴾ - مقامه.

قوله: (لينفعوكم) متعلق بـ ﴿اَدْعُوا﴾ أي: ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ويجلبوا لكم سعة العيش.

(١) وعبرة البيضاوي: (تسلط واستيلاء بالسوسة والاستغواء)، وكأنه نظر إلى الذي هو وصف الشيطان، وهو التسلط بالإغواء وإن كان ناشئاً عن التسليط، وفيه رعاية الألقى في عدم إسناد الأمور القبيحة ولو بالنسبة إلينا إليه تعالى؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ حيث لم يقل: وإذا أمرضني... إلخ، ونحو ذلك كثير. «فتوحات» (٤٩٠/٣).

(٢) كسر اللام وصلأ عاصم وحمزة ويعقوب، وضمها غيرهم كذلك. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٦٠).

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ.....

قال تعالى فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شرٍّ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾: شَرِكَةٍ، ﴿وَمَا لَهُ﴾ تعالى ﴿مِنْهُمْ﴾ من الآلهة ﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾: مُعِين.

﴿٢٣﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾ تعالى رَدًّا لِقَوْلِهِمْ: إِنَّ آلِهَتَهُمْ تَشْفَعُ عِنْدَهُ، ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ - بفتح الهمزة وضمها - ﴿لَهُ﴾ فيها.....
حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: لا يملكون أمراً من الأمور في العالم، وذكر (السموات والأرض) للتعميم عرفاً.

قوله: (معين) أي: على خلق شيء، بل الله تعالى المنفرد بالإيجاد والإعدام.

قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾ أي: إِنَّ الشفاعة لا تكون من هؤلاء المعبودين من دون الله؛ من الملائكة والأنبياء والأصنام إلا أن يأذن الله للملائكة والأنبياء في الشفاعة لغير الكفار، وأما الكفار.. فلا شفاعة فيهم؛ لقوله تعالى: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجَحَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ ﴿[الصافات: ٢٢-٢٣].

قوله: (ردًّا لقولهم... إلخ) أي: حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣]، وأيضاً: إِنَّ الشفاعة لا تكون ولا تجعل إلا بالإذن والرضا، وهم قد ارتكبوا ما يقتضي الغضب وهو الكفر، فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضي للغضب وعدم الإذن في الشفاعة؟! إِنَّ هذا الزعم باطل.

قوله: ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ يصح وقوع (مَنْ) على الشافعين، والمعنى: إلا لشافعٍ أَذِنَ له في الشفاعة، ويصح وقوعها على المشفوع لهم، والمعنى: لا تنفع الشفاعة إلا لمشفوعٍ أَذِنَ أن يُشْفَعَ له؛ فاللام على كل حال متعلقة بـ ﴿أَذِنَ﴾، والضمير عائد على الموصول، وفيه الوجهان.

قوله: (بفتح الهمزة) أي: والضمير عائد على الله تعالى لذكره أولاً، وقوله: (وَضَمُّهَا) أي: بالبناء للمفعول، والآذن هو الله تعالى، والقراءتان سبعيتان^(١).

(١) قرأ أبو عمرو والأخوان وخلف بضم الهمزة، والباقون بفتحها. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٦٠).

حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ.....

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ﴾ - بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ - ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ : كَشَفَ عَنْهَا الْفَزَعَ بِالِإِذْنِ فِيهَا ﴿قَالُوا﴾ : قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ اسْتِشْشَارًا : ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فِيهَا ؟

حاشية الصاوي

قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ﴾ غاية في محذوف تقديره : يترَبَّصون ويتوقفون مدةً من الزمان فزعين حتى إذا فزع... إلخ، والتضعيف للسلب كالهزمة؛ كما أشار له بقوله : (كشف عنها الفزع)، والمعنى : حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها ربُّ العزة في الإذن بالشفاعة.. سأل بعضهم بعضاً.

قوله : (بالبناء للفاعل) أي : والفاعل ضمير يعود على الله، وقوله : (والمفعول) أي : والجار والمجرور نائب الفاعل، والقراءتان سبعتان^(١).

قوله : (استبشاراً) أي : ليزوال الكرب والحزن عن القلوب، واختلف هل هذا الأمر في الآخرة أو الدنيا؟ ف قيل : في الآخرة، ويؤيده ما في (النبأ) : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ : ٣٨]، وعلى هذا : فيكون في الكلام حذف، والتقدير : لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة إلا لمن أذن له، ففزع ما ورد على القلوب من المهابة، حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم.. سأل بعضهم بعضاً.

وقيل : في الدنيا، ويؤيده ما ورد عن النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوحِيَ بِأَمْرٍ وَتَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ.. أَخَذَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنْهُ رَجْفَةً أَوْ رَعْدَةً شَدِيدَةً؛ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ ذَلِكَ.. صَعَقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سَجْدًا، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَقُولُ لَهُ مَنْ وَحِيهِ مَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ بِالْمَلَائِكَةِ، كُلُّهَا مَرًّا بِسَمَاءٍ.. سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : قَالَ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، قَالَ : فَيَقُولُ كُلُّهُمْ كَمَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى»^(٢).

وعن ابن عباس قال : (كان لكل قبيلة من الجن مقعدٌ من السماء يستمعون منه الوحي، وكان

(١) قرأ ابن عامر : (فزع) مبنياً للفاعل، وقرأ الباقر مبنياً للمفعول. انظر «الدر المصون» (٩/ ١٨٠).

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٣٥) عن سيدنا النواس بن سمعان ؓ، وبَنَحُوهُ عِنْدَ ابْنِ حَبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٣٧) عن سيدنا ابن مسعود ؓ.

قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

﴿قَالُوا﴾: القول ﴿الْحَقُّ﴾ أي: قد أُذِنَ فيها ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بِالْقَهْرِ ﴿الْكَبِيرُ﴾: العَظِيمُ.

﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ الْمَطَرُ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النَّبَاتُ؟

حاشية الصاوي

إذا نزل الوحي .. سَمِعَ له صوت كإمرار السلسلة على الصفوان، فلا ينزل على أهل سماء إلا صعدوا، فإذا فزع عن قلوبهم .. قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، ثم يقول يكون في هذا العام كذا ويكون كذا، فتسمعه الجنُّ، فيُخبرون الكهنة، والكهنة يخبرون الناس فيجدونه كذلك، فلمَّا بعث الله سيدنا محمداً ﷺ .. دُحِروا ومنعوا بالشهب، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجنُّ بذلك: هلك من في السماء، فجعل صاحب الإبل ينحر كلَّ يوم بغيراً، وصاحب البقر ينحر كلَّ يوم بقرة، وصاحب الغنم يذبح كلَّ يوم شاة حتى أسرعوا في أموالهم، فقالت ثقيف - وكانت أعقل العرب -: أيها الناس؛ أمسِكوا على أموالكم فإنه لم يُمِتْ من في السماء، أما ترون معالمكم من النجوم كما هي، والشمس والقمر، والليل والنهار؟ فقال إبليس: لقد حدث في الأرض اليوم حدث، فأتوني من كل تربة أرض، فأتوه بها، فلمَّا شَمَّ تربة مكة .. قال: من ههنا جاء الحدث، فأنصتوا، فإذا رسول الله ﷺ قد بعث^(١).

فتحصَّل: أنَّ الفزع على القول بأنه في الآخرة يكون من جميع الخلق، وعلى القول بأنه في الدنيا يكون من الملائكة خاصة، والآية محتملة للأمرين، والعموم أولى؛ لأنَّ الكفار زعموا أنَّ آلهتهم تنفعهم في الدنيا والآخرة، فردَّ الله عليهم بهذه الآية الشاملة للأمرين، فتدبَّر.

قوله: (القول ﴿الْحَقُّ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿الْحَقُّ﴾ صفة لمصدر محذوف، مقول القول.

قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ هذا من تمام كلام الشفعاء اعترافاً بعظمة الله وكبريائه.

قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ ... إلخ) هذا السؤال تبكيت للمشركين، وإشارة إلى أنَّ آلهتهم لا تملك لهم ضرراً ولا نفعاً، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٤٠).

قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ..

﴿قُلِ اللَّهُ﴾: إِنْ لَمْ يَقُولُوهُ لَا جَوَابَ غَيْرِهِ، ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾: أَي: أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ ﴿لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن، فِي الْإِبْهَامِ تَلَطَّفُ بِهِمْ دَاعٍ إِلَى الْإِيمَانِ إِذَا وَفَّقُوا لَهُ. ﴿٢٥ - ٢٦﴾ ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾: أَذْنَبْنَا، ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: لِأَنَّا بَرِيْثُونَ مِنْكُمْ، ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾: يَحْكُمُ ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾: فَيُدْخِلُ الْمُحَقِّقِينَ الْجَنَّةَ وَالْمُبْطِلِينَ النَّارَ، ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾: الْحَاكِمُ ﴿الْعَلِيمُ﴾: بِمَا يَحْكُمُ بِهِ. ﴿٢٧﴾ ﴿قُلْ أَرُونِي﴾: أَعْلِمُونِي ﴿الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾: فِي الْعِبَادَةِ ﴿كَلَّا﴾: رَدَع لَّهُمْ عَنْ اعْتِقَادِ شَرِيكَ لَهُ، ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾: الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾: فِي تَدْيِيرِهِ لِخَلْقِهِ، فَلَا يَكُونُ لَهُ شَرِيكَ فِي مُلْكِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ غَايَرُ بَيْنِ الْحَرْفَيْنِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَعْلُونَ عَلَى الْهُدَى؛ كَرَائِبِ الْجَوَادِ يَسِيرُ بِهِ حَيْثُ شَاءَ، وَالْكَفَّارَ مُحْبُوسُونَ فِي الضَّلَالِ؛ كَالْمَنْغَمَسِ فِي الظُّلُمَاتِ الَّذِي لَا يُبْصِرُ شَيْئاً.

قوله: (فِي الْإِبْهَامِ) خَبْرٌ مُقَدَّمٌ، وَ(تَلَطَّفْتُ): مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَ(دَاعٍ): صِفَةٌ لـ(تَلَطَّفْتُ).

قوله: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾... (إِلَخ) فِيهِ تَلَطَّفٌ بِهِمْ وَتَوَاضَعٌ؛ حَيْثُ أَسْنَدَ الْإِجْرَامَ لَأَنْفُسِهِمْ، وَالْعَمَلَ لِلْمَخَاطِبِينَ.

قوله: (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أَي: فِي الْمَوْقِفِ.

قوله: (أَعْلِمُونِي) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (أَرَى) عِلْمِيَّةٌ، فَتَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلَ: أَوَّلُهَا: يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ، وَثَانِيهَا: الْمَوْصُولُ، وَثَالِثُهَا: (شُرَكَاءَ)، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ بَصْرِيَّةً فَتَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ: الْأَوَّلُ: يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ، وَالثَّانِي: الْمَوْصُولُ، وَ(شُرَكَاءَ): حَالٌ مِنْ عَائِدِ الْمَوْصُولِ، وَالْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ: تَبْكِيَّتُهُمْ، وَإِظْهَارُ خَطِيئَتِهِمْ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿بَلْ هُوَ﴾ الضَّمِيرُ إِمَّا عَائِدٌ عَلَى اللَّهِ، أَوْ ضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَمَا بَعْدَهُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَالْجُمْلَةُ

خَبَرٌ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨)

﴿٢٨﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً﴾ - حال من (الناس) قُدِّمَ لِلاهتمام - ﴿لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ : مُبَشِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾ : مُنْذِرًا لِلْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ : أَي : كُفَّار مَكَّة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

حاشية الصاوي

قوله : ﴿إِلَّا كَافَّةً﴾ (الحصر إضافي، جيء به للرد على المشركين الذين يعتقدون أن رسالته غير عامة لجميع بني آدم.

قوله : (حال من «الناس») تبع فيه ابن عطية، واعترضه الزمخشري : بأنَّ تقدُّم الحال على صاحبها المجرور خطأ، بمنزلة تقدُّم المجرور على الجار^(١)، وردَّ : بأنَّ الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتعلَّق به، وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها . فتقديمها على صاحبها وحده أجوز؛ لتقدُّم عاملها، وهو (أرسلنا)، وهذا أحد أوجه في الآية، وبصحَّ جعل (كافة) حالاً من الكاف في (أرسلناك)، والتاء للمبالغة كهي في : علامة وراوية، والمعنى : إلا جامعاً للناس في التبليغ، لا يخرج عن تبليغك أحد؛ فـ : ﴿كَافَّةً﴾ : اسم فاعل من : (كفَّ) بمعنى : جمع، أو مصدر كالعاقبة والعافية؛ إمَّا مُبالغة، أو على حذف مضاف؛ أي : ذا كافة للناس، أو صفة لمصدر محذوف تقديره : إلا إرسالاً كافة^(٢)؛ أي : محيطه بهم وشاملة لهم، فلا يخرج منها أحد، والأوجه الثلاثة على أنه حال من الكاف، وهي متقاربة.

فتحصَّل : أنَّ هذه الآية دلَّت على أنه مرسلٌ لجميع الإنس بشيراً ونذيراً، وأمَّا إرساله لغيرهم . . فمأخوذ من آيات أخر منها : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]، لكن إرساله للإنس والجن إرسال تكليف، وللملائكة؛ قيل : إرسال تكليف، وقيل : تشریف، وللحيوانات الغير العاقلة والجمادات إرسال تشریف.

قوله : ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ (ذلك) أي : ما ذكر من عموم رسالته، وكونه بشيراً ونذيراً.

(١) انظر «المحرر الوجيز» (٤/٤٢٠)، و«الكشاف» (٣/٥٩٢).

(٢) ووهَّم ابن هشام من أعربها صفة لمصدر محذوف؛ لإخراجه عمَّا التزم فيه من الحالية؛ فإن العرب لم تستعمل قط (كافة) إلا حالاً. انظر «مغني اللبيب» (ص ٧٣٣).

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى

(٢٩ - ٣٠) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيهِ؟ ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿٣١﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أَي: تَقَدَّمَهُ كَالْتِّوَارَةِ وَالْإِنْجِيلِ الدَّالِّينِ عَلَى الْبَعْثِ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ، قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: على سبيل الاستهزاء والسخرية.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ الخطاب للنبي والمؤمنين.

قوله: ﴿لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ﴾ أي: إن أردتم التأخر، وقوله ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي: إن أردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم.

إن قلت: إن الجواب ليس مطابقاً للسؤال؛ لأنَّ السؤال عن طلب تعيين الوقت، والجواب يقتضي أنهم منكرون للوقت من أصله.

وأجيب: بأنَّ الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم؛ لأنَّ سؤالهم وإن كان على صورة الاستفهام عن الوقت إلا أنَّ مرادهم الإنكار والتعنت، والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾... إلخ سبب ذلك: أنَّ أهل الكتاب قالوا لهم: إنَّ صفة محمد في كتبنا، فلمَّا سألوهم ووافق ما قال أهل الكتاب.. قال المشركون: لن نُؤْمِنَ بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه.

قوله: (الدَّالِّينِ عَلَى الْبَعْثِ) أي: وعلى صفة محمد ﷺ؛ فإنهم يكفرون بها أيضاً.

قوله: (قال تعالى فيهم) أي: في بيان أحوالهم في الآخرة.

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ مفعول (ترى) وجواب (لو) محذوفان، والتقدير: ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم عند ربهم حال كونهم يرجع بعضهم إلى بعض القول.. لرأيت أمراً فظيماً.

إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوتُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْتُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تَجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَوْفُوتُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾: الاتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: الرؤساء: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾: صَدَدْتُمُونَا عَنْ الْإِيمَانِ ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: بِالنَّبِيِّ.

﴿٣٢﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْتُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ؟ لا، بَلْ كُنْتُمْ تَجْرِمِينَ ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾.

﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَي: مَكْرُ فِيهِمَا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ (إذ): ظرف لـ ﴿تَرَى﴾ بمعنى: وقت.

قوله: ﴿مَوْفُوتُونَ﴾ أي: محبسون في الموقف للحساب.

قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ العندية للمكانة والعظمة، لا المكان.

قوله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ﴾ حال من ضمير ﴿مَوْفُوتُونَ﴾، و﴿الْقَوْلَ﴾: منصوب بـ ﴿يَرْجِعُ﴾.

قوله: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ تفسير لقوله: ﴿يَرْجِعُ﴾، فالجملة لا محل لها من الإعراب.

قوله: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ ما بعد ﴿لَوْلَا﴾ مبتدأ، خبره محذوف، قدره المفسر بقوله:

(صددتمونا... إلخ)، وقوله: ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ جواب ﴿لَوْلَا﴾.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي: جواباً للمستضعفين.

قوله: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْتُمْ﴾ أي: منعناكم.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستهزام إنكاري.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ ترك العطف فيما سبق؛ لأنه مرّ أولاً كلامهم، فأتى بالجواب

مستأنفاً من غير عاطف، ثم أتى بكلام آخر للمستضعفين معطوفاً على كلامهم الأول.

قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ رد وإبطال لكلام المستكبرين، و﴿مَكْرُ﴾: فاعل بفعل

إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا

مِنْكُمْ بِنَا، ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾: شُرَكَاء، ﴿وَأَسْرُوا﴾: أَي: الْفَرِيقَانِ ﴿النَّدَامَةَ﴾: عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ بِهِ ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: أَي: أَخْفَاهَا كُلٌّ عَنْ رَفِيقِهِ مَخَافَةَ التَّعْيِيرِ، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فِي النَّارِ، ﴿هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا﴾: جَزَاءُ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فِي الدُّنْيَا.

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: رُؤَسَاؤُهَا الْمُتَنَعِّمُونَ: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ مِمَّنْ آمَنَ،
حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

محذوف؛ أي: صَدَدْنَا مَكْرَمَ بِنَا فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ، وَأَقِيمَ الظَّرْفَ مُقَامَهُ عَلَى الْإِتْسَاعِ، وَالْإِسْنَادَ مُجَازِيًّا.

قوله: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا﴾: ظَرْفٌ لِلْمَكْرِ؛ أَي: مَكْرَمَ وَقْتُ أَمْرِكُمْ لَنَا... إلخ.

قوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾: جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ، أَوْ مُسْتَأْنَفَةٌ.

قوله: (أَي: أَخْفَاهَا كُلٌّ عَنْ رَفِيقِهِ) أَي: فَكُلٌّ أَخْفَى النَّدَمَ عَلَى فِعْلِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي مَخَافَةَ أَنْ يُعْيَّرَهُ الْآخَرُ.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أَي: زِيَادَةً عَلَى تَعْذِيبِهِمْ بِالنَّارِ.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾... إلخ) هَذَا تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ.

قوله: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: حَالٌ مِنْ ﴿قَرْيَةٍ﴾ وَإِنْ كَانَتْ نَكْرَةً؛ لِوُقُوعِهَا فِي سِيَاقِ النَّفْيِ فَتَعْمٌ،

فَقَدْ وَجَدَ الْمَسْوُوعَ.

قوله: ﴿بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِ﴿كَافِرُونَ﴾، قَدَّمَ لِلْإِهْتِمَامِ وَرِعَايَةِ لِلْفَوَاصِلِ.

قوله: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾: أَي: فَلَوْ لَمْ يَكُنْ رَاضِيًّا بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ.. لَمَا أَعْطَانَا

الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ.. فَلَا يُعَذِّبُنَا فِي الْآخِرَةِ.

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضِيعِ بِمَا عَمِلُوا

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّينَ﴾ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ: يُوسِّعُهُ ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُهُ لِمَن يَشَاءُ ابتلاءً، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كُفَّار مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك. ﴿٣٦﴾ ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾: قُرْبَىٰ أي: تَقْرِيْبًا، ﴿إِلَّا﴾ لَكِن ﴿مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضِيعِ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: جَزَاءُ الْحَسَنَةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّينَ﴾ أي: لأنه لما أكرمنا في الدنيا.. فلا يهيننا في الآخرة على فرض وجودها.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾... إلخ) أي: فبسط الرزق وضيقه ليس دليلاً على رضا الله؛ فقد يبسط الرزق للكافر، ويضيقه على المؤمن الخالص، وقد يكون بالعكس، وإنما هو تابعٌ للقسمة الأزليّة، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢].

قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ (ذلك) أي: فيظنون أن بسط الرزق وتضييقه تابعٌ لرضا الله وغضبه.

قوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ﴾... إلخ) كلام مستأنف، سيق لتقرير ما سبق وتحقيقه.

قوله: ﴿بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ﴾ (صفة للأموال والأولاد؛ لأنّ جمع التكسير للعاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة، ويصح أن تكون (التي) صفة لموصوف محذوف، تقديره: بالأحوال التي.

قوله: (قربى) أشار بذلك إلى أن ﴿زُلْفَىٰ﴾ مصدر من معنى الفعل.

قوله: (لكن ﴿مَن ءَامَنَ﴾) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار، ويصح أن يكون متصلاً والخطاب الأول عامٌّ، كأنه قيل: وما الأموال والأولاد تقرّب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله، وعلم أولاده الخير وربّاهم على الصلاح فأولئك... إلخ.

قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمْ﴾: خبر مقدّم، و﴿جَزَاءُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ﴿أُولَٰئِكَ﴾، وهو استئناف لبيان جزاء أعمالهم.

قوله: ﴿جَزَاءُ الْوَضِيعِ﴾ (من إضافة الموصوف لوصفه؛ أي: الجزاء المضاعف.

وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ.....

مثلاً بِعَشْرِ فَاكْثَرُ، ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ﴾ مِنَ الْجَنَّةِ ﴿ءَامِنُونَ﴾ مِنَ الْمَوْتِ وَغَيْرِهِ، - وفي قِراءة: (الغرفة) بِمَعْنَى الْجَمْعِ -.

﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا: الْقُرْآنِ بِالْإِبْطَالِ ﴿مُعْجِزِينَ﴾ لَنَا: مُقَدِّرِينَ عَجَزَنَا وَأَنْتَهُمْ يَقْتُونُونَا، ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿٣٩﴾ قُلْ إِنْ رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ: يُوسِّعُهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امْتِحَانًا، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُهُ ﴿لَهُ﴾ بَعْدَ الْبَسْطِ أَوْ لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ فِي الْخَيْرِ ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (مثلاً) أي: أو الحسنة بسبعين أو بسبع مئة أو أكثر.

قوله: (وغيره) أي: من سائر المكاه، فلا يَفْنَى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (مقدِّرين عجزنا) أي: مُعْتَقِدِينَ أَنَّا عاجزون فلا نقدر عليهم.

قوله: ﴿قُلْ إِنْ رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾... إلخ) اختلف في هذه الآية ف قيل: مكررة مع التي قبلها للتأكيد، وقيل: مغايرة لها؛ فالأولى محمولة على أشخاص متعددين، وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وقتين، فوقت البسط غير وقت القبض، وهو الاحتمال الأول في المفسر، أو الأولى محمولة على الكفار، وهذه في حق المؤمنين، وكلُّ صحيح.

قوله: (ابتلاء) علة لقوله: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي: يُخْتَبَرُ هل يصبر أو لا.

قوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: على أنفسكم وِعِيالكم، أو تصدَّقتُم به.

قوله: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: بالمال، أو بالقناعة التي هي كثر لا ينفد، أو بالثواب في الآخرة،

(١) قرأ حمزة: (الغرفة) بالتوحيد على إرادة الجنس، ولعدم اللبس؛ لأنه معلوم أن لكل أحد غرفة تخصه. انظر الدر المصون، (٩/١٩٥).

وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقِ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِنَّا كُذِّبُوا.....

وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقِ ﴿٣٩﴾ يُقَالُ: كُلُّ إِنْسَانٍ يَرْزُقُ عَائِلَتَهُ أَي: مِنْ رِزْقِ اللَّهِ.
﴿٤٠﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أَي: الْمُشْرِكِينَ، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِنَّا كُذِّبُوا﴾
- بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَيْنِ، وَإِبْدَالِ الْأُولَى يَاءً، وَإِسْقَاطِهَا -

حاشية الصاوي

وفي الحديث: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(١)، ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى...﴾ [الليل: ٥] الآيات.

وأتى بهذه الآية عقب التي قبلها؛ إشارة إلى أن الإنفاق لا يُضَيِّقُ الرزق، بل ربما كان سبباً في توسعته، فالحيلة في توسعة الرزق الإنفاق في وجوه الخير، والثقة بالله، والتوكل عليه.
قوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقِ﴾ (أَي: أَحْسَنُهُمْ وَأَجْلُهُمْ؛ لِكُونِهِ خَالِقُ السَّبَبِ وَالْمُسَبَّبِ.
قوله: (يُقَالُ: كُلُّ إِنْسَانٍ... إلخ) أَي: لُغَةً، ودفع بذلك ما قيل: إِنَّ الرَازِقَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ، فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْجَمْعَ بِاعْتِبَارِ الصُّورَةِ، فَاللَّهُ خَالِقُ الرِّزْقِ، وَالْعَبِيدُ مُتَسَبِّبُونَ فِيهِ.
إن قلت: أَيُّ مِشَارَكَةٍ بَيْنَ الْمَفْضَّلِ وَالْمَفْضَّلِ عَلَيْهِ؟

أجيب: بِأَنَّ الرِّزَاقَ يُطْلَقُ عَلَى الْمَوْصِلِ لِلرِّزْقِ، وَالْخَالِقِ لَهُ، وَالرَّبُّ يُوصَفُ بِالْأَمْرَيْنِ، وَالْعَبْدُ يُوصَفُ بِالْإِيصَالِ فَقَطْ، فَخَيْرِيَّةُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ خَالِقٌ وَمَوْصِلٌ، فَعُلِمَ أَنَّ الْعَبْدَ يُقَالُ لَهُ: رَازِقٌ بِهَذَا، وَلَا يُقَالُ لَهُ: رَزَاقٌ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ تَعَالَى.

قوله: (يَرْزُقُ عَائِلَتَهُ) أَي: عِيَالَهُ، وَعِيَالُ الرَّجُلِ: مَنْ يَعُولُهُمْ، وَاحِدُهُ: عَيْلٌ ك: جَيْدٌ.
قوله: (وَإِبْدَالِ الْأُولَى يَاءً) هَذَا سَبْقُ قَلَمٍ مِنَ الْمَفْسَّرِ؛ إِذْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَذِهِ أَحَدٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَأَمَّا تَحْقِيقُهُمَا وَإِسْقَاطُ الْأُولَى... فَقَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، وَبَقِيَ ثَلَاثُ قَرَأَاتٍ سَبْعِيَّاتٍ: تَحْقِيقُ الْأُولَى وَتَسْهِيلُ الثَّانِيَةِ، وَعَكْسُهُ، وَإِبْدَالُ الثَّانِيَةِ يَاءً سَاكِنَةً مَمْدُوحَةً مَعَ تَحْقِيقِ الْأُولَى، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ خَمْسًا^(٢).

(١) رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ قالون والبزي بتسهيل الأولى مع المد والقصر، وأبو عمرو بإسقاطها مع القصر والمد، وورش وقنبل وأبو جعفر ورويس بتسهيل الثانية، ولورش وقنبل إبدال الثانية حرف مد مع الإشباع، والباقون بالتحقيق فيهما. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٦١).

كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾؟

﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ ﴿تَنْزِيهاً لَكَ عَنِ الشَّرِيكِ﴾، ﴿أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: لا مُوَالاةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ جِهَتِنَا، ﴿بَلْ﴾ - لِإِنْتِقَالِ - ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: الشَّيَاطِينُ، أي: يُطِيعُونَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّانَا، ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾: مُصَدِّقُونَ فِيمَا يَقُولُونَ لَهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ خطاب للملائكة، وتقريع للكفار، وذلك كقوله تعالى لعيسى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] مع كون الله عالماً بأنَّ الملائكة وعيسى بريئون من ذلك.

قوله: ﴿أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: أنت الذي نُؤالِيكَ ونتقَرَّبُ إِلَيْكَ بالعبادة، فلم يكن لنا دخلٌ في عبادتهم لنا.

قوله: (أي: يُطِيعُونَهُمْ) أي: فالمراد بعبادة الجن: طاعتهم فيما يُؤسوسون لهم، وقيل: كانوا يتمثلون لهم ويخيلون إليهم أنهم الملائكة؛ كما وقع لجماعة من خُزاعة كانوا يعبدون الجن، ويزعمون أنَّ الجنَّ تتراءى لهم، وأنهم ملائكة، وأنهم بنات الله.

قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ إن قلت: حيث أثبت أولاً أنهم يعبدون الجنَّ لزم منه أنَّ جميعهم مؤمنون بهم، فكيف قال: (أكثرهم)؟

أجيب: بأنَّ قول الملائكة: (أكثرهم) من باب الاحتياط؛ تحرُّزاً عن ادِّعاء الإحاطة بهم، كأنهم قالوا: إنَّ الذين رأيناهم وأطلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجنَّ، ولعلَّ في الموجود مَنْ لم يطلع عليه من الكفار.

وأجيب أيضاً: بأنَّ العبادة عملٌ ظاهرٌ، والإيمان عملٌ باطن، والظاهر عنوان الباطن غالباً، فقالوا: (بل كانوا يعبدون الجنَّ)؛ لأطلاعهم على أعمالهم، وقالوا: (أكثرهم بهم مؤمنون)؛ لعدم اطلاعهم على ما في القلوب.

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ مَائِنَتُنَا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾

﴿٤٢﴾ قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: شفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾: تعذيباً، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ مَائِنَتُنَا﴾: القرآن ﴿يَنْتَبِ﴾: واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ من الأصنام، ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾: كذب ﴿مُفْتَرًى﴾ على الله، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ﴾: ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: بين.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: بعض المعبودين) أي: وهم الملائكة، وقوله: (لبعض العابدين) أي: وهم الكفار.

قوله: ﴿وَنَقُولُ﴾ عطف على ﴿لَا يَمْلِكُ﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ مَائِنَتُنَا﴾ أي: دلائل توحيدنا.

قوله: ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ أي: كذب غير مطابق للواقع، ومع كونه كذلك هو مفترى؛ أي: مخلوق من حيث نسبته إلى الله، فقوله: ﴿مُفْتَرًى﴾ تأسيس لا تأكيد.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ التصريح بالفاعل إنكار عظيم، وتعجيب بليغ^(١).

(١) يعني: أنه لما ذكر قوله: (قالوا) في جواب قوله: ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ مَائِنَتُنَا﴾.. كان الظاهر أن يذكر مقول الكفرة؛ بأن يعطف بعضه على بعض؛ بأن يقال: قالوا كذا وكذا، من غير أن يعاد فعل القول مع كل مقول، وقد أعيد ذلك حيث قيل: قالوا كذا وكذا، ثم قيل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بإعادة الفعل مرة ثالثة، والتصريح بفاعله، والمقام مقام الإضمار كما في الأولين. نقله العلامة الجمل في «فتوحاته» (٥٠٣/٣) عن «حواشي زاده».

وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِيعَسَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ

﴿٤٤﴾ قال تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ فمن أين كَذَّبوك؟

﴿٤٥﴾ ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا﴾ أي: هؤلاء ﴿مِيعَسَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ من القوة وطول العمر وكثرة المال، ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إِلَيْهِمْ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكارِي عَلَيْهِم العُقُوبَةَ والإِهْلَاكَ، أي: هو واقع موقعه.

﴿٤٦﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ هي

حاشية الصاوي

قوله: (قال تعالى) أي: ردًا عليهم.

قوله: ﴿وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ أي: فالمعنى: لا عُذْر لَهُمْ فِي عَدَمِ تَصَدِيقِكَ، بخلاف أهل الكتاب؛ فَإِنَّ لَهُمْ كِتَابًا وَدِينًا، ويحتجون بأن نبيهم حذَّره من ترك دينه وإن كان عذرًا باطلاً وحجَّةً واهية.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أي: نبي يخوِّفهم ويحذِّره من عقاب الله.

قوله: ﴿مِيعَسَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ قيل: المِيعَسَارُ: لُغَةٌ فِي الْعُشْرِ، وقيل: المِيعَسَارُ هو: عُشْرُ الْعَشِيرِ، والعشير هو: عُشْرُ الْعُشْرِ، فيكون جزءاً من ألف، وهو الأظهر؛ لأنَّ المراد به المبالغة في التقليل.

قوله: (من القوة... إلخ) أي: ومع ذلك فلم يَنْفَعَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي دَفْعِ الْهَلَاكِ عَنْهُمْ.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ عطف على قوله: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف مسبَّب على سبب.

قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ عطف على محذوف، تقديره: فحين كَذَّبُوا رُسُلِي جَاءَهُمْ إِنْكَارِي

بالتدمير، فكيف كان نكيرِي لَهُمْ؟

قوله: (واقع موقعه) أي: فهو في غاية العدل، وعدم الجور والظلم.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ﴾ أي: أمركم وأوصيكم، وقوله: ﴿بِوَحْدَةٍ﴾ صفة لموصوف

محذوف، تقديره: بخصلة واحدة.

أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفَةٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أي: لأجله ﴿مِثْلَ خِزْفَةٍ﴾ أي: اثنين اثنين، ﴿وَفِرْدَى﴾: واحداً واحداً، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ محمد ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾: جنون، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ لكم بين يدي ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة إن عصيتموه.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾ (أَنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر، خبر لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (هي)، وليس المراد بالقيام حقيقته، وهو الانتصاب على القدمين، بل المراد: صرفُ الهمة، والاشتغال والتفكير في أمر محمد وما جاء به؛ لأنَّ أوَّل واجب على المكلف النَّظَرُ المؤدِّي للمعرفة.

قوله: ﴿مِثْلَ خِزْفَةٍ﴾ حالان من فاعل ﴿تَقُومُوا﴾، وإنما أمرهم بذلك؛ لأنَّ الجماعة ربما يكون في اجتماعها تشويشُ خاطر، ومنعُ التَّفَكُّر بسبب الأغراض والتعصب، وأمَّا الاثنان فيتفكَّران ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته، وأمَّا الواحد فيُفكر في نفسه ويقول: هل رأينا من هذا الرجل جنوناً أو جربنا عليه كذباً قط؟! وقد علمتم أنَّ محمداً ما به جنونٌ، بل علمتموه أرجح قريش عقلاً، وأوزنهم حلماً، وأحدَّهم ذهنًا، وأرضاهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأزكاهم نفساً، وإذا علمتم ذلك.. كفاكم أن تطلبوا منه آية على صدقه، وإذا جاء بها.. تبين أنه صادق فيما جاء به، وإذا كان كذلك.. فالواجب اتِّباعه وتصديقُه.

قوله: (فتعلموا) أشار بذلك إلى أنَّ نتيجة الفكر العلم، ومعمول التفكير محذوف، والتقدير: فتفكروا في أحوال محمد، فينتج لكم العلم بأن ما بصاحبكم جنونٌ ولا نقص.

قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ أضافه لهم؛ إشارة إلى أنه كان مشهوراً بينهم، وحاله معروف عندهم، فكانوا يدعونه بالصادق الأمين، فإذا تفكَّروا وقاسوا حاله بعد النبوة على حاله قبلها.. فيفيدهم العلم بكمال أوصافه.

قوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: المحدث عنه، وهو محمد ﷺ.

قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: هو مقدمة عذاب لكم في الدنيا والآخرة إن لم تؤمنوا وتصدَّقوه فيما جاء به، فيُخبركم به قبل وقوعه.

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرَيْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾

﴿٤٧﴾ قُلْ: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ﴾ على الإنذارِ والتَّبْلِيغِ ﴿مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لا أسألكم عليه أجراً، ﴿إِنْ أَجَرَيْ﴾: ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مُطَّلَعٌ يَعْلَمُ صِدْقِي.

﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يُلْقِيهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ، ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾: ما غابَ عن خَلْقِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: الإسلامُ، ﴿وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ﴾: الْكُفْرُ ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ (ما): شرطية مفعول لـ ﴿سَأَلْتُكُمْ﴾، و﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: بيان لـ (ما)، وقوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جواب الشرط، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ خبرها، وقرن الخبر بالفاء؛ لما في الموصول من العموم، وعلى كلٍّ: فيحتمل أن المعنى: لم أسألكم أجراً ألبتة، فيكون كقولك لمن لم يعطك شيئاً أصلاً: إن أعطيتني شيئاً فخذ، ويؤيده قوله: ﴿إِنْ أَجَرَيْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]، وقول المفسر: (أي: لا أسألكم عليه أجراً)، ويحتمل أن المعنى: لم أسألكم شيئاً يعود نفعه عليّ، فهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، وقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧].

قوله: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي﴾ أي: مالكي وسيدي.

قوله: ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ مفعول ﴿يَقْذِفُ﴾ محذوف، تقديره: يقذف الباطل بالحق، ويؤيده قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ [الأنبياء: ١٨] أي: ندفع الباطل بالحق ونصرفه به، ويصح أن تكون الباء للملابسة، والمفعول محذوف أيضاً، والتقدير: يقذف الوحي إلى أنبيائه ملتبساً بالحق، أو ضمن ﴿يَقْذِفُ﴾ معنى: يقضي ويحكم، والأقرب: الأول؛ لأنَّ خير ما فسّره بالوارد.

قوله: ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ خبر ثانٍ لـ (إن)، أو خبر مبتدأ محذوف.

قوله: (ما غاب عن خلقه) أي: فتسميته غيباً بالنسبة للخلق، وإلا... فالكلُّ شهادةٌ عنده تعالى.

قوله: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أفاد بذلك أن الوعد مُنْجَزٌ ومتحقّقٌ بالفعل، فليس مجرد وعدٍ.

قوله: ﴿وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لم يبقَ له بداية ولا إعادة؛ أي: نهاية، فهو كناية عن ذهابه بالمرّة، وهذا بمعنى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾

﴿٥٠﴾ ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الحقِّ ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالي عليها، ﴿وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحِكْمَةِ، ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِلدُّعَاءِ ﴿قَرِيبٌ﴾.

حاشية الصاوي

إن قلت: إنَّ السورة مكيّة والكفر في ذلك الوقت كان له شوكة قويّة، والإسلام كان ضعيفاً، فكيف قال: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ...﴾ إلخ؟

أجيب: بأنه لتحقّق وقوعه نزله منزلة الواقع، فعبر عنه بالماضي؛ كقوله: ﴿أَنَّهُ أَمَرَ اللَّهُ﴾ [النحل: ١].
قوله: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ سبب نزولها: أَنَّ الْكَفَّارَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: تركت دين آبائك فضلت^(١).

والمعنى: قل لهم يا محمد: إن حصل لي ضلال كما زعمتم.. فإن وبال ضلالي على نفسي، لا يضرّ غيري.

وقراءة العامّة بفتح اللام من باب: (ضرب)، وقرئ شذوذاً بكسر اللام من باب: (علم)^(٢).

قوله: ﴿وَإِنْ اهْتَدَيْتُ﴾... إلخ أي: لأنّ الاهتداء لا يكون إلا بهدائه وتوفيقه.

قوله: ﴿فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ أي: بسبب إحياء ربي إليّ، أو بسبب الذي يوحى إليّ، فد(ما): مصدرية، أو موصولة، والمعنى: فهُدّاي بفضل الله تعالى، فحاصل المعنى المراد: أنه إن كان بي ضلال.. فمن نفسي لنفسي، وإن كان بي هدى.. فمن فضل الله بالوحي إليّ، على حدّ قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

قوله: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ أي: يسمع كلّ ما خفي وما ظهر، وقوله: ﴿قَرِيبٌ﴾ أي: قُرب مكانة، لا مكان.

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٣١٣/١٤).

(٢) العامة على فتح لامه في الماضي، وكسرها في المضارع، ولكن ينقل إلى الساكن قبلها، والحسن وابن وثاب بالعكس، وهي لغة تميم. انظر «الدر المصون» (٢٠٢/٩).

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَأَنَّىٰ لَهُمُ
التَّنَافُثُ

﴿٥١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ ﴿٥١﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿٥١﴾ إِذْ فَرَغُوا ﴿٥١﴾ عِنْدَ الْبَعْثِ لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، ﴿٥١﴾ فَلَا قُوَّةَ ﴿٥١﴾ لَهُمْ مِنَّا أَي: لَا يَقْوَتْونَنَا، ﴿٥١﴾ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ أَي: الْقُبُورِ.

﴿٥٢﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ﴿٥٢﴾: بِمُحَمَّدٍ أَوْ الْقُرْآنِ، ﴿٥٢﴾ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَافُثُ ﴿٥٢﴾ - بِوَاوٍ وَبِالْهَمْزَةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿٥١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ ﴿٥١﴾ (يَحْتَمِلُ أَنَّ مَفْعُولَ (تَرَى) مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: وَلَوْ تَرَى حَالَهُمْ وَقْتَ فَرَجِهِمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ (إِذْ) مَفْعُولَ (تَرَى) أَي: وَلَوْ تَرَى وَقْتَ فَرَجِهِمْ، وَإِسْنَادُ الرُّوْيَةِ لِلْوَقْتِ مَجَازٌ، وَحَقُّهُ أَنْ يَسْنَدَ لَهُمْ، وَقَوْلُهُ: (عِنْدَ الْبَعْثِ) أَحَدُ أَقْوَالٍ فِي وَقْتِ الْفَرَجِ، وَقِيلَ: فِي الدُّنْيَا يَوْمَ بَدْرٍ حِينَ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ بِسُيُوفِ الْمَلَائِكَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْفِرَارَ إِلَى التَّوْبَةِ.

وقيل: نَزَلَتْ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا، يَأْتُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يَغْزُونَ الْكَعْبَةَ؛ لِيُخْرِبوها، فَلَمَّا يَدْخُلُونَ الْبَيْدَاءَ.. يُخَسِفُ بِهِمْ، فَهُوَ الْأَخْذُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ^(١).

قوله: (لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ جَوَابَ (لَوْ) مَحْذُوفٌ.

قوله: ﴿٥١﴾ فَلَا قُوَّةَ ﴿٥١﴾ أَي: لَا مُخْلَصٌ وَلَا مَهْرَبٌ.

قوله: (أَي: الْقُبُورِ) أَي: وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ فِي الدُّنْيَا، أَوْ الْمَعْنَى: قَبَضَتْ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَمَاكِنِهَا، فَلَمْ يُمَكِّنْهُمْ الْفِرَارَ، وَقِيلَ: أَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ، وَهِيَ الْقُبُورُ لِجَهَنَّمَ، فَيُخْرِجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ لَهَا.

قوله: ﴿٥٢﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ﴿٥٢﴾ أَي: قَالُوا ذَلِكَ وَقَتَّ حَصُولِ الْفَرَجِ، وَهُوَ وَقْتُ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ.

قوله: ﴿٥٢﴾ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ﴿٥٢﴾ أَي: كَيْفَ يُمْكِنُهُمُ الْخِلَاصُ وَالظَّفَرُ بِمَطْلُوبِهِمْ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَحْصُلُ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي الدُّنْيَا وَهِيَ بَعِيدَةٌ مِنَ الْآخِرَةِ؟! فَالْمَاضِي بَعِيدٌ؛ إِذْ لَا يَعُودُ، وَالْمُسْتَقْبَلُ قَرِيبٌ؛ لِأَنَّهُ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ.

قوله: ﴿٥٢﴾ التَّنَافُثُ ﴿٥٢﴾ أَي: الرَّجُوعُ إِلَى الدُّنْيَا لِلْإِيمَانِ وَقَبُولِ التَّوْبَةِ.

(١) رَوَى الْبُخَارِيُّ (٢١١٨) عَنْ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ.. يُخَسِفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كَيْفَ يُخَسِفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخَسِفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُعْثُونَ عَلَى نِيَاتِهِمْ».

مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ

بذلكها - أي: تناول الإيمان ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محله؛ إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا. ﴿٥٣﴾ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾: يرمون ﴿بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة، حيث قالوا في النبي: ساحر شاعر كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة.

﴿٥٤﴾ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان، أي: قبوله، ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾: أشباههم في الكفر ﴿مِنْ قَبْلُ﴾
حاشية الصاوي

قوله: (بالواو وبالهمزة) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾... إلخ) الجملة حالية؛ أي: يستبعد تناولهم الإيمان في الآخرة والحال أنهم كفروا في الدنيا.

قوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾) أي: يتكلمون في الرسول بالمطاعين والنقص من جانب بعيد من أمره، وهو الشبه التي اقترحوها في جانب الرسول، ويتكلمون في العذاب، ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم، من حيث إنهم لم يعلموا ذلك، فالمكان البعيد هو: ظنهم الفاسد، فهو بعيد عن رتبة العلم.

قوله: (غيبة بعيدة) أي: عن الصدق.

قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾) أي: في الآخرة.

قوله: (أي: قبوله) أي: بحيث يخلصهم في الآخرة.

قوله: ﴿بِأَشْيَاعِهِمْ﴾) جمع شيع، وشيع: جمع شيعة، فالأشياء: جمع الجمع، وهم قوم الرجل وأنصاره وأتباعه، والمراد بهم هنا: أشباههم في الكفر كما قال المفسر.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾) صفة للأشياء.

(١) قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحزمة والكسائي بعد الألف بهمزة مضمومة، والباقون بعد الألف بواو مضمومة. انظر «السراج المنير» (٣/٣٠٩).

إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

أي: قَبْلَهُمْ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ﴾: مُوقِع فِي الرِّيبَةِ لَهُمْ فِيمَا آمَنُوا بِهِ الْآنَ وَلَمْ يَعْتَدُوا بِدَلَالَتِهِ فِي الدُّنْيَا.



حاشية الصاوي

قوله: (أي: قبلهم) أي: الذين كانوا سابقين عليهم في الزمان، لا في العذاب؛ فإنَّ زمن عذابهم في القيامة متَّحد.

قوله: (مُوقِع فِي الرِّيبَةِ لَهُمْ) أي: فهو مِن: أَرَابَهُ: إِذَا أَوْقَعَهُ فِي الرِّيبَةِ، وَهِيَ الشَّكُّ، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: عَجَبٌ عَجِيبٌ، وَشَعْرٌ شَاعِرٌ، مِنْ بَابِ التَّأَكِيدِ.

قوله: (وَلَمْ يَعْتَدُوا بِدَلَالَتِهِ) حَالٌ مِنَ الْوَاقِعِ فِي (آمَنُوا) أي: آمَنُوا بِهِ فِي الْآخِرَةِ وَالْحَالِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْتَدُوا فِي الدُّنْيَا بِدَلَالَتِهِ.



﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.....﴾



مَكِّيَّةٌ، وهي خمسٌ أو ستٌ وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حَمِدَ تَعَالَى نَفْسَهُ بِذَلِكَ كَمَا بُيِّنَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ (سَبَأَ)، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خَالِقُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ فَاطِرٍ

(مَكِّيَّة) أي: وتسمَّى سورة الملائكة أيضاً.

قوله: (حَمِدَ تَعَالَى نَفْسَهُ) أي: تعظيماً لنفسه، وتعليماً لخلقه كَيْفِيَّةَ الشَّاءِ عَلَيْهِ، فد(أل) في (الحمد) الصادر منه تعالى يحتمل أن تكون لِّلْإِسْتِغْرَاقِ، أو لِلْجِنْسِ، ولا يصحُّ أن تكون عَهْدِيَّةً؛ لأنه لم يكن ثَمَّ شيءٌ معهودٌ غير الحاصل بهذه الجملة، وأمَّا في كلام العباد.. فالأولى أن تكون عَهْدِيَّةً، والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه.

قوله: (كَمَا بُيِّنَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ «سَبَأَ») أي: حيث قال هناك: (حمد تعالى نفسه بذلك المراد به: الشَّاءَ بمضمونه من ثُبُوتِ الحمد، وهو الوصف بالجميل).

واعلم: أنَّ السور المفتتحة بالحمد أربع: (الأنعام)، و(الكهف)، و(سَبَأَ)، و(فاطر)، وحكمة افتتاحها بذلك: أنَّ فيها تفصيلَ النِّعَمِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ التي احتوت عليها (الفاتحة).

قوله: (على غيرِ مِثَالٍ سَبَقَ) أي: وإن كان لهما مَادَّةٌ، وهو النور المحمَّدي، فالمنفيُّ المِثَالِ

السابق فقط.

جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ

﴿جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ في الملائكة حاشية الصاوي

قوله: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ﴾ نعت ثانٍ للفظ الجلالة، و﴿جَاعِلٌ﴾ وإن كان بمعنى المضي إلا أنه للاستمرار، فباعتبار دلالة على المضي تكون إضافته محضة، فيصلح لوصف المعرفة به، وباعتبار دلالة على الحال والاستقبال يصلح للعمل في ﴿رُسُلًا﴾.

قوله: (إلى الأنبياء) أي: بالوحي، وحينئذ: فيراد بعض الملائكة لا كلهم، وعبارة البيضاوي أوضح من هذه وأولى ونصّها: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا﴾ وسائط بين الله تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يُبَلِّغُونَ إِلَيْهِمْ رِسَالَاتِهِ بِالْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ وَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، يُوَصِّلُونَ إِلَيْهِمْ آثَارَ صَنْعِهِ^(١).

قوله: ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ﴾ يصح أن يكون صفة لـ ﴿رُسُلًا﴾، وهو وإن كان صحيحاً من جهة التلفظ؛ لتوافقهما تنكيراً إلا أنه يوهم أنَّ الأجنحة لخصوص الرسل مع أنها لكل الملائكة، فالأحسن جعله صفةً أو حالاً من ﴿الْمَلَكِيَّةِ﴾ نظراً لـ (أل) الجنسية.

قوله: ﴿مَّتَنَّى﴾: بدل من ﴿أَجْنَحَةٍ﴾ مجرور بفتحة مقدّرة نيابة عن الكسرة المقدرة؛ لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف الوصفية والعدل؛ لكونه معدولاً عن اثنين اثنين.

قوله: ﴿وَتِلْكَ وَرُبْعٌ﴾: إن قلت: في أيِّ محلٍّ يكون الجناح الثالث لذي الثلاثة؟ قلت: لعلّه يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدُّهما بالقوة.

قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ، سيقّت لبيان باهر قدرته تعالى.

قوله: (في الملائكة) أي: في صورهم؛ فقد قال الزمخشري: (رأيت في بعض الكتب: أنَّ صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة: فجناحان يلفون بهما أجسادهم، وجناحان للطيران يطيران بهما في الأمر من أمور الله، وجناحان على وجوههم حياة من الله تعالى، وفي الحديث: «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ست مئة جناح، يتناثر من رأسه الدُّرُّ والياقوت»^(٢)، وروي: أنه سأل جبريل

(١) «تفسير البيضاوي» (٢٥٣/٤).

(٢) لفظه للإمام أحمد في «مسنده» (٤٠٧/١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأصله في «البخاري» (٣٢٣٢)، و«مسلم» (١٧٤) بدون قوله: (يتناثر من رأسه الدُّرُّ والياقوت).

مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ

وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٢﴾ ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كَرَزَقٍ وَمَطَرٍ ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ﴾ مِنْ ذَلِكَ

حاشية الصاوي

أن يتراءى له في صورته، فقال: إنك لن تطيق ذلك، فقال: «إني أحب أن تفعل»، فخرج رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة، فأثاه جبريل في صورته، فغشي على رسول الله ﷺ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مُسْنِدُهُ، وإحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال: «سبحان الله! ما كنت أرى شيئاً من الخلق هكذا»، فقال جبريل: فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر ألف جناح: جناح منها بالشرق، وجناح بالمغرب، وإنَّ العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحايين - أي: يتصاغر الأزمان - لعظمة الله حتى يعودَ مثل الوَصْعِ، وهو العصفور الصغير^(١).

قوله: (وغيرها) أي: من جميع الخلق؛ كطول القامة، واعتدال الصورة، وتمام الأعضاء، وقوة البطش، وحسن الصوت والشعر والخط وغير ذلك من الكمالات التي أعطاها الله لخلقه.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كالتعليل لما قبله.

قوله: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ﴾ ﴿مَا﴾: إمَّا شرطية، و﴿يَفْتَحُ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ جواب الشرط، أو موصولة مبتدأ، و﴿يَفْتَحُ﴾: صِلَتِهَا، وقوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ خبر المبتدأ، وقرن بالفاء؛ لما في المبتدأ من العموم، وقوله: ﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ بيان لـ(ما).

قوله: (كرزق) أي: دنيوي أو أخروي، وعبر في جانب الرحمة بالفتح؛ إشارة إلى أنها شيء عزيز نفيس، شأنه أن يوضع في خزائن، وأتى بها منكراً؛ لتعمَّ كلَّ رحمة دنيوية أو أخروية.

قوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ أَنْتَ مراعاة لمعنى (ما)، وهو الرحمة.

قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكُ﴾ يصح أن يبقى على عمومته؛ فالتذكير في قوله: (له) ظاهر، ويصح أن يكون قد حذف من الثاني؛ لدلالة الأول عليه، والتذكير مراعاة للفظ (ما)، وقد أشار المفسر لهذا الثاني بقوله: (من ذلك) يعني: الرحمة.

(١) «الكشاف» (١٣٦/٥)، والحديث أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢١). من طريق ابن شهاب مرسلًا.

فَلَا تُرْسِلْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

﴿فَلَا تُرْسِلْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد إمساكه، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالبُ على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم، ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ﴾ - ﴿مِنْ﴾ زائدة و﴿خَلْقٍ﴾ مُبتدأ - ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾ - بالرفع والجَرُّ نعت لـ ﴿خَلْقٍ﴾ لفظاً ومَحَلًّا، وخبرُ المُبتدأ -: ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرُ﴾ و﴿مِنْ﴾ ﴿الْأَرْضِ﴾ النَّبَاتُ؟ - والاستفهامُ للتقرير -

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أهل مكة) تفسير لـ (الناس) باعتبار سبب النزول، وإلا . . . فالعبرة بعموم اللفظ.

قوله: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: اشكروه على تلك النعم التي أسداها إليكم.

قوله: (بإسكانكم . . . إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ النعمة بمعنى: الإنعام، ويصح أن تكون بمعنى: المنعم به.

قوله: (و﴿خَلْقٍ﴾: مبتدأ) أي: مرفوع بضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

قوله: (بالجر والرفع) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، وقوله: (لفظاً ومَحَلًّا) لفٌ ونشْرٌ مرتَّبٌ، وفي بعض النسخ: بتقديم الرفع؛ فيكون لفًا ونشراً مشوشاً، وقرئ شذوذاً بالنصب على الاستثناء^(٢).
قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: والتوبيخ.

(١) قرأ الأخوان (غير) بالجر نعتاً لـ (خالق) على اللفظ. و(من خالق) مبتدأ مزاو فيه (من)، وفي خبره قولان، أحدهما: هو الجملة من قوله: (يرزقكم)، والثاني: أنه محذوف تقديره: لكم ونحوه، وقرأ الباقر بالرفع، وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه خبر المبتدأ، والثاني: أنه صفة لـ (خالق) على الموضع، والخبر: إما محذوف، وإما (يرزقكم)، والثالث: أنه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية؛ لأن اسم الفاعل قد اعتمد على أداة الاستفهام، إلا أن الشيخ توقف في مثل هذا؛ من حيث إن اسم الفاعل وإن اعتمد إلا أنه لم تحفظ فيه زيادة (من)، قال: «فيحتاج مثله إلى سماع». انظر «الدر المصون» (٢١٢/٩).

(٢) وبها قرأ الفضل بن إبراهيم النحوي. انظر «الدر المصون» (٢١٢/٩).

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَ تُؤْفِكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ

أي: لا خالق رازق غيره، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَ تُؤْفِكُونَ﴾: مِنْ أَيْنَ تُصَرِّفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ مَعَ إِقْرَارِكُمْ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ؟

﴿٤﴾ ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ فِي مَجِيئِكَ بِالتَّوْحِيدِ وَالبَعْثِ وَالحِسَابِ وَالعِقَابِ، ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فِي ذَلِكَ، فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فِي الْآخِرَةِ؛ فَيُجَازِي الْمُكَذِّبِينَ وَيَنْصُرُ الْمُرْسَلِينَ.

﴿٥﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِالبَعْثِ وَغَيْرِهِ

حاشية الصاوي

(١) قوله: (أي: لا خالق رازق غيره) هذا حلٌ معنى لا حلٌ إعراب، ولأ... لقال: لا خالق غيره رازق لكم.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كلامٌ مستأنفٌ؛ لتقرير النفي المتقدم.

قوله: ﴿فَأَنْتَ تُؤْفِكُونَ﴾ مِنْ: الْأَفْكَ بالفتح، وهو الصَّرْف، وبابه: (ضرب)، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّفِكَ عَنْ أَلْمَتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]، وأما الإفك بالكسر... فهو الكذب.

قوله: (من أين تصرفون عن توحيدِهِ) أي: كيف تعبدون غيره مع أنه ليس في ذلك الغير وصفٌ يقتضي عبادته من دون الله؟!

قوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: يدوموا على تكذيبك، وهذا تسليَةٌ لَهُ ﷺ.

قوله: (فاصبر كما صبروا) قدره؛ إشارةً إلى أَنَّ جواب الشرط محذوف، والمعنى: فتأسَّ بمن قبلك، ولا تحزن.

قوله: (فيُجازي المكذبين) أي: بإدخالهم النار، وقوله: (وينصر المرسلين) أي: بقبول شفاعتهم وإدخالهم دار الكرامة.

قوله: (وغيره) أي: كالحساب والعقاب.

حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الْغُرُورُ﴾: الشيطان.

﴿٦﴾ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بِطاعة الله ولا تُطِيعُوهُ، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾: أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: النار الشديدة.

﴿٧﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا بَيَانٌ مَا لِمُوافقي الشيطان وما لِمُخالفيه.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ المراد: نهيمهم عن الاغترار بها، والمعنى: فلا تغتروا بالدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها.

قوله: (في حلمه) أي: بسببه، والمعنى: لا تجعلوا حلمه وإمهاله سبباً في اتباعكم الشيطان.

قوله: ﴿الْغُرُورُ﴾ هو بالفتح في قراءة العامة ك: (الصُّبُور) و(الشُّكُور)، وقرئ شذوذاً بضمها؛ إما جمع ك: (قاعد وقُعود)، أو مصدر ك: (الجلوس)^(١).

قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: عظيم؛ فإنَّ عداوته قديمة مؤسَّسة من عهد آدم.

قوله: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: فكونوا منه على حذر في جميع أحوالكم، ولا تأمنوا له في السرِّ والعلانية، ولا تقبلوا منه صرفاً ولا عدلاً، قال البوصيري^(٢): [البسيط]

وخالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاغْصِبْهُمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصْحَ فَاتَّهِمِ

وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَضَمًا وَلَا حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَضَمِ وَالْحَكَمِ

قوله: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾... إلخ) بيان لوجه عداوته، وتحذير من طاعته.

قوله: (هذا) أي: قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... إلى آخره، والمعنى: مَنْ كفر من أوَّل الزمان

إلى آخره.. فله العذاب الشديد، وَمَنْ آمَنَ من أوَّل الزمان إلى آخره.. فله المغفرة والأجر الكبير.

(١) وبها قرأ أبو السمال وأبو حيو. انظر «الدر المصون» (٩/٢١٣).

(٢) في قصيدته «الكواكب الدرية في مدح خير البرية».

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ

٨

ونزل في أبي جهل وغيره: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ بالتَمْويه

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في أبي جهل وغيره) أي: من مشركي مكة كالعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم، ويؤيد هذا القول آيات منها: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ومنها: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسْتَرْغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، ومنها: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ [الكهف: ٦]، وغير ذلك، ففي هذه الآيات تسليّة له ﷺ على كُفر قومه.

وقيل: هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يُحرّفون تأويل الكتاب والسنة، ويستحلّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم؛ كما هو مُشاهدٌ في نظائرهم، وهم فرقة بأرض الحجاز يقال لهم: الوهابية، يحسبون أنهم على شيء، ألا إنهم هم الكاذبون، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم^(١).

وقيل: نزلت في اليهود والنصارى، وقيل: نزلت في الشيطان؛ حيث زُيِّنَ له أنه العابد التقى، وآدم العاصي، فخالف ربّه؛ لاعتقاده أنه على شيء^(٢).

قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أي: زُيِّنَ له الشيطان ونفسه الأمارّة عمله السيئ، فهو من إضافة الصفة للموصوف.

قوله: (بالتَمْويه) أي: التّحسين ظاهراً؛ بأن غلب وهمه على عقله، فرأى الحقّ باطلاً، والباطل حقّاً، وأمّا مَنْ هداه الله.. فقد رأى الحقّ حقّاً فاتّبعه، ورأى الباطل باطلاً فاجتنبه.

(١) وقد حُرِفَت هذه العبارة في كثير من الطبقات الحديثة لهذا الكتاب؛ فلم يذكر فيها: (وهم فرقة بأرض الحجاز يقال لهم: الوهابية)، مع العلم بوجودها في النسخ الخطية والطبقات القديمة المعتبرة، وغابت مع الأسف الأمانة العلمية عند هؤلاء المُحرِّفين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

وَمِمَّنْ وصفهم بهذا الوصف أيضاً العلامة المحقق ابن عابدين في «حاشيته» إذ قال في باب البُغاة (٤/٢٦٢): (كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد، وتغلّبوا على الحرمين، وكانوا يَنْتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنَّهم هم المسلمون وأنَّ مَنْ خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل عُلمائهم، حتى كسر الله تعالى شوكتهم وخرّب بلادهم، وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف).

(٢) انظر «زاد المسير» (٣/٥٠٦).

قَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا

﴿قَرَأَهُ حَسَنًا﴾ (مَنْ) مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ (كَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ؟ لا)، دَلَّ عَلَيْهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾: على الْمُزَيِّنِ لَهُمْ ﴿حَسْرَتٌ﴾ بِاِغْتِمَائِكَ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.

﴿٩﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ - وفي قِرَاءَةٍ: (الرَّيح) - ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ الْمُضَارِعُ لِحِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ.

قوله: (دَلَّ عَلَيْهِ) أي: على تقدير الخبر، والمعنى: حذف الخبر؛ لدلالة قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ...﴾ إلخ عليه، وفي هذه الآية ردٌّ على المعتزلة الذين يزعمون أَنَّ العبد يخلق أفعال نفسه؛ فلو كان كذلك.. ما أسند الإضلال والهدى لله تعالى.

قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ عامَّةُ الْقِرَاءِ على فتح التاء والهاء، ورفع (نفس) على الفاعلية، ويكون المعنى: لا تتعاطى أسباب ذلك^(١)، وقُرئ شذوذاً بضم التاء وكسر الهاء، و﴿نَفْسُكَ﴾: مفعول به، ويكون المعنى: لا تُهْلِكْهَا على عدم إيمانهم^(٢).

قوله: ﴿حَسْرَتٌ﴾ مفعول لأجله^(٣)، جمع حَسْرَةٍ، وهي: شِدَّةُ التَّلَهُّفِ على الشيء الفاتت.

قوله: (فيجزيهم عليه) أي: إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ.

قوله: (وفي قِرَاءَةٍ: «الرَّيح») أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أيضاً^(٤).

قوله: (لحكاية الحال الماضية) أي: استحضاراً لِتِلْكَ الصُّورَةِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى.

(١) كذا في الأصل؛ بإثبات الألف وهي على حدِّ قِرَاءَةِ قَنْبَلٍ: (مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرُ) بِالْجَزْمِ وإثبات الياء؛ إما أَنْ الْجَزْمَ بِحَذْفِ الْحَرْفِ، والياء إشباع، أو أَنَّ علامةَ الْجَزْمِ سكونُ مُقَدِّرِ عَلَى الْحَرْفِ، وهي لغة في المعتل الآخر، وفي (ط ٢): (ولا تتعاط) وهي ظاهرة.

(٢) وبها قرأ أبو جعفر وقتادة والأشهب. انظر «الدر المصون» (٢١٤/٩).

(٣) أو في موضع الحال على المبالغة، كأن كلها صارت حَسَرَاتٍ لِفَرَطِ التَّحَسُّرِ. انظر «الدر المصون» (٢١٥/٩).

(٤) قرأ المكي والأخوان وخلف بالإفراد، وغيرهم بالجمع. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٦١).

فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّتَّيَ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ
الْعِزَّةُ جَمِيعًا

أي: تُزَعِّجُهُ، ﴿فَسَقَنَهُ﴾ - فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْغَيْبَةِ - ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّتَّيَ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ -:
لَا نَبَاتَ بِهَا، ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ مِنَ الْبَلَدِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يُبْسِهَا، أي: أَنْبَتْنَا بِهِ الزَّرْعَ
وَالْكَلَاءَ، ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: الْبَعْثُ وَالْإِحْيَاءُ.

﴿١٠﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴿١٠﴾ أي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا تُنَالُ مِنْهُ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: تُزَعِّجُهُ) أي: تحركه وتثيره.

قوله: (فيه التفات عن الغيبة) أي: الكائنة في قوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ﴾.

قوله: ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّتَّيَ﴾ (البلد: يذَّكَّرُ وَيُوْنَّثُ، يُطْلَقُ عَلَى الْقِطْعَةِ مِنَ الْأَرْضِ، عَامِرَةٌ أَوْ خَالِيَةٌ.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (لا نبات بها) أي: فالمراد بالموت: عَدَمُ النَّبَاتِ وَالْمَرْعَى، وبالحياة: وجودهما.

قوله: (من البلد) (من): بيانية.

قوله: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: كَمَثَلِ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ، وَوَجْهُ الشَّبْهِ:
أَنَّ الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ لَمَّا قَبِلَتِ الْحَيَاةَ اللَّائِقَةَ بِهَا.. كَذَلِكَ الْأَعْضَاءُ تَقْبِلُ الْحَيَاةَ اللَّائِقَةَ بِهَا؛ فَإِنَّ الْبَلَدَ
الْمَيِّتَ تُسَاقُ إِلَيْهَا الْمَيَاهُ فَتَحْيَا بِهَا، وَالْأَجْسَادُ تُسَاقُ إِلَيْهَا الْأَرْوَاحُ فَتَحْيَا بِهَا.

قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (مَنْ): شَرْطِيَّةٌ مُبْتَدَأٌ، وَجَوَابُهَا مُحذُوفٌ، قَدَّرَهُ
الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (فليطعه)، وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ تعليلٌ للجواب.

واختلف في هذه الآية؛ فقليل: المراد: مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْعِزَّةِ لِمَنْ هِيَ؟ فَقُلْ لَهُ: لِلَّهِ
الْعِزَّةُ جَمِيعًا.

وقيل: المراد: مَنْ أَرَادَ الْعِزَّةَ لِنَفْسِهِ.. فَلْيَطْلُبْهَا مِنَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَهُ، لَا لِغَيْرِهِ، وَطَلِبُهَا يَكُونُ
بَطَاعَتَهُ وَالِاتِّجَاءَ إِلَيْهِ وَالْوُقُوفَ عَلَى بَابِهِ؛ لَمَّا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ.. فَلْيُطِيعْ

(١) قرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بتشديد الياء، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٣/٣١٤).

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ

إِلَّا بِطَاعَتِهِ فليُطِعه، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يَعْلَمُهُ وَهُوَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَنَحْوُهَا،
﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾: يَقْبَلُهُ، ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ الْمَكْرَاتِ ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بِالنَّبِيِّ
فِي دَارِ النَّدْوَةِ مِنْ تَقْيِيدِهِ أَوْ قَتْلِهِ أَوْ إِخْرَاجِهِ

حاشية الصاوي

العزیز^(١)، ومن طلب العزّة من غيره تعالى.. كُتِبَ من وصفه، وهو الذلُّ؛ لأنَّ وصف العبد الذلُّ،
ووصف الله العزُّ، فمن التجأ إلى الله.. كساه الله من وصفه، ومن التجأ للعبد.. كساه الله من
وصف ذلك العبد؛ لما ورد: «من استعزَّ بقوم.. أورهه الله ذلَّهُم»^(٢)، وقال الشاعر: [الكامل]

وَإِذَا تَذَلَّلْتَ الرُّقَابُ تَوَاضَعًا مِنَّا إِلَيْكَ فَعِزُّهَا فِي ذُلِّهَا^(٣)

قوله: (يعلمه) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام مجازاً؛ فالصعود مجازٌ عن العلم كما يقال: ارتفع
الأمر إلى القاضي؛ يعني: علّمه، وعبر عنه بالصعود؛ إشارة لقبوله؛ لأنَّ موضع الثواب فوق،
وموضع العذاب أسفل. وقيل: المعنى: يصعد إلى سمائه، وقيل: يحمل الكتاب الذي يكتب فيه
طاعة العبد إلى السماء.

قوله: (ونحوها) أي: من الأذكار والتَّسْبِيح وقراءة القرآن.

قوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ أي: كالصلاة والصوم وغير ذلك من الطاعات.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ بيانٌ لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ بعد بيان حال الكلم الطيب
والعمل الصالح.

قوله: (المكرات) قدره؛ إشارة إلى أنَّ ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ صفة لموصوف محذوف، مفعول مطلق
لـ ﴿يَمْكُرُونَ﴾؛ لأنَّ (مكر) لازم لا يَنْصَبُ المفعول^(٤). والمكر: الحيلة والخديعة.

قوله: (في دار الندوة) أي: وهي التي بناها قُصَيُّ بن كلاب للتَّحَدُّثِ.

(١) رواه الديلمي في «الفردوس» (٨١٠٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) روى أبو نعيم في «الحلية» (١٧٤/٢)، والشهاب القضاعي في «مسنده» (٣٥٠) عن سيدنا عمر بن الخطاب:
أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ اعْتَزَّ بِالْعَبِيدِ.. أَذَلَّهُ اللَّهُ».

(٣) البيت لأبي إسحاق الصابئ كما عزاه الثعالبي في «المنتحل» (ص ٣٥).

(٤) ويجوز أن يكون (يمكرون) مضمناً معنى (يكسبون)، فينتصب (السيئات) مفعولاً به. انظر «الدر المصون» (٢١٨/٩).

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَرُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ

كما ذكر في (الأنفال) ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَرُ﴾: يهلك.

﴿١١﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بِخَلْقِ أَبِيكُمْ آدَمَ مِنْهُ، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أَي: مَنِىِّ بِخَلْقِ ذُرِّيَّتِهِ مِنْهَا، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: ذُكُورًا وَإِنَاثًا، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ حال أي: معلومة له، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ أي: ما يُزَادُ فِي عُمر طَوِيلِ العُمر

حاشية الصاوي

قوله: (كما ذكر في «الأنفال») أي: في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآيات وقد فصلت هناك^(١).

قوله: ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ﴾ أتى باسم الإشارة البعيد؛ إشارة لبعدهم عن الرحمة، واشتهارهم بالبغي والفساد.

قوله: ﴿هُوَ يُبْزَرُ﴾: مبتدأ ثان، و﴿يُبْزَرُ﴾: خبره، والجملة خبر الأول، ويصح أن يكون ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وقولهم: (إن الفصل لا يقع قبل الخبر إذا كان فعلاً) مردودٌ بجواز ذلك^(٢).

قوله: (بخلق أبيكم آدم منه) ويصح أن يراد: خلقكم من تراب؛ بواسطة أن النطفة من الغذاء، وهو من التراب.

قوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافاً.

قوله: ﴿مِنْ أُنْثَى﴾ (مِنْ): زائدة في الفاعل.

قوله: (حال) أي: من ﴿أُنْثَى﴾.

قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ بفتح الميم في قراءة العامة، قال ابن عباس: (ما يعمر من معمر إلا كتب عُمره؛ كم هو سنة، وكم هو شهراً، وكم هو يوماً، وكم هو ساعة، ثم يكتب في كتاب

(١) انظر تفسيرها (٣/٢٥-٢٦).

(٢) عند الإمام الجرجاني؛ إذ الحق المضارع بالاسم؛ لتشابههما، وجعل منه: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْذَرُ وَيُبْذَرُ﴾، وتبع الجرجاني أبو البقاء، فأجاز الفصل في: ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَرُ﴾، وابن الخباز، وهو قول السهيلي؛ قاله في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿١١﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. انظر «مغني اللبيب» (ص ٦٤٢).

وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ

﴿وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ﴾ أي: ذلك المَعْمَرُ أو مُعَمَّرٌ آخَرَ، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: هَيِّنَ.

﴿١٢﴾ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شَدِيدُ الْعَذُوبَةِ، ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾: شُرْبُهُ، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شَدِيدُ الْمُلُوحَةِ،

حاشية الصاوي

آخر: نقص من عمره يوم، نقص شهر، نقص سنة، حتى يستوفي أجله؛ فما مضى من أجله.. فهو النقصان، وما يستقبله فهو الذي يعمره^(١)، وهذا هو الأحسن.

وقيل: إن الله كتب عمر الإنسان مئة سنة إن أطاع، وتسعين إن عصى، فأيهما بلغ فهو كتاب، وهذا مثل قوله عليه السلام: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَاطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ - أي: يؤخَّر في عمره - فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٢) أي: إنه يكتب في اللوح المحفوظ: عمر فلان كذا سنة، فإن وصل رحمه.. زيد في عمره كذا سنة، فبيّن ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيصل رحمه، فمن أطلع على الأول دون الثاني.. ظنّ أنه زيادة أو نقصان.

قوله: (أو معمر آخر) أي: على حدّ: عندي درهم ونصفه^(٣)؛ أي: فالمعنى: ما يزداد في عمر شخص؛ بأن يكون أجله طويلاً، ولا يُنْقَضُ من عمر آخر؛ بأن يكون عمره قصيراً إلا في كتاب.

قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: كتابة الأعمار والآجال.

قوله: ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل غير متعذر.

قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ هذا مثل للمؤمن والكافر، وقوله: (شديد العذوبة) أي: يكسرُ وَهَجَ العطش، وقوله: ﴿سَائِغٌ﴾ أي: يسهل الحرارة.

قوله: (شربه) إنما فسّر الشّراب بالشّرب؛ لأنّ الشّراب هو المشروب؛ فيلزم إضافة الشيء لنفسه.

قوله: ﴿أُجَاجٌ﴾ أي: يُحرق الحلق بملوحته.

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/٣٣٣).

(٢) رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أي: نصف درهم آخر.

وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَبَنَّوْا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ

﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ مِنْهُمَا ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السَّمَكُ، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ مِنَ الْمِلْحِ - وَقِيلَ: مِنْهُمَا - ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللُّلُؤُ وَالْمَرْجَانُ، ﴿وَتَرَى﴾: تُبْصِرُ ﴿الْفَلَكَ﴾: السُّفُنَ ﴿فِيهِ﴾: فِي كُلِّ مِنْهُمَا ﴿مَوَاحِرَ﴾: تَمَحُّرُ الْمَاءِ أَيْ: تَشَقُّهُ بِجَرِيهَا فِيهِ مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ، ﴿لِيَتَبَنَّوْا﴾: تَطْلُبُوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: تَعَالَى بِالتَّجَارَةِ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ. ﴿١٣﴾ ﴿يُؤَلِّجُ﴾: يُدْخِلُ اللَّهُ ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ فَيَزِيدُ، ﴿وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ﴾: يُدْخِلُهُ ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فَيَزِيدُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ﴾... إلخ) يحتمل أنه استطراد لبيان صفة البحرين وما فيهما من المنافع، والمثل قد تمَّ بما قبله، وهو الأظهر، وقيل: هو من تمام التمثيل؛ يعني: أنهما وإن اشتركا في بعض الأوصاف.. لا يستويان في جميعها؛ كالبحرين فإنهما وإن اشتركا في بعض المنافع.. لا يستويان في جميعها.

قوله: (هو السمك) المراد به: حيوانات البحر كلها، فيجوز أكلها.

قوله: (وقيل: منهما) أي: ووجهه: أن في البحر المالح عيوناً عذبةً تمتزج بالملح، فيخرج اللؤلؤ منهما عند الامتزاج.

قوله: (والمرجان) هو عُروَق حُمْرٍ، تطلع من البحر كأصابع الكف، وقيل: هو صِغار اللؤلؤ.

قوله: ﴿لِيَتَبَنَّوْا﴾ متعلق بـ﴿مَوَاحِرَ﴾.

قوله: (بالتجارة) أي: وغيرها كالغزو والحج.

قوله: (على ذلك) أي: على ما أسداه إليكم من تلك النعم.

قوله: ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي: فيطوّل النهار حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها أربع عشرة ساعة كأيام الصيف، وقوله: ﴿وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: فيطوّل الليل حتى يكون من الغروب للطلوع أربع عشرة ساعة كأيام الشتاء، فالدائر بين الليل والنهار أربع ساعات؛ تارة تكون في الليل، وتارة تكون في النهار.

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ
وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يُنِيتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا﴾ : يَجْرِي ﴿فِي فَلَكِهِ﴾ : لِأَجَلٍ مُّسَمًّى : يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ : تَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ : أَي : غَيْرِهِ وَهُمْ
الْأَصْنَامُ ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ : لِفَافَةِ النَّوَاةِ.

﴿١٤﴾ : إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا ﴿فَرْضاً﴾ : مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ : مَا أَجَابُوكُمْ،
﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ﴾ : بِإِشْرَاكِكُمْ إِيَّاهُمْ مَعَ اللَّهِ، أَي : يَتَبَرَّؤُونَ مِنْكُمْ وَمِنْ عِبَادَتِكُمْ
إِيَّاهُمْ، ﴿وَلَا يُنِيتُكَ﴾ : بِأَحْوَالِ الدَّارَيْنِ ﴿مِثْلُ خَيْرٍ﴾ : عَالِمٌ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ معطوف على ﴿يُولِجُ﴾، وعَبَّرَ بالمضارع في جانب الليل
والنهار؛ لأنَّ إيلاج أحدهما في الآخر يتجدد كلَّ عام، وأمَّا الشمس والقمر.. فتسخيرهما من يوم
خلقهما الله، فلا تجدد فيه، وإنما التجدد في آثارهما؛ فلذا عَبَّرَ في جانبهما بالماضي.
قوله : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾... إلخ هذا من جملة الأدلة على انفراده تعالى
بالألوهية.

قوله : (لفافة النَّوَاة) بكسر اللام، وهي : القشرة الرقيقة الملتفة على النَّوَاة.
واعلم : أن في النَّوَاة أربعة أشياء يُضْرَبُ بها المثل في القلَّة : الفَتِيل وهو : ما شَقَّ النَّوَاة،
والقِطْمِير وهو : اللَّفَافَة، والنَّقِير وهو : ما في ظهرها، والثَّفْرُوق وهو : ما بين القمع والنَّوَاة.

قوله : (ما أجابوكم) أي : بجلب نفع، ولا دفع ضرر.

قوله : (بإشراككم إياهم) أشار بذلك إلى أنَّ المصدر مضاف للفاعل.

قوله : (أي : يتبرَّؤون منكم) أي : بقولهم : (ما كانوا إيانا يعبدون).

قوله : ﴿وَلَا يُنِيتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ : أي : لا يخبرك أحدٌ مثلي؛ لأنِّي عالمٌ بالأشياء، وغيري
لا يعلمها، وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عامًّا غير مختصٍّ بأحد، ويحتمل أن يكون خطاباً له ﷺ.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾

(١٥ - ١٧) ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ بِكُلِّ حَالٍ، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ خَلْقِهِ، ﴿الْحَمِيدُ﴾: الْمَحْمُودُ فِي صُنْعِهِ بِهِمْ، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بِذَلِكَ، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: شَدِيدٍ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ إنما خاطب الناس بذلك وإن كان كل ما سوى الله فقيراً؛ لأنَّ الناس هم الذين يدعون الغنى وينسبون له لأنفسهم، والمعنى: يا أيها الناس؛ أنتم أشدُّ الخلق افتقاراً واحتياجاً إلى الله في أنفسكم وعيالكم وأموالكم، وفيما يعرض لكم من سائر الأمور؛ فلا غنى لكم عنه طرفه عين ولا أقل من ذلك، ومن هنا قول الصديق عليه السلام: (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ.. عَرَفَ رَبَّهُ) ^(١) أي: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْفَقْرِ وَالذُّلِّ وَالْعِجْزِ وَالْمَسْكِنَةِ.. عَرَفَ رَبَّهُ بِالْغِنَى وَالْعِزِّ وَالْقُدْرَةِ وَالْكَمَالِ.

قوله: (بكل حال) أي: في حالة الفقر والغنى، والضعف والقوة، والذل والعز؛ فالعبد مفتقرٌ لربه في أيِّ حالة كان بها ذلك العبد.

قوله: ﴿الْحَمِيدُ﴾ (الغني)؛ لدفع توهم أن غناه تعالى تارة ينفع، وتارة لا، فأفاد أنه كما أنه غني.. هو مُنْعَمٌ جوادٌ محمودٌ على إنعامه؛ لكونه يُعْطِي النَّوَالِ قَبْلَ السُّؤَالِ لِلْبَرِّ والفاجر.

قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ هذا بيان لغناه المطلق؛ يعني: أن إذهابكم ليس متوقفاً على شيءٍ إلا على مشيئته؛ فإبقاؤكم من محض فضله.

قوله: ﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: بعالمٍ آخر غير ما تعرفونه.

قوله: (شديد) أي: متعذر أو متعسر.

(١) قال الزركشي في «الأحاديث المشتهرة» (ص ١٢٩): ذكر ابن السمعاني أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي، وللإمام السيوطي فيه تأليف لطيف سمّاها: «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه».

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ ﴿وَازِرَةٌ﴾ نَفْسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثِمَةٌ - أي: لَا تَحْمِلُ - ﴿وِزْرَ﴾ نَفْسٍ ﴿أُخْرَىٰ﴾ وَلِنْ تَدْعُ ﴿نَفْسٌ﴾ مُثْقَلَةٌ بِالْوِزْرِ ﴿إِلَىٰ جَمِلِهَا﴾ مِنْهُ أَحَدًا لِيَحْمِلَ بَعْضُهُ ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ وَلَوْ كَانَ ﴿الْمَدْعُوُّ﴾ ذَا قُرْبَىٰ: قَرَابَةٍ، كَالأَبِ وَالابْنِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَازِرَةٌ﴾ فاعل ﴿تَزِرُ﴾، وهو صفة لموصوف محذوف، قدره المفسر بقوله: (نفس)، والمعنى: لَا تحمل نفس وازرةً وِزْرَ نفسٍ أُخْرَى، وأمّا غيرُ الوازرة.. فتحمّل وِزْرَ الوازرة؛ بمعنى: تشفع لها في غفرانه، لَا بمعنى أنه يَنْتقل من الوازرة لغيرها.

إِنْ قُلْتَ: مَا الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ...﴾ [العنكبوت: ١٣] الْآيَةُ (١)؟
أَجِيب: بَأَنَّ تِلْكَ مَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ ضَلَّ وَتَسَبَّبَ فِي الضَّلَالِ لغيره، فعليه وِزْرُ ضلّالِهِ ووزرُ تسبُّبه؛ لِأَنَّ تَسْبِيَهُ مِنْ فِعْلِهِ، فَلَمْ يَحْمِلْ إِلَّا أَثْقَالَ نَفْسِهِ، فَرَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَحْمِلُ وِزْرَ غَيْرِهِ أَصْلًا، بَلْ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ.

قوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا﴾ أي: وَإِنْ تَدْعُ نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ بِالذُّنُوبِ نَفْسًا إِلَىٰ جَمِلِهَا، وهو بالكسر: مَا يُحْمَلُ عَلَى ظَهْرٍ أَوْ رَأْسٍ، وبالفَتْح: مَا كَانَ فِي الْبَطْنِ، أَوْ عَلَى رَأْسِ شَجَرَةٍ.
قوله: ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ الْعَامَّةُ عَلَى قِرَاءَةِ (يَحْمِلُ) مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَ(شَيْءٌ): نَائِبُ الْفَاعِلِ، وَقُرْئَ شَذُوذًا: (تَحْمِلُ) بَفَتْحِ التَّاءِ وَكَسْرِ الْمِيمِ، مُسْتَدًّا إِلَىٰ ضَمِيرِ النَّفْسِ الْمَحْذُوفَةِ، وَ(شَيْئًا): مَفْعُولُ (تَحْمِلُ) (٢).

قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ الْعَامَّةُ عَلَى قِرَاءَةِ ﴿ذَا﴾ بِالنَّصْبِ خَبَرُ ﴿كَانَ﴾، وَاسْمُهَا ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْمَدْعُوِّ؛ كَمَا قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ، وَقُرْئَ شَذُوذًا بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّ (كَانَ) تَامَّةٌ، وَالْمَعْنَى: وَإِنْ تَدْعُ نَفْسٌ مُذْنِبَةٌ نَفْسًا أُخْرَىٰ إِلَىٰ حَمْلِ شَيْءٍ مِنْ ذَنْبِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ النَّفْسُ الْأُخْرَىٰ قَرِيبَةً لِلدَّاعِيَةِ كَابْنِهَا وَأَبِيهَا؛ لِمَا وَرَدَ: «يَلْقَى الْأَبُ وَالْأُمُّ الْإِبْنَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: يَا بَنِيَّ؛ احْمِلْ عَنَّا بَعْضَ ذُنُوبِنَا، فَيَقُولُ: لَا أَسْتَطِيعُ، حَسْبِيَ مَا عَلَيَّ» (٣).

(١) تمامها: ﴿وَأَثْقَالَ مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَقْرَأُونَ﴾، ففيها أنهم يحملون أوزاراً غير أوزارهم.

(٢) وبها قرأ أبو السمال وطلحة، وتروى عن الكسائي. انظر «الدر المصون» (٢٢٢/٩).

(٣) نقله العلامة الخازن في «تفسيره» (٤٥٥/٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

وَعَدَمُ الْحَمَلِ فِي الشَّقَيْنِ حُكْمٌ مِنَ اللَّهِ، ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: يَخَافُونَهُ وَمَا رَأَوْهُ لِأَنَّهُمُ الْمُنتَفِعُونَ بِالْإِنْذَارِ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أَدَامُوهَا، ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: تَطَهَّرَ مِنَ الشَّرِّ وَغَيْرِهِ ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾: فَصَلَاةُ مُخْتَصِّ بِهِ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (في الشَّقَيْنِ) أي: الحمل القهري والاختياري^(١).

قوله: (حكم من الله تعالى) أي: وهو لا يخلو عن حكمة عظيمة.

قوله: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾: ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر، والمعنى: أن إنذارك مقصورٌ على الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من فاعل ﴿يَخْشَوْنَ﴾ أي: يَخْشَوْنَ حال كونهم غائبين عنه، فالْغَيْبَةُ وصفُ العبيد، لا وصفُ الرُّبِّ؛ فَإِنَّ وصفَ الرُّبِّ القَرْبُ، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ووصفُ العبيد الغيبة والحجاب؛ فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلاله. ويصح أن يكون حالاً من المفعول؛ أي: يَخْشَوْنَ والحال أنه غائبٌ عنهم؛ أي: محتجبٌ بجلاله؛ فلا يَرَوْنَهُ، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: (وما رأوه)، فعدم رؤية الله تعالى إنما هو مِنْ تحجُّبه بصفات الجلال، فإذا تجلَّى بالجمال.. رَأَتْهُ الأبصار، وذلك يحصل في الآخرة لأهل الإيمان، وقد حصل في الدنيا لسيد الخلق على الإطلاق، وقد يتجلَّى بالجمال للقلوب في الدنيا فتراه، وهي الجنة المعجَّلة لأهل الله المقربين.

قوله: (لأنهم المنتفعون بالإنذار) جوابٌ عمّا يقال: كيف قصر الإنذار على أهل الخشية مع أنه لجميع المكلفين؟ فأجاب: بأنَّ وجه قصره عليهم انتفاعهم به، فكأنَّه قال: إنما ينفع إنذارك أهل الخشية.

قوله: (أداموها) أي: واطَّلبوا عليها أركانها وشروطها وأدائها، وفي نسخة: (أدوها).

قوله: (وغيره) أي: كالمعاصي.

قوله: (فصلاحه مختص به) أي: فهو قاصرٌ عليه لا يتعداه.

(١) القهري: المذكور بقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، إلخ، والاختياري: المذكور بقوله: ﴿وَلَنْ تَنْعُ...﴾ إلخ؛ فالأول نفي للحمل إجباراً، والثاني نفي للحمل اختياراً. «فتوحات» (٣/٥٢٧).

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

المرجع فيجزى بالعمل في الآخرة.

(١٩ - ٢٢) ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن، ﴿وَلَا الظُّلُمَتُ﴾: الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾: الإيمان، ﴿وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا الْحُرُورُ﴾: الجنة والنار، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَتُ﴾: المؤمنون ولا الكفار، - وزيادة (لا) في الثلاثة تأكيد -، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته فيحييه بالإيمان، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أي: الكفار، شبههم بالموتى، فيجيبون.

حاشية الصاوي

قوله: (فيجزى بالعمل في الآخرة) أي: الخير والشر.

قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، وأفاد أولاً الفرق بين ذاتيهما، وثانياً بين وصفيهما، وثالثاً بين داريهما في الآخرة، وأما قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾.. فهو مثل آخر على أبلغ وجه؛ لأن الأعمى ربما يكون فيه بعض نفع، بخلاف الميت.

قوله: ﴿وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ﴾ جمع (الظلمات) باعتبار أنواع الكفر، فله أنواع كثيرة، بخلاف الإيمان فهو نوع واحد.

قوله: ﴿وَلَا الْحُرُورُ﴾ هي: الريح الحارة، خلاف السموم، فالحرور تكون بالنهار، والسموم بالليل، وقيل: الحرور والسموم بالليل والنهار.

قوله: (وزيادة «لا» في الثلاثة) أي: في الجمل الثلاث التي أولها: ﴿وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ﴾، وثانيها: ﴿وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا الْحُرُورُ﴾، وثالثها: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَتُ﴾، وإنما زيدت؛ للتأكيد في الجميع؛ لأن نفي المساواة معلوم من (ما) النافية.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من هنا إلى قوله: ﴿نَكِيرٌ﴾ تسلياً له ﷺ.

قوله: (شبههم بالموتى) أي: في عدم التأثير بدعوته.

إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾

(٢٣ - ٢٤) ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: مُنْذِرٌ لَهُمْ، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: بِالْهُدَى ﴿بَشِيرًا﴾ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لَمْ يُجِبْ إِلَيْهِ، ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾: سَلَفٌ ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: نَبِيٌّ يُنْذِرُهَا.

﴿٢٥﴾ ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الْمُعْجَزَاتِ ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هُوَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ، فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: فليس عليك إلا التبليغ، والهدى بيد الله يؤتاه من يشاء.
قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال من الكاف؛ بدليل قول المفسر: (بالهدى)، كأنه قال: أرسلناك حال كونك هاديًا.

قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: تعلمها، وقوله: (نبي يندرها) أي: يخوفها من عقاب الله، وتنقضي شريعته بموته، فما بين الرّسولين من أهل الفترة، وهم ناجون من أهل الجنة وإن غيروا وبدّلوا وعبدوا غير الله، بنصّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وأمّا ما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحي، وامرئ القيس، وحاتم طي... فقليل: إن ذلك لحكمة يعلمها الله، لا لكفرهم، والتّحقيق: أنه خبرٌ آحاد، وهو لا يعارض النصّ القطعي، وتقدّم الكلام في ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١).
قوله: ﴿وَالزُّبُرِ﴾ اسمٌ لكل ما يُكْتَبُ.

قوله: (كصحف إبراهيم) أي: وهي ثلاثون، وكصحف موسى قبل التوراة، وهي عشرة، وكصحف شيث، وهي ستون، فجملة الصحف مئة تُضمُّ لها الكتب الأربعة، فجملة الكتب السماوية مئة وأربعة.

قوله: (فاصبر كما صبروا) قدره؛ إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف.

(١) انظر سورة (الإسراء) (٤/٣٣).

ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا

﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢٦﴾ بِتَكْذِيبِهِمْ، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكارِي عليهم بِالْعُقُوبَةِ والإِهْلَاكِ؟ أَي: هو واقعٌ مَوْقَعُهُ.

﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ: تَعْلَمُ ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ - فِيهِ التِّفَاتُ عَنِ الْغَيْبَةِ - ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كَأَخْضَرَ وَأَحْمَرَ وَأَصْفَرَ وَغَيْرِهَا، ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾: جَمْعُ (جُدَّة): طَرِيقٌ فِي الْجَبَلِ وَغَيْرِهِ، ﴿بَيَضٌ وَحُمْرٌ﴾ وَصُفْرٌ، ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بِالشَّدَّةِ وَالضَّعْفِ،

حاشية الصاوي

قوله: (أَي: هو واقعٌ مَوْقَعُهُ) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام تقريرِيٌّ.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطابٌ لكلِّ من يأتي منه الرُّؤْيَةُ، وهو كلامٌ مستأنفٌ سيق ليبيان باهر قدرته تعالى، وكمال حكمته.

قوله: (فيه التِّفَاتُ) أَي: وحكمته: أَنَّ المِنَّةَ فِي الإِخْرَاجِ أُبْلَغُ مِنْ إِنْزَالِ الْمَاءِ، وَلَمَّا فِي الإِخْرَاجِ مِنَ الصَّنْعِ الْبَدِيعِ الدَّالُّ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ.

قوله: ﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ أَي: فِي أَصْلِ اللَّوْنِ كَالْأَخْضَرِ وَالْأَصْفَرِ وَالْأَحْمَرِ، وَفِي شَدَّةِ اللَّوْنِ الْوَاحِدِ وَضَعْفِهِ.

قوله: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ قَرَأَ الْعَامَّةُ بِضَمِّ الْجِيمِ وَفَتْحِ الدَّالِّ، جَمْعُ جُدَّةٍ، وَهِيَ: الطَّرِيقُ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِضَمِّ الْجِيمِ وَالدَّالِّ، جَمْعُ جَدِيدَةٍ، وَيَفْتَحُهُمَا^(١).

قوله: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾: صِفَةُ لـ ﴿جُدَدٌ﴾، و﴿أَلْوَانُهَا﴾: فَاعِلٌ بِهِ، أَوْ ﴿مُخْتَلِفٌ﴾: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، و﴿أَلْوَانُهَا﴾: مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَالْجُمْلَةُ صِفَةُ لـ ﴿جُدَدٌ﴾^(٢).

(١) قَرَأَ الزَّهْرِيُّ: (جُدُدٌ) بِضَمِّ الْجِيمِ وَالدَّالِّ، وَعَنْهُ أَيْضًا: (جَدَدٌ) بِفَتْحِهِمَا، وَقَدْ رَدَّ أَبُو حَاتِمٍ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ مِنْ حَيْثُ الْأَثَرُ وَالْمَعْنَى، وَقَدْ صَحَّحَهُمَا غَيْرُهُ. انظر «الدر المصون» (٩/٢٢٧).

(٢) وَلَمْ يَجُوزْهُ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إِذْ كَانَ يَجِبُ أَنْ يُقَالَ: (مُخْتَلِفَةٌ) لِتَحْمُلِهَا ضَمِيرُ الْمُبْتَدَأِ. انظر «الدر المصون» (٩/٢٢٧).

وَعَرِيبٌ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

﴿وَعَرِيبٌ سُودٌ﴾ - عطف على ﴿جُدُّ﴾ - أي: صُحُور شديدة السَّواد، يُقال كثيراً: أسود غريب، وقليلًا: غريب أسود.

﴿٢٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ﴾ كاختلاف الثمار والجبال، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بخلاف الجهال، ككفار مكة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه، ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَعَرِيبٌ سُودٌ﴾ الغريب تأكيد للأسود، كالقاني تأكيد للأحمر، وإنما قدمه عليه؛ للمبالغة^(١).

قوله: (يقال كثيراً) أي: بتقديم الموصوف على الصفة، وهذا هو الأصل، وقوله: (وقليلًا) أي: بتقديم الصفة على الموصوف، وهذا خلاف الأصل، ويرتكب للمبالغة.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾ صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ؛ أي: صنفٌ مختلف ألوانه من الناس، وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: اختلافًا كذلك.

قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أي: إن خشية الله شرطها العلم والمعرفة به، فمن اشتدت معرفته لربه... كان أخشاهم له؛ ولذا ورد في الحديث: «إني أخشاكم لله وأتقاكم له»^(٢)، وقرئ شذوذًا برفع الجلالة ونصب (العلماء)^(٣)، والمعنى: إنما يعظم الله من العباد العلماء، وإنما كان كذلك؛ لكونهم أعرَف الناس بربهم وأتقاهم له، فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداءً بالله تعالى؛ فإن الله أخبر أنه يُعَظِّمهم ويُجَلِّهم.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليلٌ لوجوب الخشية، كأنه قيل: يجب على كل إنسان أن يخشى الله تعالى؛ لأنه عزيز قاهر لما سواه، غفور للمذنبين.

(١) حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار؛ يعني: فيكون الأصل: وسود غرابيب سود. انظر «الكشاف» (١٥٣/٥).

(٢) رواه البخاري (٥٠٦٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) وبها قرأ عمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة - فيما نقل الزمخشري - وأبو حيو. انظر «الدر المصون» (٢٣١/٩).

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ: يَقْرَءُونَ ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أَدَامُوهَا ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: زَكَاةً وَغَيْرَهَا، ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾: تَهْلِكُ.
 ﴿٣٠﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ: ثَوَابَ أَعْمَالِهِم المَذْكُورَةِ، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ إِنَّهُ غَفُورٌ ﴿لِذُنُوبِهِمْ﴾، ﴿شَكُورٌ﴾ لِّطَاعَتِهِمْ.
 ﴿٣١﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ: الْقُرْآنِ ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: تَقَدَّمَهُ مِنَ الْكُتُبِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: يَقْرَءُونَهُ عَلَى طَهَارَةٍ أَوْ لَا، عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ أَوْ فِي الْمَصْحَفِ، وَفَضَّلُ اللَّهِ وَاسِعٌ.

قوله: (زَكَاةً أَوْ غَيْرَهَا) لَفٌّ وَنَشْرٌ مَشْوَشٌ، وَهُوَ تَحْضِيضٌ عَلَى الْإِنْفَاقِ كَيْفَمَا تيسَّرَ.

قوله: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ (خبر (إِنَّ) أي: يَرْجُونَ ثَوَابَ تِجَارَةٍ^(١)).

قوله: ﴿لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ (اللام: للعاقبة والصيرورة).

قوله: ﴿شَكُورٌ﴾ أي: يُثِيبُهُمْ عَلَى طَاعَاتِهِمْ.

قوله: ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ (مِنْ): لِبَيَانِ الْجِنْسِ، أَوْ لِلتَّبْعِيضِ.

قوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ (هُوَ): إِمَّا ضَمِيرُ فَصْلٍ، أَوْ مُبْتَدَأٌ، وَ﴿الْحَقُّ﴾: خَبَرٌ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ ﴿الَّذِي﴾، وَ﴿مُصَدِّقًا﴾: حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ^(٢).

(١) وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ ﴿يَرْجُونَ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ عَلَى: وَأَنفَقُوا رَاجِعِينَ لِيُوفِّيَهُمْ؛ أَي: فَعَلُوا جَمِيعَ ذَلِكَ مِنَ التَّلَاوَةِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِهَذَا الْغَرَضِ، وَخَبَرُ (إِنَّ) قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ عَلَى مَعْنَى: غَفُورٌ لَهُمْ شُكُورٌ لِأَعْمَالِهِمْ. وَالشُّكْرُ مُجَازٌ عَنِ الْإِثَابَةِ. انْظُرِ «الْكَشَافَ» (١٥٥/٥).

(٢) أَي: لِأَنَّ الْحَقَّ لَا يَنْفَكُ عَنْ هَذَا التَّصْدِيقِ.

ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ

عَالِمٌ بِالْبَوَاطِنِ وَالظَّوَاهِرِ.

﴿٣٢﴾ ﴿ثُمَّ أَوْزَنَّا﴾: أَعْطَيْنَا ﴿الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وَهُمْ أُمَّتُكَ؛ ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بِالتَّقْصِيرِ فِي الْعَمَلِ بِهِ، ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ يَعْمَلُ بِهِ أَغْلَبَ

حَاشِيَةُ الصَّوَابِ

قوله: (عالم بالباطن والظاهر) لفٌ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قوله: ﴿ثُمَّ أَوْزَنَّا﴾ (أتى بـ(ثم)؛ إشارةً لبعدهم عن رتبة غيرهم من الأمة).

قوله: (أعطينا) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالتوريت: الإعطاء، ووجه تسميته ميراثاً: أنَّ الميراث يحصل للوارث بلا تعبٍ ولا نصَبٍ، وكذلك إعطاء الكتاب حاصلٌ بلا تعبٍ ولا نصَبٍ.

قوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ بيانٌ للمصطفين.

قوله: (وهم أُمَّتُكَ) أي: أُمَّةُ الإجابة، سواء حفظوه كلاً أو بعضاً أو لا، وإلا... فليس المراد بإعطاء الكتاب حفظه، بل الاهتداء بهديه والاعتداء به.

قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾... إلخ) أي: مَنْ غلبت سيئاته على حسناته، والمقتصد: مَنْ غلبت حسناته على سيئاته، والسَّابِقُ: مَنْ لا تقع منه سيئة أصلاً؛ ولذا ورد في الحديث في تفسير هذه الآية: «سابقنا سابقٌ، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفورٌ له»^(١).

وقيل: الظالم هو: راجع السيئات، والمقتصد هو: الذي تساوت سيئاته وحسناته، والسَّابِقُ هو: الذي رجحت حسناته.

وقيل: الظالم هو: الذي ظاهره خيرٌ من باطنه، والمقتصد: مَنْ تساوى ظاهره وباطنه، والسَّابِقُ: مَنْ باطنه خيرٌ من ظاهره.

وقدَّم الظالم على مَنْ بعده؛ ليقوى رجاءه في ربِّه، ولئلاَّ يُعْجَبَ الطائع بعمله فيهلك، وهذا على حدِّ ما قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]^(٢).

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦١) عن سيدنا عمر رضي الله عنه مرفوعاً، قال: وروي من وجه آخر موقوفاً.

(٢) أي: قدَّم التوابين لئلا يقنطوا، وأخَّر المتطهرين لئلا يعجبوا وإن كانوا أعلى منهم.

وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾

الأوقات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يَضُمُّ إِلَى الْعِلْمِ التَّعْلِيمَ وَالْإِرْشَادَ إِلَى الْعَمَلِ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِإِرَادَتِهِ، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إيراؤُهُمُ الْكِتَابَ ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿٣٢﴾ جَنَّتْ عَدْنٌ أي: إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثلاثة، - بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، خَبَرٌ ﴿جَنَّتْ﴾ الْمُبْتَدَأُ، - ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ - خَبَرٌ ثَانٍ - ﴿فِيهَا مِنْ﴾: بَعْضُ ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مُرْصَعٍ بِالذَّهَبِ، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ جَمِيعَهُ، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لِلذُّنُوبِ ﴿شَكُورٌ﴾ لِلطَّاعَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿سَابِقٌ﴾، وَإِنَّمَا خَصَّ مَعَ أَنَّ الْكُلَّ بِإِذْنِ اللَّهِ؛ تَنْبِيْهًا عَلَى عِزَّةِ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ، فَأُضِيفَتْ لَهُ.

قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾... إلخ) أتى بضمير جماعة الذكور في تلك الآيات؛ تغليباً للمذكر على المؤنث، وإلا... فلا خصوصية للمذكر.

قوله: (بالبناء للفاعل وللمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (مرصع في الذهب) تقدم أنه أحد قولين، وقيل: إنهم يُحَلَّوْنَ فِيهَا أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَسَاوِرَ مِنْ فَضَّةٍ، وَأَسَاوِرَ مِنْ لَوْلُؤٍ^(٢).

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ عبّر بالماضي؛ لِتَحَقُّقِ وَقْعِهِ.

قوله: (جميعه) أي: كخوف الأمراض والفقر والموت، وزوال النعم، وغير ذلك من آفات الدنيا وهُمومها.

(١) قرأ أبو عمرو بضم الباء وفتح الخاء، والباقون بفتح الباء وضم الخاء. انظر «السراج المنير» (٣/٣٢٩).

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ في سورة (الحج) (٤/٣٨٨).

الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ أي: الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب، ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: إعياء من التعب لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾: يستريحوا، ﴿٣٦﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا﴾ أي: أدخلنا وأسكننا.

قوله: ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿أَحَلَّنَا﴾، والمراد بها: الجنة التي تقدّم ذكرها.

قوله: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ حال من ضمير ﴿أَحَلَّنَا﴾ البارز.

قوله: (تعب) أي: فلا نوم في الجنة؛ لعدم التعب بها.

قوله: (إعياء من التعب) أي: فإذا انتهى الشخص من أهل الجنة أن يسير وينظر ويتمتع بجميع ما أعطاه الله من الحور والغرف والقصور في أقلّ زمن.. فَعَلَّ، ولا يحصل له إعياء ولا مشقة.

وبالجملة: فأحوال الجنة لا تُقاس على أحوال الدنيا، وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمّدية.

قوله: (وذكر الثاني) جوابٌ عمّا يقال: ما الفائدة في نفي اللُغوب مع أنّ انتفاءه يُعلم من انتفاء النصب؛ لأنّ انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبّب؟!

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾... إلخ) هذا مقابل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾، على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه؛ إذا ذكر أوصاف المؤمنين.. أعقبه بذكر أوصاف الكفار.

قوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يُحكم عليهم بالموت، وقوله: ﴿فَيَمُوتُوا﴾ مسبّب عن قوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ﴾، وهو منفيّ أيضاً؛ لأنّه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبّب.

إن قلت: إنّ في هذه الآية دليلاً على أنّ أهل النار لا يموتون، وفي آية أخرى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، فيقتضي أنّ أهل النار لهم حالة بين الحالتين مع أنه لا واسطة.

أجيب: بأنّ المعنى: لا يموتون فيستريحون من العذاب، ولا يَحْيُونَ حياةً طيبةً.

وَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا

﴿وَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جَزَيْنَاهُمْ ﴿يُجْزَى كُلُّ كَافِرٍ﴾: كافر - بالياء، والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب ﴿كُلِّ﴾ - .

﴿٣٧﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: يَسْتَغِيثُونَ بِشِدَّةٍ وَعَوِيلٍ، يَقُولُونَ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾ أي: بحيث ينقطع عنهم زمناً ما، وبهذا اندفع ما قيل: إن بعض أهل النار يخفف عنه كأبي طالب وأبي لهب؛ لما ورد: «أن رسول الله تشفع في أبي طالب، فنُقِلَ في ضحضاح من نار، يتعل بنعلين يغلي منهما دماغه»^(١).

وورد: «أن أبا لهب يُسْقَى في نقرة إبهامه ماء كل ليلة اثنين؛ لعنته جاريته ثوبه حين بشرته بولادته ﷺ»^(٢)، فتحصل: أن المراد بعدم التخفيف: عدم انقطاعه عنهم وإن كان يحصل لبعضهم بعض تخفيف فيه.

قوله: (بالياء) أي: المضمومة مع فتح الزاي ورفع (كل)، وقوله: (والنون المفتوحة) أي: فهما قراءتان سبعتان^(٣).

قوله: ﴿يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي: يصيحون.

قوله: (وعويل) العويل: رفع الصوت بالبكاء.

قوله: (يقولون) قدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا...﴾ إلخ مقول لقول محذوف معطوف على قوله: ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾^(٤).

(١) رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، و(ضحضاح): بفتح الضادين المعجمتين وحاءين مهملتين أولاهما: أصله ما رُقَّ من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، فاستُعير للنار.

(٢) رواه البخاري (٥١٠١) من حديث عروة بن الزبير رحمه الله تعالى.

(٣) قرأ أبو عمرو بالياء التحتية المضمومة، وفتح الزاي، والباقون بالنون المفتوحة، وكسر الزاي وياء ساكنة مدية بعدها. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٦٣).

(٤) عبارة السمين في «الدر المصون» (٢٣٥/٩): (وذلك القول إن شئت قدرته فعلاً مفسراً لـ ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ أي: يقولون في صراخهم: ربنا أخرجنا، وإن شئت قدرته حالاً من فاعل ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ أي: قائلين ربنا)، وليس في السياق ما يُصحح العطف.

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ مِنْهَا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، فيُقال لَهُم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا﴾: وَقْتًا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: الرَّسُولُ فَمَا أَجَبْتُمْ؟ ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ يَدْفَعُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (منها) قدره هنا؛ لدلالة الآية الأخرى عليه^(١).

قوله: ﴿صَالِحًا﴾ صفة لموصوف محذوف، تقديره: عملاً صالحاً.

قوله: (فيقال لهم) أي: على سبيل التوبيخ والتبكيت.

قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ الهمزة داخلية على محذوف، تقديره: أتعذرون وتقولون: ربنا أخرجنا... إلخ ولم نؤخركم ونمهلكم ونعطكم عمراً يتمكن فيه مريد التذكر من التذكر والتفكير؟! قوله: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ﴾ (ما): نكرة موصوفة؛ بمعنى: وقت؛ ولذا قدره المفسر.

قوله: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ عطف على معنى الجملة الاستفهامية، كأنه قال: قرؤا بأننا عمّرناكم وجاءكم النذير^(٢).

قوله: (الرسول) أي: أي رسول كان؛ لأنّ هذا الكلام مع عموم الكفار من أوّل الزمان لآخره^(٣).

قوله: ﴿فَذُوقُوا﴾ مرتّب على محذوف، قدره المفسر بقوله: (فما أجبتهم)، فاندفع ما يقال: إن ظاهر الآية ربّما يوهم أنّ إذاقتهُم العذاب مرتّبة على مجيء الرسول مع أنه ليس كذلك. قوله: ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ (من): زائدة، و﴿نَصِيرٍ﴾: مبتدأ، خبره الجار والمجرور قبله.

(١) أي: في سورة (المؤمنون): ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾.

(٢) فالعطف في الحقيقة على الخبر لا الإنشاء. «فتوحات» (٣/ ٥٢٢) عن شيخه العلامة عطية الأجهوري، ومثله قوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْكَ﴾ ثم قال: ﴿وَلَيْسَتْ﴾، ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ﴾ ثم قال ﴿وَوَضَعْنَا﴾؛ إذ هما في معنى: ربّيناك، وشرحنا. وانظر «الدر المصون» (٩/ ٢٣٧).

(٣) وجاءكم النذير: اختلف فيه، ف قيل: القرآن، وقيل: الرسول، وقيل: الشيب، وقيل: النذير: الحمى، وقيل: موت الأهل والأقارب، وقيل: كمال العقل. انظر «تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٥٣).

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ : بِمَا فِي الْقُلُوبِ، فَعِلْمُهُ بِغَيْرِهِ أَوْلَى بِالنَّظَرِ إِلَى حَالِ النَّاسِ .

﴿٣٩﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ ﴿٣٩﴾ : جَمَعَ (خَلِيفَةً) أَي : يَخْلُفُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ﴿فَنْ كَفَرَ﴾ مِنْكُمْ ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أَي : وَبِالْكَفْرِ، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ : غَضَبًا، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ لِلْآخِرَةِ .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (أَي : مَا غَاب عَنَّا فِيهِمَا .

قوله : ﴿إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (تَعْلِيلٌ لِمَا قَبْلَهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ : إِذَا عَلِمَ مَا خَفِيَ فِي الصُّدُورِ . . . كَانَ أَعْلَمَ بِغَيْرِهَا مِنْ بَابِ أَوْلَى، وَقَوْلُهُ : (بِالنَّظَرِ إِلَى حَالِ النَّاسِ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ : عَلِمَ اللَّهُ لَا تَفَاوُتَ فِيهِ، بَلْ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مُسْتَوِيَةٌ فِي عِلْمِهِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا خَفِيَ مِنْهَا عَلَى الْخَلْقِ وَمَا ظَهَرَ لَهُمْ .

فَأَجَابَ بِمَا ذَكَرَ؛ أَي : إِنَّ الْأَوَّلِيَّةَ مِنْ حَيْثُ عَادَةُ النَّاسِ الْجَارِيَةُ أَنَّ مَنْ عَلِمَ الْخَفِيَّ يَعْلَمُ الظَّاهِرَ بِالْأَوَّلَى .

قوله : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ﴾ (أَي : رِعَاةَ مَسْئُولِينَ عَنْ رَعَايَاكُمْ؛ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَخُدَمَكُم، فَكُلُّ إِنْسَانٍ خَلِيفَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ رَاعٍ، وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رِعْيَتِهِ .

قوله : (جَمَعَ خَلِيفَةً) كَذَا فِي بَعْضِ النُّسخِ بِالتَّاءِ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ بِلَا تَاءٍ، وَالْأَوَّلَى أَوْلَى؛ لِأَنَّ (خَلِيفَ) جَمَعَهُ (خُلَفَاءُ)، وَأَمَّا خَلِيفَةٌ . . . فَجَمَعَهُ : خَلَائِفُ .

قوله : (أَي : وَبِالْكَفْرِ) أَي : فَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسُهُ .

قوله : ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ﴾ . . . (إِلَخ) بَيَانٌ لَوَبَالَ كُفْرَهُمْ وَعَاقِبَتَهُ .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي
السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا
غُرُورًا ﴿٤٠﴾

﴿٤٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ: تَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره وهم الأصنام
الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى، ﴿أَرُونِي﴾: أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ
شِرْكٌ﴾: شركة مع الله ﴿فِي﴾ خَلْقِ ﴿السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: حُجَّة ﴿مِّنْهُ﴾
بأنَّ لَهُمْ مَعِيَ شِرْكَةٌ؟ لا شيء من ذلك، ﴿بَلْ إِن﴾: ما ﴿يَعِدُ الظَّالِمُونَ﴾: الكافرون
﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ... إلخ﴾ (رأى): بصريّة تتعدى لمفعول واحد إن كانت بلا همز، وبالهمز
كما هنا تتعدى لمفعولين الأول: قوله: ﴿شُرَكَاءَكُمُ﴾، والثاني: قوله: ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ على
سبيل التنازع؛ لأنَّ كلاً من ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ و﴿أَرُونِي﴾ طالب ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ على أنه مفعول له.
قوله: ﴿شُرَكَاءَكُمُ﴾) أضافهم لهم مِنْ حيثُ إنَّهم جعلوهم شركاء، أو من حيثُ إنَّهم شركوهم
في أموالهم؛ فإنَّهم كانوا يُعَيِّنُونَ شيئاً من أموالهم لآلهتهم، وينفقونه على خِدْمَتِهَا، ويذبحون عندها.
قوله: ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾) أي: أي شيء خلقوه من الأمور التي في الأرض؛ كالحيوانات
والنباتات والأشجار وغير ذلك؟

قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ (أم): في الموضعين منقطعة تُفسَّر بـ(بل) والهمزة.

قوله: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ﴾) أي: الشركاء.

قوله: ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾) بالافراد والجمع، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (لا شيء من ذلك) جواب الاستفهام في الجُمْلِ الثلاث، وهو إنكار.

قوله: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ﴾) لما ذكرَ نفيَ الحجج.. أضرب عنه بذكر الأمر الحامل للرؤساء
على الشُّرك وإضلال الأتباع، وهو قولهم لهم: إنَّهم شفعاؤ عند الله.

قوله: ﴿بَعْضُهُمْ﴾) بدل من ﴿الظَّالِمُونَ﴾.

(١) قرأ أبو عمرو وحزمة وابن كثير وحفص بالافراد، والباقون بالجمع. انظر «الدر المصون» (٩/٢٣٩).

إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا
 بِاطِلَالٍ بِقَوْلِهِمْ: الْأَصْنَامُ تَشْفَعُ لَهُمْ.

﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴿٤١﴾ أي: يَمْنَعُهُمَا مِنَ الزَّوَالِ، ﴿وَلَئِنْ﴾ - لَمْ قَسَمَ - ﴿زَالَتَا إِنْ﴾: مَا ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾: يُمَسِّكُهُمَا ﴿مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: سِوَاهُ، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فِي تَأْخِيرِ عِقَابِ الْكُفَّارِ.

﴿٤٢﴾ وَأَقْسَمُوا ﴿٤٢﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ
 حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (بقولهم) أي: الرؤساء للأتباع.

قوله: (أي: يمنعهما من الزوال) أشار بذلك إلى أَنَّ الإمساك بمعنى: المنع، وقوله: ﴿وَلَئِنْ﴾ (أَنْ) ﴿وَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ﴾: فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ، مَفْعُولُ ثَانٍ عَلَى إِسْقَاطِ (مِنْ) ^(١).

قوله: ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾ اجتمع قسمٌ وشرطٌ؛ فقوله: ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ جوابُ الأول، وحُذِفَ جوابُ الثاني على القاعدة المعروفة.

قوله: ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ (مِنْ): زائدة في الفاعل، وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ (مِنْ): ابتدائية، والتقدير: ما أمسكهما أحدٌ مُبْتَدَأً وناشئاً من غيره.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ تعليل لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: فإمساكهما حاصلٌ بحلمه وغفرانه، وإلا... فكانتا جديرتين بأن تزولا؛ كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ...﴾ [مريم: ٩٠] الآية، فجَلِمُ اللهُ من أكبر النعم على العباد؛ إذ لولاه لما بقي شيءٌ من العالم، فقولُ العامة: (حلم الله يُفْتَتِ الكبود)... إساءةٌ أدبٍ ^(٢).

قوله: (أي: كفار مكة) أي: قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ، حين بلغهم أَنَّ أهل الكتاب كَذَّبُوا

(١) وجوزوا فيه أن يكون مفعولاً من أجله؛ أي: كراهة أن تزولا، وقيل: لثلا تزولا، ويجوز أن يكون بدلَ اشتمال؛ أي: يمنع زوالهما. «فتوحات» (٥٢٤/٣) عن العلامة الكرخي.

(٢) ذكر المصنف هذا القول في آخر تفسير سورة (الإسراء) فقال: (وَمِنْ أَقْبَحِ مَا تَقُولُ الْعَامَّةُ: حَلِمَ رَبُّنَا يُفْتَتِ الْكَبُودَ؛ إِذْ مَعْنَاهُ اعْتِرَاضٌ عَلَى سَعَةِ حَلِمِهِ، وَلَا يَدْرُونَ أَنَّهُ لَوْلَا حَلِمُهُ عَلَيْنَا... لَخَسَفَ بَنَاءُ، فَسَعَةُ حَلِمِهِ مِنْ أَجْلِ النِّعَمِ عَلَيْنَا، قَالَ الْعَارِفُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حَلِمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ).

بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَيْتَ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ . . .

﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾: غاية اجتهدهم فيها، ﴿لَيْتَ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم، أي: أي واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً؛ إذ قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مَجِيئُهُ ﴿إِلَّا تَفُورًا﴾: تباعداً عن الهدى.

﴿٤٣﴾ ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الإيمان - مفعول له - ﴿وَمَكْرَ﴾ العمل . . .

حاشية الصاوي

رسلهم، فلعنوا مَنْ كَذَبَ نَبِيَّهِ مِنْهُمْ، وأقسموا بالله تعالى: لئن جاءهم نبي يندرهم.. ليكوننَّ أهدى من إحدى الأمم^(١).

قوله: ﴿جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ الجهد بالفتح: بلوغ الغاية في الاجتهاد، وأما بالضم.. فهو الطاقة، وإنما كان الحلف بالله غاية أيمانهم؛ لأنهم كانوا يحلفون بأبائهم وأصنامهم، فإذا أرادوا التأكيد والتشديد.. حلفوا بالله.

قوله: ﴿لَّيَكُونُنَّ﴾ هذا حكاية لكلامهم بالمعنى، وإلا.. فلفظه: لنكونن.. إلخ.

قوله: ﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ المراد: من إحدى الإحدى الدائر^(٢)، فالمعنى: من كل الأمم، فقول المفسر: (أي: أي واحدة منها) الأوضح أن يقول: (أي: كل واحدة منها).

قوله: ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا﴾ جواب (لما)، وفيه إشعار بأنَّ فيهم أصل التفور؛ لكونهم جاهليّة، لم يأتهم نذير من عهد إسماعيل.

قوله: (مفعول له) أي: لأجل الاستكبار، ويصح أن تكون بدلاً من ﴿تَفُورًا﴾، أو حالاً من ضمير ﴿زَادَهُمْ﴾ أي: حال كونهم مستكبرين.

(١) انظر «زاد المسير» (٣/٥١٥).

(٢) قولهم: (إحدى الإحدى) جرى مجرى المثل في استعظام الأمر في الشر أو الخير، وقرينة إرادة الاستعظام إضافة (إحدى) إلى اسم من لفظها؛ فيكون المعنى: من الأمة التي يقال فيها: هي إحدى الأمم؛ تفضيلاً لها. وانظر كلام العلامة ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٢/٣٣٢).

الْسَيِّءُ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۖ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

﴿الْسَيِّئُ﴾ من الشُّرْك وغيره، ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾: يُحِيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر، ووصف المكر بالسَّيِّئِ أصل، وإضافته إليه قبل استعمال آخر قُدِّر فيه مُضاف حذراً من الإضافة إلى الصِّفة، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: يَنْتَظِرُونَ ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾: سُنَّة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رُسُلهم، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يُبَدَّل بالعذاب غيره ولا يُحوَّل إلى غير مُستحقِّه.

حاشية الصاوي

قوله: (ووصف المكر بالسيئ) أي: في قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ﴾، وقوله: (أصل) أي: جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

قوله: (وإضافته إليه قبل) أي: في قوله: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾.

قوله: (استعمال آخر) أي: جاء على خلاف الأصل؛ حيث أضيف فيه الموصوف للصفة.

قوله: (قُدِّر فيه مضاف) أي: مضاف إليه، وقوله: (حذراً من الإضافة إلى الصفة) أي: من إضافة (المكر) الذي هو الموصوف إلى (السيئ) الذي هو الصفة، فيجعل (المكر) مضافاً لمحذوف، و(السيئ) صفة لذلك المحذوف^(١)، وتلك الإضافة من إضافة العام للخاص؛ لأنَّ المكر يشمل الاعتقاد والعمل، فإضافته للعمل تخصيص له.

قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: فلا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم.

قوله: (سنة الله فيهم) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ مصدر مضاف لمفعوله، وسيأتي إضافته لفاعله في قوله: ﴿لِسُنَّتِ اللَّهِ﴾.

قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ﴾ الفاء: للتعليل، كأنه قيل: لا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم؛ لأنَّك أيها العاقل لا تجد... إلخ.

قوله: (أي: لا يبدل بالعذاب غيره، ولا يحوّل إلى غير مستحقِّه) أشار بذلك إلى أن المراد بالتبديل: تغيير العذاب بغيره، والتحويل: نقله لغير مستحقِّه، وجمع بينهما للتهديد والتفريع.

(١) وهو مذهب البصريين؛ أي: العمل السيئ. انظر «الدر المصون» (٢٤١/٩).

أَوَّلَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ

﴿٤٤﴾ ﴿أَوَّلَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فَاهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: يَسْبِقُهُ وَيَفُوتُهُ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بِالأشياء كُلِّهَا، ﴿قَدِيرًا﴾ عَلَيْهَا.

﴿٤٥﴾ ﴿وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ مِنَ الْمَعَاصِي ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾ أي: الْأَرْضِ ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: نَسَمَةٌ تَدْبُ عَلَيْهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَوَّلَ يَسِيرُوا﴾﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والتقدير: أتركوا السفر ولم يَسِيرُوا؟ وهو استشهادٌ على أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ لَا تَبْدِيلَ لَهَا وَلَا تَحْوِيلَ، والاستفهامُ إنْكَارِيٌّ بمعنى النَّفْيِ، ونَفْيُ النَّفْيِ إثْبَاتٌ، والمعنى: بَلْ سَارُوا فِي الْأَرْضِ، وَمَرُّوا عَلَى دِيَارِ قَوْمٍ صَالِحٍ وَقَوْمٍ لَوِطٍ وَقَوْمٍ شَعِيبٍ وَغَيْرِهِمْ، فَنَظَرُوا آثَارَ دِيَارِهِمْ.

قوله: ﴿﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾﴾ أي: عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كَانَتْ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مَا أَخَذُوا إِلَّا بِتَكْذِيبِ رُسُلِهِمْ، فَيَخَافُوا أَنْ يُفْعَلَ بِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ.

قوله: ﴿﴿وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾﴾ أي: أَطْوَلُ أَعْمَارًا، وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ أَوْ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

قوله: ﴿﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ﴾﴾... إلخ) تقرير لما فُهِمَ مِنْ اسْتِثْصَالِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

قوله: ﴿﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾﴾ تعليلٌ لما قبله.

قوله: ﴿﴿بِمَا كَسَبُوا﴾﴾ الباء: سَبَبِيَّةٌ، وَ(مَا): مُصَدَّرِيَّةٌ، أَوْ مُوَصُولَةٌ؛ أي: بِسَبَبِ كَسْبِهِمْ، أَوِ الَّذِي كَسَبُوهُ.

قوله: (مِنِ الْمَعَاصِي) بَيَانٌ لِمَا.

قوله: ﴿﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾﴾ أي: مِنْ جَمِيعِ مَا دَبَّ عَلَى وَجْهِهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعَاقِلَةِ وَغَيْرِهَا، وَذَلِكَ بِأَنْ يُمَسِكَ عَنْهَا مَاءُ السَّمَاءِ مِثْلًا، فَيَنْقَطِعُ عَنْهُمْ النَّبَاتُ، فَيَمُوتُونَ جَوْعًا؛ فَالظَّالِمُ لَظْلَمِهِ، وَغَيْرُ الظَّالِمِ بِشُؤْمِ الظَّالِمِ.

وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِإِثَابَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِقَابِ الْكَافِرِينَ.



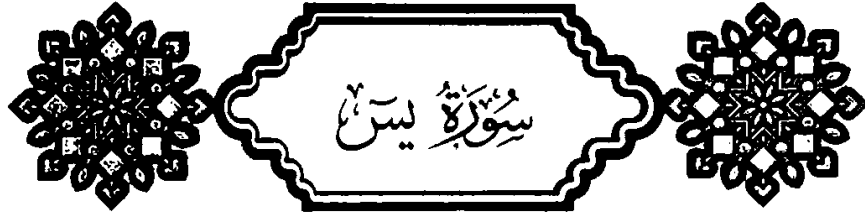
حاشية الصاوي

وعبر بالظَّهر؛ تشبيهاً للأرض بالدابة من حيث التَّمَكُّنُ عليها، ويعبر تارة بوجه الأرض من حيث إنَّ ظاهرها كالوجه للحيوان، وغيره كالْبَطْنِ، وهو الباطن منها، فتحصَّل أنه يقال لما عليه الخلق من الأرض: وجه الأرض وظهرها، فهو من قبيل إطلاق الضِّدَّين على شيء واحد.

قوله: (نَسْمَةٌ) من التَّنَسُّمِ، وهو: التنفس؛ أي: ذي روح.

قوله: (فَيُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ) أشار بذلك إلى أنَّ جوابَ الشرط محذوفٌ، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ تعليلٌ له.





مَكِّيَّة، أو إِلَّا قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا...﴾ الآية، أو مَدَنِيَّة، ثِنْتَانِ وَثَمَانُونَ آيَةً.

حاشية الصاوي

سُورَةُ يَسِّ

(مَكِّيَّة) أي: كُلُّهَا، وقوله: (أو إِلَّا قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ...﴾ إلخ) قولٌ ثَانٍ، وقوله: (أو مَدَنِيَّة) أي: كُلُّهَا، وهو قولٌ ثَالِثٌ.

وَوَرَدَ فِي فَضْلِ سُورَةِ (يَسِّ) أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «اقْرَءُوا (يَسِّ) عَلَى مَوْتَاكُمْ»^(١).

وَمِنْهَا: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُقْرَأُ عَلَيْهِ (يَسِّ) إِلَّا هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

وَمِنْهَا: «مَنْ قَرَأَ (يَسِّ) فِي لَيْلَةِ ابْتِغَاءٍ وَجْهِ اللَّهِ... غُفِرَ اللَّهُ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ»^(٣).

وَمِنْهَا: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ (يَسِّ)، وَمَنْ قَرَأَ (يَسِّ) كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ»^(٤).

وَمِنْهَا: «إِنَّ فِي الْقُرْآنِ سُورَةً تَشْفَعُ لِقَارِئِهَا، وَتَغْفِرُ لِمُسْتَمْعِهَا، أَلَا وَهِيَ سُورَةُ (يَسِّ)، تَدْعِي فِي التَّوْرَةِ: الْمُعَمَّمَةَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَمَا الْمُعَمَّمَةُ؟ قَالَ: «تَعَمُّ صَاحِبِهَا بِخَيْرِ الدُّنْيَا، وَتَدْفَعُ عَنْهُ أَهْوَالَ الْآخِرَةِ، وَتَدْعِي أَيْضًا: الدَّافِعَةَ وَالْقَاضِيَةَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِهَا كُلَّ سُوءٍ، وَتَقْضِي لَهُ كُلَّ حَاجَةٍ»^(٥).

(١) رواه أبو داود (٣١٢١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩١٣)، وابن ماجه (١٤٤٨) عن سيدنا معقل بن يسار ؓ.

(٢) رواه أبو حفص ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٢٥٠) عن سيدنا أبي الدرداء ؓ.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٥٧٤) من حديث جندب ؓ.

(٤) رواه الترمذي (٢٨٨٧) عن سيدنا أنس بن مالك ؓ.

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٣٧) من حديث سيدنا أبي بكر الصديق ؓ.

حاشية الصاوي

ومنها: «مَنْ قرأ (يس) حين يصبح.. أُعْطِيَ يُسْرَ يومه حَتَّى يمسي، وَمَنْ قرأها في صدر لَيْلِهِ.. أُعْطِيَ يُسْرَ ليلته حَتَّى يصبح»^(١).

ومنها: عن أبي جعفر: مَنْ وجد في قلبه قسوة.. فليكتب سورة (يس) في جام - أي: إناء - بزعفران ثم يشربه.

ومنها: «من قرأ سورة (يس) ليلة الجمعة.. أصبح مغفوراً له»^(٢).

ومنها «من دخل المقبرة فقرأ سورة (يس).. خُفِّفَ العذاب عن أهلها ذلك اليوم، وكان له بعدد مَنْ فيها حسنات».

ومنها: عن يحيى بن أبي كثير: بلغني أَنَّ مَنْ قرأ سورة (يس) ليلاً.. لم يزل في فرح حتى يصبح، ومن قرأها حين يُصبح.. لم يزل في فرح حتى يمسي، وقد حَدَّثني بها مَنْ جَرَّبَهَا.

ومنها: «إِنَّ لكلَّ شيءٍ قلباً، وقلب القرآن (يس)؛ مَنْ قرأها يريد بها وجه الله.. غفر الله له، وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن عشر مرَّات، وأيّما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة (يس).. نزل بكلِّ حرفٍ منها عشرة أملاكٍ يقومون بين يديه صفوفًا، يصلُّون عليه، ويستغفرون له، ويشهدون غسله، ويتَّبِعون جنازته، ويُصلُّون عليه، ويشهدون دفنه، وأيّما مسلم قرأ سورة (يس) وهو في سكرات الموت.. لم يقبض ملكُ الموت روحَهُ حَتَّى يجيئه رضوانٌ بشربةٍ من الجنة، فيشربها وهو على فراشه، فيقبض روحَهُ وهو رَيَّان، ويمكث في قبره وهو رَيَّان، ولا يحتاج إلى حَوْضٍ من حياض الأنبياء حَتَّى يدخل الجنة وهو رَيَّان»^(٣).

ومنها: «يس لما قُرئت له»^(٤).

وحكمة اختيار الصالحين في استعمالها التكرارَ كأربع أو سبع أو أحد وأربعين أو غير ذلك:

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٣٤٦٢) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنه، وفي (ط ٢): (ليلته) بدل (ليله).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «من قرأ ليلة الجمعة (حم الدخان) و(يس).. أصبح مغفوراً له».

(٣) رواه الشهاب القضاعي في «مسنده» (١٣٠/٢) عن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، وفيه: (كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة) بدل (كأنما قرأ القرآن عشر مرات).

(٤) قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٧٤١): (لا أصل له بهذا اللفظ).

﴿يَسَّ﴾ (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسَّ﴾ (١) الله أعلم بمراده به.

(٢ - ٤) ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾: الْمُحْكَمِ بَعَجِبِ النَّظْمِ وَبَدِيعِ الْمَعَانِي، ﴿إِنَّكَ﴾
يا مُحَمَّدٌ ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢) عَلَى ﴿ - مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ -
حاشية الصاوي

شَدَّةُ الْحِجَابِ وَالْغَفْلَةُ عَلَى الْقَلْبِ، فَبِالتَّكْرَارِ تَصْفُو مَرَاتِهِ، وَتَرْقُ طَبِيعَتُهُ وَإِنْ كَانَ الْفَضْلُ الْمَذْكُورُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى تَكَرُّرٍ كَمَا يَشْهَدُ لَهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ.

قوله: ﴿يَسَّ﴾ (١) القراء السبعة على تسكين النون بإدغامها في الواو بعدها، أو بإظهارها، وقرئ شذوذاً بضم النون، أو فتحها، أو كسرهما؛ فالأول: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هذه، ومُنْعٍ من الصرف للعلمية والتأنيث، والثاني: إما على البناء على الفتح تخفيفاً ك: أين وكيف، أو مفعول به لفعل محذوف تقديره: أتل، أو مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف، والثالث: مبني على الكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين^(١).

قوله: (الله أعلم بمراده) هذا أحد أقوال في تفسير الحروف المقطعة ك: (حم)، و(طس)، وتقدم: أن هذا القول أسلم، وقيل: معناه: يا إنسان، وأصله: يا أنيسين فاقصر على شطره؛ لكثرة النداء به، وقيل: هو اسم لرسول الله ﷺ، وقيل: اسم للقرآن.

قوله: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ (٢) كلامٌ مستأنفٌ لا محلَّ له من الإعراب، وهو قَسَمٌ، وجوابه قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

قوله: (المحكم) أي: المتقن الذي هو في أعلى طبقات البلاغة.

قوله: (متعلق بما قبله) أي: بـ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾، ويصح أن يكون خبراً ثانياً، كأنه قيل: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

(١) أظهر النون عند الواو بعدها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بخلاف عنه، وأدغمهما الباقون، وقرأ عيسى وابن أبي إسحاق بفتح النون، وقرأ الكلبي بضم النون، وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً وأبو السمال بكسر النون. انظر «الدر المصون» (٩/٢٤٤).

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾
لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ

﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره ردُّ لقول الكفار له: لست مُرسلاً.

﴿٥ - ٦﴾ ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه، ﴿الرَّحِيمِ﴾ بخلقه، - خبر مبتدأ مُقدَّر أي: القرآن - ﴿لِنُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ - متعلق بـ ﴿تَنْزِيلَ﴾ - ﴿مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ﴾ أي: لم يُنذروا في زمن الفترة، ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿غَافِلُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

﴿٧﴾ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾: وجب

حاشية الصاوي

قوله: (أي: طريق الأنبياء قبلك) أي: وقولهم: إنَّ شرع رسول الله ﷺ ناسخ لجميع الشرائع.. فهو باعتبار الفروع، وأما الأصول.. فالكلُّ مُستوون فيها، ولا يتعلق بها نسخ، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا...﴾ [الشورى: ١٣] الآية، وقال تعالى: ﴿فِيَهْدِيهِمْ أَقْصَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قوله: (وغيره) أي: إنَّ، واللام، والجملة الاسمية.

قوله: (خبر مبتدأ مُقدَّر) هذا أحد وجهين في الآية، والآخر النصب على أنه مفعول لمحذوف؛ أي: امدح، أو مفعول مطلق لـ (نزل)، والقراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا﴾ أي: العرب وغيرهم.

قوله: (في زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب: ما بين إسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وبالنسبة لغيرهم: ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

قوله: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ مرتَّب على نفي الإنذار، وقوله: (أي: القوم) تفسير للضمير، ويصح أن يكون الضمير راجعاً للفريقين: هم، وآباؤهم.

قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أي: وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْيَتَةِ وَالتَّائِسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالرفع، والباقون بالنصب، وقرأ أبو حيوة واليزيدي وأبو جعفر وشيبة بالجر على النعت للقرآن، أو البدل منه. انظر «الدر المصون» (٢٤٦/٩).

عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا

﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ بِالْعَذَابِ، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَي: الْأَكْثَرُ. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ بِأَنْ تُضَمَّ إِلَيْهَا الْأَيْدِي؛ لِأَنَّ الْغُلَّ يَجْمَعُ الْيَدَ حَاشِيَةُ الصَّاوِي.

قوله: ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ (أي: أكثر المكلفين في كل زمن، فالأقل متحتم إيمانه، والأكثر متحتم كفره، وتقدم لنا في سورة (الأنعام): أَنَّ الْأَقْلَّ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ^(١)).

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تفريع على ما قبله، وأشار بذلك إلى أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْكَفَرَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ، فَمَنْ طَبَعَهُ عَلَى أَحَدِهِمَا.. فلا يستطيع التَّحَوُّلَ عَنْهُ، وإنما الأمر بالإيمان باعتبار التَّكْلِيفِ الظَّاهِرِيِّ، والنُّوعِ الْإِخْتِيَارِيِّ، ومن هنا قول بعض العارفين: [البسيط]

الْكُلُّ تَقْدِيرُ مَوْلَانَا وَتَأْسِيسُهُ فَاشْكُرْ لِمَنْ قَدْ وَجَبَ حَمْدُهُ وَتَقْدِيرُهُ

وَقُلْ لِقَلْبِكَ إِذَا كَثُرَتْ وَسَاوِيْسُهُ إِبْلِيسُ لَمَّا غَوَى مَنْ كَانَ إِبْلِيسُهُ^(٢)

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ قيل: نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين، وذلك: أن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخن رأسه بحجر، فلما رآه ذهب فرفع حجراً ليرميه، فلماً أوماً إليه.. رجعت يده إلى عنقه، والتصق الحجر بيديه، فلما عاد إلى أصحابه.. أخبرهم بما رأى، فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن المغيرة: أنا أرضخ رأسه، فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر، فأعمى الله بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرههم حتى نادوه، فقال الثالث: والله لأشدخن رأسه، ثم أخذ الحجر وانطلق، فرجع القهقري ينكص على عقبيه حتى خرَّ على قفاه مغشياً عليه، فقليل له: ما شأنك؟ قال: شأني عظيم، رأيت الرجل، فلماً دنوت منه.. فإذا فحلٌ يخطر بذنبيه، ما رأيت قطُّ فحلاً أعظم منه، حال بيني وبينه، فوالللات والعزى لو دنوت منه لأكلني، فأنزل الله تلك الآية^(٣).

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَرْفُوتُهُ كَمَا يَرْفُوتُ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَيْرًا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وانظر (٣٤٩/٢).

(٢) قوله: (إذا كثرت) كذا في (أ)، وفي (ط) (٢): (إذا زادت) ولو قال: (إذ زادت) لاستقام الوزن، ولا يخفى تسكين المتحرك للضرورة الشعرية.

(٣) انظر «زاد المسير» (٥١٨/٣)، و«الشفاء» للقاضي عياض (٣٥١/١).

فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

إلى العُنُقِ، ﴿فَهِيَ﴾ أي: الأيدي مَجْمُوعَةٌ ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جَمْعُ (ذَقْن) وهي مُجْتَمَعُ اللَّحْيَيْنِ، ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾: رَافِعُونَ رُؤُوسَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ خَفْضَهَا، وهذا تَمَثِيلٌ. والمُرَادُ أَنَّهُمْ لَا يُدْعِنُونَ لِلْإِيمَانِ وَلَا يَخْفِضُونَ رُؤُوسَهُمْ لَهُ.

﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا - بِفَتْحِ السَّيْنِ وَضَمِّهَا فِي الْمَوْضِعَيْنِ - ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾

حاشية الصاوي

وفيهما إشارة إلى ما يحصل لهم في نار جهنم من السلاسل والأغلال وعمى أبصارهم، وفيها أيضاً: استعارة تمثيلية؛ حيث شبه حالهم في امتناعهم من الهدى والإيمان بحال مَنْ غُلَّتْ يده في عُنقه، وعمى بصره؛ بجامع أَنَّ كلاً ممنوعٌ من الوصول إلى المقصود، فتحصل أن الآية دالةٌ على الأمور الثلاثة: سبب النزول، وما يحصل لهم في الآخرة، وتمثيل لمنعهم من الهدى.

قوله: (بأن تضمَّ إليها الأيدي) جعل المفسر هذا توطئةً لإرجاع الضمير للأيدي في قوله: ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾، كأنه قال: الأيدي وإن لم يتقدم لها ذكرٌ صراحة فهي مذكورةٌ ضمناً في قوله: (الأغلال)؛ لأنَّ الغُلَّ يدلُّ عليها.

قوله: (مجموعة) قدره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ متعلقٌ بمحذوف، ولو قدره (مرفوعة) .. لكان أظهر، وذلك أَنَّ اليد تُرْفَعُ تحت الذَّقْنِ وَيُلْبَسُ الغُلُّ في العنق بضمِّ اليد إليه تحت الذَّقْنِ، فحينئذٍ لا يستطيعون خفضَ رأسٍ ولا التفاتاً.

قوله: (وهذا تمثيل) أي: استعارةٌ تمثيليةٌ للمعنى المذكور، وفيه إشارةٌ إلى سبب النزول، وإلى ما يحصل لهم في الآخرة كما علمت.

قوله: (بضمِّ السَّيْنِ وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ هو بالغين المعجمة في قراءة العامة؛ أي: غَطَّيْنَا أَبْصَارَهُمْ، وقرئ شذوذاً

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بفتح السين في الموضعين، وهو لغة فيه، والباقون بالضم. انظر «السراج المنير» (٣/٣٣٩).

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ

تمثيل أيضاً لِسَدِّ طُرُقِ الْإِيمَانِ عَلَيْهِمْ.

(١٠ - ١١) ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا وَتَسْهِيلِهَا، وَإِدْخَالِ أَلِفٍ بَيْنَ الْمُسْهَلَةِ وَالْأُخْرَى وَتَرْكِه - ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴿يَنْفَعُ إِنْذَارُكَ﴾ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ: الْقُرْآنَ

حاشية الصاوي

بالعين المهملة من: العشى، وهو: عدم الإبصار ليلاً، والمعنى: أضعفنا أبصارهم عن الهدى كعين الأعمى^(١).

قوله: (تمثيل) أي: استعارة تمثيلية؛ حيث شبه حالهم في سدِّ طرق الإيمان عليهم ومنعهم منه بحال مَنْ سُدَّتْ عليه الطرق وأخذ بصره؛ بجامع أن كلاً لا يهتدي لمقصوده.

قوله: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾... إلخ) هذا نتيجة ما قبله، وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بيان للاستواء، والمعنى: إنذارك وعدمه سواء في عدم إيمانهم، وهو تسليّة له ﷺ، وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتها.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: مع إدخال ألف بينهما وتركه، فالقراءات خمس لا أربع كما توهمه عبارته، فالتخفيف فيه قراءتان، والتسهيل كذلك، والإبدال فيه قراءة واحدة، وهي سبعيات^(٢).

قوله: (ينفع إنذارك) جوابٌ عمّا يقال: إن ظاهر الآية يقتضي أن رسالته ﷺ غيرُ عامّة، بل هي لقوم مخصوصين، وهم ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾، ويخالف قوله سابقاً: ﴿لِئُنذِرَ قَوْمًا...﴾ إلخ، فأجاب المفسّر عن ذلك: بأن محطّ الحصر الإنذار النافع؛ فلا يُنافي وجود غيره لمن لم ينتفع به.

(١) وبها قرأ ابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن وابن يعمر وأبو رجاء في آخرين. انظر «الدر المصون» (٩/٢٤٩).

(٢) قرأ قالون وأبو عمرو وأبو جعفر بتسهيل الهمزة الثانية بينها وبين الألف مع إدخال ألف بينهما، وقرأ ابن كثير ورويس بتسهيل الثانية من غير إدخال، ولورش وجهان: الأول مثل المكي ورويس، والثاني إبدالها ألفاً، وحينئذ يلتقي ساكنان هذه الألف والنون التي بعدها فيمد مدّاً مُشَبَّعاً بقدر ثلاث ألفات، ولهشام وجهان كذلك، وهما التحقيق والتسهيل مع الإدخال في كل منهما، وقرأ الباقون بالتحقيق بدون إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٠).

وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾: خافه ولم يره، ﴿فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

﴿١٢﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ﴾ لِلْبَعْثِ ﴿وَنَكْتُبُ﴾ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ فِي حَيَاتِهِمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ لِيُجَازَوْا عَلَيْهِ، ﴿وَأَثَرَهُمْ﴾: مَا اسْتُنَّ بِهِ بَعْدَهُمْ، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ - نَصَبُهُ بِفَعْلٍ يُفْسَرُهُ - ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾: ضَبَطْنَاهُ ﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾: كِتَابٍ بَيِّنٍ هُوَ اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ يصح أن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول، وتقدم نظيره.

قوله: ﴿فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾... إلخ) تفریع على ما قبله؛ إشارة لبيان عاقبة أمرهم.

قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ﴾ أي: نبعثهم في الآخرة للمجازاة على أعمالهم.

قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾) إن قلت: إن الكتابة متقدمة قبل الإحياء؛ إذ هي في الدنيا، والإحياء يكون في الآخرة.

أجيب: بأنه قدّم الإحياء اعتناءً بشأنه؛ إذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة.

قوله: (في اللوح المحفوظ) المناسب أن يقول: (في صحف الملائكة)؛ لأنّ الكتابة التي تكون

في حياة العباد إنما هي في صحف الملائكة، وأمّا اللوح فقد كُتِبَ فيه ذلك قبل وجود الخلق.

قوله: (ما استُنَّ به بعدهم) أي: من خير؛ كعلم علموه، أو كتاب صنفوه، أو نخل غرسوه،

أو وقف حبسوه أو غير ذلك، أو شر؛ كمكس رتبوه، أو ضلالة أحدثوها أو غير ذلك؛ لما

في الحديث: «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ.. كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ

غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً.. كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ

بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ وَزْرِهَا شَيْءٌ»^(١).

قوله: (نصبه بفعل يفسره... إلخ) أي: فهو من باب الاشتغال.

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٧) عن سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه.

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَبَ الْقَرْيَةِ

﴿١٣﴾ وَأَضْرَبَ: اجْعَلْ ﴿لَهُمْ مَثَلًا﴾ - مَفْعُولُ أَوَّلٍ - ﴿أَصْحَبَ﴾ - مَفْعُولُ ثَانٍ -
 ﴿الْقَرْيَةِ﴾: أَنْطَاكِيَّةُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ أن يضرب لقومه مثلاً لعلهم يتعظون فيؤمنون.

قوله: ﴿أَصْحَبَ﴾ مفعول ثانٍ الأوضح أن يجعله مفعولاً أول.

قوله: (أنطاكية) بالفتح والكسر، وسكون النون، وكسر الكاف، وتخفيف الياء المفتوحة، وهي مدينة بأرض الروم، ذات سور عظيم من صخر، وهي بين خمسة جبال، دورها اثنا عشر ميلاً. وحاصل تلك القصة: أن عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين إلى أهل أنطاكية، اسم أحدهما صادق، والثاني مصدوق، فلما قربا من المدينة.. رأيا شيخاً يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار صاحب (يس)، فسَلَّما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قالوا: نعم نَشْفِي المريض، ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وذلك كرامة لهما، ومعجزة لنييَّهما؛ لأنه لما أرسلهما أيدهما بمعجزته، قال الشيخ: إنَّ لي ابناً مريضاً منذ سنين، قالوا: فانطلق بنا ننظر حاله، فأتى بهما، فمسحاه ابنه، فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحاً، ففَشَا الخبر في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان لهم ملكٌ يعبد الأصنام اسمه أنطيوخا، فدعا بهما وقال: من أنتما؟ قالوا: رسولا عيسى عليه السلام، قال: وفيم جئتما؟ قالوا: ندعوك من عبادة مَنْ لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة مَنْ يسمع ويبصر، فقال: وهل لنا إلهٌ دون آلهتنا؟ قالوا: نعم، الذي أوجدك وآلهتك، قال لهما: قوما حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس، فأخذوهما وجلدوا كلَّ واحد منهما مئة جلدة، ووضعوهما في السجن.

فلما كُذِّبَا وضُرِبَا.. بعث عيسى عليه السلام رأسَ الحواريين شمعون الصفيَّ على أثرهما ليُبَصِّرهما، فدخل شمعون البلد متنگراً، فجعل يُعَاشِر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته، فقال للملك ذات يوم: بلغني أنك حبستَ رجلين في السجن وضربتَهما حين دعواك إلى غير دينك؛ فهل كلَّمتَهما وسمعتَ قولهما؟ فقال: حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فلإني أرى أيُّها الملك أن تدعُوهُما حتى تَظْلُعَ على ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال شمعون: مَنْ أرسلكما إلى ههنا؟ قالوا: الله الذي خلق كلَّ شيءٍ وليس له

إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾

﴿إِذْ جَاءَهَا﴾ إلى آخره بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ ﴿أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ﴾ ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: رُسُلُ عِيسَى.

حاشية الصاوي

شريك، فقال شمعون: فَصِفْهُ وَأَوْجِزْ، قالا: إنه يفعل ما يشاء، وَيَحْكُم ما يريد، فقال شمعون: وما آيتكما؟ قالا: ما تتمناه، فأمر الملك حتى جاؤوا بسلام مطموس العينين، وموضع عينيه كالجبهة، فما زالا يدعوان ربَّهما حتى انشَقَّ موضع البصر، فأخذا بندقيتين من طين، فوضعاهما في حدقتيه، فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجَّب الملك، فقال شمعون للملك: إن أنت سألت آلهتك حتى يضعوا مثل هذا.. كان لك الشرف ولآلهتك، فقال له الملك: ليس لي عنك سرٌّ مكتوم؛ فإنَّ إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر، ولا يضُرُّ ولا ينفع.

وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويُصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه من ملَّتْهم، فقال الملك للرسولين: إن قَدَّرَ إلهكما الذي تعبده أن على إحياء ميِّت.. آمناً به وبكما، قالا: إلهنا قادرٌ على كلِّ شيء، فقال الملك: إنَّ ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام، وهو ابن دهقان، وأنا آخرته، فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائباً، وقد تغيَّر، فجعلنا يدعوان ربَّهما علانية وشمعون يدعو ربَّه سرّاً، فقام الميت وقال: إني ميِّت منذ سبعة أيام، وكنت مشركاً، فأدخلتُ في سبعة أودية من النار، وأنا أحذرکم ما أنتم عليه، فآمنوا بالله، ثمَّ قال: فتحت أبواب السماء، فنظرت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة: شمعون وهذين، وأشار بيده إلى صاحبيه، وأنا أشهد أن لا إله الله، وأن عيسى روح الله وكلمته، فعجب الملك من ذلك، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك.. أخبره بالحال، وأنه رسول عيسى، ودعاه، فأمن الملك، وأمن معه قومٌ، وكفر آخرون. وقيل: بل كفر الملك، وأجمع على قتل الرسل هو وقومه، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة، فجاء يسعى إليهم ويدعوهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين^(١).

قوله: (إلى آخره) أي: آخر القصة، وهو قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

قوله: ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ جمع باعتبار الثالث.

قوله: (أي: رسل عيسى) هذا هو المشهور، وقيل: إنهم رسلٌ من الله من غير واسطة عيسى، أرسلوا إلى أصحاب هذه القرية.

(١) انظر القصة كاملة في «تفسير الخازن» (٤/٤٠٥).

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا نَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُمُ
 ﴿١٨﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُمُ : تَشَاءُ مِنَّا ﴿١٩﴾

(١٤ - ١٧) ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ﴾ الأولى إلى آخره، ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ - بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -: قَوَّيْنَا الْاِثْنَيْنِ ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ : مَا ﴿أَنْتُمْ إِلَّا نَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ ﴿جَارٍ مَجْرَى الْقَسَمِ، وَزَيْدُ التَّأَكِيدِ بِهِ وَبِالْإِلَامِ عَلَى مَا قَبْلَهُ لِيُزِيدَ الْإِنْكَارَ فِي﴾ ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ : التَّبْلِيغُ الْمُبِينُ الظَّاهِرُ بِالْأَدِلَّةِ الواضحة، وهي إِبْرَاءُ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَالْمَرِيضِ، وَإِحْيَاءُ الْمَيِّتِ.

﴿١٨﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُمُ : تَشَاءُ مِنَّا ﴿١٩﴾

حاشية الصاوي

قوله : (بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ﴾ الأولى) أي : بَدَلُ مَفْصَلٍ مِنْ مَجْمَلٍ .

قوله : (بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أي : فهُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١) .

قوله : ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ أَكَّدُوا كَلَامَهُمْ بِ(إِنْ) ؛ لِتَقْدَمَ الْإِنْكَارُ بِتَكْذِيبِ الْاِثْنَيْنِ، وَتَكْذِيبُهُمَا تَكْذِيبٌ لِلثَّالِثِ ؛ لِاتِّحَادِ مَقَالَتِهِمْ .

قوله : ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي : فَلَا مَزِيَّةَ لَكُمْ عَلَيْنَا .

قوله : (جَارٍ مَجْرَى الْقَسَمِ) أي : فَيُؤَكِّدُ بِهِ كَالْقَسَمِ، وَيَجَابُ بِمَا يَجَابُ بِهِ الْقَسَمُ^(٢) .

قوله : (لِيُزِيدَ الْإِنْكَارَ) أي : حَيْثُ تَعَدَّدَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

قوله : (وَهِيَ إِبْرَاءُ الْأَكْمَةِ) أي : الْأَعْمَى .

قوله : ﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُمُ﴾ التَّطْيِيرُ : التَّفَاوُلُ، سَمِّيَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَفَاءَلُونَ بِالطَّيْرِ إِذَا أَرَادُوا سَفَرًا أَوْ غَيْرَهُ، فَإِنْ ذَهَبَ مَيِّمَةً .. قَالُوا : خَيْرٌ، وَإِنْ ذَهَبَ مَيْسَرَةً .. قَالُوا : شَرٌّ .

(١) قرأ شعبة بتخفيف الزاي الأولى، والباقون بتشديدها . انظر «السراج المنير» (٣/ ٣٤١) .

(٢) وذلك لإفادتها التحقيق، كقول الشاعر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَاتَيْنِ مَزِيَّتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطْيِشُ بِهَا مُهَامُهَا

لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَزْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

لَا نَقْطَعُ الْمَطَرَ عَنَّا بِسَبَبِكُمْ، ﴿أَيْنَ﴾ - لَام قَسَم - ﴿لَمْ تَنْتَهُوا لَنَزْجِمَنَّكُمْ﴾ بِالْحِجَارَةِ، ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ : مُؤْلِم.

﴿١٩﴾ ﴿قَالُوا طَائِرُكُم﴾ : شَوْكُمْ ﴿مَّعَكُمْ﴾ بِكُفْرِكُمْ، ﴿أَيْنَ﴾ - هَمْزَةُ اسْتِفْهَام دَخَلَتْ عَلَى (إِنْ) الشَّرْطِيَّة، وَفِي هَمْزَتِهَا التَّحْقِيقُ وَالتَّسْهِيلُ وَإِدْخَالُ أَلْفٍ بَيْنَهَا بِوَجْهِهَا وَبَيْنَ الْأُخْرَى - ﴿ذُكِّرْتُمْ﴾ وَعِظْتُمْ وَخُوفْتُمْ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ أَي : تَطَيَّرْتُمْ وَكَفَرْتُمْ، وَهُوَ مَحَلُّ الِاسْتِفْهَام، وَالْمُرَادُ بِهِ التَّوْبِيخُ، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله : (لأنقطاع المطر عنا بسببكم) قيل : حُسِرَ عنهم المطر ثلاث سنين، فقالوا : هذا يشؤمكم.

قوله : (لام قسم) أي : وقد حثوا فيه ؛ لأنَّ الله أهلكهم قبل أن يفعلوا بهم ما حلفوا عليه.

قوله : (بكفركم) الباء : سببية ؛ أي : طائرُكم حاصلٌ معكم بسبب كفركم وعنادكم.

قوله : (وإدخال ألف) أي : وتركه، فالقراءات أربع سبعيات^(١).

قوله : (وجواب الشرط محذوف) أي : على القاعدة، وهي أنه إذا اجتمع استفهام وشرط .. أتى

بجواب الاستفهام، وحذف جواب الشرط، وهو مذهب سيويه، وعند يونس بالعكس^(٢).

قوله : (وهو محل الاستفهام) أي : هو المستفهم عنه، والمعنى : لا ينبغي ولا يليق بكم التطاير

والكفر حيث وعظتكم، بل آمنوا وانقادوا.

قوله : ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ إضرابٌ عمّا تقتضيه الشرطية من كون التذكير سبباً للشؤم ؛

أي : ليس الأمر كذلك، بل أنتم قومٌ عادتكم الإسرافُ في العصيان، فشؤمكم لذلك.

(١) قرأ أبو جعفر بفتح الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها وبين الأولى على أصله، والباقون بكسرهما، وكلٌّ على أصله في التسهيل وغيره؛ فقالون وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وورش والمكي ورويس بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالتحقيق مع الإدخال وتركه، والباقون بالتحقيق من غير إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (٢٦٥).

(٢) فالتقدير عند سيويه : (أئن ذكرتم تطيرون)، وعند يونس : (تطيروا) مجزوماً. «فتوحات» (٥٣٣/٣) عن العلامة الكرخي.

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا

مُتَجَاوِزُونَ الْحَدَّ بِشِرْكِكُمْ .

(٢٠ - ٢١) ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو حَبِيبُ النَّجَّارِ، كان قد آمَنَ بِالرُّسُلِ، وَمَنْزِلُهُ بِأَقْصَى الْبَلَدِ، ﴿يَسْعَى﴾ يَشْتَدُّ عَدُوًّا لَمَّا سَمِعَ بِتَكْذِيبِ الْقَوْمِ الرُّسُلَ، ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ أَتَّبِعُوا - تَأْكِيدٌ لِلأَوَّلِ -
 حاشية الصاوي

قوله: (متجاوزون الحدَّ بشرككم) رجموا حبيباً النجار، وأهلكهم الله كما يأتي.

قوله: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ هي أنطاكية المعبر عنها أولاً بـ(القرية)، وعبر عنها بـ(المدينة) إشارة إلى عظمها وكبرها.

قوله: (هو حبيب النجار) أي: ابن إسرائيل، كان يصنع لهم الأصنام، وهو ممن آمن بالنبى ﷺ قبل وجوده؛ كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما.

وفي الحقيقة: كلُّ نبيٍّ آمن بالنبى ﷺ قبل ظهوره بمصدق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...﴾ [آل عمران: ٨١] الآية، وهذا من خصوصياته ﷺ، وأما غيره من الأنبياء... فلم يؤمن به أحدٌ إلا بعد ظهوره.

قوله: (كان قد آمن بالرسول) أي: رسل عيسى، وسبب إيمانه: ما تقدّم من شفاء ولده المريض، وقيل: إنه هو كان مجذوماً، وعبد الأصنام سبعين سنة؛ لكشف ضرّه فلم يكشف، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله... قال لهم: هل من آية؟ قالوا له: ندعو ربنا القادر يُفَرِّجَ عنك ما بك، فقال: إنَّ هذا عجيب! قد عبدتُ هذه الأصنام سبعين سنة فلم تستطع تفريجه، فهل يستطيع ربكم تفريجه في غداة واحدة؟! قالوا: نعم، ربنا على كل شيء قدير، فدعوا ربهم، فكشف ما به، فأمن.

قوله: (يشتدُّ عدوًّا) أي: يُسرِع في مشيئه؛ حرصاً على نصح قومه والدفع عن الرسل.

قوله: (تأكيد للأول) أي: تأكيد لفظي، فلفظ ﴿أَتَّبِعُوا﴾ الثاني تأكيد للفظ ﴿أَتَّبِعُوا﴾ الأول؛ من توكيد الفعل بالفعل.

مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا

﴿مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا﴾ على رسالته، ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، فقيل له: أنت على دينهم، فقال: ﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلّقي، أي: لا مانع لي من عبادته المَوْجُودِ مُقْتَضِيهَا وأنتم كذلك، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فيُجَازِيكُمْ بِكُفْرِكُمْ. (٢٣ - ٢٥) ﴿أَأَتَّخِذُ﴾ - في الهمزتين منه ما تقدّم في ﴿أَنذَرْتَهُمْ﴾، وهو استفهامٌ بِمَعْنَى النّفي - ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَهًا﴾: أصناماً

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا﴾ بدل من ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾^(١)، والمعنى: اتَّبِعُوا الصّادِقِينَ الْمَخْلُصِينَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا مِنْكُمْ الْعَرَضَ الْفَانِي؛ إذ لو كانوا غير مخلصين.. لَطَلَبُوا مِنْكُمْ الْمَالَ، ونازعوكم على الرئاسة.

قوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الجملة حالّة، وهو تعريضٌ لهم بالاتباع؛ أي: فاهتدوا أنتم تبعاً لهم. قوله: (أنت على دينهم؟) فيه حذف همزة الاستفهام.

قوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ تَلَطَّفٌ فِي إرشادهم، وفيه نوعٌ تقريع على ترك عبادة خالقهم، والأحسن: أن في الآية احتباكاً؛ حيث حذف من الأول نظير ما أثبتته في الآخر، والأصل: وما لي لا أعبد الذي فطرني وفطرهم، وإليه ترجعون وأرجع. قوله: (الموجود مقتضيتها) أي: وهو كونُ الله فطره وخلقه.

قوله: (في الهمزتين منه ما تقدّم) أي: من القراءات الأربع، وتقدّم أنها خمسة: التحقيق، وتسهيل الثانية بألف، ودونها، وإبدال الثانية ألفاً، وهي سبعيات^(٢).

قوله: (وهو استفهام بمعنى النفي) أي: وهو إنكاري.

قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ يصح أن يكون مفعولاً ثانياً مقدّماً لـ (اتخذوا)^(٣) على أنها متعدية لاثنيين،

(١) والجمهور لا يُعربون ما صُرِّح فيه بالعامل الرافع والناصب بدلاً، بل يجعلون ذلك مخصوصاً بحرف الجر، وإذا كان الرافع والناصب.. سمّوا ذلك بالتابع لا بالبدل. انظر «البحر المحيط» (٧/٣١٥)، وكأنه يريد التوكيد اللفظي بالنسبة إلى العامل، ومرّ مثله في سورة (الشعراء) عند قوله تعالى: ﴿أَتَذَكَّرُ بِأَنْتَ وَنَبِيِّنَ﴾.

(٢) تقدّمت (٤٤٣/٥).

(٣) كذا في الأصول، والصواب مراعاةً لسياق الآية: (له) (أأخذ).

إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بَصِيرَ لَا تُغْنِي عَنْ شَفَعَتِهِمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾

﴿إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بَصِيرَ لَا تُغْنِي عَنْ شَفَعَتِهِمْ﴾ التي زَعَمْتُمُوهَا ﴿شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ﴾ - صفة ﴿ءَالِهَةٍ﴾ - ، ﴿إِنِّي إِذَا﴾ أي : إِنْ عَبَدْتُ غَيْرَ اللَّهِ ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ : بَيِّن . ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ أي : اسمعوا قولي ، فَرَجَمُوهُ فَمَاتَ .

حاشية الصاوي

﴿ءَالِهَةٍ﴾ : مفعول أول مؤخر ، ويصح أن يكون حالاً من ﴿ءَالِهَةٍ﴾ ، أو متعلقاً به (اتخذوا) على أنها متعدية لواحد .

قوله : ﴿لَا تُغْنِي عَنْ شَفَعَتِهِمْ﴾ أي : لَا تَنْفَعُنِي شَفَاعَتُهُمْ ، فهو من : الغناء - بالفتح - وهو النفع ، ومنه قول البوصيري^(١) : [الخفيف]

قُلْنَ : مَا لِيَتِيمٍ عَنَّا غَنَاءُ

قوله : (صفة ﴿ءَالِهَةٍ﴾) أي : جملة (إِنْ يَرَدِّنِ الرَّحْمَنُ ... إلخ) ، فهي في محل نصب ، والأوضح أن تكون مستأنفة سقت لتعليل النفي المذكور ؛ لأن جعلها صفة يوهم أَنَّ هناك آلهة ليست كذلك .

قوله : (إِنْ عَبَدْتُ غَيْرَ اللَّهِ) أشار بذلك إلى أَنَّ التنوين عوضٌ عن جملة .

قوله : ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢) أي : لثبوت الأدلة على بطلان ذلك .

قوله : ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ بكسر النون في قراءة العامة ، وهي نون الوقاية ، حُذفت بعدها ياء الإضافة ، وقرئ شذوذاً بفتحها ، ولا وجه له في العربية ؛ لأنَّ فعل الأمر يُبنى على حذف النون^(٣) .

قوله : (أي : اسمعوا قولي) أي : ما قُلْتُهُ لَكُمْ ، وهو ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ... إلخ

قوله : (فرجموه فمات) أي : وهو يقول : اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي ، وقيل : حرِّقوه وجعلوه في سور المدينة ، وقبره في سور أنطاكية ، وقيل : نَشَرُوهُ بِالْمَنْشَارِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ رَجُلَيْهِ ؛ فَوَاللَّهِ مَا خَرَجَتْ رُوحُهُ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ ، وفي رواية : أَنَّهُمْ قَتَلُوا مَعَهُ الرِّسْلَ الثَّلَاثَةَ ، وَوَضَعُوهُمْ فِي بَثْرٍ وَهِيَ الرَّسْ .

(١) في «همزيته» ، وصدره كما في «المنح المكية» (ص ١٣٦) :

إِذْ أَبَيْتُ لِيُثْمِرَ مُرْضِعَاتُ

(٢) كذا في الأصول ، وسياق الآية : ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .

(٣) وبها قرأ عصمة عن عاصم ، وليست هذه إلا غلطاً على عاصم ؛ إذ لا وجه . انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٥٦) .

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾

(٢٦ - ٢٧) ﴿قِيلَ﴾ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وَقِيلَ: دَخَلَهَا حَيًّا، ﴿قَالَ يَا﴾ - حُرْفُ تَنْبِيهِ - ﴿لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾: بِغُفْرَانِهِ، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾. ﴿٢٨﴾ ﴿وَمَا﴾ - نَافِيَةٌ - ﴿أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾: أَي: حَبِيب ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بَعْدَ مَوْتِهِ ﴿مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أَي: مَلَائِكَةٌ لِإِهْلَاكِهِمْ، ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾: مَلَائِكَةٌ لِإِهْلَاكِ أَحَدٍ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قِيلَ﴾ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ) هذا أحد أقوال ثلاث، اقتصر المفسر على اثنين منهما، والثالث: أَنَّ هذا القول كناية عن البشـرى بأنه يدخل الجنة.

قوله: (وقيل: دخلها حيًّا) أي: فحين همُّوا بقتله رفعه الله من بينهم وأدخله الجنة حيًّا؛ إكراماً له، كما وقع لعيسى أنه رفع إلى السماء.

قوله: ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي﴾) أي: وهم الذين نصَّحهم أولاً، فقد نصَّحهم حيًّا وميتاً. قوله: (بغفرانه) أشار بذلك إلى أن (ما) مصدرية، ويصح أن تكون موصولةً والعائد محذوف؛ أي: بالذي غفره لي، ويصح أن تكون استفهامية؛ أي: بأي شيء غفر لي؟ أي: بأمرٍ عظيم، وهو توحيدِي وصَدْعِي بالحق.

قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾... إلخ) أي: هذا تحقيرٌ لهم، وتصغيرٌ لشأنهم، والمعنى: لم نحتاج في إهلاكهم إلى إرسال جنود من الملائكة، بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلاً، وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾) أي: لم يكن شأننا وعادتنا إرسال جنود لإهلاك أحدٍ من الأمم قبلهم، بل إذا أردنا إهلاكاً عاماً.. يكون بغير الملائكة بصيحة أو رجفة أو غير ذلك.

إن قلت: إن الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر مع النبي ﷺ وأصحابه.

أجيب: بأنَّ إنزالهم تكرمةً للنبي وأصحابه، لا لإهلاكٍ عامٍّ، وقيل: نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته ﷺ.

قوله: (بعد موته) أي: أو بعد رفعه حيًّا على القول الآخر.

قوله: (لإهلاك أحد) أي: من الأمم السابقة.

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَكِيمُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ

﴿٢٩﴾ : {إِنْ} : ما {كَانَتْ} عُقُوبَتُهُمْ {إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً} صَاحَ بِهِمْ جَبْرِيلُ، {فَإِذَا هُمْ خَكِيمُونَ} : سَاكِنُونَ مَيِّتُونَ.

﴿٣٠﴾ {يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ} هَؤُلَاءِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ فَأَهْلِكُوا، وَهِيَ شِدَّةُ التَّأْلَمِ، وَنِدَاؤُهَا مَجَازٌ، أَيُ: هَذَا أَوَانُكَ فَاحْضُرِي، {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} مَسُوقٌ لِبَيَانِ سَبَبِهَا لِاشْتِمَالِهِ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمُ الْمُؤَدِّي إِلَى إِهْلَاكِهِمُ الْمُسَبِّبُ عَنْهُ الْحَسْرَةُ.

﴿٣١﴾ {أَلَمْ يَرَوْا} أَيُ: أَهْلُ مَكَّةَ الْقَائِلُونَ لِلنَّبِيِّ: لَسْتَ مُرْسَلًا، - وَالْإِسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ - أَيُ: عَلِمُوا {كَمْ} - خَبَرِيَّةٌ بِمَعْنَى كَثِيرًا،

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (صاح بهم جبريل) أي: صاح عليهم.

قوله: (ميتون) أي: فشبُّهوا بالنار الخامدة؛ لانقطاع النفع في كل.

قوله: {يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ} يحتمل أن يكون من كلام الله، أو الملائكة، أو المؤمنين، والمراد بالعباد: جميع الكفار، ف(أل) للجنس، وقيل: المراد بالعباد: نفسُ الرسل، و(على) بمعنى (من)، والقائل ذلك الكفار، والتقدير: يا حسرة علينا من مخالفة العباد، والأوجه: الأول الذي مشى عليه المفسر.

قوله: {إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} الجملة حالية من مفعول {يَأْتِيهِمْ}.

قوله: (مسوق... إلخ) أي: فهو استئناف واقع في جواب سؤال مُقَدَّر، كأنه قيل: وما وجه التَّحَسُّرِ عليهم؟ فقيل: {مَا يَأْتِيهِمْ... إلخ}.

قوله: (لبيان سببها) أي: بواسطة؛ فإنَّ الاستهزاء سببٌ لإهلاكهم، وهو سببٌ للحسرة.

قوله: (لاشتماله) أي: دلالة.

قوله: {أَلَمْ يَرَوْا... إلخ} (رأى): علمية، و{كَمْ}: خبرية مفعول لـ {أَهْلَكْنَا} مقدَّم، و{قُلُوبَهُمْ}: ظرف لـ {أَهْلَكْنَا}، و{مِنَ الْقُرُونِ}: بيان لـ {كَمْ}.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: وهو حملُ المخاطب على الإقرار بما بعد النفي.

أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ

مَعْمُولَةٌ لِّمَا بَعْدَهَا، مُعَلِّقَةٌ لِّمَا قَبْلَهَا عَنِ الْعَمَلِ -، وَالْمَعْنَى: أَنَّا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ كَثِيرًا ﴿مِّنَ الْقُرُونِ﴾: الْأُمَمِ، ﴿أَنَّهُمْ﴾ أَي: الْمُهْلَكِينَ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أَي: الْمُكَذِّبِينَ ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أَفَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهِمْ؟ - وَ(أَنَّهُمْ...) إلخ بَدَلٌ مِّمَّا قَبْلَهُ بِرِعايَةِ الْمَعْنَى الْمَذْكُورِ -.

﴿٣٢﴾ (وَإِنْ) - نَافِيَةٌ أَوْ مُخَفِّفَةٌ -
 حاشية الصاوي

قوله: (معمولة لما بعدها) أي: وليست معمولة لـ ﴿يَرَوْنَ﴾؛ لأنَّ (كم) الخبرية لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها فيها.

قوله: (معلّقة ما قبلها عن العمل) إن قلت: إنَّ (كم) الخبرية لا تُعلّق، وإنما التعليق للاستفهامية، قال ابن مالك^(١): [الرجز]

وَإِنْ وَلَا لَامُ ابْتِدَاءٍ أَوْ قَسَمٌ كَذَا وَالِاسْتِفْهَامُ ذَا لَهُ انْحَتَمَ

أُجِيب: بأنَّ الخبرية أُجريت مجرى الاستفهامية في التعليق.

قوله: (والمعنى: أَنَّا أَهْلَكْنَا) أي: قد علموا ذلك.

قوله: (بدلٌ مما قبله) أي: بدل اشتمال؛ لأنَّ إهلاكهم مشتملٌ ومستلزمٌ لعدم رجوعهم، أو بدل كلٍّ من كلِّ بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل، كأنَّ إهلاكهم عدمٌ رجوعهم^(٢).

قوله: (برعاية المعنى المذكور) أي: وهو قوله: أَنَّا ﴿أَهْلَكْنَا...﴾ إلخ، والمعنى: قد علموا إهلاك كثير من القرون السابقة المشتمل على عدم عودهم إلى هؤلاء الباقين - وهم أهل مكة - فينبغي أن يعتبروا بهم.

قوله: (نافية) أي: و(لَمَّا) بالتشديد بمعنى (إلا)، وقوله: (أو مخففة) أي: مهملة، و(لَمَّا) بالتخفيف، واللام: فارقة.

قوله: (و «ما» زائدة) للتأكيد، فقد أغنَتْ عن الحصر المستفاد من قراءة التشديد، فتحصل أن مَنْ شَدَّدَ (لما) جعلها بمعنى (إلا)، و(إن) نافية، وهذا باتفاق البصريين والكوفيين، وَمَنْ خَفَّفَ (لما)

(١) «الخلاصة»، باب: (ظن وأخواتها).

(٢) وقد ذكر العلامة السمين الحلبي في إعرابها أوجهاً ستة، وفصل أقوال النحاة فيها في «الدر المصون» (٩/ ٢٦٠-٢٦٥).

كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ

﴿كُلُّ﴾ أي: كُلُّ الْخَلَائِقِ - مُبْتَدَأٌ - ﴿لَمَّا﴾ - بِالتَّشْدِيدِ بِمَعْنَى (إِلَّا)، أَوْ بِالتَّخْفِيفِ فَالْلَامُ
فَارِقَةٌ وَ(مَا) مَزِيدَةٌ - ﴿جَمِيعٌ﴾ - خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ - أي: مَجْمُوعُونَ، ﴿لَدَيْنَا﴾: عِنْدَنَا فِي الْمَوْقِفِ
بَعْدَ بَعْثِهِمْ، ﴿مُحْضَرُونَ﴾ لِلْحِسَابِ، - خَبَرٌ ثَانٍ ..

﴿٣٣﴾ ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمْ﴾ عَلَى الْبَعْثِ - خَبَرٌ مُقَدَّمٌ - ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -
﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بِالْمَاءِ - مُبْتَدَأٌ - ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كَالْحِنْطَةِ ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾: بَسَاتِينَ

حاشية الصاوي

فالبصريون على أن (إن) مخففة، واللام: فارقة، و(ما): زائدة، وجوّز الكوفيون جعل (لما) بمعنى
(إلا)، و(إن) نافية، والقراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أي: كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عوضٌ عن المضاف إليه.

قوله: (أي: مجموعون) دفع بذلك ما يتوهم من ذكر (كل) الاستغناء بها عن (الجميع)،
فأجاب: بأن (كل) أشير بها لاستغراق الأفراد، و(جميع) أشير بها لاجتماع الكل في مكانٍ واحدٍ
للحشر.

قوله: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمْ﴾ أي: علامة ظاهرة ودالة على الإحياء بعد الموت.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (مبتدأ) أخره بعد قوله: ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾؛ إشارة إلى أنه صفة لـ ﴿الْأَرْضِ﴾^(٣)، والصفة
مع الموصوف كالشيء الواحد.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ عطف على ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾.

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٣/٣٤٨).

(٢) شدّد الياء المدنيان، وخففها غيرهما. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٦٦).

(٣) وإنما صحّ وصفها وإن كانت معرفة بـ (أل)؛ لأنه تعريفٌ بـ (أل) الجنسية، فهي في قوة النكرة؛ كقوله:

ولقد أمرُ على اللثيم يسُبُّني

لأنه لم يقصد لثيماً بعينه. انظر «الدر المصون» (٩/٢٦٦).

مَنْ تَخِيلَ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾

﴿مَنْ تَخِيلَ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ أي: بعضها.

﴿٣٥﴾ ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ - بِفَتْحَتَيْنِ وَبِضْمَتَيْنِ - أي: ثَمَرِ الْمَذْكُورِ مِنَ النَّخِيلِ وَغَيْرِهِ، وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لَمْ تَعْمَلِ الثَّمَرَ، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أَنْعَمَهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَنْ تَخِيلَ﴾ هو والنخل بمعنى واحد، لكن النخل: اسم جمع، واحده: نخلة، يؤنث عند أهل الحجاز، ويذكر عند تميم ونجد، والنخيل: مؤنثة بلا خلاف. إذا علمت ذلك.. فقول المفسر فيما يأتي: (من النخيل وغيره) ليس بجيد، بل المناسب (وغيرها).

قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ بالتشديد في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بالتخفيف^(١).

قوله: (أي: بعضها) أشار بذلك إلى أَنَّ (مِنْ) تَبْعِيضِيَّةٌ، ويصح أن تكون زائدة.

قوله: (بفَتْحَتَيْنِ وَبِضْمَتَيْنِ) أي: فهما قراءتان سبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: (أي: ثمر المذكور) دفع بذلك ما يقال: إِنَّ الضمير عائد على شيئين، فحقه التثنية، فأجاب: بأنه أفرد باعتبار ما ذُكِرَ.

قوله: (أي: لَمْ تَعْمَلِ الثَّمَرَ) أشار بذلك إلى أَنَّ (مَا) نَافِيَّةٌ، والمعنى: أنه ليس لهم إيجاد شيء، بل الفاعل والمنبئ هو الله تعالى؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾، ويصح أن تكون مَوْصُولَةٌ؛ أي: ومن الذي عملته أيديكم، أو نكرة موصوفة، أو مصدرية؛ أي: ومن عمل أيديهم، وإثبات العمل للأيدي مِنْ حَيْثُ الْكَسْبُ.

قوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الهمزة داخله على محذوف، والتقدير: أَيْتَنَعَمُونَ بهذه النعم

فلا يشكرونها؟ أي: بحيث لا يصرفونها في مصارفها.

قوله: (أَنْعَمَهُ) جمع نعمة بالكسر، ونعماء بالمد والفتح.

(١) وبها قرأ جناح بن حبيش. انظر «الدر المصون» (٩/٢٦٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي برفع الثاء والميم، وهي لغة فيه، أو جمع ثمار، والباقون بفتحهما. انظر «السراج المنير»

سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٣٦﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ: الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من الحبوب وغيرها، ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ أي: تنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به.

قوله: ﴿الْأَصْنَافَ كُلَّهَا﴾ أي: فكل زوج صنف؛ لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال، والصغير والكبير، فاختلافها هو ازدواجها.

قوله: ﴿وَمِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ بيان لـ ﴿الْأَزْوَاجَ﴾، وكذا ما بعده، فتحصل أن هذه الأمور الثلاثة لا يخرج عنها شيء من أصناف المخلوقات.

قوله: (الغريبة) أي: كالتي في السماوات، والتي تحت الأرضين، وكل ما لم يكن مشاهداً لنا عادةً.

قوله: ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ لَيَلٌ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآيات ما يتضمن علم الميقات الذي يجب معرفته، وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير رحمته الله مقدمة لطيفة في هذا الشأن، كافية من اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى، وحاصلها بحروفها:

فائدة:

أسماء الشهور القبطية: توت، باب، هاتور، كيهك، طوبه، أمشير، برمها، برمودة، بشنس، بؤنه، أييب، مسرى^(١).

أسماء البروج: ميزان، عقرب، قوس، جدي، دلو، حوت، حمل، ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سنبله، ولا يدخل توت الذي هو أول السنة القبطية إلا بعد خمسة أيام أو ستة بعد مسرى، وتسمى أيام النسيء.

(١) أسماء الشهور في السنة القبطية، وأول شهورهم: توت، وهو أيلول بالسريانية، والثاني: باب، وهو تشرين الأول، والثالث: هاتور، وهو تشرين الثاني، والرابع: كيهك، وهو كانون الأول، والخامس: طوبه، وهو كانون الآخر، والسادس: أمشير، وهو شباط، والسابع: برمها، وهو آذار، والثامن: برمودة، وهو نيسان، والتاسع: بشنس، وهو أيار، والعاشر: بؤنه، وهو حزيران، والحادي عشر: أييب، وهو تموز، والثاني عشر: مسرى، وهو آب. انظر «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٣٨/١).

حاشية الصاوي

وفصول السنة أربعة: فصل الخريف، وفصل الشتاء، وفصل الربيع، وفصل الصيف، وأوّل فصل الخريف انتقالُ الشمس إلى برج الميزان، وذلك في نصف (توت)، وفي تلك الليلة يستوي الليل والنهار، ثمّ كلّ ليلة يزيد الليل نصف درجة، ثلاثين ليلة بخمس عشر درجة إلى نصف (بابه)، تنتقل الشمس إلى برج العقرب، فيزيد الليل كلّ ليلة ثلث درجة إلى نصف (هاتور)، تنتقل الشمس إلى برج القوس، فيزيد الليل كلّ ليلة سدس درجة بخمس درج، فقد تَمَّت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين، فيصير الليل من غروب الشمس إلى طلوعها أربع عشرة ساعة، فيصلّي الفجرُ على اثنتي عشرة ساعة وستّ درج، ومن طلوعه إلى الشمس أربع وعشرون درجة، وذلك في آخر يوم من فصل الخريف، منتصف (كيهك).

ثمّ تنتقل الشمس إلى برج الجدي، وهو أول فصل الشتاء، فيأخذُ الليلُ في النقص، والنهارُ في الزيادة، فيزيد النهارُ كلّ يوم سدسَ درجة، ثلاثين يوماً بخمس درج إلى نصف (طوبه)، فتنتقل الشمس إلى برج الدلو، فيزيد النهارُ كلّ يوم ثلث درجة بعشرة إلى نصف (أمشير)، فتنتقل إلى برج الحوت، فتسمّيها العامة بالشمس الصغيرة، فيزيد النهارُ كلّ يوم نصف درجة بخمس عشرة درجة إلى نصف (برمهاث)، فتنتقل الشمس إلى برج الحمل، ويسمّيها العامة بالشمس الكبيرة، وهو أول فصل الربيع، وفيه الاعتدال الربيعي، يستوي الليل في تلك الليلة والنهار، ويزيد النهارُ كلّ يوم نصف درجة كما في برج الحوت الذي قبله إلى منتصف (برمودة)، فتنتقل الشمس إلى برج الثور، فيزيد النهارُ كلّ يوم ثلثَ درجة بعشرة إلى منتصف (بشنس)، فتنتقل الشمس للجوزاء، ويزيد النهارُ كلّ يوم سدسَ درجة بخمسة إلى نصف (بؤنه)، فتنتقل إلى برج السرطان، وهو أول فصل الصيف، وبه ينتهي طول النهار، فيكون النهار من طلوع الشمس إلى غروبها أربع عشرة ساعة، وينتهي قصر الليل، فيكون من الغروب إلى طلوع الشمس عشرة، وحصّة المغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة، ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمس درج، ومنه للشمس خمس وعشرون درجة، ثمّ ينقص النهار، ويأخذ الليل في الزيادة، فيزيد الليل كلّ ليلة سدس درجة إلى خامس عشر (أبيب)، فتنتقل الشمس إلى برج الأسد، فيزيد كلّ يوم ثلث درجة إلى نصف (مسرى)، فتنتقل إلى السنبلة، فيزيد النهار^(١) كل يوم نصف درجة إلى نصف (توت) أول السنة.

(١) في هامش (أ): (لعلها: الليل).

وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٣٧﴾ وَأَيَّةٌ لَهُمْ ﴿عَلَى الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ﴾ ﴿اللَّيْلُ نَسْلَخُ﴾ : نَفْصِلُ ﴿مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ : دَاخِلُونَ فِي الظَّلَامِ.

حاشية الصاوي

فقد علمت أن الدرج التي يأخذها النهار من الليل، والليل من النهار ستون درجة بأربع ساعات، وأن الاعتدال يكون في السنة مرتين: مرة في نصف (توت) الذي هو أول السنة القبطية، وهو أول فصل الخريف، والمرة الثانية في نصف (برمهاث) أول فصل الربيع، وأنَّ مبدأ زيادة النهار من الفصل الذي قبله، وهو فصل الشتاء؛ ثلاثين يوماً بالأسداس، ثم ثلاثين بالأثلاث، ثم ثلاثين بالأنصاف لأول فصل الربيع، فيحصل الاعتدال، ثم ثلاثين بالأنصاف أيضاً إلى نصف (برمودة) ودخول الشمس في الثور، فمدَّة زيادة الأنصاف ستون، من نصف (أمشير) ودخول الشمس في الحوت إلى نصف (برمودة)، ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف (بشنس) ودخول الشمس في الجوزاء، ثم ثلاثين بالأسداس إلى نصف (بؤنه) ودخول الشمس في السرطان، فيأخذ الليل في الزيادة بالأسداس ثلاثين ليلة إلى نصف (أبيب) ودخولها في الأسد، ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف (مسرى)، ثم بالأنصاف إلى نصف (توت)، ثم بالأنصاف أيضاً إلى نصف (بابه)، ثم بالأثلاث إلى نصف (هاتور)، ثم بالأسداس إلى نصف (كيهك)، ثم يعدو النهار على الليل، فسبحان الله المقدر للأمور، القادر على كل شيء، العليم الحكيم. انتهى.

قوله: ﴿وَأَيَّةٌ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿اللَّيْلُ﴾: مبتدأ مؤخر، كما تقدَّم نظيره.

قوله: ﴿نَسْلَخُ﴾... إلخ) بيان لكيفية كونه آيةً.

قوله: (نفصل منه النهار) أي: نُزيله عنه؛ لكونه كالسَّاتر له، فإذا زال السَّاتر... ظهر الأصل، فالليل أصلٌ متقدَّم في الوجود، والنهار طارئٌ عليه؛ بدليل قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾، وهذا لا ينافي ما يأتي في قوله: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾؛ لأنَّ معناه: لا يأتي الليل قبل وقته المقدَّر له؛ بأن يأتي في وقت الظهر مثلاً، وهذا غير ما هنا، فتحصَّل أنَّ معنى السِّلْخ: الفصل والإزالة، وليس المراد به الكشف، وإلا... لقال: فإذا هم مُبْصَرُونَ؛ لأنه يصير المعنى: وآيةٌ لهم الليلُ نكشف ونظهر منه النهار.

قوله: (داخِلُونَ فِي الظَّلَامِ) أي: فيقال: أظلم القوم: إذا دخلوا في الظلام، وأصبَحوا:

إذا دخلوا في الصباح.

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾

﴿٣٨﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي ﴿٣٨﴾ إِلَى آخِرِهِ مِنْ جُمْلَةِ الْآيَةِ لَهُمْ، أَوْ آيَةُ أُخْرَى وَالْقَمَرُ كَذَلِكَ ﴿٣٨﴾ لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴿٣٨﴾ أَي: إِلَيْهِ لَا تَتَجَاوَزُهُ، ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: جَرِيهَا ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ فِي مُلْكِهِ، ﴿الْعَلِيمِ﴾ بِخَلْقِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (من جملة الآية) أي فهو عطف مفردات على قوله: ﴿الْأَرْضُ﴾، وقوله: (أو آية أخرى) أي: فيكون عطف جمل.

قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي: مكان تستقر فيه، وهو مكانها تحت العرش، فتسجد فيه كل ليلة عند غروبها، فتستمر ساجدة فيه طول الليل، فعند ظهور النهار يؤذن لها في أن تطلع من مطلعها، فإذا كان آخر الزمان.. لا يؤذن لها في الطلوع من المشرق، بل يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من المغرب، وهذا هو الصحيح عند أهل السنة، ويؤيده قوله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين ذهبت الشمس؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾»^(١).

(١) رواه البخاري (٣١٩٩) واللفظ له، ومسلم (١٥٩)، وللعلامة العيني في «عمدة القاري» (١١٩/١٥) كلام ومناقشة عند شرحه للحديث: (فإن قلت: ما المراد بالسجود إذ لا جهة لها، والانقياد حاصل دائماً؟ قلت: الغرض تشبيهها بالساجد عند الغروب. فإن قلت: يرى أنها تغيب في الأرض، وقد أخبر الله تعالى أنها تغرب في عين حمئة، فأين هي من العرش؟ قلت: الأرضون السبع في ضرب المثال كقطب الرحي، والعرش لعظم ذاته كالرحى، فأينما سجدت الشمس سجدت تحت العرش، وذلك مستقرها. فإن قلت: أصحاب الهيئة قالوا: الشمس مُرصعة في الفلك فإنه يقتضي أن الذي يسير هو الفلك، وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجري؟ قلت: أما أولاً.. فلا اعتبار لقول أهل الهيئة عند مُصادمة كلام الرسول ﷺ، وكلام الرسول ﷺ هو الحق لا مِرية فيه، وكلامهم حُدىس وتخمين، ولا مانع في قدرة الله تعالى أن تخرج الشمس من مجراها وتذهب إلى تحت العرش فتسجد ثم ترجع. فإن قلت: قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: يدورون، قلت: دوران الشمس في فلكها لا يستلزم منع سجودها في أي موضع أراد الله تعالى، وقال بعضهم: يحتمل أن يكون المراد بالسجود: مَنْ هو موَكَّل بها من الملائكة. قلت: هذا الاحتمال غير ناشئ عن دليل فلا يُعتبر به، وهو أيضاً مخالف لظاهر الحديث، وعدولٌ عن حقيقته، وقيل: المراد من قوله: «تحت العرش» أي: تحت القهر والسلطان. قلت: لماذا الهروبُ من ظاهر الكلام وحقيقته؟ على أنا نقول: =

وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ

﴿٣٩﴾ وَالْقَمَرُ - بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ يُفْسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ - ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾ مِنْ حَيْثُ سَيْرُهُ ﴿مَنَازِلَ﴾: ثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرِينَ مَنَزَلًا فِي ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَيَسْتَتِرُ حَاشِيَةُ الصَّاوِي.

وقيل: إِنَّ الشَّمْسَ فِي اللَّيْلِ تَسِيرُ وَتُشْرِقُ عَلَى عَالَمٍ آخَرَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَإِنْ كُنَّا لَا نَعْرِفُهُ، وَهَذَا قَوْلُ الْحُكَمَاءِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا قَالَهُ الْفُقَهَاءُ: أَنَّ الْأَوْقَاتَ الْخَمْسَةَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْجِهَاتِ وَالنَّوَاحِي، فَقَدْ يَكُونُ الْمَغْرِبُ عِنْدَنَا عَصْرًا عِنْدَ آخَرِينَ، وَقَدْ يَكُونُ اللَّيْلُ عِنْدَهُمْ سَاعَةً فَقَطْ، وَاخْتَلَفَ فِي الْعِشَاءِ حِينَئِذٍ، فَقَالَتِ الْحَنْفِيَّةُ بِسُقُوطِهَا، وَقَالَتِ الشَّافِعِيَّةُ وَوَأَفَقَّتْهُمُ الْمَالِكِيَّةُ: يُقَدَّرُ لَهُمْ بِأَقْرَبِ الْبِلَادِ إِلَيْهِمْ، وَيَصَلُّونَهَا وَلَوْ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ عِنْدَهُمْ، وَتَسْمَى أَدَاءً، وَلَا حُرْمَةٌ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، وَعَلَى مَا قَالَتْهُ الْحُكَمَاءُ فَاخْتَلَفَ فِي مُسْتَقَرِّ الشَّمْسِ، فَقِيلَ: هُوَ انْقِضَاءُ الدُّنْيَا وَقِيَامُ السَّاعَةِ، وَقِيلَ: مُسْتَقَرُّهَا هُوَ سَيْرُهَا فِي مَنَازِلِهَا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا الَّتِي لَا تَجَاوِزُهُ، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِ مَنَازِلِهَا، وَقِيلَ: مُسْتَقَرُّهَا نِهَائِيَّةُ ارْتِفَاعِهَا فِي السَّمَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَنِهَائِيَّةُ هُبُوطِهَا فِي الشِّتَاءِ.

قوله: (﴿وَالْقَمَرَ﴾) اختلف فيه؛ هل لكلِّ شهرٍ قمرٌ جديدٌ أو هو قمرٌ واحدٌ لكلِّ شهرٍ؟ فقال الرَّمْلِيُّ مِنْ أَثَمَةِ الشَّافِعِيَّةِ: إِنَّ لكلِّ شهرٍ قمرًا جديدًا^(١)، وَلَكِنْ الْمَتَبَادِرُ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ وَمِنْ غَالِبِ الْأَحَادِيثِ: أَنَّهُ مَتَّحِدٌ.

قوله: (بِالرَّفْعِ) أَي: عَلَى أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ، خَبَرَهُ ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾.

قوله: (وَالنَّصْبِ يَفْسِرُهُ مَا بَعْدَهُ) أَي: فَهُوَ مِنْ بَابِ الْإِسْتِغَالِ^(٢).

قوله: (مِنْ حَيْثُ سَيْرُهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَنَازِلَ﴾ ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ: ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: قَدَّرْنَا سَيْرَهُ فِي مَنَازِلَ، وَيَصِحُّ جَعْلُهُ حَالًا عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَالتَّقْدِيرُ: ذَا مَنَازِلَ^(٣).

= السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُونَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا سَجَدَتِ الشَّمْسُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: سَجَدَتِ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَقَدْ أَنْكَرَ قَوْمٌ سَجُودَ الشَّمْسِ وَهُوَ صَحِيحٌ مِمَّا كُنَّا قُلْتُ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ؛ لِأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَثَبِتَ عَنْهُ بِوَجْهِ صَحِيحٍ، وَلَا مَانِعَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُمْكِّنَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَمَادَاتِ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ.

(١) انظر «حاشية البجيرمي على الخطيب» (٤٥٦/٢).

(٢) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو برفعه، والباقون بنصبه. انظر «الدر المصون» (٢٧٠/٩).

(٣) ويصح جعله مفعولاً ثانياً؛ لِأَنَّ (قَدَّرْنَا) بِمَعْنَى: صَيَّرْنَا. انظر «الدر المصون» (٢٧٠/٩).

حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ
وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

لَيْلَتَيْنِ إِنْ كَانَ الشَّهْرُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَلَيْلَةً إِنْ كَانَ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا، ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ فِي آخِرِ
مَنَازِلِهِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ أَي: كَعُودِ الشَّمَارِيخِ إِذَا عَتَقَ، فَإِنَّهُ يَرِقُّ وَيَتَقَوَّسُ
وَيَصْفَرُّ.

﴿٤٠﴾ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي﴾: يَسْهَلُ وَيَصِحُّ ﴿لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فَتَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي اللَّيْلِ،
﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾، فَلَا يَأْتِي قَبْلَ انْقِضَائِهِ، ﴿وَكُلٌّ﴾ - تَنْوِينُهُ عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ -
مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ﴿فِي فَلَكٍ﴾ مُسْتَدِيرٍ ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَسِيرُونَ، نُزِّلُوا مَنَزِلَةَ الْعُقَلَاءِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أَي: كعود الشماريخ) جمع شِمَارِخ، وهو عيدان العنقود الذي عليه الرُّطْبُ.

قوله: (إذا عتق) من باب: (ظُرِفَ) و(قَعَدَ).

قوله: (فإنه يدق ويتقوس ويصفر) أَي: فوجه الشبه مرگبٌ من ثلاثة أشياء.

قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أَي: بحيث تأتي في وسط الليل؛ لأنَّ ذلك يخلُ
بتلوين النبات، ونفع الحيوان، ويُفسد النظام، ولم يقل سبحانه وتعالى: ولا القمر يدرك الشمس؛
لأنَّ سير القمر أسرع؛ لأنه يقطع الفلك في شهر، والشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة، فالشمس
قطعا لا تدرك القمر، والقمر قد يُدرك الشمس في سيرها، ولكن لا سلطنة له.

قوله: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أَي: لا يأتي الليل في أثناء النهار قبل أن ينقضي؛ كأن يأتي
في وقت الظهر مثلاً.

قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ قال ابن عباس: يَدُورُونَ فِي فَلَكَةٍ كَفَلَكَةِ الْمَغْزَلِ^(١).

قوله: (والنجوم) أَي: المدلول عليها بذكر الشمس والقمر.

قوله: (نزلوا منزلة العقلاء) أَي: حيث عبَّر عنهم بضمير جمع المذكور، والذي سَوَّغَ ذلك
وصفهم بالسباحة التي هي من أوصاف العقلاء.

(١) انظر «الدر المنثور» (٥/٦٢٧)، وفلكة المغزل: خشبة مستديرة في أعلاها مسمار مثني يدخل فيه الغزل ويدار لينفث
الغزل.

وَمَايَّةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾

﴿٤١﴾ ﴿وَمَايَّةٌ لَّهُمْ﴾ على قُدْرَتِنَا ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: (ذُرِّيَّاتِهِمْ) - أي: آبَاءُهُمُ الْأُصُولُ ﴿فِي الْفُلِّ﴾ أي: سَفِينَةِ نُوحٍ ﴿الْمَشْحُونِ﴾: الْمَمْلُوءِ.

﴿٤٢﴾ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾ أي: مِثْلَ فُلِّكَ نُوحٍ وَهُوَ مَا عَمِلُوهُ عَلَى شَكْلِهِ مِنَ السُّفُنِ الصُّغَارِ وَالْكَبَارِ بِتَعْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فِيهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿وَمَايَّةٌ لَّهُمْ﴾﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿أَنَا حَمَلْنَا﴾: في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر؛ أي: حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ آيَةً دَالَّةً عَلَى بَاهِرِ قُدْرَتِنَا.

قوله: (وفي قِرَاءَةٍ) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(١).

قوله: (أي: آبَاءُهُمُ الْأُصُولُ) أشار بذلك إلى أَنَّ لَفْظَ (الذرية) كما يطلق على الفروع يُطلق على الْأُصُولِ؛ لأنه من: الدَّرءِ وهو الخلق، فاندفع ما يقال: إِنَّ الذي حمل في سَفِينَةِ نُوحٍ أُصُولُ أَهْلِ مَكَّةَ لَا فُرُوعَهُمْ، وهذا أوضح ما قُرِّرَتْ بِهِ هَذِهِ الْآيَةُ.

قوله: (الْمَمْلُوءِ) أي: لِأَنَّ نُوحاً جَعَلَهُ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ: السُّفْلَى وَضَعَ فِيهَا السَّبَاعَ وَالْهُوَامَّ، وَالْوَسْطَى وَضَعَ فِيهَا الدَّوَابَّ وَالْأَنْعَامَ، وَالْعُلْيَا وَضَعَ فِيهَا الْآدَمِيَّينَ وَالطَّيْرَ.

قوله: ﴿﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾﴾ هذا امْتِنَانٌ آخَرُ مُتَرْتَّبٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: جَعَلْنَا سَفِينَةَ نُوحٍ آيَةً عَظِيمَةً عَلَى قُدْرَتِنَا، وَنِعْمَةً لِلخَلْقِ، وَعَلَّمْنَاهُمْ صِنْعَةَ السَّفِينَةِ، فَعَمِلُوا سَفْناً كِبَاراً وَصَغَاراً؛ لِيَتَفَعَّلُوا بِهَا.

قوله: ﴿﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾﴾ (مِنْ): إما زَائِدَةٌ أَوْ تَبْعِيضِيَّةٌ، وَعَلَى كُلٍّ: فَمَدْخُولُهَا حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾﴾.

قوله: (وهو ما عملوه) هذا أَحَدُ أَقْوَالِ ثَلَاثَةٍ فِي تَفْسِيرِ الْمِثْلِ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ خُصُوصُ الْإِبْلِ، وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ مُطْلَقُ الدَّوَابِّ الَّتِي تُرْكَبُ.

قوله: (بتعليم الله) دفع بهذا ما يقال: عادة الله تعالى إضافة صفة العبيد^(٢) لأنفسهم وإن كان هو الخالق لها حقيقة، فلم أضافها لنفسه؟ فأجاب: بأنَّ التَّعْلِيمَ وَالْهُدَايَةَ لَمَّا كَانَتَا مِنْهُ أَضَافَ الْخَلْقَ لَهُ؛ لِأَنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ الَّتِي هِيَ أَصْلُ السُّفُنِ كَانَتْ بِمَحْضِ تَعْلِيمِ اللَّهِ وَإِلْهَامِهِ لَهُ.

(١) قرأ المدنيان والشامي ويعقوب بألف بعد الياء مع كسر التاء، والباقون بحذف الألف مع نصب التاء. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٦٦).

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: (صنعة)، وأورد العلامة الجمل السؤال في «الفتوحات» (٣/ ٥٤٢): (كيف أسند خلق السفن لهم مع أنها من مصنوعاتهم، والعادة أن مصنوع العبد يُنسب له لا الله وإن كان بخلقه حقيقة؟).

وَلِنْ نَّشَأْ نُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾

(٤٣ - ٤٤) ﴿وَلِنْ نَّشَأْ نُغْرِقَهُمْ﴾ مع إيجاد السفن، ﴿فَلَا صَرِيحَ﴾: مُغِيثٌ ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾: يُنَجُّونَ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ أي: لَا يُنَجِّيهِمْ إِلَّا رَحْمَتُنَا لَهُمْ وَتَمْتِيعُنَا إِيَّاهُمْ بِلَذَاتِهِمْ إِلَى انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ.

(٤٥ - ٤٦) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا كَغَيْرِكُمْ ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أَعْرَضُوا، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (مع إيجاد السفن) أي: ومع ركوبهم لها.

قوله: ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ الصريح بمعنى: الصارخ، يطلق على المستغيث، فهو من تسمية الأضداد، والمراد الثاني.

قوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ (إِلَّا): أداة استثناء، و﴿رَحْمَةً﴾: مفعول لأجله، وهو استثناء مفرغ من عموم الأحوال، والمعنى: لَا تُنَجِّيهِمْ لشيء من الأشياء إلا لأجل رحمتنا بهم وتمتعهم الأمد الذي سبق في علمنا.

قوله: (كغيركم) أي: وهم المؤمنون.

قوله: (من عذاب الآخرة) أشار بذلك إلى أَنَّ لفظ (الخلف) كما يُطلق على ما مضى يُطلق على ما يأتي، فهو من تسمية الأضداد، وسمى ما يأتي خلفاً؛ لِغَيْبَتِهِ عَنَّا.

قوله: (أعرضوا) قدّره إشارةً إلى أَنَّ جواب الشرط محذوف دلّ عليه قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ إلخ.

قوله: ﴿مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ (مِنْ): زائدة، وقوله: ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ (مِنْ): تبيينية.

قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ إلخ) الجملة حالية.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ
أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾

﴿٤٧﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي: قال فقراء الصحابة ﴿لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾
من الأموال، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم: ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ
أَطْعَمَهُ﴾ في معتقدكم هذا، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: بين، وللتصريح بكفرهم
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنهم كما تركوا حقوق الخلق.. تركوا
حقوق الخلق، وهذه الآية نزلت حكاية عن بعض جبابرة مكة؛ كالعاص بن وائل السهمي وغيره،
كان إذا سأله المسكين.. قال له: اذهب إلى ربك، فهو أولى مني بك، قد منعك الله أفأطعمك
أنا؟^(١)

وقد تمسك بهذا بعضُ بخلاء المسلمين؛ حيث يقولون: لا نعطي مَنْ حرّمه الله، ولم يعلموا
أنّ الفقراء يحملون زاد الأغنياء للآخرة، ولولا الفقراء.. ما انتفع الغني بغناه.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بالصانع؛ أي: يُنكرون وجوده، وهم فرقة من جبابرة مكة.

قوله: ﴿مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ مفعول ﴿أَنْطَعِمُ﴾، وقوله: ﴿أَطْعَمَهُ﴾ جواب (لو).

قوله: (في معتقدكم) أي: أيها الفقراء المؤمنون، لا في معتقد الكفار الأغنياء؛ فإنهم ينكرون
الصانع كما علمت.

قوله: (في قولكم لنا) أشار بذلك إلى أنّ هذا من كلام الكفار للمؤمنين، ويؤيده ما روي:
أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يُطعم مساكين المسلمين، فلقيه أبو جهل فقال: يا أبا بكر؛ أتزعم أنّ الله
قادرٌ على إطعام هؤلاء؟ قال: نعم، قال: فما باله لم يطعمهم؟ قال: ابتلى قوماً بالفقر، وقوماً
بالغنى، وأمر الفقراء بالصبر، والأغنياء بالإعطاء، فقال أبو جهل: والله يا أبا بكر إن أنت
إلا في ضلال، أتزعم أنّ الله قادر على إطعام هؤلاء ولا يُطعمهم ثمّ تُطعمهم أنت؟ وقيل: إنه من
كلام المؤمنين للكفار، وقيل: من كلام الله تعالى ردّاً عليهم^(٢).

(١) انظر «زاد المسير» (٣/٥٢٦).

(٢) ذكر الخبر والأقوال الثلاثة القرطبي في «تفسيره» (٣٧/١٥).

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾

مَوْقِعٌ عَظِيمٌ.

(٤٨ - ٤٩) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بِالْبَعْثِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيهِ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَنْتَظِرُونَ﴾ أَي: يَنْتَظِرُونَ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وَهِيَ نَفْخَةُ إِسْرَافِيلَ الْأُولَى، ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ، أَصْلُهُ: يَخْتَصِمُونَ، نُقِلَتْ حَرَكَةُ التَّاءِ إِلَى الْخَاءِ، وَأُدْغِمَتْ فِي الصَّادِ - أَي: وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا يَتَخَاضِمُ وَتَبَايَعُ وَأَكْلٍ وَشَرْبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفِي قِرَاءَةٍ: (يَخِصِّمُونَ) كـ (يَضْرِبُونَ)

حاشية الصاوي

قوله: (موقع عظيم) أي: وهو التبكيت والتقبيح عليهم.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ رجوع للكلام مع الكفار المعترفين بوجوده تعالى.

قوله: (أي: ما ينتظرون) هذا مجازاة لأول كلامهم؛ لأنَّ شأن مَنْ يسأل عن الشيء أن يكون معترفاً بوجوده، وإلا... فهم جازمُون بعدمها.

قوله: (الأولى) وهي التي يموت عندها مَنْ كان موجوداً على وجه الأرض.

قوله: (نقلت حركة التاء إلى الخاء) أي: بتمامها أو بعضها، فهما قراءتان.

قوله: (وأدغمت) أي: بعد قلبها صاداً، أو حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بتحريك الخاء، وقوله: (وفي قراءة... إلخ) تلخص من كلامه: أنَّ القراءاتِ هنا ثلاث، وبقي رابعة وهي فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة، وعلى هذه القراءة: فحركة الخاء ليست حركة نقل، وإنما هي لما حذفت حركة التاء صارت ساكنةً، فالتقت ساكنة مع الخاء فحُرِكت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين، وكلُّ تلك القراءات سبعة^(١).

قوله: (أي: وهم في غفلة عنها) أشار بهذا إلى أنَّ المراد من الاختصاص لازمُهُ، وهو الغفلة التي ينشأ عنها الاختصاص وغيره، وفي الحديث: «لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْباً بَيْنَهُمَا

(١) قرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد، وأبو عمرو وقالون بإخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد، ونافع وابن كثير وهشام كذلك، إلا أنهم بإخلاصٍ فتحة الخاء، والباقيون بكسر الخاء وتشديد الصاد. انظر «الدر المصون» (٢٧٣/٩).

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾

أي: يَخْصِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

﴿٥٠﴾ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: أَنْ يُوصُوا، ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَأَشْغَالِهِمْ، بَلْ يَمُوتُونَ فِيهَا.

﴿٥١﴾ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ - هُوَ قَرْنٌ - النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ لِلْبَعْثِ، وَبَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي: الْمَقْبُورُونَ ﴿مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾: الْقُبُورِ ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: يَخْرُجُونَ بِسُرْعَةٍ.

حاشية الصاوي

فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبنٍ لِقَحْتِهِ فلا يَطْعَمُهُ، ولتقومن الساعة وهو يَلِيطُ حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أَكْلَتُهُ إلى فيه فلا يَطْعَمُهَا» أخرجه البخاري^(١).

قوله: (أي: يَخْصِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا) بيانٌ لحاصل المعنى، والمفعول محذوفٌ على القراءة الأخيرة.

قوله: (أي: أَنْ يُوصُوا) أي: على أولادهم وأموالهم.

قوله: ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ معطوف على ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾.

قوله: (وبين النفختين أربعون سنة) هذا هو الصحيح، وقيل: أربعون يوماً، وقيل غير ذلك.

قوله: (أي: المقبورون) أي: مَنْ شَأْنُهُ أَنْ يُقْبَرَ، وَقَبْرُ كُلِّ مَيِّتٍ بِحَسَبِهِ، فَيَشْمَلُ مَنْ أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ وَنَحْوُهُ.

قوله: ﴿مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾ جمع جدث كـ: فَرَسٌ وَأَفْرَاسٌ، وَقَرَى شَذَوْدًا: (الأجداف) بالفاء، وهي لغة في (الأجداث)^(٢).

قوله: (يَخْرُجُونَ بِسُرْعَةٍ) أي: يُسْرِعُونَ فِي مَشِيهِمْ قَهْرًا لَا اخْتِيَارًا.

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٠٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وقوله: (يليط) بفتح الياء وضمها: يطين ويصلح. وانظر «إرشاد الساري» (٢٩٤/٩).

(٢) نقل العلامة الزبيدي عن الفراء: أن العرب تعقب بين الفاء والثاء في اللغة، فيقولون: جدف وجدث، وثوم وفوم، وثم وفم. انظر «تاج العروس»، مادة: (ج د ف).

قَالُوا يَتَوَلَّنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٥٢﴾ ﴿قَالُوا﴾ أي: الكُفَّار مِنْهُمْ: ﴿يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿وَلَّنَا﴾: هَلَاكُنَا، - وهو مصدرٌ لا فعلَ له مِنْ لَفْظِهِ - ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ نَائِمِينَ لَمْ يُعَذِّبُوا، ﴿هَذَا﴾ أي: الْبَعْثُ ﴿مَا﴾ أي: الَّذِي ﴿وَعَدَ﴾ بِهِ ﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ﴾ فِيهِ ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الكفار) أي: لا كلُّ الخلائق؛ إذ المؤمنون يفرحون بالقيامة؛ لِيَذْهَبُوا لِلنَّعِيمِ الدائم، ورؤية وجه الله الكريم.

قوله: (للتنبية) دفع بذلك ما يقال: إِنَّ النداء مختصٌّ بالعقلاء؛ فكيف يُنادَى الويل وهو لا يعقل؟ فأجاب: بأن (يا) للتنبية، والمعنى: تنبَّهوا؛ فَإِنَّ الويل قد حضر.

قوله: ﴿وَلَّنَا﴾ قرأ العامة بإضافته إلى ضمير المتكلم ومعه غيره دون تأنيث، وقرئ شذوذاً (يا ولتنا) بناءً التأنيث، و(يا ويلتي) بإبدال التاء ألفاً، وعلى قراءة الأفراد يكون حكايةً عن مقالة كلِّ واحد^(١).

قوله: (لا فعل له من لفظه) أي: بل من معناه، وهو: هلك.

قوله: ﴿مَنْ بَعَثَنَا﴾ قراءة العامة بفتح ميم (مَنْ) على أنها استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿بَعَثَنَا﴾ خبره، وقرئ شذوذاً بكسر الميم على أنها حرف جرٍّ، و(بعثنا) مصدر مجرور بـ(من)، والجارُّ والمجرور متعلق بـ(ويلنا)^(٢)، وقوله: ﴿مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ متعلق بالبعث.

والمرقد: يصح أن يكون مصدراً أو اسمَ مكانٍ؛ أي: مِنْ رُقَادِنَا، أو من مكان رُقَادِنَا.

قوله: (لأنهم كانوا بين النفختين نائمين) أي: حين يرفع الله عنهم العذاب، فيرقدون قبيل النفخة الثانية، فيذوقون طعم النوم، فإذا بُعِثُوا وعَانُوا أهوال يوم القيامة.. دَعَوْا بالويل.

قوله: ﴿مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ (إلخ) مفعولٌ (وعد) و(صدق) محذوفٌ، والتقدير: ما وعدنا به الرحمن وصدقنا فيه المرسلون^(٣).

(١) نقل العلامة السمين في «الدر المصون» (٩/ ٢٧٥) القراءتين عن ابن أبي ليلى.

(٢) وبها قرأ ابن عباس والضحاك وأبو نهيك. «المصدر السابق».

(٣) كذا في الأصول، على لغة: (يتعاقبون فيكم ملائكة).

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ

أَقْرَؤًا حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِقْرَارُ، وَقِيلَ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ.

(٥٣ - ٥٤) ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾: عِنْدَنَا ﴿مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جَزَاءُ ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿٥٥﴾ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ - بِسُكُونِ الْغَيْنِ وَضَمِّهَا - عَمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ مِمَّا يَتَلَذَّذُونَ بِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (أقروا... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ هذه الجملة من كلام الكفار، فهي في محل نصب مقول القول، كأنهم لما سألوا فلم يجابوا... أجابوا أنفسهم.

قوله: (وقيل: يقال لهم ذلك) أي: من جانب المؤمنين، أو الملائكة، أو الله تعالى، وإنما عدلوا عن جواب سؤالهم؛ لأنَّ الباعث لهم معلوم، وإنما المهمُّ لهم السؤال عن البعث. قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أي: النفخة الثانية.

قوله: ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً﴾ أي: وهي قول إسرافيل: أيتها العظام النخرة، والأوصال المتقطعة، والعظام المتفرقة، والشُّعُور المتمزقة؛ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَجْتَمَعَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ.

قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي: مجموعون في موقف الحساب.

قوله: ﴿فَأَلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ هذا حكايةٌ عمَّا يقال لهم حين يرون العذاب.

قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾... إلخ) جرَّت عادة الله سبحانه وتعالى في كتابه إذا ذكر أحوال أهل النار... أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ أحوال أهل الجنة.

قوله: ﴿فِي شُغْلٍ﴾ أبهمه ونكَّره؛ إشارةً إلى تعظيمه ورفعة شأنه، والمراد به: ما هم فيه من أنواع الملاذِّ التي تُلهيهم عمَّا عداها بالكلية؛ كالتفكُّه بالأكل والشرب، والسماع وضرب الأوتار، والتزاور، وأعظمُ ذلك سماعُ كلام الله تعالى ورؤية ذاته.

قوله: (بسكون الغين وضَمُّها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

(١) قرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين، والباقيون بالإسكان. انظر «السراج المنير» (٣/٣٥٦).

فَنَكْهُونُ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾

كافتضاض الأبقار، لا شغل يتعبون فيه؛ لأن الجنة لا نصب فيها، ﴿فَنَكْهُونُ﴾: ناعمون - خبر ثانٍ لـ ﴿إِنَّ﴾، والأول: ﴿فِي شُغْلٍ﴾..

(٥٦ - ٥٨) ﴿ثُمَّ﴾ - مُبتدأ - ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ﴾: جمع ظُلة أو ظل، خبر أي: لا تُصيبهم الشمس ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جمع (أريكة)، وهو السرير في الحجرة أو الفرش فيها ﴿مُتَكِفُونَ﴾ خبر ثانٍ متعلق ﴿عَلَى﴾،

حاشية الصاوي

قوله: (كافتضاض الأبقار) أي: لما روي: «أن أهل الجنة كلما أرادوا القرب من نسائهم.. وجدوهن أبقاراً، فيفتضوهن من غير قذر ولا ألم»^(١).

قوله: ﴿فَنَكْهُونُ﴾ من: الفكاهة بفتح الفاء، وهي: التمتع والتلذذ.

قوله: ﴿ثُمَّ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ هذا بيان لكيفية شغلهم وتفكُّهِم.

قوله: (جمع ظُلة) أي: ك: قباب جمع قبة وزناً ومعنى.

قوله: (أو ظل) أي: ك: شعاب جمع شعب.

قوله: (أي: لا تصيبهم الشمس) أي: لعدم وجودها.

قوله: (في الحجرة) بفتح الحاء، أو بسكون الجيم مع ضمّ الحاء أو كسرهما، وهي قبة تعلّق على السرير، وتُزيّن به العروس.

قوله: (أو الفرش فيها) أي: في الحجرة، فالأريكة فيها قولان: قيل: هي السرير الكائن في الحجرة، أو الفرش الكائن فيها.

قوله: (متعلّق ﴿عَلَى﴾) أي: قوله ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، فتحصل: أن ﴿ثُمَّ﴾ مبتدأ، و(أزواجهم): عطف عليه، و﴿فِي ظِلِّ﴾: خبر أول، و﴿مُتَكِفُونَ﴾: خبر ثانٍ، و﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: متعلّق بـ ﴿مُتَكِفُونَ﴾ قدّم عليه رعاية للفاصلة.

قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَكْهَةٌ﴾ أي: من كلّ نوع من أنواع الفواكه، لا مقطوع ولا ممنوع، قال تعالى: ﴿وَفَنَكْهَةٌ كَثِيرَةٌ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣].

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٢٤٩)، وأبو نعيم في «صفة أهل الجنة» (٣٦٥) عن سيدنا أبي سعيد الخدري ؓ.

لَهُمْ فِيهَا فَنَكُهُهُ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَكُهُهُ وَلَهُمْ﴾ فيها ﴿مَا يَدْعُونَ﴾: يَتَمَنُّونَ، ﴿سَلَامٌ﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿قَوْلًا﴾ أي: بِالْقَوْلِ -
خَبَرُهُ - ﴿مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ بِهِمْ، أي: يَقُولُ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ.

﴿٥٩﴾ ﴿وَأَمْتَرُوا﴾ يَقُولُ: ﴿أَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انْفِرْدُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ
اِخْتِلَاطِهِمْ بِهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ أصله: يَدْعِيُونَ بوزن (يفتعلون) استثقلت الضمة على الياء، فنقلت
إلى ما قبلها، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما، ثم أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال،
والمعنى: يُعْطَى أَهْلُ الْجَنَّةِ جَمِيعُ مَا يَتَمَنُّونَهُ وَيَشْتَهُونَهُ حَالاً مِنْ غَيْرِ بَطْءٍ.

قوله: ﴿سَلَامٌ﴾ مُبْتَدَأٌ... إلخ) هذا أحسن الأعراب، وقيل: إنه بدل من قوله: ﴿مَا
يَدْعُونَ﴾، أو صفة لـ(ما)، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف.

قوله: (أي: بالقول) أشار بذلك إلى أن (قَوْلًا) منصوب بنزع الخافض، ويصح أن يكون مصدرًا
مؤكِّدًا لمضمون الجملة، وهو مع عامله مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ.

قوله: (أي: يقول لهم: سلام عليكم) أشار بذلك إلى أن الجملة معمولة لمحذوف، والمعنى:
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَجَلَّى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَيَقْرَأُ لَهُمُ السَّلَامَ؛ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ: «بَيْنَمَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ
إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ
يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ،
فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، فَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ
فِي دِيَارِهِمْ»^(١).

قوله: ﴿وَأَمْتَرُوا﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة معمولة لمحذوف
أيضاً.

قوله: (عند اختلاطهم بهم) أي: حِينَ يُسَارُّ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ؛ لَمَّا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مَا مَعْنَاهُ:
«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ: كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ مَعْبُودَهَا، فَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ وَفِيهَا مُنَافِقُوهَا يَقُولُونَ:

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنْبَيْ عَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا

(٦٠ - ٦١) ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾: أَمَرُكُمْ ﴿يَنْبَيْ عَادَمَ﴾: عَلَى لِسَانِ رُسُلِي ﴿أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾: لَا تُطِيعُوهُ، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيْنَ الْعَدَاوَةِ، ﴿وَأَن أَعْبُدُونِي﴾: وَحْدُونِي وَأَطِيعُونِي، ﴿هَذَا صِرَاطٌ﴾: طَرِيقٌ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا﴾: خَلْقًا، جَمْعُ (جَبِيل) كـ(قَدِيم)، - وَفِي قِرَاءَةِ بَضْمِ الْبَاءِ

حاشية الصاوي

لا نذهب حتى ننظر مَعْبُودَنَا، فيظهر لهم عن يمين العرش ملك؛ لو وُضِعَتِ الْبَحَارُ السَّبْعُ وَجَمِيعُ الْخَلَائِقِ وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ فِي نَقْرَةٍ إِبْهَامِهِ. . لَوَسَعَهُمْ، فيقول: أَنَا رَيْكُمْ، فيقولون: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، لَسْتُ رَبَّنَا، ثُمَّ يَتَجَلَّى اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ، فَيَخْرُونَ سَجْدًا، فَيَرِيدُ الْمَنَافِقُونَ أَن يَسْجُدُوا، فَيَصِيرُ ظَهْرُهُمْ طَبَقًا، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ السَّجُودَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَالُ: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] ^(١).

قوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ الاستفهام للتوبيخ والتفريع، والمراد بالعهد: ما كَلَّفَهُمُ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي.

قوله: (أَمَرَكُم) أَي: وَأَنهَاكُم؛ ففِيهِ اكْتِفَاءٌ.

قوله: ﴿وَأَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ (أَن): تَفْسِيرِيَّةٌ؛ لِتَقْدَمَ جُمْلَةٌ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ، وَ(لَا): نَاهِيَةٌ، وَالْفِعْلُ مَجْزُومٌ بِهَا.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تَعْلِيلٌ لَوْجُوبِ الْإِنْتِهَاءِ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا﴾ تَأْكِيدٌ لِلتَّعْلِيلِ.

قوله: ﴿جِبَلًا﴾ بَضْمُ الْجِيمِ، وَسُكُونُ الْبَاءِ، وَتَخْفِيفُ اللَّامِ.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةِ بَضْمِ الْبَاءِ) أَي: مَعَ ضَمِّ الْجِيمِ، وَبَقِيَ قِرَاءَةُ ثَلَاثَةِ سَبْعِيَّةٍ أَيْضًا، وَهِيَ بِكسْرِ الْجِيمِ وَالْبَاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ ك: (سَجَل) ^(٢).

(١) رواه بنحوه البغوي في «شرح السنة» (٣٣٤٦)، وأصله عند البخاري (٦٥٧٣)، (٧٤٣٩)، وليس فيهما ذكر الملك وصفته.

(٢) قرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وأبو عمرو وابن عامر بضمه وسكون، والباقون بضميتين، واللام مخففة في كليتهما. انظر «الدر المصون» (٢٨٢/٩).

كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

- ﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ عَدَاوَتَهُ وَإِضْلَالَهُ أَوْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فَتُؤْمِنُونَ. وَيُقَالُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ:

(﴿٦٣﴾ - ﴿٦٥﴾) ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بِهَا، ﴿أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ أَي: الْكُفَّارَ لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَاللَّهُ رَيْنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ وَغَيْرُهَا ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فَكُلُّ غُضُو يَنْطِقُ بِمَا صَدَرَ مِنْهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾﴾ هذا خطابٌ لهم وهم على شفير جهنم، والمقصودُ منه: زيادةُ التبكيت والتفريع.

قوله: ﴿﴿أَصَلَوْهَا﴾﴾ أي: ذُوقُوا حرارتها.

قوله: ﴿﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾﴾ أي: بسبب كفركم.

قوله: ﴿﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾﴾ أي: ختماً يمنعها عن الكلام النافع؛ فلا ينافي قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [النور: ٤]، وهذا مرتبط بقوله: ﴿﴿أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ﴾﴾. روي: «أنهم حين يقال لهم ذلك.. يَجْحَدُونَ ما صدر عنهم في الدنيا، ويتخاصمون، فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرتهم، فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين، ويقولون: لا نجيز علينا شاهداً إلا من أنفسنا، فيختم على أفواههم ويقال لأركانهم: انطقوا، فتنتطق بما صدر منهم»^(١).

وحكمةُ إسناد الختم لنفسه والشهادة للأيدي والأرجل: دفعُ توهم أن نطقها جبراً، والمجبور غير مقبول الشهادة، فأفادك أن نطقها اختياري.

(١) روى مسلم (٢٩٦٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه في حديث مخاطبة العبد ربّه، يقول: «يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهدوا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنتطق بأعماله، قال: ثم يخلّى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً، فعنك كنت أناضل».

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ
.....

(٦٦ - ٦٧) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾: لَأَعْمَيْنَاهَا طَمَسًا، ﴿فَاسْتَبَقُوا﴾: ابْتَدَرُوا ﴿الصِّرَاطَ﴾: الطَّرِيقَ ذَاهِبِينَ كَعَادَتِهِمْ، ﴿فَأَنَّى﴾: فَكَيْفَ ﴿يُبْصِرُونَ﴾ حِينَئِذٍ؟ أَي: لَا يُبْصِرُونَ، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ أَوْ حِجَارَةً ﴿عَلَى مَكَاتَتِهِمْ﴾ - وفي قِرَاءة: (مَكَانَاتِهِمْ) جَمْع (مَكَانَةٍ) بِمَعْنَى مَكَانٍ - أَي: فِي مَنَازِلِهِمْ، ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أَي: لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَهَابٍ وَلَا مَجِيءٍ.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ بِإِطَالَةِ أَجَلِهِ ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ - وفي قِرَاءةٍ بِالتَّشْدِيدِ مِنَ التَّنْكِيسِ - ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ أَي: خَلْقِهِ، فَيَكُونُ بَعْدَ قُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ
.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾... إلخ) مفعول المشيئة محذوف؛ أي: لو نشاء طَمَسَهَا لفعلنا، وقوله: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أَي: أَرَادُوا أَنْ يَسْتَبِقُوا الطَّرِيقَ المحسوس ذَاهِبِينَ فِي حَوَائِجِهِمْ، وهو عطف على قوله: ﴿لَطَمَسْنَا﴾، وقوله: ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ استفهام إنكاري مرتب على ما قبله؛ أي: فلا يُبْصِرُونَهُ.

قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾... إلخ) يقال فيها ما قيل فيما قبلها، والمسَخُ: تَغْيِيرُ الصُّورِ، و(على) بمعنى (في)، والمقصود من هاتين الآيتين: تَسْلِيَتُهُ ﷺ، وَتَوْبِيخُ الْكُفَّارِ، وَإِعْلَامُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِذْهَابِ مَا بِهِمْ مِنَ النِّعَمِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ لَوْلَا حِلْمُهُ تَعَالَى، فَهَاتَانِ الْآيَتَانِ بِمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ...﴾ [الأنعام: ٤٦] الآية.

قوله: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ أَي: مَنْ يَكُونُ فِي سَابِقِ عِلْمِنَا طَوِيلَ الْعُمُرِ.

قوله: (وفي قِرَاءةٍ بِالتَّشْدِيدِ) أَي: وَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١)، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَالْمَعْنَى: نَقْلُهُ فَلَا يَزَالُ يَتَزَايَدُ ضَعْفُهُ وَتَنْقُصُ قُوَّاهُ، عَكْسَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلَ أَمْرِهِ.

قوله: (أَي: خَلْقِهِ) أَي: خَلَقَ جَسَدِهِ وَقُوَّاهُ.

(١) قرأ عاصم وحزمة بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة، والباقون بفتح الأولى وتسكين الثانية وضم الكاف خفيفة. انظر «الدر المصون» (٢٨٤/٩).

أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُٗٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾

ضَعِيفاً وَهَرِمًا، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْلُومِ عِنْدَهُمْ قَادِرٌ عَلَى الْبَعْثِ فَيُؤْمِنُونَ. - وفي قِرَاءَةِ الْتَاءِ -.

﴿٦٩﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ ﴿الشِّعْرَ﴾ أَي: النَّبِيُّ رَدُّ لِقَوْلِهِمْ: إِنَّ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شِعْرٌ. ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾: يَسْهَلُ ﴿لَهُٗٓ﴾ الشِّعْرُ، ﴿إِنْ هُوَ﴾: لَيْسَ الَّذِي أَتَى بِهِ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾: مُظْهِرٌ لِلْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا.

حاشية الصاوي

قوله: (ضعيفاً) مقابل (قوته)، وقوله: (وهرمًا) مقابل (وشبابه)، فهو لفٌّ ونشْرٌ مرتَّب، وهذا في غير الأنبياء عليهم السلام، وأمّا هم.. فلا يَعتَربُهم الضعف في العقل والبدن وإن طال عمرهم جدًّا، واستعاذتُهُ ﷺ من الرَّدِّ لأرذل العمر.. تعليمٌ لأمته^(١)، ويُلْحَقُ بالأنبياء الأولياء والعلماء العاملين؛ فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر، بل يكونون على أحسن ما كانوا عليه.

قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والتقدير: أتركوا التفكير فلا يعقلون؟ قوله: (وفي قِرَاءَةِ) أي: وهي سبعة أيضاً^(٢).

قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ وهذا تنزيهٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ عن التَّهْمِ فيما أوحاه الله إليه؛ إذ لو كان للعقل فيه بعض اتهام.. لبطل الاحتجاج به.

قوله: (رَدُّ لِقَوْلِهِمْ: إِنَّ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شِعْرٌ) أي: وحينئذٍ فيصير المعنى: ليس القرآن بشعر؛ لأنَّ الشعر كلامٌ مزخرفٌ موزونٌ مقفًى قصداً، مبنيٌّ على خيالات وأوهام واهية، وأين ذلك من القرآن العزيز الذي تنزَّه عن مماثلة كلام البشر؟!

قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُٗٓ﴾ أي: لا يصح ولا يليق منه؛ لأنَّ الشعر شأنه الأكاذيب، وهي عليه مستحيلة؛ ولذا قيل: أعذبه أكذبُه، فتحصَّل: أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَنْبَغِي لَهُ الشَّعْرُ وَلَا يَلِيْقُ مِنْهُ.

إن قلت: إنه تمثِّلٌ بقول ابن رواحة: [الطويل]

(١) رواه البخاري (٣٥٦٥) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص في الكلمات اللاتي كان يتعوَّذُ ﷺ بهنَّ دبر الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أردَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا - يعني فتنة الدجال - وأعوذ بك من عذاب القبر».

(٢) قرأ نافع وابن ذكوان: (تعقلون) بالخطاب، والباقون بالغية. انظر «الدر المصون» (٩/ ٢٨٤).

لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا

﴿٧٠﴾ ﴿لِيُنْذِرَ﴾ - بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ - بِهـ ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾: يَعْقِلُ مَا يُخَاطَبُ بِهِ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ،
﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وَهُمْ كَالْمَيِّتِينَ لَا يَعْقِلُونَ مَا يُخَاطَبُونَ بِهِ.

﴿٧١﴾ - ﴿٧٢﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يَعْلَمُوا - وَالْاِسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، وَالْوَاوُ الدَّاخِلَةُ عَلَيْهَا

لِلْعَطْفِ -

حاشية الصاوي

سَتُبْدِي لَكَ الْآيَاتُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ^(١)

وَأَنشَأَ مِنْ نَفْسِهِ قَوْلَهُ: [مجزوء الرجز]

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٢)

وقوله: [الرجز]

هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِضْبَعُ دَمِيَّتٍ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ^(٣)

قُلْتُ: أَحْسَنَ مَا أَجِيبُ بِهِ: أَنَّ إِنْشَادَهُ بَيْتَ ابْنِ رَوَاحَةَ وَإِنْشَاءَهُ الْبَيْتَيْنِ الْمُتَقَدِّمِينَ لَمْ يَكُنْ
عَنْ قَصْدٍ، وَإِنَّمَا وَافَقَ وَزْنَ الشَّعْرِ كَمَا فِي بَعْضِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا مُوزُونًا لَا
يَقْصُدُ بِهِ الشَّعَرَ شَاعِرًا، وَإِنَّمَا وَافَقَ وَزْنَ الشَّعْرِ.

قوله: ﴿لِيُنْذِرَ﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ دلٌّ عليه ما قبله.

قوله: (بالياء والناء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٤).

قوله: (وهم المؤمنون) أي: وخصُّوا بالذكر؛ لأنهم هم المتفعِّلون به.

قوله: (كالمتين) أخذ هذا من المقابلة في قوله: ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: وهو حملُ المخاطب على الإقرار بالحكم.

قوله: (والواو الداخلة عليها للعطف) هذه العبارة تحتل التقريرين السابقين في نظير هذه الآية،

(١) رواه الترمذي (٢٨٤٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، والبيت لطرفة بن العبد في «ديوانه» (ص ٢٩)، وكذلك النسبة إليه في بعض روايات الحديث.

(٢) رواه البخاري (٢٨٧٤)، ومسلم (١٧٧٦) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦) عن سيدنا جندب بن سفيان رضي الله عنه.

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالناء الفوقية على الخطاب، والباقون بالياء التحتية على الغيبة. انظر «السراج المنير» (٣/ ٣٦٣).

أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَنَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ
وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

﴿أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ في جملة الناس ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَنَا﴾ أي: عَمِلْنَاهُ بِلا شَرِيكَ وَلَا مُعِينٍ
﴿أَنْعَمًا﴾ هي الإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾: ضَابِطُونَ، ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾:
سَخَّرْنَاهَا ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: مَرْكُوبُهُمْ، ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كأصوافِها
وأوبارِها وأشعارِها، ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ مِنْ لَبَنِهَا جَمْع (مَشْرَب) بِمَعْنَى شَرْبٍ أَوْ مَوْضِعِهِ، ﴿أَفَلَا
يَشْكُرُونَ﴾ الْمُتَنَعِّمَ عَلَيْهِمْ بِهَا فَيُؤْمِنُونَ؟ أي: مَا فَعَلُوا ذَلِكَ.

حاشية الصاوي

وهما: أَنَّ الهمزة إمَّا مقدَّمة من تأخير؛ لأنَّ لها الصدارة، والواو عاطفة على قوله فيما تقدم: ﴿أَلَمْ
يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾، أو داخلَةٌ على محذوف، والواو عاطفةٌ عليه، والتقدير: أَلَمْ
يتفكروا ولم يروا؟

قوله: ﴿أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ (اللام: للحكمة^(١))؛ أي: حكمةُ خَلَقْنَا ذَلِكَ انتفاعُهُمْ.

قوله: (في جملة الناس) أشار بذلك إلى أَنَّ هذه النِّعَمَ ليست مقصورةً عليهم، بل لهم ولغيرهم.

قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَنَا﴾ هذا كنايةٌ عن الحَصْرِ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا كقول الإنسان:
كُتِبَ بِيَدِي مِثْلًا؛ بِمَعْنَى: أَنِّي انْفَرَدْتُ بِهِ وَلَمْ يَشَارِكْنِي فِيهِ غَيْرِي، فهو كنايةٌ عَرَفِيَّةٌ.

قوله: ﴿أَنْعَمًا﴾ خصَّها بالذكر؛ لأنَّ منافعها أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهَا.

قوله: (ضابطون) أي: قَاهِرُونَ مَذْلُلُونَ، وَالْأَحْسَنُ: أَنْ يَفْسَّرَ قَوْلُهُ: ﴿مَالِكُونَ﴾ بِالْمَلِكِ

الشرعي؛ أي: يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا بِسَائِرِ وَجُوهِ التَّصَرُّفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ؛ لِيَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ تَأْسِيسًا
لِنِعْمَةٍ أُخْرَى، لَا تَتِمُّ إِلَّا لِمَا قَبْلَهُ.

قوله: (كأصوافِها) أي: وَجُلُودُهَا وَنَسْلُهَا وَغَيْرَ ذَلِكَ.

قوله: (أو موضعه) أي: وَهُوَ الضَّرْعُ.

قوله: (أي: مَا فَعَلُوا ذَلِكَ) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَتَّخِذُوا...﴾

إِلخ عطفٌ على محذوف.

(١) كالتي في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْخَضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ ...

﴿٧٤﴾ واتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَي: غَيْرَهُ ﴿ءَالِهَةً﴾: أصناماً يَعْبُدُونَهَا، ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾: يُمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِشَفَاعَةِ آلِهَتِهِمْ بِزَعْمِهِمْ.
 ﴿٧٥﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَي: آلِهَتُهُمْ، نُزِّلُوا مَنْزِلَةَ الْعُقَلَاءِ ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أَي: آلِهَتُهُمْ مِنْ الْأَصْنَامِ ﴿لَهُمْ جُنْدٌ﴾ بِزَعْمِهِمْ نَصْرَهُمْ ﴿مُنْخَضَرُونَ﴾ فِي النَّارِ مَعَهُمْ.
 ﴿٧٦﴾ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ لَكَ: لَسْتُ مُرْسَلاً وَغَيْرَ ذَلِكَ، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ، فَتُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.
 ﴿٧٧﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ: يَعْلَمُ

حاشية الصاوي

قوله: (يَعْبُدُونَهَا) تفسيراً للاتخاذ.
 قوله: (لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ) الجملة حالية، والمعنى: حال كونهم راجين النصرة منهم.
 قوله: (نُزِّلُوا مَنْزِلَةَ الْعُقَلَاءِ) أي: لمشاكلة عبّادهم، فعبر عنهم بصيغة جمع الذكور.
 قوله: (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ ... إلخ) (هم): مبتدأ، و﴿جُنْدٌ﴾: خبر أول، و﴿لَهُمْ﴾: متعلق ب﴿جُنْدٌ﴾، و﴿مُنْخَضَرُونَ﴾: خبر ثان.
 قوله: (أي: آلِهَتُهُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ) هذا أحد وجهين، والآخر أنه عائد على الكفار، والمعنى: يقومون بمصالحها، فهم لها بمنزلة الجند، وهي لا تستطيع أن تنصرهم.
 قوله: (﴿مُنْخَضَرُونَ﴾ فِي النَّارِ) أي: ليعذبوا بهم.
 قوله: (﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾) هذا تسليّة له ﷺ، والمعنى: لا تحزن من قولهم، بل اتركه ولا تلتفت له.
 قوله: (﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾ ... إلخ) تعليل للنهي قبله.
 قوله: (فنجازيهم عليه) أي: على ما صدر منهم سرّاً وعلانية، خيراً أو شراً.
 قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ﴾) في الهمزة التقديران السابقان، وهما كونها مقدّمة من تأخير، أو عاطفة على محذوف، والتقدير: أعمي ولم ير؟

أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُخَيِّ
الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

وهو العاصي بنُ وائل ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ إلى أن صَيَّرناه شَدِيداً قَوِيًّا، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شَدِيدُ الحُصُومَةِ لَنَا ﴿مُبِينٌ﴾: يَبَيِّنُهَا فِي نَفْيِ البَعث.

﴿٧٨﴾ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذَلِكَ ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ مِنَ المَنِيِّ وهو أَغْرَبُ مِنْ مَثَلِهِ، ﴿قَالَ مَنْ يُخَيِّ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بِالْيَةِ، وَلَمْ يَقُلْ: بِالتَّاءِ لِأَنَّهُ اسْمٌ لَا صِفَةٌ، وَرُوي أَنَّهُ أَخَذَ حَاشِيَةَ الصَّائِلِ

قوله: (وهو العاص بن وائل) وقيل: نزلت في أَبِي بن خلف الجمحي، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ أي: قَذْرَةٌ خَسِيسَةٌ، والمقصود: التَّعَجُّبُ مِنْ جِهْلِهِ حَيْثُ تَصَدَّى لِمَخَاصِمَةِ العَزِيزِ الجَبَّارِ وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِي بَدْءِ خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ نُطْفَةٍ.

قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ عَطَفْتُ عَلَى جُمْلَةِ النَفْيِ ^(١).

قوله: (في نفي البعث) متعلق بـ﴿خَصِيمٌ﴾.

قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أي: أوردَ كَلَاماً عَجِيباً فِي الغَرَابَةِ كَالْمَثَلِ؛ حَيْثُ قَاسَ قُدْرَتَنَا عَلَى قُدْرَةِ الخَلْقِ.

قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي: ذَهَلَ عَنْهُ، وَهَذَا عَطَفْتُ عَلَى (ضرب) دَاخِلٌ فِي حَيْزِ الإنْكَارِ، وإِضَافَةٌ (خلق) لِلضَّمِيرِ مِنْ إِضَافَةِ المَصْدَرِ لِمَفْعُولِهِ؛ أي: خَلَقَ اللهُ إِيَّاهُ.

قوله: ﴿قَالَ مَنْ يُخَيِّ الْعِظَمَ...﴾ إلخ) بَيَانٌ لِضَرْبِ المَثَلِ.

قوله: (ولم يقل بالتاء... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى سَوَالِ حَاصِلُهُ: أَنَّ (فَعِيلاً) بِمَعْنَى (فَاعِلاً) يَفَرِّقُ فِيهِ بَيْنَ المَذْكَرِ وَالمَوْثُوثِ بِالتَّاءِ، فَكَانَ مُقْتَضِي القَاعِدَةِ أَن يَقَالَ: رَمِيمَةٌ، فَأَجَابَ المَفْسِّرُ: بِأَنَّ مَحَلَّ ذَلِكَ إِذَا لَمْ تَغْلِبْ عَلَيْهِ الِاسْمِيَّةُ، فَإِذَا صَارَ اسْمًا بِالْغَلْبَةِ لِمَا بَلَى مِنَ العِظَامِ... فَلَا تَلْحَقُهُ التَّاءُ فِي مَوْثَنِهِ.

(١) دَاخِلٌ فِي حَيْزِ الإنْكَارِ وَالتَّعْجِيبِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَوَلَمْ يَرَ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ أَحْسَنِ الْأَشْيَاءِ وَأَمْنَهَا، فَفَاجَأَ حُصُومَتَنَا فِي أَمْرِ يَشْهَدُ بِصَحَّتِهِ وَتَحَقُّقِهِ مَبْدَأَ فِطْرَتِهِ شَهَادَةً بَيْنَةً؟ انظر «تفسير أبي السعود» (٧/١٨٠).

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْقِدُونَ ﴿٨٠﴾

عَظْمًا رَمِيمًا فَفَتَنَّهُ وَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَرَى يُحْيِي اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا بَلِيَ وَرَمَّ؟ فَقَالَ ﷺ: «نَعَمْ، وَيُدْخِلُكَ النَّارَ».

﴿٧٩﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ : مَخْلُوقٍ ﴿عَلِيمٌ﴾ مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا؛ قَبْلَ خَلْقِهِ وَبَعْدَ خَلْقِهِ.

﴿٨٠﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم ﴿فِي جُمْلَةِ النَّاسِ﴾ مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ﴿الْمَرْخِ وَالْعَفَارِ﴾ أَوْ كُلِّ شَجَرٍ إِلَّا الْعُنَابَ ﴿نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْقِدُونَ﴾ : تَقْدَحُونَ، وَهَذَا دَالٌّ عَلَى الْقُدْرَةِ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (فَقَالَ ﷺ: «نعم ويدخلك النار»^(١)) أخذ من هذا أنه مقطوع بكفره وخلوده في النار، وزيادة ذلك في الجواب؛ لأنه متعنت لا مستفهم، وجزاء المتعنت المنكر أن يجاب بما يكره، ويضد ما يترقب، ويسمى عند علماء البلاغة الأسلوب الحكيم.

قوله: ﴿الَّذِي أَنشَأَهَا﴾ أي: أوجدها من العدم.

قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: بكيفية خلقها، وبأجزاء الأشخاص تفصيلاً.

قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾ ... إلخ) بدلٌ من الموصول قبله.

قوله: (في جملة الناس) أشار بذلك إلى أنه ليس مخصوصاً بالكفار، بل لجميع الخلق.

قوله: (المرخ) بفتح الميم وسكون الراء وبإلخاء المعجمة: شجر سريع القدح، وقوله: (والعفار) بفتح العين المهملة بعدها فاء مفتوحة فألف فراء، وكيفية إيقاد النار منهما: أن يجعل العفار كالزند يضرب به على المرخ، وقيل: يؤخذ منهما غصنان خضراوان، ويُسحق المرخ على العفار، فتخرج منهما النار بإذن الله تعالى.

قوله: (أو كل شجر) أي: وقد شُوهِد في بعضه كالبرسيم؛ إذا وُضِعَ بعضُهُ على بعض وهو أخضر مدة.. فإنه يُحرق نفسه وما حوله.

قوله: (إلا العناب) أي: ولذلك تؤخذ منه مطارق القصارين.

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ
مَلَكُوتُ

على البعث؛ فإنه جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ وَالْخَشَبِ، فَلَا الْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ وَلَا النَّارُ
تُحْرِقُ الْخَشَبَ.

﴿٨١﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿مَعَ عِظَمِهِمَا﴾ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟
أي: الْإِنْسَانِي فِي الصَّغَرِ؟ ﴿بَلَى﴾ أي: هُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، أَجَابَ نَفْسَهُ، ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾:
الْكَثِيرُ الْخَلْقِ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِكُلِّ شَيْءٍ.

﴿٨٢﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ: شَأْنُهُ ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خَلَقَ شَيْءًا ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ أي: فَهُوَ يَكُونُ، - وَفِي قِرَاءَةِ بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى ﴿يَقُولُ﴾ ..

﴿٨٣﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ: مُلْكُ، زِيدَتِ الْوَاوُ وَالْتَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ، أي: الْقُدْرَةُ

حاشية الصاوي

قوله: (والخشب) بفتحتين، أو ضمّتين، أو ضمّ فسكون.

قوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والواو عاطفة عليه، تقديره: أليس الذي
أنشأها أوّل مرّة، وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، وليس الذي خلق السماوات
والأرض بقادر؟!

قوله: (أي: الأناسي) تفسير للضمير.

قوله: ﴿بَلَى﴾ جواب تقرير النفي، وهو صادرٌ منه تعالى؛ إشارةً إلى تعيينه، قالوه أو لا.

قوله: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ عطفٌ على مقدّر، تقديره: بلى هو قادرٌ وهو الخلاق العليم.

قوله: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ في الكلام استعارة تمثيلية، وتقديرها أن يقال: شبه سرعة تأثير قدرته
ونفاذها فيما يُريده بأمر المطاع للمطيع في حصول الأمور به من غير امتناع ولا توقّف، وحينئذٍ:
فمعنى ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾: أن تتعلّق به قدرته تعلّقاً تنجيزياً.

قوله: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي﴾... إلخ) أي: تنزيهه عمّا لا يليق به.

كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تُرْجَعُونَ فِي الْآخِرَةِ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ العامة بينائه للمفعول، وقرئ شذوذاً بينائه للفاعل^(١).

تتمة:

تقدّم في فضل (يس) أنها قلبُ القرآن، ووجه ذلك: أنها اشتملت على الوجدانية والرسالة والحشر، والإيمانُ بذلك متعلّق بالقلب؛ فلذلك سمّيت قلباً، ومن هنا أُمِرَ بقراءتها عند المحتَضِر وعلى الميت^(٢)؛ لكون القلب قد أقبل على الله تعالى ورجع عمّا سواه، فيُقرأ عنده ما يزداد به قوّة ويقيناً.



(١) وبها قرأ زيد بن علي؛ كما في «الدر المصون» (٢٨٧/٩).

(٢) كما روى أبو داود (٣١٢١) وغيره عن سيدنا معقل بن يسار قال: قال النبي ﷺ: «اقرأوا يس على موتاكم».

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾



مَكِّيَّةٌ، مائةٌ واثنانِ وثمانون آيةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾: الْمَلَائِكَةُ تَصِفُ نَفُوسَهَا

حاشية الصاوي

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

(مَكِّيَّة) أي: بالإجماع، وسمّيت باسم أوّل كلمةٍ منها، من باب: تسمية الشيء باسم بعضه، على حكم عاداته سبحانه وتعالى في كتابه.

قوله: ﴿وَالصَّفَّاتِ﴾... إلخ) الواو: حرف قسم وجرّ، و(الصافات): مقسمٌ به مجرور، وما بعده عطفٌ عليه، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾: جوابُ القسم، وهو المقسم عليه، والمعنى: وحقُّ الصافات وحقُّ الزاجرات وحقُّ التاليات، وإنما خصّ ما ذكر؛ لِعِظَمِ قَدْرِهَا عنده، ولا يُعَكَّرُ عليه ما ورد من النهي عن الحلف بغير الله^(١)؛ لأنَّ النهي للمخلوق؛ حذراً من تعظيم غير الله، وأما هو سبحانه وتعالى.. فيقسم ببعض مخلوقاته للتعظيم؛ كقوله: ﴿وَالشَّمْسُ﴾، ﴿وَالْقَمَرُ﴾، ﴿وَالنَّجْمُ﴾ وغير ذلك.

قوله: (الملائكة تصف نفوسها... إلخ) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف.

إن قلت: إن التاء في (الصافات) وما بعدها للتأنيث، والملائكة مُنْزَهُونَ عن الاتصاف بالأنوثة كالذكورة.

أجيب: بأنها للتأنيث اللفظي، والمنزّهون عنه التأنيث المعنوي.

(١) فيما رواه البخاري (٦١٠٨) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله، وإلا... فليصمت».

فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾

في العبادة أو أجنحتها في الهواء، تنتظر ما تؤمر به، ﴿فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا﴾: الملائكة تزجر السحاب
أي: تسوقه، ﴿فَالْتَلَيْتِ﴾ أي: قرأ القرآن يتلونه، ﴿ذِكْرًا﴾ - مصدر من معنى (التاليات) -..
(٤ - ٥) ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَوَاحِدٌ﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشْرِقِ
حاشية الصاوي

وقوله: (الملائكة) هو أحد أقوال في تفسير (الصافات)، وقيل: المراد: المجاهدون،
أو المصلون، أو الطير تصف أجنحتها.

قوله: (في العبادة) أي: في مقاماتها المعلومة.

قوله: (أو أجنحتها في الهواء) أي: ومعنى صفها: بسطها.

قوله: (تنتظر ما تؤمر به) أي: من صعود وهبوط.

قوله: ﴿فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا﴾ الفاء: للترتيب باعتبار الوجود الخارجي؛ لأن مبدأ الصلاة
الاصطفاف، ثم يعقبه زجر النفس، ثم يعقبه التلاوة، وهكذا، ويحتمل أنها للترتيب في المزايا،
ثم هو إما باعتبار الترقى؛ فالصافات ذوات فضل، فالزاجرات أفضل، فالتاليات أكثر فضلاً،
أو باعتبار التدلي؛ فالصافات أعلى، ثم الزاجرات، ثم التاليات، وكلٌ صحيح.

قوله: (الملائكة) تزجر السحاب، وقيل: المراد بهم: العلماء تزجر العصاة.

قوله: (مصدر من معنى «التاليات») ويصح أن يكون مفعولاً لـ (التاليات)، والمراد بالذكر:
القرآن وغيره من تسبيح وتحميد، والمراد بهم هنا: كلٌ ذاكِرٍ من ملائكة وغيرهم.

قوله: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (إن قلت: ما حكمة ذكر القسم هنا؛ لأنه إن كان المقصود
المؤمنين.. فلا حاجة له؛ لأنهم مصدقون ولو من غير قسم، وإن كان المقصود الكفار.. فلا حاجة
أيضاً؛ لأنهم غير مصدقين على كل حال؟

أجيب: بأن المقصود منه تأكيد الأدلة التي تقدم تفصيلها في سورة (يس)؛ ليزداد الذين آمنوا
إيماناً، ويزداد الكافر طرداً وبعداً.

قوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إما بدلٌ من ﴿وَاحِدٌ﴾، أو خبر ثانٍ، أو خبرٌ لمحذوف.

إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا

أي: والمغارب للشمس، لها كُلُّ يَوْمٍ مَشْرِقٌ وَمَغْرِبٌ.
 (٦ - ٧) ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ﴾ أي: بِضَوْئِهَا أَوْ بِهَا، - والإضافة
 لِلْيَبَانِ، كَقِرَاءَةِ تَنْوِينِ (زِينَةِ) الْمُبَيَّنَةِ بِـ ﴿الْكَوَكِبِ﴾ - ﴿وَحِفْظًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أي: والمغارب) أشار بذلك إلى أَنَّ في الآية اكتفاءً، على حَدِّ: ﴿سَرِيلَ تَقِيكُمْ
 الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وإنما اقتصر على المشارق؛ لأنَّ نَفْعَهُ أَعْمُ من الغروب.
 إن قلت: إنه تعالى جمع المشارق هنا وحذف مُقَابِلَهُ، وجمعهما في (سأل)، وثناهما
 في (الرحمن)، وأفردهما في (المزمل)، فما وجه الجمع بين هذه الآيات؟
 أجيب: بأنَّ الجمع باعتبار مشرق كلِّ يومٍ ومغربه؛ لأنَّ الشمس لها في السنة ثلاث مئة وستور
 مشرقاً، وثلاث مئة وستون مغرباً؛ فتُشْرِقُ كلَّ يَوْمٍ من مشرق منها، وتغرب كلَّ يَوْمٍ في مُقَابِلِهِ من تلك
 المغارب، والثنية باعتبار مَشْرِقِ الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما، والإفراد باعتبار مشرق كلِّ سنة
 ومغربها، وخصَّ الجمع بهذه السورة؛ لِمُنَاسَبَةِ جموع أولِّها.
 قوله: ﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ أي: القربى من الأرض.

قوله: ﴿بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ﴾ اختلف العلماء: هل الكواكب في سماء الدنيا أو ثوابت في العرش
 وضوؤها يصل لسماء الدنيا؛ لأنَّ السماوات شَفَافَةٌ لا تحجب ما وراءها؟
 قوله: (بضوئها) أي: نُورُهَا، ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس، وقوله:
 (أو بها) أي: إِنَّ ذَاتَ الكواكب زِينَةٌ لسماء الدنيا؛ فإنَّ الإنسان إذا نظر في الليلة المظلمة
 إلى السماء، ورأى هذه الكواكب مُشْرِقَةً على سطح أزرق.. وجدها في غاية الزينة.
 قوله: (المبيَّنة بالكواكب) أي: فعلى قراءة التنوين مع جرِّ (الكواكب) تكون (الكواكب) عطفاً
 عليها، وبقي قراءة ثلاثة سبعة، وهي تنوين (زينة) ونصب (الكواكب) على أنه مفعول لمحذوف،
 تقديره: أعني الكواكب^(١).

(١) وللعلامة السمين الحلبي توجيهات أخرى للقراءات الثلاث، ذكرها في «الدر المصون» (٢٩٢/٤)، فقال: قرأ أبو بكر
 بتنوين (زينة) ونصب (الكواكب)، وفيه وجهان: أحدهما: أن تكون (الزينة) مصدرًا، وفاعله محذوف، تقديره: بأن
 زين الله الكواكب، في كونها مُضيئة حسنة في أنفسها، والثاني: أن الزينة اسم لما يزان به، فتكون (الكواكب) على هذا
 منصوبة بإضمار (أعني)، أو تكون بدلاً من (سماء الدنيا) بدل اشتمال؛ أي: كواكبها، أو من محل (بزينة).

مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾

- مَنْصُوبٌ بِفَعْلِ مُقَدَّرٍ - أَي: حَفِظْنَاهَا بِالشُّهُبِ ﴿مِنْ كُلِّ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِالْمُقَدَّرِ - ﴿شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾: عَاتٍ خَارِجٌ عَنِ الطَّاعَةِ.

(٨ - ٩) ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أَي: الشَّيَاطِينُ - مُسْتَأْنَفٌ - وَسَمَاعُهُمْ هُوَ فِي الْمَعْنَى الْمَحْفُوظِ عَنْهُ ﴿إِلَى آلَمٍ الْأَعْلَى﴾: الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، - وَعُدِّي السَّمَاعُ بِـ(إِلَى) لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْإِصْغَاءِ، وَفِي قِرَاءَةِ بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ وَالسِّينِ، أَصْلُهُ: يَسْمَعُونَ، أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي السِّينِ - ﴿وَيُقَذَّفُونَ﴾ أَي: الشَّيَاطِينُ بِالشُّهُبِ ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ، ﴿دُخُورًا﴾: مَصْدَرٌ (دَحْرُهُ) أَي: طَرَدُهُ وَأَبْعَدَهُ، - وَهُوَ مَفْعُولٌ لَهُ - ﴿وَلَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: دَائِمٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (بفعل مقدر) أي: معطوف على (زينًا).

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ أي: وكانوا لا يُحجبون عن السماوات، وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقونها على الكهنة، فلمَّا ولد عيسى عليه الصلاة والسلام.. مُنِعُوا مِنْ ثَلَاثِ سَمَاوَاتٍ، فلمَّا ولد محمد عليه الصلاة والسلام.. مُنِعُوا مِنَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا، فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يُرِيدُ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ إِلَّا رُمِيَ بِشَهَابٍ - وَهُوَ الشَّعْلَةُ مِنَ النَّارِ - فَلَا يَخْطئه أَبَدًا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتُلُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْرِقُ وَجْهَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْلِيهِ فَيَصِيرُ غُولًا يَضِلُّ النَّاسُ فِي الْبَرَارِيِّ.

قوله: (مستأنف) أي: لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يعترتهم من العذاب.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (أدغمت التاء في السين) بعد قلبها سيناً وإسكانها.

قوله: (من آفاق السماء) أي: نواحيها وجهاتها.

= وحمة وحفص كذلك، إلا أنهما خفضا (الكواكب) على أن يراد بـ(زينة): ما يُزَانُ بِهِ، و(الكواكب) بدلٌ أو بيانٌ للزينة. والباقون بإضافة (زينة) إلى (الكواكب). اهـ

(١) قرأ الأخوان وحفص بتشديد السين والميم، والباقون بالتخفيف فيهما. انظر «الدر المصون» (٩/٢٩٣).

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

﴿١٠﴾ ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ - مَصْدَرُ أَي: الْمَرَّةِ، والاستثناء من ضمير ﴿يَسْمَعُونَ﴾ - أي: لا يَسْمَعُ إِلَّا الشَّيْطَانُ الَّذِي سَمِعَ الْكَلِمَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَأَخَذَهَا بِسُرْعَةٍ، ﴿فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ﴾: كَوَكَبٌ مُضِيٌّ ﴿ثَاقِبٌ﴾: يَثْقُبُهُ أَوْ يُحْرِقُهُ أَوْ يَخْبِلُهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (والاستثناء من ضمير ﴿يَسْمَعُونَ﴾) أي: (وَمَنْ) في محل رفع بدل من الواو، أو في محل نصب على الاستثناء، والاستثناء على كل متصل، ويجوز أن تكون (مَنْ) شرطية، وجوابها: ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾، أو موصولة مبتدأ وخبرها: ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾، وهو استثناء منقطع كقوله تعالى: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿البغاشية: ٢٢-٢٣﴾.

قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (إن قلت: تقدّم أنّ الكواكب ثابتة في السماء أو في العرش زينة، ومقتضى كونها رجوماً للشياطين أنها تنفصل وتزول، فكيف الجمع بين ذلك؟

أجيب: بأنه ليس المراد: أنّ الشياطين يُرْجَمُونَ بذات الكواكب، بل تنفصل منها شهب تنزل على الشياطين والكواكب باقية بحالها.

إن قلت: إنّ الشياطين خلّقوا من النار، فكيف يحترقون؟

أجيب: بأنّ الأقوى يُحرق الأضعف كالحديد يقطع بعضه.

إن قلت: إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده، بل يُصاب؛ فكيف يعود مرّة أخرى؟

أجيب: بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته؛ كراكب البحر فإنه يشاهد الغرق المرة بعد المرة، ويعود طمعاً في السلامة.

قوله: (يثقبه) أي: بحيث يموت من ثقبه، وقوله: (أو يحرقه) أي: ويموت أيضاً، و(أو) في كلام المفسّر للتنويع، وهو لا ينافي وصف الشهاب بالثاقب؛ لأنّ معنى الثاقب: المضيء؛ أي: الذي يثقب الظلام، خلافاً لما يُوهمه المفسّر.

قوله: (أو يخبِلُهُ) الخبل بسكون الباء وفتحها: الجنون والبله، ويطلق أيضاً على مَنْ فسدت أعضاؤه.

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ

﴿١١﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ: استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً: ﴿أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما، وفي الإتيان بـ(من) تغليب العقلاء، ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ أي: أصلهم آدم ﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾: لازم يلصق باليد، المعنى: أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبي والقرآن المؤدي إلى هلاكهم اليسير.

﴿١٢﴾ ﴿بَلْ﴾ - لِّلانْتِقَالِ مِنْ غَرَضٍ إِلَى آخَرَ، وهو الإخبار بحالهم وحالهم - عَجِبْتَ - بِفَتْحِ النَّاءِ خِطَاباً لِلنَّبِيِّ ﷺ - أي: من تكذيبهم إياك،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾... إلخ) المقصود من هذا الكلام: الرد على منكري البعث؛ حيث ادَّعوا أنه مستحيل، وحاصل الرد أن يقال لهم: إن استحالة التي تدَّعونها؛ إمَّا لعدم المادَّة، وهو مردود بأن غاية الأمر تصير الأجزاء تراباً، وهو قادرٌ على أن يُنزل عليه ماء فيصير طيناً، وقد خلق أباكم آدم من طين، أو لعدم القدرة وهو مردود بأنَّ القادر على هذه الأشياء العظام من السماوات والأرض وغيرهما قادرٌ على إعادتهم ثانياً، وقدرته ذاتية لا تتغير، فهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ أَلَمَّا يَنْهَكُنَّ﴾... [النَّازِعَات: ٢٧] إلخ.

قوله: ﴿أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي: أقوى خَلْقَةً، أو أصعب أو أشقَّ إيجاداً.

قوله: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ قرأ العامة بتشديد الميم، وقرئ شذوذاً بتخفيفها^(١)، وهو استفهام ثانٍ، و(من): مبتدأ، خبره محذوف دلَّ عليه ما قبله؛ أي: أشدُّ خلقاً.

قوله: ﴿لَّازِبٍ﴾ من باب: (دَخَلَ)، وقوله: (يلصق باليد) أي: إنه لإضعفه لا قِوَامَ له بنفسه.

قوله: (المعنى: أن خلقهم... إلخ) التفت المفسر إلى أنه توبيخٌ لهم على التكبر والعناد الذي منه إنكار البعث.

قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ إضرابٌ عن الأمر بالاستِفتاء، كأنه قال: لا تستفتهم فإنهم جاهلون معاندون، ولا منفعة في استفتائهم، بل انظر إلى حالك وحالهم، والمقصود منه: تسليته ﷺ.

قوله: (بفتح الناء) أي: وبضمِّها، قراءتان سبعيتان، وعلى الضمِّ فالمتعجبُ الله تعالى، ومعناه

وَيَسْتَخِرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِهْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾

﴿و﴾ هُم ﴿يَسْتَخِرُونَ﴾ مِنْ تَعَجُّبِكَ.

(١٣ - ١٧) ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾: وَعِظُوا بِالْقُرْآنِ ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾: لَا يَتَّعِظُونَ، ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾: كَانَتْ شِقَاقِ الْقَمَرِ ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يَسْتَهْزِئُونَ بِهَا، ﴿وَقَالُوا﴾: فِيهَا: ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: بَيِّن. وَقَالُوا مُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: ﴿أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِهْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ - فِي الْهَمْزَتَيْنِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ التَّحْقِيقِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالُ أَلِفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهَيْنِ - ﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ - بِسُكُونِ الْوَاوِ عِظْفًا بِ(أَوْ)،

حاشية الصاوي

فِي حَقِّهِ: الْغَضَبُ وَالْمُؤَاخَذَةُ؛ عَلَى حَدِّ: ﴿وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ وَالْمَعْنَى: يُجَازِيهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، وَقَدْ يُطْلَقُ التَّعَجُّبُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الرِّضَا وَالْمَحَبَّةِ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَ لَهُ صَبُوءٌ»^(١).

قَوْلُهُ: ﴿﴿و﴾ هُم ﴿يَسْتَخِرُونَ﴾ مِنْ تَعَجُّبِكَ﴾ أَي: أَوْ مِنْ تَعَجُّبِي؛ أَي: غَضَبِي عَلَيْهِمْ، وَمَجَازَاتِي لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ.

قَوْلُهُ: (لَا يَتَّعِظُونَ) أَي: لِقِيَامِ الْغَفْلَةِ بِهِمْ.

قَوْلُهُ: ﴿﴿أَوَإِذَا مِتْنَا﴾... إلخ﴾ أَصْلُ الْكَلَامِ: أَنْبِئْتُ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا؟ فَقَدِّمُوا الظَّرْفَ وَكَرِّرُوا الْهَمْزَةَ، وَأَخِّرُوا الْعَامِلَ، وَعَدِّلُوا بِهِ إِلَى الْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَةِ لِقَصْدِ الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ؛ إِشْعَارًا بِأَنَّهُمْ مَبَالِغُونَ فِي الْإِنْكَارِ.

قَوْلُهُ: (وَإِدْخَالُ أَلِفٍ بَيْنَهُمَا) أَي: وَتَرْكُهُ، فَالْقَرَاءَاتُ أَرْبَعٌ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَبَقِيَ قَرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ أَيْضًا: الْأُولَى بِالْفَيْنِ، وَالثَّانِيَةُ بِوَاحِدَةٍ، وَالْعَكْسُ، وَبَسْطُ تِلْكَ الْقَرَاءَاتِ يُعْلَمُ مِنْ كِتَابِهَا^(٢).

(١) رَوَاهُ أَبُو حَفْصٍ ابْنُ شَاهِينَ فِي «الْتَرغِيبِ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ» (٢٣١) عَنْ سَيِّدِنَا عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قَرَأَ قَالُونَ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِالتَّسْهِيلِ وَالْإِدْخَالِ، وَوَرِثَ وَالْمَكِّي وَرَوَيْسُ بِالتَّسْهِيلِ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالٍ، وَهَشَامُ بِالتَّحْقِيقِ مَعَ الْإِدْخَالِ وَتَرْكِهِ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّحْقِيقِ بِلَا إِدْخَالٍ. انْظُرْ «الْبَدُورُ الزَّاهِرَةُ» (ص ٢٦٩).

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾

وَيَفْتَحُهَا وَالْهَمْزَةُ لِلْاِسْتِفْهَامِ وَالْعَطْفُ بِالْوَاوِ، وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ مَحَلٌّ (إِنَّ) وَاسْمُهَا،
أَوِ الضَّمِيرِ فِي ﴿لَتَبْعُوُنَّ﴾، وَالْفَاصِلُ هَمْزَةُ الْاِسْتِفْهَامِ ..

(١٨ - ١٩) ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تَبْعُوُنَّ، ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾: صَاغِرُونَ،

حاشية الصاوي

قوله: (وبفتحها) أي: والقراءتان سبعتان هنا وفي (الواقعة)، وتقدم في (الأعراف) ﴿أَوَّامِنَ أَهْلُ
الْقُرَى﴾ [الأعراف: ٩٨] ^(١).

قوله: (للاستفهام) أي: الإنكاري.

قوله: (أو الضمير في ﴿لَتَبْعُوُنَّ﴾) أي: على القراءة الثانية، فيكون (مبعوثون) عاملاً فيه أيضاً.
إن قلت: إنَّ ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبلها، فكان الأولى أن يُجعل مبتدأ خبره
محذوف، تقديره: أو آباؤنا يُبعثون؟

أجيب: بأنها مؤكدة للأولى، لا مقصودة بالاستقلال، فالعبرة بتقديم المؤكّد لا المؤكّد ^(٢).

قوله: (والفاصل) أي: بين المعطوف عليه وهو ضمير الرفع المستتر، وبين المعطوف وهو
(آباؤنا)، فتحصل أنه على قراءة سكون الواو يتعين العطف على محل (إن) واسمها لا غير، وعلى
قراءة فتحها: يجوز هذا الوجه، ويجوز كونه معطوفاً على الضمير المستتر في ﴿لَتَبْعُوُنَّ﴾، ويكفي
الفصل بهمزة الاستفهام، على حدّ قول ابن مالك: (أو فاصلي ما) ^(٣).

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ الجملة حاليّة، والعامل فيها معنى (نعم)، كأنه قيل: تُبعثون والحال
أنكم صاغِرُونَ؛ لخروجهم من قبورهم حاملين أوزارهم على ظهورهم.

(١) قرأ ابن عامر وقالون بسكون الواو على أنها (أو) العاطفة المقترضة للشك، والباقون بفتحها على أنها همزة استفهام
دخلت على واو العطف. انظر «الدر المصون» (٢٩٦/٩).

(٢) فالمؤكّد: هو الهمزة الثانية (أو آباؤنا)، والمؤكّد هو الهمزة الأولى (أئننا)، والعبرة بصدارة المؤكّد، فصحّ عمل
ما قبل المؤكّد فيما بعده. وانظر «الفتوحات» (٥١٠/٣).

(٣) جزء من بيتين في جواز العطف على ضمير الرفع المتصل، قال في «خلاصته»:

وَإِنَّ عَلَى ضَمِيرٍ رَفْعٍ مُتَّصِلٍ	عَطِفَتْ فَافْصِلْ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ
أَوْ فَاصلٍ مَّا وَبِلَا فَصلٍ يَرِدُ	فِي النَّظْمِ فَاشْيَاءَ وَضَعَفَهُ اعْتَقِدْ

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾

﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ - ضمير مبهم يُفسَّرُ - ﴿زَجْرَةٌ﴾ أي: صيحة ﴿وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: الخلائقُ أحياء ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ما يفعلُ بهم.

(٢٠ - ٢٣) ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الكفار: ﴿يَا﴾ - للتَّشْيِيعِ - ﴿وَيْلَنَا﴾: هَلَاكُنَا - وهو مصدرٌ لا فعل له من لفظه -، وتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: ﴿هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾: أي: الحِسابِ والجَزَاءِ، ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بينَ الخلائقِ، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، ويُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أَنْفُسَهُمْ بِالشُّرْكِ ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾: قُرَنَاءُهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ أي: غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ، ﴿فَأَهْدُوهُمْ﴾: دُلُّوهُمْ وَسُوقُوهُمْ ﴿إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾: طَرِيقِ النَّارِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ﴾... إلخ) هذه الجملة جوابُ شرطٍ مقدَّر، أو تعليلٌ لنهيٍ مقدَّر، تقديره: إذا كان الأمر كذلك فإنما هي... إلخ، أو لا تستصعبوه فإنما هي... إلخ.

قوله: (أي: صيحة ﴿وَاحِدَةٌ﴾) أي: وهي النفخة الثانية.

قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾) أي: ينتظرون.

قوله: (لا فعل له من لفظه) أي: بل معناه، وهو هَلَكٌ.

قوله: (وتقول لهم الملائكة) أشار بذلك إلى أَنَّ الوقفَ تمَّ عند قوله: ﴿يَوَيْلَنَا﴾، وما بعده كلامٌ مستقلٌّ، هذا أحدُ احتمالاتٍ، ويحتملُ أنه من كلام بعضهم لبعض، ويحتملُ أنه من كلام الله تعالى تبيكيتاً لهم، ويحتملُ أنه من كلام المؤمنين لهم.

قوله: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾) أي: من مقامهم إلى الموقف، أو من الموقف إلى النار.

قوله: (قرناءهم من الشياطين) هذا أحدُ أقوال، وقيل: المراد بـ(أزواجهم): نساؤهم اللاتي على دينهم، وقيل: أشباههم وأخلاقهم من الإنس؛ لأنَّ زوجَ الشيء يُطْلَقُ على مُقَارِبِهِ ومجانسه، فيقال لمجموع فردتي الخف: زوجٌ، ولإحدهما: زوجٌ.

قوله: (من الأوثان) أي: كالأصنام والشمس والقمر.

وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا نَنْصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾

(٢٤ - ٢٦) ﴿وَقَفُّوهُمْ﴾: أَحْبَسُوهُمْ عِنْدَ الصُّرَاطِ، ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾: عَنْ جَمِيعِ
أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا: ﴿مَا لَكُمْ لَا نَنْصَرُونَ﴾: لَا يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا
كَحَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا؟ وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: مُنْقَادُونَ أَذِلَّاءَ.
(٢٧ - ٢٨) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: يَتَلَاوُمُونَ وَيَتَخَاصِمُونَ، ﴿قَالُوا﴾
أَي: الْآتِبَاعُ مِنْهُمْ لِلْمَتَّبِعِينَ: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: عَنِ الْجِهَةِ الَّتِي كُنَّا نَأْمَنُكُمْ
حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ

قوله: ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ بكسر الهمزة في قراءة العامة على الاستئناف، وفيه معنى التعليل، وقرئ
بفتحها على حذف لام العلة، والمعنى: قَفُّوهُمْ لأجل سؤال الله إياهم.

قوله: (عن جميع أقوالهم وأفعالهم) أي: لما في الحديث: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة
حتى يُسألَ عن أربع؛ عن شبابه فيما أبلاه، وعن عُمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما
أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»^(١).

قوله: (ويقال لهم) أي: والقاتل خزنة جهنم.

قوله: (كحالكُم في الدنيا) تشبيه في المنفي.

قوله: (ويقال عنهم) أي: في شأنهم على سبيل التوبيخ.

قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ أي: بعضُ الكفار يوم القيامة، وهذا بمعنى ما تقدّم في سورة (سبا)
في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سبا: ٣١]^(٢).

قوله: (يتلاومون ويتخاصمون) أي: يَلُومُ بعضهم بعضاً، ويخاصم بعضهم بعضاً؛ كما قال
تعالى في شأنهم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، بخلاف تَسْأُولُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ،
فهو شُكْرٌ وَتَحَدُّثٌ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ يُطْلَقُ عَلَى الْحَلْفِ، وَالْجَارِحَةِ الْمَعْلُومَةِ، وَالْقُوَّةِ، وَالدِّينِ، وَالْخَيْرِ،

(١) رواه الترمذي (٢٤١٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر (٣٨٨/٥-٣٨٩).

قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ ﴿٣٢﴾

مِنْهَا لِحَلْفِكُمْ أَنْكُمْ عَلَى الْحَقِّ، فَصَدَّقْنَاكُمْ وَاتَّبَعْنَاكُمْ، الْمَعْنَى: إِنَّكُمْ أَضَلَلْتُمُونَا.

(٢٩ - ٣٠) ﴿قَالُوا﴾ أَي: الْمُتَّبِعُونَ لَهُمْ: ﴿بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وَإِنَّمَا يَصْدُقُ الْإِضْلَالُ مِنَّا أَنْ لَوْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَرَجَعْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ إِلَيْنَا، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: قُوَّةٌ وَقُدْرَةٌ تَقْهَرُكُمْ عَلَى مُتَابَعَتِنَا، ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾: ضَالِّينَ مِثْلَنَا.

(٣١ - ٣٢) ﴿فَحَقَّ﴾: وَجَبَ ﴿عَلَيْنَا﴾ جَمِيعاً ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ بِالْعَذَابِ أَي: قَوْلُهُ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ أَجْمَعِينَ﴾، ﴿إِنَّا﴾ جَمِيعاً ﴿لَذَٰبِقُونَ﴾ الْعَذَابِ بِذَلِكَ الْقَوْلِ، وَنَشَأَ عَنْهُ قَوْلُهُمْ: ﴿فَأَعْوَيْنَكُمْ﴾ الْمُعَلَّلُ بِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾.

حاشية الصاوي

وَالْآيَةُ مُحْتَمِلَةٌ لِتِلْكَ الْمَعَانِي، وَالْمَفْسَّرُ اخْتَارَ الْأَوَّلَ، وَعَلَيْهِ: فَذ(عن) بِمَعْنَى (من)، وَالْمَعْنَى: كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي كُنَّا نَأْمَنُكُمْ مِنْهَا، فَتِلْكَ الْجِهَةُ مَصَوَّرَةٌ بِحَلْفِكُمْ أَنْكُمْ عَلَى الْحَقِّ... إلخ.

قَوْلُهُ: (الْمَعْنَى: إِنَّكُمْ أَضَلَلْتُمُونَا) هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ عَلَى جَمِيعِ الْإِحْتِمَالَاتِ، لَا عَلَى مَا قَالَهُ الْمَفْسَّرُ فَقَطْ.

قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾... إلخ) أَجَابُوا بِأَجُوبَةٍ خَمْسَةٍ، آخِرُهَا: ﴿فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾، وَالْمَعْنَى: إِنَّكُمْ لَمْ تَتَّصِفُوا بِالْإِيمَانِ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

قَوْلُهُ: (أَنْ لَوْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) أَي: أَنْ لَوْ أَتَّصَفْتُمْ بِالْإِيمَانِ.

قَوْلُهُ: (فَرَجَعْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ إِلَيْنَا) أَي: بِإِضْلَالِنَا وَإِغْوَانِنَا، كَأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ مَنْ آمَنَ لَا يُطِيعُنَا؛ لِثَبَاتِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَلَوْ حَصَلَ مِنْكُمْ الْإِيمَانُ... لَمَا أَطَعْتُمُونَا.

قَوْلُهُ: ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أَي: وَعِيدُهُ، وَمَقُولُ الْقَوْلِ مَحْذُوفٌ، قَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾... إلخ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا لَذَٰبِقُونَ﴾ إِخْبَارٌ مِنْهُمْ عَنْ جَمِيعِ الرُّؤْسَاءِ وَالْأَتْبَاعِ بِإِذَاقَةِ الْعَذَابِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَأَعْوَيْنَكُمْ﴾ أَي: تَسَبَّبْنَا لَكُمْ فِي الْغَوَايَةِ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ؛ فَلَا يَنَافِي مَا قَبْلَهُ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾ أَي: فَأَحْبَبْنَا لَكُمْ مَا قَامَ بَأَنْفُسِنَا؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِصِفَةِ شَنِيعَةٍ يَحِبُّ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا غَيْرُهُ؛ لِتَهْوَنِ الْمَصِيبَةُ عَلَيْهِ.

فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَئِنَّا لَشَاعِرٌ تَجْنُونِ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

(٣٣ - ٣٦) قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لا اشتراكهم في العوابة. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾: كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء، أي: نُعَذِّبُهُم التَّابِعَ مِنْهُمْ وَالْمَتَّبِعَ. ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا﴾ - في همزتيه ما تقدّم - ﴿لَنَارِكُوا إِلَهَئِنَّا لَشَاعِرٌ تَجْنُونِ﴾ أي: لأجل قول محمد؟

(٣٧ - ٣٩) قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به، وهو أن لا إله

حاشية الصاوي

قوله: (يوم القيامة) أي: حين التحاور والتخاصم.

قوله: (كما نفعله بهؤلاء) أي: عبدة الأصنام، وقوله: (غير هؤلاء) أي: كالتصارى واليهود.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾... إلخ) أي: عبدة الأصنام.

وسبب ذلك: أن النبي ﷺ دخل على أبي طالب عند موته وقرش مجتمعون عنده، فقال: «قولوا: لا إله إلا الله.. تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم»، فأبوا وأنفوا من ذلك، وقالوا: ﴿إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَئِنَّا لَشَاعِرٌ تَجْنُونِ﴾ [الصافات: ٣٦] إلخ^(١).

قوله: (في همزتيه ما تقدّم) أي: من التحقيق فيهما، وتسهيل الثانية بألف ودونها، فالقراءات أربع^(٢).

قوله: ﴿لَنَارِكُوا إِلَهَئِنَّا﴾ من إضافة اسم الفاعل لمفعوله؛ أي: لتاركون آلهتنا، والمعنى: لتاركون عبادتها.

قوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾... إلخ) ردّ عليهم: بأن ما جاء به من التوحيد حقّ موافق فيه المرسلين قبله.

(١) الخبر عند القرطبي في «تفسيره» (٧٦/١٥)، وابن إسحاق في «المغازي والسير» (ص ٢٣٦).

(٢) تقدم قريباً (٤٨٩/٥).

إِنكُرْ لَدَائِبُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مُمْكِرُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾

إِلَّا اللَّهُ، ﴿إِنكُرْ﴾ - فِيهِ التَّيْفَاتُ - ﴿لَدَائِبُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا ﴿جَزَاء﴾ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾.

(٤٠ - ٤٧) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: الْمُؤْمِنِينَ - استثناء مُنْقَطِعٌ - أي: ذكر جزاؤهم في قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ﴾ في الْجَنَّةِ ﴿رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ بُكْرَةً وَعَشِيًّا؛ ﴿فَوَكَهَهُمْ﴾ - بَدَلْ أَوْ بَيَانٌ لِلرِّزْقِ - وهو ما يُؤْكَلُ تَلَذُّدًا لَا لِحِفْظِ صِحَّةٍ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مُسْتَغْنُونَ عَنْ حِفْظِهَا بِخَلْقِ أَجْسَادِهِمْ لِلأَبَدِ، ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ بِثَوَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ ...
حاشية الصاوي

قوله: (فيه التفتات) أي: من الغيبة إلى الخطاب؛ زيادة في التقييح عليهم.

قوله: ﴿إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: فالشرُّ يكون جزاؤه بِقَدْرِهِ، بخلاف الخير؛ فجزاؤه بأضعاف مضاعفة.

قوله: (استثناء مُنْقَطِع) أي: من الواو في ﴿تُجْزَوْنَ﴾.

قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^(١).

قوله: (إلى آخره) أي: وهو قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ بَيَضٌ مُّكُونٌ﴾.

قوله: ﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ أي: أوقائه وصفاته؛ فلا ينافي آية ﴿يَرْزُقُونَ فِيهَا إِنْغِيَابَ﴾؛ فالمراد: غيرُ معلوم المقدار.

قوله: (بدل) أي: كلٌّ من كلٍّ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ ما يُؤْكَلُ فِي الْجَنَّةِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى سَبِيلِ التَّلَذُّدِ؛ فلا فرق بين الرزق والفواكه.

قوله: (لا لحفظ صحة) المناسب أن يقول: (لا لحفظ بُنية).

قوله: (بخلق أجسادهم للأبد) أي: فهم يَدُومُونَ بدوام الله، لا يَقْنُونَ أَبَدًا.

قوله: ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ أي: معظَّمُونَ مُبَجَّلُونَ بِالتَّحِيَّةِ وَالْكَلامِ اللَّيِّنِ.

قوله: ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ إمَّا متعلِّقٌ بـ ﴿مُكْرَمُونَ﴾، أو خبرٌ ثانٍ، أو حالٌ.

(١) حلٌّ معنًى لا حلٌّ إعراب، وإلا... لقال: (المخلصون).

عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيَّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ

عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ لَا يَرَى بَعْضُهُمْ قَفَا بَعْضٍ، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ عَلَى كُلِّ مِنْهُمْ ﴿بِكَأْسٍ﴾ هُوَ الْإِنَاءُ بِشْرَابِهِ، ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ مِّنْ خَمْرٍ يَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنْهَارِ الْمَاءِ، ﴿بَيَّضَاءَ﴾ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، ﴿لَذَّةٍ﴾: لَذِيذَةٌ ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا كَرِيهَةٌ عِنْدَ الشُّرْبِ، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: مَا يَغْتَالُ عُقُولَهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ قال ابن عباس: على سُرُرٍ مَكْلَلَةٌ بِالذُّرِّ والياقوت والزبرجد، والسرير: ما بين صنعاء إلى الجابية، وما بين عدن إلى إيلياء^(١).

قوله: ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أي: تواصلًا وتحابيًا، وقيل: الأسرّة تدور كيف شاؤوا؛ فلا يرى أحدٌ قفا أحدٍ.

قوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: والطائفُ الولدانُ كما في آية: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ﴿٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ [الواقعة: ١٧-١٨].

قوله: (هو الإناء بشْرَابِهِ) أي: فإن لم يكن فيه شرابٌ.. فإنه يسمّى قَدْحًا، ويطلق الكأس على الخمر نفسه، من باب: تسمية الشيء باسم محله.

قوله: ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أي: ظاهرٌ لِلْعَيُونِ، أو خارجٌ مِنَ الْعَيُونِ، فعلى الأول: اسم مفعول ك: (مبيع)، وعلى الثاني: اسم فاعل من: (عان) بمعنى: (نبع)، وُصِفَ بِهِ خَمْرُ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهُ يَجْرِي كَالْمَاءِ النَّابِعِ.

قوله: ﴿بَيَّضَاءَ﴾ إمّا صفة لـ(كأس) أو للخمر.

قوله: ﴿لَذَّةٍ﴾ إمّا صفة مشبهة ك: (صعب) و(سهل)، فتكون مشتقةً، فالوصف بها ظاهرٌ، أو مصدرٌ فالوصف بها مبالغة، أو على حذف مضاف؛ أي: ذات لَذَّةٍ.

قوله: (ما يَغْتَالُ عُقُولَهُمْ) أي: يُفْسِدُهَا، وقيل: الغول: صُدَاعٌ فِي الرَّأْسِ، وعليه: فيكون ما بعده تأسيساً.

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ - بِفَتْحِ الزَّايِ وَكَسْرِهَا، مِنْ (نُزِفَ الشَّارِبُ، وَأَنْزَفَ) - أَي: يَسْكُرُونَ، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا.

(﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾) ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ﴾: حَابِسَاتُ الْأَعْيُنِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ لِحُسْنِهِمْ عِنْدَهُنَّ، ﴿عَيْنٌ﴾: ضِخَامُ الْأَعْيُنِ حِسَانُهَا، ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ فِي اللَّوْنِ ﴿بَيْضٌ﴾ لِلنَّعَامِ ﴿مَكْنُونٌ﴾: مَسْتَوْرٌ بِرِيشِهِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ غُبَارٌ، وَلَوْنُهُ - وَهُوَ الْبَيَاضُ فِي صُفْرَةٍ - أَحْسَنُ أَلْوَانِ النِّسَاءِ.

(﴿٥٠﴾ - ﴿٥٣﴾) ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾: بَعْضُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ﴿عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَمَّا مَرَّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ (عن): سَبِيَّةٌ؛ أَي: وَلَا هُمْ يُنْزَفُونَ بِسَبِيهَا.

قوله: (بفتح الزاي) أَي: مع ضمِّ الياء، فهو مبني للمفعول، وقوله: (وكسرهما) أَي: مع ضمِّ الياء أيضاً، فهو مبني للفاعل، قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بالفتح والكسر، وبالفتح والضم^(١).

قوله: (من: نزف الشارب... إلخ) أَي: فهو مأخوذ من الثلاثي أو الرباعي، والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرباعي، فتدبر^(٢).

قوله: ﴿عَيْنٌ﴾ جمع عَيْنَاء، وهي الواسعة العين اتساعاً غير مُفْرَط، بل مع الحسن والجمال.

قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ شُبَّهْنَ هُنَا بِبَيْضِ النَّعَامِ، وَفِي سُورَةِ (الْوَاقِعَةِ) كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ لِصَفَائِهِ وَكَوْنِ بَيَاضِهِ مَشُوباً بِبَعْضِ صُفْرَةٍ مَعَ لِمَعَانٍ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَوْصَافَ جَمَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

قوله: (عمَّا مرَّ بهم في الدنيا) أَي: مِنْ الْفَضَائِلِ وَالْمَعَارِفِ، وَمَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا.

قوله: ﴿فَقَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ أَي: مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِإِخْوَانِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةٍ مَا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ.

(١) قرأ الأخوان بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بضم الياء وفتح الزاي، وابن أبي إسحاق بالفتح والكسر، وطلحة بالفتح والضم. انظر «الدر المصون» (٣٠٥/٩).

(٢) عبارة الجمل عن شيخه العلامة الأجهوري: (وقوله: «نزف الشارب» بالبناء للمفعول راجعٌ للأول، وقوله: «وأنزف» راجعٌ للثاني). «فتوحات» (٥٦٨/٣).

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا
 أَوْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ آنْتُمْ مِّنْهُمْ مُّطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن
 كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٧﴾

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: صاحبٌ يُنْكِرُ البعث، ﴿يَقُولُ﴾: لي تَبَكِيَةً: ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾: بالبعث؟ ﴿أَإِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا﴾: في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدّم -
 ﴿لَمَدِينُونَ﴾: مَجْزِيُونَ وَمُحَاسَبُونَ؟ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَيْضاً.

(٥٤ - ٥٧) ﴿قَالَ﴾: ذَلِكَ الْقَائِلُ لِإِخْوَانِهِ: ﴿هَلْ آنْتُمْ مُّطْلِعُونَ﴾: مَعِيَ إِلَى النَّارِ لِنَنْظُرَ
 حَالَهُ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، ﴿فَأَطْلَعَ﴾: ذَلِكَ الْقَائِلُ مِنْ بَعْضِ كُؤَى الْجَنَّةِ ﴿فَرَّاهُ﴾: أَي: رَأَى قَرِينَهُ
 ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: فِي وَسْطِ النَّارِ، ﴿قَالَ﴾: لَهُ تَشْمِيَةً: ﴿تَاللَّهِ إِن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ -
 ﴿كِدْتَ﴾: قَارِبَتْ ﴿لَتُرْدِينَ﴾: لَتَهْلِكُنِي بِإِغْوَائِكَ، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾: أَي: إِنْعَامُهُ عَلَيَّ
 بِالْإِيمَانِ ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾: مَعَكَ فِي النَّارِ. وَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ:

حاشية الصاوي

قوله: (تبكيًا) أي: توبيخاً على عدم إنكار البعث.

قوله: (ما تقدّم) أي: من القراءات الأربع، وهي تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه^(١).

قوله: (مجزيون) أي: فهو من الذين بمعنى: الجزء.

قوله: (أنكر ذلك) أي: الجزء والحساب، وقوله: (أيضاً) أي: كما أنكر البعث.

قوله: (لإخوانه) أي: من أهل الجنة.

قوله: (من بعض كؤى الجنة) بضم الكاف مع القصر، وبكسرهما مع القصر والمد، جمع (كؤة) بفتح الكاف وضمّها؛ أي: طبقاتها.

قوله: (تشميتاً) أي: فرحاً بمصيبته؛ لأنّ الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين.

قوله: (مخففة من الثقيلة) أي: واللام فارقة، ويصح أن تكون نافية واللام بمعنى (إلا)، وعلى كلّ فهي جواب القسم.

أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِيُمِثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾

(٥٨ - ٥٩) ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَىٰ ﴿الَّتِي فِي الدُّنْيَا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ هُوَ اسْتِفْهَامٌ تَلْذُذٌ وَتَحَدُّثٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ تَأْيِيدِ الْحَيَاةِ وَعَدَمِ التَّعْذِيبِ.
(٦٠ - ٦١) ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الَّذِي ذَكَرْتُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لِيُمِثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿قِيلَ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ، وَقِيلَ: هُمْ يَقُولُونَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة عليه، تقديره: نحن مَخْلُودُونَ مُنْعَمُونَ فما نحن بمَيِّتِينَ... إلخ؟

قوله: ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَىٰ﴾ ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، و﴿مَوْتَنَا﴾: منصوب على المصدر، والعامل فيه قوله: (مَيِّتِينَ)، ويكون استثناء مفرغاً، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأَوَّلَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

قوله: (هو استفهام تلذذ) أي: فهو من كلام بعضهم لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين يُذْبَح الموت ويقال: «يا أهل الجنة؛ خُلوذُ بلا موت، ويا أهل النار؛ خلوذُ بلا موت»^(١).
قوله: (من تأييد الحياة... إلخ) لفٌّ ونشْرٌ مرتَّبٌ.

قوله: (الذي ذُكِرَ لأهل الجنة) أي: من قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿لِيُمِثِلَ هَذَا﴾ أي: لا للحفظ الدنيويَّة الفانية التي تَزُول ولا تبقى.

قوله: ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ أي: لِيَجْتَهِدِ الْمُجْتَهِدُونَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَإِنَّ جَزَاءَهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ.. فلو أفنى الإنسان عُمره في خدمة ربه ولم يَشْتَغِلْ بشيء سواها.. لكان ذلك قليلاً بالنسبة لما يَلْقَاهُ مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ، جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه.

قوله: (قيل: يقال لهم ذلك) أي: ما ذكر من الجملتين من قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى، وقوله: (وقيل: هم يقولونه) أي: يقول بعضهم لبعض، وَيُبْعِدُ كَلًّا مِنَ الْإِحْتِمَالَيْنِ قَوْلُهُ: ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ وَالتَّرْغِيبَ فِيهِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا، فَالْأَوَّلَىٰ أَنَّهُ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى؛ تَرْغِيباً لِلْمُكَلَّفِينَ

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾

﴿٦٢﴾ ﴿أَذْلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نُزْلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ لِلنَّازِلِ مِنْ ضَيْفٍ وَغَيْرِهِ، ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ الْمُعَدَّةُ لِأَهْلِ النَّارِ، وَهِيَ مِنْ أَخْبَثِ الشَّجَرِ الْمُرِّ بِتِهَامَةٍ، يُنْبِتُهَا اللَّهُ فِي الْجَحِيمِ كَمَا سَيَأْتِي.

(﴿٦٣﴾ - ﴿٦٥﴾) ﴿إِنَّا جَعَلْنَهَا﴾ بِذَلِكَ ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أَي: الْكَافِرِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؛ إِذْ قَالُوا: النَّارُ تُحْرِقُ الشَّجَرَ فَكَيْفَ تُنْبِتُهُ؟

حاشية الصاوي

في عمل الصالحات.

قوله: ﴿﴿أَذْلِكَ﴾﴾ معمول لمحذوف تقديره: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ وَالتَّبَكُّيْتِ: أَذْلِكَ خَيْرٌ... إلخ؟.

قوله: (المذكور لهم) أي: لأهل الجنة من قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ... إلخ. قوله: ﴿﴿نُزْلًا﴾﴾ تمييز لـ ﴿خَيْرٍ﴾، وقوله: ﴿﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾﴾ ﴿﴿أَمْ﴾﴾: حرف عطف، ﴿﴿شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾﴾: معطوف على اسم الإشارة، وهو مبتدأ حذِفَ خبرُهُ لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ خَيْرٌ نُزْلًا؟ والتعبير بـ(خير) و(نزلًا) تهكُّمٌ بهم، وللمشاكلة. قوله: (من ضيف وغيره) الضَّيْفُ: مَنْ يَأْتِي بِدَعْوَةٍ، وَغَيْرِهِ: مَنْ يَأْتِي زَائِرًا لِلْمَحَبَةِ وَالْأُلْفَةِ، وَرَبِّمَا كَانَ أَعَزَّ مِنَ الضَّيْفِ.

قوله: ﴿﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾﴾ من التزقم، وهو: الْبَلْعُ بِشِدَّةٍ وَإِكْرَاهٍ لِلْأَشْيَاءِ الْكَرِيهَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ النَّارِ يُكْرَهُونَ عَلَى الْأَكْلِ مِنْهَا، وَهِيَ شَجَرَةٌ مَسْمُومَةٌ مَتَى مَسَّتْ جَسَدَ أَحَدٍ... تَوَرَّمَ فَمَاتَ، وَهِيَ خَبِيثَةٌ مُرَّةٌ كَرِيهَةٌ الطَّعْمِ.

قوله: (وهي من أخبث الشجر) أي: وهي صغيرة الورق مُتَبَتَّةٌ.

قوله: ﴿﴿إِنَّا جَعَلْنَهَا﴾﴾ بذلك) أي: بسبب إخبار الله تعالى بذلك.

قوله: ﴿﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾﴾ أي: امتحاناً واختباراً؛ هل يُصَدِّقُونَ أَمْ لَا؟

قوله: (إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تُنْبِتُهُ؟!) أي: ولم يعلموا أَنَّ الْقَادِرَ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا
فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حِمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى
الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتيها،
﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾: الحيات القبيحة المنظر.

(٦٦ - ٦٨) ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَأَكْلُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها لشدة جوعهم، ﴿فَمَالُونَ
مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حِمِيمٍ﴾ أي: ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول
منها، فيصير شوباً له، ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾
حاشية الصاوي

قوله: ﴿تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: تنبت في أسفلها.

قوله: ﴿إِلَى دَرَكَاتِهَا﴾ أي: منازلها، وذلك نظير شجرة طوبى لأهل الجنة؛ فإن أصلها في عليين،
وما من بيت في الجنة إلا وفيه غصن منها.

قوله: ﴿طَلْعُهَا﴾ الطلع في الأصل: اسم لثمر النخل أول بُروزه، فتسميته طلعا تهكم بهم.

قوله: ﴿أَي: الحيات القبيحة المنظر﴾ أي: وجه الشبه: الشناعة والسّم في كل، وما مشى عليه
المفسر أحد أقوال ثلاثة، وقيل: شبه طلّعها برؤوس الشياطين، ووجه الشبه: القباحة ونفور النفس
من كل، لكن يرد عليه: أنه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين، وأجيب: بأن الشيطان وإن كان غير معلوم
في الخارج فهو معروف في الأذهان والخيالات؛ كالغول فإنه مرسوم في خيال كل أحد بصورة
قبيحة، وقيل: الشياطين شجر في البادية معروف للمخاطبين.

قوله: ﴿لَشَدَّةٌ جُوعِهِمْ﴾ أي: ولقهرهم على الأكل منها زيادة في عذابهم.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ أي: على ما يأكلون منها إذا شبعوا وغلبهم العطش.

قوله: ﴿لَشَوْبًا﴾ بفتح الشين هي قراءة العامة، مصدر على أصله، وقرئ شذوذاً بضم الشين،

اسم بمعنى: المشوب^(١).

(١) وبها قرأ شيان النحوي كما في «المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٢٠).

إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى ءَاثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾

يُفِيد أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْهَا لِشُرْبِ الْحَمِيمِ، وَأَنَّهُ خَارِجُهَا.

(٦٩ - ٧١) ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾: وَجَدُوا ﴿ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى ءَاثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ: يُزْعَجُونَ إِلَى اتِّبَاعِهِمْ فَيُسْرِعُونَ إِلَيْهِ، ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ. (٧٢ - ٧٤) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ مِنَ الرُّسُلِ مُحَوِّفِينَ،

حاشية الصاوي

قوله: (يفيد أنهم يخرجون منها) هذا أحد قولين^(١)، والآخر وهو قول الجمهور: أنهم لا يخرجون أصلاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، وحينئذٍ فالمعنى: أنه ينوع عذابهم وهم في النار؛ فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم، وتارة بأكل الحميم، وتارة بالزمهرير وغير ذلك من أنواع العذاب، فإذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرغوا منه.. يردُّوا إلى الاشتغال بعذاب غيره والحال أنهم في النار لا يخرجون منها.

ويمكن التوفيق بين القولين: بأن يُحْمَلَ القولُ بأنه خارجها على أنه في محل خارج عن المحل الذي يعذبون فيه، وليس المراد: أنه خارجُ النَّارِ بالكلية؛ لِمُعَارَضَتِهِ صَرِيحُ النِّصِّ، فيخرجون إلى ذلك المحل للأكل والشرب ثم يُرَدُّونَ إلى محل العذاب الذي كانوا فيه أولاً.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ﴾ هذا تعليلٌ لاستحقاقهم العذاب، والمعنى: أن سبب استحقاقهم للعذاب تقليدُ آبائهم في الضلال من غير شيء يتمسكون به سوى التقليد.

قوله: ﴿يُهْرَعُونَ﴾^(٢) أي: من غير تأهلٍ ولا تدبّرٍ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾... إلخ) اللام فيه وفيما بعده: مُوطئة لقسم محذوف^(٣)، وكلٌّ من الجملتين سيق لتسليته ﷺ.

(١) وقد تبع فيه الجلال السيوطي في تفسير سورة (الأنعام) شيخه الجلال المحلي هنا؛ كما نبّه المصنف (٤٥٦/٢)، وتقدم موافقته في «الدر المنثور» للجمهور.

(٢) والإهراع: الإسراع الشديد كأنهم يزعمون ويحثون حثاً على الإسراع على آثامهم، وذلك الإهراع والإتباع في الدنيا، فتعلم منه أن عبارة المفسر، وهي قوله: (يزعمون... إلخ) فيها نوعٌ قلب. «فتوحات» (٥٦٨/٣).

(٣) اللام واقعة في جواب قسم محذوف، وانظر ما تقدم عن اللام الموطئة (٢٢٨/١).

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ
فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَبَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرّاً الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ الكافرين، أي: عاقبتهم العذاب، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين؛ فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام.

(٧٥ - ٧٧) ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ﴾ بِقَوْلِهِ: رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فانتصِرْ، ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ لَهُ نَحْنُ، أي: دَعَانَا عَلَى قَوْمِهِ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِالْغَرَقِ، ﴿وَبَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الْغَرَقِ، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرّاً الْبَاقِينَ﴾ فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْ نَسْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿فَانْظُرْ﴾ خطاب للنبي، أو لكل مَنْ يَتَأْتَى مِنْهُ النَّظَرُ.

قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ استثناء منقطع؛ لأنَّ مَا قَبْلَهُ وَعَيْدٌ وَهُمْ لَمْ يَدْخُلُوا فِيهِ.

قوله: (لإخلاصهم في العبادة) أي: على قراءة كسر اللام.

قوله: (على قراءة فتح اللام) أي: والقراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ﴾ شروع في تفصيل ما أجمله في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾، وقد ذكر في هذه السورة سبع قصص: قصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة الذبيح، وقصة موسى وهارون، وقصة إلياس، وقصة لوط، وقصة يونس، وذلك تسلياً له ﷺ، وتحذيراً لمن كفر من أمته.

قوله: (رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ) أي: مهوور، وقوله: (فانتصِرْ) أي: انتقم منهم.

قوله: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ الواو: للتعظيم، وقوله: (نحن) هو المخصوص بالمدح.

قوله: ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي: مَنْ آمَنَ بِهِ، ومنهم زوجته المؤمنة وأولادها الثلاثة وزوجاتهم^(٢).

قوله: (فالناس كلهم من نسلي) هذا هو المعتمد، وقيل: كان لغير ولد نوح أيضاً نسل.

(١) قرأ بفتح اللام المدنيان والكوفيون، وبكسرها غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٦٩).

(٢) وفي «القرطبي»: (وأهله) يعني: أهل دينه، وهم مَنْ آمَنَ مَعَهُ، وكانوا ثمانين على ما تقدم، وما ذكره المصنف منقول عن الشيخ الأجهوري. انظر «الفتوحات» (٣/ ٥٦٨).

وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾

لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ: سَامٌ وَهُوَ أَبُو الْعَرَبِ وَفَارِسِ وَالرُّومِ، وَحَامٌ وَهُوَ أَبُو السُّودَانِ، وَيَافِثٌ وَهُوَ أَبُو التُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَمَا هُنَالِكَ.

(٧٨ - ٨٢) ﴿وَتَرْكُنَا﴾: أَبْقَيْنَا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثَنَاءً حَسَنًا ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿سَلَّمْ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾: كَمَا جَزَيْنَاهُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (سام... إلخ) الثلاثة بمنع الصرف؛ للعلمية والعجمة، و(فارس) كذلك للعلمية والتأنيث؛ لأنه علمٌ على قبيلة.

قوله: (والخَزَر) بفتح الخاء والزاي بعدهما راءٌ مهملةٌ، هكذا في النسخ الصحيحة وهو الصواب، وفي بعض النسخ: (والخزرج)، وهو تحريف فاحش؛ لأنَّ الخزرج من جملة العرب، والخَزَرُ: صنفٌ من الترك صغار الأعين، يعرفون الآن بالططر.

قوله: (وما هنالك)^(١) أي: وهم قومٌ عند يأجوج ومأجوج إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض، فإذا زالت عنهم خرجوا إلى معاشهم وحُرُوثهم، وقيل: هم قوم عِراة يفرش بعضهم إحدى أذنيه، ويلتحف بالأخرى.

قوله: (ثناءً حسنًا) قَدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن مفعول (تركنا) محذوف، وقوله: ﴿سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ﴾ (كلامٌ مستقلٌّ، إنشاءً ثناءً من الله تعالى على نوح، فالأول ثناء الخلق، والثاني ثناء الخالق، وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَمْسِي: ﴿سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾... لَمْ تَلْدَغْهُ عَقْرَبٌ»^(٢).

قوله: ﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾ متعلِّقٌ بما تعلَّقَ به الجارُّ قبله، والمراد به (العالمين): الملائكة والثقلان.

قوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ تعليلٌ لما فُعلَ بنوح من الكرامة في إجابة دعائه، وإبقاء ذريته وذكره الجميل، وتسليم الله عليه في العالمين؛ أي: فهذا الجزاء سنَّتنا في كلِّ من اتَّصف بالإحسان كنوح.

(١) نقل العلامة الجمل عن العلامة القاري أنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾. «فتوحات» (٥٦٨/٣).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥٦/٦٢) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه.

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٨٢﴾ كُفَّارَ قَوْمِهِ .

﴿٨٣﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: مِمَّنْ تَابَعَهُ فِي أَصْلِ الدِّينِ ﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ أَلْفَانِ وَسِتُّمِائَةٍ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَكَانَ بَيْنَهُمَا هُوْدٌ وَصَالِحٌ .

(٨٤ - ٨٧) ﴿إِذْ جَلَّ﴾ أي: تَابَعَهُ وَقَدْ مَجِيئِهِ ﴿رَبَّهُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ عِلَّةٌ لِكَوْنِهِ مُحْسَنًا، وَفِيهِ إِجْلَالٌ لِسَانِ الْإِيمَانِ، وَإِظْهَارٌ لِفَضْلِهِ، وَتَرْغِيبٌ فِي تَحْصِيلِهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ وَالْإِزْدِيَادِ مِنْهُ .

قوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿بَنِيَّانَهُ وَأَهْلَهُ﴾ فَالترتيبُ حَقِيقِيٌّ؛ لِأَنَّ نَجَاتَهُمْ بِرُكُوبِ السَّفِينَةِ حَصَلَتْ قَبْلَ غَرَقِ الْبَاقِينَ، فَتَدَبَّرْ .

قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ . . . إلخ عطفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ عطفٌ عَلَى قِصَّةِ .

قوله: (أي: مِمَّنْ تَبَعَهُ . . . إلخ) أي: فَالشَّيْعَةُ: الْإِتْبَاعُ وَالْحِزْبُ .

قوله: (فِي أَصْلِ الدِّينِ) أي: وَإِنْ اخْتَلَفَتْ فُرُوعُ شَرَائِعِهِمَا، فَالْإِتْبَاعُ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، لَا فِي الْفُرُوعِ كَالصَّلَاةِ مَثَلًا .

قوله: (وَإِنْ طَالَ الزَّمَنُ) الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَعَلَى مَلَّتِهِ وَالْحَالُ أَنَّ الزَّمَانَ طَالَ بَيْنَهُمَا، فَطَوَّلَ الْمُدَّةُ لَمْ تُنْسِهِ الْعَهْدُ .

قوله: (وَهُوَ أَلْفَانِ . . . إلخ) هَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَالْآخَرُ: أَنَّ بَيْنَهُمَا أَلْفُ سَنَةٍ وَمِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً^(١) .

قوله: (وَكَانَ بَيْنَهُمَا هُوْدٌ وَصَالِحٌ) أي: وَكَانَ قَبْلَ نُوحٍ ثَلَاثَةُ: إِدْرِيسَ، وَشِيثَ، وَآدَمَ، فَجُمْلَةُ مَنْ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ سِتَّةٌ .

قوله: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ﴾ . . . إلخ مَعْنَى مَجِيئِهِ: تَوَجُّهُهُ بِقَلْبِهِ مُخْلِصًا لِرَبِّهِ، وَفِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةٌ تَبْعِيَّةٌ تَقْدِيرُهَا أَنْ تَقُولَ: شَبَّهَ إِقْبَالَهُ عَلَى رَبِّهِ مُخْلِصًا لَهُ قَلْبَهُ بِمَجِيئِهِ بِتَحْفَةٍ جَمِيلَةٍ، وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا: طَلَبُ الْفَوْزِ بِالرِّضَا، وَاشْتِقَاقُ الْمَجِيئِ (جَاءَ) بِمَعْنَى: أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ .

قوله: (أي: تَابَعَهُ وَقَدْ مَجِيئِهِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الظَّرْفَ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ:

(١) كَذَا فِي (أ) بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّ اسْمَ (أَنْ) ضَمِيرُ الشَّانِ، وَخَبَرُهَا الْجُمْلَةُ بَعْدَهَا، وَفِي (ط) بِالنَّصْبِ وَهِيَ ظَاهِرَةٌ .

يَقْلِبُ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَاكَ ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾

يَقْلِبُ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ مِنَ الشَّكِّ وَغَيْرِهِ، ﴿إِذْ قَالَ﴾ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ لَهُ ﴿لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ﴾ مُوَبَّخاً: ﴿مَاذَا﴾: مَا الَّذِي ﴿تَعْبُدُونَ﴾ ﴿أَيْفَاكَ﴾ - فِي هَمْزَتِيهِ مَا تَقَدَّمَ - ﴿ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾؟ - (وإفكاً) مَفْعُولُ لَهُ، وَ﴿ءَالِهَةٌ﴾ مَفْعُولُ بِهِ لـ ﴿تُرِيدُونَ﴾ -، وَالْإِفْكَ: أَسْوَأُ الْكَذِبِ، أَي: أَتَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ؟ ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

حاشية الصاوي

﴿شَيْعَتِهِ﴾، وَيُصَحَّ جَعْلُهُ مُتَعَلِّقاً بـ ﴿شَيْعَتِهِ﴾؛ لِمَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الْمَشَايِعَةِ^(١)، لَكِنْ فِيهِ أَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ الْفَصْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْمُولِهِ بِأَجْنَبِيٍّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾، وَأَيْضاً: يَلْزَمُ عَلَيْهِ عَمَلٌ مَا قَبْلَ اللَّامِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ فِيمَا بَعْدَهَا، وَأَجِيبَ: بِأَنَّهُ يَتَوَسَّعُ فِي الظُّرُوفِ مَا لَا يَتَوَسَّعُ فِي غَيْرِهَا^(٢).

قَوْلُهُ: (مِنَ الشَّكِّ وَغَيْرِهِ) أَي: مِنْ الْآفَاتِ وَالْعَلَاتِقِ الَّتِي تَشْغُلُ الْقُلُوبَ عَنْ شُهُودِ الرَّبِّ تَعَالَى. قَوْلُهُ: ﴿لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ﴾ (تَقَدَّمَ الْخِلَافُ فِي كَوْنِهِ أَبَاهُ حَقِيقَةً، أَوْ عَمَّهُ وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْأَبِ لِأَنَّ الْعَمَّ أَبٌ^(٣)، وَالْمَرَادُ بِ(قَوْمِهِ): النَّمْرُودُ وَجَمَاعَتُهُ.

قَوْلُهُ: (فِي هَمْزَتِيهِ مَا تَقَدَّمَ) أَي: وَهُوَ تَحْقِيقُ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلُ الثَّانِيَةِ بِأَلْفٍ بَيْنَهُمَا وَتَرْكُهَا^(٤). قَوْلُهُ: (و«إِفْكَاً» مَفْعُولُ لَهُ) أَي: وَقَدَّمَ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ؛ لِأَجْلِ التَّقْيِيحِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى إِفْكٍَ وَبَاطِلٍ^(٥).

قَوْلُهُ: (أَي: أَتَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ؟) كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَزِيدَ قَوْلُهُ: (لِأَجْلِ الْإِفْكَ)؛ لِيُوفِيَ بِالْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ.

(١) فِي (أ): الْمَشَابَهَةِ، وَالْمُثَبَّتِ مِنْ (ط ٢).

(٢) وَيَأْنَهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ: تَعَلَّقَ مَعْنَى، وَكَثِيراً مَا يَجْرِي ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ، وَيَكُونُ التَّعْلُقُ اللَّفْظِيُّ بِ (شَيْعَتِهِ) الْمَقْدَّرِ بَعْدَ اسْمِ (إِنَّ) عَلَى الْإِسْتِنَافِ، كَأَنَّهُ سُئِلَ: مَتَى شَايِعُهُ؟ فَقِيلَ: شَايِعُهُ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ... إلخ. «فتوحات» (٣/ ٥٦٩) نقلاً عن العلامة الكرخي.

(٣) انظر (٢/ ٣٩٥).

(٤) انظر (٥/ ٤٨٩).

(٥) وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (إِفْكَاً) مَفْعُولاً بِهِ، وَآلِهَةٌ: بَدَلُ مِنْهُ عَلَى أَنَّهَا إِفْكٌَ فِي نَفْسِهَا لِلْمَبَالِغَةِ، أَوِ الْمَرَادُ بِهَا عِبَادَتُهَا بِحَذْفِ الْمُضَافِ، أَوْ حَالاً بِمَعْنَى: آفِكِينَ. انظر «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٣).

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ

إِذْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ أَنَّهُ يَتْرُكُكُمْ بِلا عِقَابٍ؟ لا، وَكَانُوا نَجَّامِينَ فَخَرَجُوا إِلَىٰ عِيدِ لَهُمْ وَتَرَكُوا طَعَامَهُمْ عِنْدَ أَصْنَامِهِمْ، زَعَمُوا التَّبَرُّكَ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَجَعُوا أَكَلُوهُ، وَقَالُوا لِلسَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ: اخْرُجْ مَعَنَا.

﴿٨٨ - ٩٣﴾ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ إِيهَامًا لَهُمْ أَنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا لِيَعْتَمِدُوهُ، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾: عَلِيلٌ، أَي: سَأْسَقَمُ، ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ إِلَىٰ عِيدِهِمْ ﴿مُدْبِرِينَ﴾ ﴿فَرَاغَ﴾: مَالَ فِي خُفْيَةٍ ﴿إِلَىٰ آلِهِمُ﴾ وَهِيَ الْأَصْنَامُ
حاشية الصاوي

قوله: (إِذْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ) أَي: وَقْتَ عِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ.

قوله: (أَنَّهُ يَتْرُكُكُمْ بِلا عِقَابٍ) معمول للظنِّ، والمعنى: أَيُّ سَبَبٍ حَمَلَكُمْ عَلَى ظَنِّكُمْ أَنَّهُ تَعَالَى يَتْرُكُكُمْ بِلا عِقَابٍ حِينَ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ؟ وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ: (لا) إِلَى أَنَّ الِاسْتِفْهَامَ إِنكَارِيٍّ بِمَعْنَى النَفْيِ؛ أَي: لَيْسَ لَكُمْ سَبَبٌ وَلَا عَذْرٌ يَحْمِلُكُمْ عَلَى الظَّنِّ الْمَذْكُورِ، وَإِذَا انْتَفَى السَّبَبُ انْتَفَى الْمُسَبَّبُ بِالْأُولَى.

قوله: (وَكَانُوا نَجَّامِينَ) ذَكَرَ هَذَا تَوَاطُؤًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾.

قوله: (فَخَرَجُوا إِلَىٰ عِيدِ لَهُمْ) أَي: وَكَانُوا فِي قَرْيَةٍ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ يُقَالُ لَهَا: هَرْمَز.

قوله: (زَعَمُوا التَّبَرُّكَ عَلَيْهِ) أَي: أَنَّهَا تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ.

قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (أَي: فِي عِلْمِ النُّجُومِ مُتَفَكِّرًا فِي أَمْرِ يَعْذِرُونَهُ بِسَبَبِهِ فَيَتْرُكُونَهُ^(١)).

قوله: (أَي: سَأْسَقَمُ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: كَيْفَ قَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ وَالْحَالُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ سَقِيمًا؟ وَأَجِيبَ أَيْضًا: بِأَنَّ الْمَعْنَى: سَقِيمُ الْقَلْبِ مِنْ عِبَادَتِكُمْ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَقَدْ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إِلَى سَقَمٍ مَخْصُوصٍ وَهُوَ الطَّاعُونَ، وَكَانَ الطَّاعُونَ أَغْلَبَ الْأَسْقَامِ عَلَيْهِمْ، وَكَانُوا يَخَافُونَ مِنْهُ الْعَدُوَّ، فَتَفَرَّقُوا عَنْ إِبْرَاهِيمَ خَوْفًا مِنْهَا، فَهَرَبُوا إِلَىٰ عِيدِهِمْ وَتَرَكُوهُ فِي بَيْتِ الْأَصْنَامِ.

قوله: (وَهِيَ الْأَصْنَامُ) أَي: وَكَانَتْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ صَنْمًا، بَعْضُهَا مِنْ حَجَرٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ خَشَبٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ ذَهَبٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ فِضَّةٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ نَحَاسٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ، وَبَعْضُهَا مِنْ رِصَاصٍ، وَكَانَ كَبِيرُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَمَكْلَلًا بِالْجَوَاهِرِ، وَكَانَ فِي عَيْنَيْهِ يَاقُوتَتَانِ تَتَّقِدَانِ نُورًا.

(١) وَقَالُوا: عِلْمُ النُّجُومِ كَانَ حَقًّا ثُمَّ نَسَخَ الْإِسْتِغْثَالُ بِمَعْرِفَتِهِ، وَنَقَلَ الْعَلَامَةُ الْجَمَلُ فِي «فَتْوحَاتِهِ» (٣/ ٥٧٠) أَقْوَالَ فِي وَقْتِ نَسْخِهِ وَسَبَبِهِ.

فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا نَطْقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾
قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

وَعِنْدَهَا الطَّعَامُ، ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ فَلَمْ يَنْطِقُوا، فَقَالَ: ﴿مَا لَكُمْ لَا نَطْقُونَ﴾؟ فَلَمْ يُجِبْ، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ بِالْقُوَّةِ، فَكَسَرَهَا، فَبَلَغَ قَوْمَهُ مِمَّنْ رَأَهُ.
(٩٤ - ٩٦) ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ أَي: يُسْرِعُونَ الْمَشْيَ، فَقَالُوا لَهُ: نَحْنُ نَعْبُدُهَا وَأَنْتَ تَكْسِرُهَا؟! ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ مُوبِخًا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ مِنَ الْحِجَارَةِ وَغَيْرِهَا أَصْنَامًا ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنْ نَحْتِكُمْ وَمَنْحُوتِكُمْ؟! فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَ(مَا) مَصْدَرِيَّةٌ، وَقِيلَ: مَوْضُوعَةٌ، وَقِيلَ: مَوْضُوفَةٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (وعندها الطعام) الجملة حالية.

قوله: (فقال استهزاء بهم) إن قلت: أيُّ فائدة في خطاب ما لا يعقل؟

أجيب: بأنه لعلَّ عنده مَنْ يسمع كلامه من خَدَمَتِهَا أو غيرهم.

قوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مال في خفية، من قولهم: راغ الثعلب روغاناً: تردّد وأخذ الشيء خفية.

قوله: (بالقوة) أي: القدرة.

قوله: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾ مرَّتْ عَلَى محذوف، قَدَّرَهُ المفسِّر بقوله: (فبلغ قومه... إلخ).

قوله: ﴿يَزْفُونَ﴾ بكسر الزاي مع فتح الياء وضمِّها، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (فقالوا: نحن نعبدها... إلخ) أي: بعد أن سألوه وأجابهم، فلمَّا تحققوا أنه هو الذي

كسرها... قالوا: نحن نعبدها... إلخ، وقد تقدّم بسط ذلك في (الأنبياء)^(٢).

قوله: (موبخاً) أي: على ما وقع منهم؛ حيث يأتون للخشب مثلاً فيصنعون منه صورةً ويتخذونها إلهاً مع أنها قبل ذلك لم تكن معبودةً لهم، ولا تضرُّ ولا تنفع.

قوله: (و«ما»: مصدرية... إلخ) ذكر فيها ثلاثة أوجه، وبقي اثنان: كونها استفهاميةً، والمعنى:

وأي شيء تعملونه؟ وكونها نافيةً، والمعنى: ليس العمل في الحقيقة لكم، وإنما هو لله تعالى.

(١) قرأ حمزة: «يزفون» بضم الياء، من: (أزف) أي: دخل في الزيف وهو الإسراع، وباقي السبعة بفتح الياء، من:

(زَفَّ الظليم) أي: عدا بسرعة، وأصل الزيف للنعام. انظر «الدر المصون» (٩/٣٢٠).

(٢) انظر (٤/٣٣٨-٣٤٠).

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾

(٩٧ - ٩٨) ﴿قَالُوا﴾ بينهم: ﴿ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا﴾ فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾: النار الشديدة، ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه، ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾: المقهورين، فخرج من النار سالماً.

(٩٩ - ١٠١) ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾: مهاجر إليه من دار الكفر، ﴿سَيِّدِينَ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه، وهو الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولداً ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿بُنَيْنًا﴾ قيل: بنوا له حائطاً من الحجر، طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملؤوه من الحطب، وأوقدوا عليه النار، ثم تحيروا في كيفية رميه، فعلمهم إبليس المنجنيق، فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها، فصارت عليه برداً وسلاماً.

قوله: ﴿فَأُضِرُّوهُ فِيهِ النَّارِ﴾ أي: أوقدوها.

قوله: ﴿النَّارِ الشَّدِيدَةِ﴾ أي: فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحيماً، من: الجحمة، وهي شدة التأجج.

قوله: (المقهورين) أي: يبطل كيدهم؛ حيث جعلت عليه برداً وسلاماً.

قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ﴾... إلخ عطف على محذوف، قدره بقوله: ﴿فخرج... إلخ﴾، والمعنى: أنه لما خرج من النار سالماً ولم يهتد من قومه أحداً. هاجر هو ولو ط ابن أخيه وسارة زوجته إلى أرض الشام، وهو أول من هاجر من الخلق في طاعة الله، وقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ أي: إلى عبادة ربي وطاعته.

قوله: ﴿سَيِّدِينَ﴾ أي: إلى ما فيه صلاح ديني وبلوغ مطالبي.

قوله: ﴿إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَنِي رَبِّي﴾ أي: إلى مكان أمرني... إلخ، وهذا متعلق بكل من (ذاهب) و(يهدين).

قوله: ﴿فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾ قدره؛ توطئة لقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي... إلخ﴾.

قوله: ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: بعض الصالحين، يكون خليفة لي ويرث حالي.

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ.....

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ أي: ذي حلمٍ كثير.

﴿١٠٢﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ﴾ أي: أن يَسْعَىٰ مَعَهُ وَيُعِينَهُ، قِيلَ: بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَقِيلَ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ﴿فَكَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ﴾ أي: رَأَيْتُ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ﴾ مرَّتْ على محذوف، تقديره: فاستجبنا له فبشرناه، وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاؤوا له في صورة أضياف، فبشروه بالغلام، ثم انتقلوا من قريته - وهي فلسطين - إلى قرية لوط - وهي سدُوم - لإهلاك قومه؛ كما تقدّم ذلك في سورة (هود)، ويأتي في (الذاريات) ^(١).

قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ﴾ أشار المفسر إلى أن قوله: (معه) ظرفٌ متعلّق بالسعي، وفيه: أنه يلزم عليه تقدّم صلة المصدر المؤوّل من (أن) والفعل عليه، وهو لا يجوز، وأجيب: بأنه يُغتفر في الظروف ما لا يُغتفر في غيرها، ويصحّ جعله متعلّقاً بمحذوفٍ على سبيل البيان؛ كأنّ قائلاً قال: مع مَنْ بلغ السعي؟ ف قيل: بلغ معه، ولا يصحّ جعله متعلّقاً بـ(بلغ)، ولا حالاً من ضميره؛ لأنه يوهّم اقترانهما في بلوغ السعي؛ لأنّ المصاحبة تقتضي المشاركة، مع أنّ المقصود وصف الصغير بذلك فقط.

قوله: ﴿فَكَالَ يَبْنَئِي﴾ جواب (لما)، والحكمة في ذلك: أن إبراهيم اتخذ الله تعالى خليلاً، والخلة هي: صفاء المودّة، ومن شأنها عدم مشاركة الغير مع الخليل، وكان قد سأل ربّه الولد، فلمّا وهب له تعلّقت شعبة من قلبه بمحبّته، فجاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل، فأمر بذبح المحبوب؛ لتظهر صفاء الخلة وعدم المشاركة فيها؛ حيث امتثل أمر ربّه وقدم محبّته على محبة ولده ^(٢).

قوله: (أي: رأيت) أشار بذلك إلى أنّ الرؤيا وقّعت بالفعل؛ لما روي: أنه رأى ليلة التروية أنّ قائلاً يقول له: إنّ الله يأمرك بذيح ابنك، فلمّا أصبح فكّر في نفسه أنّه من الله ^(٣)، فلمّا أمسى رأى

(١) انظر (٤١٩/٦).

(٢) فلمّا قدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد... خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة؛ إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس، وقد حصل المقصود، فنسخ الأمر، وفدى الذبيح، وصدّق الخليل الرؤيا. انظر «المواهب اللدنيّة» (٦٩/١).

(٣) أي: أو من الشيطان هذا الحلم؟ كما نقل الخبر العلامة الجمل في «فتوحاته» (٥٧٤/٣) عن شيخه العلامة الأجهوري، والبعوي في «تفسيره» (٤٨/٧).

فِي الْمَنَامِ أَنْتَ أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى^١ قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ.....

﴿فِي الْمَنَامِ أَنْتَ أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى، ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ من الرأي، شاوره ليأمنس بالذبح وينقاد للأمر به، ﴿قَالَ يَتَأْتِي﴾ - التاء عوض عن ياء الإضافة - ﴿أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ به،

حاشية الصاوي

مثل ذلك في الليلة الثانية، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة، فهم بنحره، فقال له: يا بني... إلخ؛ ولذلك سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر؛ لأنه في اليوم الأول تروى^(١)، وفي الثاني عرفت، وفي الثالث نحر.

قوله: ﴿أَنْتَ أَذْبَحُكَ﴾ أي: أفعَل الذبح، أو أؤمر به، احتمالان، ويُشير للأول قوله: ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّيَّاءُ﴾، وللثاني قوله: ﴿أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾.

قوله: ﴿مَاذَا تَرَى﴾ (يصح أن تكون (ماذا) مركبة، وحيثئذ: فهي منصوبة بـ(ترى)، وما بعدها في محل نصب بـ(انظر)؛ لأنها معلقة له، ويصح أن تكون (ما) استفهامية، و(ذا) موصولة، فتكون (ماذا) مبتدأ وخبراً، وقوله: (ترى) بفتحيتين من: الرأي، وفي قراءة سبعية (تري) بالضم والكسر، والمفعولان محذوفان؛ أي: تُريني إياه من صبرك واحتمالك، وقرئ شذوذاً بضم ففتح؛ أي: ما يُخَيَّل لك^(٢).

قوله: (شاوره؛ ليأمنس... إلخ) أي: وَيَعْلَمَ صَبْرَهُ وعزيمته على طاعة الله.

قوله: ﴿قَالَ يَتَأْتِي﴾ أي: بفتح التاء وكسرها، قراءتان سبعتان^(٣).

قوله: (التاء عوض عن ياء الإضافة) أي: فهي في محل جر كما كانت الياء في محل جر.

قوله: ﴿أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ قال ابن إسحاق وغيره: لما أُمِرَ إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني؛ خذ

(١) في «المختار»: (رَوَى فِي الْأَمْرِ تَرْوِيَةً: نظر فيه وفكر).

(٢) قرأ الأخوان حمزة والكسائي: (تري) بالضم والكسر، وقرأ الأعمش والضحاك: (تري) بالضم والفتح. انظر «الدر المصون» (٣٢٢/٩).

(٣) فتح التاء ابن عامر وأبو جعفر، وكسرها غيرهما، ووقف بالهاء المكي والشامي وأبو جعفر ويعقوب، وبالتاء غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٧٠).

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ على ذلك .

(١٠٢ - ١٠٣) ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾: خَضَعَا وَاِنْقَادَا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: صَرَعهُ عَلَيْهِ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ جَبِينَانِ بَيْنَهُمَا الْجَبْهَةُ، وَكَانَ ذَلِكَ

حاشية الصاوي

هذا الحبل والمُدِيَّة وانطلق بنا إلى هذا الشَّعْب لِنَحْتَطِب، فَلَمَّا خَلَا بَابُهُ فِي الشَّعْبِ .. أَخْبَرَهُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَتِ؛ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ^(١).

قوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: أَنَّى بِهَا؛ تَبَرُّكًا وَإِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَا حَوْلَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا بِعَصْمَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ.

قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾: أَي: الْوَالِدُ وَالْوَلَدُ.

قوله: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: أَي: صَرَعه ورماه على شَقِّهِ فَوْقِ التَّلِّ الَّذِي هُوَ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَ الْابْنُ: يَا أَبَتِ؛ اشْدُدْ رِبَاطِي كَيْ لَا أَضْطَرِبَ، وَاكْفِفْ ثِيَابَكَ حَتَّى لَا يَنْتَضِحَ عَلَيْهَا مِنْ دَمِي شَيْءٌ فَيَنْقُصَ أَجْرِي وَتَرَاهُ أُمِّي فَتَحْزَنَ، وَاسْتَحْدِّ شَفْرَتَكَ، وَأَسْرِعْ بِهَا عَلَى حَلْقِي؛ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيَّ، وَإِذَا أَتَيْتَ أُمِّي فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنِّي، وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَرَدَّدَ قَمِيصِي عَلَيْهَا فَافْعَلْ؛ فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَسْلَى لَهَا عَنِّي، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: نِعَمَ الْعَوْنُ أَنْتَ يَا بَنِيَّ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَفَعَلَ إِبْرَاهِيمُ مَا أَمَرَهُ بِهِ ابْنُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْكِي وَالْابْنُ يَبْكِي، فَلَمَّا وَضَعَ السَّكِينَ عَلَى حَلْقِهِ .. لَمْ تَوْثِرْ شَيْئًا، فَاشْتَدَّهَا بِالْحَجَرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْطَعَ شَيْئًا، فَمُنِعَتْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

وقيل: ضَرَبَ اللَّهُ صَفِيحَةً مِنْ نُحَاسٍ عَلَى حَلْقِهِ، وَالْأَوَّلُ أَبْلَغُ فِي الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ مَنَعَ الْحَدِيدَ عَنِ اللَّحْمِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الْابْنُ: يَا أَبَتِ كُتِّبَنِي لَوَجْهِي عَلَى جَبِينِي؛ فَإِنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي وَجْهِي رَحِمْتَنِي، فَأَدْرَكْتَكَ رَافَةً تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَمْرِ اللَّهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الشَّفْرَةِ فَأَجْزَعُ مِنْهَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ وَضَعَ السَّكِينَ عَلَى قَفَاهُ، فَانْقَلَبَتْ، فَتَوَدَّى: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ قَدْ صَدَقْتَ الرَّوْيَا ... إلخ^(٣).

(١) رواه عنه الفاكهي في «أخبار مكة» (٥/٧٥).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٤٨/٧).

(٣) انظر «تفسير الخازن» (٢٣/٤).

وَنَدَيْنَتْهُ أَنْ يَتَابَرَهَيْمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّبِّيَّ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَوُا
الْمُيْنُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَتْهُ
بِمَنَى، وَأَمَرَ السُّكَيْنَ عَلَى خَلْقِهِ فَلَمْ تَعْمَلْ شَيْئاً بِمَانِعٍ مِنَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، ﴿وَنَدَيْنَتْهُ أَنْ

يَتَابَرَهَيْمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّبِّيَّ﴾ بِمَا أَتَيْتَ بِهِ مِمَّا أَمَكَّنَكَ مِنْ أَمْرِ الذَّبْحِ، أَي: يَكْفِيكَ ذَلِكَ،
فَجُمْلَةُ (نَادَيْنَاهُ) جَوَابُ (لَمَّا) بِزِيَادَةِ الْوَاوِ، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَاكَ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾
لِأَنْفُسِهِمْ بِامْتِثَالِ الْأَمْرِ بِإِفْرَاجِ الشَّدَّةِ عَنْهُمْ، ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذَّبْحَ الْمَأْمُورَ بِهِ ﴿لَهُوَ الْبَلْتَوُا
الْمُيْنُ﴾ أَي: الْاِخْتِبَارُ الظَّاهِرُ.

﴿١٠٧﴾ - ﴿١١١﴾ ﴿وَفَدَيْنَتْهُ﴾ أَي: الْمَأْمُورَ بِذَبْحِهِ وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ أَوْ إِسْحَاقُ؛ قَوْلَانِ

حاشية الصاوي

قوله: (بِمَنَى) يَذْكُرُ وَيُؤَنِّثُ، وَيُصَرِّفُ وَيَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ بِاعْتِبَارِ الْمَكَانِ وَالْبُقْعَةِ.

قوله: (وَأَمَرَ السُّكَيْنَ) هَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ، وَهُوَ مَا تَقَدَّمَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ لَمْ
يَمُرَّ السُّكَيْنُ، بَلْ لَمَّا أَضْجَعَهُ وَأَرَادَ أَنْ يَمُرَّ السُّكَيْنُ.. جَاءَهُ النِّدَاءُ، وَبِالْأَوَّلِ اسْتَدَلَّ أَهْلُ السُّنَّةِ
عَلَى أَنَّ الْأُمُورَ الْعَادِيَّةَ لَا تَوْثُرُ شَيْئاً لَا بِنَفْسِهَا وَلَا بِقُوَّةِ أَوْدَعِهَا اللَّهُ فِيهَا، وَإِنَّمَا الْمُؤَثِّرُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى،
فَتَخَلَّفَ الْقَطْعُ فِي وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، وَتَخَلَّفَ الْإِحْرَاقُ فِي إِبْرَاهِيمَ.

قوله: (فَجُمْلَةُ «نَادَيْنَاهُ» جَوَابُ «لَمَّا»... إلخ) هَذَا أَحَدُ أَوْجِهٍ ثَلَاثَةٍ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَحْذُوفٌ،
تَقْدِيرُهُ: ظَهَرَ صَبْرُهُمَا، أَوْ أَجْزَلْنَا لَهُمَا الْأَجْرَ^(١)، وَالثَّلَاثُ: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَقَلَّ لَهُ لِلْجَبِينِ﴾ بِزِيَادَةِ الْوَاوِ.

قوله: (بِإِفْرَاجِ الشَّدَّةِ) الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: (بِتَفْرِيجِ الشَّدَّةِ) أَوْ (بِفَرَجِهَا)؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ (فَرَجَ)
بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ، فَمَصْدَرُهُ إِمَّا التَّفْرِيجُ أَوْ الْفَرَجُ.

قوله: ﴿وَفَدَيْنَتْهُ﴾ عَطَفَتْ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَنَدَيْنَتْهُ﴾.

قوله: (قَوْلَانِ) أَي: وَهُمَا مَبْنِيَّانِ عَلَى قَوْلَيْنِ آخَرَيْنِ؛ هَلْ إِسْمَاعِيلُ أَكْبَرُ أَوْ إِسْحَاقُ؟ فَمَنْ قَالَ
بِالْأَوَّلِ.. قَالَ: إِنَّ الذَّبِيحَ إِسْمَاعِيلَ، وَمَنْ قَالَ بِالثَّانِي.. قَالَ: إِنَّ الذَّبِيحَ إِسْحَاقَ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ كَلًّا مِنَ الْقَوْلَيْنِ قَالَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، لَكِنِ الْقَوْلُ بِأَنَّ الذَّبِيحَ إِسْحَاقُ..
أَقْوَى فِي النُّقْلِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، حَتَّى قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: أَرَى إِبْرَاهِيمَ ذَبَحَ إِسْحَاقَ

(١) أَوْ التَّقْدِيرُ: قَلَّ لَنَا مِنْهُ، (وَنَادَيْنَاهُ) مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ. انظر «تفسير النسفي» (٣/١١٩).

بِذَنبِ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾
إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا
.....

﴿بِذَنبِ﴾: بِكَبْشٍ ﴿عَظِيمٍ﴾ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهُوَ الَّذِي قَرَّبَهُ هَابِيلُ، جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَبَحَهُ السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمُ مُكَبَّرًا، ﴿وَتَرَكْنَا﴾: أَبْقَيْنَا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثَنَاءً حَسَنًا، ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ: كَمَا جَزَيْنَاهُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لِأَنْفُسِهِمْ، ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(﴿١١٢﴾ - ﴿١١٣﴾) ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ اسْتَدِلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَ غَيْرُهُ، ﴿نَبِيًّا﴾ - حَالُ مُقَدَّرَةٍ - أَي: يُوجَدُ مُقَدَّرًا نُبُوَّتُهُ
.....

حاشية الصاوي

في المنام، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى، فلمَّا صرف الله عنه الذبيح.. أمره أن يذبح به الكبش، فذبحه وسار إلى الشام مسيرة شهر في راحة واحدة، وطويت له الأودية والجبال. وبقي قول ثالث وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين، وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى.

قوله: (كَبْشٍ ﴿عَظِيمٍ﴾) وقيل: إنه كان تيساً جبلياً أهبط عليه من ثبير.

قوله: (وهو الذي قرَّبه هابيل) أي: ووصفه بالعظم؛ لكونه تُقْبَلُ مرتين.

قوله: (فذبحه السيد إبراهيم) أي: وبقي قرناه معلَّقين على الكعبة إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزبير^(١)، وما بقي من الكبش أكلته السباع والطيور؛ لأنَّ النَّارَ لا تؤثر فيما هو من الجنة.

قوله: (مكبراً) روي: أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم: الله وأكبر والله الحمد، فصار سنة^(٢).

قوله: (استدل بذلك... إلخ) أي: وهو مذهب الشافعي، وقال مالك وأبو حنيفة: لا دليل فيها؛ لأنَّ إسحاق وقعت البشارة به مرتين: مرة بوجوده، ومرة بنبوته، فمعنى قوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾: بَشَّرْنَاهُ بِنُبُوَّةِ إِسْحَاقَ بَعْدَ الْبَشَارَةِ بِوُجُودِهِ^(٣).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣/٥٥١).

(٢) انظر «تفسير أبي السعود» (٧/٢٠١).

(٣) في «البحر» (٢/١٧٨): أن الحنفية ماثلون إلى الأولى - أي: الطائفة الأولى القائلة بأن الذبيح إسماعيل - ورجَّحه الإمام أبو الليث السمرقندي في «البستان» بأنه أشبه بالكتاب والسنة. وانظر «حاشية ابن عابدين» (٢/١٧٨).

مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴿١١٣﴾
وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ
فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيِّنَ ﴿١١٧﴾

﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ بِتَكْثِيرِ ذُرِّيَّتِهِ، ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ وَلَدِهِ بِجَعْلِنَا أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ
نَسْلِهِ، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾: مُؤْمِنٌ ﴿وَضَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: كَافِرٌ ﴿مُيْتٌ﴾: بَيْنَ الْكُفْرِ
﴿١١٤﴾ - ﴿١١٩﴾ ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ بِالنُّبُوَّةِ، ﴿وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بَنِي
إِسْرَائِيلَ ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أَي: اسْتِعْبَادِ فِرْعَوْنَ إِيَّاهُمْ، ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ عَلَى الْقَبِيطِ
﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيِّنَ: الْبَلِغَ الْبَيَانَ فِيمَا أَتَى بِهِ مِنَ الْحُدُودِ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إما صفة لـ ﴿نَبِيًّا﴾ أو حال من ضميره.

قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ خبرٌ مقدَّم، وقوله: ﴿مُحْسِنٌ...﴾ إلخ: مبتدأ مؤخر، وفيه إشارة
إلى أَنَّ النَّسَبَ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْهُدَى وَلَا فِي الضَّلَالِ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا﴾ معطوفٌ على ما قبله عطفٌ قصة على قصة، واللام: موطئة لقسم
محذوف^(١)، تقديره: وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا... إلخ، وتحدثُ الله بالامتنان على عباده من عظيم
الشرف لهم، وقوله: (بالنبوة) أي: المصاحبة للرسالة؛ لأنهما كانا رُسُولِينَ، فلا مفهوم للنُّبُوَّةِ، بل
أعطاهما الله تعالى نِعْمًا جَمَّةً دِينِيَّةً وَدُنْيَوِيَّةً، وإنما خصَّهما؛ لأنها أشرفُ النعم.

قوله: (بني إسرائيل) أي: أولاد يعقوب.

قوله: (أي: استعباد فرعون إياهم) وسبب استيلائه عليهم: أَنَّ أَصُولَهُمْ قَدَمُوا مِصْرَ مَعَ آبِيهِمْ
يَعْقُوبَ لِيُوسُفَ حِينَ كَانَ مَلِكًا، فَاسْتَمَرُّوا بِهَا، فَلَمَّا ظَهَرَ فِرْعَوْنُ وَتَكَبَّرَ... اسْتَعْبَدَ ذُرِّيَّتَهُمْ وَجَعَلَهُمْ
خُدَمًا لِلْقَبِيطِ.

قوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الضميرُ عائِدٌ على موسى وهارون وقومهما.

قوله: ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ يصح أن يكون ﴿هُمْ﴾ ضميرَ فصلٍ، أو بدلًا من الواو في (كانوا)،
والأول أظهر.

(١) بل هي لام جواب قسم محذوف، وتقدَّمت الإشارة لهذا مرَّات في هذا الكتاب.

وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى
وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ
لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾

والأحكام وغيرها، وهو التَّوراةُ، ﴿وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ﴾: الطريق ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا: أَبْقَيْنَا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناءً حَسَنًا.

﴿١٢٠﴾ - ﴿١٢٢﴾ ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ ﴿كَمَا جَزَيْنَاهُمَا﴾
﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾.

﴿١٢٣﴾ - ﴿١٢٦﴾ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ - بِالْهَمْزَةِ أَوَّلُهُ وَتَرَكْنَاهَا - ﴿لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ قيل: هو ابنُ
أَخِي هَارُونَ أَخِي مُوسَى،

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرهما) أي: كالقصص والمواعظ.

قوله: ﴿وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: وَصَّلْنَاهُمَا لِلدِّينِ الْحَقِّ.

قوله: ﴿سَلَّمَ﴾ مبتدأ خبره محذوف، قَدَرَهُ بقوله: (مَنَّا)، وقوله: ﴿عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ متعلق
بـ(سَلَّمَ)، والمُسَوِّغُ للابتداء بالنكرة قَصْدُ التعظيم، وعملها في الجار والمجرور بعدها.

قوله: (كما جزيناها) أي: بما تقدَّم من الإنجاء والنصر وإيتاء الكتاب وإبقاء الثَّناء.

قوله: ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في مثل هذه الآيات ترغيبٌ للمؤمنين، وإشعارٌ بأنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ قَابِلٌ
لِكُلِّ خَيْرٍ، وصالحٌ له.

قوله: ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: الكَامِلِينَ في الإيمان، البالغين الغاية فيه.

قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ معطوفٌ على ما قبله عطفٌ قِصَّةً على قِصَّة.

قوله: (بالهمز أوله وتركه) أي: بناءً على أنها همزة قطع أو وصل، قراءتان سبعيتان^(١)، وسبب
جواز الأمرين: أنه اسمٌ أعجمي استعملته العرب، فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل.

قوله: ﴿لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ خبرٌ (إِنَّ).

قوله: (قيل: هو ابن أخي هارون... إلخ) الصحيح: أنه من ذُرِّيَةِ هَارُونَ؛ لقول محمد بن
إسحاق: هو إِيَّاسُ بْنُ يَاسِينَ بْنِ فَنَحَاصٍ بْنِ الْعِزَّارِ بْنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ، وَإِيَّاسُ بْنُ عَمِّ الْيَسَعِ.

(١) العامة على همزة مكسورة، همزة قطع، وابن ذكوان بوصلها. انظر «الدر المصون» (٣٢٦/٩).

وَقِيلَ غَيْرُهُ، أُرْسِلَ إِلَى قَوْمِ بَيْعَلَبَكْ وَنَوَاحِيهَا،

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: غيره) من جملة ذلك أنه قيل: هو إدريس، وقيل: هو اليسع.

قوله: (أرسل إلى قوم بيبلك) حاصلُ قصته كما قال محمد بن إسحاق وعلماء السير والأخبار: لما قبض الله حزقيال النبي عليه السلام.. عَظُمَتِ الْأَحْدَاثُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَظَهَرَ فِيهِمُ الْفَسَادُ وَالشُّرْكُ، وَنَصَبُوا الْأَصْنَامَ وَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ إِيَّاسَ نَبِيًّا، وَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ يَبْعَثُونَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بِتَجْدِيدِ مَا نَسُوا مِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ، وَكَانَ يَوْشَعَ لَمَّا فَتَحَ الشَّامَ قَسَمَهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّ سِبْطًا مِنْهُمْ حَصَلَ فِي قِسْمَتِهِ بِعَلَبَكْ وَنَوَاحِيهَا، وَهُمْ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ إِيَّاسُ، وَعَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ مَلِكٌ اسْمُهُ أَرْحُبُ، وَكَانَ قَدْ أَضَلَّ قَوْمَهُمْ وَجَبَرَهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَكَانَ لَهُ صَنْمٌ مِنْ ذَهَبٍ طَوْلُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا، وَلَهُ أَرْبَعَةُ وُجُوهِ، وَكَانَ اسْمُهُ بَعْلًا، وَكَانُوا قَدْ فُتِنُوا بِهِ وَعَظَّمُوهُ وَجَعَلُوا لَهُ أَرْبَعَ مِائَةِ سَادِنٍ، وَجَعَلُوهُمْ أَبْنَاءَهُ، فَكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ بَعْلٍ وَيَتَكَلَّمُ بِشَرِيعَةِ الضَّلَالَةِ، وَالسَّادِنَةُ يَحْفَظُونَهَا عَنْهُ وَيَبْلُغُونَ النَّاسَ، وَهُمْ أَهْلُ بَعْلَبَكْ، وَكَانَ إِيَّاسُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ لَهُ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ، فَكَانَ إِيَّاسُ يَقُومُ بِأَمْرِهِ وَيُسَدِّدُهُ وَيُرْشِدُهُ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ ارْتَدَّ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى إِيَّاسَ، وَقَالَ: يَا إِيَّاسُ مَا أَرَى مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ إِلَّا بِاطْلًا، وَهُمْ بِتَعْذِيبِ إِيَّاسَ وَقَتْلِهِ، فَلَمَّا أَحَسَّ إِيَّاسُ بِالشَّرِّ.. رَفَضَهُ وَخَرَجَ عَنْهُ هَارِبًا، وَرَجَعَ الْمَلِكُ إِلَى عِبَادَةِ بَعْلٍ، وَلَحِقَ إِيَّاسُ بِشَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكَانَ يَأْوِي إِلَى الشُّعَابِ وَالْكَهُوفِ، فَبَقِيَ سَبْعَ سِنِينَ عَلَى ذَلِكَ خَائِفًا مُسْتَخْفِيًّا، يَأْكُلُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَثَمَارِ الشَّجَرِ، وَهُمْ فِي طَلَبِهِ قَدْ وَضَعُوا عَلَيْهِ الْعَيُونَ، وَاللَّهُ يَسْتَرُهُ مِنْهُمْ، فَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ عَلَى إِيَّاسَ وَسِئَمَ الْكُمُومَ فِي الْجِبَالِ وَطَالَ عَصِيَانُ قَوْمِهِ وَضَاقَ بِذَلِكَ ذِرْعًا.. دَعَا رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرِيحَهُ مِنْهُمْ، فَقِيلَ: انْظُرْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَخَرَجَ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا، فَمَا جَاءَكَ مِنْ شَيْءٍ.. فَارْكَبْهُ وَلَا تَهَبُّهُ، فَخَرَجَ إِيَّاسُ وَمَعَهُ الْيَسَعُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي أُمِرَ بِهِ إِذْ أَقْبَلَ فَرَسٌ مِنْ نَارٍ، وَقِيلَ: لَوْنُهُ كَالنَّارِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ إِيَّاسَ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ الْفَرَسُ، فَنَادَاهُ الْيَسَعُ: يَا إِيَّاسُ؛ مَا تَأْمُرَنِي، فَقَذَفَ إِلَيْهِ إِيَّاسُ بِكِسَائِهِ مِنَ الْجَوْ الْأَعْلَى، فَكَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً اسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ، وَرَفَعَ اللَّهُ إِيَّاسَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَقَطَعَ عَنْهُ لَذَّةَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، وَكَسَاهُ الرِّيشَ، فَصَارَ إِنْسِيًّا مَلَكِيًّا، أَرْضِيًّا سَمَاوِيًّا، وَنَبَأَ اللَّهُ تَعَالَى الْيَسَعَ وَبَعَثَهُ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَأَيَّدَهُ، فَآمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانُوا يُعَظِّمُونَهُ، وَحَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ قَائِمٌ إِلَى أَنْ فَارَقَهُمُ الْيَسَعُ^(١).

(١) انظر الخبر بتمامه عند الخازن في «تفسيره» (٢٦/٤).

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: **أَلَا نُنْفِقُونَ** ﴿١٢٤﴾ **أَلَدَعُونَ بَعْلًا**

﴿إِذْ﴾ - مَنْصُوبٌ بِـ (أَذْكَر) مُقَدَّرًا - ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ **أَلَا نُنْفِقُونَ** ﴿الله؟﴾ **﴿أَلَدَعُونَ بَعْلًا﴾** اسم صَنْمَ لَهُمْ مِنْ ذَهَبٍ وَبِهِ سُمِّيَ الْبَلَدُ أَيْضًا مُضَافًا إِلَى (بَك)، أي: أَتَعْبُدُونَهُ

حاشية الصاوي

وقد أعطى الله إلیاس معجزاتٍ جمّةً منها: تسخير الجبال له والأسود وغيرهما، وأعطاه الله قوّة سبعين نبیًّا، وكان على صفة موسى في الغضب والقوّة، روي: أن إلیاس والخضر یصومان رمضان كلّ عام ببيت المقدس ويفترقان عن أربع كلمات: باسم الله ما شاء الله لا یسوق الخیر إلا الله، باسم الله ما شاء الله لا یصرف السوء إلا الله، باسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، باسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله^(١). وقيل في الرواية غیر ذلك.

وإلیاسٌ موکَّلٌ بالفیافي والقفار، والخضرٌ موکَّلٌ بالبحار، ولا یموتان إلا في آخر الزمان حين یرفع القرآن.

وعن أنس قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان عند فجّ النّاقة فسمعت صوتاً یقول: اللهمّ؛ اجعلني من أمة محمّد المرحومة المغفورة لها المستجاب لها، فقال النبي ﷺ: «يا أنس؛ انظر ما هذا الصوت»، فدخلت الجبل فإذا رجلٌ عليه ثيابٌ بیضٌ، أبيضُ الرأس واللحية، طولُهُ أكثرُ من ثلاث مئة ذراع، فلمّا رأيته قال: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقلتُ: نعم، قال: فارجع إليه فأقرئه السّلام وقل له: هذا أخوك إلیاس یريد أن یلقاك، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فجاء یمشي وأنا معه، حتى إذا كنا قريباً منه تقدّم النبي ﷺ، وتأخّرتُ أنا، فتحدّثنا طويلاً، فنزل عليهما من السماء شيءٌ يشبه السّفرة، ودعواني فأكلت معهما، وإذا فيها كمأةٌ ورمّانٌ وحوثٌ وكرسفٌ، فلمّا أكلتُ قُمتُ فتنحّيتُ، فجاءت سحابة فحملته وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوي قبل السماء. انتهى^(٢).

قوله: ﴿**أَلَا نُنْفِقُونَ**﴾ (الله) أي: تَمَثَّلُونَ أوامره، وتجتنبون نواهيه.

قوله: (وبه سُمِّيَ البلد) أي: ثانياً، وأمّا أولاً.. فاسمها (بَك) فقط، فلما عُبدَ بعل.. سُمِّيَتْ: بَعْلَبَك.

قوله: (مُضَافًا إِلَى «بَك») أي: مضموماً إليه، وإلّا.. فالتركيبُ مزجيٌّ لا إضافيٌّ.

(١) «تفسير القرطبي» (٤٣/١١).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٠٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤٢١/٥)، وفيهما وفي «فتوحات» العلامة الجمل (٥٧٩/٣): (كرفس) بدل (كرسف).

وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبَّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهٗ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾

﴿وَتَذَرُونَ﴾: تَتْرَكُونَ ﴿أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾: فَلَا تَعْبُدُونَهُ؟ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبَّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾: - بِرَفْعِ الثَّلَاثَةِ عَلَى إِضْمَارِ (هُوَ)، وَبِنَصْبِهَا عَلَى الْبَدَلِ مِنْ ﴿أَحْسَنَ﴾. -

(﴿١٢٧﴾ - ﴿١٣٠﴾) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: فِي النَّارِ، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: أَي: الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ نَجَوْا مِنْهَا، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: ثَنَاءٌ حَسَنًا، ﴿سَلَامٌ﴾: مِنَّا ﴿عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾: قِيلَ: هُوَ إِيَّاسُ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ، وَقِيلَ: هُوَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، فَجُمِعُوا مَعَهُ تَغْلِيْبًا، كَقَوْلِهِمْ لِلْمُهَلَّبِ وَقَوْمِهِ: الْمُهَلَّبُونَ، وَعَلَى قِرَاءَةِ: (آلِ يَاسِينَ) بِالْمَدِّ أَي: أَهْلُهُ الْمُرَادُ بِهِ إِيَّاسُ أَيْضًا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَتَذَرُونَ﴾: عطف على (تدعون) فهو داخلٌ في حيز الإنكار.

قوله: ﴿أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾: أَي: المصوِّرين؛ لأنه سبحانه وتعالى يُصَوِّرُ الصورةَ ويلبسها الروح، وغيره يُصَوِّرُ من غير روح.

قوله: (برفع الثلاثة) أَي: والقراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (فإنهم نجوا منها) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء من الواو في ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾، كأنه قال: فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا الذين تابوا من تكذيبهم وأخلصوا فإنهم غير محضرين.

قوله: (قيل: هو إِيَّاس المتقدم) أَي: وعليه فهو مفردٌ مجرورٌ بالفتحة؛ للعلمية والعجمة، وهي لغة ثانية فيه.

قوله: (وقيل: هو... إلخ) أَي: وعليه فهو مجرورٌ بالياء؛ لكونه جمعٌ مذكرٌ سالمًا.

قوله: (المراد به: إِيَّاس أَيْضًا) فأطلق الآل وأراد به ما يشمله وقومه المؤمنين به، فتحصل أنَّ في الآية ثلاث عبارات^(٢): إِيَّاس في أولها، وإِيَّاسين، وآل يَاسِينَ في آخرها، وكلُّها سبعة^(٣).

(١) قرأ الأخوان وحفص بنصب الثلاثة، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (٣٢٧/٩).

(٢) أَي: في التعبير عن إِيَّاس عليه السلام؛ فكلٌّ من إِيَّاسين، وآل المضاف إلى يَاسِينَ المرادُ به: إِيَّاس؛ فقد عبَّرَ عنه في الآية بثلاث عبارات. «فتوحات» (٥٨٠/٣).

(٣) قرأ نافع وابن عامر: (على آل يَاسِينَ) بإضافة (آل) بمعنى: أهل إلى (يَاسِينَ)، والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بـ (يَاسِينَ)، كأنه جمع (إِيَّاس) جمع سلامة. انظر «الدر المصون» (٣٢٨/٩).

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ بَخَّعَتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنُرَوِّنُهُمْ عَنْ بُرْجِهِمْ مُضْطَبِّحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾

﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١٣٣ - ١٣٨) ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾، اذكر ﴿إِذْ بَخَّعَتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي: الباقيين في العذاب، ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا﴾: أهلكنا ﴿الْأَخْرِينَ﴾: كُفَّار قومه، ﴿وَإِنَّا لَنُرَوِّنُهُمْ عَنْ بُرْجِهِمْ﴾: على آثارهم وَمَنَازِلَهُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ ﴿مُضْطَبِّحِينَ﴾ أي: وقت الصُّبْح، يَعْنِي بِالنَّهَارِ، ﴿وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ مَا حَلَّ بِهِمْ فَتَعْتَبِرُونَ بِهِ؟

(١٣٩ - ١٤١) ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ عطف على ما قبله أيضاً عطف قصّة على قصّة.

قوله: (اذكر ﴿إِذْ بَخَّعَتْهُ...﴾ إلخ) قدّر المفسّر (اذكر)؛ إشارة إلى أن الظرف متعلّق بمحذوف، ولم يجعله متعلّقاً بقوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾؛ لأنه يُوهم أنه قبل النجاة لم يكن رسولاً مع أنه رسول قبل النجاة وبعدها.

قوله: ﴿وَأَهْلَهُ﴾ المراد بهم: بنتاه.

قوله: ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي امرأته.

قوله: (أي: وقت الصبح) بيان لمعناه في الأصل، وقوله: (يعني بالنهار) بيان للمراد منه، وقوله: ﴿وَبِالْأَيْلِ﴾ عطف على ﴿مُضْطَبِّحِينَ﴾ وهو حال أخرى.

قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أتشاهدون ذلك فلا تعقلون؟!

قوله: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ هو ابن مَتَّى، وهو ابن العجوز التي نزل عليها إيلياس فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر ويونسُ صبي يرضع، وكانت أمُّ يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه، ولا تدّخر عنه كرامةً تقدر عليها، ثمَّ إنَّ إيلياس أُذِنَ له في السياحة فلحق بالجبال، ومات يونس ابن المرأة، فخرجت في أثر إيلياس تطوف وراءه في الجبال حتى وجدته، فسألته أن يدعو الله لها لعلّه

إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾

إِذْ أَبَقَ: ﴿١٤٠﴾ هَرَبَ ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: السَّفِينَةِ الْمَمْلُوءَةِ حِينَ غَاضَبَ قَوْمَهُ لَمَّا لَمْ يَنْزِلْ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ، فَرَكِبَ السَّفِينَةَ فَوَقَفَتْ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ، فَقَالَ الْمَلَّاحُونَ: هُنَا عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ سَيِّدِهِ تُظْهِرُهُ الْقُرْعَةُ، ﴿فَسَاهَمَ﴾: قَارَعَ أَهْلَ السَّفِينَةِ ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾: الْمَغْلُوبِينَ بِالْقُرْعَةِ، فَأَلْقَوْهُ فِي الْبَحْرِ.

حاشية الصاوي

يحيي لها ولدَهَا، فجاء إلياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوماً مضت من موته، فتوضأ وصلى ودعا، فأحيا الله يونسَ بن مَتَّى بدعوة إلياس عليهما السلام، وأرسل الله يونسَ إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام.

قوله: ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ ظرفٌ لمحذوف تقديرُهُ: (اذكر) كما تقدّم نظيره، وقوله: (أبق) بابه: (فتح)، والإباق في الأصل: الهروب من السيّد، وإطلاقُهُ على هروب يونسَ استعارةٌ تصرّحيةٌ، فشبهَ خروجه بغير إذن ربّه بإباق العبد من سيّده.

قوله: (حين غاضب قومه) المفاعلة على بابها؛ لأنهم غاضبوه بعدم الانقياد والإيمان به، وهو غضب عليهم.

قوله: (فركب السفينة) أي: باجتهادٍ منه؛ لظنّه أنّه إن بقي بينهم قتلوه؛ لأنهم كانوا يقتلون كلّ مَنْ ظهر عليه كذبٌ، فركوبُ السفينة ليس معصيةً لربّه؛ لا صغيرةً ولا كبيرةً، ومؤاخذتُهُ بحبسه في بطن الحوت على مخالفة الأولى^(١)؛ فَإِنَّ الْأَوَّلَى لَهُ انتِظَارُ الْإِذْنِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، هَذَا هُوَ الصَّوَابُ فِي تَحْقِيقِ الْمَقَامِ، وَهَنَّاكَ أَقْوَالٌ أُخَرُ، اعْتِقَادُهَا يَضُرُّ فِي الْعَقِيدَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

قوله: (فوقفت) أي: من غير سبب، وقوله: (في لجة البحر) المراد به: بحر الدجلة.

قوله: (فقال الملاحون... إلخ) أي: وكان من عادتهم أنّ السفينة إذا كان فيها أبقٌ أو مذنبٌ.. لم تَسِرْ.

قوله: (قارع أهل السفينة) أي: غالبهم، قيل: مرّةً واحدةً، وقيل: ثلاثاً.

قوله: (فألقوه في البحر) قدره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ﴾ مرّتبٌ على محذوف.

(١) في (ط ٢): (على مخالفته الأولى).

فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِيتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾

(١٤٢ - ١٤٤) ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ﴾: ابتَلَعَهُ ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أَي: آتٍ بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَرُكُوبِهِ السَّفِينَةَ بِلا إِذْنٍ مِنْ رَبِّهِ، ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: الذَّاكِرِينَ بِقَوْلِهِ كَثِيرًا فِي بَطْنِ الْحَوْتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، ﴿لَلِيتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: لَصَارَ بَطْنُ الْحَوْتُ قَبْرًا لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(١٤٥ - ١٤٦) ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾: أَي: أَلْقَيْنَاهُ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتُ ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بِوَجْهِ الْأَرْضِ، أَي: بِالسَّاحِلِ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَوْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، أَوْ عَشْرِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: عَلِيلٌ كَالْفَرْخِ الْمُمْعِطِ، ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾: وَهِيَ الْقَرْعُ تُظَلُّهُ بِسَاقٍ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ فِي الْقَرْعِ مُعْجِزَةً لَهُ، وَكَانَتْ تَأْتِيهِ وَعِلَّةٌ صَبَاحًا وَمَسَاءً يَشْرَبُ مِنْ لَبْنِهَا حَتَّى قَوِيَ.

حاشية الصاوي

قوله: (أَي: آتٍ بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ) أَي: والمعنى: وهو مُلِيمٌ نَفْسَهُ.

قوله: (بقوله كثيراً) استُفِيدَتِ الْكَثْرَةُ مِنْ جَعْلِهِ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ.

قوله: (قبراً له) أَي: بِأَن يَمُوتَ فَيَبْقَى فِي بَطْنِهِ مَيِّتًا، وَقِيلَ: بِأَن يَبْقَى عَلَى حَيَاتِهِ.

قوله: ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ أَي: أَمَرْنَا الْحَوْتَ بِنَبْذِهِ، فَنَبَذَهُ.

قوله: ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ أَي: الْأَرْضِ الْمُتَّسِعَةِ الَّتِي لَا نَبَاتَ بِهَا.

قوله: (من يومه) أَي: فَالْتَقَمَهُ ضَحَى وَنَبَذَهُ عَشِيَّةً. وَمَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِّرُ خَمْسَةً أَقْوَالًا؛ الْأَوَّلُ:

لِلشَّعْبِيِّ، وَالثَّانِي: لِمَقَاتِلٍ، وَالثَّالِثُ: لِعَطَاءٍ، وَالرَّابِعُ: لِلضَّحَّاكِ، وَالْخَامِسُ: لِلسُّدِّيِّ.

قوله: (الْمُمْعِطُ) بَضْمُ الْمِيمِ الْأُولَى، وَتَشْدِيدُ الثَّانِيَةِ مَفْتُوحَةً، بَعْدَهَا عَيْنٌ مَهْمَلَةٌ، بَعْدَهَا طَاءٌ

مَهْمَلَةٌ أَيْضًا؛ أَي: الْمَثْوُوفُ شَعْرُهُ.

قوله: (وهو القرع) خَصَّ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ بَارِدُ الظِّلِّ، لِيُنَّ الْمَلَمَسَ، كَبِيرُ الْوَرَقِ، لَا يَعْلُوهُ الذَّبَابُ.

وَمَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِّرُ أَحَدُ أَقْوَالٍ فِي تَفْسِيرِ الْيَقْطِينِ، وَقِيلَ: كَانَتْ شَجَرَةُ التِّينِ، وَقِيلَ: شَجَرَةُ الْمَوْزِ؛ تَغْطِي بَوْرَقَهُ، وَاسْتَظَلَّ بِأَغْصَانِهِ، وَأَفْطَرَ عَلَى ثَمَارِهِ.

قوله: (وَعِلَّةٌ) إِمَّا بِفَتْحِ الْوَائِ وَالْعَيْنِ، أَوْ بِكَسْرِ الْوَائِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ، هِيَ: الْغَزَالَةُ.

وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَتَأَمَّنُوا فَمَرَّعْتَهُمْ إِلَى جِئٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتَاهُ

(١٤٧ - ١٤٨) ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ بعد ذلك كَقَبْلِهِ إِلَى قَوْمِ بَنِي نَوَى مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ ﴿إِنَّ مِائَةَ آلَافٍ أَوْ﴾ : بَلْ ﴿يَزِيدُونَ﴾ عِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ أَوْ سَبْعِينَ أَلْفًا، ﴿فَتَأَمَّنُوا﴾ عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ الْمَوْعُودِينَ بِهِ، ﴿فَمَرَّعْتَهُمْ﴾ أَيِ : أَبْقَيْنَاهُمْ مُتَمَّعِينَ بِمَا لَهُمْ ﴿إِلَى جِئٍ﴾ تَنْقِضِي أَجَالَهُمْ فِيهِ .

(١٤٩ - ١٥٠) ﴿فَاسْتَفْتَاهُ﴾ : اسْتَخِيرَ كُفَّارَ مَكَّةَ

حاشية الصاوي

قوله : (كقبله) جوابٌ عما يوهم أنه قبل خروجه لم يكن مُرْسَلًا .

قوله : (بنينوى) بكسر النون الأولى وياء ساكنة ونون مضمومة وألف مقصورة بعد الواو .

قوله : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ جعل المفسر (أو) للإضراب بمعنى (بل)، ويصح أن تكون للشك بالنسبة للمخاطبين؛ أي : إِنَّ الرائي يشكُّ عند رؤيتهم، أو للإيهام بمعنى : أَنَّ الله أبهم أمرهم، أو الإباحة أو التخيير بمعنى : أن الناظر يُباح له أو يخير بين أن يحذرهم بكذا أو كذا .

قوله : (عند معاينة العذاب) أي : عند حضور أماراته؛ ولذا نفعهم إيمانهم، وأما مثل فرعون.. فلم يؤمن إلا بعد حصول العذاب بالفعل، وأيضاً : قوم يونس أخلصوا في إيمانهم، وفرعون لم يخلص، وإنما إيمانه عند الغرغرة؛ لدفع الشدة، ولو رُدُّوا لعادوا .

قوله : (بما لهم) بفتح اللام؛ أي : بالذي ثبت لهم من النعم، وتقدَّم بسط قصة يونس في سورة (يونس)، فراجعها إن شئت^(١) .

قوله : ﴿فَاسْتَفْتَاهُ﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدَّر، تقديره : إذا علمت ما تقدَّم للآمم من شركهم ومخالفتهم لأنبيائهم.. فاستفتاهم؛ أي : اطلب من أهل مكة الخبر؛ لأجل توبيخهم وإقامة الحجة عليهم^(٢) .

(١) انظر (٢٤٨/٣-٢٥٠) .

(٢) ويجوز أن يكون معطوفاً على مثله، في أول السورة؛ أي : على ﴿فَاسْتَفْتَاهُمْ أَمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾؛ أمر رسوله أولاً باستفتاء قريش عن وجه إنكارهم البعث، وساق الكلام في تقريره جازاً لما يلائمه من القصص، موصولاً بعضها ببعض، ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين في قولهم : الملائكة بنات الله . انظر «تفسير البيضاوي» (١٩/٥) .

أَلَرَبِّكَ أَلْبَسَاثُ وَلَهُمُ الْبُسُوتُ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسًا وَهُمْ شَهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى
.....

تَوْبِيخاً لَهُمْ: ﴿أَلَرَبِّكَ أَلْبَسَاثُ﴾ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ ﴿وَلَهُمُ الْبُسُوتُ﴾ فَيَخْتَصُّونَ
بِالْأَسْنَى؟ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسًا وَهُمْ شَهِدُونَ﴾ خَلَقْنَا فَيَقُولُونَ ذَلِكَ؟

(١٥١ - ١٥٥) ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ﴾: كَذِبِهِمْ ﴿لَيَقُولُونَ﴾ ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ بِقَوْلِهِمْ:
الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِيهِ، ﴿أَصْطَفَى﴾ - بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ لِالِاسْتِفْهَامِ وَاسْتِغْنِي بِهَا
عَنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ فَحُذِفَتْ - أَي: أَخْتَارَ
.....

حاشية الصاوي

قوله: (توبيحاً لهم) أي: فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والإفادة، بل هو على سبيل
التقريع والتوبيخ لهم.

قوله: ﴿أَلَرَبِّكَ أَلْبَسَاثُ وَلَهُمُ الْبُسُوتُ﴾ (أي: ألهذه القسمة الجائرة وجه؟ فإنهم كفروا
من وجهين: الأول: نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو، الثاني: كونه خصوص الأنثى؛
فإنهم لا يرضون بنسبتها لأنفسهم، بل إما أن يمسكوها على الهوان أو يدفنوها حيّة؛ فكيف يرضونها
لله عز وجل ويختصون بالبنين؟!

قوله: (فيختصون بالأسنى) أي: الأشرف وهو الذكور، وفي نسخة: (بالأبناء).

قوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسًا﴾ (أم): منقطعة تفسر بـ(بل) والهمزة، فهو إضرابٌ عمّا
زعموا، وردّ عليهم، وهذا بمعنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْسًا أَشْهَدُوا
خَلَقَهُمْ...﴾ [الزخرف: ١٩] الآية.

قوله: ﴿وَهُمْ شَهِدُونَ﴾ الجملة حالية؛ أي: والحال أنهم مُعَايِنُونَ لخلقهم.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ﴾ استئنافٌ لبيان إبطال ما هم عليه، كأنه قيل: ليس لهم مستندٌ
إلا الكذب الصريح، والافتراء القبيح.

قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (فيه) أي: في قولهم: الملائكة بنات الله.

قوله: (واستغني بها) أي: بهمزة الاستفهام في التوصل للنطق بالساكن، والاستفهام للتوبيخ

والتقريع.

الْبَنَاتِ عَلَى الْبَسِينِ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾
فَأَنْتُمْ بِكَيْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾

﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَسِينِ﴾ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ هَذَا الْحُكْمَ الْفَاسِدُ؟! ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ - بِإِدْغَامِ
التَّاءِ فِي الدَّالِ - أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنْزَعُهُ عَنِ الْوَلَدِ؟

﴿١٥٦﴾ - ﴿١٥٧﴾ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُبِينٌ﴾: حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ أَنَّ اللَّهَ وَلَدًا؟ ﴿فَأَنْتُمْ بِكَيْبِكُمْ﴾
التَّوْرَةَ فَأَرْوُونِي ذَلِكَ فِيهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكُمْ ذَلِكَ.

﴿١٥٨﴾ ﴿وَجَعَلُوا﴾ أَي: الْمُشْرِكُونَ ﴿بَيْنَهُ﴾ تَعَالَى ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ أَي: الْمَلَائِكَةِ لِاجْتِنَانِهِمْ
عَنِ الْأَبْصَارِ ﴿نَسَبًا﴾ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أَي: قَائِلِي ذَلِكَ
﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ لِلنَّارِ يُعَذَّبُونَ فِيهَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أَي: أَيُّ شَيْءٍ ثَبِتَ وَاسْتَقَرَّ لَكُمْ مِنْ حُكْمِكُمْ بِهَذَا الْحُكْمِ الْجَانِرِ؟
حَيْثُ تَثْبُتُونَ أَحْسَنَ الْجَنْسَيْنِ فِي زَعْمِكُمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

قوله: (بإدغام التاء في الدال) أو بناء واحدة من غير إدغام، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُبِينٌ﴾ انتقالٌ مِنْ تَوْبِيخِهِمْ إِلَى إِلْزَامِهِمُ الْحُجَّةَ بِمَا لَا وَجُودَ لَهُ،
وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِثْبَاتِهِ.

قوله: (التوراة) الصواب إسقاطه^(٢)؛ لِأَنَّ الْخَطَابَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَالتَّوْرَةَ لَيْسَتْ لَهُمْ.

قوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ﴾ التَّفَاتُ مِنَ الْخَطَابِ لِلْغَيْبَةِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ بَعِيدُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ،
وَلَيْسُوا أَهْلًا لَخَطَابِهِ.

قوله: (لا جتنانهم عن الأبصار) أَي: اسْتَارَهُمْ عَنْهَا.

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾... إلخ) هَذَا زِيَادَةٌ فِي تَبْكِيتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ
الَّذِينَ عَظَّمْتُمُوهُمْ وَجَعَلْتُمُوهُمْ بَنَاتِ اللَّهِ.. أَعْلَمُ بِحَالِكُمْ وَمَا يَوُولُ إِلَيْهِ أَمْرَكُمْ، وَيَحْكُمُونَ بِتَعْذِيبِكُمْ
عَلَى سَبِيلِ التَّأْيِيدِ.

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الدال، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٣/٣٩٦).

(٢) في بعض النسخ إسقاط (التوراة)، وهي واضحة. «فتوحات» (٣/٥٨٤) نقلًا عن شيخه العلامة الأجهوري.

سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكَ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ
بِفَتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾

(١٥٩ - ١٦٠) ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ﴾ تَنْزِيهَا لَهُ ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بِأَنَّ اللَّهَ وَلَدًا، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلَصِينَ﴾ أَي: الْمُؤْمِنِينَ - اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ -، أَي: فَإِنَّهُمْ يُنَزَّهُونَ اللَّهَ تَعَالَى عَمَّا يَصِفُهُ
هَؤُلَاءِ.

(١٦١ - ١٦٣) ﴿فَإِنَّكَ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ ﴿مَا أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ أَي: عَلَى مَعْبُودِكُمْ،
- وَ﴿عَلَيْهِ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ -: ﴿بِفَتْنَيْنِ﴾ أَي: أَحَدًا، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ فِي عِلْمِ اللَّهِ
تَعَالَى.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ﴾... إلخ) هذا من كلام الملائكة، تنزيهُ الله تعالى عَمَّا وصفه به المشركون
بعد تكذيبهم لهم، فكانه قيل: ولقد علمت الملائكة أَنَّ المشركين لمعذبون بقولهم ذلك وقالوا:
سبحان الله عَمَّا يَصِفُونَ به، لكن عباد الله المخلصين الذين نحن مِن جملتهم برآء من هذا الوصف،
وقوله: ﴿فَإِنَّكَ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ تعليلٌ وتحقيقٌ لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن إغوائهم.

قوله: (استثناء منقطع) أَي: مِنَ الْوَاوِ فِي ﴿يَصِفُونَ﴾، وهو في قوة الاستدراك، رفع به ما يتوهم
ثبوته أو نفيه، كأنه قال: تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى، وأما وصف المؤمنين المخلصين له..
لا يتنزه عنه؛ لأنهم لا يصفونه تعالى إلا بالكمالات.

قوله: (أَي: على معبودكم) أشار بذلك إلى أَنَّ الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائِدٌ على (ما)، وعلى هذا:
فالواو للمعية، و(ما): مفعولٌ معه سَادَّةٌ مسدِّدٌ خبر (إن) ^(١).

قوله: ﴿بِفَتْنَيْنِ﴾ مفعولُهُ محذوفٌ، قَدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (أحدًا)، والمعنى: إنكم مع معبودكم
لستم بمفسدين أحدًا إِلَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ الشَّقَاوَةُ فِي عِلْمِ اللَّهِ.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ استثناءٌ مِنَ الْمَفْعُولِ الَّذِي قَدَّرَهُ المفسِّرُ، و(صال): مرفوع
بضمّة مُقدِّرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، فهو معتل ك: (قاض).

(١) وعلى هذا: فيحسن السكوت على ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ كما يحسن في قولك: (إن كل رجل وضيعته)، وحكى الكسائي:
إن كل ثوب وثمنه، والمعنى: إنكم مع معبوديكم مقترنون؛ كما يقدر ذلك في: (كل رجل وضيعته مقترنان). انظر
«الدر المصون» (٩/٣٣٥).

وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾

(١٦٤ - ١٦٦) قال جبريلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَمَا مِنَّا﴾ مَعَشَرَ الْمَلَائِكَةِ أَحَدٌ ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ فِي السَّمَاوَاتِ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ لَا يَتَجَاوَزُهُ. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ أَقْدَامُنَا فِي الصَّلَاةِ، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾: الْمُنْزَهُونَ اللَّهَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ.

(١٦٧ - ١٦٨) ﴿وَإِن﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ - ﴿كَانُوا﴾ أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿لَيَقُولُونَ﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا: كِتَابًا ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أَي: مِّن كُتُبِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (في علم الله تعالى) أي: مَنْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ.. فإنه يميل إلى الكفر وأهله.
قوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هذا حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية ردًا على عِبَدَتِهِمْ، والمعنى: ليس مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْعِبَادَةِ وَامْتِثَالِ مَا يَأْمُرُنَا اللهُ تَعَالَى بِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ مَوْضِعٌ شَبِيرٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ يَصْلِي وَيَسْبُحُ^(١).

قيل: إِنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ آيَاتٍ نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَتَأَخَّرَ جَبْرِيلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهْنَا تُفَارِقُنِي؟» فَقَالَ جَبْرِيلُ: مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَقَدَّمَ عَنْ مَكَانِي هَذَا، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ...﴾ الْآيَاتِ^(٢)، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا فِي السَّمَاءِ مَوْضِعٌ قَدِمَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ»^(٣).

قوله: (أحد) قدره؛ إشارة إلى أَنَّ فِي الْآيَةِ حَذَفَ الْمُوصُوفِ وَإِبْقَاءَ صِفَتِهِ، وَهُوَ مُبْتَدَأُ وَالْخَبَرِ جُمْلَةً قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: مَا أَحَدٌ مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ.

قوله: (أقدامنا في الصلاة) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمَفْعُولَ مُحذُوفٌ.

قوله: (مخففة من الثقيلة) أي: وَاللَّامُ فَارِقَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ قَرِيشًا كَانَتْ تَقُولُ قَبْلَ بَعْثَةِ

(١) انظر «تفسير البغوي» (٦٣/٧)، وروى الترمذي (٢٣١٢) عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه مرفوعاً: «أُطِّتِ السَّمَاءُ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْظُرَ، مَا فِيهَا مَوْضِعَ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جِهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ».

(٢) نقله القرطبي في «تفسيره» (١٣٧/١٥) عن مقاتل.

(٣) رواه بهذا السياق أبو الشيخ في «العظمة» (٥٠٨)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٥٣) عن

لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾

﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ العبادة له، قال تعالى: ﴿فَكْفَرُوا بِهِ﴾ أي: بِالْكِتَابِ الَّذِي جَاءَهُمْ وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

(﴿١٧١﴾ - ﴿١٧٣﴾) ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بِالنَّصْرِ ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي ﴿لَا غَلِبَتْ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، أو هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢]، ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا﴾ أي: الْمُؤْمِنِينَ ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الْكُفَّارَ بِالْحُجَّةِ وَالنُّصْرَةِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ لَمْ يَنْتَصِرْ بَعْضُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا فِيهِ الْآخِرَةُ.

حاشية الصاوي

النبي ﷺ: لو أَنَّ لَنَا كِتَابًا مِثْلَ كِتَابِ الْأَوَّلِينَ.. لَأَخْلَصْنَا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ...﴾ الْآيَةُ. قوله: ﴿فَكْفَرُوا بِهِ﴾ الْفَاءُ: لِلْفَصِيحَةِ مَرْتَّبٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ.

قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالتَّعْبِيرُ بِ(سَوْفَ) تَهْدِيدٌ لَهُمْ؛ كَقَوْلِكَ لِمَنْ تَرِيدُ ضَرْبَهُ مِثْلًا: سَوْفَ تَرَى مَا تُوعِدُ بِهِ، وَأَنْتَ شَارِعٌ فِيهِ، فَ(سَوْفَ) لِلْوَعْدِ لَا لِلتَّبَعِيدِ. قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾... إلخ) هَذَا تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ، وَإِنَّمَا صَدَّرَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ بِالْقِسْمِ؛ لِتَاكِيدِ الْإِعْتِنَاءِ بِتَحْقِيقِ مَضْمُونِهَا.

قوله: ﴿كَلِمَتُنَا﴾ بِالنَّصْرِ) إِنَّمَا سُمِّيَ الْوَعْدُ بِالنَّصْرِ كَلِمَةً مَعَ أَنَّهُ كَلِمَاتٌ؛ لَكُونَ مَعْنَى الْكَلِّ وَاحِدًا.

قوله: (وهي: ﴿لَا غَلِبَتْ أَنَا وَرُسُلِي﴾) أي: فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ جُمْلَةً مُسْتَأْنَفَةً، وَقَوْلُهُ: (أَوْ هِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ﴾... إلخ) وَعَلَيْهِ: فَيَكُونُ بَدَلًا مِنْ (كَلِمَتُنَا)، أَوْ تَفْسِيرًا لَهَا.

قوله: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا﴾ الْجُنْدُ فِي الْأَصْلِ: الْأَنْصَارُ وَالْإِخْوَانُ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ: أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا قَالَ الْمَفْسَّر.

قوله: (وَإِنْ لَمْ يَنْتَصِرْ بَعْضُهُمْ... إلخ) دَفَعَ بِهَذَا مَا يُقَالُ: قَدْ شُوهِدَتْ غَلْبَةُ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ! فَأَجَابَ: بِأَنَّ النَّصْرَ إِمَّا فِي الْآخِرَةِ لِلْجَمِيعِ، أَوْ فِي الدُّنْيَا لِلْبَعْضِ، فَالْمُؤْمِنُونَ مَنْصُورُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍّ.

فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَنْصِرُهُمْ فَسَوْفَ يُصِيرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ
فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾

(١٧٤ - ١٧٥) ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرِضْ عن كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ تُؤَمَّرُ فِيهِ بِقِتَالِهِمْ،
﴿وَأَنْصِرُهُمْ﴾ إِذَا نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ ﴿فَسَوْفَ يُصِيرُونَ﴾ عَاقِبَةُ كُفْرِهِمْ.

(١٧٦ - ١٧٧) ﴿فَقَالُوا اسْتِهْزَاءً﴾: مَتَى نُنْزِلُ هَذَا الْعَذَابَ؟ قَالَ تَعَالَى تَهْدِيداً لَهُمْ:
﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: بِفَنَائِهِمْ، قَالَ الْفَرَّاءُ: الْعَرَبُ تَكْتَفِي بِذِكْرِ السَّاحَةِ
عَنِ الْقَوْمِ، ﴿فَسَاءَ﴾: بِشَسِّ صَبَاحاً ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾

حاشية الصاوي

وأجيب أيضاً: بأن الأنبياء المأذون لهم في القتال لا بدّ لهم من النصر في الدنيا، ولا تقع لهم
هزيمة أبداً، وإنما إن وقع للكفار بعض غلبة كما في أخذ... فهو لجحكم عظيمة، ولا تبيت
على المؤمنين، بل ينتصرون عليهم بصريح قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [الأنفال: ٣٦] الآية، وأمّا غيرهم... فتارةً ينصرون في الدنيا، وتارةً لا، وإنما ينصرون
في الآخرة.

قوله: (تؤمر فيه بقتالهم) أي: فكان أولاً مأموراً بالتبليغ والصبر، ثم لما كان في السنة الثانية
من الهجرة... أُمِرَ ﷺ بالجهاد، وغزواته سبع وعشرون غزوة، قاتل في ثمانٍ منها بنفسه: بدر،
وأحد، والمصطلق، والخندق، وقریظة، وخيبر، وحُنين، والطائف.

قوله: (﴿وَأَنْصِرُهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب) أي: من القتل والأسر، والمراد بالأمر: الدلالة
على أن ذلك قريب، كأنه واقع مشاهد.

قوله: (عاقبة كفرهم) أي: من نُزِلَ العذاب بساحتهم.

قوله: (تكتفي بذكر الساحة) أي: تستغني على سبيل الكناية، فالمعنى: فإذا نزل بهم العذاب،
فشبه العذاب بجيش هجم عليهم فأناخ بفنائهم بغتة وهم في ديارهم؛ ففي ضمير العذاب استعارة
بالكناية، والنزول تخيل.

قوله: (بشس صباحاً) أشار بهذا إلى أن الفاعل ضمير، والتمييز محذوف، والمذكور مخصص،
والأوضح ما قاله غيره من أن المذكور هو الفاعل، والمخصص محذوف، وعليه فالتقدير: بشس
صباح المنذرين صباحهم.

وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

- فِيهِ إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مُقَامَ الْمُضْمَرِ ..

﴿١٧٨﴾ - ﴿١٧٩﴾ ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كُرِّرَ تَأْكِيداً لِتَهْدِيدِهِمْ وَتَسْلِيَةً لَهُ ﷺ.

﴿١٨٠﴾ - ﴿١٨٢﴾ ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: الْغَلْبَةِ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بِأَنَّ لَهُ وَلِذَا، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ الْمُبْلَغِينَ عَنْ اللَّهِ التَّوْحِيدَ وَالشَّرَائِعَ، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عَلَى نَصْرِهِمْ وَهَلَاكِ الْكَافِرِينَ.



حاشية الصاوي

قوله: (فيه إقامة الظاهر مقام المضمرة) أي: في التعبير بـ﴿الْمُتَذَرِّينَ﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: صباحهم.

قوله: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ﴾... إلخ) الغرض من هذا: تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يَغْفُلُوا عنه؛ لما روي عن عليٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمَكْيَالِ الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾... إلخ)^(١)، وعن أبي سعيد الخُدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غيرَ مرَّةٍ ولا مرتين يقول في آخر صلاته، أو حين ينصرف: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»^(٢).

قوله: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾) أضيف الرَّبُّ إلى الْعِزَّةِ؛ لاختصاصه، كأنه قيل: ذي العزة، وقيل: المراد: الْعِزَّةُ الْمَخْلُوقَةُ الْكَائِنَةُ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَتَرْتَّبَ عَلَى كُلِّ مِنَ الْقَوْلَيْنِ مَسْأَلَةُ الْيَمِينِ؛ فَعَلَى الْأَوَّلِ: يَنْعَقِدُ بِهَا الْيَمِينِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، وَعَلَى الثَّانِي: لَا يَنْعَقِدُ؛ لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ.

قوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾) تعميمٌ للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم.



(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٢٣/٧)، وبنحوه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣١٩٦).

(٢) رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» (١٢٨).

﴿ص﴾



مَكِّيَّةٌ، سِتُّ أَوْ ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾

﴿ص﴾ الله أعلم بِمُرَادِهِ بِهِ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ ص

أي: ويقال لها: سورة داوود.

قوله: (مَكِّيَّةٌ) أي: كُلُّهَا.

قوله: (أَوْ ثَمَانٍ) أو: لحكاية الخلاف.

قوله: (الله أعلم بمُرَادِهِ بِهِ) تقدّم غير مرّة أنّ هذا القول أسلّم؛ لأنّ تفويض الأمر المتشابه لعلم الله تعالى هو غاية الأدب.

واعلم: أنّ في لفظ ﴿ص﴾ قراءات خمسة: السبعة على السكون لا غير، والباقي شاذّ، وهو الضم والفتح من غير تنوين، والكسر بتنوين وبدونه؛ فالضمّ على أنه خبر لمحذوف على أنه اسم للسورة؛ أي: هذه ص، ومُنِعَ من الصرف للعلمية والتأنيث، والفتح إمّا على أنه مفعولٌ لمحذوف تقديره: اقرأ ونحوه، أو مبنيٌّ على الفتح ك: أين وكيف، والأوّل أقرب، والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين، وبالتنوين مجرورٌ بحرف قسم محذوف، وصُرفَ بالنظر إلى اللفظ^(١).

(١) قرأ أبيّ والحسن وابن أبي إسحاق وابن أبي عبلة وأبو السمال بكسر الدال من غير تنوين، وقرأ ابن أبي إسحاق كذلك إلا أنه نوّنه، وعن الحسن أيضاً وابن السميع وهارون الأعور: (صاذ) بالضم من غير تنوين، وقرأ عيسى وأبو عمرو في رواية محبوب: (صاذ) بالفتح من غير تنوين، ولم أحفظ التنوين مع الفتح والضم. انظر الدر المصون (٣٤٤/٩).

وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا

﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: البيان أو الشرف، - وجوابُ هذا القسم محذوف - أي: ما الأمرُ كما قال كفَّار مَكَّةَ مِنْ تَعَدُّدِ الْآلِهَةِ.

﴿٢﴾ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿فِي عِزِّ﴾: حَمِيَّةٌ وَتَكَبُّرٌ عَنِ الْإِيمَانِ، ﴿وَشِقَاقٍ﴾: خِلَافٍ وَعَدَاوَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

﴿٣﴾ ﴿كَمْ﴾ أي: كَثِيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، ﴿فَنَادَوا﴾ حِينَ نُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ:

حاشية الصاوي

قوله: (أي: البيان) أي: لما يحتاج إليه في أمر الدين، وقوله: (أو الشرف) أي: إنَّ مَنْ آمَنَ بِهِ كان شريفاً في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم، وأيضاً: القرآنُ شريفٌ في ذاته من حيثُ اشتمالُهُ على المواعظ والأحكام وغيرها، فهو شريفٌ في نفسه، مشرّفٌ لغيره.

وقيل: المرادُ بالذكر: ذكرُ أسماءِ الله تعالى وتَمجيدِهِ، وقيل: المرادُ به: الموعظةُ، وقيل غير ذلك.

قوله: (وجواب هذا القسم محذوف... إلخ) هذا أحد أقوال، وهو أحسنها، وقيل: تقديره: إنك لمن المرسلين؛ كما في (يس)، وقيل: هو قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، وفيه حذفُ اللام، والأصل: لكم أهْلَكْنَا، وإنما حُذفت لَطولُ الكلام؛ نظير حذْفها في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ بعد قوله: ﴿وَالشَّمْسُ﴾، وقيل غير ذلك^(١).

قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إضرابٌ وانتقالٌ من قِصَّةٍ إِلَى قِصَّةٍ.

قوله: (من أهل مكة) خصَّهم بالذكر؛ لأنهم سبَّبُ النزول، وإلَّا... فالمرادُ: كلُّ كافرٍ.

قوله: (أي: كثيراً) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿كَمْ﴾ خبريَّةٌ بمعنى: كثيراً، مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مِنْ قَرْنٍ﴾: تَمييزٌ لَهَا.

(١) وقد نقل العلامة السمين الحلبي هذه الأقوال وغيرها في «الدر المصون» (٩/ ٣٤٥).

وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعِجُّوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكُفِرُونَ

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: ليس الحين حين فرارٍ، - والتاء زائدة، والجُمْلَةُ حالٌ من فاعِلٍ (نادوا) - أي: استغاثوا والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبرَ بهم كفَّارٌ مكَّةَ.

﴿٤﴾ ﴿وَعِجُّوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يُنْذِرُهُمْ وَيُخَوِّفُهُمُ النَّارَ بَعْدَ الْبَعْثِ، وهو النَّبِيُّ ﷺ، ﴿وَقَالَ الْكُفِرُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ اختلفت المصاحف في رسم التاء؛ فبعضُهم رسمها مفصولةً، وبعضُهم رسمها متصلةً بـ(حين)، وينبني على هذا الاختلاف الوقف؛ فبعضُهم يقف على التاء، وبعضُهم على (لا)، ومن يقف على التاء اختلفوا؛ فجمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة أتباعاً لمرسوم الخط الشريف، والأقلُّ منهم يقف بالهاء، وهذا الوقف للاختبار، لا أنه من جملة الأوقاف الجائزة^(١).

قوله: ﴿مَنَاصٍ﴾ المناسُ يطلق على: المنجى والمفرِّ والتقدُّم والتأخر، وكلُّ هنا يناسب المقام.

قوله: (أي: ليس الحين... إلخ) أشار بذلك إلى مذهب الخليل وسيبويه في (لات) من حيث إنها تعمل عمل (ليس)، وأنَّ اسمها محذوفٌ، وهو خبرُها لفظُ الحين^(٢)، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله^(٣): [الرجز]

وَمَا لَلَاتُ فِي سَوَى حِينَ عَمَلٌ وَحَذَفُ ذِي الرَّفْعِ فَشَا وَالْعَكْسُ قُلْ

قوله: (والتاء زائدة) أي: لتأكيد النفي.

قوله: (من فاعل «نادوا») أي: وهو الواو.

قوله: (وما اعتبر) معطوف على ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

قوله: ﴿وَعِجُّوا﴾... إلخ) أي: جعلوا مجيء رسولٍ من جنسهم أمراً خارجاً عن طوق العقل

فيتعجب منه.

قوله: (من أنفسهم) أي: من جنسهم.

(١) وباللهاء وقف الكسائي وحده من السبعة، وهو مذهب المبرد في الوقف. انظر «الدر المصون» (٣/٣٤٩).

(٢) انظر «الكتاب» لسيبويه (١/٥٧).

(٣) «الخلاصة»، باب (ما ولا ولا وإن المشبهات بليس).

هَٰذَا سَحِرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمُ . . .

- فِيهِ وَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ - ﴿هَٰذَا سَحِرٌ كَذَابٌ﴾ :

﴿٥﴾ ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ حَيْثُ قَالَ لَهُمْ : قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَي : كَيْفَ يَسَعُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ؟ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ أَي : عَجِيبٌ .

﴿٦﴾ ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمُ﴾ مِنْ مَجْلِسِ اجْتِمَاعِهِمْ عِنْدَ أَبِي طَالِبٍ وَسَمَاعِهِمْ فِيهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ : قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،

حاشية الصاوي

قوله : (فيه وضع الظاهر... إلخ) أي : زيادة في التقييد عليهم ، وإشعاراً بأن كفرهم جسرهم على هذا القول .

قوله : ﴿سَحِرٌ﴾ أي : فيما يُظْهِرُهُ مِنَ الْخَوَارِقِ ، ﴿كَذَابٌ﴾ أي : فيما يُسْنِدُهُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْإِرْسَالِ وَالْإِنْزَالِ .

قوله : ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ... إلخ﴾ الاستفهام تعجبي ؛ أي : كيف يَعْلَمُ الْجَمِيعُ وَيَقْدِرُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِيهِمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ؟ ! وَسَبَبُ هَذَا التَّعَجُّبِ : قِيَاسُهُمُ الْقَدِيمَ عَلَى الْحَادِثِ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا مِنْ قَلَّةٍ ، بَلْ وَحِدَتُهُ وَحْدَةٌ تَعَزُّزٍ وَانْفِرَادٍ ، تَنْزَهُ اللَّهُ عَنْ مِمَّا ثَلَّةِ الْحَوَادِثِ لَهُ .
قوله : (عجيب) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿عَجَابٌ﴾ مبالغة في (عجيب) .

قوله : (عند أبي طالب) روي : أَنَّهُ لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ . . شَقَّ ذَلِكَ عَلَى قَرِيشٍ ، فَاجْتَمَعَ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْ صَنَادِيدِهِمْ ، فَأَتَوْا أَبَا طَالِبٍ فَقَالُوا : أَنْتَ شَيْخُنَا وَكَبِيرُنَا وَقَدْ عَلِمْتَ مَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءُ ، وَجِئْنَاكَ لِنَقْضِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيكَ ، فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَخِي ؛ هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ يَسْأَلُونَكَ السَّوَاءَ وَالْإِنْصَافَ ، فَلَا تَمَلْ كُلَّ الْمِيلِ عَلَى قَوْمِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَاذَا تَسْأَلُونَنِي؟» فَقَالُوا : ارْقُضْنَا وَارْقُضْ ذِكْرَ آلِهَتِنَا وَنَدْعَكَ وَإِلَهَكَ ، فَقَالَ «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أُعْطِيتُمْ مَا سَأَلْتُمْ أُمْعِيَّتِي أَنْتُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَمْلِكُونَ بِهَا رِقَابَ الْعَرَبِ ، وَتَدِينُ لَكُمْ الْعَجَمُ؟» ، فَقَالُوا : نَعَمْ وَعَشْرَ أَمْثَالِهَا ، فَقَالَ : «قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ، فَقَامُوا وَانْطَلَقُوا قَائِلِينَ : امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ^(١) .

(١) الخبر بطوله عند ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص ٢٣٦) .

إِنْ أَمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ اللَّهِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْلِلْتُ ﴿٧﴾ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي

﴿إِنْ أَمْسُوا﴾ أي: يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: امْسُوا ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ﴾: اثْبُتُوا عَلَى عِبَادَتِهَا، ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الْمَذْكُورَ مِنَ التَّوْحِيدِ ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ مِنَّا.

(٧ - ٨) ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ اللَّهِ الْآخِرَةِ﴾ أي: مِلَّةَ عِيسَى، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿هَذَا إِلَّا﴾ أَخْلِلْتُ: كَذَبٌ، ﴿أَنْزَلَ﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلِفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهَيْنِ وَتَرْكِه - ﴿عَلَيْهِ﴾: عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿الذِّكْرُ﴾: الْقُرْآنُ ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ وَلَيْسَ بِأَكْبَرَنَا وَلَا أَشْرَفَنَا، أَي: لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ وَحَيَّيْ أَي: الْقُرْآنَ حاشية الصاوي

قوله: (أي: يقول بعضهم... إلخ) أشار بذلك إلى أن (أن) تفسيرية، وضابطها موجود، وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه^(١).

قوله: ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ﴾ أي: اسْتَمِرُّوا عَلَى عِبَادَتِهَا.

قوله: ﴿إِنْ هَذَا﴾ تعليل للأمر بالصبر.

قوله: ﴿يُرَادُّ﴾ مِنَّا أي: يُقْصَدُ مِنَّا تَنْفِيذُهُ؛ فَلَا انْفِكَافَ لَنَا عَنْهُ^(٢).

قوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾... إلخ أي: وَإِنَّمَا سَمِعْنَا فِيهَا التَّثْلِيثَ.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: فَالْقِرَاءَاتُ أَرْبَعٌ سَبْعِيَّاتٍ^(٣).

قوله: (أي: لم ينزل عليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ إضرابٌ عن مقدَّر، تقديره: إنكارهم للذكر ليس عن علم، بل هم في شك منه.

(١) لأنَّ المنطلقين عن مجلس التَّقاوُلِ لَا بَدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمُوا وَيَتَفَاوَضُوا فِيمَا جَرَى لَهُمْ، فَكَانَ انْطِلَاقُهُمْ مَضْمَنًا مَعْنَى الْقَوْلِ. انظر «الكشاف» (٢٤٤/٥).

(٢) لَشَيْءٌ يُرَادُّ مِنْ جِهَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِمْضَاؤُهُ وَتَنْفِيذُهُ لَا مُحَالَةٌ، مِنْ غَيْرِ صَارِفٍ يُلَوِّيه، وَلَا عَاطِفٍ يَشْبِيهِ، لَا قَوْلٌ يَقَالُ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ. «فتوحات» (٣/٥٩١).

(٣) قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِتَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ كَالْوَاوِ، وَأَدْخَلَ بَيْنَهُمَا أَلِفًا قَالُونَ، وَأَبُو عَمْرٍو بِخِلَافِ عَنِ وَرْشٍ وَابْنِ كَثِيرٍ بِغَيْرِ إِدْخَالٍ، وَعَنْ هِشَامٍ فِيهَا ثَلَاثَةٌ أَوْجَهَ: تَحْقِيقُ الْهَمْزَتَيْنِ، وَإِدْخَالُ أَلِفٍ بَيْنَهُمَا، وَتَحْقِيقُهُمَا مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِ أَلِفٍ بَيْنَهُمَا. انظر «السراج المنير» (٣/٤٠١).

بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾

حيثُ كَذَّبُوا الْجَائِيَّ بِهِ، ﴿بَلْ لَمَّا﴾: لَمْ ﴿يَذُوقُوا عَذَابِ﴾، وَلَوْ ذَاقُوهُ لَصَدَّقُوا النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا
جَاءَ بِهِ، وَلَا يَنْفَعُهُمُ التَّصْدِيقُ حِينَئِذٍ.

(٩ - ١٠) ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾: الْغَالِبُ ﴿الْوَهَّابِ﴾ مِنَ النَّبُوءَةِ
وغيرها فيُعْطُونَهَا مَنْ شَاؤُوا، ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: إِنْ زَعَمُوا ذَلِكَ،
﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾: الْمُوصَّلَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَأْتُوا بِالْوَحْيِ فَيُخَصُّوا بِهِ مَنْ شَاؤُوا، وَ(أَمْ)
فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾: إضْرَابٌ انْتِقَالِي لِيَبَانَ سَبَبُ الشُّكِّ، وَالْمَعْنَى: سَبَبُهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَذُوقُوا
العذاب إلى الآن، وَلَوْ ذَاقُوهُ.. لَا يَقْنُوا بِالْقُرْآنِ وَأَمَّنُوا بِهِ.

قوله: (لَمْ يَذُوقُوا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (لَمَّا) بِمَعْنَى (لَمْ)، فَالْمَعْنَى: لَمْ يَذُوقُوهُ إِلَى الآنَ وَذُوقَهُمْ
لَهُ مُتَوَقَّعٌ، فَإِذَا ذَاقُوهُ.. زَالَ عَنْهُمْ الشُّكُّ وَصَدَّقُوا، وَتَصْدِيقُهُمْ حِينَئِذٍ لَا يَنْفَعُهُمْ.
قوله: (حِينَئِذٍ) أَي: حِينَ ذَاقُوهُ.

قوله: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾: الْمَعْنَى: أَنَّ النَّبُوءَةَ عَطِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ، يَتَفَضَّلُ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ؛ فَلَا مَانِعَ لَهُ.

قوله: (الغالب) أَي: الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ الْغَالِبُ لِكُلِّ شَيْءٍ.

قوله: ﴿الْوَهَّابِ﴾: أَي: الَّذِي يَهْبُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ.

قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الْمَعْنَى: لَيْسَ لَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي الْعَالَمِ الَّذِي هُوَ مِنْ جَمَلَةِ
خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ، فَمِنْ أَيْنَ لَهُمُ التَّصَرُّفُ فِيهَا؟

قوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾: الْفَاءُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ شَرْطٍ مُقَدَّرٍ، قَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ: (إِنْ زَعَمُوا ذَلِكَ)
أَي: الْمَذْكُورَ مِنَ الْعَنْدِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ، وَالْمَعْنَى: فَلْيَصْعَدُوا فِي الْمَعَارِيجِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْعَرْشِ
حَتَّى يَسْتَوُوا عَلَيْهِ، وَيَدْبُرُوا أَمْرَ الْعَالَمِ، وَيَنْزِلُوا الْوَحْيَ عَلَى مَنْ يَخْتَارُونَ.

قوله: (بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ) أَي: وَبَعْضُهُمْ قَدَّرَهَا بِ(بَلْ) وَالْهَمْزَةِ.

جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾

﴿١١﴾ جُنْدٌ مَا: أي: هم جُنْدٌ حَقِيرٌ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في تكذيبهم لك ﴿مَهْزُومٌ﴾ - صفة ﴿جُنْدٌ﴾ - ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ - صفة ﴿جُنْدٌ﴾ أيضاً - أي: كالأجنادِ مِن جِنْسِ الأحزابِ الْمُتَحَرِّينَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ، وَأُولَئِكَ قَدْ قَهَرُوا وَأَهْلَكُوا، فَكَذَا نُهْلِكَ هُؤْلَاءَ.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ - تَأْنِيثُ قَوْمٍ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى -، ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ كَانَ يَتَدُّ لِكُلِّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ أَوْتَادٍ، يَشُدُّ إِلَيْهَا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَيُعَذِّبُهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: هم جند) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿جُنْدٌ﴾ خبرٌ لمحذوف، والتنوين للتقليل والتحقير، و(ما): لتأكيد القلة.

قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ ظرفٌ لـ ﴿جُنْدٌ﴾ أو لـ ﴿مَهْزُومٌ﴾.

قوله: ﴿مَهْزُومٌ﴾ (أي: مَقْهُورٌ ومَغْلُوبٌ، والمعنى: إِنَّ قَرِيشاً جُنْدٌ حَقِيرٌ قَلِيلٌ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُتَحَرِّينَ عَلَى الرِّسْلِ، مَهْزُومٌ مَكْسُورٌ عَنْ قَرِيبٍ؛ فَلَا تَكْتَرِثْ بِهِمْ، وَتَسَلَّ عَنْهُمْ.

قوله: (صفة ﴿جُنْدٌ﴾ أيضاً) أي: فقد وصف ﴿جُنْدٌ﴾ بصفات ثلاث: الأولى: ﴿مَا﴾، والثانية: ﴿مَهْزُومٌ﴾، والثالثة: ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾.

قوله: (وأولئك) أي: الأحزاب.

قوله: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾... إلخ) استئنافٌ مقدَّرٌ لمضمون ما قبله ببيان تفاصيل الأحزاب.

قوله: (باعتبار المعنى) أي: وهو أنهم أمة.

قوله: (كَانَ يَتَدُّ) من باب: (وَعَدَ) أي: يَدُقُّ وَيَغْرُزُ، و(الْأَوْتَادُ) جمع (وَتَدٌ) بفتح الواو وكسر التاء على الأفصح.

قوله: (يَشُدُّ إِلَيْهَا يَدَيْهِ... إلخ) أي: وَيُضْجِعُهُ مُسْتَلْقِياً عَلَى ظَهْرِهِ.

قوله: (ويعذبه) قيل: يتركه حتى يموت، وقيل: يُرْسَلُ عَلَيْهِ الْعِقَابُ وَالْحَيَاتِ.

وقيل: معنى ﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾: ذُو الْمَلِكِ الثَّابِتِ، أَوْ ذُو الْجُمُوعِ الْكَثِيرَةِ^(١)، وَفِي الْأَوْتَادِ اسْتِعَارَةٌ بَلِغَةٌ؛ حَيْثُ شَبَّهَ الْمَلِكُ بَيْتَ الشَّعْرِ، وَهُوَ لَا يَثْبِتُ إِلَّا بِالْأَوْتَادِ.

(١) سُمُوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَشُدُّ بَعْضاً؛ كَالْوَرْدِ يَشُدُّ الْبَنَاءَ. «تفسير البيضاوي» (٢٥/٥).

وَمَمُودٌ وَقَوْمٌ لُّوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾

﴿وَمَمُودٌ وَقَوْمٌ لُّوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ﴾ أي: الغيضة، وهم قوم شعيب عليه السلام، ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿كُلُّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ﴾ لِأَنَّهُمْ إِذَا كَذَّبُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَدْ كَذَّبُوا جَمِيعَهُمْ؛ لِأَنَّ دَعْوَتَهُمْ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ، ﴿فَحَقَّ﴾: وَجَبَ ﴿عِقَابُ﴾.

﴿١٥﴾ ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾: يَنْتَظِرُ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: كُفَّار مَكَّةَ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هِيَ نَفْخَةُ الْقِيَامَةِ تُحِلُّ بِهِمُ الْعَذَابَ، ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ - بِفَتْحِ الْفَاءِ وَضَمِّهَا -: رُجُوعٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الغيضة) أي: الأشجار الملتقمة المجتمعة، وتقدم أنهم أهلكوا بالظلة^(١).

قوله: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ بدل من الطوائف المذكورة، وقوله: ﴿إِنْ كُلُّ﴾... إلخ استئناف جيء به تقريراً لتكذيبهم، وبياناً لكيفيته، وتمهيداً لما يتبعه، و(إن): نافية لا عمل لها؛ لانتقاض النفي بـ(إلا)^(٢).

قوله: (لأنهم... إلخ) جواب عن سؤال: كيف يقال: إِنَّ كَلًّا كَذَبَ الرُّسُلَ مع أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ كَذَّبَتْ رَسُولًا وَاحِدًا؟

قوله: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾ شروع في بيان عقاب كُفَّار مكة إثر بيان عقاب إخوانهم الأحزاب. قوله: (هي نفخة القيامة) أي: الثانية.

قوله: ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ الجملة في محل نصب صفة لـ ﴿صَيْحَةً﴾، و﴿مِنْ﴾: مزيدة في المبتدأ. قوله: (بفتح الفاء وضمها) أي: فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد^(٣)، وهو الزمان الذي بين

(١) أي: وهي سحابة أظلمتهم بعد حر شديد أصابهم، فأمطرت عليهم ناراً، فاحترقوا؛ كما مر في تفسير سورة (الشعراء)، وانظر (٤٧/٥).

(٢) فإن انتقاضه مع الأصل - وهي (ما) - مبطل، فكيف بفرعها؟ «الدر المصون» (٣٦٣/٩).

(٣) قرأ حمزة والكسائي: (فواق) بضم الفاء، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٣٦٣/٩).

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ

﴿١٦﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ لَمَّا نَزَلَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ...﴾ إلخ ﴿[الحاقة: ١٩]: ﴿رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنَا﴾ أي: كِتَابَ أَعْمَالِنَا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قَالُوا ذَلِكَ اسْتِهْزَاءً.

﴿١٧﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: الْقُوَّةُ فِي الْعِبَادَةِ؛ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا،

حاشية الصاوي

حَلَبَتِي الحالب ورَضَعَتِي الرّاضع، والمعنى: ما لها من توقّف قَدَرٍ فَوَاقٍ نَاقَةٍ، وقال ابن عباس: ما لها من رجوع؛ من: (أفاق المريض): إذا رجع إلى صحته، وقد مَشَى عليه المفسّر، وكلُّ صحيح^(١).

قوله: (لما نزل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ...﴾ إلخ) أي: الذي في سورة (الحاقة).

قوله: ﴿قَطْنَا﴾ أي: نصينا وحظنا، وأصله: من: (قَطَّ الشَّيْءُ) أي: قطعهُ.

قوله: (أي: كتاب أعمالنا) سَمِّيَ قَطًّا؛ لأنه مقطوع؛ أي: مَقْطُوعٌ؛ لأنَّ صحيفة الأعمال قطعة ورقٍ مقطوعة من غيرها.

قوله: ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ فيه تهديدٌ للكفار، وتسليّةٌ لرسول الله ﷺ.

قوله: ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ...﴾ إلخ المقصود من ذكر تلك القصص: إظهارُ فضلِ المتقدّمين، وتسليته ﷺ على أذى قومه، فيقتدي بمن قبله؛ لكونه سيّد الجميع، فهو أولى بالصبر. والإضافة في ﴿عَبْدَنَا﴾ لتشريف المضاف.

قوله: ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ مصدر مفرد بوزن: (البيع)، من: آدَ يَيْدُ: إذا قَوِيَ واشتدَّ، وليس جمع (يد).

قوله: (كان يصوم يوماً ويفطر يوماً) أي: وهو جهادٌ للنفس، دليلٌ على قوّة داوود؛ لأنَّ النفس كالطفل، فإذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوماً.. أطلقها في اليوم الثاني، ثم يعود لفطمها، ولا شك أنه جهادٌ عظيمٌ.

(١) خبر ابن عباس رواه الطبري في «تفسيره» (١٦١/٢١)، وفي «صاح» الجوهري، مادة (ف وق): (الفَوَاقُ والفَوَاقُ: ما بين الحلبتين من الوقت؛ لأنها تحلب ثم تترك سبعة أيام يرضعها الفصيل لتدُرَّ ثم تحلب، يقال: ما أقام عنده إلا فواقاً).

إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَيِّخُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾

وَيَقُومُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَنَامُ ثُلُثَهُ وَيَقُومُ سُدُسَهُ، ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رَجَّاعٌ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ.
 (١٨ - ١٩) ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَيِّخُنَ﴾ بِتَسْيِيحِهِ ﴿بِالْعَشِيِّ﴾: وَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ،
 ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾: وَقْتُ صَلَاةِ الضُّحَى، وَهُوَ أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ

حاشية الصاوي

قوله: (ويقوم نصف الليل... إلخ) هكذا في بعض النسخ موافقة لما في «القرطبي» و«البيضاوي» و«أبي السعود»^(١)، وفي بعض النسخ: (كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه)، وهو الموافق لما في «الصحيحين» من قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ؛ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطُرُ يَوْمًا، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ»^(٢)، ولما في «الجامع الصغير» من قوله عليه الصلاة والسلام: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطُرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ»^(٣)، وَلَعَلَّهُ كَانَ أحياناً هكذا وأحياناً هكذا.

قوله: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ تعليلٌ لكونه ذا قُوَّةٍ فِي الدِّينِ.

قوله: (إلى مرضاة الله) المرضاة بمعنى: الرضا.

قوله: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ﴾ تعليلٌ آخَرُ لِقُوَّتِهِ فِي الدِّينِ.

قوله: ﴿يُسَيِّخُنَ﴾ (أي: بِلِسَانِ الْمَقَالِ)^(٤)، وَيَسِيرُنَ مَعَهُ فِي السِّيَاحَةِ، وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ مِنْ مَفْعُولٍ ﴿سَخَرْنَا﴾.

قوله: (وقت صلاة العشاء) ظاهره: أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْعِشَاءُ الْأَخِيرَةُ، وَالَّذِي يَفْهَمُ مِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ: أَنَّهَا الْمَغْرِبُ؛ حَيْثُ قَالَ: (فَكَانَ دَاوُدُ يَسْبَحُ إِثْرَ صَلَاتِهِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا)^(٥).

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٥٨/١٥)، و«تفسير البيضاوي» (٢٦/٥)، و«تفسير أبي السعود» (٢١٩/٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٤٢٠)، و«صحيح مسلم» (١١٥٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي (١٧٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٤) أي: يقدِّسَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِصَوْتٍ يَتِمَثَّلُ لَهُ، أَوْ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا الْكَلَامِ، أَوْ بِلِسَانِ الْحَالِ. انظر «تفسير أبي

السعود» (٢١٩/٧).

(٥) انظر «تفسير القرطبي» (١٥٩/١٥).

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَهُ الْحِكْمَةَ
 وَيَتَنَاهَى ضَوْؤُهَا، ﴿و﴾ سَخَّرْنَا ﴿الطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: مَجْمُوعَةٌ إِلَيْهِ تُسَبِّحُ مَعَهُ، ﴿كُلٌّ﴾
 مِنَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ ﴿لَهُ أَوَّابٌ﴾: رَجَّاعٌ إِلَى طَاعَتِهِ بِالتَّسْبِيحِ.

﴿٢٠﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ: قَوَّيْنَاهُ بِالْحَرَسِ وَالْجُنُودِ، وَكَانَ يَحْرُسُ مِحْرَابَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ، ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ﴾: النُّبُوَّةُ وَالْإِصَابَةُ فِي الْأُمُورِ،
 حاشية الصاوي

قوله: (ويتناهى ضَوْؤُهَا) أي: وهو ربع النَّهَارِ.

قوله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ بالنصب في قراءة العامة، معطوفة على (الجبـال) ^(١)، وقرئ شذوذاً
 بالرفع مبتدأ وخبر ^(٢).

قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ أشار المفسر إلى أنَّ الضمير في (له) عائدٌ على داوود، وحينئذٍ
 فالمعنى: كلُّ من الجبال والطير مطيعٌ لداوود في تسبيحه؛ إن رفع رفعوا، وإن خفض خفضوا،
 وهو أحد قولين، والآخر: أنه عائدٌ على الله تعالى، والمعنى: كلُّ من داوود والجبال والطير مطيعٌ
 لله تعالى.

قوله: (بالحرس) بفتحـين: اسم جمع كـ: (خَدَم)، أو بضمِّ الحاء وفتح الراء المشددة: جمع
 حارس ^(٣).

قوله: (ثلاثون ألف رجل) في رواية ابن عباس: (سِتُّ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا) ^(٤).

قوله: (النُّبُوَّةُ وَالْإِصَابَةُ فِي الْأُمُورِ) هذا أحدُ أقوالٍ في تفسير (الحكمة)، وقيل: هي العِلْمُ
 بكتاب الله تعالى، وقيل: العلم والفقه، وقيل: السُّنَّةُ.

(١) أي: و(محشورة) معطوفة على الحال قبلها، فيكون قد عطف مفعولاً على مفعول، وحالاً على حال؛ كقولك:
 ضربت زيداً مكتوفاً وعمراً مطلقاً. وأتى بالحال اسماً؛ لأنه لم يقصد أن الفعل وقع شيئاً فشيئاً؛ لأنَّ حشرها دفعة
 واحدة أدلُّ على القدرة. انظر «الدر المصون» (٩/٣٦٥).

(٢) وبها قرأ ابن أبي عبيدة والجحدري. المرجع السابق.

(٣) أي: وبعد الراء ألف، والحُرَّاسُ، الواحد: حَرَسِيٌّ، لأنَّه قد صار اسم جنس فنسب إليه. ولا تقل: (حارس) إلا أن
 تذهب به إلى معنى الحراسة دون الجنس. «الصحاح»، مادة (ح ر س).

(٤) رواها البغوي في «تفسيره» (٧/٧٦).

وَفَصَلَ الْخُطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَكَ نَبُؤُا الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ

﴿وَفَصَلَ الْخُطَابِ﴾: الْبَيَانُ الشَّافِي فِي كُلِّ قَصْدٍ.

﴿٢١﴾ ﴿وَهَلْ﴾ مَعْنَى الْاسْتِفْهَامُ هُنَا التَّعْجِيبُ وَالتَّشْوِيقُ إِلَى اسْتِمَاعِ مَا بَعْدَهُ، ﴿أَتَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿نَبُؤُا الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾: مِحْرَابُ دَاوُدَ، أَي: مَسْجِدَهُ حَيْثُ مُنِعُوا الدُّخُولَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ لِشُغْلِهِ بِالْعِبَادَةِ، أَي: خَبَرُهُمْ وَقَصَّتَهُمْ. ﴿٢٢﴾ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ نَحْنُ

حاشية الصاوي

قوله: (البيان الشافي) أي: الإظهار المنبّه للمخاطب من غير التباس، وهو أحد أقوال في تفسير (فصل الخطاب)، وقيل: الفصل في القضاء، وقيل: هو (البينة على المدعي واليمين على من أنكر)، وقيل: هو (أما بعد)، وقيل غير ذلك^(١).

قوله: (التعجب) أي: حمل المخاطب على التعجب، أو إيقاعه في العجب.

قوله: (إلى استماع ما بعده) أي: لكونه أمراً غريباً؛ كقولك لجليسك: هل تعلم ما وقع اليوم؟ تريد أن يستمع لكلامك، ثم تذكر له ما وقع.

قوله: ﴿إِذْ سَوَّرُوا﴾ ظرفٌ لمضافٍ محذوفٍ، تقديره: نبأ تخاصم الخصم، ولا يصح أن يكون ظرفاً لـ (أتاك)؛ لأنَّ إتيان النّبأ كائنٌ في عهد رسول الله، لا في عهد داوود، ولا لـ (نبأ)؛ لأنَّ النبأ واقعٌ في عهد داوود؛ فلا يصحُّ إتيانه رسول الله ﷺ^(٢).

قوله: (أي: مسجده) أي: الذي كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة.

قوله: (حيث مُنِعُوا الدخول عليه من الباب) أي: لكونهم أتوه في اليوم الذي كان يشتغل فيه بالعبادة، فَمَنَعَهُم الحرس الدخول عليه من الباب.

قوله: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ أي: لأنهم نزلوا من أعلى، على خلاف العادة، والحرس حوله.

قوله: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ جوابُ سؤالٍ مقدّر، كأنه قيل: ماذا قالوا لما شاهدوا فزعَه؟ فقال: قالوا: لا تخف.

(١) نقل الأقوال فيه وفي (الحكمة) وعزاها لأصحابها القرطبي في «تفسيره» (٦٥/١٥).

(٢) ويجوز أن ينتصب بالخصم؛ لما فيه من معنى الفعل. انظر «الكشاف» (٢٥٤/٥).

حَصَمَان

﴿حَصَمَان﴾ قِيلَ: فَرِيقَانِ لِيُطَابِقَ مَا قَبْلَهُ مِنْ ضَمِيرِ الْجَمْعِ، وَقِيلَ: اثْنَانِ، وَالضَّمِيرُ بِمَعْنَاهُمَا، وَالْخَصْمُ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَأَكْثَرٍ، وَهُمَا مَلَكَانِ جَاءَا فِي صُورَةِ خَصَمَيْنِ وَقَعَ لَهُمَا مَا ذُكِرَ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ؛ لِتَنْبِيهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ، وَكَانَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً، وَطَلَبَ امْرَأَةً شَخْصَ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهَا وَتَزَوَّجَهَا وَدَخَلَ بِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: فريقان) هذا مبني على أن الداخل عليه كان أزيد من اثنين، فكان المتخاصمين والشاهدين والمزكّين.

قوله: (وقيل اثنان) أي: شخصان، وهو مبني على أن الداخل المتداعيان فقط.

قوله: (والخصم يطلق... إلخ) أي: لأنه في الأصل مصدر.

قوله: (وهما ملكان) قيل: هما جبريل وميكائيل.

قوله: (على سبيل العرض) بالعين المهملة؛ أي: التعريض، وهو جواب عما يقال: إن الملائكة معصومون؛ فكيف يتصور منهم البغي أو الكذب؟ فأجاب: بأن هذا على سبيل التعريض للمخاطب، فلا بغي فيه ولا كذب.

قوله: (لتنبية داود) أي: إيقاظه على ما صدر منه.

قوله: (وكان له تسع... إلخ) بيان لما وقع منه.

قوله: (وطلب امرأة شخص) وهو وزيره أوريا بن حنان؛ لسر عظيم، وهو كما قيل: إنها أم سليمان عليه السلام.

قوله: (وتزوّجها ودخل بها) مشى المفسر على أن داود سأل أوريا طلاق زوجته، ثم بعد وفاء عدتها تزوّجها داود ودخل بها، وهو أحد أقوال ثلاثة، والثاني: أن داود لما تعلّق قلبه بها.. أمر أوريا ليذهب للجهاد ليقتل، فيتزوّجها، ففعل، فلمّا قُتِلَ في الجهاد.. تزوّجها داود^(١).

(١) وهذا لا يليق من المتّسمين بالصلاح من أفناء - أي: جماعات - المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء، وقال عليّ عليه السلام: مَنْ حَدَّثَكُمْ بِحَدِيثِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا يَرَوِيهِ الْقُصَّاصُ... جلدته منه وستين، وهو حد الغربة على الأنبياء. ورؤي أنه حدّث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله.. فما ينبغي أن يلتصم خلافتها، وأعظم بأن يقال غير ذلك، وإن كانت على ما ذكرت =

بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي

﴿بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾: تَجُرُّ، ﴿وَاهْدِنَا﴾: أَرْشَدْنَا ﴿إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾: وَسَطِ الطَّرِيقِ الصَّوَابِ.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أي: على ديني

حاشية الصاوي

والثالث: أَنَّ أَوْريَا لم يكن متزوجاً بها، وإنما خطبها فقط، فخطبها داوود على خطبته وتزوجها، وكان ذلك كله جائزاً في شرعه، وإنما عاتبه الله؛ لرفعة قدره، وللسَّيِّد أن يعاقب عبده على ما يقع منه وإن كان جائزاً، من باب: حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين.

قوله: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ العامة على ضمِّ التاء، من: (أَشْطَطَ): إذا تجاوز الحدَّ، وقرئ شذوذاً (تَشَطَّطَ) بفتح التاء وضمِّ الطاء، و(تَشَطَّطَ) من: (أَشْطَ) رباعياً إلا أنه أدغم، و(تَشَطَّطَ) من: (شَطَّطَ)، و(تُشَايَطَ) (١).

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾... إلخ مرتَّب على مقدَّر، تقديره: فقال لهما داوود: تكَلِّما، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾... إلخ.

قوله: (أي: على ديني) أي: فليس المراد أخوة النَّسَب؛ لأنَّ الملائكة لا يلدون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة.

= وكفَّ الله عنها سترأ على نبيِّه.. فما ينبغي إظهارها عليه، فقال عمر: لسماعي هذا الكلام أحبُّ إليَّ ممَّا طلعت عليه الشمس. انظر «تفسير النسفي» (٣/١٣٩).

وقد أطال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في «تفسيره» (٢٦/٣٨٠) بذكر الوجوه التي تدل على أنَّ القصة التي ذكروها فاسدة باطلة، ثم أورد اعتراضاً وأجاب عنه، فقال: (فإن قال قائل: إنَّ كثيراً من أكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة؛ فكيف الحال فيها؟ فالجواب الحقيقي: أنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد.. كان الرجوع إلى الدلائل القاطعة أولى، وأيضاً: فالأصلُ براءة الذمة، وأيضاً: فلمَّا تعارض دليل التحريم والتحليل.. كان جانب التحريم أولى، وأيضاً: طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا، وأيضاً: فنحن نعلم بالضرورة أن بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيامة: لِمَ لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة؟ وأما بتقدير كونها باطلة فإنَّ علينا في ذكرها أعظم العقاب).

(١) قرأ أبو رجاء وابنُ أبي عبة: (تَشَطَّطَ)، وقرأ قتادة: (تَشَطَّطَ)، وعنه أيضاً: (تَشَطَّطَ)، وقرأ زرُّ بن حبیش: (تُشَايَطَ). انظر «الدر المصون» (٩/٣٦٩).

لَهُ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
سُؤَالَ نَجَتِكَ إِلَى نَجَاتِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ

﴿لَهُ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَجَّةً﴾ يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَرَأَةِ، ﴿وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا أَي: اجْعَلْنِي
كَافِلَهَا، ﴿وَعَزَّنِي﴾: عَلَّنِي ﴿فِي الْخِطَابِ﴾ أَي: الْجِدَالِ، وَأَقْرَأُ الْآخِرُ عَلَى ذَلِكَ.

﴿٢٤﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ سُؤَالَ نَجَتِكَ لِيُضْمَّهَا ﴿إِلَى نَجَاتِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾: الشُّرَكَاءِ
﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ - (مَا) لِتَأْكِيدِ الْقِلَّةِ -، فَقَالَ
الْمَلَكَانِ صَاعِدَيْنِ فِي صُورَتَيْهِمَا إِلَى السَّمَاءِ: قَضَى الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ، فَتَنَّبَهُ دَاوُدُ،
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَنَّ﴾ أَي: أَيْقَنَ

حاشية الصاوي

قوله: (يعبر بها عن المرأة) أي: يكتفى بها عن المرأة؛ لسكونها وعجزها، وقد يكتفى عنها
بالبقرة والثاقة.

قوله: (أي: اجعلني كافلها) هذا هو معناه الأصلي، والمراد هنا: ملكنيها وانزل لي عنها.

قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: فهو أفصح مني في الكلام، فالغلبة له علي؛ لضعفي.

قوله: (وأقرؤه الآخر) أي: المدعى عليه، وهو جواب عما يقال: كيف حكم داود ولم يسمع
شيئاً من المدعى عليه؟ فأجيب: بأنه سمع منه الإقرار والاعتراف.

قوله: ﴿سُؤَالَ نَجَتِكَ﴾ من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل محذوف؛ أي: بأن سألك
نعتك.

قوله: (لتضمها) أشار بذلك إلى أنه ضمن السؤال معنى الإضافة والضم.

قوله: ﴿مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾ الشُّرَكَاءِ أي: الذين خلطوا أموالهم، وفيه إشارة إلى أن داود سائر ظاهر
دعواهم.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ استثناء متصل.

قوله: (فتنبه داود) أي: علم أنهما يريدانه بهذا التعريض.

دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ
وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴿٢٥﴾

﴿دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾: أَوْقَعْنَاهُ فِي فِتْنَةٍ - أَي: بِلَيَّْةٍ - بِمَحَبَّتِهِ تِلْكَ الْمَرَأَةَ، ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أَي: سَاجِدًا ﴿وَأَنَابَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أَي: زِيَادَةً خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَحُسْنَ مَّثَابٍ﴾: مَرْجِعٌ فِي الْآخِرَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾﴾ (ما): زائدة، والمعنى: وظنَّ داوود أنا فتَّناهُ فتنبَّه ولاحظ. والظنُّ هنا بمعنى: اليقين؛ كما أشار له المفسر.

قوله: ﴿﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾﴾ أَي: طَلَبَ مِنْهُ الْمَغْفِرَةَ، وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِذَنْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ: حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ.

قوله: (أَي: سَاجِدًا) عَبَّرَ بِالرُّكُوعِ عَنْهُ؛ لِأَنَّ كِلَاهُمَا فِيهِ انْحِنَاءٌ.

قوله: ﴿﴿وَأَنَابَ﴾﴾ أَي: رَجَعَ إِلَى مَوْلَاهُ، قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: سَجَدَ دَاوُودُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ، أَوْ لَوْقَتِ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثُمَّ يَعُودُ سَاجِدًا إِلَى تَمَامِ الْأَرْبَعِينَ يَوْمًا، لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَهُوَ يَبْكِي حَتَّى نَبْتَ الْعُشْبِ حَوْلَ رَأْسِهِ، وَهُوَ يُنَادِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ فِي سَجُودِهِ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ الَّذِي يَبْتَلِي الْخَلْقَ بِمَا يَشَاءُ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ، سُبْحَانَ الْحَاطِلِ بَيْنَ الْقُلُوبِ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ.

إِلَهِي؛ خَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّي إِبْلِيسَ فَلَمْ أَقْمِ لِفِتْنَتِهِ إِذْ نَزَلْتَ بِي، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ.

إِلَهِي؛ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَكَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِكَ مَا أَنَا إِلَيْهِ صَائِرٌ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ.

إِلَهِي؛ الْوَيْلُ لِدَاوُودَ إِذَا كُشِفَ عَنْهُ الْغَطَاءُ فَيَقَالُ: هَذَا دَاوُودُ الْخَاطِئُ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ.

إِلَهِي؛ بِأَيِّ عَيْنٍ أَنْظَرُ إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الظَّالِمُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ؟ سُبْحَانَ خَالِقِ

النُّورِ.

إِلَهِي؛ بِأَيِّ قَدَمٍ أَقْدَمْتُ أَمَامَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ تَزُلُّ أَقْدَامُ الْخَاطِئِينَ؟ سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ.

إِلَهِي؛ مِنْ أَيْنَ يَطْلُبُ الْعَبْدُ الْمَغْفِرَةَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ سَيِّدِهِ؟ سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ.

إِلَهِي؛ أَنَا لَا أَطِيقُ حَرَّ شَمْسِكَ؛ فَكَيْفَ أَطِيقُ حَرَّ نَارِكَ؟! سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ.

حاشية الصاوي

إلهي؛ أنا لا أطيعُ صوتَ رعدك؛ فكيف أطيعُ صوتَ جهنم؟ سبحان خالق النور.
 إلهي؛ الويلُ لداوود من الذنبِ العظيم الذي أصابه، سبحان خالق النور.
 إلهي؛ كيف يَستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تُشاهدُهم حيث كانوا؟ سبحان خالق النور.
 إلهي؛ قد تعلمُ سرِّي وعلايتي فأقبلْ مَعذرتي، سبحان خالق النور.
 إلهي؛ اغفر لي ذنوبي، ولا تُباعِدي من رحمتك لهَوَانِي، سبحان خالق النور.
 إلهي؛ أعودُ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أُوْبِقْتُني، سبحان خالق النور.
 إلهي؛ فَرَزْتُ إليك بذنوبي، واعترفُ بخطيئتي؛ فلا تجعلني من القانطين، ولا تُخزني يوم الدين، سبحان خالق النور^(١).

قيل: مكث داوود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دُموع عينيه، حتى غطى رأسه، فنودي: يا داوود؛ أجاجعُ أنت فتطعم؟ أظمآنُ أنت فتسقى؟ أمظلوّمُ أنت فتنصر؟ فأجيب في غير ما طلب، ولم يُجبه في ذكر خطيئته بشيء، فحزن حتى هاج ما حوله من العشب، فاحترق من حرارة جوفه، ثم أنزل الله تعالى له المغفرة والتوبة بقوله: ﴿فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَكَابٍ﴾ [ص: ٢٥]^(٢).

وقد ورد: أنه لما قبلَ الله توبته... بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعُه ليلاً ولا نهاراً، فكان سنُّه إذ ذاك سبعين سنة، فقسَّم الدَّهْرَ على أربعة أيام: يومٌ للقضاء، ويومٌ لنسائه، ويومٌ يسبح في الجبال والقيافي والسياحة^(٣)، ويومٌ يخلو في دارٍ له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان ينوح معهم على نفسه، فإذا كان يوم سياحته... خرج إلى القيافي، ويرفع صوته بالبكاء، فتبكي معه الأشجار والرمال والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثلُ الأنهار، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالبكاء، فتبكي معه دوابُّ البحر وطيْرُ الماء، فإذا كان يوم نوحِهِ على نفسه... نادى مُناديه: إِنَّ اليَوْمَ يَوْمُ نوحِ داوود على نفسه؛ فليَحْضُرْهُ مَنْ يساعده، ويدخلُ الدار

(١) «تفسير البغوي» (٨٣/٧).

(٢) «تفسير الطبري» (١٨٧/٢١).

(٣) كذا في الأصول، وفي «فتوحات» العلامة الجمل (٥٩٩/٣): (والسواحل)، وهي كذلك عند البغوي في «تفسيره» (٨٤/٧)، فالخبر يطوله مرويٌّ عنده عن وهب منبه، وهو من الإسرائيليات كما لا يخفى.

يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ

﴿٢٦﴾ ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تُدَبِّرُ أَمْرَ النَّاسِ، ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: هَوَى النَّفْسِ

حاشية الصاوي

التي فيها المحاريب، فيسقط فيها ثلاثة فرش من مُسُوح حَشُوهَا لِفَتْ، فيجلس عليها، ويجيء أربعة آلاف راهب فيجلسون في تلك المحاريب، ثم يرفع داوود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه، فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه، ويقع داوود فيها مثل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمله.

وقد ورد أيضاً: أنه لما تاب الله على داوود.. قال: يا رب؛ غفرت لي، فكيف لي ألا أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخطائين إلى يوم القيامة؟ فَوَسَمَ اللهُ خَطِيئَتَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى، فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلا وبسط راحته فاستقبل بها الناس؛ ليرَوْا وَسَمَ خَطِيئَتِهِ، وكان يبدأ إذا دعا واستغفر للخطائين قبل نفسه، وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل، ويصوم نصف الدهر، فلمَّا كان من خطيئته ما كان.. صام الدهر كله، وكان إذا ذكر عقاب الله تعالى.. انخلعت أوصاله، وإذا ذكر رحمة الله.. تراجعَتْ. انتهى ملخصاً^(١).

قوله: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (يحتمل أنه كلامٌ مستأنفٌ بيانٌ للزلفى في قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾، ويحتمل أنه مقولٌ لقولٍ محذوفٍ معطوفٍ على قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ﴾ كأنه قيل: فغفرنا له وقلنا: يا داوود... إلخ، وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ خلافتَهُ التي كانت قبل الفِتنة باقيةً مستمرةً بعد التوبة.

قوله: (تُدَبِّرُ أَمْرَ النَّاسِ) أي: لِيَكُونَكَ مُلْكاً وَسُلْطَاناً عَلَيْهِمْ، فقد جُمِعَ لداوود بين النُّبُوَّةِ وَالسُّلْطَانَةِ، وكان فيمنَّ قبله النُّبُوَّةُ مع شخصٍ، وَالسُّلْطَانَةُ مع آخرٍ، فيحكمُ السلطان بما يأمره به النبيُّ. قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ (أي: العدل؛ لأنَّ الأحكامَ إذا كانت موافقةً لما أمر الله به.. صلحت الخلق، واستقام نظامهم، بخلاف ما إذا كانت موافقةً لهوى النفس؛ فإنَّ ذلك يُؤدِّي إلى فساد النظام، ووقوع الهرج والمرج المؤدِّي للهلاك، وهو معنى قولهم: العدلُ إن دام عَمَرٌ، والظلمُ إن دام دَمَرٌ.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ (المقصودُ من نَهْيِهِ: إِعْلَامُ أُمَّتِهِ بِأَنَّهُ مَعْصُومٌ، وَلِتَتَّبِعَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ؛ لَأَنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا الْخُطَابُ لِلْمَعْصُومِ.. فغيره أولى.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣٨/٤)، وفيه وفي (ط ٢): (الخاطئين) بدل (الخطائين).

فِيضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ نُسْأَلُ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ

﴿فِيضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الدلائل الدالة على توحيده، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ نُسْأَلُ﴾: بنسيانهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

﴿٢٧﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ أي: عبثاً، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، ﴿فَوَيْلٌ﴾: وادٍ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فِيضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾﴾ بالنصب في جواب النهي، وهو أولى من جعله مجزوماً عطفاً على النهي وفتحاً للتخلص من التقاء الساكنين.

قوله: (أي: عن الدلائل الدالة على توحيده) إنما فسر السبيل بذلك وإن كان شاملاً لفروع الدين الموصلة إلى الله تعالى؛ ليوافق قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ...﴾ إلخ.

قوله: (بنسيانهم) أشار بذلك إلى أن (ما) مصدرية، والباء سببية، وقوله: ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ إمّا ظرف لقوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، أو مفعول له ﴿نُسْأَلُ﴾.

قوله: (المرتب عليه... إلخ) أي: فالسبب الحقيقي في حصول العذاب لهم هو ترك الإيمان، ونسيان يوم الحساب سبب في ترك الإيمان، فاكتمى بذكر السبب.

قوله: ﴿﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾﴾... إلخ استئناف لتقرير ما قبله من البعث والحساب.

قوله: ﴿﴿بَطْلًا﴾﴾ نعت لمصدر محذوف؛ أي: خلقاً باطلاً، أو حالاً من ضمير الخلق.

قوله: ﴿﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾﴾ أي: مظنونهم.

قوله: ﴿﴿فَوَيْلٌ﴾﴾ وهو في الأصل معناه: الهلاك؛ أي: هلاك ودمار للذين كفروا، وعبر بالظاهر؛ تقيحاً عليهم، وإشارة إلى أن ظنهم إنما نشأ من أجل كفرهم.

قوله: ﴿﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾﴾... إلخ ﴿﴿أَمْ﴾﴾: منقطعة تفسر بـ(بل) والهمزة،

أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾

أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ؟ نَزَلَ لَمَّا قَالَ كُفَّارٌ مَكَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ: إِنَّا نُعْطِي فِي الْآخِرَةِ مِثْلَ مَا تُعْطُونَ، و(أَمْ) بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ.

﴿٢٩﴾ كَتَبَ - خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ - أَي: هَذَا، ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا﴾ - أَصْلُهُ: يَتَدَبَّرُوا، أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ - ﴿ءَايَتِهِ﴾: يَنْظُرُوا فِي مَعَانِيهَا فَيُؤْمِنُونَهَا، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾: يَتَعَزَّزُ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: أَصْحَابُ الْعُقُولِ.

﴿٣٠﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ ابْنَهُ، ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ﴾ أَي: سُلَيْمَانُ ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رَجَّاعٌ فِي التَّسْيِيحِ وَالذِّكْرِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ.

حاشية الصاوي

وهو إضرابٌ انتقاليٌّ من أمرِ البعث والحساب إلى بيانِ عدمِ استواءِ المؤمنين والكافرين في العواقب، وهو نظيرُ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا النَّسِيَّاتِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ [الباقية: ٢١] الآية.

قوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ...﴾ (إلخ) تنويعٌ آخرٌ في الإضراب، والمعنى واحد.

قوله: (بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ) أَي: مع (بل) التي للإضراب.

قوله: (خبرٌ مبتدأٌ محذوف) أَي: و﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: صفةٌ ﴿كَتَبَ﴾، و﴿مُبَارَكٌ﴾: خبرٌ مبتدأٌ محذوف، أو خبرٌ ثانٍ، لا صفةٌ ثانية لـ﴿كَتَبَ﴾؛ لأنه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد، وفيه خلافٌ.

قوله: (ينظروا في معانيها) أَي: يتأملوا فيها فيزدادوا معرفةً ونوراً على حسب مشاربهم؛ فإنَّ التالين للقرآن على مراتب، فالعامةُ يقرؤونه مرتلاً مجوداً مراعى بعضُ معانيه على حسب الطاقة، والخاصةُ يقرؤونه ملاحظين أنهم في حضرة الله تعالى يقرؤون كلامه عليه، وخاصةُ الخاصةِ يقرؤونه فائين عن أنفسهم، مشاهدين أنَّ لسانهم ترجمانٌ عن الله تعالى، رضي الله عنهم وعنَّا بهم.

قوله: ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ خصَّهم بالذكر؛ لأنهم المتفعّلون بالتذكُّر.

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ﴾ أَي: من المرأة التي أخذها من أوريا، وكان سنُّه إذ ذاك سبعين سنةً.

قوله: (أَي: سليمان) تفسيراً للمخصوص بالمدح.

إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ

﴿٣١﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ ﴿٣١﴾ هو ما بعد الزوال ﴿الصَّفِيفَتُ﴾: الخيل، جَمْعُ (صافنة) وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طَرَفِ الحافر، وهو مِن (صَفَنَ يَصْفِنُ صُفُونًا)، ﴿الْجِيَادُ﴾: جَمْعُ (جَوَادٍ)، وهو السَّابِقُ، المَعْنَى: أَنَّهَا إِذَا اسْتَوْقَفَتْ سَكَنَتْ، وَإِنْ رَكَضَتْ سَبَقَتْ، وَكَانَتْ أَلْفَ فَرَسٍ عُرِضَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الظُّهْرَ لِإِرَادَتِهِ الْجِهَادَ عَلَيْهَا الْعَدُوَّ، فَعِنْدَ بُلُوغِ الْعَرْضِ مِنْهَا تِسْعِمِائَةُ غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى الْعَصْرَ، فَاعْتَمَّ.

﴿٣٢﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ ﴿٣٢﴾ أَي: أَرَدْتُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ ظرفٌ لمحذوف، تقديره: اذكر يا محمد لقومك وقت أن عرض... إلخ، والمعنى: اذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت.

قوله: (ما بعد الزوال) أي: إلى الغروب.

قوله: (وهي القائمة) أي: الواقفة على ثلاث قوائم.

قوله: (على طرف الحافر) أي: من رجلٍ أو يَدٍ.

قوله: (وهو من: «صفن») أي: مأخوذ منه، والصافن من الآدميين: الذي يصف قدميه ويقرن بينهما، وجمعه: صُفُون.

قوله: (جمع جواد) وقيل: جمع جيّد، يطلق على كلٍّ من الذكر والأنثى، مأخوذ من الجود، أو الجيّد، وهو العنق، والمعنى: طويلة العنق لفراحتها^(١).

قوله: (المعنى) أي: معنى ﴿الصَّفِيفَتُ الْجِيَادُ﴾.

قوله: (وكانت ألف فرس) روي: أنه غزا أهلَ دمشقَ ونصيبينَ، وأصاب منهم ألف فرس، وقيل: أصابها أبوه من العمالقة، فوضع يده عليها لبيت المال، وقيل: خرجت له من البحر ولها أجنحة^(٢).

قوله: (لإرادة الجهاد) أي: ليختبرها.

قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾... إلخ) أي: على وجه الاعتذار عمّا صدر منه، وندماً عليه، وضمّن ﴿أَحْبَبْتُ﴾ معنى (آثرت) فعذاه بـ(عن).

(١) دابة فارها؛ أي: نشيطة حادة قوية، وقد فرحت فراهة وفراهمية. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/٤٤١).

(٢) انظر الأقوال في «تفسير البغوي» (٧/٨٨).

حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَغْنَاكِ ﴿٣٣﴾

﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي: صلاة العصر، ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ أي: الشمس
﴿بِالْحِجَابِ﴾ أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار.

﴿٣٣﴾ ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ أي: الخيل المَعْرُوضَة، فرُدُّوها، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ بالسيف
﴿بِالسُّوقِ﴾: جمع (ساق) ﴿وَالْأَغْنَاكِ﴾ أي: ذبحها وقطع أرجلها تقرباً إلى الله تعالى حيث
اشتغل بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها، فعوضه الله خيراً منها وأسرع، وهي الريح
تجري بأمره كيف شاء.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الخيل) إنما سمّاها خيراً؛ لتعلق الخير بها؛ لما في الحديث: «الخير معقود
بنواصي الخيل إلى يوم القيامة»^(١).

قوله: ﴿بِالْحِجَابِ﴾ أي: وهو جبل دون جبل (ق) بمسيرة سنة، تغرب من ورائه^(٢).

قوله: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ الخطاب لأتباعه المتولين أمر الخيل، والضمير عائذ على التي شغلته،
وهي التسع مئة، وأما المئة الأخرى.. فلم يذبحها، وما في أيدي الناس من الخيل الجياد فمن نسل
تلك المئة.

قوله: (أي: ذبحها وقطع أرجلها بالسيف) أي: وكان مباحاً له؛ ولذا لم يعنّفه الله عليه^(٣)،
وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين، وقيل: الضمير في قوله: ﴿رُدُّوْهَا﴾ عائذ على الشمس،
والخطاب للملائكة الموكّلين بها، فرُدُّوها، فصلّى العصر في وقتها.

وقال الفخر الرازي: (معنى قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَغْنَاكِ﴾: أنه يمسخها حقيقة بيده؛
ليختبر عيوبها وأمراضها؛ لكونه كان أعلم بأحوال الخيل، وإشارة إلى أنه بلغ من التواضع إلى أنه
يُباشر الأمور بنفسه، ولم يحصل منه ذبح ولا عقر، ولم تُفوت عليه صلاة.

ومعنى: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي: لأجل طاعة ربي، لا لهوى نفسي، ومعنى:

(١) رواه البخاري (٣٦٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٣) عن سيدنا عُروة البارقي رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٤٠/٤).

(٣) في (ط ٢): (لم يعاتبه).

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ

﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ: ابْتَلَيْنَاهُ بِسَلْبِ مُلْكِهِ،

حاشية الصاوي

﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ أي: الخيل غابت عن بصره حين أمر بإجرائها؛ لِيَتَحَبَّرَهَا لِلْغَزْوِ، فقال: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾، فردُّوها، فصار يمسح في أعناقها وسوقها؛ كما تقدم، وليس في الآية ما يدلُّ على ثبوت ذبح ولا عقر ولا فوات صلاة). اهـ بالمعنى^(١).

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾... إلخ) أجمل المفسر في القصة، وحاصلُ تفصيلها على ما رواه وهب بن مُنبه قال: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها: صيدون، وبها ملكٌ عظيمُ الشَّأن، ولم يكن للناس إليه سبيلٌ؛ لمكانه في البحر، وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيءٌ في برٍّ ولا بحرٍ، وإنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تَحْمِلُهُ الريح على ظهر الماء حتى نزل بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها، وسبى ما فيها، وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها: جرادة، لم يَرِ مثلُها حسناً وجمالاً، فاصطفأها لنفسه، ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت على جفاءٍ منها وقلة فقه، وأحبَّها حباً لم يحبَّ مثلهُ أحداً من نسائه، وكانت على منزلتها عنده، ولا يذهب حزنها، ولا يرقأ دمعها، فشقَّ ذلك على سليمان، فقال لها: ويحك، ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه، فيحزني ذلك، فقال سليمان: فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ذلك، قالت: إنَّ ذلك كذلك، ولكنني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن؛ فلو أنَّك أمرت الشياطين فصوَّروا لي صورته في داري التي أنا فيها، أراها بكرةً وعشيَّةً. . . لرجوت أن يُذهِبَ ذلك حزني، وأن يُسَلِّيَ عني بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين فقال: مثَّلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً، فمثَّلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا رُوح فيه، فعمدت إليه حين صنَّعوه، فألبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها. . . تغدو إليه في ولائدها؛ أي: جواربها، فتسجد له ويسجدن له؛ كما كانت تصنع في ملكه؛ أي: أبيها، وتروح في كل عشيَّة بمثل ذلك، وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً.

وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا وكان صديقاً له، وكان لا يُردُّ عن أبواب سليمان، أيَّة ساعة أراد

حاشية الصاوي

دُخُول شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهِ . . دَخَلَ، سَوَاءَ كَانَ سَلِيمَانُ حَاضِرًا أَوْ غَائِبًا، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ إِنَّ غَيْرَ اللَّهِ يُعْبَدُ فِي دَارِكَ مِنْذُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فِي هَوَى امْرَأَةٍ، فَقَالَ سَلِيمَانُ: فِي دَارِي! قَالَ: فِي دَارِكَ، قَالَ: فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ثُمَّ رَجَعَ سَلِيمَانُ إِلَى دَارِهِ، فَكَسَرَ ذَلِكَ الصَّنَمَ، وَعَاتَبَ تِلْكَ الْمَرْأَةَ وَوَلَّأَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِثِيَابِ الظَّهِيرَةِ، فَأَتَى بِهَا، وَهِيَ ثِيَابٌ لَا يَغْزُلُهَا إِلَّا الْأَبْكَارُ، وَلَا يَنْسُجُهَا إِلَّا الْأَبْكَارُ، وَلَا يَغْسِلُهَا إِلَّا الْأَبْكَارُ، لَمْ تَمْسُهَا يَدُ امْرَأَةٍ قَدْ رَأَتْ الدَّمَ، فَلَبَسَهَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى فَلَائَةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَحْدَهُ، وَأَمَرَ بِرَمَادِ قَفْرِشَ لَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ تَائِبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى جَلَسَ عَلَى ذَلِكَ الرَّمَادِ وَتَمَعَّكَ بِهِ فِي ثِيَابِهِ تَذَلُّلاً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَضَرُّعًا إِلَيْهِ، يَبْكِي وَيَدْعُو وَيَسْتَغْفِرُ مِمَّا كَانَ فِي دَارِهِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يَوْمَهُ حَتَّى أَمْسَى.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دَارِهِ وَكَانَتْ لَهُ أُمٌّ وَلِدٍ يُقَالُ لَهَا: الْأَمِينَةُ، كَانَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءُ أَوْ أَرَادَ إصَابَةَ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ . . وَضَعَ خَاتَمَهُ عِنْدَهَا حَتَّى يَتَطَهَّرَ، وَكَانَ لَا يَمَسُّ خَاتَمَهُ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ، وَكَانَ مُلْكُهُ فِي خَاتَمِهِ، فَوَضَعَهُ يَوْمًا عِنْدَهَا، ثُمَّ دَخَلَ مَذْهَبَهُ، فَأَتَاهَا شَيْطَانٌ اسْمُهُ صَخْرُ الْمَارِدِ ابْنُ عَمِيرٍ فِي صُورَةِ سَلِيمَانَ، لَا تَنْكُرُ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: هَاتِ خَاتَمِي يَا أَمِينَةُ، فَنَآوَلَتْهُ إِيَّاهُ، فَجَعَلَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى جَلَسَ عَلَى سَرِيرِ سَلِيمَانَ، وَعَكَّفَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَالْوَحْشُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ، وَخَرَجَ سَلِيمَانُ فَأَتَى الْأَمِينَةَ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالَتُهُ وَهَيْئَتُهُ عِنْدَ كُلِّ مَنْ رَأَاهُ، فَقَالَ: يَا أَمِينَةُ؛ خَاتَمِي، قَالَتْ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ، فَقَالَتْ: كَذِبْتَ، قَدْ جَاءَ سَلِيمَانُ وَأَخَذَ خَاتَمَهُ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، فَعَرَفَ سَلِيمَانُ أَنَّ خَطِيئَتَهُ أُدْرِكَتْهُ، فَخَرَجَ وَجَعَلَ يَقِفُ عَلَى الدَّارِ مِنْ دُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَقُولُ: أَنَا سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ، فَيَحْثُونَ عَلَيْهِ التُّرَابَ وَيَقُولُونَ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الْمَجْنُونِ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَلِيمَانُ، فَلَمَّا رَأَى سَلِيمَانُ ذَلِكَ . . عَمَدَ إِلَى الْبَحْرِ، فَكَانَ يَنْقُلُ الْحَيْتَانَ لِأَصْحَابِ السُّوقِ وَيُعْطُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَمَكَتَيْنِ، فَإِذَا أَمْسَى بَاعَ إِحْدَى سَمَكَتَيْهِ بِأَرْغِفَةٍ، وَيَشْوِي الْأُخْرَى فَيَأْكُلُهَا، فَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا عِدَّةً مَا كَانَ يُعْبَدُ الْوُثْنُ فِي دَارِهِ.

ثُمَّ إِنَّ آصَفَ وَعِظْمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْكَرُوا حُكْمَ عَدُوِّ اللَّهِ الشَّيْطَانِ فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ، فَقَالَ آصَفُ: يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ هَلْ رَأَيْتُمْ مِنْ اخْتِلَافٍ حُكْمِ ابْنِ دَاوُدَ مَا رَأَيْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُونَ صَبَاحًا . . طَارَ الشَّيْطَانُ عَنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ مَرَّ بِالْبَحْرِ فَقَذَفَ الْخَاتَمَ فِيهِ، فَأَخَذَتْهُ سَمَكَةٌ، فَأَخَذَهَا بَعْضُ الصَّيَادِينَ وَقَدْ حَمَلَ لَهُ سَلِيمَانُ صَيْدَ يَوْمِهِ، فَلَمَّا أَمْسَى أَعْطَاهُ سَمَكَتَيْهِ، فَبَاعَ سَلِيمَانُ إِحْدَاهُمَا

وَذَلِكَ لِتَزْوُجِهِ بِامْرَأَةٍ هَوَاهَا وَكَانَتْ تَعْبُدُ الصَّنَمَ فِي دَارِهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمِهِ، وَكَانَ مُلْكُهُ فِي خَاتَمِهِ، فَتَزَعُهُ مَرَّةً عِنْدَ إِرَادَةِ الْخَلَاءِ، وَوَضَعُهُ عِنْدَ امْرَأَتِهِ الْمُسَمَّاةِ بِالْأَمِينَةِ عَلَى عَادَتِهِ، حَاشِيَةُ الصَّافِي

بَارَغْفَةٍ، وَيَقَرُّ بَطْنُ الْآخَرَى لِيَشْوِيَهَا، فَاسْتَقْبَلَهُ خَاتَمُهُ فِي جَوْفِهَا، فَأَخَذَهُ وَجَعَلَهُ فِي يَدِهِ وَخَرَّ اللَّهُ سَاجِدًا، وَعَكَفَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَالْجَنُّ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَعَرَفَ أَنَّ الَّذِي دَخَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ مَا حَدَثَ فِي دَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَى مُلْكِهِ وَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَأَمَرَ الشَّيَاطِينَ أَنْ يَأْتُوهُ بِصَخْرٍ الْمَارِدِ، فَأَتَتْهُ بِهِ، فَأَدْخَلَهُ فِي جَوْفِ صَخْرَةٍ وَسَدَّ عَلَيْهِ بِأُخْرَى، ثُمَّ أَوْثَقَهَا بِالْحَدِيدِ وَالرِّصَاصِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقَذَفَ فِي الْبَحْرِ، فَهُوَ بَاقٍ فِيهَا إِلَى النَّفْخَةِ. وَسَيَأْتِي رَدُّ تِلْكَ الْقِصَّةِ، وَأَنَّهَا مِنْ مَوْضُوعَاتِ الْأَخْبَارِيِّينَ.

قوله: (لتزويجه بامرأة) أي: واسمها جرادة.

قوله: (هواها) قياسه: هَوِيَهَا بِمَعْنَى: أَحَبَّهَا، مِنْ بَابِ: (صَدِي)، وَأَمَّا (هَوَى) كـ(رمى) فهو بِمَعْنَى: سَقَطَ، وَفِي نَسْخَةٍ: (يَهْوَاهَا)، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ.

قوله: (وكانت تعبد الأصنام) أي: وهو صورة أبيها، ومدة ذلك أربعون يوماً.

قوله: (وكان ملكه في خاتمه) أي: كان ملكه مرتباً على لبسه إِيَّاهُ، فَإِذَا لَبَسَهُ سُخِّرَتْ لَهُ الرِّيحُ وَالْجَنُّ وَالشَّيَاطِينَ وَغَيْرُهَا، وَإِذَا نَزَعَهُ.. زَالَ عَنْهُ ذَلِكَ، وَكَانَ خَاتَمُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَقَدْ نَظَّمَهَا بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ: [الطويل]

وَأَدَمُ مَعَهُ أَنْزَلَ الْعُودُ وَالْعَصَا لِمُوسَى مِنَ الْأَسَنِ النَّبَاتِ الْمُكْرَمِ
وَأُورَاقُ يَمِينٍ وَالْيَمِينُ بِمَكَّةِ وَخَتَمُ سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ^(١)

وقوله: (العود) المراد به: عُودُ الْبَخُورِ، وَقَوْلُهُ: (واليمين بمكة) المراد به: الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ نَقْشَ خَاتَمِ سُلَيْمَانَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»^(٢).

قوله: (ووضعه عند امرأته) في عبارة غيره: (أم ولده المسماة بالأمانة)^(٣).

(١) حكاها الشيخ عطية الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط، وفيه: (إنزال) بدل (أنزل)، وأوراق التين هي التي استتر بها سيدنا آدم وزوجه لما بدت لهما سواتهما، وانظر «حاشية البجيرمي على الخطيب» (٢/٤٣٨).

(٢) رواه أبو بكر الخلال في «السنة» (٢٠١) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه موقوفاً، ورفعته تمام بن محمد في «الفوائد» (٦٦٨).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٩١/٧).

وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾

فجاءها جِنِّي في صورة سُلَيْمَانَ فَأَخَذَهُ مِنْهَا، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ هو ذلك الْجِنِّي وهو صَخْرٌ أو غَيْرُهُ، جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ، وَعَكَفَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَغَيْرُهَا، فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ فِي غَيْرِ هَيْئَتِهِ فَرَأَاهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ وَقَالَ لِلنَّاسِ: أَنَا سُلَيْمَانُ فَأَنْكِرُوهُ، ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: رَجَعَ سُلَيْمَانُ إِلَى مُلْكِهِ بَعْدَ أَيَّامٍ؛ بِأَن وَصَلَ إِلَى الْخَاتَمِ فَلَبِسَهُ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (هو ذلك الجني) أي: وسمي جسداً؛ لأنه ليس فيه روح سليمان وإن كان فيه روحه هو؛ لأنَّ الجسد هو الجسم الذي لا روح فيه.

قوله: (وهو صخر) أي: ابن عمير المارد.

قوله: (في غير هيئته) أي: المعتادة التي كانوا يعرفونه بها.

قوله: (رجع سليمان إلى ملكه) هذا التفسير مبني على أن قوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ مرتبط بقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾، وقال غيره: إنه مُرْتَبِط بقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾، ومعنى إنايته: رجوعه إلى الله تعالى وتوبته.

قوله: (بعد أيام) أي: أربعين.

قال القاضي عياض وغيره من المحققين: لا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان بسليمان، وتسليطه على ملكه، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه، وإنَّ الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا، وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا.

والذي ذهب إليه المحققون: أنَّ سبب فتنته ما أخرجاه في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان: لأطوفنَّ الليلة على تسعين امرأة - وفي رواية: على مئة امرأة - كلُّهنَّ يأتي بفارس يُجاهد في سبيل الله تعالى، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهنَّ جميعاً، فلم تحمل منهنَّ إلا امرأة واحدة، جاءت بشقِّ رجلٍ، وإيمُ الله الذي نفسي بيده، لو قال: إن شاء الله.. لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»^(١).

قال العلماء: والشقُّ هو: الجسد الذي ألقي على كرسيه، وفتنته من نسيان المشيئة، فامتحن بهذا، فتاب ورجع^(٢).

(١) رواه البخاري (٦٦٣٩)، ومسلم (١٦٥٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، ورواية: (مئة امرأة) عند البخاري (٥٢٤٢).

(٢) انظر «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (١٦٧/٢)، و«تفسير الخازن» (٤٣/٤).

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً

﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي: لَا يَكُونُ ﴿لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أي: سِوَايَ، نَحْوُ: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الباقية: ٢٣] أي: سِوَى اللَّهِ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٨﴾) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً:

حاشية الصاوي

وقيل: إنَّ المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه: أَنَّهُ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ، فَاجْتَمَعَت الشَّيَاطِينُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنْ عَاشَ لَهُ وَلَدٌ.. لَمْ نَنْفُكْ مِنَ الْبَلَاءِ، فَسَيَلِنَا أَنْ نَقْتُلَ وَلَدَهُ أَوْ نَحْبِلَهُ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ سَلِيمَانُ، فَأَمَرَ السَّحَابَ فَحَمَلَهُ، وَكَانَ يُرَبِّيهِ فِي السَّحَابِ خَوْفًا مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُشْتَغَلٌ فِي بَعْضِ مَهْمَاتِهِ.. إِذْ أُلْقِيَ ذَلِكَ الْوَلَدُ مَيِّتًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَى خَوْفِهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ؛ حَيْثُ لَمْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَتَنَّبَهُ وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ^(١).

إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ.. فَالْمُنَاسِبُ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى مَا فِي «الصَّحِيحِينَ» وَيُتْرَكَ تِلْكَ الْقِصَّةُ الْبَشْعَةُ.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ؛ تَوَاضَعًا وَإِظْهَارًا لِلْخُضُوعِ لِلْمَوْلَى عِزًّا وَجَلًّا، وَإِلَّا.. فَهُوَ لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ ذَنْبٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ: حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ.

قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا...﴾ (إِلخ) قَدَّمَ طَلِبَ الْمَغْفِرَةِ؛ اِهْتِمَامًا بِأَمْرِ الدِّينِ.

قوله: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أي: لِيَكُونَ مَعْجِزَةً لِي، فَلَيْسَ طَلِبُهُ لِلْمَفَاخِرَةِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا كَانَ هُوَ مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ، وَكَانَ فِي زَمَنِ الْجَبَّارِينَ وَتَفَاخَرِهِمْ بِالْمُلْكِ، فَطَلَبَ مَا يَكُونُ مَعْجِزَةً لِقَوْمِهِ، وَمَعْجِزَةً كُلِّ نَبِيٍّ مَا اشْتَهَرَ فِي عَصَرِهِ.

قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ تَعْلِيلٌ لِلدَّعَاءِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالْهَبَةِ.

قوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ أي: أَعَدْنَا لَهُ تَسْخِيرَ الرِّيحِ بَعْدَ مَا كَانَ قَدْ ذَهَبَ مَعَ زَوَالِ مُلْكِهِ، وَهَذَا عَلَى مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسَّرُ، وَعَلَى مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ فَيَقَالُ: أَدْمَنَّا تَسْخِيرَهَا.

قوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ بَيَانٌ لِتَسْخِيرِهَا لَهُ.

قوله: ﴿رُخَاءً﴾ حَالٌ مِنَ الرِّيحِ.

(١) ذَكَرَ هَذَا الْقَوْلَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «زَادَ الْمَسِيرَ» (٣/٥٧٤) عَنِ الشَّعْبِيِّ.

حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطَانِ كُلَّ بَنَاءٍ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا
فَأَمْنٌ أَوْ أَمْسِكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٤٠﴾

لَبِنَةُ ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أَرَادَ، ﴿وَالشَّيْطَانِ كُلَّ بَنَاءٍ﴾: يَبْنِي الْأَبْنِيَّةَ الْعَجِيبَةَ، ﴿وَعَوَاصِرٍ﴾: فِي الْبَحْرِ
يَسْتَخْرِجُ اللَّوْلُؤَ، ﴿وَأَخِرِينَ﴾: مِنْهُمْ ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مَشْدُودِينَ ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: الْقَيْودُ تَجْمَعُ
أَيْدِيَهُمْ إِلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ.

(﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾) وَقُلْنَا لَهُ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَأَمْنٌ﴾: أَعْطِ مِنْهُ مَنْ شِئْتَ، ﴿أَوْ أَمْسِكَ﴾: عَنْ
الْإِعْطَاءِ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أَي: لَا حِسَابَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ، ﴿وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾
تَقَدَّمَ مِثْلُهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (لبنة) أي: غير عاصفة، وهذا في أثناء سيرها، وأمّا في أوّله فهي عاصفة، فكانت
العاصف تقلع البساط، والرّخاء تُسِيرُهُ.

قوله: ﴿يَأْمُرُهُ﴾ أي: إِيَّاهَا، فالمصدر مضاف لفاعله.

قوله: ﴿كُلَّ بَنَاءٍ﴾ بدل من (الشياطين).

قوله: ﴿وَأَخِرِينَ﴾ عطف على ﴿كُلَّ بَنَاءٍ﴾، وذلك أنّ سليمان قَسَمَ الشياطين إلى عَمَلَةٍ استخدمهم
في الأعمال الشّاقّة من البناء والغوص ونحو ذلك، وإلى مقرّنين في السلاسل كالمردّة والعُتَاة.

قوله: (القيود) من المعلوم أنّ القيد يكون في الرّجل فلا يلتئم مع قوله: (بجمع أيديهم...
إلخ)؛ فلو فُسِّرَ الأصْفَادُ بِالْأَغْلَالِ.. لكان أولى؛ لأنها تطلق عليها كما تُطلق على القيود.

قوله: (وقلنا له: ﴿هَذَا﴾) أي: هذا الملك عطاؤنا.

قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه متعلّق بـ﴿عَطَاؤُنَا﴾ أي: أعطيناك بغير حساب
وبغير حصر، الثاني: أنه حالّ من ﴿عَطَاؤُنَا﴾ أي: في حال كون عطائنا غير محاسب عليه، والثالث:
أنه متعلّق بـ﴿أَمْنٌ أَوْ أَمْسِكَ﴾، والمعنى: أعط مَنْ شِئْتَ، وامْنَع مَنْ شِئْتَ، لا حساب عليك في عطاءٍ
ولا منع.

قال الحسن: ما أنعم الله نعمةً على أحدٍ إلا عليه فيها تَبِعَةٌ إلا سليمان؛ فإنه إن أعطى أُجِرَ،
وإن لم يعط لم يكن عليه تَبِعَةٌ.

قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ أي: زيادة خيرٍ في الدُّنيا والآخرة.

وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضُ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

﴿٤١﴾ وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي ﴿٤١﴾ أَي: بِأَنِّي ﴿٤١﴾ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ ﴿٤١﴾: ضُرٌّ وَعَذَابٌ ﴿٤١﴾: أَلَمَ، وَنَسَبَ ذَلِكَ إِلَى الشَّيْطَانِ وَإِنْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مِنَ اللَّهِ تَأْدِبًا مَعَهُ تَعَالَى. ﴿٤٢﴾ وَقِيلَ لَهُ: ﴿٤٢﴾ أَرْكُضُ ﴿٤٢﴾: اضْرِبْ ﴿٤٢﴾ بِرِجْلِكَ ﴿٤٢﴾ الْأَرْضَ، فَضَرَبَ فَنَبَعَتْ عَيْنُ مَاءٍ فَقِيلَ: ﴿٤٢﴾ هَذَا مُغْتَسِلٌ ﴿٤٢﴾: مَاءٌ تَغْتَسِلُ بِهِ، ﴿٤٢﴾ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾: تَشْرَبُ مِنْهُ، فَاغْتَسَلَ وَشَرِبَ، فَذَهَبَ عَنْهُ كُلُّ دَاءٍ كَانَ يَبَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ عطفٌ قصّةً على قصة، وليس معطوفاً على قصة سليمان؛ لأنه لكمال الاتصال بينه وبين أبيه لم يصدر في قصته بقوله: (واذكر عبدنا سليمان) مثلاً، بل كأنهما قصّةً واحدةً.

وتقدّم في (الأنبياء) أنّ أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقيل: إنه ابن عيصو بن إسحاق، وقيل: هو ابن موص بن رعبل بن عيص بن إسحاق وتقدّمت قصته في (الأنبياء)^(١).

قوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بدلٌ من ﴿عَبْدَنَا﴾^(٢)، أو عطفٌ بيانٍ له.

قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: حين ابتلي بفقد ماله وولده، وتمزيق جسده، وهجر جميع الناس له إلا زوجته، وكانت مدّة بلائه ثلاث سنين، وقيل: سبعاً، وقيل: عشراً، وقيل: ثمانين عشرة. قوله: ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضم فسكون: التعب والمشقة، وقوله: ﴿وَعَذَابٍ﴾ عطفٌ سبب على مسبب. قوله: ﴿تَأْدِبًا مَعَهُ تَعَالَى﴾ أي: لأنّ الشيطان هو السبب في ذلك؛ لأنه نفّخ في أنفه، فمرض جسده ظاهراً وباطناً إلا قلبه ولسانه.

قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُ﴾ أي: حين رجا وقت شفائه.

قوله: ﴿فَنَبَعَتْ عَيْنُ مَاءٍ ظَاهِرُهُ﴾ أي: أنها عيني واحدة، وهو أحد قولين، وقيل: كانتا عيني بآرض

(١) انظر (٤/٣٥٣-٣٥٥).

(٢) أي: بدل اشتمال.

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضَغْنًا فَاَضْرَبَ بِهِ

﴿٤٣﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم، ﴿رَحْمَةً﴾: نعمة ﴿مِنَّا وَذِكْرَى﴾: عِظَةً ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾: لأصحاب العقول.

﴿٤٤﴾ ﴿وَخَذَ بِيَدِكَ ضَغْنًا﴾ هو حُزْمَةٌ مِنْ حَشِيشٍ أَوْ قُضْبَانٍ ﴿فَاَضْرَبَ بِهِ﴾ زَوْجَتَكَ، وكان قد حَلَفَ لِيَضْرِبَنَّهَا مِائَةَ ضَرْبَةٍ لِإِبْطَائِهَا عَلَيْهِ يَوْمًا،

حاشية الصاوي

الشَّام في أرض الجابية، فاغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهرَ دائِهِ، وشرب من الأخرى فأذهب الله باطنَ دائِهِ، وكانت إحدى العينين حارَّةً، والأخرى باردةً، فاغتسل من الحارَّة، وشرب من الأخرى^(١).

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ عطفٌ على محذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (فاغتسل... إلخ).

قوله: (مَن مات من أولاده) أي: وكانوا ثلاثة ذكور، وثلاث إناث، وقيل: كلُّ صنفٍ سبع.

قوله: (ورزقه مثلهم) أي: من زوجته، وزيدَ في شبابها، واسمُها؛ قيل: رحمة بنت أفرائيم بن يوسف، وقيل: ليا بنت يعقوب.

قوله: ﴿رَحْمَةً﴾... إلخ مفعول لأجله؛ أي: لأجل رَحْمَتِنَا إِيَّاهُ، ولِيَتَذَكَّرَ بحاله أولو الألباب.

قوله: ﴿وَخَذَ بِيَدِكَ ضَغْنًا﴾ عطفٌ على محذوفٍ^(٢)، قدَّره المفسِّر بعدُ بقوله: (وكان قد حلف... إلخ).

قوله: (هو حُزْمَةٌ) أي: ملء الكفِّ.

قوله: (لإبْطَائِهَا عليه يومًا) واختُلِفَ في سبب بَطْئِهَا المتسبِّب عنه حلفُهُ؛ فقيل: إن الشيطان تمثَّلَ في طريقها في صورة حكيم يُداوي المرضى، فمرَّت عليه، فوجدت الناس منكبين عليه، فقالت له: عندي مريضٌ، فقال: أداويه على أنه إذا برئ قال: أنت شفيتني، لا أريد جزاءً سِواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوب بذلك، فحَلَفَ لِيَضْرِبَنَّهَا وقال: ويحك، ذلك الشيطان.

(١) نقل البغوي في «تفسيره» (٩٦/٧) أنهما عيان وأنهُ مشى بينهما أربعين خطوة.

(٢) عبارة أبي السعود في «تفسيره» (٢٢٩/٧): (وخذ بيدك ضغناً: معطوف على «اركض»، أو على «وهبنا» بتقدير: «قلنا» أي: وقلنا: خذ بيدك... إلخ، والأول أقرب لفظاً، وهذا أنسب معنى؛ فإنَّ الحاجة إلى هذا الأمر لا تمسُّ إلا بعد الصحة).

وَلَا تَحْنَتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾

﴿وَلَا تَحْنَتْ﴾ بِتَرْكِ ضَرْبِهَا، فَأَخَذَ مِائَةَ عُودٍ مِنَ الْإِذْخِرِ أَوْ غَيْرِهِ فَضَرَبَهَا بِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدُ﴾ أَيُّوبُ ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رَجَّاعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.
 ﴿٤٥﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي: أَصْحَابَ الْقُوَى فِي الْعِبَادَةِ، ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾: الْبَصَائِرُ فِي الدِّينِ، - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿عَبْدَنَا﴾، وَ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بَيَانٌ لَهُ، وَمَا بَعْدَهُ عَطْفٌ عَلَى ﴿عَبْدَنَا﴾ ..

حاشية الصاوي

وقيل: إنها باعت ذائبها برغيفين حين لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب، وكان أيوب يتعلّق بها إذا أراد القيام، فلهذا حلف ليضربنّها، وقيل غير ذلك^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَحْنَتْ﴾ أي: لا تقَعْ في يمينك بحيث تلزُمتُ كَفَّارَتُهُ، وهذا الحكم من خصوصيّات أيوب؛ رفقاَ بزوجته، وأمّا في شرعنا.. فلا يَبْرُّ إِلَّا بِضَرْبِ الْمِئَةِ، وَضَرْبُهُ بِأَعْوَادٍ مُجْتَمِعَةٍ لَا يَعْدُ وَاحِدَةً مِنْهَا إِلَّا إِذَا حَصَلَ مِنْهُ أَلَمُ الضَّرْبَةِ الْمُنْفَرَدَةِ^(٢).

قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ أي: عَلِمْنَاهُ، وَالْمَعْنَى: أَظْهَرْنَا صَبْرَهُ لِلنَّاسِ^(٣).

قوله: (أيوب) تفسيرٌ للمخصوص بالمدح.

قوله: ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ﴾... إلخ) أي: اذكر صبرَهُمْ عَلَى مَا امْتَحِنُوا بِهِ.

قوله: ﴿أُولَى الْأَيْدِي﴾ الْعَامَّةُ عَلَى ثُبُوتِ الْبَاءِ، وَهُوَ جَمْعُ يَدٍ، يَكْنَى بِذَلِكَ عَنِ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا يُزَاوَلُ بِهَا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْأَيْدِي: النَّعْمُ، وَفَسَّرَهَا الْمَفْسِّرُ بِالْقُوَّةِ فِي الْعِبَادَةِ، وَكُلُّهَا مَعَانٍ مُتَقَارِبَةٌ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِحَذْفِ الْبَاءِ تَخْفِيفًا^(٤).

(١) انظر الأقوال في «تفسير القرطبي» (٢١٣/١٥)، الذوائب: جمع ذؤابة، وهي الشعر المضفور من شعر الرأس، والأولى تنزيه مقام النبوة عن مثل هذه الأخبار.

(٢) وهذا على مذهبه رحمه الله تعالى، خلافاً للحنفية والشافعية؛ فضرِبُهُ بِأَعْوَادٍ مُجْتَمِعَةٍ مَعْتَبَرٌ بِشُرُوطِ مَبْسُوطَةٍ فِي كُتُبِ الْفَقْهِ. انظر تفصيل المسألة في «المدونة» (١/٦١٠)، و«حاشية ابن عابدين» (٣/٨٣٦)، و«تحفة المحتاج» (١٠/٥٤).

(٣) وليس في شكواه إلى الله تعالى إخلال بذلك؛ فإنه لَا يَسْمَى جَزَعًا كَتَمْنِي الْعَافِيَةَ وَطَلَبَ الشِّفَاءَ، وَالشَّكَايَةُ الْمَذْمُومَةُ إِنَّمَا هِيَ إِذَا كَانَتْ لِلْمَخْلُوقِينَ. «فتوحات» (٣/٦٠٨).

(٤) وبها قرأ عبد الله والحسن وعيسى والأعمش. انظر «الدر المصون» (٩/٣٨٢).

إِنَّا أَخْلَصْتُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَادْكُرْ
إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَذَا الْكِفْلِ

(٤٦ - ٤٧) ﴿إِنَّا أَخْلَصْتُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ الآخرة، أي: ذكرها والعمل لها، - وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان - ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ﴾: المختارين، ﴿الْأَخْيَارِ﴾: جمع (خير) بالتشديد.

﴿٤٨﴾ ﴿وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ هو نبي، - واللام زائدة - ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾: اختلف في نبوته؛ قيل: كفل مئة نبي فُرُوا إليه من القتل،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْتُمْ﴾: تعليل لما وُصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل.

قوله: ﴿بِخَالِصَةٍ﴾: صفة لموصوف محذوف، تقديره: بخصلة خالصة.

قوله: (هي ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾) جعلها المفسر خبراً لمحذوف.

قوله: (وفي قراءة... إلخ) مقابل لما قدره المفسر، وهما قراءتان سبعيتان؛ فعلى القراءة الأولى: يكون (ذكرى) مرفوعاً على إضمار مبتدأ، وعلى الثاني^(١): يكون مجروراً بالإضافة، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة، والإضافة بيانية كما قال المفسر^(٢).

قوله: ﴿وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ﴾: فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه؛ للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بذكر مناقبهم.

قوله: ﴿وَإِسْحَاقَ﴾: هو ابن أخطوب بن العجوز، استخلفه إلياس على بني إسرائيل، ثم نبأه الله عليهم كما تقدم^(٣).

قوله: (اختلف في نبوته) روى الحاكم عن وهب: أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشراً، وسمّاه ذا الكفل، فهو بشر بن أيوب^(٤). اختلف في نبوته ولقبه، والصحيح: أنه نبي، وسمي ذا الكفل إما

(١) كذا في الأصول، ولعل الأولى: (وعلى الثانية) أي: القراءة الثانية.

(٢) قرأ نافع وهشام بالإضافة، وقرأ الباقون بالتونين وعدم الإضافة، ولكلا القراءتين توجيهات عند النحاة غير ما ذكر المفسر، انظرها في «الدر المصون» (٣٨٣/٩).

(٣) انظر (٥١٧/٥).

(٤) «المستدرک» (٥٨١/٢).

وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ طَرَفِ الْأَرْبِ ﴿٥٢﴾

﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كُلُّهُمْ ﴿مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾.

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥٢﴾) ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ لَهُم بِالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ هُنَا، ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشَّامِلِينَ لَهُم ﴿لِحُسْنِ مَّآبٍ﴾: مَرَجِعٌ فِي الْآخِرَةِ، ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ - بَدَلٌ أَوْ عَطْفٌ بَيَانٍ لِّ(حُسْنِ مَّآبٍ) -، ﴿مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ مِنْهَا، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ﴾ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ طَرَفِ الْأَرْبِ: حَابِسَاتُ الْعَيْنِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، ﴿أَرْبِ﴾: أَسْنَانُهُنَّ وَاحِدَةً، وَهُنَّ بَنَاتٌ ثَلَاثٌ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، جَمْعُ تَرْبٍ.

حاشية الصاوي

لما قاله المفسر، أو لأنه تكفل بصيام النهار وقيام الليل، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى بما التزم، وتقدمت قصته في (الأنبياء) (١).

قوله: (أي: كلُّهم) أي: المتقدمين من داوود إلى هنا.

قوله: (﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾) جملة من مبتدأ وخبر، قصيد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها، فهي للانتقال من غرض إلى آخر، ففيها تخلص من قصة إلى قصة، وكذا يقال في قوله: ﴿هَذَا وَإِلَى الطَّاغِيَةِ...﴾ إلخ. قوله: (﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾... إلخ) شروع في بيان أجرهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل.

قوله: (الشَّامِلِينَ لَهُم) أي: فالمتقين) يشملهم وغيرهم.

قوله: (﴿مُّفْتَحَةٌ﴾) حال من ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾، والعامل فيها ما في (المتقين) من معنى الفعل، و﴿أَبْوَابُ﴾: مرفوعة باسم المفعول، و(أل) عوض عن الضمير (٢).

قوله: (﴿مُتَّكِئِينَ﴾) حال من الهاء في ﴿لَهُمْ﴾، والاقتصار على دُعاء الفاكهة؛ للإيدان بأن مطامعهم لمحض التَّفَكُّه والتلذذ، دون التغذية؛ لأنه لا جوع فيها.

قوله: (حَابِسَاتُ الْأَعْيُنِ) أي: لا ينظرون إلى غيرهم نظر شهوة وميل.

قوله: (أَسْنَانُهُنَّ وَاحِدَةً) أي: فقد استوين في السِّنِّ والجمال، وقيل: معنى ﴿أَرْبِ﴾: مُتَوَاحِيَاتٌ لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن، وكلُّ صحيح.

(١) انظر (٤/٣٥٦).

(٢) أي: والأصل: أبوابها، ثم حذف الضمير وعوض عنه (أل)، وهو رأي الكوفيين، ومشى عليه المفسر، وأما على رأي البصريين... فالرابط ضميرٌ مقدَّر، والتقدير: مفتحة الأبواب منها. انظر «مغني اللبيب» (ص ٦٥٩).

هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا وَإِلَى اللَّطِيفِينَ لَشَرِّ مَتَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسُوا آلِهَهُدِ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ

(٥٣ - ٥٤) ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ - بِالْغَيْبَةِ وَبِالْخَطَابِ التَّيْفَاتِ - ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: لِأَجَلِهِ. ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ أي: انْقِطَاعٍ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ (رِزْقُنَا)، أَوْ خَبَرٌ ثَانٍ لـ ﴿إِنَّ﴾، أي: دَائِمًا أَوْ دَائِمٌ.

(٥٥ - ٥٨) ﴿هَذَا﴾ المذكور لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَإِلَى اللَّطِيفِينَ﴾ - مُسْتَأْنَفٌ - ﴿لَشَرِّ مَتَابٍ﴾ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: يَدْخُلُونَهَا ﴿فَنَسُوا آلِهَهُدِ﴾: الْفِرَاشُ، ﴿هَذَا﴾ أي: الْعَذَابُ الْمَفْهُوم مِمَّا بَعْدَهُ ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (لأجله) أي: لأجل وقوعه فيه، فوقعه وإنجازه فيه علة للوعد به في الدنيا.

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا﴾ من كلام الله تعالى، والمعنى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما ذكر من بيان الجنات وأوصافها ﴿لَرِزْقُنَا﴾ أي: لهُوَ الرِّزْقُ الَّذِي تَفَضَّلُ بِهِ عَلَى عِبَادِنَا، ﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ أي: انقطاع أبداً.

قوله: (أي: دائماً... إلخ) لفٌّ ونشْرٌ مرَّتَبٌ.

قوله: ﴿هَذَا﴾ مبتدأٌ حُذِفَ خبره، قدَّره بقوله: (المذكور)^(١)، وهو تَخْلُصٌ مِنْ مَالِ الْمُتَّقِينَ لِمَالِ الْمُجْرِمِينَ، فهو بمنزلة (أمَّا بعد).

قوله: ﴿وَإِلَى اللَّطِيفِينَ﴾ أي: لِلْكَافِرِينَ.

قوله: ﴿لَشَرِّ مَتَابٍ﴾ مقابلٌ قولِهِ فِي حَقِّ الْمُتَّقِينَ: ﴿لَحَسَنَ مَتَابٍ﴾.

قوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: يُكْوَنُ بِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّأْيِيدِ، وَهُوَ لَا زِمٌ لِلدُّخُولِ.

قوله: (الفرش) أي: الْغَطَاءُ وَالرِّطَاءُ.

قوله: ﴿هَذَا﴾ مبتدأٌ، و﴿حَمِيمٌ وَعَسَاقُ﴾ ^(٥٧) وَ﴿آخِرُ﴾: خَبَرٌ، وَ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾: صِفَةُ أُولَى لـ (آخِرُ)، وَ﴿أَزْوَاجُ﴾: صِفَةُ ثَانِيَةِ لَهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَهَذَا أَحْسَنُ مَا يَقَالُ.

(١) ويصح عكسه؛ أي: الأمرُ هذا، وكلاهما من فصل الخطاب. «فتوحات» (٣/٦١٠).

وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُتَّحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾

أي: ماء حارٌّ مُحْرِقٌ، ﴿وَعَسَاقٌ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -: مَا يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ، ﴿وَأُخَرُ﴾ - بِالْجَمْعِ وَالْإِفْرَادِ - ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي: مِثْلَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْحَمِيمِ وَالْعَسَاقِ ﴿أَزْوَاجٌ﴾: أَصْنَافٌ، أي: عَذَابُهُمْ مِنْ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ.

(٥٩ - ٦١) وَيُقَالُ لَهُمْ عِنْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ بِأَتْبَاعِهِمْ: ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾: جَمْعُ ﴿مُتَّحِمٌ﴾: دَاخِلٌ ﴿مَعَكُمْ﴾ النَّارَ بِشِدَّةٍ، فَيَقُولُ الْمُتَّبِعُونَ: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي: لَا سَعَةَ عَلَيْهِمْ ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾
 حاشية الصاوي

قوله: (محرق) أي: للأمعاء؛ لقوله في الآية الأخرى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَ هُمْ﴾ [محمد: ١٥].

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أي: مثل المذكور) أي: في كونه حارًّا يُقَطِّعُ الأمعاء.

قوله: (من أنواع مختلفة) أي: كالحَيَّاتِ والعقارب والضُّرَبِ بالمطارق والزَّمَّهْرِيرِ وغير ذلك من أنواع العذاب، أجازنا الله منه.

قوله: (ويقال لهم) أي: مِنْ خَزَنَةِ النَّارِ.

قوله: ﴿﴿مُتَّحِمٌ﴾﴾ الاقتحام: الإلقاء في الشيء بشدَّةٍ؛ فإنهم يُضْرَبُونَ بمقامعٍ من حديدٍ حتَّى يقتحموها بأنفسهم؛ خوفاً من تلك المقامع.

قوله: (فيقول المتَّبِعُونَ) أي: جواباً للخزنة، كأنهم يقولون: أَنُحَسَدُ عَلَى كَثْرَةِ أَتْبَاعِنَا مَعَ كَوْنِنَا وَإِيَّاهُمْ فِي النَّارِ؟!

قوله: ﴿﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾﴾ مفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ، تقديره: لَا أَتَيْتُمْ مَرْحَبًا؛ أي: مَكَانًا وَاسِعًا^(٢).

قوله: ﴿﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾﴾ هو من كلام الرؤساء؛ أي: إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ كَمَا صَلَّيْنَاهَا.

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٣/٤٢٤).

(٢) وفي الجملة المنفية وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة سيقَّت للدعاء عليهم، وقوله: (بهم) بيان للمدعوِّ عليه، والثاني: أنها حالية، وقد يُعْتَرَضُ عليه: بأنه دعاء، والدعاء طلب، والطلب لا يقع حالاً، والجواب: أنه على إضمار القول؛ أي: مقولاً لهم: لَا مَرْحَبًا. «الدر المصون» (٩/٣٩٢).

قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِزْدَهُ
عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذَتْهُمْ سُخْرِيًّا

قَالُوا: أي: الاتِّباع: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَمْتُمُوهُ﴾ أي: الكُفْرَ ﴿لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ﴾ لَنَا
وَلَكُمْ النَّارَ، ﴿قَالُوا﴾ أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِزْدَهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مِثْلَ عَذَابِهِ
عَلَى كُفْرِهِ ﴿فِي النَّارِ﴾.

(٦٢ - ٦٣) ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ وَهُمْ فِي النَّارِ: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ﴾
فِي الدُّنْيَا ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ ﴿أَخَذَتْهُمْ سُخْرِيًّا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: الاتِّباعُ) أي: جواباً للرؤساء.

قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ﴾) أي: أنتم أحقُّ بما قُلْتُمْ لَنَا، فَدَابُّهُمْ أَنَّهُ كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ آخَتَهَا.

قوله: ﴿أَنْتُمْ قَدَمْتُمُوهُ لَنَا﴾) أي: دَلَّلْتُمُونَا عَلَيْهِ بِتَرْيِينِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ لَنَا، وَإِغْوَانِنَا عَلَيْهَا.

قوله: (النار) هذا هو المخصوص بالذم.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أيضاً) أشار بذلك إلى أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْإِتِّبَاعِ.

قوله: (أي: مثل عذابه على كفره) أي: وهو عذاب الدَّلَالَةِ عَلَى الْكُفْرِ؛ فَإِنَّ الدَّلَالَ عَلَى الشَّرِّ كِفَاعُهُ.

قوله: (أي: كفار مكة) أي: كَأَبِي جَهْلٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَغَيْرُهُمَا.

قوله: (وهم في النار) جملة حالية.

قوله: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا﴾) أي: أَيُّ شَيْءٍ ثَبَتَ لَنَا لَا نَبْصُرُ رِجَالًا... إلخ؟.

قوله: ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾) إِنَّمَا سَمَّوْهُمْ أَشْرَارًا؛ لِأَنَّهُمْ خَالَفُوا دِينَهُمْ.

قوله: ﴿أَخَذَتْهُمْ﴾) إِمَّا بِوَصْلِ الْهَمْزَةِ مَكْسُورَةً، أَوْ قَطْعَهَا مَفْتُوحَةً، قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، فَعَلَى

الْأُولَى: تَكُونُ الْجُمْلَةُ صِفَةً لـ (رِجَالٍ) أَي: رِجَالًا مَوْصُوفِينَ بِكَوْنِنَا عَدَدْنَاهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ، وَبِكَوْنِنَا نَسَخَرُ
بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَعَلَى الثَّانِيَةِ: فَالْجُمْلَةُ اسْتِفْهَامِيَّةٌ حُذِفَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ اسْتِغْنَاءً بِهَمْزَةِ الاسْتِفْهَامِ عَنْهَا،
وَالْمَعْنَى: مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا مَوْصُوفِينَ بِكَوْنِنَا عَدَدْنَاهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ، أَتَخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا فَهُمْ مَفْقُودُونَ
مِنَ النَّارِ أَمْ زَالَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ؟ أَي: هُمْ مَعْنَا فِي النَّارِ لَكِنْ زَاغَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُمْ فَلَمْ نَرَهُمْ^(١).

(١) قرأ البصريان وخلف والأخوان بوصل الهمزة مكسورة، أو قطعتها مفتوحة، قراءتان سبعيتان، والباقون بهمزة قطع مفتوحة وصلًا وابتداءً. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٧٤).

أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾

- بَضُمَ السَّيْنُ وَكُسِرَها -: كُنَّا نَسْخَرُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْيَاءُ لِلنَّسَبِ، أَي: أَمْفَقُودُونَ هُمْ؟ ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾: مَالَتْ ﴿عَنْهُمْ الْبَصَرُ﴾ فَلَمْ نَرَهُمْ؟ وَهُمْ فَقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ كَعَمَّارٍ وَبِلَالٍ وَصُهَيْبٍ وَسَلْمَانَ.

﴿٦٤﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ: وَاجِبٌ وَقُوْعُهُ، وَهُوَ ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ كَمَا تَقَدَّمَ. (٦٥ - ٦٦) ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِكُفَّارٍ مَكَّةَ: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ مُخَوِّفٌ بِالنَّارِ، ﴿وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لِيَخْلِقَهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (بضم السين وكسرهما) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أي: كنا نسخر بهم) راجع لقراءة الوصل.

قوله: (والياء للنسب) أي: على كل من القراءتين.

قوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ على قراءة الوصل تكون (أم) بمعنى (بل)، وعلى قراءة القطع تكون معادلةً للهمزة.

قوله: (وهم فقراء المسلمين) تفسير لقوله: ﴿رِجَالًا﴾.

قوله: (وسلمان) المناسب إسقاطه؛ لأنَّ الكلام في أهل مكة، وهو إنما أسلم في المدينة.

قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: المحكي عنهم من أقوالهم وأحوالهم.

قوله: (وهو ﴿تَخَاصُمُ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿تَخَاصُمُ﴾ خبرٌ لمحذوف^(٢)، والجملة بيانٌ لاسم الإشارة.

قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ أي: لا ساحرٌ ولا شاعرٌ ولا كاهنٌ، واقتصر على الإنذار؛ لأنَّ كلامه

مع الكفار، وهم إنما يُناسبهم الإنذارُ فقط وإن كان مبشراً أيضاً.

قوله: ﴿الْوَحْدُ﴾ أي: المعلوم المثل في ذاته وصفاته وأفعاله، وقد ذكر أوصافاً خمسة، كلُّ

منها يدلُّ على انفراده تعالى بالالوهية.

(١) قرأ نافع وحزمة والكسائي بضم السين، والباقون بكسرهما. انظر «السراج المنير» (٣/٤٢٥).

(٢) وهو أحد أوجه ستة في إعرابه مرفوعاً، وقرأ ابن أبي عبيدة (تخاضم) بالنصب مضافاً لـ (أهل) على أنه بدل من

(ذلك). انظر «الدر المصون» (٩/٣٩٥).

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾
مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ﴾: الغالبُ على أمره، ﴿الْغَفَرُ﴾: لأوليائه.
(٦٧ - ٦٨) ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أي: القرآن الذي أنبأْتُكم به وجئتُكم فيه بما لا يُعلم إلا بوحي، وهو قوله:
(٦٩ - ٧٠) ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ أي: الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأنِ آدم حين قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ إلخ ﴿البقرة: ٣٠﴾. ﴿إِنْ﴾: ما ﴿يُوحَىٰ﴾ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: أي: أني ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بينُ الإنذارِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مالِكُها.
قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ كرّر الأمر؛ إشارةً إلى الاهتمام به.
قوله: (أي: القرآن) تفسيراً له (هو).
قوله: (بما لا يُعلم) أي: من القصص والأخبار وغيرهما.
قوله: (وهو) أي: ما لا يُعلم إلا بوحي، وفيه: أن ما لا يُعلم إلا بوحي هو قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...﴾ إلخ، لا قوله: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ...﴾ إلخ إلا أن يقال: إنه ذكّر توطئةً وتمهيداً لما لا يُعلم إلا بالوحي.
قوله: (أي: الملائكة) أي: وإبليس.
قوله: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ منصوبٌ إمّا بـ(علم) أو بمحذوفٍ، والتقدير: ما كان لي من علمٍ بالملاء الأعلى وقتَ اختصاصهم، أو ما كان لي من علمٍ بكلام الملاء الأعلى وقتَ اختصاصهم.
قوله: ﴿إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (إلا): أدأه حصر، و(أن) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر نائب فاعل ﴿يُوحَىٰ﴾، والتقدير: ما يوحى إليّ إلا كوني نذيراً مبيناً، والحصر فيه وفي قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ إضافي، والمعنى: لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم.

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾

(٧١ - ٧٢) اذْكُر ﴿٧١﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧٢﴾ هُوَ آدَمُ، ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴿٧٢﴾: أَتَمَمْتُهُ ﴿٧٢﴾ وَنَفَخْتُ ﴿٧٢﴾: أَجْرَيْتُ ﴿٧٢﴾ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴿٧٢﴾ فَصَارَ حَيًّا، وإضافة الروح إليه تَشْرِيفٌ لِآدَمَ، والروح جِسْمٌ لَطِيفٌ يَحْيَا بِهِ الْإِنْسَانُ بِنُفُوذِهِ فِيهِ، ﴿٧٢﴾ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ سُجُودٌ تَحِيَّةٌ بِالْإِنْحِنَاءِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿٧١﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴿٧١﴾ ظَرْفٌ مَّعْمُولٌ لِمَحذُوفٍ، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (اذكر)، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿٧٢﴾ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٧٢﴾ إِنْ حُمِلَ الْإِخْتِصَامُ عَلَى مَا حَصَلَ فِي شَأْنِ آدَمَ فَقَطْ، وَأَمَّا إِنْ جُعِلَ عَامًّا... فلا يَصِحُّ جَعْلُهُ بَدَلًا مِنْهُ، بَلْ ظَرْفٌ لِمَحذُوفٍ.

قوله: ﴿٧٢﴾ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا ﴿٧٢﴾ أَي: إِنْسَانًا ظَاهِرَ الْبَشَرَةِ؛ أَي: الْجِلْدُ، لَيْسَ عَلَى جِلْدِهِ صَوْفٌ وَلَا شَعْرٌ وَلَا وَبَرٌ وَلَا رِيْشٌ وَلَا قَشْرٌ.

قوله: (أَجْرَيْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالنَّفْخِ حَقِيقَتُهُ؛ لِاسْتِحَالَتِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا هُوَ تَمَثُّلٌ لِإِفَاضَةٍ مَا بِهِ الْحَيَاةُ بِالْفِعْلِ عَلَى الْمَادَّةِ الْقَابِلَةِ لَهَا.

قوله: (والروح جِسْمٌ لَطِيفٌ... إلخ) هَذَا قَوْلُ جَمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَهُوَ الْأَصَحُّ، وَقِيلَ: إِنَّ الرُّوحَ عَرَضٌ وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي صَارَ الْجِسْمُ بِهَا حَيًّا، وَقِيلَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِجِسْمٍ وَلَا عَرَضٍ، بَلْ هِيَ جَوْهَرٌ مُّجَرَّدٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، لَهُ تَعَلُّقٌ بِالْبَدَنِ لِلتَّدْبِيرِ وَالتَّحْرِيكِ، غَيْرُ دَاخِلٍ فِيهِ وَلَا خَارِجٍ عَنْهُ، وَهُوَ قَوْلُ الْفَلَسَفَةِ.

قوله: (بنفوذِهِ فِيهِ) أَي: سَرِيَانِهِ فِيهِ كَسَرِيَانِ الْمَاءِ فِي الْعُودِ الْأَخْضَرِ.

قوله: ﴿٧٢﴾ فَقَعُوا لَهُ ﴿٧٢﴾ الْفَاءُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ (إِذَا).

قوله: (سُجُودٌ تَحِيَّةٌ بِالْإِنْحِنَاءِ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: كَيْفَ جَازَ السُّجُودَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَتَقَدَّمَ قَوْلُ أَنَّهُ كَانَ سُجُودًا حَقِيقَةً بِالْجِبَاهِ، وَتَقَدَّمَ الْجَوَابُ عَنْهُ: بِأَنَّهُ مُحَلٌّ كَوْنِ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ غَيْرَ جَائِزٍ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ الْمَوْلَى تَعَالَى، أَوْ يُقَالُ: إِنَّ السُّجُودَ لِلَّهِ تَعَالَى وَآدَمَ جُعِلَ كَالْقِبْلَةِ^(١).

(١) وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ كَمَا نَسَبَهُ لَهُ أَبُو حَيَّانٍ فِي «الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ» (١/٢٤٧)، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: اللَّامُ بِمَعْنَى (مَعَ)،

أَي: اسْجُدُوا لِي مَعَ آدَمَ مُؤْتَمِنِينَ بِهِ، وَانْظُرِ الْأَقْوَالَ (١/١٢٧)، وَ٢/٥٠٧-٥٠٨.

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَبْنَائِيسُ مَا مَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدَّتِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ ﴿٧٥﴾

(٧٣ - ٧٤) ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ - فِيهِ تَأْكِيدَانِ - ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾
هو أَبُو الْحِجْنِ، كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ، ﴿اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى.
(٧٥ - ٧٦) ﴿قَالَ يَبْنَائِيسُ مَا مَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدَّتِي﴾ أَي: تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ؟ وَهَذَا
تَشْرِيفٌ لِأَدَمَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ تَوَلَّى اللَّهُ خَلْقَهُ، ﴿اسْتَكْبَرْتَ﴾ الْآنَ عَنِ السُّجُودِ؟ اسْتِفْهَامُ
تَوْبِيخٍ، ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾: الْمُتَكَبِّرِينَ فَتَكَبَّرْتَ عَنِ السُّجُودِ لِكُونَكَ مِنْهُمْ؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾... إلخ) قيل: أول من سجد لأدم جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم عزرائيل، ثم الملائكة المقربون، وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر، وقيل: مئة سنة، وقيل: خمس مئة سنة.

قوله: (فيه تأكيدان) أي: فكلُّ منهما يُفيد ما أفاده الآخر، وقيل: إن (كل) للإحاطة، و(أجمعون) للاجتماع، فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات^(١).

قوله: (كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطع وهو الحق، وتقدم تحقيق ذلك^(٢).

قوله: (في علم الله) أي: أن الله تعالى عليم في الأزل أنه يكفر فيما لا يزال، وكان مسلماً عابداً، طاف بالبيت أربعة عشر ألف عام، وعبد الله ثمانين ألف عام.

قوله: (أي: تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ) أي: بذاتي من غير واسطة أبٍ وأمٍّ، وتثنية اليد؛ إظهاراً لكمال الاعتناء بخلقه عليه السلام.

قوله: ﴿اسْتَكْبَرْتَ﴾ الْآنَ... إلخ) أشار المفسر إلى جواب سؤالٍ وارد، وهو أن قوله: ﴿مِنَ الْغَالِينَ﴾ معناه: المتكبرين، فيلزم عليه التكرار، فأجاب: بأنَّ المعنى: أتركت السجود لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمر؟!

(١) هذا إذا كانت مع (كل)، أما بدونها... فتفيد التأكيد المجرد، وهو ألا يخرج أحد من الفعل، فلم يكن الاجتماع في وقت واحد، بل الاجتماع في الفعل. أفاده بعض الحواشي عن الشيخ عبد القاهر. «فتوحات» (٣/٦١٤).

(٢) انظر (١/١٢٧، و٢/٥٠٨).

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

(﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾) ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾ أي: مِنَ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: مِنَ السَّمَاوَاتِ؛ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مَطْرُودٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ﴾ هذا جوابٌ من إبليس لم يُطابق الاستفهامَ السَّابِقَ؛ لأنه أجاب بأنه إنما ترك السجودَ لكونه خيراً منه، وبَيَّن ذلك بأنَّ أصله من النار، وأصل آدم من الطين، والنارُ أشرفُ من الطين؛ لِيَكُونَ النارُ نورانيَّةً، والطين من الأرض وهي ظلمانيَّةٌ، والنورانيُّ أشرفُ من الظلمانيِّ. وهذه شبهةٌ، وقد أخطأ فيها؛ لأنَّ مآل النار إلى الرماد الذي لا يُنتَفَعُ به، والطينُ أصلٌ لكلِّ نامٍ نابت كالإنسان والشجرة، ومن المعلوم: أنَّ الإنسان والشجرة خيرٌ من الرماد، وزيادة على ذلك أن النوعَ الإنسانيَّ تشرَّفَ بأمور؛ الأول: من جهة الفاعل المشار إليه بقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾، والثاني: من جهة الصورة المشار إليها بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، ولم يحصل ذلك لغير النوع الإنساني، فدلَّ على أفضليَّته.

قوله: (أي: من الجنة... إلخ) هذا الخلاف مبنيٌّ على الخلاف الواقع في أمر الملائكة بالسجود لآدم؛ هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله، فقوله: (أي: من الجنة) مبنيٌّ على الأول، وقوله: (أو من السماوات) مبنيٌّ على الثاني.

وقيل: المعنى: أخرج من الخلقة التي كنت عليها أولاً؛ لما ورد: أن إبليس كان يفتخر بخلقته، فغيَّر الله خلقته، فاسودَّ بعد ما كان أبيض، وقُبِّحَ بعد ما كان حسناً، وأظلم بعد ما كان نورانياً، وروي: أن إبليس كان رئيساً على اثني عشر ألف ملك، وكان له جناحان من زمرد أخضر، فلما طُرِدَ.. غُيِّرَت صورته، وجعله الله معكوساً على مثال الخنازير، ووجهه كالقردة، وهو شيخ أعور، وفي لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس، وعيناه مشقوقتان في طول وجهه، وأنيابه خارجة كَأَنِيَاب الخنازير، ورأسه كرأس البعير، وصدره كَسَنَامِ الجمل الكبير، وشفته كَشَفَتِي الثور، ومنخره مفتوحان مثل كوز الحجام^(١).

قوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾... إلخ فإن قلت: إذا كان الرجمُ بمعنى: الطرد، فاللَّعْنَةُ بمعناه، ولزم التكرار، أجيب: بأنَّ الرجمَ: الطَّرْدُ من الجنة أو السماء، واللَّعْنَةُ: الطَّرْدُ من الرحمة، وهو أبلغ.

(١) كذا في «الفتوحات» (٦١٦/٣) نقلاً عن العلامة الكرخي.

وَأَنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾

﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: الجزاء.

﴿٧٩﴾ - ﴿٨٣﴾ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناسُ، ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾: وَقْتُ النَّفْخَةِ الْأُولَى، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ أي: الْمُؤْمِنِينَ.

﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾ ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ - بِنَصْبِهِمَا، وَرَفَعَ الْأَوَّلَ وَنَصَبَ الثَّانِي، فَنَصَبُهُ بِالْفِعْلِ بَعْدَهُ، وَنَصَبُ الْأَوَّلِ قِيلَ: بِالْفِعْلِ الْمَذْكُورِ، وَقِيلَ: عَلَى الْمَصْدَرِ، أي: أَحَقُّ الْحَقُّ، وَقِيلَ: عَلَى نَزْعِ حَرْفِ الْقَسَمِ، وَرَفَعُهُ عَلَى أَنَّهُ مُبْتَدَأُ مَحذُوفُ الْخَبَرِ، أي: فَالْحَقُّ مِنِّي، وَقِيلَ: فَالْحَقُّ قَسَمِي -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ ذكرها هنا بالإضافة، وفي غيرها بالتعريف؛ تفنناً^(١).

قوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ فإن قلت: كلمة (إلى) لانتها الغاية، فتقتضي انقضاء اللعنة عند مجيء يوم الدين مع أنها لا تنقطع، أجيب: بأنَّ اللعنة قبل يوم الدين من الله وعيدٌ بخلوده في العذاب، ومن العبيد طلب ذلك، وفي يوم الدين تحقق الوعيد والمطلوب.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ أي: أمهلني وأخرني، والفاء متعلّقة بمحذوف، تقديره: إذ جعلتني رجيماً فأمهلني ولا تُمتني إلى يوم يبعثون؛ أي: آدم وذريته، وأراد بذلك أن يجد فسحة لإغوائهم ويأخذ منهم ثأره، وينجو من الموت بالكلية؛ إذ لا موت بعد البعث، فأجابه تعالى بالإمهال مدة الدنيا لأجل الإغواء، لا بالنجاة من الموت.

قوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ الباء: للقسم، ولا يُنافيه قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي﴾ [الأعراف: ١٦]؛ فإنَّ إغواء الله تعالى له من آثار عزّته التي أقسم بها هنا.

قوله: (بنصبهما ورفع الأول... إلخ) أي: فالقراءتان سبعيتان^(٢).

(١) في سورة (الحجر): ﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾.

(٢) قرأ عاصم وحزمة برفع الأول ونصب الثاني، والباقون بنصبهما، وانظر توجيهاتهما نحويّاً في «الدر المصون» (٩/٤٠٠).

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

وَجَوَابُ الْقَسَمِ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ بِذُرِّيَّتِكَ ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أَي: النَّاسِ ﴿أَجْمَعِينَ﴾.
 (٨٦ - ٨٧) ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جُعِلَ، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾: الْمُتَقَوِّلِينَ الْقُرْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، ﴿إِنَّ هُوَ﴾ أَي: مَا الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْعُقَلَاءِ دُونَ الْمَلَائِكَةِ.
 ﴿٨٨﴾ ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ﴾ يَا كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿نَبَأَهُ﴾: خَبَرَ صِدْقِهِ ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ(عَلِمَ) بِمَعْنَى (عَرَفَ)، وَاللَّامُ قَبْلَهَا لَامُ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ، أَي: وَاللَّهِ.



حاشية الصاوي

قوله: (وجواب القسم... إلخ) أي: المذكور في بعض الأعراب المتقدمة، أو المحذوف.
 قوله: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ (توكيد للضمير في ﴿مِنْكَ﴾ وما عطف عليه.
 قوله: (دون الملائكة) إنما أخرجهم من العالمين وإن كان لفظ (العالمين) يشملهم؛ لأجل قوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾، والذكر معناه: الموعظة والتخويف، وهو لا يُناسب إلا الإنس والجن.
 قوله: (خبر صدقيه^(١)) أي: من ذكر الوعد والوعيد.
 قوله: (أي: يوم القيامة) تفسيرا لـ ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾، والحين: مدة الدنيا، وقال ابن عباس: بعد الموت، وقيل: من طال عمره.. علم ذلك إذا جاءه نصر الله والفتح.
 قوله: (بمعنى: عرف) أي: فهو متعد لمفعول واحد وهو ﴿نَبَأَهُ﴾، وقيل: إن (علم) على بابها تنصب مفعولين، والثاني قوله: ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾.



(١) لعل في العبارة قلباً؛ أي: صدق خبره، وبعضهم فسّر النبأ بالصدق فقط. «فتوحات» (٦١٨/٣) عن شيخه العلامة الأجهوري.

فهرس السور



٥	سُورَةُ التَّوْحِيدِ
٥٩	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
١٢١	سُورَةُ الْفَصَحِ
١٨٣	سُورَةُ الْعَنَكَبُوتِ
٢٢١	سُورَةُ الزُّمُرِ
٢٥١	سُورَةُ الْقَمَارِ
٢٧٧	سُورَةُ التَّجْوِيدِ
٢٩٥	سُورَةُ الْاِخْتِلَافِ
٣٦١	سُورَةُ التَّسْبِيحِ
٤٠٣	سُورَةُ فَطْرٍ
٤٣٧	سُورَةُ يَسَّ
٤٨٣	سُورَةُ الصَّافَاتِ
٥٣١	سُورَةُ صِلَ

